McGill University Libraries
3101389519C

McGill University Libraries
3 101 389 519 C

AP .M266
INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES
22361 ★ v. 6
McGILL
UNIVERSITY

رحيل السوري
خالف شبحة البعثه

المنار

١٣١٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر فى كل شهر عربي مرتين »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافى « المنار بمصر »

المجلد السادس

قيمة الاشتراك فى مصر خمسون قرشاً أميرياً فى السنة و ٣٥ قرشاً عن نصف سنة
وفى الخارج ١٨ فرنكا وفى الهند عشر روبيات وفى روسيا ٧ روابل

(حقوق اعادة الطبع للكل أو البعض محفوظة لمنشئ المجلة)

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

فهرس المجلد السادس من المنار

صفحه

﴿ ا ﴾

الآثار المكذوبة ٩٠٠
آيات الانبياء ١٧ و٥٩
الآيات المقترحة على النبي ٧٢١
ابراهيم اليازجي والمنار ٣١٨
ابوبكر الصديق ٢٣ و٣٥٥
الاجتهاد في الدين ١٦٧ و٨٤٨
اجرة التعديه بالبحر ٢٤٠
الاجماع ٩٤٠
احسن الكلام ٣١ و١٣٧
احياء الموتى كرامة ١٨٧
ارتياح الفكره (كتاب) ٣١٠
ارشاد الألبا ٥١١ (ص ٤٢١)
الارض – طيها كرامة ٢٥٨
« كرويتها ٦٦٦ (٨٢٤)
الارواح – رؤيتها كرامة ١٩٠
الاستاذ الامام ٤٧٦ (٤٨٦)
و٥٢٠ (٥٣٠) و٥٥٧ (٥٦٧)
و٧١٧ و٧٨٥ و٨٩٩ و٩٢٧
اسرار النجاح (كتاب) ٩٤٥
الاسلام – حكمة ظهوره في
العرب ١٧٣
« – خطوة اوربا اليه ١٠١
« دين الانبياء ٢٩٦ و٩٢١
« دين اختياري ٢٩٧

صفحه

« – معناه ٦٤٣ (٨٠٣)
« والمسلمون ٦٣٤ (٧٩٤)
اصابة السهام ٣٤
الاعيان انقلابها كرامة ٢٥٧
الافكار – جريدة ١٤٦
الافرنج – التشبه بهم ٧١٠
الاقسام على الله بعباده ٩٠٨
الالفاظ المترادفة ٥١٣ (٥٢٣)
الف ليله وليله – (كتاب) ٣١٠
الامام المخالف في المذهب ٢٣٩
الامامة وشروطها ٨٠٦ و٩٥٤
الاماني في الدين ٥٠ و١٦٧
الامة – تعجيل العقوبة لها
٢٤٥ و٢٥٣
الامة الشرقية (مجلة) ٨٤٠
امساك اللسان كرامة ٤٨٦
(٤٩٦)
الامير العربي ٤٠ و٧٩٩
الانبياء – عدم ارثهم ٨٥٧
الانتقام – قصة ٤٢٨
الانجيل الصحيح ١٣١
و٢٢٦ و٢٥٩
انساب الشعوب ٧٩٥
الانسانية – مجلة ٨٤٠
الانكليز في عدن ٧٥٨
انيس الملوحي – وفاته ٥٧٠

صفحه

(٥٧٠)
اهل الفتره ١
الاهواء – موافقة أهلها ٧٢٧
الاوقاف المصرية – مجلة ٤٢٨
الايمان يقتضي العمل ٣٦٦
أئمة العلم والجور ٨٠٧

﴿ ب ﴾

الباب وقرة العين ٢٣٢
البابية بفارس ٤٧٩ (٤٨٩)
البحر – المشي عليه وانفلاقه –
كرامة ٢٥٥
بحير الراهب ٣٩٤
بدع المواسم ١٣٧
« الجنائز ١٣٩
البرنيطة – حكم لبسها ٧١٠
و٩٣٦
بشائر السلام – مجلة ٩١٨
البغض ٢٧٢
بقرة بني اسرائيل ٤٢١
بلاد العرب ٧٥٨
بلرم (صقلية) ٧٣٦ و٨٣٢
و٨٦٩
البنات والامهات ٥٠٧ (٥١٧)
بولس – تغييره دين المسيح ٢٢٩
البؤساء – كتاب ٢٧٨

صفحه

روت فتنتها ٥١٧(٥٢٧)
البيوت أصل الامة ٢٠٤
« المحبة الزوجية ١٤٧
« منكراتها ٣٥٧

(ت)

التأمين على المال ٥٠٠(٥١٠)
التثليث ٢٢٥
تحذير المسلمين من الموضوعات
(كتاب) ٩٤٣
تحليل المطاقة ثلاثا ٥٣٠(٥٤٠)
تدبير الاطفال ٥١٣(٥٢٣)
دريب اللسان (كتاب) ٧٠٣
تذكية ـ كيفيتها ٧٧٤ و ٨١٢
بية الاطفال (كتاب) ٧٥٤
بية البنات ٥٠٧ (٥١٧)
تربية بالسفر ٥٤٩ (٥٥٩)
سمية عند الذبح ٧٨٣
صب النصارى ٢٢٣
تعبدي ٨١٩، ٨٥٩
تعليم الاسلامي ٥٨٨(٥٩٨)
ليم المعاني ٦١٧(٧٧٧)
« النحو ٦١٥(٧٧٥)
« النساء الكتابة ٧٠٤ و ٨٦١
ميم تعليم العربية ٤٩٦
(٥٠٦) و ٧٠٨
سير القرآن في أول الاجزاء
سير « ومامنعنا ان نرسل

صفحه

بالآيات » ٦٦
تفسير « ثم بعثناكم من بعد
موتكم » ١١٩
تفسير « لهم مايشاؤون عند ربهم »
١٨٥
تفسير (ذلك ان لم يكن ربك
مهلك القرى » مع « واذا أردنا
ان نهلك قرية » ٢٥٣
تفسير (فأغرقناه ومن معه)
مع (فاليوم ننجيك ببدنك) ٢٥٤
تفسير الآيات المشكلة في قارون
٢٩٤
« الآيات في قتل فرعون
أطفال بني اسرائيل ٢٩٥
« (ان الذين آمنوا والذين
هادوا) الخ ٤٧ و ٢٩٦
« (وقاتلوهم حتى لاتكون
فتنة) ٢٩٧
« الآيات في اقرار الكفار
وانكارهم في القيامة ٣٣٠
« الآيات المشكلة في خلق
السماء والارض ٣٣١
« الآيات في ليلة القدر ٤٥٧
تفسير ابن عباس ٨٢٥
تفسير (فلما آتاهما صالحا) ٧٠١
التقليد والاجتهاد ٢٣٦ و ٧٨٥
و ٨٤٨ و ٨٩١

صفحه

« « مناظرة ٤٩٠(٥٠٠)
و ٥٢٩(٥٣٩) و ٥٨٤(٥٩٤)
و ٦٠٥ (و ٧٦٦) و ٦٦٠
(٨٢٠) و ٦٩٦ و ٧٦٨ و ٨٥٣
و ٩٣٩
التقليد ـ ضرره ٧٦٣
تقويم المؤيد ٣٦
تكليم الموتى كرامة ١٩٠
تكوين الامة والرأي في
الاصلاح ٥٠٤
تلاوة الكتاب حق التلاوة ٧٦٣
التلفيق في التقليد ٩٠٢
التمدن الجديد ٦٢١ (٧٩١)
التمرين (كتاب) ٧٥٣
التنويم المغناطيسي ٢٢٦
التوسل الصحيح ٩٠٨
التوكل والسعي ٦٢١(٨٧١)
ثمرات الافكار ٦٢٠(٧٩٠)

(ج)

الجامعة الدينية والوطنية ٦٧٧
(٨٣٥)
جبريل ـ تمثله للنبي ٥٠١(٥١١)
جذب القلوب كرامة ٤٨٧
(٤٩٧)
الجرائد أصناف القراء ٣١٤
و ٤٠٠
الجزاء العادل (قصه) ٧٥٥

صفحه

الجزائر والعلم ٩١٧
الجلوس السلطاني ٤٧٦ (٤٨٦)
الجمعه ـ بدعها ٣١ و٣٤
الجمعية الخيرية ٣١١ و٧١٦
جمعية الفضائل الاسلامية ٣١٣
الجن ٢٦٦ و٧٠٩
الجهاد فى الاسلام ٢٩٧
جواهر الادب (كتاب) ٧٥٤

﴿ ح ﴾

الحب ـ تعريفه ٢٧٢
حب التميز ٥٤٧ (٥٥٧٥)
حب الذات ٢٧٣ و ٢٩٨
« الزوجية ١٤٧
« الزينة ٥٠٣ (٥١٣)
« العلوم (جريدة) ١٤٦
« القوة ٦١١ (٧٧١) و٨٦٣
« حب الوالدين ٢٠٣
الحج ـ تكفيره الذنوب ٨٥٧
« ـ حكمه ٨٥٩
حجارة سيدنا موسى ٢٦٦
الحجر الاسود ٨٨٤
حدث الوطنية واليهود ١٩٧
حديث الاعتقاد بالحجر ٧٩٢
« الجربالحديد ٧٠٨
الحديث ـ تلاعب المقلدين به
٥٣٠ «٥٤٠ » و٥٨٤ «٥٩٤»
و٦٠٦ «٦٦٥»

صفحه

الحرب الروسية اليابانية ٩٤٦
الحسن والاستحسان ٥٤٢
(٥٥٢)
الحماسة السنية (رحلة) ٩٤٣
الحمامات والولدان ٧١٩
حموربي أوملكي صادق ٨٩
الحيره في زمن الاصلاح ١٦٥

﴿ خ ﴾

الخدم ـ مفاسدهم بالبيوت ٣٥٨
الخدمة المدرسية (كتاب) ٣١٠
الخديوى فى انكلترا ٣٥٢
خرافات القصاص بشأن بناء
البيت الحرام ٨٨٢
الخطبة بالاعجمية ٤٩٦ (٥٠٦)
« في تاريخ الدولة العليه ٨٧٥
« منبرية ٦٦٣ (٨٢٣)
الخطيئة ـ احاطتها ٢٤٤
الخلافة والسلطان ٢٣٤ و٨٠٦
الخمر في التداوي ٦٦٨ (٨٢٦)
الخنزير ـ حكمة تحريمه ٣٠٢
الخير والشر ٣٣٥

﴿ د ﴾

دار المحفوظات في بلرم ٨٣٢
الدعاء حقيقته واستجابته ٤٠٦
« الدعاء بين الخطبتين ٧٩٣
دعاء نصف شعبان ٦٦٦ و٩٥٩

صفحه

دلائل الاعجاز ٣٤١ و٣٥٤
و٣٨١ و٤١٨ و٤٧١ و٦٢٤
(٧٨٤) و٧٥٥
الدولة و مكدونية ٣٨ و٤٢٨
« « ـ ماليتها ٧٠
« « والحرب ٧٩
« « تذكار تأسيسها ٨٧٥
دير الكبوشيين في بلرم ٧٤١
الدين الصحيح ـ اركانه ١١٨
« الدعوة اليه ٧٤١
« ـ رابطته ٨٦٣ و٩١٠
ديوان التماويذي ٩٤٤
« الرافعي ٢٠ و١٤٥
« الكاشف ٣٩٠

﴿ ذ ﴾

ذبائح أهل الكتاب ٧٧١ و٨١٢
و٩٢٧
الذنوب تكفيرها بالحج ٨٥٧
« طريق الكفر ٢٤٤

(ر)

رابطة الدين ٨٦٣ و٩١٠
« القومية ٧٤٧
رباعيات ابي العلاء المعري ٨٣٨
الرفاعية ـ لعبهم بالسلاح ٣٨٠
رمضان ـ فضله ٦٤٩ «٨٠٩»
« ـ منكراته وموضوعاته

صفحه

٧١٨

رمي الجمار ــ حكمته ٨٥٩

« رواء » الفرنسي ٤٥٥

الروح القدس عندنا ٢٨٢

الروح القدس عند النصارى ٢٣٠و٢٥٩

روسيا ــ قوتها ٩٤٦

رؤية الارواح كرامة ١٩٠

(ز)

الزار ٢٨٩و٦٧٦ «٨٣٤»

زكاة الفطر ٦٩٢

الزمان ـ طيه ونشره كرامة ٣٧٢

الزنا ــ تعريفه ومقدماته ٩٠٣

الزواج ــ طلبه بالجرائد ٣٦٠

﴿ س ﴾

السحر ٤٤١

سحابة خائبة ٥٢٠ «٥٣٠»

السعدية ــ لعبهم ٣٨٠

السفر للتربية ٥٤٩ «٥٥٩»

سكة الحجاز ٢٨٠و٣٥٥

سلطان زنجبار ٠٤٠

سؤال الملكين ٦٠٦ (٨٢٤)

السودان والاصلاح الشرعي ٨٠ و١٥٨

سورة العصر ٥٦١ (٥٧١)

السياحة واللغات ٨٣٤

صفحه

سيرالون ٧٥٧

السياسة (جريدة) ١٤٦

(ش)

شبهات النصارى ــ ٦٢و١١٦ و٢٥٢ و٢٩٤ و٣٣٠و٤١٢ و٤٥٧ و٤٢٥و٦٣٤ (٧٩٤)

الشطرنج ـ تاريخه وحكمه ٣٧٥

شعر في الحكم والامثال ١٤٣

الشعر والشعراء ٢٥

الشعر ــ موازنة ٣٤٦ و٣٨١ و٤١٨

الشعر ـ وصفه والادلال به ٤٧١

شمهورش قاضي الجن ٢٦٦

شورى الدولة العلية ٧٢

شيخ الاسلام (اللقب) ٧٩٤

الشيطان في الانسان ٧٠٩

(ص)

الصاع والمد ٦٩٣

الصحابة ــ اختلافهم بالرأي ٦٩٧و٧٦٨

صخرة بيت المقدس ٢٦٦

صندوق التوفير ٧١٧

الصلاة بالنعلين ٦٦٩ (٨٢٦)

« مع كشف الرأس ٥٠١ (٥١١)

« والمرور بين يدي المصلي

صفحه

٦٦٩ (٨٢٧)

« نية السنة بقضاء الفريضة ٦٧٠ (٨٢٨)

« وراء المخالف بالمذهب ٢٣٩ و٧٧٢

« ــ اثباته ٦٥٤ (٨٤١)

« ــ حكمته ٦٤٩ (٨٠٩)

« ــ تركه بعذر الدراسة ٦٦٥ (٨٢٤)

صيام رجب ٦٦٨ «٨٢٦»

الصور الشمسية ـ حكمها ٨٦٠

الصحة (جريدة) ١٤٦

﴿ ط ﴾

طاعة الحيوان ــ كرامة ٣٦٩

الطرائف ٦٣٣ (٧٩٣)

طعام أهل الكتاب ١٧٧ و١٨٦ و٩٢٧

الطلاق الثلاث ــ تحريم تحليله ٥٣٥ (٥٤٥)

« على الغائب والمعسر ٢٣٢

﴿ ع ﴾

عاشوراء ٢٣٧

عدن والانكليز ٧٠٨

العرب والخلافة ٩٥٤

العرب ــ تساهلهم ٧٤٠

العرب فضلهم ١٤٥ و١٧٣

صفحه
العرب والدولة ٥٩٩
العربية — وجوب تعميمها ٤٩٥ (٥٠٥)
عرفة — حكم الوقوف ٨٥٩
عروس النيل (مجلة) ٤٢٥
العلل — برءها كرامة أووهما ٢٧٨ و٣٢٦
العلم — شرح معناه ٥٨٩ «٥٩٩»
علم التوحيد ٦١٩ (٧٧٩)
علم المعاني والبيان ٦١٦ (٧٧٦)
علم النفس ٢٧٠
علم الهيئة والقرآن ٣٧٩
العلوم الاسلامية ٦١٥ (٧٧٥)
العلماء — سكوتهم على المنكر ١٣٩
الشيخ علي العمري — وفاته ٥٦٠ (٥٧٠)
غانية البادية (قصة) ٧٥٥

(ف)

الفاتحة — قراءتها في العقود ٣٨١
فتاة غسان (قصة) ٢٣٩٢
الفتوى والافتاء ٧٨٤ و٨٩١
فتح الاندلس «قصة» ٣٩١
الفرن — دخوله كرامة ٣٨٠
فرنسا بالجزائر ٧٩
« بتونس ٤٧٨
الفصاحة والبلاغة ٣٤٣
الفضيلة (مجلة) ١٤٦

صفحه
الفقيون — مفاسدهم ٣٥٩

(ق)

القاضي — اجتهاده ٢٣٤ و٨٤٨
« — اسلامه ٥٣٤ ٥٤٤)
القاهره «جريدة» ١٤٦
القبور — تعظيمها ٨٠٩
قدم النبي — أثره في الصخر ٩٠١
قراء الصحف — إحصاء ٣١٤ و٤٠٠ و٥٥٨ و٥٦٨
القرآن — آية جديدة له ١٠٦
القرآن — أسلوبه في القصص ١٠ و١٢٢
القرآن — إعجازه ٢٠٩ و٢٤٧ و٣٣٣
القرآن — استدراكه واحترامه ٦٨٧ و٨٤٥
القرآن — التعبد بتلاوته ٧٦٤ و٤٦٤
القرآن — بلاغته ٤٦١
القرآن — ترجمته ٢٦٨
القرآن — جمعه وحفظه ٢١٨
القرآن — كتابته بالحروف الانكليزية ٢٧٤
القرآن — رده مطاعن النصارى فيه ٢١٧ و٢٥٢
القرآن والعلوم الحديثة له ٣٣٣
القرآن — الاستهداء به ٧٦٧

صفحه
القرآن — وعلم الهيئة ٣٧٩
القسطنطينية — مكانتها البحرية ٤٧٨ و٤٨٨
القصائد الهاشميات ٣٠٩
قلائد الذهب ٦٣٢ (٧٩٢)
القول السديد (كتاب) ٣٠٩
قوة الانسان ٧٤٥
القوى البشريه ٦١٢ و٧٧٢

(ك)

الكرامات والخوارق ١٢ وفيه بحث عموم ادعائها والانكار على الاديان بسببها، وشيوعها حيث يكثر الجهل وعدمها حيث يفشو العلم، والموازنة بينها وبين آيات الانبياء، وبناء الاسلام على العلم دون الخوارق الكونية
الكرامات ٥٤ وفيه بحث الصناعي منها والسحر، وبحث السنن الالهية، والظن واليقين، ورواية الآحاد، والتمحيص رواية ودراية، وطريق الحس والتواتر، وحال مدعي الخوارق، وحال الانبياء، ومستقبل الاديان مع العلم، واثبات كون الخوارق ليست براهين عقلية على الدين، وموازنة ثانية

صفحه

الكرامات ١٠٩ وفيه
بحث المأثور منها وضررها في
زلزال التوحيد ، واباحة
المعاصي ، وعدم الثقة بالعقل ،
والانخداع للدجالين ، وعدم
الاهتمام بالأمور العامة ،
والرغبة عن العلوم الكونية ،
وجعلها دينا ، وبحث عدم
تأثيرها في هداية الكافرين ،
وبحث تحكيم قاعدة درء المفاسد
فيها ، ومذهب أهل السنة
الكرامات ١٨٤ وفيه بحث
الحسية والمعنوية ، وتعريفها
عند العوام والخواص ،
واستدلال العامة عليها ، وكونها
ليست من أصول الايمان ،
الكرامات – أنواعها وضروب
التأويل ١٨٧ و٢٥٧ و٢٨٦
و٣٢٦ و٣٦٩ و٣٨٠ و٤٨٦
(٤٩٦)
كلام الجماد والحيوان كرامة
٢٨٦
الكلب ٢٣٩ و٣٠٢
كنيسة موريالي ٧٤٠
كيمياء السعادة (كتاب) ٣٨٩
كينا لاروش ٥٠١ (٥١١)

(ل)

صفحه

لاون الثالث عشر البابا ٣٤٨
و٤٢٥ و٤٣٤
لائم مليم ٣٥٣
اللعن من الله ٢٨٥
اللغة العربية – احياؤها ٤٩٦
(٥٠٦) ٧٤١
اللواط – حده ٤٩٨ (٥٠٨)
ليلة القدر ٤٥٧
ليلة نصف شعبان ٦٦٦ و٩٥٩

(م)

مادة الكون ٣٣٣
الماسونية واليهود ١٩٦
مالك – ضرب الحكام اياه ٨٠٧
المباحث (مجلة) ٨٤٠
المتشابهات في القرآن ٢٥٢
مجلة أبقراط الطبيه ٧٥٥
مجلة الاحكام الشرعية ٤٢٧
المحامون ٧٢٩
الشيخ محمد الاشموني ٩٢٠
محمد سعيد الحكيم ٥٦٠ و٥٧٠
الشيخ محمود الاتاسي – وفاته
٥٥٩ و٥٦٩
مختصر جامع بيان العلم ١٤٠
المخنوق بقصد الذكاة ٧٨٠
و٨١٧ و٩٣٢
المدارس المصرية لا تربي رجالا
٥٩٢ (٦٠٢)

صفحه

مدرسة الجمعية الخيرية ٣١١
مدرسة الشرجي ١٥١
مدرسة الكبوشيين في بلرم ٧٤٢
مدرسة الكلية ببيروت ٥٥٦
(٥٦٦)
مدرسة المعلمين الالهامية ٣٩٩
المذبوح للكنيسة ونحوها ٧٧٤
و٩٣١ و٩٣٤
مذهب العامي ٩٠٧
مرائي الامة القطية ٦٧٥
(٨٣٣)
المرأة – حديث اجاعتها ٢٣٨
المرأة – ما تحب في الرجل ١٤٩
مراكش وثورتها – ٨٩ و٥٩٩
و٦٠٩ و٦٨٠ و٨٣٨
المسجد الاقصى وقت الاسراء
٦٩٩
مسلمو سيرابوز ٧٥٦ و٧٠٠
المسلمون واليهود ١٧٠
المسيح – انتقادهم فيه ٢٥٩
المسيح – صلبه ٦٢ و١١٦
مسيح الهند ٥٩٧ (٦٠٧)
مشاهير الشرق (كتاب) ١٤٥
المصريون والصقليون ٨٧٣
مضار الزرقصة ٦٧٦ (٨٣٤)
معارف – ولة لعليه ٥٧٢
معجزات نبينا عليه السلام ٦٧

صفحه

المعراج والرؤية ٥٠٢ (٥١٢)
المغرب (جريدة) ١٤٦
المفتي ٧٨٥ و٨٢١ و٨٤٨
٨٩١
المقامات العشرة ٥١٤، ٥٢٤
مقبرة الكبوشيين في بلرم ٧٤٢
مقبرة مسينا ٨٦٩
مكتبة اسلامية في روسيا ٦٨٠
٨٣٨،
المكتبة العمومية في بلرم ٨٣٢
الملاهي ــ حكمها ٣٧٨
ملكة على عرش الفراعنة
(قصة) ٥١٤ (٥٢٤)
المنار ــ فاتحة السنة وذكر منهجه
المنار ــ انتقاده ٢٣٢، ٣٥٣
٤٢١ و٤٢٥ و٥٩١ (٦٠٢)
المنار ــ رأيه ورأي التيمس
٦٨٠ (٨٣٨)
المناظر (جريدة) ٣٥٣
المنتحل للثعالبي (كتاب) ١٤٢
منشاوي باشا ٣٢ و٣٩٨
الموقوذة ٧٠١ و٩٣٣

صفحه

مولد المسيح ومحمد ٤٢٣
الميتة ــ علة تحريمها ٧٧٤
ميزان الافكار (كتاب) ٣٠٨

(ن)

النافع (جريدة) ٨٤٠
النبأ العظيم ــ ٨٧
نبوة محمد (ص) ١٧٣ و٢٦٧
النبي ــ حاله ودعوته ١٧٧
النخبة الازهرية (كتاب) ٣٦
النرد ــ تاريخه وحكمه ٣٧٣
النساء تركهن الصوم ٧٢٠
النساء ــ تهتكن ٣٥٧
النساء ــ مضار استقلالهن ٤٦٦
النسب ــ ٤٨ و٩٢٦
النسخ في القرآن ٥٢١، ٥٣١
النصرانية وزلزالها في اوربا ٩٤
نظام الحب والبغض ٢٧٠ الخ
النظام والاسلام (كتاب)
٦٧٣ (٨٣١)
نهج البلاغه ٦٢٧ (٧٨٧)
النيل (جريدة) ٧٥٥

صفحه

(هـ)

هاروت وماروت ٤٤٣
الهلال واثبات الشهر ٧٠٥
هنا وهناك (كتاب) ٣٠٩
الهيضه الوبائية بسوريا ٤٤٠
و٥٥٩ و٥٦٩

(و)

واقعة السلطان عبد العزيز
٦٧٤ (٨٣٢)
الواعظ (جريدة) ٨٤٠
الوحدانيه ٧٩٢
الوحي ٧٨٨ و٨٦٢ و٨٦٤
الوفاء في الحب (قصه) ٧٥٤
وفد بني تميم ٢٠
وقف المنشاوي ٢٤٠
الوقف ٦٥٦ (٨١٦) ٧٢٩
الوهم ــ تأثيره في المرض ٢٨٧

(ي)

اليابان ــ قوتها ٩٤٨
اليتيم الوصيه به ١٠٥
اليهود والماسونيه ١٩٦

(تنبيه مهم) وقع خطأ في عدد صفحات هذا المجلد ووضع الفهرس بعد تصحيحه بالقلم وذكرنا فيه العدد الخطأ بين قوسين فمن لم يصحح العدد من الصفحه ٤٧٥ الى ص ٦٨٩ لايجد مراجعه في هذه الصحائف بسهولة . ثم ان بعض مطالب الفهرس موضوعة بحسب اني فمن لم يجد عنوانا لمطلبه فليبحث عنه في الصفحة يجده

الجزء الاول — المجلد السادس

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿مصر يوم الاثنين غرة المحرم سنة ١٣٢١ — ٣٠ مارث (آذار) سنة ٩٠٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وإمام الهداة والمصلحين ، وعلى آله وصحبه الراشدين المهديين ، وعلى من تبعهم بهديهم الى يوم الدين ،

وبعد فقد بلغ المنار بفضل الله وتوفيقه السنة السادسة وهذا أول جزء منها . ولله مزيد الشكر والثناء ، أن أعطانا فوق ما تعلق به الأمل والرجاء ، وزادنا على ما كنا نتوقع من زيادة القراء والمشتركين ، عددا صالحاً يدخل في عقود المئين ، من غير دعاة مندوبين ، ولا وكلاء مستخدمين ، الا ترغيب أهل الغيرة الملية ، وتنبيه ذوي الأريحية الإسلامية ، صادفا من قلوب إخواننا المسلمين شعوراً ينمو ، ووجدانا يسمو ، وعلما بالحاجة الشديدة الى توثيق الرابطة الدينية ، وإحكام عقدة العقائد الإسلامية ،

22361

والجمع بين مجاراة الأمم المعاصرة ، وحفظ ما فيه حياة الدار الآخرة ، من العقائد الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، والأعمال النافعة ، وهـذا ما أنشيء المنار للدعوة اليه ، وهو عين ما يدعو اليه الاسلام ، ما زدنا فيه ولا نقصنا منه ؛ وإنما نتوخى بيانه ، ونقيم برهانه ، بما يناسب حال الزمان ، وما انتهى اليه رقيّ الانسان ،

لقد أتي على المسلمين حين من الدهر وهم في مرض اجتماعي يشبه داء السكتة ؛ تعيث في جامعتهم جراثيم المرض وهم لا يشعرون ، وتهددهم بالفناء والزوال ولا يعلمون ، حتى اذا فار التنور ؛ وجاء القدر المقـدور ، تخرق حجاب الغرور ، وطفق يدب دبيب الشعور ، ولـكنه شعور يظهر انه زاد الأمة مرضا ، حتى كادت تكون حَرَضا ، شعور هبط ببعض ذويه في مهاوي الإياس ، وطوّح ببعضهم الى موامي الوسواس ؛ فكان انتقالا من طور الخدر والسُّبات ، الى طور الحيرة والشتات ، ولَحَيْرَةٌ في الفكر ، وشتاتٌ في الامر ، خير من خدر الحواس ، وفقد الإحساس ، لأن هذا من أمارات العدم والزوال ، وذاك من علامات الحياة على كل حال ،

ذهب أقوام في هذه الحيرة الى ان وقاية المسلمين من الخطر إنما تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين ؛ والاستماتة في الخضوع لهم وتقديس سلطتهم ، لأن الخطر إنما ينذرنا من الجانب الغربي جانب القوة القاهرة ، والمدنية الساحرة ، وملوكنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التي نكافح بها تلك القوى ؛ فلا بدّ من تعزيزهم وتعزيرهم ، وإجلالهم وتوقيرهم ، بل لا بد لنا من تنزيههم وتقديسهم بكرة وأصيلا

وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة

بدون مشاورتها قرونا طويلة فما كان منهم الا أن أوقعوها فى هذا الضعف والهوان، والفقر والخذلان، والجهل بأمر الدنيا والدين، لأجل الخضوع الأعمى لهم وان كانوا ظالمين، واذا كانوا هم مصدر الشرور والفتن، ومثار البلايا والمحن، فأول واجب على الأمة مقاومة استبدادهم، ومقاواة استعبادهم، وإلزامهم بالمشاورة فى الأمر، وتقييد السلطة في الحكم، وإعلامهم بأنهم أُجَرَاء الرعية، كما قال أبو العلاء، حكيم الشعراء:

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدَوْا مصالحها وهم أجراؤها

وبذلك يصلح الحال، وتتحقق الآمال، ونثق من حسن الأستقبال، وأما دوام الاستماتة فى الخضوع للمستبدين، فأنه يردينا فى اسفل سافلين، فهم الذين يجهزون على ما أبقى أسلافهم من قوى الأمة الحسية والمعنوية، وهم الذين يسامون بقية بلادها للدول الاجنبية،

الا أن الفريق الأول أكثر عددا، وأغزر مددا، والفريق الثاني أكثر علما، وأبعد فهما، ولكل منهما صحف منشَّرة، وجرائد محررة، ولكن جرائد حزب القوة أعز أنصارا، وأكثر دينارا، والنجاح من حجج القوة على الضعف وما كل ناجح محق؛ وما كل خائب مظلوم؛

وقد فات حزب المحافظين أنهم يطلبون بناء ما كان على ما كان. فاذا طلب أحدهم إصلاحا فانما يطلبه في فرع من الفروع؛ ولا إصلاح الا باصلاح الاصول « متى يستقيم الظل والعود أعوج ». وفات حزب المعارضين أنهم لا يدرون من يطالبون، ولو دروا لعلموا انهم يلغون ويعبثون، فانه لا تقوِّم الحكام إلا الأمة المتعلمة المهذبة فالسعي في تكوين أمة عالمة مهذبة هو الواجب الاول على الذين شعروا بمصاب المسلمين وأبصروا من وراء الحجاب

ما كمن لهم من الغوائل والرزايا. ولا طريق لهذا التكوين الا التربية الملية الصحيحة والتعليم العام ولا يكمل هذا الا في المدارس الكلية كما سبق لنا القول

هذا رأي لايختلف فيه أهل البصيرة من عقلاء المسلمين ولكن هؤلاء لم يبلغوا أن تكون لهم صحف تنشر؛ وجرائد تدعو — على أن كل الصحف عون لهم — حتى إذا ما انشئ المنار كان هو صحيفتهم لأنه لم ينشأ لمقاومة سلطة ولا حكومة ولا لمدح سلطان أو أمير ولا لذمهما وإنما أنشئ لمساعدة العقلاء على السعي في « تكوين الأمة » من طريق التربية الملية والتعليم النافع . ولذلك قلنا في مقدمة العدد الأول إن الغرض الاول من المنار الحث على التربية والتعليم، لا الحط على الامراء والسلاطين، الخ وقلنا في أواخر مقالة نشرت في العدد ١٦ من السنة الاولى عنوانها (الى أي تربية وتعليم نحن أحوج) بعد كلام في تعلم الفنون العصرية بصبغة أوربية ما نصه:

«فيجب على العلماء والكتاب الشرقيين ان يوجهوا عنايتهم الكبرى الى هذا الامر « تكوين الامة » ويجتهدوا فيه قولا وعملا. ويجب على مؤسسي المكاتب والمدارس الوطنية ومعلميها وأساتذتها أن يجعلوه نصب أعينهم وأهم ماتدور عليه تعاليمهم بحيث يغرسون في قلب كل تلميذ أن حياته كلها لامته وبلاده وان علمه وعمله لا شرف له فيهما الا اذا صرفهما لمنفعة الامة والبلاد » الخ

في طريق هذه التربية وهذا التعليم عقبة في طريق المسلمين يتعسر اقتحامها وهي سوء فهم الدين وتقليد الجاهلين بعضهم بعضا فيه. لهذا كان الإصلاح الديني شرطا فى الإصلاح المدني أو شطرا منه في وضع الاسلام الذي جمع بين مصالح الدارين . وليس المراد من جعل المنار دينيا الا بيان

ماهو الدين على وجهه الحق والتفرقة بينه وبين ماليس من الدين في شيء وكيفية الجمع بين مصالح الروح والجسد . وكل هـذا مما يتقبله جميع المسلمين بالإجمال ؛ وفي التفصيل مزلة الاقدام ، ومضلة الاقوام ،

ومن مقدمات الاصلاح إحياء اللغة اذ لا أمة بدون لغة حية . ومنها إزالة حجب الغرور ، عن حقائق الأمور ، ومن هـذا القبيـل ما ينشر أحيانا من النبذ الأدبية والتاريخيـة ومن جوائب الاخبار ، التي تتضمن العظة والاعتبار ؛

هذا هو موضوع المنار نشير اليه على رأس كل سنة . لا ينازع حزبا من الاحزاب في مشربه ولذلك سالمه أصحاب الجرائد السياسية — من وقف نفسه منهم على مدح الامراء والسلاطين ومن وقفها على ذمهم ؛ ومن رضي بنفوذ الحكومات الاجنبية في البلاد التي يسكنها ومن سخط عليها . وسالمه أيضا أصحاب المجلات العلمية والدينية وسالمهم الامن استهواه الغرور فطعن فى أصول الاسلام الاعتقادية أو الادبية أو العملية فرد المنار طعنه ، وأخرج ضغنه ؛

وجملة القول ان المنار قد جاء بمشرب جديد استعذبه الأقلون ، ومجه الاكثرون — استعذبه من ذاقه فعرفه ، ومجه من جهله فما أنصفه ، أولئك أسرى التقليد ؛ ينفرون من كل جديد الا أن يكون بدعة دينية ، وينفرون من كل داع الا ان يدعو الى لذة بهيمية ، يألمون مما هم فيه ، ويتنكبون طريق تلافيه ، يطلبون النجاة من الشقاء ، ويصرون على أسباب البلاء ؛ يهرب مدعي العلم فيهم من المناظرة ، وينبري المعترف بالجهل منهم الى المماراة والمهاترة ، يتبرأ زعيمهم من الدليل المعقول والمنقول ، ويحاول أن يقلّد فى كل

مايقول ، حجتهم استبداد الامراء ، واعتقاد الدهماء ، وقد سحل مرير هذا الاعتقاد ، وانتكث فتل ذلك الاستبداد ؛ وتقلص ظل ذلك الزماز ؛ الذى كان يحتكر فيه الدين والإيمان ، وخليّ بين العقول والاستقلال ، وبين الإرادة والأفعال ، فساء صباح المقلدين ، وأذن مؤذن بينهم « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، » فخذل هنالك الجاهلون ؛ « أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون »

هذا ما كان في كثير بلاد المسلمين ، وهذا ماسيكون في باقيها بعد حين ، ولَحُرِّية تبيح بعض المنكر ولا تمنع شيئاً من المعروف ، أهون من عبودية تنهى عن المعروف وتأمر بالمنكر ، فالعبودية تطفئ نور الفطرة البشرية ، والحرية تظهر مبلغ استعداد القوى الإنسانية ، فياحسرة على سلطة تهدم بمعاول الاستبداد والاستعباد ، وياضيعة لحرية يفسدها سوء الاختيار وضعف الاستعداد ، وياطوبى لمن اغتنم فرص الزمان ؛ فعمل في نفسه لنفسه ، وعمل في أمته لأمته ، « وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ،

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر ﴾

« وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون »

المراد بالقرية ماهو أوسع من البلدة فان الرغد لا يتيسر للانسان حيث يشاء إلا فى المدن الواسعة الحضارة ونسكت عن تعيين القرية كما سكت القرآن فقد أمر بنو اسرائيل بدخول بلاد كثيرة وكانوا يؤمرون بدخولها خاشعين لله خاضعين لأمره مستشعرين عظمته وجلاله ونعمه وإفضاله وهو معنى السجود وروحه المراد هنا. وأما صورة السجود من وضع الجباه على الأرض فلا يصح ان تكون مرادة لأنها سكون والدخول حركة وهما لا يجتمعان. والمراد بالحطة الدعاء بأن تحط عنهم خطايا التقصير وكفر النعم. وتبديل القول بغيره عبارة عن المخالفة كأن الذي يؤمر بالشيء فيخالف قد أنكر أنه أمر به وادعى انه أمر بخلافه. يقال بدّلت قولا غير الذي قيل: أي جئت بذلك القول مكان القول الاول

وهذا التعبير أدل على المخالفة والعصيان من كل تعبير خلافا لما يتراءى لغير البليغ من أن الظاهر أن يقال: بدلوا القول بغيره: دون ان يقال: غير الذي قيل لهم: فان مخالف أمر سيده قد يخالفه على سبيل التأويل مع الاعتراف به. فكأنه يقول في الآية انهم خالفوا الأمر خلافا لا يقبل التأويل، حتي كأنه قيل لهم غير الذى قيل، وليس المعنى أنهم أمروا بحركة يأتونها، وكلمة يقولونها، وتُعبّدوا بذلك وجعل سببا لغفران الخطايا عنهم فقالوا غيره وخالفوا الأمر وكانوا من الفاسقين. وأي شيء أسهل على المكلف من الكلام يحرك به لسانه فيعصيَ بتركه؟ انما يعصي العاصي اذا كلف بما يثقل على نفسه ويحملها على غير ما اعتادت، وأشقُّ التكاليف حملُ العقول على ان تفكر في غير ما عرفت، وحثُّ النفوس على أن تتكيف بغير ماتكيفت؛ وذهب المفسر (الجلال) الي ترجيح اللفظ على المعنى والصورة على الروح ففسر السجود ككثير من غيره

بالانحناء وقال انهم أمروا بأن يقولوا حطة فدخلوا زحفا على أستاههم وقالوا: حبه في شعيرة: أي اننا نحتاج الى الأكل. ومنشأ هذه الاقوال الروايات الاسرائيلية ولليهود في هذا المقام كلام كثير وتأويلات خُدع بها المفسرون ولا نجيز حشوها فى تفسير كلام الله تعالى

ويدل قوله تعالى «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء» على أن هذا العصيان لم يكن من كل بني إسرائيل وأن هذا الرجز كان خاصاً بالظالمين منهم الذين فسقوا عن الأمر ولم يمتثلوه. وقد أكد هذا المعنى أشد التأكيد بوضع المظهر موضع المضمر فقال «فانزلنا على الذين ظلموا» ولم يقل: فأنزلنا عليهم: ولعل وجه الحاجة الى التأكيد الاحتراس من إيهام كون الرجز كان عامّاً كما هو الغالب فيه. ثم أكده بتأكيد آخر وهو قوله «بما كانوا يفسقون» وفي هذا الضرب من المقابلة من تعظيم شأن المحسنين ما فيه

ونسكت عن تعيين نوع ذلك الرجز كما هو شأننا في كل ما أبهمه القرآن. وقال المفسر وغيره إنه الطاعون واحتجّ بعضهم عليه بقوله تعالى «من السماء» وهو كما تراه. وقد ابتلى الله بني إسرائيل بالطاعون غير مرة وابتلاهم بضروب أخرى من النقم في إثر كل ضرب من ضروب ظلمهم وفسوقهم ومن أشد ذلك تسليط الأمم عليهم وحسبنا ما جاء فى القرآن عبرة وتبصرة فنعيّن ما عينه ونبهم ما أبهمه والله يعلم وأنتم لا تعلمون

«واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قَدْ عَلِمَ كلُّ أُناسٍ مشرَبهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين»

هذا بيان لحال آخر من أحوال بني إسرائيل فى هجرتهم وعناية الله

تعالى بهم فيها . أصابهم الظمأ فعادوا على موسى باللائمة أن أخرجهم من أرض مصر الخصبة المتدفقة بالامواه وكانوا عند كل ضيق يمنون عليه أن خرجوا معه من مصر ويجهرون بالندم . فاستغاث موسى بربه فأمره بأن يضرب بعصاه حجراً من تلك الصحراء فضربه بتلك العصا التى ضرب بها البحر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد أسباطهم وذلك قوله عز وجل « قد علم كل أناس مشربهم »

قال الاستاذ الامام : وكون هذا الحجر هو الذي روي أنه تدحرج بثوب موسى يوم كان يغتسل كما قال المفسر لا دليل عليه وقصة الثوب ليست فى القرآن فيحمل تعريف الحجر على أنه المعهود فى القصة وإنما يُفْهِمُ التعريف أن الحجر الذى ضرب فتفجرت منه المياه حجر مخصوص له صفات تميزه ككونه صلبا أو عظيما تتسع مساحته لتلك العيون ويصلح ان تكون منه موارد لتلك الأمم « وعبر عنه في سفر الخروج بالصخرة » . ولو علم الله تعالى ان لنا فائدة فى أكثر مما دلّ عليه هذا الخطاب من التعيين لما تركه

ثم أراد ان يصور حال بني اسرائيل فى هذه النعمة واغتباطهم بما منحهم من العيش الرغد في مهاجرهم فقال « كلوا واشربوا من رزق الله » فعبر عن الحال الماضية بالأمر ليستحضر سامع الخطاب أولئك القوم في ذهنه ويتصور اغتباطهم بما هم فيه حتى كأنهم حاضرون الآن والخطاب يوجه اليهم . وهذا ضرب من ضروب إيجاز القرآن التي لا تجارى ولا تمارى . ثم قال « ولا تعثوا فى الارض مفسدين » أي لا تنشروا فسادكم في الارض وتكونوا فى الشرور قدوة سيئة للناس . يقال عثا اذا نشر الشر والفساد وأثار الخبث فهو أخص من مطلق الإفساد ولذلك صح كون

« مفسدين » حالا من ضمير (تعثوا)

قال الاستاذ الامام : ان كثيرا من أعداء القرآن ينتقدون عليه عدم الترتيب فى القصص ويقولون هنا أن الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التيه فذكر هنا بعد وقائع التيه

والجواب عن هذه الشبهة تفهم مما قلناه مراراً في قصص الانبياء والامم الواردة فى القرآن . وهو أنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب ازمنة وقوعها وإنما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب بها ، وبيان النقم بعللها لتتقى من جهتها ، ومتى كان هذا هو الغرض من السياق فالواجب ان يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكير ، وأدعى الى التأثير ،

ان الباحثين في التاريخ لهذا العهد قد رجعوا الى هـذا الاسلوب في التقديم والتأخير وقالوا ستأتي أيام يستحيل فيها ترتيب الحوادث والقصص بحسب تواريخها لطول الزمن وكثرة النقل مع حاجة الناس الى معرفة سيَرَ الماضين ، وما كان لها من النتائج والآثار في حال الحاضرين . وقالوا ان الطريق الى ذلك هو ان ننظر في كل حادثة من حوادث الكون كالثورات والحروب وغيرها ونبين اسبابها ونتائجها من غير تفصيل ولا تحديد لجزئيات الوقائع بالتاريخ فان ترتيب الوقائع هو من الزينة في وضع التأليف لا يتوقف عليه الاعتبار بل ربما يصد عنه بما يكلف الذهن من ملاحظته وحفظه . فهذا ضرب من ضروب الاصلاح العلمي جاء به القرآن ، وأيده سير الاجتماع فى الانسان

هذا ما نقول اذا سلمنا ان الاستسقاء كان قبل التيه لا فيه ولنا أن نقول ان أرض التيه هي الارض الممتدة على ساحل البحر الاحمر من بيداء

فلسطين مما يلي حدود مصر وفيها كان الاستسقاء بلا خلاف (وفي سفر الخروج أنه كان في رفيديم التي انتقل اليها بنو اسرائيل من (سين) التي بين إيليم وسيناء) ويطلق التيه على ضلال بني اسرائيل اربعين سنة في الارض

والعبرة في القصة على ما يظهر من التوراة أن موسى كان يحاول نزع ما في قلوب قومه من الشرك الذي أشربوا عقائده في مصر وما في نفوسهم من الذل الذي طبعه فيها استبداد المصريين وتعبيدهم إياهم ليكونوا أعلياء أعزاء بعبادة الله تعالى وحده وأن يدخل بهم أرض الميعاد وهي بلاد الشام التي وعد الله بها آباءهم . وكانوا لطول الإقامة في مصر قد ألفوا الذل وأنسوا بالشعائر والعادات الوثنية فكانوا لا يخطون خطوة الا ويتبعونها بخطيئة وكلما عرض لهم شيء من مشقات السفر يتبرمون بموسى ويتحسرون على مصر ويتمنون الرجوع اليها (كما سبق القول) ويستبطئون وعد الله . فتارة يطلبون منه أن يجعل لهم إلها غير الله وتارة يفسقون عن أمر ربهم ويكفرون نعمه . ولما أمرهم بدخول البلاد المقدسة التي وعدهم الله بها أبوا واعتذروا بالخوف من أهلها الجبارين لما استحوذ عليهم من الجبن الذي هو حليف الذل وكان موسى أرسل كالبا ويوشع بن نون رائدين لينظرا حال البلاد في القوة والضعف وأرسل غيرهما عشرة من بقية أسباط بني اسرائيل فأخبر هؤلاء بأن في تلك الأرض قوما جبارين فقال بنو إسرئيل «إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها» وأخبر يوشع وكالب بأن الارض كما وعد الله وأن دخولها سهل والظفر مضمون بالاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه فلم يسمعوا لهما بل « قالوا انا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها » فضرب الله عليهم التيه أربعين سنة لحكمة بالغة وهي إرادة انقراض أولئك القوم الذين تأشبت

في نفوسهم عقائد الوثنية ، وزايلتها صفات الرجولية ، حتى فسد مزاجها ، وتعذر علاجها ؛ وخروج نَشْء جديد يتربى على العقائد الصحيحة ؛ وأخلاق الشهامة والرجولية ، فتاهوا حتى انقرض أولئك المصابون باعتلال الفطرة وبقي النشء الجديد وبعض الذين كانوا عند الخروج من مصر صغاراً لا يقدرون على حمل السلاح وقضى الله أمراً كان مفعولا

﴿ الكرامات والخوارق ﴾

(المقالة الثامنة في منفعة الاعتقاد بها ومضرته)

يذهب كثير من الناس الى ان جميع الأديان وثنية وسماوية قائمة على قواعد الخوارق فاذا تزلزلت هذه القواعد في دين انقض الجدار وخر السقف وذهب بناء الدين حتى لا يبقي له أثر ،

قول يقوله الملاحدة ، ويوافقهم عليه رجال كل دين على حدة ، فهو حجة الدين عند أهله ، وهو الحجة عليه عند أعدائه ؛ وتلك عضلة العقد ، ومحك المنتقد ، يقول كل ذي دين : ان الخوارق التي نعتقد بها قد ثبتت عندنا بالمشاهدة بالنسبة الى قوم وبالنقل عن الثقات بالنسبة الى آخرين وقد بلغ عدد الناقلين في بعضها مبلغ التواتر الحقيقي وفي بعضها الآخر مبلغ التواتر المعنوي أو الاستفاضة أو الشهرة بين الآحاد الثقات على الأقل . وأما ما يدعيه أهل الملل الأخرى فهو كذب وافتراء ؛ أو شعوذة وسيمياء ، ويقول الملحد — لا سيما اذا دعي الى الدين : انه ليس من العدل ، ولا من مقتضى العقل ، أن ينظر طالب الحقيقة في قول أحد المدعين ، ويغفل أقوال الآخرين ، بل الصواب ان ينظر في جملتها ليتسنى له الترجيح . وقد

فعلنا ذلك فألفينا ان الآية الكبرى في كل دين هي دعوى الخوارق لزعماء الدين . واننا لنعلم ان كل دين من هذه الاديان يحرم الكذب ونعلم ان من أهل كل منها الاخيار والاشرار فلا وجه لترجيح أحدها على الآخر فلم يبق الا تصديق الجميع او تكذيب الجميع . والتصديق يستلزم التكذيب إذ لو قلت كل واحد من هؤلاء صادق لدخل في تصديق كل واحد تكذيب الآخرين لانه يدعيه وهو صادق فتكون النتيجة ان كل واحد صادق كاذب في حال واحدة وهو محال فتعين إذَنْ تكذيب الجميع

ثم أن هؤلاء المنكرين يقولون أيضاً : ان من ينشأ في دين يجوز وقوع الخوارق آنا بعد آن من كبار المتمسكين يكون عقله دائما متقلقلا اسير الاوهام والخرافات بل يكون أُلعوبة في أيدي الدجالين والمشعوذين، الذين يلبسون ثياب الصالحين ، أو الذين يتخذون الدين حرفة يعيشون بها في سوق الغرور والغفلة . ولذلك نرى هذه الخوارق التي يدعونها تكثر ويكثر مدعوها فى البلاد التي خيمت فيها الجهالة ، وعرف أهلها بالغباوة والبلادة، واننا نعرف كثيراً من البلاد الاوربية كان أهلها يدعون كثيراً من هذه العجائب ويزعمون انهم يروون ما يرون بأعينهم ويسمعون بآذانهم ويحسون في أنفسهم . ومن ذلك زعمهم ان القديسين والشهداء يخرجون من قبورهم في صور نورانية فيطوفون فى الارض ويأتون بعض الأعمال . ثم لما تقشعت عنها سحب الجهل ، واشرقت عليها شمس العلم ، بطلت هذه الدعاوى ، وانتقضت هاته القضايا، وطاحت تلك الاشارات، وذهبت هاتيك العبارات، ومُحيت آيات الليل بآية النهار ، وصار النور بدلا من الظلام شرطاً فى الإبصار،

ويقولون أيضا : ان العلم قد كشف الستار عن اكثر هذه الخوارق

للعادات ؛ وعرف علة ما ادركه من هذه العجائب والكرامات ، وقد حاكى العلماء بعض ما رأوه من مدهشات سحرة افريقيا وكهنة الهنود وعرفوا علة بعض وان لم يحاكوه . فمنهم من توصل الى الجلوس فى الهواء بحيلة صناعية ومنهم أظهر للملأ أنه أطاح رأس إنسان عن بدنه ثم أعاده اليه . فتبين من استقراء هذه الامور والبحث فيها ان منها ماله أسباب علمية صحيحة كان يعرفها بعض الناس فيكتمها عن الآخرين لما يكون له بها من السلطان عليهم . ومنها ما هو حيل وشعوذة يخيل المتمرنون عليها الى الناس أنهم يوجدون أشياء وما هم بموجديها ولكنهم قوم يخدعون

وقد رأى هؤلاء الناس ما كتب كثير من القسيسين في إنكار نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام واحتجاجهم بأنه لم يكن يحتج على نبوته الا بما جاء به من العلم والهدى في الكتاب – وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب – وزعمهم أن هذا لا يكفي في إثبات النبوة ، وأنه لا بد من إظهار الخوارق الكونية ؛ فضحكوا من احتجاجهم وزعمهم وقالوا : ان صح ما ذكرتموه فهو اقوى البراهين على صدقه وبراءته من الغش والتمويه الذي كان يتيسر له لو أراده لعلو فكره وقوة ذهنه . وقال بعض فلاسفة فرنسا منهم : ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يكن محتاجا الى عمل العجائب لمثل ما كان يحتاجها الانبياء من جذب النفوس الى الايمان به فانه كان يقرأ القرآن بسم الله في حال وجد ووله روحاني ينتقل تأثيره من نفسه الى نفوس من يسمعه فيكون ذلك جاذبا لهم الى الايمان ؛ بجاذبي الاذعان والوجدان ؛ إيمانا يملك على النفس أمرها حتى لا يمكنها الانسلال منه وان قاست فى سبيله من الاهوال مايشيب النواصي ، ويدك الصياصي ، فأين هذا الايمان من إيمان قوم رأوا

أعجوبة لا يدركون سرها فخضعوا لصاحبها وسلموا بما يقول، وإن لم تدرك فائدته العقول؛ حتى إذا ما غاب عنهم برهة من الزمان، عبدوا ما يصوغون من الاوثان؛ فإذا كانت فائدة المعجزات جذب النفوس إلى الإيمان فلاشك ان هذه الفائدة أظهر في القرآن منها في سائر المعجزات ولذلك كان ايمان المسلمين أشد من إيمان جميع اتباع الانبياء الآخرين

وقال أحد القسيسين العلماء: إننا نفضل الانجيل على القرآن بما فيه من كثرة الخوارق والعجائب المنسوبة الى صاحبه على أن القرآن لم يسند الى من جاء به عجيبة واحدة وانما ذكرت فيه العجائب حكاية عن السابقين ويقول في جواب الذين طالبوا محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالآيات «أولم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يُتْلَى عليهم» (قال) ولكننا صرنا الى عصر تعدّ فيه الخوارق من العقبات في طريق الإيمان ويفضل فيها القرآن على الانجيل بذلك

هذا مجمل اعتقاد خواص الناس فى الاقطار الغربية في الخوارق والعجائب وهو اعتقاد اكثر الذين يتعلمون على طريقهم فى البلاد المشرقية وهذا الصنف المتعلم هو صاحب السلطة على غير المتعلم وإنا نراه لا يوجد في بلاد الا وينمو نموًّا مستمراً بطيئاً كان أو سريعا. ونرى أهله يتسللون من الدين لواذا، ويمرقون منه زرفات وأفذاذا، ولهذا رسخ في أكثر الأذهان: أن العلم والدين ضدان، وصار المستمسكون بالدين ينفرون من العلم، ولكن أهله يسودون عليهم تارة بالحرب وتارة بالسلم؛ ولهذا يظن الناظرون في سير الانسان ان العلم يفتأ يفتك بالدين؛ حتى يمحوه من لوح الوجود ولو بعد حين؛ وما لهؤلاء الظانين من علم بأن في العالم ديناً حل جميع المشكلات،

وأزال جميع الشبهات، وهو دين العلم والعرفان ، الى آخر الزمان ،

فعلم مما شرحناه ان أهل الأديان يرون ان للخوارق التي تجري على أيدي رجال الدين فائدة عظيمة وهي تأييد الدين بها في أثنائه كما قام بها في أول ظهوره . ولذلك قال بعض علمائنا ان كرامات أولياء شعبة من معجزات الانبياء فيخشى عليه منكر الفرع أن ينكر الاصل . وقد شرحنا هذا أتم شرح فى المقالة الأولى فلتراجع فى المجلد الثاني . ويذكرون لها فائدة أخرى وهى انتفاع الناس بالكرامة فانها إما أن تكون جلب منفعة لإنسان أو دفع مضرة عنه أو إيقاع سوء بمنكر أو فاسق ليرتدع غيره

وعلم أن من غوائل الاعتقاد بالخوارق ومضراتها تنفير خواص أهل الدنيا من الدين وهذه غائلة تتبعها غوائل أشرنا اليها آنفاً وهي تتطرق الى معجزات الانبياء كما تقدم ولم يكن ذلك من موضوعنا هنا وقد سبق لنا القول فى إثبات آيات الانبياء فليراجع في الأمالي الدينية من المجلد الرابع . ونزيد الان أنها كانت في أزمنة تحقق فيها أن البشر كانوا فى أشد الحاجة اليها وثبت انهم انتفعوا بها فى عقولهم ونفوسهم وفى أعمالهم ومعايشهم . ذلك انهم كانوا لم يرتقوا الى معرفة العقائد ببراهينها وكانوا ألاعيب فى أيدي السحرة والدجالين يتصرفون فى عقولهم ونفوسهم وأموالهم فانقذهم الانبياء باذن الله تعالى وتأييده من ذلك كله وعلموهم أن أولئك السحرة قوم مبطلون وانه ليس لهم من الامر الذى يزعمونه شيء وأن التصرف فيما وراء الاسباب التى يقدر على الوصول اليها الناس خاص بالله تعالى وحده وان تلك الاعمال التى يظهر بادي الرأي انها عن اقتدار إنما هي «كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى» . ولولا أن جاء كل نبيٍّ بمعجزة أو اكثر لما تسنى له جذب اولئك

القوم الغُلْف القلوب الغلاظ الرقاب، الضعاف الاستعداد.

والدليل على أن المراد من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام تطهير العقول من لوث الخرافات والأوهام، وتنقيتها من أسر السحرة والدجالين وأن الآيات الكونية كانت هي الآلات الجاذبة لهم الي الإيمان بالتوحيد الذي هو المطهر الأكبر للعقول وانه لو أمكن جذبهم بالآيات العلمية الادبية، لما خرق الله على أيديهم شيئا من الأمور العادية. — هو بناء نبوة خاتم النبيين على الآية العلمية الكبرى. والهداية الأدبية العظمى وهي القرآن الحكيم، المنزل على النبي الأميّ اليتيم، الذي علّم به الاميين الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين، ومكّن به لهم في الأرض وجعلهم أئمة وارثين، وبلغ رسالة ربه الامم المجاورة وأمر بأن يبلغ الشاهد الغائب. ومن أصول دينه أن زمن الوحي والمعجزات قد انتهى به فلن يعود، وأن لله في الخلق سننا لن تتغير ولن تتبدل، وأن الامور تطلب بأسبابها، وأنه ليس وراء الاسباب شيء الا معونة الله تعالى وتوفيقه، فليس لمؤمن أن ييأس اذا انقطعت به الاسباب من خير يتطلبه، أو النجاة من سوء يترقبه، فثبت بهذا أن الدين القيم الذي يمكن ان يتفق مع العلم في كل زمان هو هذا الدين الذي يحكم بأن زمن المعجزات قد مضى ولا يكلف الآخذ به بأن يعتقد بخارقة على يد أحد الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

أما البحث في آيات الانبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السماوات والارض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور؟ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً. ومبلغ العلم

فيها أنها كما قال ابن رشد قدوجدت ونقلت نقلامتواترا اُعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحراً لجهلهم بالتفرقة بينها وبين تلك الشعوذات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق .

فعلم بهذا أن آيات الانبياء عليهم السلام مصونة من إنكار المنكرين، واعتراض الوهمين ،وأنها قد انتهت فلا يخشى أن يضر الاعتقاد بها فى الزمن الحاضر وما بعده كما أنه لم يكن ضاراً في الماضي وإنما كان نافعا .

وبقي القول في كرامات الاولياء ومقتضى ما تقدم أن الاعتقاد بها يضرّ كما يضرّ الاعتقاد بالخوارق عند كهنة الوثنيين وقد يسي المسيحيين . والمنفعة التي تدعيها كل الطوائف من الاحتجاج بهذه الخوارق على صحة الدين أو الاستعانة بها على تمكين اعتقاد المؤمنين ، ممنوعة بأنها من المشترك الإلزام كما تقدم فى الجزء الماضي

فاذا دعوت انسانا الى دينك بحجة ان من قومك من يعمل العجائب وتظهر على يديه الخوارق يُلزمك بأن في قومه ايضاً من له مثل ذلك أو ينازعك في دعوته داع آخر يحتج بمثل هذا الاحتجاج .

ووجه آخر للدفع وهو أن أهل العلم والبحث يرون دعوى الخوارق من الأدلة على بطلان الدين كما سبق آنفاً . وأما العوام فانهم أسرى التقليد ولذلك يصدقون مايسمعون من قومهم من الأخبار ويكذبون ماتدعيه لقومك . هذا وأن دعوة الاسلام قدانتشرت في الارض انتشاراً لم يعرف مايقاربه في دين آخر وماذاك الا أن الدعاة اليه ما كانوا يعتمدون في الدعوة إلا على كون مايدعون اليه صوابا عقائده معقولة ،وأحكامه مقبولة، ولم

يعرف أنه كان للاسلام دعاة قد استحوذوا على النفوس بما أدهشوها بالكرامات والخوارق كما هو المنقول عن دعاة النصارى وغيرهم . نعم أنه قد نقل عن بعض الأولياء من الكرامات أضعاف ما نقل عن المسيح وتلامذته وعن جميع الأنبياء والمرسلين ولكن أولئك الاولياء لم يعرف في التاريخ الصحيح أنهم كانوا دعاة وأن الناس آمنوا بكراماتهم اللهم الا بعض الحكايات التي توجد في بعض كتب المناقب وقلما يوثق بشيء من رواياتها لاسيما اذا انفردت بها

ووجه آخر للدفع وهو أن أمر الخوارق صار عند العامة من جميع الأمم كالصناعة المحترمة لشدة الحاجة اليها ولا ينظر فيها الى الدلالة على صحة دين من ظهرت على يديه لاسيما بعد موته ولذلك ترى كثيراً من عامة النصارى يقصدون من اشتهر من أولياء المسلمين لقضاء الحاجات ببركاتهم وهم على نصرانيتهم . ولقد كان عم والدي (السيد الشيخ احمد رحمه الله تعالى) مشهوراً بالصلاح والبركة فكان يرد عليه وفود الناس من المسلمين والنصارى يلتمسون بركته بالرقى والتمائم ويأخذون منه البشارات . وقد كدت أكون خليفة له رغم أنفي لأمور اتفقت لي في سن الحداثة . من ذلك أن بعض الأعراب أخذوا مني ورقة فعلقوها على كبش في غنم موبوءة فزعموا ان الموت أدبر والصحة أقبلت منذ علقت الورقة على الكبش . ومن ذلك أن إنسانا كان يصرع ويرى نفراً من الجن يضربونه فدعيت اليه فأبيت . وأكدت لهم أنه لافائدة من زيارتي له البتة فألحوا وتوسلوا بالوالدة فعدت مريضهم فشفي . واتفق لي أمثال هذه الوقائع من كثير من المسلمين والنصارى فانتشر خبرها وكدت أكون مقصوداً بها كعم الوالد الذي كنت أنكر عليه (رحمه الله تعالى) لولا أن

بادرت الى محاربة هذه الاعتقادات وعدم إجابة القاصدين الى ما يطلبون

وكذلك نرى كثيراً من المسلمات والمسلمين يقصدون بعض الاديار وقبور القديسين بالزيارة ويحملون اليها النذور كما يحملونها الى قبور الاولياء متوسلين بهؤلاء وأولئك وطالبين منهم قضاء الحاجات

ومن ذلك دير مار جرجس في مصر العتيقة والمير تادرس بكنيسة القبط بحارة الروم وغير ذلك مما لا يحصى . وكذلك يقصد بعض المسلمين والمسلمات بعض القسيسين الذين يشتهرون في قومهم بالعجائب وقضاء الحاجات . ولا يكاد يعتقد أحد من هؤلاء وأولئك بصحة دين غير دينه الذي نشأ عليه . وذلك أن الخوارق صارت عندهم من قبيل الصناعة والدين صار من قبيل الجنسية . وقد طال بنا المقال أكثر مما كنا نتوقع فنرجئ إتمام المبحث الى الجزء الآتي وفيه نبين وجود التأويل ومناشئ القال والقيل . وما ينبغي اعتقاده فى الكرمات التي أثبتناها فى المقالات الأولى . وقد سئلنا عن الثابت من معجزات نبينا غير القرآن وسنجيب عنها فى الجزء الآتى أيضا

باب الأخبار النبوية وآثار السلف

﴿ وفد بني تميم ﴾

عن جابر قال جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه : يا محمد اخرج الينا فإن مدحنا زين ، وإن سبنا شين ، فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول « انما ذلكم الله عز وجل فما تريدون » ؟ قالوا : نحن ناس من بني تميم جئناك بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ولكن هاتوا » فقال الأقرع بن حابس لشاب من شبابهم : قم فاذكر فضلك وفضل قومك فقال : الحمد

لله الذي جعلنا خير خلقه ، وآتانا أموالا نفعل فيها مانشاء ، فنحن من خير أهل الأرض وأكثرهم عدداً وأكثرهم سلاحا ، فمن أنكر قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا وبفَعَال (كرمٍ) هو أفضل من فَعالنا :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شاس الأنصاري وكان خطيبه « قم فأَجِبْهُ » فقام ثابت فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعا المهاجرين من بني نمر أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أحلاما فأجابوه .الحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزاً لدينه . فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قالها منع منا ماله ونفسه ، ومن أباها قاتلناه وكان رغمه في الله علينا هيناً ، أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات :

قال الزبرقان بن بدر لرجل منهم : يافلان قم واذكر أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك : فقال

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا ... نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
ونطعم الناس عند المحل كلهم ... من السديف اذا لم يؤنس الفزع (١)
اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد ... انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليَّ بحسّان بن ثابت » فذهب اليه الرسول فقال : وما يريد مني رسول الله (ص) وإنما كنت عنده آنفاً : قال جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم فتكلم خطيبهم فامر رسول الله (ص) ثابت بن قيس فأجابه . وتكلم شاعرهم فأرسل رسول الله (ص) اليك لتجيبه : فقال حسان : قد آن لكم أن تبعثوا الى هذا العود — والعود الجمل الكبير — فلما أن جاء قال رسول الله (ص) « يا حسان قم فاجبه » فقال : يارسول الله مُرْه فليسمعني ما قال : قال « أسمعه ماقلت » فأسمعه فقال حسان

نصرنا رسول الله والدين عنوة ... على رغم باد من معدٍّ وحاضر
بضرب كإيزاع المخاض مشاشه ... وطعن كافواه اللقاح الصوادر (٢)

---

(١) السيف شحم السنام (٢) قال في التاج عند قول القاموس « والتوزيع القسم والتفريق كالإيزاع » :وبه يروى شعر حسان رضي الله عنه * بضرب كإيزاع المخاض مشاشه * جعل الايزاع موضع التوزيع وهو التفريق وأراد بالمشاش هنا البول وقيل

وسل أحداً يوم استقلت شعابه بضرب لنا مثل الليوث الخوادر (١)
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى اذا طاب ورد الموت بين العساكر
ونضرب هام الدارعين وننتمي الى حسب من جذم غسان قاهر (٢)
فأحياؤنا من خير من وطئ الحصى وأمواتنا من خير أهل المقابر
فلولا حياء الله قلنا تكرماً على الناس بالخيفين هل من منافر (٣)

فقام الاقرع بن حابس فقال: إني والله يا محمد لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء، إني قد قلت شعراً فاسمعه: قال «هات» فقال

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا اذا اختلفوا عند اذِّكار المكارم
وأنا رؤس الناس من كل معشر وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وأن لنا المرباع في كل غارة تكون بنجد أو بأرض التهايم

فقال رسول الله (ص) «قم ياحسّان فأجبه» فقام وقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم يعود وبالاً بعد ذكر المكارم
هُبلتُم علينا تفخرون وأنتم لنا خول مابين قِنٍّ وخادم

فقال رسول الله (ص) «لقد كنت غنياً يا أخا بني دارم ان تذكر منك ماقد كنت ترى أن الناس قد نسوه منك» فكان قول رسول الله (ص) أشد عليه من قول حسان ثم رجع حسان الى قوله:

وأفضل ما نلتم من الفضل أنكم ردافتنا من بعد ذكر المكارم
فان كنتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ولا تفخروا عند النبي بدارم
وإلا ورب البيت مالت اكفنا على رأسكم بالمرهفات الصوارم

فقام الاقرع بن حابس فقال: ياهؤلاء ما أدري ما هذا الامر. تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتاً وأحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتا وأحسن قولا: ثم دنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهد أن لا اله الا الله وانك

---

(١) الليث الخادر المقيم في خدره وهو أشد بأساً منه خارج العرين لمكان الحماية ومنع الاشبال (٢) جذم غسان أصله وهو بكسر الجيم ويفتح هو بالغين المعجمة وهو بمعناه: اه (٣) نافره منافرة حاكمه في الحسب والنسب وقيل فاخره مطلقاً

رسول الله : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لايضرك ما كان قبل هذا » اه رواه الروياني وابن مندة وابو نعيم وابن عساكر • وقد طعنوا بالمعلى ابن عبد الرحمن ابن الحكيم الواسطي روايه حتى رماه الدارقطني بالكذب ولا يستلزم هذا أن يكون الحديث بطوله غير واقع فان احتمل ان فيه زيادة أدرجها المعلى فذلك لا يمنع أن يستفاد من الحديث مافيه من الادب والعبرة وانما يمنع الاحتجاج به في اثبات الاحكام وروي في السير بألفاظ أخرى

﴿ ورع أبي بكر رضي الله عنه ﴾

عن زيد بن أرقم قال كان لابي بكر مملوك يغلّ عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك : مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟ قال : حماني على ذلك الجوع من أين جئت بهذا ؟ قال مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني فلما أن كان اليوم مررت فاذا عرس لهم فأعطوني : قال : افٍّ لك كدت أن تهلكني فأدخل بيده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لاتخرج فقيل له : ان هذا لايخرج الا بالماء فدعا بعس [1] من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها • فقيل له يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة : قال : لولم تخرج الا مع نفسي لأخرجتها • سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة : رواه الحسن بن سفيان وأبو نعيم في الحلية والدنيوري في المجالسة بهذا السياق • وروى أحمد في الزهد من طريق ابن سيرين والبيهقي عن زيد بن أرقم مايؤيد الواقعة

وعن أبي بكر حفص بن عمر قال جاءت عائشة الى أبي بكر وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت

(لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى   اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر)

فنظر اليها كالغضبان ثم قال ليس كذلك يا أم المؤمنين (وفي رواية ليس كما قلت يابنية) ولكن « وجاءتْ سَكْرَةُ الموتِ بالحقّ ذلك ما كنتَ منهُ تَحيدُ » إني كنت قد نحلتك حائطاً وان في نفسي منه شيئاً فرديه على الميراث — قالت نعم فردّته — أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل ديناراً ولا درهماً ولكن قد أكلنا من جريش

(1) العسّ بالضم القدح الكبير

طعامهم [١] في بطوننا ،ولبسنامن خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثيرالا هذا العبد الحبشي وهذا البعيرالناضح وجردهذه القطيفة [٢] فاذا مت فابعثي بهـا الى عمر وابرئيني منهن : ففعلت فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل على الارض وجعل يقول : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده • ياغلام ارفعهن : فقال عبد الرحمن بن عوف : سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجرد قطيفة ثمنه خمسـة دراهم ! قال فماذا تأمر ؟ قال : تردهن على عياله : قال : لا والذي بعث محمداً بالحق لا يكون هذا في ولايتي أبداً ولا يَخرُجُ أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله • الموت أقرب من ذلك: رواه ابن سعد

(المنار) هكذا تكون خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه هي السيرة التي كان يجب على المسلمين ان يلزموا بها ملوك بني مروان و بني العباس الذين سموا انفسهم خلفاء وكذلك غيرهم من الملوك • ووالله ما نكل بالاسلام وأوقع المسلمين في هـذا الهوان ، الا استبداد أولئك الملوك بالسلطة وجعلهم الرعية وأموالهـا ملكا لهم يتوارثونها ويتصرفون فيها بمـا شاؤا حتى اذا ظهر فيهم عادل يحاول وضع الحق موضعه كمعاوية الاصغر وعمر بن عبد العزيز والمأمون ألزموه بقوة العصبية على أن يجري في طريقهم أو يخلع من الملك • ولقد تعب عمر بن عبد العزيز فيما قدر عليه من العدل تعباً عظيما

نعم ان هذه السنة التى سنها أبو بكر متعبة لايقدر عليها الا مثل عمر ويظهر أنه كان يعتقد أن ما فرض له من الانتفاع من بيت المال (كما ذكرنا في السنة الماضية) يجب أن يكون مشروطاً بمدة عمله للمسلمين وأنه اذا بقي منه بقية يجب أن ترد الى بيت المـال ولا يجوز لورثته التمتع بها لانهم لا يعملون للمسلمين ما كان يعـمله • وإنا لنتمنى اليوم أن يأخذ أمراؤنا وملوكنا أضعاف كفاياتهم وأن يورث عنهم ما بقي عن نفـقاتهم بشرط أن يكفوا عن تبذير مافي خزائن الامـة من الاموال والتحف والإفضاء بهـا الى أوليائهم ، بمجرد شـهواتهم وأهوائهم ، وقد سبق لنا القول في السنة الرابعـة بان في خزائن الدولة العلية من الذخائر والجواهر مايكفي بعضه للقيام بإنشاء الاساطيل البحرية وترقية القوة الحربية ، بحيث تقاوم بها اعظم الدول القوية ، وهـذه الذخائر كغيرها تحت تصرف شخص السلطان ،ولا يكاد يسمح بشيء منها الا لقيصري الروس والالمان،

(١) الجريش الدقيق الغليظ معـروف والملح لم يطيب (٢) القطيفة دثار مخمـل أي له زغب وجرد قطيفة يريدون به خلق قطيفـةوأصله شيء جرد أي خَلَقٌ

آثار علمية أدبية

باب التقاريظ

ديوان الرافعي

مصطفى افندي صادق الرافعي يعرف شعره قراء المنار فلا حاجة لتعريفهم به وقد جمع منظوماته في ديوان يطبع الآن واننا ننشر كلمة له فيه تنويهاً به وترغيباً فيه وهي

كلمة الناظم

أول الشعر اجتماع أسبابه . وانما يرجع في ذلك الى طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحة البيان . فما الشعر الا لسان القلب اذا خاطب القلب . وسفير النفس اذا ناجت النفس . ولا خير في لسان غير مبين . ولا في سفير غير حكيم

ولو كان طيراً يتغرد لكان الطبع لسانه . والرأس عشه . والقلب روضته . ولكان غناؤه ما تسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء . وحسبك بكلام تنصرف اليه كل جارحة . ويجني من كل شئ حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .

وكأنما هو بقية من منطق الانسان اختبأت في زاوية من النفس فما زالت بها الحواس حتى وزنتها على ضربات القلب وأخرجتها بعد ذلك الحانا بغير إيقاع . الا تراها ساعة النظم كيف تتفرغ كلها ثم تتعاون كانما تبحث بنور العقل عن شئ غاب عنها في سويداء الفؤاد وظلماته . لذلك كأن أحسن الشعر ما تتغنى به قبل عمله وهي طريقة تفنن فيها الشعراء حتى لكان الحطيئة يعوي في أثر القوافي عواء الفصيل في أثر أمه .

وترى المجيد من أهل الغناء اذا رفع عقيرته يتغنى ذهب في التحرك مذاهب حتى كأنما ينتزع كل نغمة من موضع في نفسه فيتألف من ذلك صوت اذا أجال حلقه فيه وقعت كل قطعة منه في مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث أن يستفزه طربه . كأنما انجذب قلبه . وتصبو نفسه . كأنما أخذ حسه . لا فرق في ذلك بين أعجمي وعربي ومن أجل هذا ترى أحسن الاصوات يغلب على كل طبع وانما الشاعر والمغني في جذب القلوب سواء . وفي سحر النفوس أكفاء . الا أن هـذا يوحى الى القلب

وذاك ينطق عنه . وأحدهما يفيض عليه والثاني يأخذ منه . والويل لكليهما اذا لم يطرب هذا ولم يعجب ذاك .

والشعر موجود في كل نفس من ذكر وأنثى . فانك لتسمع الفتاة في خدرها. والمرأة في كسر بيتها . والرجل وقد جلس في قومه . والصبي بين اخوته. يقصون عليك أضغاث أحلام فتجد في أثناء كلامهم من عبق الشعر مالو نسمته لفغمك . وحسبك أن تكسر وسادك تحدث اليهم فتراه طائراً بين أمثالهم وفي فلتات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل اعشاشه . ولقد نبغ فيه من نساء هذه الامة شموس سطعن في سماء البيان . وطلعن في أفق البلاغة . ولا يزال الناس الى اليوم يروون للخنساء وجنوب وعلية وعنان ونزهون وولادة وغيرهن وبحسبك قول النواسي: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى .

ولو كان الشعر هذه الالفاظ الموزونة المقفاه لعددناه ضرباً من قواعد الاعراب لا يعرفها الا من تعلمها ولكنه يتنزل من النفس منزلة الكلام فكل انسان ينطق به ولا يقيمه كل انسان . وأما مايعرض له بعد ذلك من الوزن والتقفيه فكما يعرض للكلام من استقامة التركيب والاعراب . وانك انما تمدح الكلام باعرابه ولا تمدح الاعراب بالكلام .

ولم أقرأ اجمع فيه من قول حكيم العصر . وامام الافتاء في مصر . « لو سألوا الحقيقة ان تختار لها مكاناً تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر » ولا فيما قالوه في الشعراء أجمع من قول كعب الاحبار « الشعراء أناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة » .

ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء الا الابيات يقولها الرجل في الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربي

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته

وانما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف . وهذا رفع امرؤ القيس ذلك اللواء . وأضاء تلك السماء التي ماطاولتها سماء . وهو لم يتقدم غيره الا بما سبق اليه مما اتبعه فيه من جاء بعده . فهو أول من استوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمهى والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرق بين النسيب

وما سواه من القصيدة وقرب مآخذ الكلام وقيد أو ابداه وأجاد الاستعارة والتشبيه • ولقد بلغ منه انه كان يتعنت على كل شاعر بشعره •

ثم تتابع القارضون من بعده فمنهم من أسهب فأجاد • ومنهم من أكب كما يكبو الجواد • وبعضهم كان كلامه وحي الملاحظ • وفريق كان مثل سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها • ولقد جدوا في ذلك حتى ان منهم من كان يظن ان لسانه لو وضع على الشعر لحلقه • أو الصخر لفلقه •

ذلك أيامَ كان للقول غرر في أوجه ومواسم بل أيام كان من قدر الشعراء ان تغلب عليهم القابهم بشعرهم حتي لا يعرفون الا بها كالمرقش والمهلهل والشريد والممزق والمتلمس والنابغة وغيرهم • ومن قدر الشعراء كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس • وأيام كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ او فرس تنتج • وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهن الشعراء •

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه أعينهم أو وقع الى آذانهم أو اعتقدوه في أنفسهم الا نظموه في سمط من الشعر وادخروه في سفط من البيان حتى انك لترى مجموع أشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم ومايستحسنون ويستهجنون حتى من دوابهم • وكان القائل منهم يستمد عفوها جسه وربما لفظ الكلمة تحسبها من الوحي وماهي من الوحي ولم يكن يفاضل بينهم الا أخلاقهم الغالبة على أنفسهم • فزهير أشعرهم اذا رغب • والنابغة اذا رهب • والاعشى اذا طرب • وعنترة اذا كلب • وجرير اذا غضب • وهلم جرا •

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر مرآة من أيامه فقد انفرد امرؤ القيس بما علمت واختص زهير بالحوليات واشتهر النابغة بالاعتذارات وارتفع الكميت بالهاشميات وشمخ الحطيئة بأهاجيه وساق جرير قلائصه وبرز عديٌّ في صفات المطية وطفيل في الخيل والشماخ فى الحمير • ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعره فيها فقال ما أوصفه لها اني لأحسب ان أحد أبويه كان حماراً • وحسبك من ذي الرمة رئيس المشبهين الاسلاميين انه كان يقول • اذا قلت • كأن • ولم أجد مخلصاً منها فقطع الله لساني • وقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته ؟ وأسكرهم ابو نواس بخمرياته ؟ ورقت قلوبهم على زهديات ابي العتاهية وجرت دموعهم لمراثي أبي تمام

وابتهجت انفسهم بمدائح البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم •

فمن رجع بصره في ذلك وسلك في الشعر ببصيرة المعري وكانت له اداة ابن الرومي وفيه غزل ابن ربيعة وصبابة ابن الاحنف وطبع ابن برد وله اقتدار مسلم وأجنحة ديك الجن ورقة ابن الجهم ونخر أبي فراس وحنين ابن زيدون وانفة الرضي وخطرات ابن هاني وفي نفسه من فكاهة أبي دلامة ولعينه بصر ابن خفاجة بمحاسن الطبيعة وبين جنبيه قلب أبي الطيب فقد استحق ان يكون شاعر دهره ؟ وصناجة عصره •

ولا يهولنك ذلك اذا لم تستطع عد الشعراء الذين انتحلوا هذا الاسم ظلماً وألحقوه بانفسهم إلحاق الواو بعمرو فكلهم أموات غير أحياء وما يشعرون •

وأبرع الشعراء من كان خاطره هدفاً لكل نادرة فربما عرضت للشاعر أحوال مما لا يعني غيره فاذا علق بها فكره تمخضت عن بدائع من الشعر فجاءت بها كالمعجزات وهي ليست من الاعجاز في شيء ولا فضل للشاعر فيها الا أنه تنبه لها • ومن شدّ يده على هذا جاء بالنادر من حيث لا يتيسر لغيره ولا يقدر هو عليه في كل حين •

وليس بشاعر من اذا انشدك لم تحسب ان سمعه مخبوء في فؤادك • وانّ عينك تنظر في شغافه ، فاذا تغزل أضحكك ان شاء وأبكاك ان شاء • واذا تحمس فزعت لمساقط رأسك • واذا وصف لك شيئاً هممت بامسه حتى اذا جئته لم تجده شيئاً • واذا عتب عليك جعل الذنب لك ألزم من ظلك • واذا نثل كنانته رأيت من يرميه صريعاً لا أثر فيه لقذيفة ولا مدية وانما هي كلمة فتحت عليها عينه أو ولجت الى قلبه من اذنه فاستقرت في نفسه وكأنما استقر على جمر •

واذا مدح حسبت الدنيا تجاوبه، واذ رثى خفت على شعره ان يجرى دموعا ،واذا وعظ استوقفت الناس كلمته وزادتهم خشوعا ، واذا فخر اشتم من لحيته رائحة الملك فحسبت انما حفت به الاملاك والموا كب •

وجماع القول في براعة الشاعر ان يكون كلامه من قلبه فان الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان •

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه فكان كالاعمى يتناول الاشياء ليقرها في مواضعها وربما وضع الشيء الواحد في موضعين أو مواضع وهو لا يدري •

وأبصرنا فيهم كذلك من يجيء باللفظ المونق والوشي النضر فاذا نثرت أوراقه لم تجد فيها الا ثمرات فجة •

ورأينا في المطبوعين من أثقل شعره بانواع من المعاني فكان كالحسناء تزيدت من الزينة حتى سمجت فصرفت عنها العيون بما أرادت ان تلفتها به • على ان أحسن الشعر ماكانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغانية فهو معرضها •

وهو عندي أربعة أبيات بيت يستحسن وبيت يسير وبيت يندر وبيت يجن به جنوناً وماعدا ذلك فكالشجرة التي نقض ثمرها • وجني زهرها • لا يرغب فيها الاحتطب •

أما مذاهبه التي أبانوها من الغزل والنسيب والمدح والهجاء • والوصف والرثاء وغيرها فهي شعوب منه وما انتهى المرء من مذهب فيه الا الى مذهب ولا خرج من طريق الا الى طريق « ألم تر انهم في كل واد يهيمون » وما دامت الاعمار تتقلب بالناس فالشعر أطوار • آونة تخطر فيه نسمات الصبا ما بين افنان الوصف الى أزهار الغزل • ويتسبسب فيه ماء الشباب من نهر الحياة الى مشرعة الامل • وطوراً تراه جم النشاط تكاد تصقل بمائه السيوف • وتفرق بحده الصفوف • وحيناً تجده وقد ألبسه المشيب ثوب الاعتبار • وجمله بمسحة من الوقار • وهو في كل ذلك يروي عن الايام وتروي عنه • وما أكثر فنون الشعر اذا رويتها عن أفانين الايام

وأما ميزانه فاعمد الى ما تريد نقده فرده الى النثر فان استطعت حذف شيء منه لا ينقص من معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوماً فذلك الهذر بعينه أو نوع منه ولن يكون الشعر شعراً حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الاجادة وتلك مقلدات الشعراء • اليك مثلا قول ابن الرومي يصف منهزماً

لا يعرف القرن وجهه ويرى   قفاه من فرسخ فيعرفه

فقلب نظرك بين الفاظه وأجله في نفسك ثم ارجع الى قول ذلك الخارجي وقد قال له المنصور: أخبرني أي أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتك؟ فقال: ما أعرف وجوههم ولكن اعرف اقفاءهم فقل لهم يديروا أعرفك : ألست ترى في ذلك النظم من كمال المعنى وحلاوة الالفاظ مالا تراه في هذا النثر •

ولقد بقي ان قوماً لم يهتدوا الى الفرق بين منثور القول ومنظومه • والذي أراه أن النظم لو مد جناحيه وحلق في جو هذه اللغة ثم ضمهما لما وقع الا في عش النثر وعلى أعواده • ولن تجد لمنثور القول بهجة الا اذا صدح فيه هذا الطائر الغرد • بل لو كان النثر ملكا لكان الشعر تاجه • ولو استضاء لما كان غيره سراجه •

ومازال الشعراء يأتون بجمل منه كأنها قطع الروض اذا تورد بها خد الربيع •

وهذا ابن العباس وكتبه ، وابن المعتز وفصوله ، والمعري ورسائله ، وانظر الى قول بشار وقد مدح المهدي فلم يعطه شيئاً فقيل له لم تجد في مدحه فقال « والله لقد مدحته بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خشي صرفه على حر ولكني اكذب في العمل فأكذب في الامل » وبشار هو ذلك الغواص على المعاني الذي يزعم ابن الرومي انه اشعر من تقدم وتأخر وهو القائل في شعره مفتخراً

اذا ما غضبنا غضبة مضرية　　هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما أعرنا سيداً من قبيلة　　ذرى منبر صلى علينا وسلما

والامثلة على ذلك أكثر من أن تعد ، وأوسع من أن تحد .

ولا تجد الناظم وقد أصبح لا يحسن هذا الطراز الا اذا كان جافي الطبع كدر الحس غير ذكي الفؤاد لم تجتمع له آلة الشعر وهو اذا كان هناك وجاء من صنعته بشيء فانما هو نظام وليس بشاعر .

أما الفرق بين المترسلين والشعراء فان كان كما يقول الصابي « ان الشعراء انما أغراضهم التي يرتمون اليها وصف الديار والآثار . والحنين الى الاهواء والاوطار . والتشبيب بالنساء . والطلب والاجتداء . والمدح والهجاء . وأما المترسلون فانما يترسلون في أمر سداد ثغر واصلاح فساد . أو تحريض على جهاد . أو احتجاج على فئة . أو مجادلة لمسألة . أو دعاء الى ألفة . أو نهي عن فرقة . أو تهنئة بعطية . أو تعزية برزية . أو ما شاكل ذلك » فذلك زمن قد درج فيه أهله . وبساط طوي بما عليه . ولم يعد أحد يحذر مؤاخاة الشاعر لانه يمدحه . بثمن ويهجوه مجاناً . وانما الفرق بين الفريقين ان مسلك الشاعر أوعر ومركبه أصعب وأسلوبه أدق وكلامه مع ذلك أوقع في النفس وعلى قدر إجادته يكون تأثيره فالمجيد من الشعراء أفضل من غيره في صناعة الكلام وانك انما تزين النثر بالشعر ولا تزين الشعر بالنثر .

وفي الحديث الشريف « انا قد سمعنا كلام الخطباء وكلام أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد » . وقال الشافعي في كتاب الأم : الشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام انه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه : هذا وان من الشعر حكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا الالباب » .

تتمة تقريظ « أحسن الكلام »

اورد المصنف بعد مقدمته تلك حديث ابي هريرة الصحيح في النهي عن الكلام وقت خطبة الجمعة وهو « اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام يخطب فقد لغوت » وقال انه قد أخرجه الستة ونقول ان ابن ماجه لم يخرجه . واورد بعده احتجاج ابي حنيفة بأقوال الصحابة على منع الكلام من وقت خروج الامام وان صاحبيه خالفاه لأنهما لايحتجان برأي الصحابي لأن المجتهد لايقلد مجتهداً . واستنتج من ذلك أن الترقية المتعارفة في زماننا جائزة عند الصاحبين مالم تشتمل على تغنٍّ وتلحين مخلّ قال « والا فهي مكروهة اتفاقا » . ثم قال انه لاوجه للانكار على الترقية مع هذا الخلاف بين المجتهدين « وانما يجب الانكار فيما اتفق الكل وأجمعوا على عدم جوازه » .

ونقول : الظاهر ان مصنف الرسالة هو الذي استنبط هذا الجواز من قواعد الصاحبين . فإن كان يدعي ان بدعة الترقية كانت في عهدهما وانهما نصّا على جوازها فليدلنا على النصّ . واذا كان هو المستنبط للجواز فلنا في استنباطه إشكالات

(أحدها) أنه ليس لمثله أن يستنبط ولا أن يرجح وانما هو من الطبقة التي لايقبل منها الا نقل نصوص المذهب كابن عابدين ولا يدعي أنه فوق طبقة ابن عابدين الذى صرح بأنه لايقبل منه الا النقل لنصوص المذهب المرجحة . بل قالوا ان أبحاث الكمال بن الهمام لايعمل بها اذا خالفت نصوص المذهب

(ثانيها) اذا فرضنا أنه ادّعى أنه فوق الكمال في الفقه وأن له أن يستنبط من نصوص أئمته فلماذا لايستعمل هذه الموهبة في وظيفته ويزحزح عن المحكمة بعض قيود الفقهاء الذين ضيقوا مذهب الحنفية وا كثرهم من لذين لم يبلغوا هذه الدرجة — درجة الاستنباط من أصول المذهب — واذا كان المؤلف وصل اليها فلا يجوز له التقيد بأقوال من هم دونه من الفقهاء وأي نعمة على المحاكم الشرعية في مصر بل على مذهب الحنفية من وجود مجتهد فيه ينقحه ويسهل وعورته فيصلح به حال هذه المحاكم التي يحتج قضاتها بأنهم ممنوعون عن الاصلاح بقيود الفقهاء التي كلفوا بالجمود عليها وعدم التصرف فيها كأنما ألفاظها قرآن تعبّدوا به تعبداً

(ثالثها) ان ماينقل عن الصحابة عليهم الرضوان ان كان من قبيل الرأي فهو الذي لايكلف المجتهد باتباعهم فيه الا اذا وافق دليله دليلهم . وأما اذا كان مما لامجال

للرأي فيه كالعبادات فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . والأقرب أن مسألتنا من هذا القسم فان لم يسلم بأنه الأقرب فلا أراه ينكر أنه الأحوط

(رابعها) أن الكلام الذى أجازوه فى المسجد فى غير وقت الخطبة ليس فيه شبهة التعبد به واتخاذه شعارا لازما كما هو الشأن فى الترقية المعروفة فى هذه الأزمنة فقياس الترقية على الكلام قياس مع الفارق . على أن ما كان من قبيل الشعائر الدينية والتعبد لايجوز القياس فيه كما تقدم فى النبذة الماضية لأنه مما يجب فيه الوقف عند نص الشارع فثبت بهذا أن الترقية بدعة منكرة لاوجه لجوازها فى مذهب من المذاهب

(خامسها) أن الترقية المسؤل عنها مشتملة على التغني والتلحين المخل فهي منكرة حتى فى رأي المصنف ولكن ايراد قياسه على تقدير خلوها من ذلك والحكم بأنه لاوجه لإنكارها يوهم من يطلع على الرسالة من غير أهل التدقيق أنه بذلك القياس، يجيز ما عليه الناس ، وهو انما أجاز صورة من صور الترقية غير موجودة ، وخلاصة القول أن هذه الرسالة لاتبيح الترقية المعهودة الآن وانما تبيح ترقية مشروطة بشرط غير موجود بناء على قياس فى غير محله

ثم تكلم المصنف فى حكم قراءة سورة الكهف فقال انها « جائزة اتفاقا ولاوجه للقول بمنعها » ثم ذكر أنها عبادة لم يرد النهي عنها بخصوصها « ولم يدخل ذلك تحت نهى عام واستثنى من ذلك القراءة وقت الخطبة أوعند خروج الامام على الخلاف المار . ثم صرح بأن قراءتها برفع الصوت فى المسجد لاتمنع واورد حديث « لايجهر بعضكم على بعض بالقرآن » وقال انه على فرض صحته لايصلح حجة للمنع وكذلك حديث « لاضرر ولاضرار » قال « وعلى فرض وجود مصل لنحو تحية مسجد وقت قراءتها فلا يحصل من ذلك تشويش عليه » ثم قال « انه ورد أحاديث كثيرة بطلب قراءتها واورد منها حديثين ثم نفى أن يكون الاجتماع الخاص فى المسجد لسماعها بدعة لدخوله فى عموم الترغيب فى الاجتماع للذكر

نقول ان في هذا الاستدلال نظراً ظاهراً لاسيما على قواعد الحنفية الذين يقلدهم المصنف فانهم نصوا في كتبهم على أن قراءة الم السجدة والإنسان في فجر الجمعة مكروهة مع أن الاحاديث فيها صحيحة ليست كأحاديث قراءة سورة الكهف . وعللوا الكراهة بأن فيها هجراً لباقي القرآن بل قالو باتجاه التحريم في ذلك . فان قيل انهم قالوا بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتزم قراءة الم السجدة والانسان في فجر يوم الجمعة

بل ورد أنه قرأ غيرهما أيضاً فقالوا بكراهة المواظبة عليهما . نقول ان ماورد فيهما أصح مما ورد في غيرهما ويدل على التكرار ولم يرد حديث صحيح في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة والناس يواظبون عليها مع الاجتماع والتوقيت حتى كأنها من شعائر الاسلام المنصوصة . مع انها معارضة بأحاديث منها ما رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس مرفوعاً « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس » ومنها ما رواه ابن مردويه عن كعب مرفوعا بسند صحيح « اقرؤا سورة هود يوم الجمعة » نعم انه مرسل ولكن الحنفية يحتجون بالمرسل وان لم يحتج به مصنف الرسالة في منع الكلام عند خروج الامام الى الجمعة . ومنها حديث الطبراني في الكبير عن أبي أمامة « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومنها أحاديث في قراءة سور في ليلة الجمعة

أما الاحاديث التي اختارها مما ورد في قراءة سورة الكهف فهي كما ذكرها بالنص قال : منها ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وما رواه غير واحد عن أبي سعيد الخدري « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق »

أقول قد طعن في سند كل منهما بل قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الأذكار ان أقوى ماورد في قراءة سورة الكهف حديث أبي سعيد عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان : بل نعيم بن حماد ذو مناكير : . وقد ورد في قراءة آيات مخصوصة من الكهف بدون ذكر الجمعة روايات قوية وبعضها في صحيح مسلم

وأما تشويش هؤلاء القراء في المساجد على المصلين فهو مما لاشك فيه وما فرضه صاحب الرسالة من وجود المصلّين وقت قراءة سورة الكهف في المسجد أمر واقع مشاهد ولكن هؤلاء الفقهاء يتكلمون بالفروض كأنهم في كون مفروض غير موجود . وكون التشويش على المصلين غير جائز مما لاينبغي أن يشك فيه والصلاة هي المقصودة من المساجد بالذات ولذلك صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي . وقد أول المصنف حديث « لايجهر بعضكم على بعض بالقراءة » ورواه

« بالقرآن » بأن معناه الظاهر « لايذم أحد أحداً بالقرآن أولا يشتم بعضكم بالقرآن انتصاراً على البعض الاخر » ولم يعلم انه عُلل بايذاء المصلي (رواه الخطيب عن جابر) وروى ابو داود عن ابي سعيد الخدري : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال « الا ان كلكم مناج لربه فلا يؤذ بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » ولكن اكثر المشتغلين بالفقه لايطلعون على كتب السنة الا قليلا . ولا يخفى ان ايذاء من يجهر لمن يسر بالصلاة أو القراءة أشد من ايذائه لمن يجهر مثله لأن الجهر يدفع بالجهر . فسقط جميع استدلال المصنف وثبت أن قراءة سورة الكهف في المسجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع الناس فيه للصلاة بدعة محظورة لاسنة مطلوبة (للتقريظ بقية)

﴿ كتاب اصابة السهام . فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام ﴾

اهدانا الشيخ محمود محمد احمد خطاب السبكي أحد علماء الأزهر نسخة من كتاب له جديد سماه بهذا الاسم وهو في بيان البدع والمنكرات الفاشية بين أهل العلم والدين وفي المساجد وحلقات الدروس وغير ذلك . ولم تتيسر لنا مطالعته وانما اخذناه الآن في يدنا وقرأنا جملة من فهرسه فاذا فيها (مطلب تحريم القراءة اذا لزم عليها تشويش خلافا لمن قال بالكراهة) فراجعنا هذا المطلب وأحببنا أن ننقل منه تأييداً لما ذكرنا آنفاً في الانتقاد على رسالة الشيخ بخيت ما يأتي . قال المصنف في سياق الكلام على المنكرات الفاشية في الجامع الأزهر ومنها التشويش على المصلين برفع الصوت بالنية ما نصه :

« قال ابن العماد لو توسوس المأموم من تكبيرة الاحرام على وجه يشوش على غيره من المأمومين حرم عليه ذلك كمن قعد يتكلم بجوار المصلي وكذا تحرم عليه القراءة جهرا على وجه يشوش على المصلي بجواره » اه وقوله : من المأمومين : يعني مثلا وكذا قوله على المصلي والا فالتشويش حرام ولو على النائم . وأما قول ابن حجر بكراهة القراءة عند التشويش ورده قول ابن العماد بالحرمة فهو المردود . وكيف لا وقد أضر بقراءته المتعبدين ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاضرر ولاضرر » اه

ثم رأيت فيه مبحث قراءة سورة الكهف فى المساجد فأحببت نقله أيضا وهو :

« ومنها أعني البدع التى اخترعوها فى الجامع الازهر ونحوه قراءة سورة الكهف يوم الجمعة بصوت مرتفع وترجيع والمسجد ممتلئ من الناس ما بين راكع وساجد وذاكر وقارئ ومتفكر الى غير ذلك ومع ذلك يرتبون للقارئ لها اجرة من الوقف وذلك

ممنوع من وجوه (الاول) كونه مخالفا لما كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمن أصحابه والسلف والخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع والاحاديث في ذلك معلومة (الثاني) أن فيه تشويشا على من بالمسجد متلبسا بعبادة وقد تقدم غير مرة أن التشويش ممنوع بالاجماع لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ملعون من ضار مؤمنا) (الثالث) فيه صرف المال في غير مصرف شرعي بل هو منكر وهو ممنوع ولاسيما من مال الوقف (الرابع) أن ذلك كان سببا في اعتقاد العوام أن قراءة السورة المذكورة بهذه الصفة من معالم الدين فأدخلوا في الدين ماليس منه وتقدم انه ممنوع بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخامس) فيه رفع الاصوات في المسجد لغير ضرورة شرعية وقد ورد النهي عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم « لايجهر بعضكم على بعض بالقراءة » وقال عليه الصلاة والسلام «ياعلي لاتجهر بقراءتك ولابدعائك حيث يصلي الناس فان ذلك يفسد عليهم صلاتهم»

«وقال في الدر المختار للسادة الحنفية «يحرم رفع الصوت في المسجد بذكر الاللمتفقهة: اه ولعل موضوعه فيما اذا كان في تشويش • وقال ابن العماد الشافعي :تحرم القراءة جهرا على وجه يشوش على نحو مصل اه ومر ويأتي النص على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن ولا سيما في المساجد فإذاً عند التشويش لايشك في التحريم • نعم ورد النص على فضل قراءة هذه السورة ليلة الجمعة ويومها ولكن ليس كما اعتاده هؤلاء الناس بل يقرأ لنفسه في بيته مطلقا أوفي المسجد بدون رفع صوت حذراً من التشويش • وعبارة قرة العين مع شرحها فتح المعين للعلامة زين الدين المليباري الشافعي نصها« وسُن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها لأحاديث فيها وقراءتها نهاراً أوكد وأولاها بعد الصبح مسارعة للخير وان يكثر منها ومن سائر القرآن فيهما ويكره الجهر بقراءة الكهف وغيرها ان حصل به تأذٍ لمصلّ أو نائم كما صرح به النووي في كتبه » وقال شيخنا في شرح العباب ينبغي حرمة الجهر بالقراءة في المسجد وحمل كلام النووي بالكراهة على ما اذا خيف التأذي وعلى كون القراءة في غير المسجد اه قال محشيه السيد علوي قوله (لأحاديث) فقد صح ان من قرأها ليلتها أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق اه

وفي فتاوي قاضي خان : رجل يقرأ القرآن وبجنبه رجل يكتب الفقة لا يمكنه أن يستمع كان الاثم على القارئ لانه قرأ في موضع يشتغل الناس باعمالهم ولا شيء على الكاتب اه فما بالك بمن كان مشغولا بنحو صلاة ويشوش القارئ عليه كالحاصل

بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة. ونحوه في الفتح عن الخلاصة قال: وعلى هذا لو قرأ على السطح والناس نيام يأثم اه قال ابن عابدين اي لانه يكون سبباً لاعراضهم عن استماعه أو لانه يؤذيهم بايقاظهم ثم قال يجب على القارئ احترام القرآن بأن لا يقرأه في الاسواق ومواضع الاشتغال فاذا قرأ فيها كان هو المضيع لحرمته فيكون الاثم عليه دون أهل الاشتغال دفعاً للحرج اه

• وكذا في مذهب السادة الحنبلية وغيرهم فتحصل أن قراءة السورة المذكورة بهذه الكيفية التى اعتادها كثير من الناس ممنوعة باجماع المسلمين • وكيف لا وهي من الحدث في الدين • لمخالفتها لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وصالح السلف • ومعلوم أن كل ما خالف ذلك فهو في شرك الوبال والتلف • اه

هذا ما رأينا نقله الآن من كتاب السبكي من غير بحث فيه وسنعود الى النقل عن هذا الكتاب الذي نود أن يطلع عليه جميع المسلمين. ونشكر لمؤلفه عنايته بخدمة الدين ،

(تقويم المؤيد) صدر تقويم المؤيد للسنة الهجرية الجديدة وفيه من الفوائد والمباحث العلمية والتاريخية والسياسية والأدبية ما جمع على اختصاره بين الفائدة واللذة وقد توسع فيه بالكلام عن مصر والسودان حتى انه يغني عن كتاب (دليل مصر) لما فيه من بيان أحوال البريد والسكك الحديد •••• وذكر في باب وفيات الاعيان ملخص تراجم كبار الرجال الذين ماتوا في العام الماضي ومنهم باي تونس والسيد الكواكبي • وذكر في باب القضاء أهم المسائل التي يحتاج الى معرفتها المتخاصمون في المحاكم المصرية مرتبة على حروف المعجم • وفي باب الإحصاء طلبة العلم والعلماء بمساجد مصر • البريد المصري • سكك الحديد في العالم • الامم المدمنة السكر • نسبة المتعلمين فى الامم • العائلات وضعف التناسل • الجرائد فى العالم • سكان الارض • السفن • اللغات • الزنا فى فرنسا • النساء فى الولايات المتحدة • أعمار النساء • وغير ذلك • وجملة القول فى هذا التقويم انه نديم المقيم ورفيق المسافر وقاموس العلم ومكتبة الجيب • وهو يطلب من مؤلفه محمد افندي مسعود المحرر بالمؤيد ومن المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش

﴿ النخبة الأزهرية • في تخطيط الكرة الأرضية ﴾

كتاب حافل في تقويم البلدان يدخل في أربعة أجزاء « الجزء الأول — عموميات على الدنيا . الجزء الثاني — مصر والحكومة السودانية . الجزء الثالث — أفريقيا واوربا الجزء الرابع — آسيا وأمريكا والاقيانوسية والاقاليم القطبية • وفيه ٤٧

خريطه ملونة و ٦٦ صورة وشكلا . ومؤلفه اسماعيل افندي علي الموظف بنيابة الاستئناف الأهلية ومدرس علم تقويم البلدان بالجامع الأزهر الشريف .

هذا ملخص التعريف بالكتاب . ونقول إن قراء العربية في أشد الحاجة الى كتب مطولة في هذا الفن ومن العجيب أن وجدت كتب مطولة في أكثر العلوم العصرية دون هـذا العلم الذي يجب أن يكون عامّا ومن الفضائح ان يجهله ذكر او انثى . فمن نعم الله تعالى على قراء العربيـة ان سخر لهم رجلا من أوسعهم اطلاعا وتدقيقاً فيه فوضع لهم هـذا الكتاب وهو مؤلفه اسماعيل افندي علي الذي زاول تعليمه في المدارس الاميرية أعواما طويلة ثم لايزال يعلمه في الازهر الى اليوم

ومن شكر النعم أن يبادروا الى اقتناء الكتاب والاستفادة منـه لأن الشكر انما يكون بوضع النعمة في موضعها الذي وجدت لأجله • ومن آيات الجهل الفاضحة أن يحبس هذا الكتاب الجليل في مكاتب الباعة زمنا طويلا • ومن الاساءة الى المحسن أن ينفق هـذا المؤلف زمنا طويلا من وقته في التعريب والتأليف ووضع الخرائط بالعربية ثم يصرف مبلغا كبيرا من ماله في نفقات طبع الكتاب ولاتكون أقل مكافأة له من الأمة سرعة الاقبال على كتابه • أما صفحات الكتاب فهي ٦٤٠ من الشكل الكبير جـداً وثمنه أربعون قرشاً صحيحاً ومن لاحظ الصعوبة فى طبع الخرائط الملونة بالألوان الكثيرة وصعوبة وضعها يعلم أن ثمن الكتاب رخيص بصرف النظر عن فائدته

اننا تصفحنا بعض الكتاب بالإجمال وانما نثق به لثقتنا بسعة اطلاع مؤلفه على كتب الافرنج الحديثة وله العذر اذا وقع فيه شيء من الخطا في احصاء أهالي بلاد كالبلاد العثمانية لايتيسر له الوقوف على كتب حديثة فيها كما يتيسر له في غيرها • وقد كان أول من انتقد هذا في الكتاب هو أول المعجبين به صديقنا رفيق بك العظم قال : انه اعتمد على الاحصاآت القديمـة كقوله عن سكان دمشق ان عددهم ٦٠ الفاً مع ان الاحصاء الجديد الوارد ذكره فى سلنامة الولاية الرسمية هو ١٤٣٣٢١ وفى الحقيقة إنه يزيد عن هذا العدد أيضاً اذ يقدر العارفون سكان دمشق بمائة وستين ألفاً • وعلى هذا يقاس ما ذكره عن عدد نفوس بقية البلدان الكبيرة فى الزيادة والنقصان كحلب وبيروت وحماه وغيرها ولو اعتمد فى النقل على سلنامات الدولة الرسمية لكانت خدمته العظيمة أتم وصنعه الجميل اكمل وانتقد عليه أيضاً عدم تعيينه درجات العرض للبلدان الكبيرة بالتفصيل أو الاقطار بالإجمال ولو فعل لأغنى المطالع عن مراجعة الخرائط الموجودة فى الكتاب لمعرفة

عرض كل بلد أو قطر كما فعل غيره في كتب أصغر من كتابه • وانتقد أيضاً اختصار الكلام في المملكة العثمانية وهو يرجو كاتر جوان يضع لها كتاباً مخصوصاً

باب الأخبار والآراء

الدولة العلية ومكدونية

نجم من عدة أشهر ناجم من الثورة في بلاد مكدونية فشخصت له أوربا وأسرعت روسيا والنمسا الى الدولة العلية بالنصيحة والحث على تلافي الأمر والمسارعة الى إصلاح البلاد ووضعتا الإصلاح (لائحة) عرفتا بها سائر الدول ثم قدمتاها الى الدولة ملحتين في المبادرة الى قبولها فلم تلبث الدولة أن قبلتها على علاتها خلافا لعاتها في التريث والتلي. ومن موضوع اللائحة وجوب استعمال الأوربيين في الإصلاح لانه لاثقة لأوربا برجال الدولة • وقد ساء هذا معشر الألبانيين ، ولم يقع موقعه من نفوس معاشر المسيحيين، لان نفوسهم طمحت بالاستقلال ، فكل ما دونه يعد عندهم من ألاعيب الأطفال ،

كان في أثر ذلك أومعه حركة في البلغار وهزة في السرب وطاف فى الأذهان ، ان هذه الفتنة ستعم بلاد البلقان ، وظهرت من بعض الدول العظام أمارات الاتفاق مع روسيا والنمسا ومن بعضهن علائم السكوت وعدم المعارضة • واختلفت الظنون فى نية روسيا فجنح بعض الى ترجيح كفة السلم من جانبها بدليل نصائحها المتتابعة للبلغاريين وغيرهم من شعوب البلقان بان يخلدوا الى السكينة ، ويتفيئوا ظلال الهدون والمسالمة، ومال بعض الى ترجيح كفة الحرب بدليل التقاليد القديمة التي وضعها بطرس الأكبر فى وصيته (التي نشرناها فى الجزء الماضي) وما يصدق ذلك من أخبار استعدادها الحربي في هذه الايام

الحق أن لكل من الرأيين وجهاً وجيهاً وأن سياسة روسيا أصبحت دقيقة المسالك مشتبهة الأعلام فبينا ترى قيصرها ينادي بوجوب تعميم الأمن والسلام ، ومد ظلاله على رؤس جميع الأنام ، تراه يستعد للكفاح استعداداً صوريا ومعنويا •

فأما الصوري فبإنشاء الأساطيل وتكثير الأسلحة وإتقان العلوم العسكرية. وأما المعنوي فبمحالفة بعض الدول القوية ومسالمة بعض. ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانية على روسيا فحال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يَطْعَمُ ولا يُطْعِمُ شديد الجشع قويّ الطمع اذا رأى روسيا وقد جدّ جدّها يكتفي منها بلقمة كبيرة يلتهمها ويتركها بعد ذلك وشانها. ولا يطوف في خاطر عاقل أنه يسمح بجندي الماني واحد لصديقه السلطان، اذا نزل مع الروس في ميدان الطعان،

كانت قلوب المسلمين في العيدين محوّمة فوق بلاد مراكش تؤلمها فتنة الخارج، كما تسوءها سيرة المالك، وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها هم أكبر من هم مراكش — هم الدولة المسلمة الكبرى (وقاها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا. فاذا كانت لا تريد سوءا فدع البلقان يضطرم بنيران الثورة اضطراما ولا تخش مغبته فالدولة قادرة على تأديبه. وأسوأ عاقبة تنتظر حينئذ استقلال مكدونية أو وضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سير اوربا بالمسألة الشرقية مذهب التفكيك وتحليل العناصر. وهذا المذهب خير لدول أوربا واسهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتوح والتغاب لأن هذا يعوزه الاتفاق على ما يتعسر الاتفاق عليه ويقتضي بذل اموال غزيرة وسفك دماء عزيزة. وهو خير للشرقيين او المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر يخل من عناصر بلادهم وكل قطعة من تنتقص أرضهم تفيدهم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي. فاذا لم يتعلموا بتكرار النذر، وأنواع العبر، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون، فهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون

مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض لما تقدم ولأن النصارى فيها وفي جميع ما بقي تحت حكم العثمانيين من بلاد أوربا وما يدانيها كبلاد الأرمن قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا أن أوربا نصيرة لهم وأن الذريعة الوحيدة لإثارة نعرتها عليهم وتصديها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأتراك الى سفك قطرات من دمائهم تأديباً لهم. ولعل أوربا في مجموعها وروسيا حاضنة جرائيم فكر الاستقلال في البلقان في خاصتها تعجز عن ضبط حركة هذه الثورة التي تولدت وتأصلت ورسخت واندفعت عن بصيرة أو غير بصيرة. هذا ما يخشى على تقدير إرادة

روسيا إطفاء الثورة والاكتفاء بما طلبت من الاصلاح فكيف اذا كانت تريد شيئاً آخر ...

ماذا يجب على الدولة أن تفعله في هذه الفتنة وماذا يجب عليها أن تفعله في نفسها لأجل مستقبلها . اما الأول فالظاهر أن الذي تعمله الآن من اجابة طلب روسيا والنمسا الى الاصلاح الذي طلباه بدون تحوير ولاتأخير ومن اختيار الموظفين الاوربيين للاصلاح من الامم الاوربية الضعيفة ومن الاستعداد للكفاح اذا طرأ ماهو أعظم من ذلك = هو الواجب الذي لايمكن غيره . وأما الثاني فإن الجواب عنه لايفهم ولا يقبل الا بعد العلم بأمور كثيرة أهمها (مالية الدولة) وان لدينا رسالة مطولة أو كتابا صغيراً في ذلك لأحد الكتاب العثمانيين مستقى من الينابيع الرسمية واننا ننشره تباعا في أجزاء المنار ليصح للقارئين معرفة الدولة وما يجب أن تعمله لتنجو من الخطر . وان فهم حقيقة الدولة مما لابد منه للمشتغلين بمسألة الاصلاح الاسلامي لما لهذه الدولة من المكانة في الوجود ومن المكانة في نفوس المسلمين في جميع أقطار الأرض . ولهذا أخذنا على نفسنا أن نكتب في كل جزء من منار هذه السنة شيئاً عن الدولة العلية من بيان حقيقة وجودية ورأي معقول نرجو الانتفاع به . ونتجنب في ذلك المدح والذم للاشخاص المعينين

﴿ سلطان زنجبار والأمير العربي ﴾

نحمد الله تعالى أن حفظ البلاد المقدسة فى هذه السنة من الوباء والأمراض وقد كتب الينا من مكة المكرمة بأن صديقنا الأمير العربي الكريم محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين قد كان له من الحفاوة والاحترام عن سيادة الشريف ودولة والي الحجاز ما يليق بمقامه وأنه قد وفق الى توزيع ألف وخمسمائة جنيه على علماء الحرم الشريف وخدمته وغمر بصدقاته الفقراء والمعوزين . وأنه تبرع بمئة جنيه وعشرة جنيهات إعانة لسكة حديد الحجاز . وأن سلطان زنجبار تبرع لهذه السكة أيضاً بمئة جنيه وخمسة جنيهات ووزع على المجاورين والمستخدمين فى الحرم الشريف ستمئة ريال (بوم)

﴿ تنبيه ﴾

كل من قبل هذا الجزء من المنار فهو مشترك الى آخر السنة ويجب عليه دفع القيمة المعينة على غلاف المجلة . ونستثني عمال البريد خاصة فنقبل منهم نصف القيمة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿مصر يوم الثلاثاء ١٦ المحرم سنة ١٣٢١ — ١٤ ابريل (نيسان) سنة ٩٠٣﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ بقلم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ومما اقتبس من درسه في الازهر ﴾

« وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ »

قال صاحب الكشاف: كانو قوما فلّاحة فنزعوا الى عِكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء:

(فلاحة) بتشديد اللام جمع فلّاح بمعنى الزراع وعكرهم بكسر العين أصلهم وأجم الطعام من باب ضرب وعلم كرهه من المداومة عليه . وهو بيان لما

بعثهم على أن يسألوا موسى أن يدعو ربه ليخرج لهم تلك الاشياء التى طلبوها والسبب في جهرهم بذلك وثورتهم عليه كأنه يقول: إن الحامل لهم على ذلك هو تمكن العادة من نفوسهم فلما خرجوا منها وجاءهم مالم يكونوا يألفون نزعوا الى ما كانوا قد عودوه من قبل :ولو كان الامر كما قال لكان في ذلك التماس عذر لهم ولما عد الله هذا القول من خطاياهم بل إن السآمة من تناول طعام واحد قد يكون من لوازم الطباع البشرية الاماشذ منها لعادة أو ضرورة ولا يعد ماهو من منازع الطباع جرما اذا لم يسقط ذلك فى محظور . وسياق الآية وسباق الآيات قبلها وما يلحق بعد ذلك من قوله تعالى « وإذ أخذنا ميثاقكم » الخ كل ذلك يدل على أن ماعدد من أفاعيلهم مع تضافر الآيات بين يديهم ، وتوارد نعم الله عليهم؛ كله من خطاياهم . ومن ذلك قولهم لموسى « لن نصبر على طعام واحد » ويؤكد ذلك إيراد تلك العقوبة الشديدة من ضرب الذلة والمسكنة واستحقاق غضب الله تعالى عقيب مقالهم هذا

ولكن الذى يقع عليه الفهم من الآية أن النزق قد استولى على طباعهم وملك البطر أهواءهم حتى كانوا يستخفون بذاك الامر العظيم الذى هيأهم الله له من التمكن فى الارض الموعودة والخروج من الخسف الذي كانوا فيه ومع كثرة ماشاهدوا من آيات الله القائمة على صدق وعده لهم لم تستيقنه نفوسهم بل كانوا على ريب منه وكانوا يظنون أن موسى عليه السلام خدعهم بإخراجهم من مصر وجاء بهم في البرية ليهلكهم فلذلك دأبوا على إعناته والإكثار من الطلب فيما يستطاع ومالا يستطاع حتى ييأس منهم فيرتد بهم الى مصر حيث ألفوا الذلة ولهم مطمع في العيش وأمل فى الخلاص

من المهلكة. فما ذكره الله عنهم في هذه الآية على حد قولهم «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»

ويرشد الى ما فيه من الإعنات قولهم «لن نصبر على طعام واحد» فقد عبر عن مسألتهم بما فيه حرف النفي الذي يأتي لسلب الفعل في مستقبل الزمان مع تأكيده فكأنهم قالوا: اعلم أنه لم يبق لك أمل في بقائنا معك على هذه الحالة من التزام طعام واحد فان كانت لك منزلة عند الله كما تزعم فادعه يخرج لنا ما يمكن معه أن نبقى معك الى أن يتم الوعد الذي وعدك ووعدتنا: — وهم يعلمون أنهم كانوا في برية غير منبتة — وربما لم يكن قولهم هذا عن سآمة ولا أجم من وحدة الطعام ولكنه نزق وبطر كما بينا وطلب للخلاص مما يخشون على أنفسهم. ويؤيد ذلك ما هو معروف في أخبارهم

وسموا الطعام بالواحد مع أنه نوعان — المن والسلوى — لأنهما طعام كل يوم والعرب تقول لمن يأكل كل يوم عدة ألوان لا تتغير: انه يأكل من طعام واحد: كأنهم ينظرون الى أن مجموع الألوان هي غذاؤه الذي لا يتغير فهي غذاء واحد فاذا تغيرت الألوان تغير نوع الغذاء فكان طعاما متعددا

والبقل من النبات ماليس بشجر دِقٍّ ولا جِلٍّ كما ذكره ابن سيده وقال أبو حنيفة: ما ينبت في بزرة ولا ينبت في أرومة ثابتة: وفرق ما بين البقل ودِقّ الشجر أن البقل اذا رعي لم يبق له ساق والشجر تبقى له سوق وان دقت. وأرادوا من البقل ما يطعمه الإنسان من أطايب الخضر كالكرفس والنعناع ونحوهما مما يغري بالقضم، ويعين على الهضم، والقثاء هي أخت الخيار تسميها العامة (القتة) والعدس والبصل معروفان. والفوم هو الحنطة وقال الكسائي وجماعة هو الثوم أبدلت الثاء فاء كما في جدَث وجدف. وطلبهم

للحنطة هو طلبهم للخبز الذي يصنع منها

قال موسى عليه السلام تقريعا لهم على أشرهم وإنكارا لتبرمهم «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير» اي أتطلبون هذه الأنواع الخسيسة بدل ماهو خير منها وهو المنّ والسلوى . والمن فيه الحلاوة التي تألفها أغلب الطباع البشرية والسلوى من أطيب لحوم الطير وفي مجموعها غذاء تقوم به البنية وليس فيما طلبوه ما يساويهما لذة ولا تغذية

ثم قال : «اهبطوا مصراً» من الامصار فانكم ان هبطتموها ونزلتموها وجدتم فيها ما سألتم أما هذه الارض التي قضى الله أن تقيموا فيها إلى أجل محدود فليس من شأنها أن تنبت هذه البقول وان الله جل شأنه لم يقض عليكم بالتيه في هذه البرية الا لجبنكم وضعف عزائمكم عن مغالبة من دونكم من أهل الامصار فلو صح ما تزعمون من كراهتكم للطعام الواحد فأنتم الذين قضيتم به على انفسكم بما فرط منكم فان أردتم الخلاص مما كرهتم فأقدموا على محاربة من يليكم من سكان الارض الموعودة فان الله كافل لكم النصر عليهم وعند ذلك تجدون طلبتكم فالتمسوا الخير من انفسكم وفي أفعالكم فان الله لا يضيع أجر العاملين

قال تعالى «وضربت عليهم الذلة والمسكنة» الذلة والذل خلق خبيث من أخلاق نفس الانسان يضاد الإباء والعزة وأصل المادة فيه معنى اللين فالذل بالكسر اللين والذُّل والذِّل ضد الصعوبة . واذا تتبعت المادة وجدتها لا تخلو من هذا المعنى . صاحب هذا الخلق لين ينفعل لكل فاعل ؛ ولا يأبى ضيم ضائم ، غير ان هذا الخلق الذي يهون على النفس قبول كل شيء لا يظهر أثره غالبا على البدن وفى القول الا عند الاستذلال والقهر وكثيرا

ما ترى الاذلاء تحسبهم أعزاء ، يختالون في مشيتهم من الكبرياء ؛ ويباهون بما لهم من سلف وآباء ؛ وربما فاخروا من لا يخشون سطوته من الاعلياء ؛

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

ولكن متى شعر الذليل بنية في نفس القاهر أو طاف بذهنه خيال يد تمتد اليه استخذى واستكان وظهر السكون على بدنه ؛ واشتمل الخشوع على قوله وفعله ، وهذا الأثر الذي يسطع من النفس على البدن هو الذي يسمى المسكنة . وانما سمي الفقر مسكنة لأن العائل المحتاج تضعف حركته ويذهب نشاطه فهو بعدم ما يسد عوزه كأنه يقرب من عالم العدم فلا تظهر فيه حاجة الأحياء فيسكن . والمشاهدة ترشدنا الى تحقيق ما عليه أهل المسكنة في أوضاع أعضائهم وما يبدو على وجوههم وما طبع في أقوالهم وأعمالهم . فضرب الذلة والمسكنة على اليهود جعل الذل وضعف العزيمة محيطين بهم كما تحيط القبة المضروبة بمن فيها أو إلصاقهما بطباعهم كما تطبع الطغرى على السكة « وباؤا بغضب من الله » أي استحقوا غضبه ومن استحقه فقد أصابه فقد غضب الله عليهم . وتنكير الغضب دلالة على أنه نوع عظيم من سخطه جل شأنه

« ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » فانهم بإحراجهم لموسى عليه السلام وإعناتهم له في المطالب، مع كثرة ما شاهدوا من العجائب، وما أظهر الله لهم من الغرائب، قد دلوا على أن لا أثر للآيات في نفوسهم فهم بها كافرون في الحقيقة . ونسيان الآيات وعدها كأن لم تكن يعده الكتاب العزيز كفرا . ثم توالي العقوبات عليهم ثم تواتر إحسان الله إليهم ثم عدم اعتبارهم بجميع ذلك وجرأتهم على الأنبياء يقتلونهم مع أن الكتاب يحرم عليهم قتل غير الأنبياء فضلا عنهم

الا بحقه المبين فيه كل ذلك دل فيهم على طباع بعيدة عن الكرم، وقلوب مغلقة عن الفهم ، ومن كان هذا شأنه فالاجدر به أن يكون ذليلا مقهورا . ثم هو مهبط غضب الله ومحط نقمه ، لأنه أشد الناس كفرا لنعمه،

ذلك الذل وتلك الخلاقة بالغضب إنما لزماهم لانهم عصوا الله فيما أمرهم أن يأخذوا به من الاحكام ولانهم اعتدوا تلك الحدود التي حدها الله لهم في شرائع أنبيائهم وقد كانت تلك الاحكام والحدود هي الوسيلة لاخراجهم من الذل وتمكين العز والسلطان لهم في الارض الموعودة لانها كانت الكافلة بنظامهم الحافظة لبناء جماعتهم فاذا أهملوها فسدت ألفتهم وانهدم بناؤهم وأسرعت اليهم الذلة التي لم تكن فارقتهم الا منهزمة من يدي سلطان الشريعة ولم يكن يصدها عنهم الا معاقل النظام تحت رعايته ولزمتهم الذلة والمسكنة بعدهذا لزوم الطابع للمطبوع

ويمكن أن ترجع الاشارة في (ذلك) الى الثاني اي الكفر بآيات الله وقتل النبيين . أي أن كفرهم وجرأتهم على النبيين بالقتل انما منشأهما عصيانهم واعتداؤهم حدود دينهم لان المعتقد بدين أو شريعة أيا كانت يتهيب لاول الامر مخالفتها فاذا خالفها لأول مرة تركت المخالفة أثرا في نفسه وضعفت هيبة الشريعة في نظره فاذا عاد زاد ضعف سلطة الشريعة على إرادته ولا يزال كذلك حتى تصير المخالفة طبعا ورينا وينسى ماقام على الشريعة من دليل وما كان لها من سيطرة وضري بالعدوان كما يضرى الحيوان بالافتراس . وكل عمل يسترسل فيه العامل تقوى ملكته فيه خصوصا ما اتبع فيه الهوى . وقوله «بغير الحق» — مع أن قتل النبيين لايكون الا كذلك — يزيد في شناعة حالهم ويصرح بأنهم لم يكونوا مخطئين

فى الفهم، ولا متأولين للحكم، بل ارتكبوا هذا الجرم العظيم عامدين وهم يعلمون أنهم بارتكابه مخالفون لما شرع الله تعالى لهم فى كتاب دينهم

﴿إنّ الذين آمنوا والذين هَادُوا والنَّصَارَى والصَّابئينَ مَن آمن بالله واليوم الآخر وعَمِلَ صالحاً فلهم أجرُهم عندَ ربهم ولا خَوفٌ عليهم ولاهم يحزَنون﴾

أحاط القضاء فى الآية السابقة باليهود فلم يدع منهم حاضرا ولا غائبا فألزم الذل باطنهم، وكسا بالمسكنة ظاهرهم، وبوأهم منازل غضبه، وجعل أرواحهم مساقط نقمه، فذلك الله الذي يقول «ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله» سجلت الآية عليهم هذا العذاب الشديد بما كسبت أيديهم واستشعرته قلوبهم من كفر بآيات الله وانصراف عن العبرة، واستعصاء على الموعظة، وخروج عن حدود الشريعة، واعتداء على أحكامها، اقترف ذلك سلفهم، وتبعهم عليه خلفهم، فحقت عليهم كلمة ربك. فلو قرّ الخطاب عندها، ولم يتلها من رحمة ما بعدها، لحق لكل يهودي على وجه الارض أن ييأس، وأن لا يبقي عنده للأمل في عفو الله متنفّس، بل كان ذلك القنوط لازما لكل عاص، قابضا على نفس كل معتد، لافرق بين اليهود وغيرهم فان سبب ما نزل باليهود إنما هو عصيانهم واعتداؤهم حدود ماشرع الله لهم، وسنن الله فى خلقه لا تتغير، وأحكامه العادلة فيهم لا تتبدل، — لهذا جاء قوله تعالي «ان الذين آمنوا» الخ بمنزلة الاستثناء من حكم الآية السابقة. وإنما ورد على هذا الاسلوب البديع متضمنا لجميع من تمسك بهدي نبيّ سابق، وانتسب الى شريعة سماوية ماضية، ليدل على أن الجزاء السابق — وان حكي على أنه من حظ اليهود خاصة — لم يصبهم الا

لجريمة قد تشمل الشعوب عامة وهى الفسوق عن أوامر الله وانتهاك حرماته فكل من أجرم كما أجرموا سقط عليه من غضب الله ما سقط عليهم وعلى أن الله جلّ شأنه لم يأخذهم بما أخذهم لأمر يختص بهم على انهم من شعب اسرائيل أو من ملة يهود بل « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ».

وأما أنساب الشعوب وما تدين به من دين وما تتخذه من ملة فكل ذلك لا أثر له فى رضى الله ولا غضبه ولا يتعلق به رفعة شأن قوم ولا ضعتهم. بل عماد الفلاح ووسيلة الفوز بخيري الدنيا والآخرة إنما هو صدق الايمان بالله تعالى بأن يكون التصديق به سطوعا على النفس من مشرق البرهان؛ أو جيشانا في القلب من عين الوجدان ؛ فيكون الاعتقاد بوجوده وصفاته خاليا من شوب التشبيه والتمثيل ، واليقين في نسبه الافعال اليه خالصا من وساوس الوهم والتخييل ، ويكون المؤمن قد ارتقى بإيمانه مرتقى يشعر فيه بالجلال الإلهي فاذا رفع بصره الى الجناب الأرفع أغضى هيبة ، وأطرق الى أرض العبودية خشوعا ؛ واذا أطلق نظره فيما بين يديه ، مما سلطه الله عليه ، شعر في نفسه عزة بالله ، ووجد فيها قوة تصرفه بالحق فيما يقع تحت قواه ، لا يعدو حدًّا ضرب له ، ولا يقف دون غاية قدر له أن يصل اليها ؛ فيكون عبداً لله وحده ؛ سيداً لكل شيء بعده ؛

(كتب ما تقدم الاستاذ الإمام بقلمه وإننا نتم تفسير الآية مودعيه ما استفدناه من دروسه فنقول)

هذا هو الإيمان المرضي عند الله تعالى الذي يكون أصلا لتهذيب أخلاق صاحبه ومصدراً للاعمال الحسنة عنه . وللإيمان إطلاق آخر وهو التصديق بالدين فى الجملة أي الاعتقاد بالله بأن ما جاء به فلان النبي مثلا هو صحيح غير مكذوب على الله تعالى ويدخل فيه أهل الفرق الضالة من كل دين

من الاديان السماوية فهو إطلاق صحيح لغة وعرفا كما تقدم في تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين » أي أنهم يصدقون بان للعالم إلهاً وبان بعد الموت بعثاً ولكن هذا الايمان ليس مطابقا في تفصيله للحق الذي له السلطان الأعلى على النفوس في تزكيتها وتهذيبها وحملها على الاعمال الصالحة وهذا الاطلاق هو الذي عناه الاستاذ الامام بقوله « لا أثر له في رضى الله ولا غضبه » الخ وهو كون الدين جنسية لمن ينتسب اليه

فقوله تعالى « ان الذين آمنوا » مراد به المسلمون الذين اتبعوا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والذين سيتبعونه الى يوم القيامة وكانوا يسمّون المؤمنين والذين آمنوا . فكأنه قال إن هذا الفريق من الناس الذي عرف بهذا اللقب وغيره من الفرق الذين اتبعوا الأنبياء السابقين وأطلق على بعضهم لفظ يهود والذين هادوا وعلى بعضهم لفظ النصارى وعلى بعضهم لفظ الصابئين هم في حكم الله العادل سواء وهو يعاملهم بسنة واحدة لا يحابي فيها فريقا ويظلم فريقا . وحكم هذه السنة انه « من آمن بالله » ايمانا صحيحا — وتقدم شرحه ووصفه آنفا — وآمن « باليوم الآخر » كذلك « وعمل » عملا « صالحا » وما العمل الصالح بمجهول فى عرف هؤلاء الأقوام وقد بينته كتبهم أتم بيان « فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » فالآية بيان لسنة الله تعالى فى معاملة الامم تقدمت أو تأخرت فهو على حد قوله تعالى « ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يُجْزَ بِهِ ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون

نقيرا » فظهر بهذا انه لا إشكال فى حمل « من آمن بالله واليوم الآخر » الخ على قوله « ان الذين آمنوا » الخ ولا إشكال في عدم اشتراط الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لأن الكلام فى معاملة الله تعالى لكل هذه الفرق المؤمنة بنبي ووحي بخصوصها الظانة أن فوزها في الآخرة كائن لامحالة لأنها مسلمة أو يهودية أو نصرانية أوصابئة. فالله يقول ان الفوز لايكون بالجنسيات الدينية وانما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس وعمل يصلح به حال الناس ولذلك نفى كون الامر عند الله بحسب أماني المسلمين او أماني أهل الكتاب وأثبت كونه بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا : وقالت النصارى مثل ذلك . فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبيّنا صلى الله عليه وسلم بعد نبيكم وديننا بعد دينكم وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا : فأنزل الله تعالى « ليس بأمانيكم » الآية . وأخرج البخاري فى التاريخ من حديث أنس مرفوعا «ليس الايمان بالتمني ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم أمانيّ المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » والحكمة في عناية الله تعالى بالنعي على المغترين بالانتساب الى الدين أيًّا كان ظاهرة فان هذا الغرور هو الذى صرفهم عن العمل به اكتفاء بالانتساب

اليه وجعله جنسية فقط . وترك العمل لازم أوملزوم لعدم الفقه فى الدين وفهم حكمه واسراره وتبع هـذا في الامم السابقـة ترك النظر فيما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن المغرور بما هو فيه لاينظر فيما سواه نظرا صحيحا لاسيما اذا كان مخالفاله

وذكر الاستاذ الأمام في تفسير هذه الآية مسألة أهل الفترة والخلاف المشهور فيها وهو أن جمهور أهل السنة يقول إنهم ناجون لأنه لاتكليف الا بشرع وهؤلاء لم تبلغهم دعوة . ومن قال بان العقل يدرك الواجب والمحرم والاعتقاد الصحيح والباطل عدهم غير ناجين وهذا رأي المعتزلة وجماعة من الحنفية . وجمهور الأشاعرة على أنه لايمكن إدراك ذلك الا بالشرع

ثم ان محل النظر في أهل الفترة من كان منهم كالعرب الذين كانوا يعتقدون بأنبياء ولا يجدون لديهم شيئاً من أحكام دينهم خالصا من الشوائب سالما من النزغات الفاسدة . وأما مثل اليهود فلا يصح أن يسموا أهل فترة فانهم على نسيانهم حظا مما ذكروا به وتحريفهم بعض ماحفظوا قد بقي جوهر دينهم معروفا فلم يغش أحكامه مايمنع الاهتداء بها والله تعالى يقول « وعندهم التوراة فيها حكم الله » وكذلك المسيحيون لايسمون أهل فترة لان عندهم من التوراة ووصايا الانبياء ما عند اليهود وزيادة مما حفظوا من وصايا المسيح وروح الدعوة موجود عندهم ولكنهم لايعملون بهذه الوصايا ولا يأخذون بتلك الاحكام ولا عذر لهم يحول دون العقوبة . وأما الصابؤن فان كانوا فرقة من النصارى كما يظهر من الوفاق بينهما في كثير من التقاليد كالمعمودية والاعتراف وتعظيم يوم الاحد فالامر ظاهر ان حكمهم كحكمهم وان كان الخلط عندهم أكثر ، والبعد عن الاصل أشد ، حتى انهم اعتقدوا بالكواكب ،

وأحاطت بهم البدع من كل جانب ، على أنهم أقرب الى روح المسيحية من النصارى فان عندهم الزهد والتواضع اللذين يفيضان من كل كلمة تؤثر عن المسيح عليه السلام والنصارى صاروا أشد أمم الارض عتواً وطمعا واسرافا فى حظوظ الدنيا . ويقال إن الصابئة ملة مستقلة يؤمنون بكثير من الانبياء المعروفين ولكن قد اختلط عليهم الامر كما اختلط على الحنفاء من العرب الا ان عندهم من التقاليد والاحكام ماليس عند العرب فان كانوا أقرب اليهم فلهم حكمهم والافهم كاليهود والنصارى مكلفون بالعمل بدينهم بعد فهمه كما يجب حتي يأتيهم هدًى آخر كأن تبلغهم دعوة الاسلام فان لم يفعلوا فهم مؤاخذون

علمنا أن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم دعوة صحيحة تحرك الى النظر أو بلغهم أن بعض الانبياء بعثوا ولكن لم يصل اليهم شيء صحيح من شرائعهم فهم يؤمنون بهم إيمانا إجماليًّا كالحنفاء من العرب الذين كانوا يؤمنون بابراهيم واسماعيل ولا يعرفون من دينهما شيئا خالصاً كما تقدم آنفاً . وحجة الاشاعرة على عدم مؤاخذتهم آيات كقوله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» وقوله « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »

وذهب كثير منهم الى الاكتفاء ببلوغ دعوة أي نبيٍّ في ركني الإيمان الركنين وهما الايمان بالله وباليوم الآخر فمن بلغته وجب عليه الإيمان بهذين الأصلين وإن لم يكن النبي مرسلا اليه .

وذهب جمهور الحنفية وكذلك المعتزلة إلى أن أصول الاعتقاد تدرك بالعقل فلا تتوقف المؤاخذة عليها على بلوغ دعوة رسول وإنما يجيء الرسل مؤكدين لما يفهم العقل موضحين له ومبينين أموراً لا يستقل بإدراكها

كأحوال الآخرة وكيفيات العبادة التي ترضي الله تعالى. وأولوا آية « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » بان المراد بالتعذيب هو الاستئصال في الدنيا بإفناء الأمة أو استذلالها، والذهاب باستقلالها، وينافيه مايدل عليه استعمال « وما كنا » من إرادة نفي الشأن الدال على عموم السلب. ولهم في كتبهم أدلة ومناقشات ليس هذا من مواضعها.

وعن الامام الغزالي أن الناس في شأن بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصناف ثلاثة – من لم يعلم بها بالمرة كأهل أمريكا لذلك العهد وهؤلاء ناجون حتما (أي إن لم تكن بلغتهم دعوة أخرى صحيحة). ومن بلغته الدعوة على وجهها ولم ينظر في أدلتها إهمالا أو عنادا واستكبارا وهؤلاء مؤآخذون حتما. ومن بلغته على غير وجهها أو مع فقد شرطها وهو أن تكون على وجه يحرك داعية النظر وهؤلاء في معنى الصنف الأول. هذا معنى عبارته المطابقة لأصول الكلام(١)

فحاصل معنى الآية أن أهل الاديان الالهية (وهم الذين بلغتهم دعوة نبي على وجهها وبشرطها) اذا آمنوا بالله واليوم الآخر على الوجه الصحيح الذي بينه نبيهم وعملوا الاعمال الصالحة فهم الناجون المأجورون عند الله تعالى واذا آمنوا على غير الوجه الصحيح كالمشبهة والحلولية فلا ينالهم من هـذا

---

(١) عبارته في كتاب فيصل التفرقة في هذا الصنف هي: وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم نعته وصفته بل سمعوا منذ الصبا ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة كما سمع صبياننا ان كذابا يقال له المقفع (لعنه الله) تحدى بالنبوة كاذبا فهؤلاء عندي في معنى الصنف الأول فان أولئك مع انهم لم يسمعوا اسمه لم يسمعوا ضد أوصافه وهؤلاء سمعوا ضد أوصافه وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب:

الوعد شيء بل يتناولهم الوعيد المذكور في الآيات الاخرى وكذلك حال الذين يؤمنون بأفواههم دون أعمالهم فان الايمان الصحيح هو صاحب السلطان الاعلى على القلب والإرادة التي تحرك الاعضاء في الأعمال فإن نازعه في سلطانه طائف من الشهوة فانه لا يلبث أن يقهره «إنّ الذين اتّقَوْا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون»

﴿ الكرامات والخوارق ﴾

(المقالة التاسعة فيما ينبغي عليه التعويل)

علم مما تقدم ان الامور الغريبة التي تسمى خوارق عادات وعجائب منقولة عن جميع الامم فهي واقعة حتما ومنقولة بالتواتر اللفظي وبالتواتر المعنوي وان ادعاها كثيرون من الناس كذبا وتعمّلوا للاشتهار بها تعملا . ثم ان هذه الامور على ضربين — ضرب عرف عن أهله أنه صناعي يتوصل اليه بالعلم والعمل كالسحر والشعوذة فهو من الخوارق بالنسبة الى الذين لا يعرفون طريقه ولم يقفوا على علله قال الله تعالى « يعلّمون الناس السحر » وقال عز وجل « يخيَّل اليه من سحرهم أنها تسعى » أي والحقيقة خلاف ذلك التخيل وقال « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » وقال حكاية عن فرعون « إنه لكبيركم الذي علمكم السحر » . وضرب عرف عن أهله انه ليس له طريق صناعي يوصل اليه العلم وإنما هو وراء الاسباب . والثابت القطعي من هذا القسم آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتقدم الكلام عليها في المقالة الأولى وفي الامالي الدينية . ومنه ما يدعيه أو يُدّعى لكبار رجال الدين من أهل الملل والكلام فيه والمقصود منه بالذات ما عندنا معشر المسلمين

وقد ذكرنا حجج مثبتي الكرامات وحجج منكريها وأوردنا مارواه المثبتون من الكرامات المأثورة عن الصحابة والتابعين وبينا ما صح منها ومالم يصح فليراجع كله فى المجلد الثاني من المنار . وإننا نختم القول فى مبحث الكرمات بمسائل أكثرها مستفاد من المقالات السابقة وهذه المسائل هي خلاصة رأينا في الموضوع فمن أنكر علينا منها شيئاً فليكتب الينا مدليا بحجته ونعده بأننا ننشر ما يكتب بمعناه أو بلفظه اذا كان صحيحا ومختصرا وغير خارج عن محل النزاع استطرادا الى مسائل أخرى . فان كانت الحجة ناهضة سلمنا وان كانت داحضة بينا . ولاينبغي لأحد أن يرد علينا في الموضوع الا بعد الاطلاع على المقالات التسع لئلا يبحث في شيء سبق بيانه فيهمل كلامه

(المسألة الاولى) إن الاصل في كل مايحدث في الكون أن يكون له سبب وأن يجري على سنة من سنن الله تعالى في الخلق وهذه الاسباب مطردة متى تمت شروطها (كما قال الغزالى) وتلك السنن ثابتة لاتبدل ولا تحول كما علم بالمشاهدة والاختبار وبنص القرآن فهى مسألة اتفق فيها الحس والعقل مع نصوص الشرع فهى قطعية

(المسألة الثانية) إن من قضايا العقول ، التي نصها علماء الاصول ، أن الظن الراجح لايعارض العلم اليقين وأيد هذا القرآن أيضا بمثل قوله تعالي « إن يتبعون الا الظن . وان الظن لايغني من الحق شيئاً » وقوله عز وجل « وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون » وغير ذلك من الآيات الواردة فى إبطال عقائد أهل الزيغ والجحود .

(المسألة الثالثة) اجمع العلماء من الاصوليين والمحدثين على أن روايات

الآحاد العدول الثقات كالصحابة وإئمة التابعين المعروفين ومن عرف بالصدق وحسن السيرة مثلهم لا تفيد أكثر من الظن . وأجمعو على أنه اذا روي عنهم ما يخالف المعقول القطعي والمنقول القطعي كنص القرآن فإنه لا يعتد بالرواية ولا يعول عليها الا أن يوفق بينها وبين القطعي منقولا كان أو معقولا فقط

(المسألة الرابعة) ان العجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الامم فليس من الصواب التفاضل بينها وادعاء أن بعضها على حق وبعضها على باطل بسبب ذلك وإنما يجب تمحيص النقول وتحريرها فان الناس مولعون أشد الولع بالغرائب ، وأكثر ما يتحدثون به منها كاذب ،

(المسألة الخامسة) كما يجب تمحيص النقل والرواية يجب تمحيص المرويّ المنقول من الغرائب ليعلم أنه واقع حقيقة ولم يكن تخييلا للانظار . أو خداعا للأبصار أو الافكار ،

(المسألة السادسة) قد كشف العلم أسباباً لأمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فاذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئاً من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي للرجوع لالتماس الاسباب من مظانها فى العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن أن يؤول اليه ، فهو الذى يصح أن يسمى خارقة أو أعجوبة والنظر فيه من وجهين — حال من ظهر على يده وإمكان قيامه على غيره

(المسألة السابعة) لثبوت الخارقة على ما ذكر طريقان الحس السليم والتواتر الصحيح وكلاهما عسر جداً لان الحواس تُخدع حتى تكذب صاحبها فيما ترى وتسمع ، وأمر التواتر أبعد فى العسر وصعوبة التحقق فان من شرطه ان ينتهي الى حس محقق باليقين وقد علمت ان الحس يخدع فى هذا المقام .

ومنها أن يكون الناقلون لذلك الخبر المحسوس جمعاً يستحيل في العقل السليم تواطؤهم على الكذب واتخاذهم بما أدركوه بحسهم وأن ينقل عنهم مثلهم في كل طبقة من الطبقات . وإنك ترى أكثر الناس يسمون الأمور المشهورة بينهم متواترة لاسيما اذا كثر تحدث الناس بها فاذا استقريت حلقات سلاسل الروايات وجدتها كلها معلقة في آخرها بحلقة واحدة أو حلقتين أو ثلاث مثلا . وما انتهى الى واحد أو آحاد فهو خبر يحتمل الصدق والكذب لذاته وربما رجحت الكذب في أكثر الغرائب المشهورة التي يسمونها متواترة . الحق ان الانسان متهم طبعاً باذاعة كل غريب لاسيما اذا صادف هوى في النفس أو طابق التقاليد والاعتقادات المسلمة فالحمد لله الذي جعل آية نبينا بينة قائمة على وجه الدهر محفوظة من المعارضة والنقض، مادامت السموات والارض،

(المسألة الثامنة) إنك اذا بحثت فى حال الذين يدعون الخوارق تجدهم طلاب مال وطلاب جاه وأنهم يقصدون بما يأتون استرهاب الناس بما يوهمونهم من قدرتهم على إيذائهم متى شاؤا أو تعليق آمالهم بهم وإيهامهم ان بأيديهم مقاليد الرزق ومفاتح الخير أو الجمع بين الامرين حتى إنهم جعلوا ارادة الله تابعة لإرادتهم كما قالوا فى الكلمة المأثورة عن الربانيين منهم وهى : « ان لله عباداً اذا أرادوا أراد » (هكذا يقولونها بالوقف على العباد على لغة ربيعة) وينقلون عنهم من مثل هذه الجرأة على الله تعالى كلمات كبيرة وأشعاراً وأغاني تختلب قلوب العامة . وفي كتب العقائد التى تقرأ في الازهر وغيره من المدارس الدينية (كحواشي الباجوري على الجوهرة والسنوسية) ان خوارق العادات تظهر على أيدي جميع أصناف الناس حتى الكفار والفساق وتسمى اذا صدرت من هؤلاء على نحو ما يحبون استدراجا

لأنها تغرهم بما هم فيه من الباطل فيسترسلون فيه حتى لامطمع في هدايتهم وإذا ظهرت على يد مستور الحال تسمى معونة . ويخصون اسم الكرامة بالخارقة التي تكون للمتمسك بالشريعة اعتقادا وتخلقا وعملا في الظاهر والباطن. وإننا نقول لمن يأخذون أقوال هؤلاء العلماء بالتسليم: اذا كانت الخوارق تقع على أيدى جميع طبقات الناس فلا يجوز الاستدلال بها على ان من تظهر على يديه محق في اعتقاده أو مرضي عند ربه وانما يعرف ولي الله تعالى والصالح من عباده بأمر واحد وهو مطابقة اعتقاده للحق المؤيد بالبراهين الصحيحة وموافقته في أخلاقه وسجاياه وأعماله السرية والجهرية لما أرشد اليه الدين والعقل من الفضائل والمنافع العامة والخاصة بقدر الاستطاعة . ونحن نرى العامة يبيحون لمن يجري عليه يديه شيء من الغرائب جميع المنكرات فهم يحكمون خوارقه في حاله من الاعتقاد والعمل ، والعلماء يحكّمون حاله في خوارقه . فقد تناقض اعتقاد العامة مع اعتقاد العلماء . ولا نرى أحداً منهم ينكر على الآخر ولا يجذ به اليه لأن حرية الإسلام قد انقلبت الى فوضى بعد ذهاب منصب الخلافة وتولية الجاهلين بالدين أمور المسلمين

(المسألة التاسعة) من رأى بعينه خارقة للعادة أو نقلت اليه بطريقة التواتر الصحيح وعرف أنها لم تكن خداعا ولا تخييلا وعلم أن من ظهرت على يديه ليس من أهل التلبيس والشعوذة ولا من طلاب المال والجاه واستمالة القلوب الى الاعتقاد به وصعب عليه أن يحملها على وجه من وجوه التأويل الآتية فإن له أن يقيسها على ما عرف تأويله بأن يقول: ان كثيرا من الغرائب وخوارق العادات المألوفة قد كان يظن أنها خارجة عن نظام الخليقة وسنن الكون ومنتثرة من سمط الاسباب التي تنتظم بها المسببات ثم ظهر

أنها لم تكن شاذة عن تلك السنن الإلهية ، ولا نادّة من دائرة الاسباب الكونية ؛ وهذا الذي أراه الآن ، هو مثل تلك في ذاك الزمان، فيجوز أن يظهر له مثل ما ظهر لهامن السبب ، وتزول الغرابة ويبطل العجب ؛: وهذا الرأي هو الذى عليه جميع العقلاء والحكماء في هذا العصر وإنهم ليتوقعون ظهور علل جميع الغرائب التى حدثت في العالم حتى معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام

(المسألة العاشرة) اذا فرضنا أن العلم اظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية وأسبابا خفية فلا يهمن واهم ان ذلك قدح في النبوة اوظهور ابطلانها . كلا إنه إن تحقق فلا يبعد ان يكون تحققه مظهر الحقية النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية تتصل بالعالم الأعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الغريبة كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية وما كانوا يدعون ان لهم سلطاناً في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وإرادتهم متى شاؤا وكيفما شاؤا وإنما كانوا يتبرؤن من حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه، ويقولون انه واقع بإذنه وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجاحدة من قومهم وإلحاح في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في افعالهم السببية وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هى العمدة فى إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووحيه « الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم جاءتهم

رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في افواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسلهم افي الله شكٌّ فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا إن انتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .» فهذه هي سنة الله في الانبياء والامم - يدعو النبي قومه الى الله بالبينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فيتبرأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فيخضع له المستعد لقبول ذلك ويعاند الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب. قال تعالى « وما نرسل بالآيات الا تخويفا » . فاذا فرضنا ان العلم أظهر سبباً معقولا لآيات موسى عليه السلام فهل ينافي ذلك انها كان تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني اسرائيل الى طاعة موسى بالإرهاب اللائق بامثالهم فى بلادتهم وجفوتهم؟

نعم انما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يُحتج على صحته الا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم، ولا سند متواتر في صحة كتابهم، أولئك الذين ينعقون فى كل بلاد إسلامية: إن القرآن لم يُثبت لمحمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) العجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة : فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحربية والسياسية وتكوين الامم وتربيتها من رجل أمي تربَّى يتيماً فى جاهلية جهلاء، وأمة أمية لا يرونه تأييداً إلهيا، وبرهاناً على صدقه نطعياء وانما البرهان عندهم تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كهنتهم أعظم منها

(المسألة الحادية عشرة) يؤيد ما ذكرناه في معنى آيات الأنبياء وكونها لم تكن براهين لإثبات الدين ماجاء في الباب الثالث عشر من تثنية الاشتراع آخر أسفار التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهو «(١) اذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لان الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم » وما جاء في الباب السابع من انجيل متى وهو : « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يافاعلي الإثم » وفي الباب ٢٤ منه « لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لوامكن المختارين ايضا » فعلم من هذا ان اليهود والنصارى يجب ان يوافقوا علماء الكلام من المسلمين على ان الخوارق الكونية ليست دلائل برهانية قطعية على اصول الدين وعقائده وصدق دعاته كما أوضحنا ذلك في الدرسين ٢٩ و ٣٠ من الامالي الدينية (راجع ص ٣٧١ و ٦٨٨ م ٤) وقد اختلف المتكلمون في دلالة المعجزة على النبوة هل هي عادية اوعقلية او وضعية وقد رجح الأخير بناء على انها بمعنى تصديق الله لهم بالقول

(المسألة الثانية عشرة) سبق في المقالات الاولى أن أصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الوليّ بان الاولى لابد أن تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي والثانية لاتكون كذلك وبأن الاولى يجب اظهارها لإقامة الحجة ، والثانية يجب اخفاؤها خوف الفتنة ،

وزاد بعضهم كالقشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى أن الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحيا الموتى وانما تكون فيمادون ذلك كشفاء مرض ومكاشفة خلافا للقول المشهور « ماجاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي » ولقائل أن يقول جمعاً بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل ، فانه ماوقع ولا يقع بالفعل ،

(المسألة الثالثة عشرة) قال الشيخ محي الدين بن عربي أحد أئمة الصوفية ان خارق العادة لا يتكرر فان كل ما يتكرر يكون معتاداً سواء عرف سببه أولم يعرف . وهذا القول معقول وهو يقضي القضاء المبرم على تلك الزحوف والفيالق من حكايات الكرامات التي يحارب بها العامة عقلاء الناس الذين لا يستخذون ويخنعون لاؤلئك الجهال الذين يدعون الولاية بحجة أنهم في كل يوم يخبرون الناس بالمغيبات ويبرؤن المرضى من الأسقام ببركاتهم ونحو ذلك . ويسمون هذا على تكراره كل يوم كرامة وماهو بكرامة وإنما بعضه كذب واختلاق وبعضه واقع بالاسباب التي سننبه عليها ولكنه أسند الى غيرها أو ادعيَ فيه الكرامة (للمسائل بقية)

دعوى صلب المسيح

﴿باب شبهات النصارى وحجج المسلمين﴾

جاء في الجزء الاخير من الجريدة البروتستنتية نبذتان في الطعن بالإسلام إحداها محاورة في صلب المسيح ، والثانية طعن في القرآن وقبيح ،وقد كانت هذه المجلة تطعن في الإسلام وكتابه ونبيه مع شيء من الأدب ونراها في هذه المدة هتكت ستار الأدب وتجاوزت حدوده مع أننا كنا نرجو ان تزيد في تحريه بعدماأسند تحريرها الى نقولا أفندي روفائيل الذي نعرفه دمثا لطيف الشمائل ولكنها نشوة الحرية في مصر ، والشعور بضعف نفوس المسلمين في هـذا القطر ؛ فعلا في نفوس هؤلاء الدعاة الى

النصرانية مالا تفعل الخمر ، فصار الواحد منهم اذا نسب الافتراء الى سيد الانبياء بالتصريح وكتبه ونشره يرى نفسه كأنه قد جلس على كرسي ميناس الاول أو رعمسيس الاكبر

ونحن نقول ان الحرية تنفع الحق ولا تضره وإن سوء الادب يضر صاحبه ولا ينفعه وإن الشعب الضعيف قد يقوى بشدة الضغط المعنوي عليه فيتنبه الى التمسك بحقه والدفاع دونه وعند ذلك تزهق الأباطيل . واننا لم نطلع على ماذكر الا بعد تهيئة أكثر مواد هذا الجزء من المنار فاختصرنا مقالة الخوارق والكرامات وكتبنا بدل تتمتها هذه الكلمات ، ونرجئ تفنيد أقوالهم في القرآن الى الجزء الثالث من المنار، ونخص كلماتنا هذه في مغامز ذلك الحوار ،

ذكرت المجلة ان الحوار كان في مكتبة البر وتستان في السويس بين محررها وبعض المسلمين وان المسلم احتج بالقرآن على نفي الصلب فأجابه المحرر :

« هب أنك كنت معاصرا للمسيح وممن يعرفونه شخصيا وحضرت في مشهد الصلب خارج أورشليم فما ذا كنت ترى؟قال :كنت أرى ولاشك المسيح مصلوبا كما رآه الجمهور : قلت : وماذا يكون إيمانك ويقينك حينئذ ؟ قال كنت أوقن وأومن وأشهد أنه صلب حقا كما أبصرت بعيني وأبصر الجمهور في رائعة النهار

«قلت : افرض انك فيما أنت مؤكد بهذا التأكيد عن صلب المسيح واذا برجل امي من العرب أولئك القوم المشركين يقول لك انت المؤمن وقد مضى على حادثة الصلب نحو سبعمائة سنة عبارة القرآن هذه« وماصلبوه وماقتلوه» (كذا) فهل تستطيع أن تكذب عيانك وعيان الجمهور وتصدق خبر هذا الامي وهل الخبر أصدق من العيان

قال اذا كنت أعلم ان هذا الأمي المكذب للصلب رسول الله فأصدق خبره وأكذب عياني وعيان الجمهور لأن الله أعلم منا بحقائق الأمور

قلت: وهل علمت انه رسول الله وان هذه العبارة من وحي الرحمن لا من تلقين الشيطان؟

قال: نعم علمت ذلك بدون شك:أجبت كيف علمته ؟ ، قال ان محمداً (صلعم) لما بعث رسولا ايده الله بالمعجزات الباهرة

قلت ليس لمحمد معجزة بدليل قوله « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون » ولكن هب ان له معجزة وأنت رأيتها فبأي حق ترجح حكم حسك في رؤية معجزات محمد على حكمه فى رؤية صلب المسيح أو لست تعلم انه اذا أرى الله الناس شيئاً على خلاف حقيقته ثم كذب ما أراهم إياه لا يعود الناس يصدقونه

اذا أراهم شيئاً على حقيقته • تعالى الله عن ذلك التلاعب وهل هـذا هو الدليل القرآني الذى تحاول أن تنفي به حقيقة شهدت لها الكتب المقدسة من قبل ومن بعد وأثبتها التاريخ والآثار وعاينها جمهور عظيم من كل أمة تحت السماء؟ • وعندسماعه حججي لم يكن عنده رد عليها وأمسك عن الكلام وخرج هو وأصحابه

«وعدا ذلك اعلم ايها القارئ العزيز أن عبارة القرآن « ولكن شبّه لهم » منقولة عن بقايا فرقة صغيرة من النصارى قد مرقت عن الحق يقال لها الدوسيتيين الذين اعتقدوا بلاهوت المسيح تماماً كما تعتقد النصارى اليوم ومن البدء ولكنهم انكروا ناسوته وزعموا أن الجسد الذي ظهر به المسيح انما كان صورة فقط لاحقيقة له أشبه بالظل والخيال وأولوا الآيات الانجيلية التي تثبت كون جسده كسائر الاجساد ما عدا الخطية فقالوا عن نموه في القامة ما كان ينمو ولكن شبه لهم وعن تناوله الطعام قالوا ماكان يأكل ولا يشرب ولكن شبه لهم وعن نومه وسائر اعماله الجسدية المشار اليها في الانجيل قالوا لم تكن حقيقية بل شبهت لهم وعن صلبه وموته قالوا « ماصلبوه وما قتلوه ولكن شبه لهم » فمحمد اذ سمع مقالتهم بصلب المسيح صورة دون الحقيقة ولم يكن يعلم المبدأ الذي ترتب عليه هذا القول بادر بالمصادقة عليه رغبة في تنزيه المسيح عن الموت المهين ونكاية في اليهود والدليل على ذلك أن مقالة التشبيه هذه لايمكن أن تخطر مباشرة على بال عاقل مالم يكن لها مبدأ كالذي ذكرناه » اه

هذه هي المحاورة التي أوردها بحروفها ونقول له في الجواب: ان الاسلام سيهدم الوثنية التي غشيت جميع الاديان السماوية حتى يرجع الناس الى الدين القيم دين التوحيد القائم على أساس الفطرة المطابق للعقل حتى يعترف الناس ان الوثنية السفلى كعبادة الحجر والشجر مثل الوثنية العليا وهى عبادة البشر فهو يهدم كل دين بالبراهين الراجحة، فكيف تقوى عليه هذه السفسطة الفاضحة ،

إذا فرضنا ان أجوبة المسلم له كانت قاصرة في معناها على ما كتبه فلا شك ان ذلك المسلم عاميٌّ غرٌّ : والظاهر أنه زاد فى القول ماشاء وحرف فيه ماشاء كما هي عادتهم وكما تدل عليه المبالغة في تأكيد الصلب من المسلم بناء على ذلك الفرض ككلمة « كنت أرى ولا شك » وكلمة « كما رآه الجمهور » وكلمة « كنت أوقن وأومن وأشهد » ومن عادة المتنكر اذا أقر بشيء على سبيل التسليم الجدلي الفرضي أنه لا يؤكده بمؤكد ما فكيف نصدق ان ذلك المسلم انسلّ من هذه العادة الطبيعية العامة وغلا كل هذا الغلو في تأكيد الصلب ثم انقطع عن المناظرة وتوهم أنه رأى المسيح مصلوباً حقيقة وحار

في التطبيق بين مشاهدته، وقول من قام البرهان على عصمته ، ! ! ونحن نذكر للكاتب البارع جواب المسلم العالم بدينه عن هذه المسائل

أما الجواب عن السؤال الأول فكل من يعرف الاسلام يقول فيه : انني لوكنت في زمن المسيح وكنت أعرف شخصه لجاز أن يشتبه عليّ امر تلك الإشاعة كما اشتبه على غيري وجاز ان أعرف الحقيقة كما عرفها غيري فالنصارى انفسهم لاينكرون انه وقع خلاف فى الصلب وان بعض الاناجيل التى حذفتها المجامع بعد المسيح بقرون كانت تنفي الصلب ومنها انجيل برنابا الذي لايزال موجوداً رغماً عن اجتهاد النصارى في محوه من الارض كما محوا غيره • واذا كانت المسألة خلافية وكان الذين اختلفوا فيه مالهم به من علم الا اتباع الظن فما علينا الآن الا نأخذ بما قاله عالم الغيب والشهادة في كتابه المنزل على نبيه المرسل • وبهذا الجواب سقط السؤال الثاني وجوابه وكذلك السؤال الثالث • ومع هذا نقول ان السؤال الثالث غير وارد بحال فانه ليس عندنا مسألة مشاهدة وجاءنا رجل أمي من المشركين يكذبها ولو وقع لنا هذا لكذبنا المشرك الاميّ وصدقنا بصرنا • وانما عندنا مسألة تاريخية اختلف فيها الناس وظهر فينا نبي أميّ باتفاق جميع الأمم ولكنه علمنا الكتاب والحكمة وهدم الشرك والوثنية من معظم الممالك بقوة إلهية أعطاه الله إيّاها • ومما جاء به حل عُقد الخلاف بين الملل الكبيرة ومنها هذه العقدة فوجب اتباعه في ذلك

وعجيب من نصراني يبني دينه على التسليم بأقوال مناقضة للحس والعقل فى كتب ليس له فيها سند متصل ثم يحاول هدم كتاب سماوي منقول بالتواتر الصحيح حفظاً في الصدور والسطور بمعول وهمي وهو فرض أننا رأينا المسيح مصلوبا وما رأيناه مصلوبا، والفرض الموهوم ، لايمس الثابت المعلوم ، يقول هذا النصراني ان التوراة التي يحملها هي كتاب موحى من الله تعالى وكله حق . وفي هذه التوراة مسائل كثيرة مخالفة للحس والبرهان العلمي فكيف يؤمن بها ؟ كيف يؤمن بقولها ان الرب قال للحية « وترابا تأكلين كل ايام حياتك » وهذه العبارة تفيد بتقديم المفعول أنها لاتأكل غير التراب وقد ثبت بالمشاهدة انها تأكل غير التراب كالحشرات والبيض ولا تأكل التراب مطلقاً . وكيف يؤمن بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وان كلا من هذه الوحدة وهذا التعدد حقيقي ؟؟ وأمثال ذلك كثير في الكتابين

وأما السؤال الرابع فجوابه اننا علمنا أنّ محمدا رسول الله وان ماجاء به وحي من

ان الله بالبراهين القطعية ومنها ما أشرنا اليه آنفا في مقالات الكرامات والخوارق، وراجع المسألة العاشرة، وقررناه بالتفصيل في مقالات سابقة . وأثبتنا آنفا من نص توارتكم وانجيلكم ان الآيات والعجائب الكونية لا تدل على النبوة وانها تصدر على أيدي الكذبة والمضلين

هذا إذا سلمنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤت الا آيات الكتاب العلمية وماكان عليه يديه من الهداية العملية وكلاهما يدل على نبوته كما تدل المؤلفات النفيسة في علم الطب والمعالجات الناجحة النافعة على ان صاحبها طبيب بخلاف عمل العجائب إذا جعل دليلا على ان صاحبه طبيب فانه لا يخدع به الا الجاهلون لأنه لاعلاقة بين معرفة الطب وبين عمل الاعجوبة . وللمسلم أن يقول ان النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتي آيات كونية كثيرة ولكنه لم يجعلها هو ولا أتباعه من بعده عمدة في الدعوة الى دينه لأن دلالة هذا النوع من الآيات أضعف ولأن خاتم النبيين جاء يخاطب العقول ويؤيد العلم ويحدد الاسباب ويبطل السحر والكهانة والعرافة والدجل ليرتقي الانسان بعلمه وعمله ولايستخذي لعبد من عبيد الله تعالى

وأما قوله تعالى « وما مَنعنا أن نرسلَ بالآياتِ إلاَّ أن كَذَّبَ بها الاوَّلون » فهو مخصوص بالآيات التي تقترحها الأمة فتعريف الآيات فيه للعهد بدليل ما رواه أحمد والنسائي والحاكم والطبراني وغيرهم في سبب نزوله وهو أن قريشاً اقترحت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا . ولايخفى أن هذه أسئلة تعنت وعناد وإلا فالآية او الآيات التي أيده الله تعالى بها لم يقدروا على معارضتها ولا نقضها . ولما طلبوا آية غير معينة كما هنا نزل قوله تعالى « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم »

وأما قول النصراني إن محمداً أخذ إنكار الصلب عن الدوستيين فهو من اللغو الذي يعرض عنه المسلم ولكننا نذكر بمناسبته خليقة من خلائق هؤلاء المعتدين من دعاة النصارى وطريقتهم في الاعتراض على القرآن وهي أنهم يقولون فيما ورد فيه عن الانبياء والأمم مما هو معروف ويعترف به أهل مذهبهم : إنه أخذه عنا وليس وحياً من الله : وفيما هو معروف عند غيرهم ولم يوافق أهواءهم : انه مأخوذ عن الطائفة الفلانية الكاذبة الضالة المبتدعة وليس وحياً : وفيما لا يعرف عندهم ولا عند غيرهم كالأمور التي جهل تاريخها واندرست رسومها : إنه غير صحيح ولا وحي لأنه لا يعرفه احد : ولايخلو الكلام

فى الأمم من هذه الأقسام والنبي الأمي لم يتعلم من احد مذاهب الامم وآراء الفرق المختلفة لأنه لم يكن في بلاده من يعرفها ولانه لم يكن يعرف غير لغة قومه الأميين الجاهلين ولأنه لم يوافق طائفة في كل ماتقول وتدين بل اتبع الوحي المنزل عليه من الله والله علام الغيوب

وان لنا في هذا المقام تنبيهاً آخر وهو أن اعتداء هؤلاء المعتدين على الاسلام وتصدينا للردّ على أباطيلهم عقبة في طريق الدعوة الى الاتفاق وإزالة الضغن والشقاق والتعاون على عمارة البلاد فان المسلمين يعلمون أن هؤلاء الطاعنين في الاسلام مستأجرون من قبل الجمعيات الدينية لتشكيك عامة المسلمين في دينهم وإهانة كتابهم ونبيهم وأن هذه الجمعيات تنفق على دعاتها في كل سنة أكثر من ثلاثة ملايين جنيه لأجل هذا الغرض ونتيجة هذا ان النصارى بمجموعهم لايمكن أن يرضوا عن الأمه الاسلاميه حتى تتبع ملتهم فالذنب في كل عداوة وشقاق على النصارى دون المسلمين

وأما ردنا عليهم وتصدينا لبيان أباطيلهم فلاينبغي أن يكون له تأثير سيء في النصارى لأنه دفاع لا اعتداء فان ردالشبهات الواردة على الدين فريضة دينية على جميع المسلمين اذا لم يقم بها أحد كانوا جميعاً عصاة لله تعالى فاسقين عن أمره فنحن ندفع الحرج عن نفسنا وعن جميع المسلمين في هذه البلاد بحكم الاعتقاد المالك لروحنا والمتصرف في إرادتنا وهم ليسوا كذلك ، ومن البلاء أن هؤلاء الطاعنين لايؤثر فيهم البرهان لأنهم لايطلبون الحق وانما يطلبون المال فاذا استطعنا إسكات غيرهم ممن يكتب لمنفعة شخصه فلا يتيسر لنا اسكاتهم لأن منفعتهم الشخصية مرتبطة بهذا الطعن ولذلك نضطر الى الرد عليهم دائماً عملا بالواجب المحتم علينا في الدين فلا يلومنا عقلاء النصارى الذين عرفوا مضرة التعصب الذميم بل يجب عليهم أن يساعدونا عليهم بخطئتهم في سيرهم . وان كانوا راضين منهم فهم أنصارهم وأولياؤهم والله وليّ المؤمنين

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

معجزات نبينا عليه السلام : (س) علي افندي مهيب بتفتيش عموم التلغرافات بمصر : أرجوا أن تبينوا لنا كل المعجزات الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غير القرآن الشريف لأن الناس في اختلاف كثير فيما جاء عن معجزاته عليه الصلاة والسلام وسيكون قولكم هوالفصل في هذا الموضوع جزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا :

(ج) ان آيات النبوة أعم من المعجزات فمن آيات نبوته بشائر الأنبياء السابقين

وهي لاتسمى معجزات وان في مكتبة الفاتكان برومية إنجيلا مكتوبا بالقلم الحميري قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وفيه هـذه العبارة بحروفها « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ثم ان معجزة القرآن تتضمن معجزات كثيرة كما علم من مباحث المنار السابقة وسنبين ذلك في الأمالي الدينية والرد على شبهات النصارى. والظاهر انكم تسألون عن المعجزات الكونية لاالعامية والادبية وهذه كثيرة جداً ومستفيضة ولكنها لم تجعل عمدة في الدعوة الى الاسلام وطريق اثباته للحكمة التي بيناها في مقالات متعددة آخرها المقالتان الثامنة والتاسعة من الكرامات والخوارق وأوضحها مقالة (الآيات البينات على صدق النبوات) في المجلد الرابع ولهـذا لم يعتن بنقلها الصحابة والتابعون لتنقل عنهم بالتواتر وانما اشتهرت ثم تواترت من بعدهم وتنتهي اسانيدها الى أفراد منهم فنقلها شبيه بنقل معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام من حيث استفاضت على ألسنة المتأخرين ولم تؤثر الاعن أفراد من أهل القرن الأول . إلا أن نقل معجزات نبينا الكونية أضبط وأصح من نقل معجزات المسيح (عليهما السلام) لأن لها أسانيد متصلة اشخاصها معروفون إذ وضع لهم كتب مخصوصة في تاريخهم ولذلك ترى المحدثين يقولون ان سند هـذه المعجزة صحيح وسند هـذه ضعيف وهذه ثابتة وهذه مكذوبة أو واهية لأن في سندها فلانا الذى كان يكذب في بعض الأحيان ، أو فلان الذي كان كثير النسيان ، وليس للنصارى مثل هذه الاسانيد المتصلة:

أما استقصاء ما كان سنده صحيحا أو حسنا وما كان مختلفاً فيه لترجيح أحد الوجهين فليس جواب السؤال بمحل له على أنه غير ضروري ويتوقف على مراجعة جميع ما نقل باسانيده وتاريخ رجالها وهو كثير جداً حتى ان بعض المتأخرين ألف في المعجزات كتاباً يدخل في ثمان مئة صفحة ونيف

ومن المروي في الصحيحين خبر انشقاق القمر روياه كغيرهم عن جماعة من الصحابة ودفع العلماء ما اعترض به من ان ذلك لو وقع لعرفه أهل الآفاق ونقلوه بالتواتر وان لم يذكروا سببه بأنه كان لحظة وقت نوم الناس وغفلتهم وأن القمر لايرى في جميع الأقطار في وقت واحد لاختلاف المطالع وان بعض المشركين لما قالوا : هذا سحر ابن أبي كبشة فانتظروا السفار : وانتظروهم جاؤا فأخبروا بأنهم رأوا القمر من ليلتهم تلك قد انشق ثم التأم وبانه يجوز ان يكون رآه غيرهم وأخبر به فكذبه من أخبرهم أو خشي أن يكذبوه فلم يخبر وليس بضروري ان يراه فى تلك اللحظة

علماء الفلك على قلتهم في الجهة التي رؤي فيها • ولكنني لا أذكر ان أحداً أجاب عن كون هذه المعجزة كانت مقترحة مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يعط الآيات المقترحة لانها سبب نزول العذاب بالأمم اذا لم يؤمنوا • وقد روي أن انشقاق القمر كان بطلب كفار قريش ولا أذكر لهم أيضاً جمعاً بين آية «اقتربت الساعة وانشق القمر» وآية «وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون» ولا بد من تأويل إحداهما وقد أول بعضهم الأولى فقط وليس هذا المقام مقام التطويل في هذه المباحث

ومن المعجزات الواردة في الصحيح ايضا إطعامه عليه السلام النفر القليل من الطعام القليل جداً رواه الشيخان وغيرهما من حديث جابر ومن حديث انس وقد وقع ذلك مرات كثيرة • ومنها نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم حتى كفى الجيش وقد تكرر هذا ايضاً وبعض رواياته فى الصحيحين • وقالوا إن هذه المعجزة اعظم من انفجار الماء من الحجر على يد موسى عليه السلام فان من شأن المياه ان تنبع من الاحجار • ومنها الاخبار بالغيوب في وقائع كثيرة جداً وبعضها في الصحيحين وغيرهما كقوله • ويح عمار تقتله الفئة الباغية » قال السيوطي في الخصائص هذا متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر وقد قتلته فئة معاوية عند خروجها على امير المؤمنين عليه السلام ولما ذكر لهم الحديث لم ينكروه لان منهم من كان يرويه قبل هذه الفتنة كعمرو بن العاص وإنما اولوه بتأويل سخيف فقالوا : انما قتله من اخرجه : ويلزم من هذا ان يكون النبي عليه الصلاة والسلام هو القاتل لعمه حمزة ولسائر اصحابه الذين دافعوا معه عن الدين • وتروى هذه الحجة عن امير المؤمنين كرم الله وجهه

ومن اللطائف في هذا الباب ماروا ابن سعد في الطبقات من طريق عمارة ابن خزيمة بن ثابت قال : شهد خزيمة الجمل وهو لايسل سيفاً وشهد صفين وقال أنا لا أضل أبداً حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تقتله الفئة الباغية » قال فلما قتل عمار قال خزيمة قد بانت لي الضلالة ثم اقترب فقاتل حتى قتل :

ومن قبيل حديث عمار قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن عليه السلام « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني عن أبي بكرة عن الحسن . ومع

هذا قد بحث بعضهم في سماع أبي بكرة عن الحسن لأن بعض المحدثين أنكره والصحيح أنه سمع والمثبت مقدم على النافي

ومنها حنين الجذع الذي كان يخطب عليه رواه البخاري وغيره وقال التاج السبكي إنه متواتر كانشقاق القمر روي عن نحو عشرين صحابياً من طرق صحيحة وتفصيل الوقائع التي كانت فيها هذه الآيات يطول فليطلب من مواضعه . ومنها إبراء كثير من من العاهات والأمراض باللمس او التفل . ولو أردنا أن نذكر طعن المحدثين في بعض أسانيد المعجزات التي لم تصح — كقول ابن كثير في حديث إحياء البنت الميتة" انه منكر جداً وقول ابن الجوزي في حديث نطق الحمار انه موضوع وقول المزني في حديث نطق الضب لايصح اسناداً ولا متناً الخ — لكانت عبرة للموافق والمخالف في تحري المسلمين وتثبتهم في نقل معجزات نبيهم فليأتنا المخالفون بضبط كهذا الضبط وأسانيد كهذه الاسانيد فيما يروون عن رسلهم ومقدسيهم ثم ليتبجحوا على عامتنا بعجائبهم وغرائبهم . وفرق اكبر من هذا بيننا وبينهم وهو انهم اذا عجزوا عن اثبات عجائبهم لايبقى لهم شيء ونحن عندنا آيات الله الكبرى — القرآن والعلم الأعلى من الأمي وما يتبع ذلك وبهذا القدر كفاية

القسم العمومي

﴿ الدولة العلية وماليتها ﴾

(بقلم المؤرخ العثماني صاحب التوقيع الرمزي)

إن بالمال قوام الدول وعزها وقد كثر الكلام في إصلاح الدولة العلية ماكان منه وما يجب ان يكون وأكثر المتكلمين في ذلك على جهل بحقيقة الحال فرأينا ان نكتب في مالية الدولة وأحوالها كتابا نستقي مسائله من الموارد الرسمية

لا يظن ظان ان الخلل في مالية الدولة حديث بل هو قديم يصعد تاريخه الى اواسط حكم السلطان عبد العزيز وانما زاد في الأدوار الأخيرة الإسراف والترف من جهة وسوء سلوك المستخدمين تحصيل الاموال من جهة أخرى فسرى داء الخلل في سائر فروع الحكومة حتى استعصى الداء وعز الدواء . وأضحت الخزينة العثمانية يضرب بها المثل في الإفلاس، وصارت تؤخر دفع رواتب المستخدمين أشهرا متصلة فكان لذلك ضرر عظيم حتى على سياسة السلطنة اذ لو كانت الحكومة تدفع رواتب المستخدمين في أوقاتها كباقي

الحكومات المنظمة لما كان الظلم وصل الى هذا الحد ولما كان ظهر هذا التألم العام والشكوى من الحكومة وأعمالها ولما كان للاجانب منفذ للتداخل في شؤن الدولة الداخلية • ويا ليتهم يتداخلون لمصلحة جميع رعايا الدولة بدون تفريق بين الملل والاجناس • انما يتداخلون انتصاراً لفئة دون أخرى • فاذا كان المستخدم لايقبض راتبه في السنة سوي شهرين أو ثلاثة شهور فلا بد ان يظلم العباد لسلب أموالهم حتى يسد رمقه ورمق عياله وأولاده • على ان أكثر صغار المستخدمين في الحكومة العثمانية هم من أفقر الناس لايملكون شروى نقير سوي الراتب الرسمي الذي تجده قليلا جداً بالنسبة الى الوظيفة •

وكثيراً مانسمع بأن الحكومة ألفت لجنة لإيجاد طريقة تعطى بها الرواتب لأربابها وبعد ان تعقد تلك اللجنة بضع جلسات وتنشر بعض شذرات عن أعمالها في الجرائد يختفي أثرها ولا نعود نسمع لها ذكراً حتى تنقضي شهور فتزف الجرائد حينئذ الينا بشرى تأليف لجنة أخرى بناء على إرادة سنية ولم نر حتى الآن نتيجة لتلك اللجان الكثيرة العدد •

تقسم دواوين الحكومة من حيث دفع لرواتب في عاصمة الدولة الى ثلاثة أقسام قسم تعطي رواتب مستخدميه كل شهر بصورة منتظمة مثل نظارة البوستة والتلغراف وأمانة الرسومات (الجمارك) وما يتبعها من الفروع ونظارة الدفتر الخاقاني وصندوق الدين العثماني والبنك الزراعي ولهذا السبب يتهافت طلاب الاستخدام على الدواوين المذكورة تهافت الجياع على القصاع •

وقسم يقبض ثمانية أو تسعة شهور في السنة ومن هذا القسم وزارة المعارف ووزارة العدلية « الحقانية » وامانة الشهر « مشيخة المدينة » •

والقسم الثالث لايقبض الا أربعة شهور أو أقل مثل وزارة المالية والخارجية والداخلية • ويستثنى من هذه مصلحة النفوس ذات الريع لأنها تدخل في القسم الاول • وشورى الدولة ونظارة الضبطية ومستخدمي المابين الهمايوني، ووزارتي البحرية والحربية وهذه الاخيرة هي أسوأ حالا من جميع الوزارات لكثرة المطالب عليها واتساع نفقاتها وكثرة عدد الضباط العظام

اما حالة المالية في الولايات فهي أسوأ منها بالعاصمة لأن الولاة يضطرون الى امتثال الأوامر التي تصدر دائماً من الاستانة قاضية بارسال كل ماجمع عندهم من الدراهم قليلا كان أو كثيراً الى الاستانة واذا لم يتمكن الوالي من سرعة الامتثال يأتيه التوبيخ

وراء التوبيخ حتى يعزل من وظيفته شر عزلة . فلذا ترى الولاة يتسابقون الى إرسال الدراهم الى العاصمة ولايبقون عندهم لدفع الرواتب أوللمشروعات المفيدة شيئاً

وقدكانت الحكومة في السنين الأخيرة اتخذت طريقة زعمت أنها ترضي الناس فما كان منها اُتساع دائرة الخلل اتساعا عظيماً واشتداد الأزمة المالية وهذه الطريقة هي إرضاء كل من يشكو أويتألم من شيء أوينتسب الى أحد العظماء بوظيفة عضو في إحدى المجالس أوبإعطائه راتباً كبيراً يقبضه وهو جالس في منزله والإنعام بالرتب ذات الرواتب الكبيرة جزافاً بدون تفريق بين المستحق وغير المستحق . والجدول الآتي المستخرج من سجلات الحكومة العثمانية الرسمية لسنة ١٢١٨ هجرية يظهر صدق مانقول .

﴿ شورى الدولة ﴾

هذا المجلس ينقسم الى ثلاثة فروع : الأول دائرة الملكية والثاني دائرة التنظيمات والثالث دائرة المحاكمات .

ودائرة المحاكمات هذه تنقسم الى محاكم ابتدائية واستئنافية ويحاكم فيهما أكابر المستخدمين الذين يرتكبون مايحط بقدر وظيفتهم أويخل بمواد القانون

وكان الأعضاء فى مجالس شورى الدولة الثلاثة قبلاً لايتجاوزون الاربعين أماالآن فإن عددهم يزيد على مئة وخمسين بينهم ٧ برتبة وزير و ٢٥ برتبة بالا وواحد برتبة صدر روم ايلي وواحد برتبة صدر أناطولي و ٢٠ برتبة أولى من الصنف الأول و ١٢ برتبة روم ايلي بكلربكي و ٢٠ برتبة أولى من الصنف الثاني والباقون من أصحاب رتبة المتمايز فما دونها . ولايخفى أن عضو شورى الدولة الذي هو أعظم مجالس الدولة الحائز لرتبة وزير أوبالا أو روم ايلي بكلربكي لايمكن أن يكون راتبه أقل من مائة وخمسين جنيهاً في الشهر وليس بين أعضاء هذا المجلس من يقبض أقل من عشرين جنيهاً في الشهر فاذا فرضنا لكل عضو في المجلس « ومنهم أصحاب الرتب السامية وهم الاكثرون » ٤٠ جنيهاً شهرياً يكون المجموع ٦٠٠٠ جنيه . هذا أقل مايمكن تصوره للاعضاء ويزيد عليه رواتب المستخدمين من الرؤساء والكتاب وغيرهم

(وزارة المعارف)

يوجد في وزارة المعارف مجلسان يقال لأحدهما مجلس المعارف والآخر يسمى « أنجمن تفتيش » وكان هذا قبل أن تعطى الوظائف جزافاً يتألف من بضعة أعضاء مقتدرين ذوي اهلية واستعداد لإدارة معارف السلطنة بخلاف ماترى عليه

أعضاءهما الآن ولا نخوض غمار هذا الباب لأنه ليس من خصائص رسالتنا هذه وربما عدنا اليه في رسالة أخرى .

أعضاء المجلسين اليوم هم خمسة وستون ماعدا الرؤساء وكتبة أقلامهما وراتب كل منهم لا يقل عن ١٥ ج ولا يزيد عن ٥٠ ج في الشهر فاذا فرضنا الكل منهم ١٠ جنيهات يكون المجموع ٦٥٠ ج شهريا . ولا يدخل في هذا الحساب رواتب الكتبة والرؤساء

والمدارس التابعة لوزارة المعارف كثيرة جداً وأغلبها مجانية وهذا هو سبب الإقبال عليها . ويوجد في الاستانة وحدها ٤٢ مدرسة تتبع الوزارة المذكورة منها ست عالية وهي المكتب الملكي ومكتب الحقوق ومكتب الطب الملكي ودار الشفقة ودار المعلمين ومدرسة الفنون الجميلة وخمس تجهيزية واحدة منهن خاصة بالتجارة . وللبنات ثلاث عشرة مدرسة واحدة منها عالية وهي مدرسة المعلمات وثلاث للصنائع وتسع ابتدائية

أما مدرسة الصنائع للذكور فإنها تتبع ديوان الأشغال كما ان كثيراً من المدارس عالية وتجهيزية وابتدائية تتبع ديوان المعارف العسكري التابع لوزارة الحرب وسيجيء بيانه في الكلام على الوزارة المذكورة . ولهذه الوزارة في أغلب عواصم الولايات وبعض حواضر الألوية « اللواء في الولايات كالمديرية في مصر » مدرسة تجهيزية — ماعدا بعض الولايات الأسيوية — ومدارس ابتدائية وأما مراكز القضاء فقلما يوجد فيها مدارس

والتعليم في المملكة العثمانية إجباري قانونا لا عملا وكل من لا يعلم ابنه أو بنته يعاقب حسب المادة الواردة في نظام المدارس فيجب والحالة هذه على الدولة ان تعتني اعتناء تاماً بإدارة هذه المدارس المهمل أمرها وتختار لها أساتذة مقتدرين ذوي كفاءة تامة وتحور بروجراماتها وتجعلها على أساس متين كمدارس أوربا مع العناية بالعلوم الدينية والعقائد وتنفذ أحكام القانون القاضي باجبار الناس على تعليم أولادهم وتنشيء مدارس ابتدائية في كل مركز قضاء ومدارس تجهيزية في حواضر الالوية وتكثر من مدارس الصنائع والتجارة في عواصم الولايات ولا بأس من فرض مبلغ جزئي على كل تلميذ نظير أجرة التعليم ليساعد على نفقات المعارف .

ولهذه الوزارة حصة معلومة من أعشار الدولة قدرها اثنان في المئة غير ايراداتها الخاصة بها . فلو انفقت هذه الاموال في الوجوه الموضوعة لها لعادت على الامة بالنفع العظيم (لها بقية) (العثماني)

« م . ق »

آثار علمية ادبية

« كتاب من صديق الى صديق فى هذه الديار ، يصف له فيه حال بعض الاقطار »

سيدي الاخ اذا تذكرت مصر فلاأذكرها الابك ، واذا جنحت اليها فلا أجنح الااليك ، قلبي يهواك ولساني يذكرك لأنك مطالب الروح ومبتغى النفس • فان كرمك وحلمك وفضلك وعلمك ونبلك وفخرك - تلك نياشين المجد - جعلت لك سناء يخطف أبصار عشاق الخلال الكاملة وان لم يروك فمابالك مولاي وأناذاك الذي ملكك قلبه على بينة بعد درس جدك ونشاطك وعزمك وحزمك وعفتك ونزاهتك وغيرتك على دينك وشدتك في الحق ونزوعك الى نصرته — خلال تفوق عدد رمال الدهناء ، وتربو على نجوم السماء ، فكيف أتبين منك هذه الخلال العظيمة واستطيع مع البعد سلوا

هذا واني بين قوم تتعالي نفوسهم عن الحق ، وتتجافى جنوبهم عن مضاجع الصدق ، لاهم ماتوا فاستراحوا ، ولاهم انتبهوا فاراحوا ، غشيهم طائف من الجهل جعلهم يتخبطون في بعضهم بعض (١) كالذي يتخبطه الشيطان من المس حتى اضطررت ان أعتصم بحبل العزلة وانزوي في ركن بيتي على خلاف عادتي التي تعرفها • استقذر والله مخاطبة واحد من هؤلاء القوم لماهم عليه من الغباوة الزائدة والجهل المطبق والحمق الشديد والعياذ بالله تعالى

فلا بلاهة المصري ولا غباوة السوري ولا استبداد التركي ولا جهل الاعجمي (٢) ولا غطرسة الافغاني بأشد على نفوس العقلاء من تمخرق هؤلاء • • • (٣) فان أولئك القوم مع ماهم عليه قد نجب فيهم أحرار أبرار يفرد واحدهم بأمة كاملة فحيا الله بلاداً وسقيا لها ورعيا تنجب أمثال عبده وعثمان (٤) والكواكبي ورفيق ورشيد وكمال ومدحت

---

(١) كان الصواب أن يقول : يتخبط بعضهم في بعض : (٢) يريد بالاعجمي العجمي وهو من جنسه العجم ويراد منهم الفرس وأما الأعجمي فهو نسبة من الى الاعجم وهو من لا يفصح في القول وان كان عربيا وينسب الى نفسه مبالغة • وظاهر ان هذه الاوصاف لا تنطبق كلها على الموصوفين بها (٣) ورد : مخرق الرجل : أي موه وكذب واختلف في أصالته في العربية ولم أجد تمخرق ولكنه مستعمل في الكلام العرفي الذي قلما تخلو منه الرسائل الشخصية الآن (٤) ظاهر انه يعني بعبده الاستاذ الامام واما عثمان فهو الدكتور عثمان بك غالب العالم الطبيعي المشهور . وقد فصل بين المضاف والمضاف اليه بالعطف على العامل في الثاني

وعالي وفؤاد والباب وقرة العين وجمال الدين • وسحقا لأمة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠(١)

مولاي: لا يستطيع القلم ان يصف لك ولو شيئاً قليلا مما رزئت به هذه البلاد من نكد الطالع وجهل بأمر وطيش حلم وافن رأي بهذه الورقة الصغيرة ولكن لا أظنه يخل عليك ببيان رؤس منها ومنها تعلم البقية

(لنا علماء) ولكنهم جاهلون متكبرون متغابنون متغابون وهم آلهتنا (يريد أنهم عبّدوا الناس باستعلائهم) حديثهم بطونهم وتدقيقاتهم ومباحثهم خاصة بعجائب التكايا وكرامات القبور وعلمهم كعلم آلهة الاشوريين لا يزيد ولا ينقص ولا يجدد ولا ينعدم وهو محصور في تصريف أكل يأكل أكلا !!! وفي إعراب هذه الجملة: ليت لي قنطاراً من الذهب فأحجّ به: وهو عندهم من تمني مالا طمع فيه أو ما فيه عسر وفي اكتشاف متعلق الجار والمجرور في إعراب البسملة وفي فرض وجه للحكم في عدة زوج الممسوخ هل تعتد عدة طلاق أو عدة وفاة وفي جواز تزوج الجني بالانسية والانسي بالجنية أو عدمه وفي اختراع نكت في التفسير في معنى تفاخر فرعون بجريان الانهار من تحته في حكاية القرآن فغاصت أفكارهم في النهر ولم يوقف لهم فيه على أثر !!

اذا قلت لهم ان هذه أوهام في أوهام زمجروا واستكبروا، ومزقوا ثيابهم وطمبروا. (٢) وصخبوا ونعبوا. وبكوا وانتحبوا. وقالوا: هذا آخر الزمان: ووشوا عنك انك كافر، لا تؤمن باليوم الآخر، واستعانوا عليك بخلطاء العامة فيسكتونك اما طوعا واما كرها — طوعا اذا وثقت بعجزك عنهم وكرها اذا وثقوا بقدرتك عليهم فاستعملوا معك سلطة الحكومة (٣) التي لا يخل بها عليهم الدخلاء، وربما كان ذلك من مقتضى سياستهم لأنهم لا يودون أن يتبصر الناس ولا أن يرفعوا رؤسهم من شبكة الاستبداد • وهناك يحكم القضاء، ويجري البلاء، وأين الصابرون الذين يوفوز أجرهم بغير حساب ؟

(لنا حكام) ولكنهم أميون جبناء متخاذلون، إرادتهم شريعة قاهرة، وحكمهم سلطان نافذ، لا رادّ لقولهم، ولا ممانع لحكمهم، فالحاكم منهم يجمع في شخصه ثلاث سلطات فهو مشرع منفذ مراقب كأنه المسيح عند النصارى يجمع في شخصه ثلاثة أقانيم • استغفر الله، من

---

(١) ذكرهنا حادثه رأينا السكوت عنها على فظاعتها إخفاء لتلك الامة

(٢) لا أعرف هذه الكلمة الا في كلام العامة ومعناها انتفخوا (٣) كان ينبغي ان يقول فاستعانوا عليك بسلطة الحكومة

أين للمسيح المقهور أن ينال سلطة من السلطتين الاخيرتين ولو نالها لتمكن بها على الأول من تخفيف وطأة أكابروس اليهود ٠ آه ! دعني أنفث الآهات حتي يفرغ الصدر فان الناس عندنا أرقاء ، وأسواق المحاكم اسواق الاسترقاق، فلاقانون يزع، ولامسؤلية تردع حكامنا اماقضاةشرعيون وإما حكام سياسيون ٠ فالقضاة الشرعيون يتولون الخطة بعد دراسة تلك الكتب القديمة التى أخنى عليها الذي أخنى على لبد فيعطي أحدهم راتبا قليلا فيمديده بسائق الضروة الى الرشوة ويستعمل الغبن في وظيفته ويجور ويعبد الدرهم والدينار لايكتفي بأحدهما فلا يمرّ عليه زمن قليل حتى تتعدد مركباته بعدد أنواعها وتكثر قصوره بعدمواقعها ويكثر خدمه وحشمه وعبيده وجواريه فلاالخديوي في مركبه ، ولاالسلطان في موكبه ، بأعظم من قاض شرعي في بلادنا اذاتمشى في الاسواق أودخل المحكمة ٠ هذا والعامة والخاصة !!! يعتقدون أنهم سجادة الرسول وشرع المصطفى وأن مايحكمون به في الارض يبرم في السماء واذا تظلم منهم مظلوم تقوم على رأسه القيامة وتأتي عليه الآخرة بعذابها ٠ أولئك يشيعون أنه مارق من الدين لايرضى بالشرع ولايقبل حكم الله فيه فتكفره العامة وأنت أدرى بعاقبة هذا التكفير ٠ على أن أهل الحل والعقد لايجدونه نفعاً (١) ابتغاء مرضاة القضاة حتى يفشو الاختلال في الشريعة وتأنف الأمة من نفسها التقاضي لدى حكامها وتطلب استبدال الشريعة بالقانون (٢)

وليس رجال محاكمنا الأهلية بأقل خطرا على الأمة من قضاة الشريعة لأن مصدر تربيتهم واحدة ٠٠٠٠ فأعمالهم بالطبع تكون متقاربة متشابهة ولا يكون هناك فرق بينهم اللهم الا في الشكل فان القاضي الشرعي يتردى بأردية الإهمال والكسل ، والآخر يلبس لبوس النشاط والعمل ؛ وهذه غاية الفرق بينهم

أما الأحكام فالقاضي الشرعي يرجع فيها الى قواعد مشتتة متضاربة متخالفة يطبقها على القضايا بحسب ماراه والقاضي الأهلي يعتمد فيها العادات والاصطلاحات التي جرت عليها السياسة السالفة بدون أن يكون لديه قانون يرجع اليه ، أو دستور يعوّل عليه ، فالطريقة الأولى كسيت صبغة الشرع اسما ، وهذه أعطيت لقب القانون رسما ، وفي الواقع لاشرع ولا قانون

(أحداثنا) هم مطمح آمالنا وزهرة حياتنا وهم ينقسمون الى قسمين قسم عامة وهم لاكلام عليهم ٠ وقسم خاصة وعددهم لايزيد على ربع ! عشر ! تسع ! ثمن !

---

(١) المعروف « مايجدي عنه » (٢) الصواب: استبدال القانون بالشريعة : اي جعل القانون بدلا عنها وهذا مما يغلط فيه أكثر الكتاب تبعا للجرائد

سدس ! خمس ! معشار الأربعين من مجموع الأمة ٠ وهم ينقسمون على أنفسهم الى قسمين — قسم تربى في المعهد الديني ٠٠٠ وأهل هذا القسم عبارة عن مختصر أزهري فهذا أيضاً لاكلام عليه ٠ بقي الكلام على القسم الثاني وهو المراد من قولنا : أحداثنا هم مطمح آمالنا : فان هذا القسم مع قلة عدده وضعف مدده ليس بكامل التربيـة — هذا ان لم نقل انه لاتربية له — لأنه لم يتعلم شيئاً يرقي ذهنـه عن أفراد قومه وغاية مالقنه من التربية قشور عارية عن اللبّ كدرس اللغة الأجنبية ومبادي تقويم البلدان وقواعد من الطبيعة وشيئاً من الحساب وكل ذلك لايخرج عن درس الاشياء التي يتلقاها تلامذة المدارس الابتدائية في البلاد المتمدنة ولاحظ له من تعلم اللغة العربية مطاقاً حتى يعرف أن لديه لغة وافرة المواد كثيرة المصادر لديها من ألفاظ موسعات العلوم مايكفى لتلقيح نهضة جديدة اذا أفرغت في قوالبها الحقائق المكتشفة ، والاختراعات المتجددة ، وعلى فرض وجود من درس هذه اللغة فان معلوماته لم تتجاوز الحلقة الضيقة من التعليم الابتدائي فضلا عن الثنوي والعالي فهل معرفته لها والحالة هذه تجدي نفعاً ؟

فهذا القسم الذي نظن فيه خيراً ونعلق عليه آمالا هو من العامة ولا شك (وأيّ نفع من العامة) وان ضرره أكبر من نفعه ٠ ماظنك بشابّ دخل المدرسة ولايدري أبواه مايتعلمه فيها وماسيكون من أمره نخرج منها متعوّداً التأنق في الملبس والمأكل والمشرب وحب الرياضة مع العوانس والأبكار والجلوس في المحلات العمومية للمقامرة والتسلي بالمشروبات الغوليـة وذلك بلاريب يستلزم كثرة الاموال واتساع نطاق المكاسب فان كان غنياً بعثر المال واستنزف الدينار استنزافا ، وان كان فقـيراً أهراق ماء الحياء وعبث بشرفه واستهان بناموسه وراء دريهمات يسد بها حاجات تربيته الجديدة الناقصة ؟ ومن يهن عليه العبث بشرف نفسه فشرف أمته لديه أهون ولا شك

هذا ولا يعزب عنك ان هذه المفقدات لجامعة الأمة والمحللات لعناصرها اذا كانت تدفعها يد ماهرة كيد الدخـلاء فإنها تلم بها من طرق مجهولة كثيرة الشعاب وخطرها متوقع لامحالة ٠ وهذه الأخطار الحافة بهؤلاء القوم المساكين ليست بنت زمن ولا منشأ سبب بل هي نتيجة اشتركت في ترتيب مقدماتها الأزمان والأسـباب وصعب على عاجز مثلي أن يفهم هؤلاء القوم خطر موقفهم مادامت النفس غير قابلة والقلوب واهنة والبصائر مطموسة والحواس مغشوشة وثائرة الجهل قائمـة ٠ فعبثا أحاول إصلاح مافسد من أخلاقهـم وتجديد ما اخلولق من خلائقهم

مايجدى الإصلاح في قوم يعتقدون ان كل كلمة طيبه « هرتقة » ، وكل كلمة حادة زندقة ، وكل خلق جديد كفر ، وكل سعى الى الأمام ، خطوة من خطوات الشيطان ، ماذا يجدى الإصلاح في قوم ينتظرون خروج الدابة وقيام الدجال وظهور المهدي ونزول المسيح وطلوع الشمس من مغربها ونفخة إسرافيل وهذه اشراط الساعة والساعة لاتقوم الاعلى شرار الخلق ؟ ماذا يجدي الإصلاح في قوم خلقوا أشراراً فجاراً فساقاً ضلالاً كتب الله عليهم أن يكونوا عاثين في الارض مفسدين في السماء ؟ لإ نشاء دولة وتكوين أمة أهون على نفوس العانين بالإصلاح من إصلاح أمة من الإسلام

عفواً يامولاي فاني قد أطلت عليك وحملتك هما على همك وزدتك غماً على غمك فلا تلمني فصدري ضاق على اتساعه وحمل هموماً ناءت أمة كاملة بحملها فكيف يستطيع حملها ذلك الشكل الصنوبري ؟ فسل لأخيك قرب المخرج من هذه الديار . . . فان العيش على شوك السيال في منقطع العمران لأهون علي من معاشرة قومي، ماتنكر شخص قومه كما تنكرتهم ومايئس ساع لرشد كما يئست . قوم لو حاولت ان أحصي لك العقلاء فيهم لما أكملت شناتر اليد عداً . أليس هذا من بواعث اليأس ، ودواعي البأس ،؟ اهـ المراد منه

[المنار] هذا كتاب رجل كنا نصفه أيام كان بيننا بأ كثر مما وصف به نفسه من سعة الصدر . كنا نصفه بأنه لو تفطرت السموات وانشقت الأرض وخرت الجبال هدًّا لما بالى ولا اهتم وهاهو يشكو هذه الشكوى المرة من حال بلاده . أليس في هذا عبر لمن يعقل ، أليس دالا على الفرق بين هذه البلاد وغيرها فأين شكر النعمة من المنعم عليهم وأين الاعتبار بالبلاء ممن حل بهم ، وقد ختم الكتاب بأن الرأي الوحيد في تحريك أذهان قومه نشر المجلات والجرائد النافعة والكتب المفيدة نجح الله مقاصده وهيأ له من المصطفين الأخيار من يشد عضده

باب الأخبار والآراء

﴿ الدولة العلية والحرب ﴾

تستعد الدولة العلية للحرب لأن الفتنة في بلادها لا تزال تزداد وقد كنا في خوف عظيم من روسيا حتى أعطتنا الجوائب الأوربية بعض الاطمئنان من جهة

روسيا نفسها ومن جهة الدول العظمى . أما روسيا فقد قررت ترك منشوريا بسبب العسر المالي والمعسر لا يضرم ناراً للحرب مختاراً لاسيما اذا كان خصمه من أقرانه في ميادين الكفاح . وأما أوربا فإننا نرى انكلترا تتقرب من فرنسا وفرنسا تتقبل تقربها بقبول حسن ولا نرى سبباً لزيارة ملك الانكليز للجمهورية الفرنسية الا إقناعها بعدم إعانة روسيا على حرب تركيا بل عدم اجازتها على الحرب لما في ذلك من الخطر العظيم على أوربا كلها . اما الحركات العسكرية التي تجريها روسيا فليست اكبر مما يعتاد في ايام السلم من الاستعداد والتمرين ولله في غيبه شؤن

فاذا كان استمرار بغاة مكدونية على بغيهم وتماديهم في ثورتهم اتكالا على البلغار والصرب فلا خطر على الدولة من ذلك وهي قادرة على تدويخهم وان لم تستفد من ذلك شيئاً لما علمناه من تعصب اوربا عليها واتفاق الدول الكبرى على منع المسلمين من الانتفاع من النصارى او التسلط عليهم ولو بحق . والناس يوجسون خيفة من تألب الالبانيين وخروجهم لعدم الرضى بمطالب أوربا وروسيا والنمسا تلحان على الدولة بوجوب كبحهم واخضاعهم دون المكدونيين لأنهم مسلمون . ولعل حكمة مولانا السلطان تكفي الدولة مغبتهم بالتي هي أحسن

﴿ ثورة مراكش ﴾

لا يزال أمر الخارج على سلطان مراكش في استفحال وقد طمع في الملك وتجرأ على خطاب بعض الدول بالاعتراف بكونه السلطان الرسمي لمراكش ويقال انه سيزحف على فاس وهذه عواقب الجهل والاهمال . وسننشر في جزء تال شروط الصلح بين صاحب مراكش ولويس السادس عشر ملك فرنسا ليعلم من لم يقرأ التاريخ ان عهد مراكش بالعزة والقوة غير بعيد

﴿ فرنسا والجزائر ﴾

كنا كتبنا مقالة عنوانها (فرنسا والاسلام) نصحنا فيها لهذه الدولة العظيمة بأن تعامل مسلمي مستعمراتها بالحسنى لتملك قلوبهم وتأمن غائلتهم . ونحن نعلم ان فرنسا لم تكن مرتاحة الى تلك المعاملة القاسية التي كانت تعامل بها مسلمي الجزائر ولكنها كانت ترى أنها هي الطريقة المتعينة وانه يجوز أن يظهر لها خير منها . وفي هذه الايام قد زار الجزائر رئيس الجمهورية وبشر الاهلين بأن هذه الزيارة مبدأ معاملة جديدة مرضية وبالغ في استمالة القلوب وطلب الائتلاف ولولا العزم على حسن الفعل لما

صدر عنه مثل هذا القول وما جزاء الاحسان الا الاحسان

﴿ المدرسة القضائية في السودان ﴾

علمنا ان حكومة السودان قد قررت إنشاء مدرسة لتخريج القضاة الشرعيين واشترطت في تلامذتها ان يكونوا قبل الدخول فيها معروفين بالاستمساك بالدين تخلقا وعملا وان يكونوا عارفين ما تجب معرفته من العقائد الاسلامية والعبادات وصاحبي إلمام بأحكام المعاملات • ومدة الدراسة أربع سنين والعلوم التي تعلم فيها هي الخط الاملاء الحساب الهندسة تقويم البلدان التجويد والتوحيد والمنطق والحديث والتفسير والفقه وأصوله والنحو والصرف والبلاغة والإنشاء وتاريخ الاسلام والآداب الدينية وحكمة التشريع والتمرينات القضائية والتوثيقات ونظام المحاكم ومما يدرس فيها كتاب احياء العلوم وكتاب حجة الله البالغة

واننا نتمنى لو يبادر أولياء الامر في مصر الى مثل هذا العمل الذي كنا اقترحناه على مشيخة الازهر من نحو أربع سنين فان داء المحاكم الشرعية في مصر لايمكن برؤه الا بتربية القضاة تربية تؤهلهم للقيام بأعبائه كما صرح به اللورد كرومر في تقريره وكما يعلمه كل عاقل بصير • وهذه الدولة العلية لها مدرسة مخصوصة لتخريج القضاة (مكتب النواب) وهي غير مدرسة الحقوق • فالواجب على أولى الأمر في مصر العمل بما كنا اقترحناه من انتخاب طائفة من نابغي الازهر يعلمون فيه التعليم القضائي ليكونوا قضاة فان كان هنالك مانع من تعصب المشيخة فالمتعين إنشاء مدرسة مخصوصة لذلك

واننا لنتنسم من حكومة السودان أنها ستحيي الاسلام في تلك الاقطار وتقيم أحكامه فإن هي فعلت فلا شك أنها تملك جميع ما بقي مستقلا من الممالك السودانية لأن المسلمين في تلك الاقطار شديدو التمسك بدينهم والتعصب له كأهل الجزائر فاذا قيدوا به سلسوا للانقياد ، والا أصروا على العدوان والعناد • وان لدينا نبأ من تقرير قاضي قضاة السودان عن المحاكم الشرعية يبشر بسير حسن وعاقبة حميدة ونية للحكومة سليمة وسننشره في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾

ضاق هذا الجزء عن باب التقريظ ومنه تتمة الكلام في انتقاد رسالة الشيخ محمد بخيت ولدينا انتقاد على عبارة فى التفسير وموعدنا فى ذلك الجزء الآتى إن شاء الله تعالى

« كلمة شكر وثناء »

ورد في الحديث الشريف « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » واذا كانت الامور تقدر بقدرها فالواجب أن يكون الشكر على قدر النعمة فالمنة الواحدة تشكر بلسان واحد والمنن الكثيرة يجب أن تشكر بالسنة كثيرة لهذا أعلن شكري هذا في أشهر الجرائد والمجلات ليرددها عني كل لسان ويعرفها لمستحقها كل انسان

خرجت في هذه السنة سنة ١٣٢٠ حاجاً الى بيت الله الحرام وزيارة حرم المصطفى عليه الصلاة والسلام فلما جئت جدة باب الحرم الشريف حرسه الله لقيت فيها صاحب الدولة والاقبال والي ولاية الحجاز وقومندانها الباور السلطاني الاكرم السيد احمد راتب باشا فاكرم وفادتي وأحسن لقائي واتخذني ضيفاً عنده خرجت معه من جدة الى مكة المشرفة برفاقي وحاشيتي فهُيئ لنا بأمره بيت الشريف حسين بن يحيى بأثاثه ورياشه وآنيته وماعونه وخدمه وأضاف الى الخدم بعض العسكر يرأسهم يوزباشى فنزلنا منزلا مباركاً كان عيشنا فيه برعاية دولة الوالي رغداً

ثم اننا خرجنا في صحبته الى عرفة وافضنا معه بعد الوقوف الى مزدلفة ثم الى منى وعدنا جميعاً الى مكة وقضينا ما قضينا فيها من الايام ونحن كل يوم في صنوف من الرعاية والاكرام حتى صرنا أسرى احسانه وعاجزين عن تفصيله وبيانه

اذا شكرنا لدولة الوالي هذه العناية بنا والرعاية لنا مرة فاننا نشكر له عنايته بجميع الحجاج الكرام ألف مرة فقد مهد لهم طريق الراحة وسهل لهم أداء المناسك وجعل البلاد المقدسة في أمن واطمئنان حتى انطق جمع الالسن بلغاتها المختلفة بالدعاء لسيدنا ومولانا وخليفتنا أمير المؤمنين وخادم الحرمين الشريفين أيد الله دولته وانفذ شوكته فهو يلاحظ أمور حفظ الأمن وراحة الحجاج بنفسه ولا يكل أمرها الى غيره وما ينبغي الآن حصر مناقبه ولا عد فضائله

وانني اعترف بان لا مزية لهذا العاجز تؤهله لما صادفه من عنايته العظيمة الا أن يكون ما عُرفنا به من الاخلاص التام لسيدنا ومولانا السلطان الاعظم حتى انه أيده الله بالملائكة انعم علينا غير مرة بما لا نستحقه من الرتب والاوسمة فنسأل الله تعالى أن ينصره نصراً عزيزاً وأن يكثر في دولته العلية من رجال الصدق والهمة مثل دولة والي الحجاز الهمام انه سميع مجيب الدعاء

محمد عبد الوهاب
شيخ دارين

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر يوم الاربعاء غرة صفر سنة ١٣٢١ — ٣ مايو (نيسان) سنة ٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر ﴾

« واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون * ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين »

أطمع الله تعالى بالآية السابقة بني اسرائيل فى رحمته بعد ماقرعهم بالنذر التى تكاد توقع اليأس في قلوبهم وبين لهم ولسائر الناس ان المنفذ الى هذا الطمع بل الباب الذى يؤدي الى هذا الرجاء هو الجمع بين الامرين اللذين بعث لتقريرهما الانبياء عليهم السلام وهما الايمان الصحيح اليقيني والعمل الصالح. وإشراك غير بني اسرائيل فى هذا الحكم لا يقضي

بانتهاء السياق بل لا يزال الكلام فى بني اسرائيل ولذلك عقب ذلك الاطماع بالتذكير ببعض الوقائع التى استحقوا فيها العقوبة فحالت دون وقوعها الرحمة فقال « واذ أخذنا ميثاقكم » وهو العهد الذى أخذه عليهم وتقدم الكلام فيه . وأما قوله « ورفعنا فوقكم الطور » فقد ذكر المفسرون فى تفسيره قصة وهي ان الله تعالى ظلل بني اسرائيل بالطور وهو الجبل المعروف وخوفهم برفعه فوقهم ليذعنوا ويؤمنوا . ثم اعترض بعضهم بأنه إكراه على الايمان وإلجاء اليه وذلك ينافي التكليف وأجيب بأجوبة منها ان ما يفعل بالاكراه يعود اختياريا بعد زوال ما به الاكراه ومنها ان مثل هذا الالجاء والاكراه كان جائزا في الامم السابقة ويريد من قال هذا أن نفى الاكراه فى الدين خاص بالاسلام لقوله تعالى « لا اكراه فى الدين » وقوله « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »

قال الاستاذ الامام : لا حاجة لنا فى فهم كتاب الله الى غير مايدل عليه بأسلوبه الفصيح فهو لا يحتاج فى فهمه الى إضافات ولا ملحقات وقد ذكر لنا مسألة رفع الطور فوق بني اسرائيل ولم يقل انه أراد بذلك الاكراه على الايمان وانما حكى عنهم فى آية أخرى انهم ظنوا أنه واقع بهم والمفهوم من أخذ الميثاق أنهم قبلوا الايمان وعاهدوا موسى عليه . فرفع الطور وظنهم أنه واقع بهم من الآيات التى رأوها بعد أخذ الميثاق كان لأجل أخذ ماأوتوه من الكتاب بقوة واجتهاد لأن رؤية الآيات تقوى الايمان ، وتحرك الشعور والوجدان ، ولذلك خاطبهم عند رؤية تلك الآية بقوله « خذوا ما آتيناكم بقوة » أى تمسكوا به واعملوا بجد ونشاط لايلابس نفوسكم فيه ضعف ولا يصحبها وهن ولا وهم

ثم قال « واذكروا ما فيه » بالمحافظة على العمل به فان العمل هو الذي يجعل العلم راسخاً فى النفس مستقرا عندها . ويؤثر عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه انه قال « يهتف العلم بالعمل ، فان أجابه والا ارتحل » : وذلك ان العلم انما يحضر فى النفس مجملا غير سالم من إبهام وغموض فاذا برز للوجود بالعمل صار تفصيليا جليا ، ثم ينقلب النظري منه بالتكرار والمواظبة بديهيا ضروريا ، وبذلك يثبت فلا ينسى . وأما النسيان فانه حليف الكفر وإنه ليصل بالانسان الى حد يساوي فيه من لم تسبق له معرفة بالشيء قط لأنه لا أثر له فى النفس ولا فى الظاهر . ولا فرق بين من بلغته دعوة الهداية فسلم بها وقبلها ثم ترك العمل بها حتى نسيها وبين من لم تبلغه بالمرة ومن بلغته على وجه غير مقنع فلم يؤمن - الا بما تكون الحجة به على الاول أظهر ، وكونه بالمؤاخذة أجدر ، والثاني معذور عند الجماهير ، وكذلك الثالث اذا استمر على النظر من غير تقصير ، فعلى هذا تكون منزلة الناسي هى التى تلي منزلة الجاحد المعاند . وهو خليق بأن يحشر يوم القيامة أعمى عن طريق النجاة والسعادة حتى اذا ما « قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

ان فى هذا لعبرة لقراء القرآن الذين ليس لهم منه الا التغني بألفاظه وأفئدتهم هواء لا أثر فيها للقرآن وأعمالهم لا تنطبق على ما جاء به القرآن وهذا شر نوعي النسيان وقد ضرب له الامام الغزالي مثل عبيد أقطعهم سيدهم بستانا وكلفهم باصلاحه وعمارته وكتب لهم كتابا يبين لهم كيف يسيرون فى هذا الاصلاح وكيف تكون حياتهم

فيه ووعدهم على الاحسان بمكافأة وأجر فوق ما يستفيدونه من ثمرات البستان وغلاته وتوعدهم على الاساءة فى العمل بالعقوبة الشديدة وراء ما يفوتهم من خيرات البستان وما يذوقون من مرارة سوء المعاملة فيما بينهم فكان حظهم من الكتاب تعظيم رقه وورقه والتغني بلفظه وتكرار تلاوته بدون مبالاة بالامر والنهي ولا اعتبار بالوعد والوعيد بل عاثوا فى أرض البستان مفسدين فاهلكوا الحرث والنسل . فهل يكون حظ هؤلاء من الكتاب غير انه حجة عليهم وقاطع لألسنة العذر منهم ؟؟

أمر بالذكر الذى يثبت بالعمل ووصله بذكر فائدته وهى إعداده النفس لتقوى الله تعالى فقال « لعلكم تتقون » فان المواظبة على العمل بما يرشد اليه الكتاب تطبع فى النفس ملكة مراقبة الله تعالى فتكون بها تقية نقية راضية مرضية « والعاقبة للتقوى »

وبعد أن ذكر لهم تلك الآية ، وما اتصل بها من الهداية ، ذكرهم بما كان منهم من التولى عن الطاعة والاعراض عن القبول ، ثم امتن عليهم بما عاملهم به من الفضل والرحمة ، والصفح عما يستحقونه من المؤاخذة والعقوبة ، فقال « ثم توليتم من بعد ذلك » أي من بعد أخذ الميثاق ومشاهدة الآيات التى تؤثر فى القلوب ، وتستكين لها النفوس ، « فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » أي إنكم بتوليكم استحققتم العقاب ولكن حال دون نزوله بكم فضل الله عليكم ورحمته بكم ولولا ذلك لخسرتم خير الدنيا وهو التمكن فى الارض المقدسة التى تفيض لبنا وعسلا ثم خسرتم خير الآخرة كذلك . فمن فضله وإحسانه ان وفقكم للعمل بالميثاق بعد ذلك

هكذا شايع الاستاذ الامام المفسرين على ان رفع الطور كان آية كونية أي انه انتزع من الارض وصار معلقا فوقهم فى الهواء وهذا هو المتبادر من الآية بمعونة السياق وان لم تكن ألفاظها نصا فيه اذ الرفع والارتفاع هو ان يكون الشيء رفيعا عاليا كما قال تعالى « فيها سرر مرفوعة » وقال « وفرش مرفوعة » فكل من السرر والفرش تكون مرفوعة وهي على الارض . وقوله تعالى فى آية الأعراف « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » ليس نصا أيضا فى كون الجبل رفع فى الهواء فأصل النتق فى اللغة الزعزعة والزلزلة قال فى حقيقة الاساس : نتق البعير الرحل زعزعه ونتقت الزبد أخرجته بالمخض ونتق الله الجبل رفعه مزعزعا فوقهم : والظلة كل ما أظلك سواء كان فوق رأسك أو فى جانبك وهو مرتفع له ظل فيحتمل أنهم لما كانوا بجانب الطور رأوه منتوقا أي مرتفعا مزعزعا فظنوا ان سيقع بهم وينقض عليهم . ويجوز ان ذلك كان فى أثر زلزال تزعزع له الجبل . وقد سبق القول ببطلان كون ذلك إرهابا للاكراه على قبول التوراة . واذا صح هذا التأويل فلا يكون منكر ارتفاع الجبل فى الهواء مكذبا للقرآن

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين »

أباح الله تعالى لبني اسرائيل العمل فى ستة أيام من الاسبوع وحظر عليهم العمل فى يوم واحد وهو يوم السبت وفرض عليهم فى هذا اليوم الاجتهاد فى الاعمال الدينية احياء للشعور الديني فى قلوبهم وإضعافا لشرههم فى جمع الحطام وحبهم للدنيا فتجاوز طائفة منهم حدود الله فى

السبت واعتدوها فكان جزاؤهم على ذلك جزاء من لم يرض نفسه بآداب الدين وجزاء مثله هو الخروج من محيط الكمال الانساني والرتوع فى مراتع البهيمية كالقرد فى نزواته والخنزير فى شهواته وقد سجل الله تعالى عليهم ذلك بحكم سنة الفطرة والنواميس التى أقام بها نظام الخليقة وذلك قوله عز وجل « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » روى ابن جرير عن مجاهد انه قال ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ومثل هذا قوله تعالى (وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) والخسوء هو الطرد والصغار وانما يكون للعقلاء

وفى كتب التفسير أن هؤلاء هم أهل القرية التى كانت حاضرة البحر كما فى سورة الاعراف وذهب جمهور المفسرين الى أن تلك القرية أيلة وقيل طبرية أو مدين وقالوا ان ذلك كان فى زمن داود عليه السلام والقرآن لم يعين المكان ولا الزمان والعبرة المقصودة لا تتوقف على تعيين هذه الجزئيات فالحجة فيما ذكر قائمة على بنى اسرائيل ومبينة ان مجاحدتهم ومعاندتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ليست بدعا من أمرهم . ثم انها عبرة بينة لكل من يفسق عن أمر ربه فيتخذ الهه هواه ويعيش عيشة بهيمية . وذهب الجمهور أيضا الى أن معنى « كونوا قردة » ان صورهم مسخت فكانوا قردة حقيقيين والآية ليست نصا فيه ولم يبق الا النقل وإذا صح فلا عبرة فى الآية للعصاة لأنهم يعلمون بالمشاهدة أن الله لا يمسخ كل عاص فيخرجه عن نوع الانسان اذ ليس ذلك من سنته وانما العبرة الكبرى فى العلم بأن من سنن الله تعالى فى الذين خلوا من قبل ان

من يفسق عن أمر ربه ويتنكب الصراط الذى أشرعه له ينزل عن مرتبة الانسان ويلتحق بعجماوات الحيوان . وسنة الله تعالى واحدة فهو يعامل القرون الحاضرة بمثل ماعامل به القرون الخالية ولذلك قال :

« فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » أي جعلنا هذه العقوبة نكالا وهو مايفعل بشخص ليعتبر غيره أى عبرة تنكل من يعلم بها أي تمنعه من اعتداء الحدود ومن هذه المادة (النكل) للقيد . وما بين يديها يراد به من وقعت فى زمنهم كما يراد بما خلفها من بعدهم الى ماشاء الله تعالى . وأما كونها موعظة للمتقين فهو ان المتقي يتعظ بها فى نفسه بالتباعد عن الحدود التي يخشى اعتداؤها « تلك حدود الله فلا تقربوها » ويعظ بها غيره أيضا . ولا يتم كون تلك العقوبة نكالا للمتقدمين والمتأخرين ، وموعظة للمتقين ، الا اذا كانت جارية على السنة المطردة فى تربية الامم وتهذيب الطباع وذلك ماهو معروف لاهل البصائر ، ومشهور عند عرفاء الاوائل والاواخر ،

النبأ العظيم

آثار جديدة . هدم دين أو دينين . ملك أم اله . مذهب جديد في النصرانية . قيصران ام نبيان . خطوة من اوربا . وثبة الى الاسلام . ظهور آية من آيات القرآن .

حيا الله التاريخ والمؤرخين فكم كشفا من خفايا الاكوان ، وأظهرا من خبايا الازمان ، وكم أضل الجهل بالتاريخ من إمام كبير ، وعالم نحرير ، فانحرف عن سبيل ، وأخطأ محجة تأويل ، فقد كان مثل الامام فخر الدين الرازي يتوهم ان التوراة منقولة بالتواتر ويحيل لذلك ان يكون وقع

فى ألفاظها التحريف والتبديل ويصرف الآيات الواردة فى ذلك الى التحريف المعنوي، وسبقه الى هذا الرأي مثل الحافظ البخاري قياسا على نقل المسلمين لكتابهم . وما كان ينبغي لأمثال هؤلاء أن يضعوا الأقيسة النظرية ، حيث يجب ان تكون البراهين اليقينية ، ولذلك خالفهم الاكثرون. وإننا لنسمع فى كل يوم ناعقا من دعاة النصرانية يصيح محتجا على عوام المسلمين بقول فلان وفلان من علمائهم إن التوراة التي بين الايدي سالمة من التحريف اللفظي محفوظة من التبديل . وكيف نقبل قول أحد فى أمر عندنا فيه الحكم العدل ، والقول الفصل ، وهو كتاب الله تعالى. ولسان الوجود أفصح مفسر لكتاب الله تعالى

كان علماء المسلمين يحكمون على التوراة والانجيل ولا يطلعون عليهما فلما اطلعوا سددوا وقاربوا ولكن لم يتجل حكم القرآن الا بعلم علماء أوربا وبحثهم عن آثار الاولين ، ووقوفهم على تاريخ الأقدمين ،

بين هؤلاء العلماء ان كلام التوراة فى الخليقة مخالف لما أثبته العلم فى مسائل كثيرة فقام أهل التأويل يقولون ان العلم غير الدين وإن كتب الدين اذا تكلمت عن الخليقة فانما تتكلم بما هو معروف عند الناس لانه ليس من غرضها بيان حقائق الموجودات وإنما غرضها إصلاح القلوب وهذا الكلام صحيح ولكنه ليس عذراً مقبولاً عند العلماء عن ذكر أمور مخالفة للواقع لا حاجة اليها في اصلاح القلوب . واذا سكتوا لهم على هذا فبأي تأويل يدفعون ما أظهرته الاكتشافات الاثرية من مخالفة تاريخ التوراة للآثارات التي حفظها بطن الارض للامم ؟ أم كيف يدفعون تلك القوارع التي تظهر من علماء الالمان قارعة بعد قارعة وهما

أستبان ان التوراة مقتبسة من البابليين بعد السبي حتى شرائعها وأحكامها

كتب بعض هؤلاء العلماء كتابا حديثا أودعه جداول أحصي فيها ماوقف عليه من الكلمات البابلية فى كتب العهد القديم التي يطلق على مجموعها لفظ التوراة وبين أن تلك الكلمات التي مازجت لغة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى (عليه السلام) واستنتج من مباحثه ان هذه الكتب ألفت بعد ان سبي البابليون بني اسرائيل بأزمنة مختلفة. ولعل هذا الكتاب النفيس ينقل الى العربية فى زمن قريب فان اعتداء دعاة البروتستانت قد أعد النفوس للعناية بمثل هذه الكتب فكانوا نافعين للاسلام والمسلمين، خلافا لما يتوهم بعض الغافلين،

بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبأ أخص من هذا وهو أنه وجد فى الآثار التي اكتشفت من عهد قريب فى خرائب سوس من بلاد بابل شريعة (حمورابي) او (ملكي صادق) منقوشة على عمود من صم الصفا (الصوان) فاذاهي متفقة مع شريعة التوراة فى اكثر الأحكام. فجزم الباحثون بأن الاسرائيليين قد اقتبسوا شريعتهم التي يسمونها التوراة من هذه الشريعة أيام كانوا فى أسر البابليين. وكانت النتيجة عند هؤلاء العلماء ان موسى لم يكن نبيا وشريعة قومه لم تكن وحيا!! اشتبه عليهم الباطل بالحق والحق بالباطل واننا نجلي الحقيقة فى هذا المقال بما هو لب اللباب، والعجب العجاب،

(حموربى او ملكى صادق) يقول علماء ألمانيا الأعلام كغيرهم ان حمورابي هذا هو امرافل المذكور فى الفصل الرابع عشر من سفر التكوين فى قصة لا تنطبق تماما على الاكتشافات الحديثة وهو هو (ملكي صادق)

لأن معنى هذه الكلمة العبرانية « ملك البر او ملك السلام » وهو يلقب نفسه بهذا اللقب فى شريعته المذكورة آنفا . ومما جاء فى الفصل الرابع عشر من سفر التكوين ان ملكي صادق هذا تد بارك على إبراهيم (عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام) وان إبراهيم أعطاه العشور. قال بعد ذكر محاربة ابراهيم لكدر لعومر واسترجاعه الأسرى ومنهم لوط أخوه : « ١٧ فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدر لعومر والملوك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك ١٨ وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله العلي ١٩ وباركه وقال : مبارك إبرام من الله العلي مالك السموات والارض ٢٠ ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك فى يدك : فأعطاه عشرا من كل شيء »

وقال بولس زعيم الديانة النصرانية المعروفة لهذا العهد فى آخر الفصل السادس وأول الفصل السابع من الرسالة الى العبرانيين مانصه :

« ١٩ حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائرا على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة الى الأبد ١ لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي استقبل ابراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه ٢ الذي قسم له ابراهيم عشرا من كل شيء . المترجم أولا ملك البر ثم أيضا ملك ساليم أي ملك السلام ٣ بلا أب بلا أم بلا نسب . لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله . هذا يبقى كاهنا الى الابد . ٤ ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه ابراهيم رئيس الآباء عشراً أيضا من رأس الغنائم »

هذا هو ملكي صادق بشهادة العهدين العتيق والجديد فاذا كان الله – تبارك وتعالى – يحل فى الاجسام كما يقول النصارى فمن أجدر بهذا الحلول من ملكي

صادق وهو يمتاز على المسيح بكونه من غير أم ولا أب وكونه بلا بداية ولا نهاية وهو الذي بارك ابراهيم أبا الأنبياء وهو واضع الشرائع التي اقتبست منها التوراة. والنتيجة انه بشهادة العهدين أعظم من ابراهيم وموسى وعيسى وان شئت فقل ان بولس نزهه عن البشرية ، ووصفه بأخص صفات الألوهية، والتاريخ يشهد أنه وثني أفليست هذه الكتب أيضا كتبا وثنية ؟؟

(هذه التوراة) لاخلاف ولا نزاع بين أهل الكتاب فى أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام قد فقدت . ثم وجد عندهم غيرها ونقد ثم وجد غيره . والاخبار عندهم فى ذلك معماة وطرقها مشتبهة الاعلام ، حالكة الظلام ، جاء فى الفصل الرابع والثلاثين من أخبار الايام الثاني : « ١٤ وعند إخراجهم الفضة المدخلة الى بيت الرب وجد (حلقيا) الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى ١٥ فأجاب حلقيا وقال لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرب وسلم حلقيا السفر الى شافان ١٦ فجاء شافان بالسفر الى الملك » الخ . وفى دائرة المعارف انهم ادعوا ان هذا السفر الذي وجده حلقيا هو الذي كتبه موسى (قال) ولا دليل لهم على ذلك . وأقول ان ادعاء شخص بمثل هذه الدعوى لايوثق به فانه مهما كان عادلا لايزيد خبره عن كونه مظنون الصدق محتمل الكذب

ثم ان هذه النسخة التي وجدوها قد فقدت أيضا والمعتمد عليه عندهم أخيرا هو ما كتبه عزرا كما فصلناه من قبل فى المجلد الرابع من المنار . ففي الفصل السابع من سفر عزرا مانصه : « وبعد هذه الامور فى ملك أرتحشستا ملك فارس عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا ٢ بن شلوم

ابن صادوق بن أخيطوب ٣ بن أمريا بن عزريا بن مرايوث ٤ بن زرحيا ابن عزي بن بقي ٥ ابن أبيشوع بن فينحاس بن العازار بن هرون الكاهن الراس ٦ عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل . وأعطاه الملك حسب يد الرب إلهه عليه كل سؤاله» — الى ان قال — « ٨ وجاء الى أورشليم فى الشهر الخامس فى السنة السابعة للملك ٩ لانه فى الشهر الاول ابتدأ يصعد من بابل وفى أول الشهر الخامس جاء الى أورشليم حسب يد الله الصالحة عليه ١٠ لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء » وذكر بعد هذا صورة الكتاب الذي كتبه هذا الملك لعزرا الكاهن بالاذن لبني اسرائيل بالعودة الى أورشليم معه من شاء منهم وفيه مانصه : « ٢٥ أما انت ياعزرا فحسب حكمة إلهك التي بيدك ضع حكاما وقضاة يقضون لجميع الشعب — الى ان قال — ١٦ وكل من لا يعمل شريعة الهك وشريعة الملك فليقض عليه عاجلا إما بالموت » الخ

بهذه العبارة يستدلون على ان عزرا كتب التوراة بعد فقدها وهو لايدل على زعمهم وأنى له ان يكتب التوراة كما أنزلت وقد مضت القرون عليها وهي مفقودة ولم ينقل ان أحدا حفظها كما يحفظ المسلمون القرآن فى صدورهم . نعم لايعقل ان أمة تؤتى شريعة وتعمل بها وتساس بأحكامها ثم تنساها بالترك كلها بحيث لاتحفظ منها شيئا بل المعقول ان العمل من أسباب الحفظ فالاسرائيليون وان طال عليهم أمد السبي وحكموا زمنا طويلا بغير شريعتهم لا بد أن يكون أهل الفهم والبصيرة منهم قد ظلوا يذكرون كثيرا من تلك الاحكام الالهية فلما رحمهم ارتحشستا ملك بابل

وأذن لهم بالعودة الى بلادهم وأمر كاهنهم عزرا بأن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشريعة إلههم وشريعة الملك كتب لهم عزرا هذه التوراة الحاضرة وأودعها ما كان لا يزال يحفظه من وصايا الرب وأضاف اليه ماحفظه من شريعة الملك فجاءت هذه التوراة مزيجا من الشريعتين كما تبين بالاكتشافات الجديدة . وكتب العهد العتيق التي يسمون مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام قد كتبت بعده بزمن طويل كما بيناه فى الجزء التاسع عشر من المجلد الرابع ومن ذلك ماجاء فى الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ونصه : « ٢٤ فعندما كمل موسى كتابة هذه التوراة فى كتاب الى تمامها ٢٥ أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا ٢٦ خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب » الخ

ومنه ذكر وفاة موسى فى الفصل الاخير من هذا السفر المنسوب اليه وقول كاتبه بعد ذلك « ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم » ثم قوله « ولم يقم بعد نبي فى إسرائيل مثل موسى » وهاتان الجملتان تدلان على ان هذه التوراة قد كتبت بعد موت موسى واندراس قبره بزمن طويل

وقد ذكرنا فى ذلك الجزء ان علماء بروتستانت لم يسعهم الا الاعتراف بفقد توراة موسى وان صاحب كتاب (خلاصة الادلة السنية، على صدق أصول الديانة المسيحية) صرح بفقدها وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين فى مدة ملك منسا وأمون وانه قال بعد ذلك « والامر مستحيل ان تبقي نسخة موسى الأصلية فى الوجود الى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها . والمرجح انها فقدت مع التابوت لما خرب

بختنصر الهيكل . وربما كان ذلك سبب حديث كان جاريا بين اليهود على ان الكتب المقدسة فقدت وان عزرا الكاتب الذى كان نبيا جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها وبذلك عادت الى منزلتها الأصلية » هذا نص عبارته بالحرف . وقد علمت ان ليس فى سفر عزرا ذكر نسخ ولا كتب وانما قصارى مايفهم منه ان الملك البابلي أمره بتعيين حكام لاسرائيل يحكمون بما يعرف من شريعة إلهه وشريعة الملك

ونتيجة ماتقدم كله ان أسفار التوراة الحاضرة نفسها تؤيد الاكتشافات الحديثة وانه ثبت بمجموع الأمرين ان التوراة الحاضرة ليست توراة موسى وانما فيها شيء منها لاستحالة ان تكون نسيت كلها وذلك كاف فى هدم الديانة اليهودية والديانة المسيحية المبنية على كتبها

***

(زلزال النصرانية فى أوربا) أنس النصارى واليهود بما فى كتبهم من الدلائل على عدم الثقة بنقل التوراة والانجيل وكابروا أنفسهم والناس بدعوى تواترهما مع ان شرط التواتر ان ينتهي سند الرواة الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب لكثرتهم الى من جاء بالكتاب كأن ينتهي تواتر التوراة الى موسى نفسه لا الى عزرا الذي لا يعلم أحد من أين جاء بما جاء به هل هو من البابليين أم هو مزيج مما حفظ عن أجداده واقتبس عن ساداته البابليين . ولكن القيامة اليوم قائمة فى أوربا لاكتشاف شريعة حموربي (ملكي صادق) وبيان انها توافق هذه التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة فى تاريخها لأنهم لم يروا مجالا فى هذا للمكابرة

والموارنة . وقد حكم العلماء بأن ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) هو الذي حمل نسخة هذه الشريعة من بابل الى فلسطين عند قدومه اليها وأن موسى (عليه الصلاة والسلام) قد اقتبس منها كل مارآه يصلح لسياسة بني اسرائيل كما اقتبس بعض ذلك من الشريعة المصرية التي تربى فى بيت ملكها وبذلك تكون هذه الشريعة التي يفتخر اليهود والنصارى بأنها إلهية مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت اليه من الله (حاشاه حاشاه)

خطب العلامة اللاهوتي الأثري (دليتش) أحد أعضاء (جمعية الشرق) فى هذا الموضوع خطبة مطولة فى برلين حضرها قيصر الألمان والقيصرة وجماهير العلماء والكبراء وقال فى خطبته على رؤس الاشهاد إن شرائع التوراة منقولة عن الشرائع البابلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك أنه لاحاجة الى دين وراء وجدان الخير المغروس فى الفطرة وذلك أنه ختم الخطابة بقوله : إننا نضع أيدينا على قلوبنا ولا نحتاج الى وحي غير الوحي الذي يصدر عنها :

قرع هذا العالم النصرانية بهذه القارعة فى ذلك الملأ العظيم فتزلزلت هي ولم تزلزل مكانته من نفوس القوم وان كان فيهم من استاء منه لأن تقاليد الدين مطبوعة فى وجدانه فهو يأنس بانطباعها ، ويتألم لانتزاعها ، أو لأن السياسة تقضي بالمحافظة على الدين وان زلزله العقل ، وزعزعه النقل ، فقد نقلت الجرائد أنه بعد خطابه جلس الى القيصر والقيصرة يحادثهما ويحادثانه بكل طلاقة وقبول . وقد عجب بعض الناس أن رأوا غليوم الثاني الذي أقام أوربا وأقعدها ثم دعها الى محاربة الصين دعا أن

أهانت بعض دعاة الدين يلاطف عالما لاهوتيا أثريا بعد ان قضى على هذا الدين القضاء المبرم . ولا عجب فان الدين عند هذا القيصر وأمثاله من آلات السياسة ولا يصح ان تكون السياسة عدوة للعلم الذي هو أقوى آلاتها

***

المذهب الجديد : بعد هذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب مرة أخرى ثم أعمل رأيه فى المسألة فلاح لذهنه الوقاد ان يضع للنصرانية مذهبا جديدا يستبقي به كونها آلة سياسية تنتفع بها أوربا فى مقاومة الشرق ويقطع به لسان العلم عن المحاجة والمجادلة فكتب الى صديقه الاميرال (هولمن) كتابا يقول فيه ماتعريبه باختصار قليل جدا :

« ان الاستاذ دليتش دخل مع القيصرة والوكيل العام (درياندر) فى بحث استمر عدة ساعات وما كنت أنا الا من السامعين . ومن سوء الحظ ان الاستاذ انتقل من البحث التاريخي فى المسائل الدستورية الى مسائل دينية لامحل لها فلبثت مصغيا حتى اذاما انتهى الى الخوض فى العهد الجديد عرفت رأيه فانه قال فى مخلصنا أقوالا شاذة مناقضة لما أرى وأعتقد . ذلك أنه لايعتقد بلاهوت المسيح ويرى ان ليس فى التوراة شيء من الوحي والنبوة عن يسوع بأنه المسيح

« فهنا يفنى الاستاذ دليتش المؤرخ الاثري فى الاستاذ دليتش اللاهوتي فيبقى هذا اللاهوتي ماثلا بما فيه من النور والظلام معا . وإني أنصح له بأن يخطو فى هذه السبيل خطوة بعد خطوة لائذا بجانب التأني والحذر وأن يختص بهذه الآراء الدينية رصفاءه اللاهوتيين

ويودعها كتبهم وأن يكفينا الخارجين عن هذه الدائرة مثلنا مؤنة البحث فى هذه المسائل ولا سيما (جمعية الشرق) التي لم تنشأ لتكون ندوة للبحث فى جميع الآراء وإنما نبعثر الارض (١) ونقرأ ما كتب على الآثار المستخرجة منها لمساعدة العلم والتاريخ لا لتأييد الآراء الدينية أو تفنيدها.

وياليت دليتش لم يتجاوز فى هذا العام الحد الذي وقف عنده في العام الماضي وهو الاستدلال بما تستخرجه جمعيتنا من الآثار الشرقية على ما كان للمدنية البابلية القديمة من التأثير فى مدنية الاسرائيليين لنعرف العادات والأخلاق والشرائع التي أخذوها من البابليين ونرى هل يوجد فيها ما يزكي البابليين مما تصفهم به التوراة من الأوصاف التي لا شك فى كونها شنيعة وغير عادلة. هذا هو حد شوطه الاول وكان غرضه منه كبيرا يجب علينا ان نشكره له ولكنه من سوء الحظ قد تجاوزه فى هذه المرة

« ولو أنه شرح المسألة وترك للسامعين استخراج النتائج الدينية منها لنالت خطبته استحسان جميع السامعين ولكنه طفق يناقش فى مسألة الوحي فأنكرها بالجملة والتفصيل ثم ظن أنه قادر على إثبات كون أصلها بشريا محضا فارتكب خطأ عظيما بما دمر على النفس (٢) فى باطنها وعبث بهيكلها المقدس فى غير واحد من سامعيه الذين تختلف عقولهم باختلاف طبقاتهم. وسواء كان مخطئا أو مصيبا فى الواقع ونفس

(١) بعثر الشيء استخرجه فكشفه و بعثره أثار ما فيه وهو استخراج نحو المدفون والخفي وإظهاره لمعرفة حقيقته ومنه قوله تعالى (واذا القبور بعثرت) (٢) دمر دخل بدون استئذان وما مصدرية

الامر فانه قد نكس فى نفوس كثيرين أنفس الصور والاعتقادات المقدسة عندهم وزلزل أساس إيمانهم ان لم نقل إنه نسفه فى اليم نسفا. وهذا عمل لا يجسر عليه الا أصحاب القرائح الملتهبة والعقول الكبيرة

(أقيصران أم نبيان) « أما الوحي فهو فى اعتقادي الذي كاشفتك به أنت وغيرك من قبل نوعان أحدهما تاريخي وهو مستمر لا ينقطع وثانيهما ديني خاص وكان تمهيدا لمجيء المسيح . أما الوحي الأول فهو أن الله يظهر دائما فى الجنس البشري الذي هو خليقته وصنيعته فانه نفخ فى الانسان من روحه أعني منحه شيئا من ذاته (٣) إذ أعطاه نفسا حية. وهو يراقب نمو الجنس البشري بعناية الاب ليحسن أحواله فيظهر تارة فى رجل عظيم هنا وتارة في رجل آخر هناك سواء كان ذلك الرجل كاهنا أو ملكا وسواء كان بين الوثنيين أو اليهود أو النصارى (٤) وقد كان (حموربي) من هؤلاء الرجال كما كان موسى وابراهيم وهوميروس وشارلمان ولوثر وشكسبير وجوت وقنت والامبراطور غليوم الكبير. فان الله اختار هؤلاء ورآهم أهلا لأن يعملوا بحسب إرادته أعمالا عظيمة دائمة خدمة لأممهم سواء كان ذلك العمل روحانيا أو عالميا. وكثيراً ما كان جدي يقول إنه لم يكن الا آلة بيد الله . ولا شك فى أن ظهور الله تعالى فى الاشخاص يكون على حسب استعداد أممهم ودرجتها فى الحضارة ولا يزال يظهر هذا الظهور حتى فى عصرنا هذا (كأنه

(٣) يتوهم أهل الحلول مثل هذا وهو منشأ وثنيتهم وذات الله تعالى لاتجزأ وإنما هى عنايته يمنحها من شاء من عباده (٤) انظر كيف لم يعد المسلمين أمة منفردة وما كان ذلك جهلا ولكنه التعصب

يومئ الى انه ظهر فيه الآن كما ظهر في جده من قبل)

« أما النوع الثاني من الوحي وهو الديني الروحاني الخالص فقد ابتدأ من زمن إبراهيم ببطء وحكمة ولولاه لقضي على النوع البشري . وقد نما وتسلسل نسل إبراهيم على الاعتقاد باله واحد وقد حفظته عناية الله تعالى بحفظه هذا الايمان حتى ختم هذا الوحي وانتهى بظهور المسيح الذى كان أعظم مظهر لله تعالى فى هذا العالم . ذلك ان الله ظهر يومئذ فى شخص الابن بصورة بشرية (تعالى الله عن هذه الوثنية) وهو مخلصنا الذي يملأنا حماسة ويدعونا الى اتباعه واننا لنشعر بناره تأجج فى احشائنا وبرحمته تعزينا . واننا باتباع وصاياه نقتحم كل شيء لانبالي بالتعب ولا بالازدراء ولا بالحزن ولا بالفقر ولا بالموت لأننا واثقون بالنصر لسماعنا منه الوحي الالهي الذي يصدق دائما

« هذا هو رأيي فى المسألة فان (الكلمة) عندنا معشر البروتستنت بمنزلة كل شيء وذلك بفضل (لوثر) علينا . وكان على (دليتش) أن لا ينسى ما كان يعلمنا إياه لوثرنا العظيم وهو : « يجب عليكم ان تبقوا على الكلمة »

« ومن البديهي عندي أن التوراة تحتوي على عدة فصول تاريخية وهي من البشر لا من وحي الله . ومن ذلك الفصل الذى ورد فيه ان الله أعطى موسى على جبل سيناء شريعة بني اسرائيل . فانني أعتقد انه لا يمكن اعتبار تلك الشريعة موحى بها من الله الا اعتبارا شعريا رمزيا لان موسى قد نقل تلك الشرائع عن شرائع أقدم منها على الارجح وربما كان أصلها مأخوذا من شرائع (حموربي) ويوشك ان يجد المؤرخ اتصالا بين شرائع حمورابي صاحب ابراهيم الخليل وبين شرائع بني إسرائيل باللفظ

والفحوى وذلك لا يمنع قطعيا من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني إسرائيل بواسطته • وإنني استنتج مما تقدم ما يأتي

«١» إنني أومن بإله واحد «٢» إننا معاشر الرجال نحتاج في معرفة هذا الاله الى شيء يمثل إرادته وأولادنا أشد احتياجا منا الى ذلك «٣» ان الشيء الذي يمثل ارادة الله عندنا هو التوراة التي وصلت الينا بالتقليد . واذا فندت الاكتشافات الأثرية بعض رواياتها وذهبت بشيء من رونق تاريخ الشعب المختار ـ شعب اسرائيل ـ فلا ضير في ذلك لأن روح التوراة يبقى سليما مهما طرأ على ظاهرها من الاعتلال والاختلال وهذا الروح هو الله وأعماله .

« إن الدين لم يكن من محدثات العلم فيختلف باختلاف العلم والتاريخ وإنما هو فيضان من قلب الانسان ووجدانه بما له من الصلة بالله .هذا وإنني مع الشكر والثناء أظل دائما صديقك المخلص

غليوم

امبراطور وملك

(المنار) هذا هو كتاب عظيم الألمان وهو على ما فيه من التمويه والمواربة والتعارض والتناقض والميل مع ريح السياسة يدل على فهم ثاقب وفكرة وقادة وينبيء عن بعد غور . ومجمل ما يقال فيه إنه مذهب جديد أو دين جديد . ويظهر ان هذا القيصر يعتقد أو يدعي بأن الله «جل وعلا» قد ظهر فيه كما ظهر في جده غليوم الاول فكانا نبيين أرسل أحدهما لتكوين الوحدة الألمانية وثانيهما لحفظ مجدها وإطلاع كوكب سعدها. وقد غمط حق من كان أحق منه ومن جده بهذا الظهور الالهي المدعى

وهو البرنس بسمرك الذي كان آلة فى يد الله وكان جده «غليوم الاول» آلة بيده . ولئن غمط حق بسمرك فقد غمط حق من هو أعظم منه ومن ابراهيم وموسى وعيسى وهو «محمد» عليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام فهو الذي جاء عن الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى أعمالا لم يسبق مايقاربها لغيره ولن يلحقه بما يقاربها غيره فشريعته أعدل من شريعة التوراة ولا يمكن ان يوجد اكتشاف يظهر أنها مستفادة من شريعة أخرى والوحدة التي كونها بنفسه أحوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التي كونها بسمرك وغليوم الاول لأن تفرق قبائل العرب وشعوبها كان أشد ولم يكن عندهم من العلوم والمعارف والمدنية التي تقرب بعضهم من بعض مثلما كان عند الولايات الجرمانية . ثم ان الوحدة العربية قد استتبعت من الفتوحات ونشر العلم والمدنية فى الممالك مالم يكن مثله أو مايقاربه للوحدة الألمانية على أن تبريز هذه الامة فى العلوم غير مجهول ولكن الفرق بين الامتين أن ظهور هذه كان فى عصر العلوم والاكتشافات والاختراعات وظهور تلك كان فى بداوة وجاهلية وأمة أمية . فأيهما كان بالأسباب العادية ، وأيهما كان بمحض العناية الالهية ، ؟؟

***

فى كتاب (الحكم العدل فى الكلام . وخطوة أوربا أو وثبتها الى الاسلام) : القيصر أفلاذ من الذهب النضار ، وفيه كثير من الحصا وقطع الفخار ، وقد كاد يصل بذكائه الى الحق ولكن بقي دونه حجاب نكشفه بعد بيان نتائج كتابه وهي :

(١) ان للعالم إلها واحداً يدبره بقدرته ، ويخص بعض العباد بمزيد معونته ،

(٢) ان البشر فى حاجة شديدة الى معرفة الله تعالى بأن يكون بينهم وبينه عهد وصلة ليعرفوا بذلك مايريد بهم وما يرضاه منهم

(٣) ان الله تعالى قد وهب البشر هذه الحاجة بالوحي الديني

(٤) ان حقيقة الوحي هي ظهور الله تعالى فى البشر بأن ينفخ فيهم من روحه أي يعطيهم شيئا من ذاته وهو قسمين ديني محض وغير ديني محض

هذه أربع نتائج عامة كلها مستفادة من كلامه وهي صحيحة الا الاخيرة منها فانه قارب فيها الحق ولكنه لم يصل اليه . والصواب ان فاطر السموات والارض لاتتجزأ ذاته وان البشر ـ وان كانوا مكرمين ومفضلين على كثير من المخلوقات ـ لايخرجون عن كونهم جندا صغيرا من جنوده التي لاتحصى . فليس من العقل ولا من الحكمة أن نغتر بأنفسنا حتى نحصر الذات الالهية فى أفراد منا دون هذا العالم الكبير الذى تعد أرضنا كتلة صغيرة منه وجميع مافيها من الأحياء كالذرات الصغيرة التي نراها تعيش فى كتلة من هذه الارض

ولكن هذا العالم العظيم الذى يدهش الواقفين على بعض أسراره بنظامه وإحكامه لم يكن هذا النظام العام فيه بفعل هذه الاجسام التي نعرفها بحواسنا ولكن الله تعالى بث فيه عالما روحانيا غير منظور جعله علة لهذا الاحكام والنظام . وقد لمحت عقول البشر هذا العالم فى طور وثنيتهم فسموه عالم الآلهة وزعموا أن لكل أمر عام إلها خاصا يدبره . ولكن الانبياء سموه عالم الملائكة . وقولهم هو الحق لانهم عرفوا ذلك بالوحي .

والوحي عبارة عن اتصال روح النبي بروح من هذه الارواح واستفادته نوعا من العلم منه

الروح الذى يفيض العلم على الانبياء يسمى بلسان الدين الروح الامين وروح القدس وعبر عن اتصاله بروح النبي لافادة العلم بلفظ النزول قال تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك » وقال « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا » وأما العلم الذى يستفيدونه من هذا الوحي فأهمه معرفة الله تعالى على الوجه الصحيح ومعرفة الحياة الآخرة ويلي ذلك بيان الاعمال النفسية والبدنية التي تؤيد هذا الاعتقاد وتقويه وترقي النفس الانسانية . والفرق بين علم الانبياء الذى يسمى وحيا وبين علم هو ميروس وشارلمان ولوثر وشكسبير وبسمرك وغليوم الاول وغليوم الثاني وأمثالهم أن علم الانبياء لم يكن مكتسبا وانما كان يقع لهم بواسطة الروح الذى ينزل على قلوبهم وأن موضوعه ماذكرنا من أمر الايمان وحفظ الصلة بين العبد وربه . وأما علم أولئك الملوك والشعراء فقد كان كسبيا وموضوعه ليس متعينا فهو خيالات وتصورات وحكايات وسياسات منها الحق والباطل ، ومنها الحالي والعاطل ، ولا معنى للقول بأن كل نابغ فى شيء من الاشياء يسمى نبيا وعلمه وعمله وحيا الا اذا أردنا ان نجعل الوحي أمرا عاديا كما يقول الذين انكروا الوحي فى أوربا لسقوط ثقتهم بالكتب المنسوبة للانبياء . والقيصر أرقى عقلا أن يقول بذلك وما قلناه قريب من قوله ولعله لو وقف عليه لقال به

وأما النتائج الجزئية فى كلامه فهي :

(١) ان الوحي الديني الروحاني المحض قد بدئ بابراهيم وانتهى بالمسيح

(٢) ان ظهور الله فى المسيح كان أعظم ظهور له فى هذا العالم

(٣) ان اتباع وصاياه كافية لاقتحام كل شيء ثقة بالنصر

(٤) ان مافى التوراة من التاريخ والشرائع والاحكام بشري مستفاد من البشر وليس وحيا من الله ولا يمنع ذلك كون موسى نبيا

(٥) انه ليس عندنا شيء نتخذه عهدا بيننا وبين الله تعالى نعرف به مراده بنا وما يرضاه لنا الا هذه التوراة . وان مافيها من الكذب على الله تعالى بنسبة الشرائع اليه ومن الكذب فى التاريخ المقدس لايحول دون ذلك !!!

وهذه النتائج كلها غير صحيحة فان التوحيد قد عرف عند الامم قبل إبراهيم وبعث قبله أنبياء دعوا الى مثل مادعا اليه هو والانبياء من ذريته ولكنهم انقرضوا وعفت آثارهم ، وإن ظهور الله - عنايته ووحيه - فى المسيح كان دون ظهوره فى موسى فانه كان متبعا شريعته مع إصلاح قليل ولذلك قال « ماجئت لانقض الناموس » وان ظهوره فى محمد كان أعظم من ظهوره فى إبراهيم وموسى والمسيح فمن دونهم من البشر لانه هو الذى صدق عليه وحده القول المأثور عن المسيح عليه السلام :

« ١٢ إن لي أمورا كثيرة أيضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن ١٣ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لايتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ١٤ ذاك يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم » (١٦ يو)

فقد صرح بأن الناس لم يكونوا مستعدين فى ذلك العصر لمعرفة كل الحقائق الدينية . وقد علم محمد الناس جميع الحق فى العقائد المبنية

على البرهان والعبادات المؤثرة فى الروح والاخلاق المبنية على الاعتدال والاحكام المبنية على العدل . وأسس دينا هو وان ضعف زعماؤه أرسخ الاديان وأقواها ، وشريعة هي وان قل أنصارها اعدل الشرائع واعلاها ، وامة كانت باتباعه أعز الامم وأنماها ، نعم انها الآن مريضة ولكنها ستبل إبلالا ، وتعود لها السيادة الاولى ان شاء الله تعالى ،

هذه اشارة الى بطلان النتيجة الاولى والثانية . وأما الثالثة فبطلانها أظهر لان هذا القيصر وأمته أبعد الناس عن وصايا المسيح التي تدور على الزهد المطلق والذل وترك الانتصار للنفس ولو اتبعوا وصايا الانجيل لضربتهم فرنسا عن الخد الايمن (الالزاس) فأداروا لها الخد الايسر (اللورين) ......

وأما الرابعة فقد جمعت بين النقيضين وهما كون موسى يدعي أن شريعته وحي من الله وما هي بوحي من الله وإنما نقلها عن شرائع الامم الوثنية وكونه مع ذلك نبيا موحى اليه من الله !! ولا ندري ماهو هذا الوحي المبهم اذا لم تكن الشريعة وحيا ؟ ثم لا ندري ماهو الدليل على هذا الوحي . هذا رأي يمكن ان يقبل في حيز السياسة لا فى حيز الدين، ويمكن ان يقال باللسان ، ولا يمكن ان يستقر فى الجنان ،

ومن العجائب أن البابا وافق على رأي قيصر الالمان فى كون شريعة التوراة وتاريخها من وضع البشر لامن وحي الله كما جاء فى بعض الصحف . ولكن ماذا يصنع البابا اذا لم يجد منفذا لدفع الشبهة ولا طريقة لحل الاشكال ؟ ماذا يصنع وقد أقنعه بذلك العلم والاكتشافات التي لايكاد يخفى عليه شيء منها وهو فى الدرجة العليا علما وعقلا وسياسة ؟ لعله لايوجد فى الارض من هو

أحرص من البابا ومن غليوم الثاني على المحافظة على التوراة وتقديسها ولا من هو مثلهما علما وعقلا وقد أعياهما حل هذا الاشكال مع طول باعهما وسعة اطلاعهما وكثرة أتباعهما من العلماء والحكماء .

***

(آية جديدة للقرآن) وإن تعجب فأعجب العجائب أن القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا قد نطق بما أثبته العلم وأيدته الاكتشافات فى هذا العصر وحل هذا الاشكال حلا لا بد ان يرجع اليه جميع العلماء فى وقت قريب . وهذه معجزة ظاهرة ، أو نبوة باهرة — كما يقولون — ولا غرو فالقرآن لا تنتهي عجائبه ، ولا تفنى غرائبه ، وهو حجة الله على العالمين ، منذ أنزل الى يوم الدين ،

حكم القرآن بأن بني اسرائيل نسوا حظا من الوحي الذي ذكرهم الله تعالى به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام وحفظوا حظا آخر وقع فيه شيء من التحريف والكذب . قال تعالى (فى سورة آل عمران ٢٢): « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » وقال (فى سورة النساء ٤٣) « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ٤٤ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » الخ وقال بعد آيات « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » (آية ٤٩) وقال تعالى (فى سورة المائدة ١٤) بعد ذكر أخذ الميثاق على بني

اسرائيل : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين »

وهذا الحكم هو المعقول وإنما ظهر صدقه وكونه معقولا فى هذا العصر فصح قول المسلمين فى القرآن « لا تنقضي عجائبه ، ولا تتناهى غرائبه » فياله من معجزة تفيض بالمعجزات الكبيرة ، وياله آية بينة تنطوي على آيات كثيرة ، أنى لأمي نبت فى أرض جاهلية ، وتربى فى أمة أمية ، أن يحكم على شريعة كانت أم الشرائع ، وتاريخ أمة كانت أشرف الأمم ، حكما لم يعرف عن علماء الشرائع والقوانين ، ولا عن مدوني القصص والتواريخ ، فيحز فى المفصل ، ويقول القول الفصل ، ويأتي بكلمتين ثنتين لا تبلغ مساحتهما فى الكتابة سطرا واحدا — « فنسوا حظا مما ذكروا به » « أوتوا نصيبا من الكتاب » — تتمخض الأيام والسنون ، وتمر الأجيال والقرون ، ثم لا تظهر حقيقة تأويلهما الا بعد أن تنبث دفائن الارضين ، وتستخرج منها آثار الغابرين ، ليتم قول الكتاب أيضا « ولتعلمن نبأه بعد حين » وقوله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » أفلا يتأملون فى قوله للنبي الامي الذي أنزل عليه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » فلام الشك والارتياب ، وقد ظهرت آياته لاولي الالباب ، ؟؟

بهذا الحل يتبرأ موسى عليه السلام من شبهة الكذب على الله تعالى

وتتبرأ شريعته من شبهة الاقتباس من الشرائع البشرية لأن هذه الشريعة لو كانت موجودة بالنص الذي كتبه موسى عن الوحي الالهي لظهر الفرق بينها وبين شريعة (حمورابي) وتبين ان المشابهة بينهما قليلة لا تصلح شبهة على اقتباس المتأخرة من المتقدمة. على أن التوافق بين الشرائع فى بعض المسائل أمر طبيعي سواء كانت سماوية أو بشرية أو بعضها سماوي وبعضها بشري لان الوفاق فى الطبائع وحال الاجتماع يقضي بالوفاق فى الاحكام. ومازالت تتوارد خواطر العلماء والشعراء على بعد الدار، واختلاف الأعصار، واذا كنا لا نرى دليلا أو أمارة على أن أحدهما أخذ عن الآخر فلا يجوز لنا ان نحكم بهذا الأخذ. والدليل على ان التوراة الحاضرة قد اقتبس بعضها من البابليين واضح مما فى سفر عزرا ومما أظهرته الاكتشافات. ويدل سفر عزرا وغيره أيضا على مايقضي به العقل من عدم نسيان بني اسرائيل شريعة الرب بالمرة فتعين ان يكون الحاضر مزيجا. فقد اتفق فى المسألة العقل ونقل كتب العهد العتيق والتاريخ والآثار على تصديق القرآن فى حكمه على بني إسرائيل وشريعتهم

فعلى عظيم الألمان ومقدس الكاثوليك (البابا) ان يرجعا الى حكم الله تعالى فى المسألة فهو أفضل من حكمهما الذي يزيل ثقة جميع النصارى بالوحي وكتبه ويجعلهم إباحيين مفسدين للعمران. وليعلم الزعيمان العظيمان ان دين الله تعالى واحد وأن تلك الأديان قد نسي بعضها ونسخ الباقي لان الله تعالى أراد ان يعطي البشر ماهو أكمل منها كما قال «ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» فعليهما ان يتركا التعصب لقومهما وان يكونا زعيمين للبشر كافة لا للالمان

والكاثوليك أو النصارى خاصة وذلك بأن يأخذا بجوهر الدين الخالص الذي بينه القرآن وهو الكتاب المحفوظ الذي لاريب فيه الذي جاء بالحق وصدق المرسلين . واذا تأملاه باخلاص فلا شك ان نور الحق يشرق عليهما كما أشرق على كثير من أهل العلم فى أوربا

جاء فى كتاب (ديانات الامم وعقائدهم) للاستاذ لينتزماخلاصته:

« ان دين الاسلام دين يوافق الناس كافة ويجعلهم أمة واحدة وإنني أؤمل أن أرى النصارى بعد حين آخذين بدرس هذا الدين والتدين به وموالاة محمد (عليه الصلاة والسلام) لان دينه الدين القويم المبين » (راجع ه الصفحة ٢٩٢ - ٣٠٠ من هذا الكتاب المطبوع فى لندن سنة ١٩٠١) ومثل هذا القول أقوال كثيرة .

وقد بينا فى مقالة (مسير الانام، ومصير الاسلام) بعض المبشرات التي تدل على خطوات أوربا الى الاسلام من حيث تدري ولا تدري وانا نعد هذا الاكتشاف الجديد الذي أيد القرآن وما قاله عظيم الالمان وحبر أحبار الرومان فيه خطوة من تلك الخطوات ، بل وثبة من الوثبات، والعاقبة للمتقين ، والله ولي المؤمنين ،

الكرامات والخوارق

﴿ المقالة العاشرة فيما ينبغي عليه التعويل ﴾

(المسألة الرابعة عشرة) استدل منكرو الكرامات من المعتزلة وبعض علماء السنة كالاستاذ أبي اسحق الاسفرايني والحليمي ومن على رأيهم بسبع حجج على نفي الجواز وتقدم بسطها وما قالوه فى الجواب عن بعضها فى المقالة الثالثة (٤٤٩-٢) واستدل المثبتون بأربع حجج كما ذكر السبكي فى الطبقات الكبرى وهي ترجع الى شيء واحد هو أنها وقعت بالفعل كما يعلم من بعض قصص القرآن والآثار المروية عن

الصحابة • وتقدم فى المقالة الرابعة بيان ان تلك القصص لادليل فيها يصلح حجة فى هذا المقام الا على مايسمونه الالهام وما فى معناه من مكالمة الملائكة وكان ذلك لأم موسى وأم عيسى عليهما السلام (راجع ٤٨١ — ٢) وفى المقالة الخامسة والسادسة انه لم يثبت بسند صحيح من الكرامات المأثورة عن الصدر الاول الا مثل ذلك الالهام أيضاً واستجابة الدعاء والبركة فى الطعام (راجع ٥٤٥ — ٢و٦٥٧ — ٢)

(المسألة الخامسة عشرة) إن ما نقل عن الصحابة (عليهم الرضوان) من هذه الكرامات ماصح سنده منه ومالم يصح يعدّ على الانامل لقلته وصار المسلمون كلما بعد الزمان ، وقلّ العلم وكثر الفسوق والعصيان ، يكثر فيهم القول بهذه الكرامات حتى انهم يعدون لبعض الشيوخ المتأخرين ، ما يكاد يتجاوز عقد المئين . وهم متفقون على أن الصحابة أفضل ممن بعدهم من الاولياء . بلا قيد ولا استثناء . وقد أجاب بعضهم عن هذا بأن المسلمين كانوا فى عصر الصحابة وما يقاربه أقوياء الايمان فلم يكونوا محتاجين الى كرامات وخوارق تقوي ايمانهم • وهذا الجواب مبني على قاعدتهم التي ذكرها السبكي وغيره وهي انه لايجوز اظهار الكرامة الا عند ضرورة شديدة كتقوية ايمان شاك • وصواب القول فى الجواب ان أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين كانوا لقوة ايمانهم ويقينهم لايكذبون ولا يخادعون الناس بالوهم ولذلك لم يدعوا هذه الخوارق التي ربما كانوا أحوج اليها ممن بعدهم لاقامة الحجة على المشركين والكافرين الذين كانوا مشتغلين بدعوتهم ومجاهدتهم • ولكنهم لرسوخهم فى معرفة مقاصد الاسلام كانوا يكتفون بالحجج المعقولة ولا يعتمدون على شيء من الخوارق الكونية التي يضل فيها الفهم ، ولا يهتدي فيها الوهم . وهذه المسألة كنا وعدنا ببيانها فى المقالة السادسة

(المسألة السادسة عشرة) ان مايصح ان يسمى كرامة من هذه الغرائب التي تظهر على أيدي الناس هو ماكان ثمرة لارتقاء الروح وصفاء النفس بل هذا هو معنى ماذكروه فى كتب العقائد كما تقدم فى المسألة الثامنة • واذا كان الامر كذلك فالواجب ان تبقى هذه الثمرة معلقة بهذه الشجرة أي يجب ان لاتتجاوز هذه الخصوصية أهلها الخواص • فاذا تجاوزتهم الى من لايعرف منشأها كانت فتنة له وضارة به ولذلك قال

كبار الصوفية والمتكلمين المثبتين للكرامات بوجوب إخفائها لأنها فتنة للناس وضارة بهم ومن مبالغتهم في ذلك القول المأثور عن الشيخ أحمد الرفاعي : ان الولي يستتر من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض :

(المسألة السابعة عشرة) أكبر ضرر وأعظم فتنة في فشو الاعتقاد بالكرامات بين العامة وكونها عند الصالحين صناعة من الصناعات ، انها زلزلت قاعدة العقائد الكبرى وهي توحيد الله تعالى وأوقعت الناس في ضروب من الشرك الاصغر والاكبر . وليس زلزال التوحيد محصوراً في اعتقاد تعدد الخالقين للسماوات والارض المشتركين في الايجاد والتكوين وإنما الشرك في التماس المنافع أو دفع المضرات من غير الله تعالى وبواسطة غير سننه التي أقام بها نظام الكون وجعل الانتفاع بها عاماً لجميع خلقه . بل ورد في الاحاديث تسمية الرياء في العبادة شركا فكيف لايكون دعاء غير الله تعالى شركا . روى أحمد وابن ماجه وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت مايبكيك فقال « اني تخوفت على أمتي الشرك أما انهم لايعبدون صنما ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكنهم يراؤن بأعمالهم » وانما سمي الرياء شركا لان المرائي يطلب منفعة من المرائى والمنافع لاتطلب الا من الله تعالى ومن الطرق والاسباب التي سنها لها . والغرض من العبادة طبع ملكة الاعتماد على الله تعالى في القلب لتقوية التوحيد فاذا لوحظ بها الناس وفعلت رئاءهم فقد قطعت طريق التوحيد ودلت على عدم تمكنه من النفس . فمابالك بمن يعتمد على غير الله تعالى ابتداء ويجعله حجاباً بينه وبين الله يزعم انه يقربه اليه زلفى

ولو كان الشرك عبارة عن تعدد الخالقين لما كان فيه ماهو أخفى من دبيب النمل . روى ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد والطبراني من حديث أبي موسى الاشعري قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « أيها الناس اتقوا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل » فقالوا : كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يارسول الله ؟ قال قولوا « اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لانعلمه » وروى غيرهم عن غيره أحاديث بمعناه منها حديث ابن عباس عند الحكيم الترمذي « الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا »

اذا عدت عيناك عما تشاهد كل يوم من العامة لاسيما فى أضرحة الصالحين ونبا سمعك عما تسمع منهم من دعاء غير الله ، والاستغاثة والاستعانة بغير الله ، وطلب الحوائج ورد البلاء من غير الله ، والتماس الصدقات « على قبول فلان وفلانة » من دون الله ، وقلت كما قال بعض علماء الأزهر : إن هؤلاء العامة لا يعقلون التوحيد وان الامام محمدا صاحب أبي حنيفة قال فى عامة زمنه وهم خير منهم « لو كانوا عبيدي لأعتقهم وأسقطت حق الولاء » : — فهل تعدو عيناك عما ترى فى الكتب المنتشرة كانتشار الجهل من العبارات الشركية التي تقشعر منه جلود الموحدين كقولهم فى كتاب ترياق المحبين وكتاب طبقات الوتري وغيرهما من كتب الرفاعية « إن عبد الرحيم الرفاعي كان يميت ويحيي ويفقر ويغني ويسعد ويشقي » وقولهم إن أحمد الرفاعي وصل الى مرتبة صارت السموات السبع فى رجله كالخلخال . ولهم فى هذين وغيرهما أقوال أخرى يتبرأ منها حتى دين بولس ودين بوذا . وقد ذكرنا فى المسألة الثامنة كلمهم التي يجعلون إرادة الله تعالى فيها تابعة لارادتهم . وإنك لتجد من حملة العمائم من يصحح مثل هذه الأقوال ويحرف كلام القرآن عن مواضعه للتوفيق بينه وبينها

واذا بحثت عن سبب هذا الغلو كله تجده الاعتقاد بالكرامات بغير قيد ولا حد ولا حساب. قالوا : يجوز إظهار الكرامة لتقوية الايمان: ولكننا نرى إظهارها كان اكبر جناية على أساس الايمان . وأما هؤلاء العامة الذين قوي إيمانهم بأصحاب القبور المشرفة (خلافا لنهي الشارع عن تشريفها) فلو لم يعلموا بشيء من هذه الكرامات لما كان إذعانهم وتسليمهم بالدين ينقص ذرة لأن الدين عندهم تقليدي فى أحكامه وفروعه وجداني فطري فى أصله

(المسألة الثامنة عشرة) من مضرات فشو الاعتقاد بالكرامات ، إباحة الموبقات وتحريم الواجبات ، وذلك أنه استقر عند العامة واكثر الذين يعدون من الخاصة أنه لايجوز الانكار على الأولياء — وما الأولياء عندهم الا من تظهر على أيديهم العجائب والخوارق — لأن المعصية التي تشاهد منهم لابد أن تكون صورية لا حقيقية ولذلك يجب تأويلها . فاذا رايت واحدهم يشرب الخمر فاعتقد أنها انقلبت عينها كرامة

له فصارت لبنا أو عسلا أو شرابا آخر من الأشربة المباحة واذا رأيته يترك الصلاة فاعتقد أنه يصلي بمكة أخذا من قول السيد البدوي فى الرد على الذين اتهموه بذلك :

وفى طندتا قالوا صلاتي تركتها ولم يعلموا أني أصلي بمكة
أصلي صلاة الخمس فى البيت دائما مع السادة الأقطاب أهل الطريقة

ولهم فى هذه التأويلات حكايات غريبة يسخر العقلاء من بعض المستفيض منها كزعمهم أن بعضهم رؤي يأتي الفاحشة ثم تبين أن سفينة كانت خرقت فى البحر وأشرفت على الغرق فبادر ذلك الولي الى سد الخرق بما كان منه !!

(المسألة التاسعة عشرة) من مضرات فشو الاعتقاد بهذه الكرامات عدم ثقة جماهير المعتقدين بها بالعقل وقضاياه ،ونظام الكون وسننه ، فهم دائما أسرى الاوهام ، وعبيد الخيالات والأحلام ، فضعفت بذلك المدارك ، وانقلبت فى التصور الحقائق ، وصار معظم الناس يخضع للدجالين ، ويؤمن بالمشعوذين والعرافين ، ومن أنكر عليهم شيئا من ذلك اتهموه بالفلسفة ، ورموه بفساد العقيدة ، فالعرافة والكهانة عندهم إيمان ، والحكمة (الفلسفة) كفر أو عصيان ، والله تعالى يذكر فى كتابه أنه بعث رسوله ليعلم الناس الحكمة وقال « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً » ويقول نبيه فيما علمنا من الحكمة « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة . وروى أحمد ومسلم فى صحيحه عن بعض أمهات المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يوما » نعم أنهم لا يسمون هؤلاء المخبرين عما وقع وعما يتوقع كهانا وعرافين لما كان من الخلل فى اللغة . والعبرة بالحقائق لا بالأسماء فاذا كان العراف يخرج عن كونه عرافا بتسميته وليا مكاشفا فالخمر تخرج عن كونها خمرا بتسمية بعض أصنافها كونياك أو شمبانية . ومثل هذا يقال فى تسميتهم الاستعانة بغير الله توسلا وما أشبه ذلك .

وإن وراء الخضوع للدجالين والعرافين الذين يدعون الكرامات مفاسد لايكتنه كنهها ولا تحصى أنواعها وأفرادها فمن الناس من يبذل لهم المال ، ومنهم من يحكمهم في النساء والعيال ، وانا لنعرف أشخاصا من هؤلاء الدجالين قد اشتهر ان

النساء يتجردن لهم فيكتبون من طلاسمهم وحروفهم على بطونهن مايزعمون أنه ينفع لحبل العاقر أو يحبب البغيض منهن الى زوجها أو غيره ممن تهوى . ومنهم من يخلو بالنساء متى شاء من ليل او نهار برضى ازواجهن الذين يعتقدون ان هؤلاء من المقربين عند الله تعالى فلا يمكن ان تقع منهم الفاحشة . فالرجل يكون ديوثا وصاحب الكرامة فاجرا أو قوادا وكل ذلك ببركة الاعتقاد بالخوارق والكرامات ولولاها لما كان شيء من ذلك بهذه الصور

(المسألة العشرون) من مضرات الاعتقاد بهذه الكرامات ترك مجموع الأمة الاهتمام بأمورها العامة اعتقادا بأن هذه الأمور قد وكلها الله تعالى الى رجال الغيب فلا يجري فى الأمة شيء الا ماقرروه فى الديوان الأعلى . وما قرروه قضاء لا مرد له الا ان يكون بتصرفهم . وفى كتب الصوفية كلام كثير عن هذا الديوان ومحله ورياسته وأعضائه ولغتهم واعمالهم . وقد كان من أسباب خضوع بعض البلاد الاسلامية المعروف عن أهلها الشجاعة والأنفة للاجانب قول بعض المعتقدين من أهل الطريق انه علم من أهل الله أن الله قد سلط الاجانب على تلك البلاد عقوبة لها

وينقلون أن أهل الشام رغبوا الى ولي كبير كان عندهم ان يدفع عنهم إغارة تيمورلنك فخرج فوجد الخضر على مقدمة جيشه فقال : انت معه : فقال : نعم انا وربك : فعلموا ان مقاومته عبث لأنها محاربة لله تعالى !!!

وقد اشيع فى أثر الاحتلال الانكليزي فى هذه البلاد ان بعض الصالحين استغاث بأهل البيت وبالسيد البدوي لاخراجهم فكشف عنه الحجاب فرآهم مقيدين بسلاسل وقيل له انهم حاولوا إخراجهم فقيدوا لان الله تعالى أراد هذا الاحتلال !!!

أمثال هذه الحكايات تسري فى الامة سريان الاوبئة . تظهر الحكاية اليوم فى بلد فيسمعها فى اليوم التالي أهالي مئة بلد ولا يمر أسبوع الا وتراها قد عمت الديار . وجابت الاقطار ، وقال الاول للآخر ، إنها منقولة بالتواتر ،

(المسألة الحادية والعشرون) من مضار الاعتقاد بهذه الكرامات انها حجاب دون العلوم الكونية فى نظر الدهماء وذلك انهم يرون الذين يأخذون بهذه العلوم يحتقرون الدجاجلة الذين يدعون هذه الكرامات ويحتقرون الذين يخضعون لهم

ويعتقدون بهم فينسبون ذلك الى العلم ويعدونه من ثماره وهو شر الثمار عندهم ويمقتون العلم ومنهم من يجعله بريد الكفر لاجل ذلك وكفى بذلك ضرراً لاسيما فى هذا الزمن الذي بنيت فيه السيادة والسلطة على العلم

(المسألة الثانية والعشرون) من مضار الاعتقاد بالكرامات على الوجه المعروف ومشايعة العلماء للعامة على جميع مظاهرها وما يتعلق بها ولهجهم بحكاياتها واحترامهم لدعاتها وأدعيائها انها نزلت منزلة العقائد الدينية والقواعد الاساسية للدين وصار غير الراسخ فى العلم يعتقد ان منكر هذه الحكايات فيها كافر وكانت نتيجة هذا ان الذين تعلموا على الطريقة الاوربية وعقلوا فعلموا ان هذه الحكايات إما دجل وشعوذة . وإما اكاذيب ملفقة . صاروا يشكون فى الدين من اصله لاعتقادهم التقليدي ان الدين مبني عليها ومابني على الفاسد فهو فاسد . وقدصرح غير واحد من علماء الاجتماع وطبائع الملل بأن العقبة الكبرى فى طريق الايمان لهذا العهد هي عقيدة كون الخوارق اصل الدين الاساسي . وقد تقدم فى المسألة الحادية عشرة ان ذلك غير صحيح حتى فى اديان الشعوب المنحطة التي كانت تمهيداً لدين الارتقاء (الاسلام) فكيف تكون اصلا له

(المسألة الثالثة والعشرون) لانعرف شعباً من الشعوب دخل فى الاسلام بسبب هذه الكرامات واذا كان وجد فى الناس مرتابون أزال ريبهم مشاهدة الكرامات فلا نظن انهم يبلغون عشر معشار الذين فسدت عقائدهم بسبب جعل هذه الغرائب من الدين . واذا فرضنا التساوي فلنا ان نقول : مصلحة بمفسدة : وتبقى مفاسد أخرى ليس بازائها مصالح وقد ذكرنا أهمها آنفاً فتكون النتيجة ان إثم هذا الاعتقاد أكبر من نفعه

(المسألة الرابعة والعشرون) ان الذي ينبغي ان يعوّل عليه هو تحكيم قاعدة « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » وتعليم الامة عدم الثقة بهذه الخوارق وعدم تصديق المنتحلين لها والمبالاة بهم . فان كانوا من أولياء الله وأصفيائه فحسبهم عناية الله بهم وكفايته لهم فمن كان ولياً لله فالله وليّ له ومن لم يكتف بولاية الله تعالى عن التعرض للناس فهو وليّ الشيطان

من عرف الله فلم تغنه   معرفة الله فذاك الشقي

واذا كان لهؤلاء الاصفياء مزايا روحانية أكرمهم الله تعالى بها فالواجب كما قال أئمتهم ان لايفشوا سر الربوبية وعلى غيرهم من المسلمين ان يعتقدفيهم ذلك فينكر خلافه وههنا نرجع الى مذهب جمهور أهل السنة فنقول ان الكرامة جائزة ولكن لايجب على أحد أن يعتقد بكرامة معينة لأحد معين. وهذا المذهب موافق لقاعدة كتمان الكرامة. ونتيجته ان هذه الحكايات التي تثبت لاشخاص معينين كرامات لانهاية لها لايوثق بها ولا يعول عليها والصواب ان تقاس على أمثالها عند أهل الملل الاخرى فان سنة الله فيهم وفينا واحدة. فان صحت عنده رواية شيء منها بعدالتحري الذي أشرنا اليه فى المقالة السابقة فليعرضه على وجوه التأويل فى المقالات اللاحقة.

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(دعوى صلب المسيح)

تكلمنا فى الجزء الماضي عن تمويه محرر مجلة البروتستانت على بعض عوام المسلمين فى هذه المسألة. واقوى مايخادعون به انه لايعقل ان رجلا مشهوراً كالمسيح يشتبه على اليهود وشرطة الرومان فلا يميزونه من غيره. وفاتنا ان نذكر ان فى الاناجيل عبارات كثيرة تدل على ان الاشتباه حصل بالفعل. وقد كتب الينا من السويس كاتب فى ذلك فراينا ان ننقل عبارته بنصها وهي:

«قد اطلعت على ماجاء فى المنار رداً على بشائر السلام فى مسألة صلب المسيح. ولما كنت قد كتبت على المجلة المرسلة اليّ من نقولا كتابة فى هذا الشأن ورددتها اليه رأيت ان اطلع حضرتكم على مضمون ما كتبت فلعلك تجد فيه ما يناسب المنار وان كان ما كتبته موجزاً فعلى المنار الايضاح والمراجعة والتفصيل

قلت عند قوله « قال المفسرون ان الله القى شبهه الخ » : ان المفسرين قسمان قسم يفسر من طريق الايمان على سنة المسيحية وهم الذين نقلت قولهم وقسم يفسر من طريق العلم والعقل على سنة الاسلام وقد فسروا هذه الآية بما لايبعد عما ورد فى اناجيلكم التي تقرؤنها ولا تفهمونها — ورد فى الانجيل ان المسيح قال لتلامذته انكم ستنكروني قبل ان يصيح الديك الخ (انكرت الشيء لم اعرفه) وورد ايضاً

فيه ان المسيح خرج من البستان فوجد اعداءه فقال لهم من تطلبون فقالوا نطلب المسيح فقال هو انا ذا فقالوا انما انت بستاني ولست بالمسيح • وهكذا كانوا كلما وجدوه انكروه وخانتهم ابصارهم فى رؤيته وعمي عليهم واشتبه منظره (وخيانة النظر ثابتة قطعاً) فلما اعيتهم الحيل استأجروا يهوذا الاسخريوطي بثلاثين درهما ليدلهم عليه لتمكنه منه فلا يشتبه عليهم وهذا فى الانجيل ايضاً فهذه الحيرة المفضية الى استئجار دليل يدل عليه مع ملاحظة انه ربي فى وسطهم وكانوا يعجبون بفصاحته وحكمته كما هو وارد فى الانجيل ايضاً تدل بأجلى بيان واوضحه على انهم كانوا فى شك منه وكان يشبه لهم بغيره فكلما اجتمعوا عليه اشتبه عليهم وعمي فى نظرهم وخانتهم ابصارهم وظنوه غيره وما حصل لهم حصل لدليلهم « يهوذا » وقد ورد فى الانجيل انهم حينما ساقوه للصلب كانوا يستحلفونه هل انت المسيح فكان يقول هو ذا فمنه يعلم انهم كانوا لم يزالوا فى شكهم حتى بعد الاستئجار ووجود المرشد والدليل فلما اعياهم الامر عمدوا الى من غلب على ظنهم انه هو المسيح والمسيح فى السحابة البيضاء مع موسى كما فى الانجيل ايضاً ثم صلبوا ذلك الرجل الذي كانوا يستحلفونه وغلب على ظنهم انه هو المسيح فهل كل هذا كان لظهور المسيح واضحاً لهم او لأنهم كلما طلبوه شبه لهم والقى شبه غيره عليه وعمي عليهم وخانتهم ابصارهم فعمدوا الى يهوذا واستأجروه ليدلهم عليه فما كان بأمثل منهم فى ذلك وادتهم خاتمة المطاف الى اخذ من غلب على ظنهم انه هو وصلبوه وما هو منه بشيء بل المسيح ساخر منهم ضاحك عليهم يقول انا المسيح فيقولون لست هو حتى قتلوا غيره وصلبوه وهو محجوب عن انظارهم مشتبه عليهم قد شبه لهم بالبستاني مرة وبغيره اخرى وبذلك نجاه الله من كيدهم فما نالوه بسوء «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن» المبني على ارشاد يهوذا المشكوك فيه كما علمت من نص الانجيل « وما قتلوه يقيناً »

هل فهمت ياحضرة المبشر الآية وكيف كانت عبارات الانجيل حجة للاسلام لا عليه فاقرؤا الاناجيل وافهموها فقد وسع الله لكم على يد البروتستانت ولا تكونوا كالذي يحمل اسفارا اه »

أركان الدين الصحيح

ضاق هذا الجزء عن رد شبهات النصارى على القرآن وغير ذلك مما كنا وعدنا به لطول مقالة (النبأ العظيم) اكثر مما كنا نتوقع . وقد صدر الجزء الخامس من المجلة البروتستنتية قبل صدور هذا المنار فرأينا فيها نبذة في أركان الدين الصحيح يقول فيه الكاتب الذي ينتمي الى المسيح مانصه :

« ان المذهب الذي يجب على كل فرد ان يختاره لنفسه هو اكثر المذاهب مشابهة لروح الآلهة وأقربها لصفاتهم » الى آخر ماقاله وكرر فيه لفظ (الآلهة) ثم فسر هذا المذهب بقوله « ذلك المذهب الذي ينادي أن ياقوم أحبوا أعداءكم فتلك صفات الله . وأن ياقوم باركوا لاعنيكم فتلك صفات الله . وأن ياقوم أحسنوا الى من أساء اليكم فتلك صفات الله — ذلك المذهب إنما هو مذهب إلهي بلا مراء » ثم ذكر أن المذهب اذا قال لتابعيه جاهدوا في سبيل الله ودافعوا عن أنفسكم في سبيل الله يكون بريئا من الله والله بريئا منه لأن العزة الآلهية لاتأمر بالقتال مهما كان الغرض شريفا . وأجاب عن أمر التوراة بني إسرائيل « بابادة بعض الامم المجاورين لهم » بأنه « كان أمرا وقتيا لازما للتوصل الى المسيحية ديانة السلام والمحبة »

ثم ذكر اعتراض الناس على هذا المذهب بكون محبة الأعداء وترك المدافعة عن النفس مستحيل واعترف بأن هذا صحيح بالنسبة الى معارف البشر الآن وقال ان معارفهم سترتقي في المستقبل الى فهمه

فملخص هذا الدين الالهي (١) انه يوجد آلهة متعددة وأن اخلاقهم متفقة على محبة اعدائهم . ولا شك ان اعداءهم هم الذين لايؤمنون بهم ولا معنى لمحبتهم الا عدم مؤاخذتهم على الكفر فالنتيجة ان هذا الدين دين إباحة ومبطل لنفسه ولغيره . و (٢) انه يأمر بمحبة الاعداء وترك المدافعة وذلك مستحيل بحسب ماوصلت اليه معارف البشر الى القرن العشرين من ظهوره ونتيجة هذا انه لم يتبعه احد حتى الآن . و (٣) ان هذا المذهب يخالف قول المسيح «وهذه هي الحياة الحقيقية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك . ويسوع المسيح الذي ارسلته» (يوحنا ١٧) وقوله «لاتظنوا اني جئت لألقي سلاما على الأرض ماجئت لألقي سلاما بل سيفا فاني جئت لأفرق الانسان ضد ابيه والابنة ضد امها والكنة ضد حماتها . واعداء الانسان اهل بيته » (متى ١٠ — ٣٤ و ٣٥) وقوله «جئت لألقي

ناراعلى الارض» (لوقا١٣ — ٩٤) وقوله «ان كان احد يأتي الي ولا يبغض اباه وامه وامرأته واولاده واخوته واخواته حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا» (لوقا ١٤ — ٢٦) وقوله «اما اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان املك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي» (لوقا ١٩ — ٢٧) وامثال ذلك . فأي الدينين دين المسيح عليه السلام ؟؟

آثار علمية ادبية

(قتل بنى اسرائيل أنفسهم وبعثهم بعد موتهم)

جاءنا من حضرة المحامي انشهير صاحب الامضاء ما يأتي

راينا فيما اوردتموه بأحد اعداد المجلة فى تفسير قوله تعالى (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم) الى قوله جل شأنه (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) ان سيدنا موسى دعا من يرجع الى الرب من قومه فأجابه بعضهم فأمرهم بأن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضاً ففعلوا وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف — وان البعث بعد الموت عبارة عن كثرة نسلهم والبركة فى احفادهم تعويضاً لهم عن قتل آبائهم) على اننا لو اعدنا التأمل نرى ان الامر والارشاد للتوبة لا يستلزم قتل نفوس التائبين وكذلك البعث بعد الموت لا يكون معناه زيادة النسل

وحينئذ يكون الاقرب هو ان قتل النفس معناه إماتتها عن الفساد والمعصية بسيف التوبة والندم ليبعثها الله بعد هذا الموت المعنوي الى عالم الصلاح والتقوى — وان البعث هنا معناه هو الوصول الى الحقيقة بعد ذلك الضلال الذي ماتت عنه عواطفهم

فأرجوك ايها الصديق الفاضل إنعام النظر فى ماوضحته وارشادي الى الحقيقة ودمتم

اسماعيل عاصم

(المنار) تقدم فى تفسير الآيات ان سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى الذي عوقبوا عليه بالصاعقة كان فى واقعة مستقلة غير واقعة اتخاذ العجل التي عوقبوا عليها بالقتل وقوله تعالى «ثم بعثناكم من بعد موتكم» وارد على غير الذين قتلوا انفسهم بالتوبة فاذا اعتبر الخطاب لمجموع الأمة فلا فصل فهي التي قتلت وهي التي صعقت وهي التي بعثت وهذا ماعليه الاستاذ الامام فى إسناد الله تعالى اعمال سلف بني اسرائيل فى زمن موسى عليه السلام

الى بني اسرائيل الذين كانوا فى زمن التنزيل وعليه لا إشكال فى إسناد « بعثناكم » الى الذين ماتوا بالصاعقة او غيرها ولا بعد في تفسير هذا البعث بعد الموت بكثرة النسل لاسيما مع ملاحظة ان المخاطبين بهذا كله هم اليهود الذين كانوا معاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم

اما قتل بعضهم بعضاً فى التوبة فهو المنقول فى كتبهم المقدسة والذي يتناقلونه خلفاً عن سلف وبه قال جماهير المفسرين. وذهب القاضي عبد الجبار من المعتزلة الى ان القتل ههنا مجاز وما كان الله ليكلف الناس بالقتل لان التكليف لمصلحة العبد ولا مصلحة فى القتل لمن يقتل ووجه الآية توجيهاً مقبولا فى اللغة واساليبها وهو نحو مافى السؤال. وذهب غيره من المفسرين الى ان القتل لم يحصل بالفعل وان كان يجوز التكليف به.

قال الآلوسي: ومن الناس من جوز ذلك الا انه استبعد وقوعه فقال « معنى اقتلوا ذللوا » ومن ذلك قوله :

ان التي عاطيتني فشربتها   قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ولولا ان الروايات على خلاف ذلك لقلت به تفسيرا : ونقل عن قتادة انه قرأ « فأقيلوا انفسكم » والمعنى ان انفسكم قد تورطت فى عذاب الله تعالى بهذا الفعل العظيم الذي تعاطيتموه وقد هلكت فأقيلوها بالتوبة والتزام الطاعة وازيلوا آثار تلك المعاصي باظهار الطاعات » اه

وقال فى تفسير قوله تعالى « ثم بعثناكم من بعد موتكم » بعد ما اورد القول المشهور : ومن الناس من قال كان هذا الموت غشيانا وهموداً لاموتا حقيقة كما فى قوله تعالى « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » ومنهم من حمل الموت على الجهل مجازا كما فى قوله تعالى « او من كان ميتا فأحييناه » وقد شاع ذلك نثرا ونظما ومنه قوله:

اخو العلم حي خالد بعد موته   واوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى   يظن من الاحياء وهو عديم

ومعنى البعث على هذا التعليم اي ثم علمناكم بعد جهلكم : اه فما ورد فى السؤال معقول وجيه ولم اذكره فى تفسير الآيات لانني لم اتذكر ان الاستاذ الامام اورده على انه ما كان ليغفل مثل هذه الوجوه المعقولة ولعلي نسيت وسبحان من لا ينسى

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الخميس ١٦ صفر سنة ١٣٢١ — ١٤ مايو (ايار) سنة ٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر)

« واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال إنه يقول إنها بقرة لافارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي إن البقر تشابه علينا وانا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وماكادوا يفعلون * »

هذه القصة مما أراد الله تعالى ان يقصه علينا من أخبار بني اسرائيل فى قسوتهم وفسوقهم للاعتبار بها ومن وجوه الاعتبار ان التنطع فى الدين والاحفاء فى السؤال مما يقتضي التشديد فى الاحكام فمن شدّد شدّد عليه ولذلك نهى الله تعالى هذه الأمة عن كثرة السؤال بقوله « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » وفى الحديث الصحيح « ويكره لكم قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال » وقد امتثل سلفنا الأمر فلم يشددوا على أنفسهم فكان الدين عندهم فطريا ساذجا ، وحنيفيا سمحا ، ولكن من خلفنا من عمد الى ماعفا الله عنه فاستخرج له أحكاما استنبطها باجتهاده وأكثروا منها حتى صار الدين حملا ثقيلا على الأمة فسئمته وملت ، وألقته وتخلت ،

قال الاستاذ الامام : جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص الذي لم يسبق اليه ولم يلحق فيه فهو فى هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقة الكتاب فى تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع حتى فى القصة الواحدة . وإنما ينسق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب ويحرك الفكر الى النظر تحريكا ، ويهز النفس للاعتبار هزا ، وقد راعى فى قصص بني إسرائيل أنواع المنن التي منحهم الله تعالى إياها ، وضروب الكفران والفسوق التي قابلوها بها ، وما كان فى أثر كل ذلك من تأديبهم بالعقوبات ، وابتلائهم بالحسنات والسيئات ، وكيف كانوا يحدثون فى أثر كل عقوبة توبة ، ويحدث لهم فى أثر كل توبة نعمة ، فيعودوا الى بطرهم ، وينقلبوا الى كفرهم ، كان فى الآيات السابقة يذكر

النعمة فالمخالفة فالعقوبة فالتوبة فالرحمة كالتفضيل على العالمين وأخذ الميثاق والانجاء من آل فرعون وماكان فى أثر ذلك على ما أشرنا الآن وأجملنا، وأوضحنا من قبل وفصلنا، وفى هذه القصة اختلف النسق فذكر المخالفة أولا فى قوله «واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها» ثم المنة فى الخلاص منها فى قوله «فقلنا اضربوه ببعضها» الخ. ووجه النفوس الى ذلك قبل ذكره بأن بدأ بوسيلة الخلاص وهي ذبح البقرة بما يعجب السامع ويشوقه الى معرفة ماوراءها إذ الحكمة فى أمر الله أمة من الأمم بذبح بقرة خفية وجديرة بأن يعجب منها السامع ويحرص على طلبها (قد جرى الآن على هذا الأسلوب كتاب القصص والأساطير التي يسمونها الروايات) لاسيما اذا لم يعتد فهم الأساليب الاخاذة بالنفوس الهازة للقلوب

يقول أهل الشبه فى القرآن: إن بني إسرائيل لايعرفون هذه القصة اذ لاوجود لها فى التوراة فمن أين جاء بها القرآن؟ ونقول ان القرآن جاء بها من عند الله الذي يقول فى بني إسرائيل المتأخرين انهم نسوا حظا مما ذكروا به وإنهم لم يؤتوا الا نصيبا من الكتاب. على ان هذا الحكم منصوص فى التوراة وهو انه اذا قتل قتيل بين بلدين لم يعرف قاتله فالواجب أن تذبح بقرة غير ذلول ويغسلون أيديهم من الدم على عظامها ولهم دعوات وأقسام هنالك يبرأ بها من يدخل فى هذا العمل من دم القتيل ومن لم يفعل يتبين انه القاتل ويراد بذلك حقن الدماء (١) فيحتمل أن يكون هذا الحكم هو من بقايا تلك القصة أو كانت هي السبب فيه

(١) المنار: لاأتذكر في اي موضع من التوراة يوجد هذا الحكم وفى اول سفر اللاويين احكام تناسبه وتماثله فى تكفير الخطايا

وما هذه بالقصة الوحيدة التي صححها القرآن ولا هذا الحكم بالحكم الاول الذي حرفوه أو أضاعوه وأظهره الله تعالى . (قال) وقد قلت لكم غير مرة إنه يجب الاحتراس فى قصص بني إسرائيل وغيرهم من الانبياء وعدم الثقة بما زاد على القرآن من أقوال المؤرخين والمفسرين فالمشتغلون بتحرير التاريخ والعلم اليوم يقولون معنا انه لا يوثق بشيء من تاريخ تلك الازمنة التي يسمونها أزمنة الظلمات الا بعد التحري والبحث واستخراج الآثار . فنحن نعذر المفسرين الذين حشوا كتب التفسير بالقصص التي لا يوثق بها لحسن قصدهم ولكننا لا نعول على ذلك بل ننهى عنه ونقف عند نصوص القرآن لا نتعداها وإنما نوضحها بما يوافقها اذا صحت روايته

الامر بذبح البقرة كان لفصل النزاع فى واقعة قتل ويروون فى قصته روايات منها ان القاتل كان أخ المقتول لاجل الارث وانه اتهم أهل الحي بالدم وطالبهم به . ومنها أنه كان ابن أخيه وغير ذلك مما لا حاجة اليه. وكانوا طلبوا من موسى الفصل فى المسألة وبيان القاتل ولما أمرهم بذبح البقرة استغربوه لما فيه من المباينة لما يطلبون ، والبعد بينه وبين ما يريدون ، فذلك قوله تعالى « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا » أي سخرية يهزأ بنا . وهذا القول من سفههم وخفة احلامهم وجهلهم بعظمة الله تعالى وما يجب ان يقابل به أمره من الاحترام والامتثال وان لم تظهر حكمته بادي الرأي ولولا ذلك لامتثلوا وانتظروا النتيجة بعد ذلك . ولما كان فى جوابهم هذا رمي لموسى عليه الصلاة والسلام بالسفه والجهالة « قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » أي التجىء الى الله واعتصم بتأديبه إياي من الجهالة والهزء بالناس

« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي » أي ماهى الصفات المميزة لها.

قال الاستاذ الامام : ان السؤال بما هو ليس جاريا هنا على اصطلاح علماء المنطق من جعله سؤالا عن حقيقة الماهية وإنما هو على حسب أسلوب اللغة والعرب يسألون بما هو الشيء عن الصفات التي تميزه فى الجملة كالذي ذكره فى الجواب « قال انها بقرة لافارض » أي غير مسنة انقطعت ولادتها « ولا بكر » لم تلد بالمرة والمراد بها التي لم تلد كثيرا « عوان بين ذلك » أي بين ماذكر من السنين الفارض والبكر . فالمشار اليه بكلمة ذلك متعدد فى المعنى وإن قدر مفردا و « بين » من الكلم التي تختص بالمتعدد تقول جلست بينهم أو بينهما ولاتقول جلست بينه . واستعمال الاشارة والضمير المفردين فيما هو بمعنى الجمع على تقدير التعبير عنه بالمذكور أو « ماذكر » كثير ومنه قول رؤبة :

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجسم توليع البهق

ذكر هذا الوصف المميز للبقرة فى الجملة وقال « فافعلوا ماتؤمرون » وكان يجب عليهم الاكتفاء به والمبادرة بعده للامتثال ولكنهم أبوا الا تنطعا واستقصاء فى السؤال « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » الفاقع الشديد الصفرة فى صفاء بحيث لايخالطه لون آخر . وبعض أهل اللغة لايخصه بالاصفر بل يجعله اسما لكل لون صاف . وكان يجب أن يكتفوا بهذه المميزات ولكنهم زادوا تنطعا إذ « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي إن البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون » وقد أرادوا بهذا السؤال زيادة التمييز ككونها عاملة أو سائمة « قال إنها بقرة » سائمة « لاذلول تثير

الارض » ولا تسقى الحرث » أي غير مذللة بالعمل فى الحراثة ولا فى السقي « مسلمة » من العيوب أو من سائر الاعمال « لاشية فيها » أي ليس فيها لون آخر غير الصفرة الفاقعة . والشية مصدر كالعدة من وشى الثوب يشيه اذا جعل فيه خطوطا من غير لونه بنحو تطريز . ولما استوفى جميع المميزات والمشخصات ولم يروا سبيلا الى سؤال آخر « قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون » من تنطعهم وتعنتهم . روى ابن جرير فى التفسير بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا « لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم » وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه عن عكرمة مرفوعا مرسلا . وههنا يذكر المفسرون قصة فى حكمة هذا التشديد وهو المصير الى بقرة معينة لشخص معين كان بارا بوالديه وقد يكون صحيحا غير انه لا داعي اليه فى التفسير وبيان المعنى . وقد يشتبه بعض الناس فيما ذكر بأن أحكام الله تعالى لاتكون تابعة لافعال الناس العارضة ويرد هذه الشبهة أن التكليف كثيراً مايكون عقوبة لانه تربية للناس

وقد وردت الاسئلة والأجوبة فى هذه القصة مفصولة غير موصولة بالفاء وذلك ما يقتضيه الأسلوب البليغ فقد تقرر فى البلاغة ان السؤال اذا كان كلاما تاما فى نفسه مستغنيا عما بعده لا يقرن جوابه بالفاء الا اذا كان للفاء معنى خاص يقتضيه المقام كالتعقيب والجزاء وليس ذلك موجودا هنا . قال تعالى :

« وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا

اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون * »

هذا هو أول القصة المحتوية على المخالفة على ما أشرنا اليه وهي القتل ثم التنازع فى القاتل ثم تشريع الحكم لكشف الحقيقة بذبح البقرة وما كان من إلحاحهم فى السؤال على ماسبق

نسب القتل الى الأمة وان كان القاتل واحدا باعتبار ما تقدم من كونها فى مجموعها وتكافلها كالشخص الواحد . والتدارؤ التدافع فدل على أنه كان خصام واتهام وكان كل يدرء عن نفسه ويدعي البراءة ويتهم غيره وكان للقاتلين والعارفين بهم حظوظ وأهواء كتموا فيها الحقيقة ولذلك قال تعالى بعد التذكير بالجريمة « والله مخرج ما كنتم تكتمون » من الايقاع بقوم برآء لأنه لا يخفى عليه مكركم

وأما قوله « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى » فهو بيان لاخراج ما يكتمون . ويروون فى هذا الضرب روايات كثيرة . قيل ان المراد اضربوا المقتول بلسانها وقيل بفخذها وقيل بذنبها .... وقالوا إنهم ضربوه فعادت اليه الحياة وقال قتلني أخي أو ابن أخي فلان الخ ماقالوه والآية ليست نصا فى مجمله فكيف بتفصيله . والظاهر ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل فى الدماء عند التنازع فيمن القاتل اذا وجد القتيل بين بلدين كما قدمنا ليعرف الجاني من غيره فمن غمس يده فى الدم وفعل ما رسم لذلك فى الشريعة برىء من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية . ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف فى قتل تلك النفس أي يحييها بمثل هذه الاحكام . وهذا الاحياء على حد قوله تعالي « ومن أحياها فكأنما أحي

الناس جميعا » فالاحياء معناه الاستبقاء فى الآيتين . ثم قال « لعلكم تعقلون » أي تفقهون أسرار الاحكام وفائدة الخضوع للشريعة فلا تتوهمون انما وقع مختص بهذه الواقعة وفى هذا الوقت بل يجب ان تتلقوا أمر الله فى كل وقت بالقبول من غير تعنت . قال تعالى :

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون »

القسوة الصلابة وهي من صفات الاجسام ووصف القلوب والنفوس بالقسوة مجاز وهو هنا استعارة بالكناية . ويصح فى « أو » الترديد والتشكيك وهو بالنسبة الى المخاطبين لا الى المتكلم أو باعتبار مايعهد فى التخاطب العربي كأن عربيا يحدث آخر ويقول له إن هذه القلوب فى قسوتها تشبه الحجارة أو تزيد عليها . ويصح فيها التقسيم أي إن القسوة عمت قلوبكم فأقلها قسوة يشبه الحجر الصلد ومنها ماهو أشد منه قسوة . وأظهر منهما ان تكون للاضراب على طريقة المبالغة أي بل هي أشد قسوة من الحجارة إذ لاشعور فيها يأتي بخير ولا عاطفة تفيض منها بعبرة والحجارة ليست كذلك لان منها مايفيض بالخيرات ومنها مايكون موضع ظهور آثار القدرة الالهية

وصف الحجارة بثلاث صفات بعد ان شبه القلوب بها فكان الكلام يشبه ان يكون عذرا عن الحجارة دون القلوب وفيه بيان الفرق بينهما . والمراد بالقلوب ماعبرت عنوانا عنه وهو الوجدان والعقل وأكثر ما تستعمل فى الاول لانه سائق الاقناع والاذعان ويطلق لفظ القلب على

النفس الناطقة لان من شأن القلب أن يتأثر مما يتأثر منه الوجدان أو العقل أو الروح مطلقا

وفي الكلام من المبالغة أن هذه القلوب فقدت خاصة التأثر والانفعال بما يرد عليها من المواعظ والآيات الذي هو من شأن الروح الانساني حتى إن أصحابها هبطوا عن درجة الحيوان الى دركة الجماد كالحجارة بل نزلوا عن دركة الحجارة أيضا فان هذه الحجارة على صلابتها وقسوتها تتأثر بالماء الرقيق اللطيف فيشقها وينفذ منها بقلة أو كثرة فيحيي الارض وينمع النبات والحيوان . وأما هذه القلوب فلم تعد تتأثر بالحكم والنذر ، ولا بالعظات والعبر ، فالحكم لاتقوى على شقها والنفوذ منها الى أعماق الوجدان ، وأنوار الفطرة قد انطفأت فيها فلا يظهر شعاعها على انسان .

ومن الحجارة مايشقه الماء القليل كماء العيون والينابيع الحجرية ومنها مالا يفجره الا الماء القوي الغمر الذي يسمى نهرا

وأما مايهبط من خشية الله فهو مايكون بسبب أثر من آثار القهر الالهي كالبراكين والصواعق التي تهبط بها الصخور وتندك الجبال . وقد جعل هذا شبها للآيات الالهية التي أظهرها على يد عبده ونبيه موسى فهي حوادث عظيمة في الكون تفزع بها نفوس المؤمنين الى الله وتخشع لامره ونهيه لعظمتها وخفاء سر إيجادها كما تفزع النفوس من حوادث البراكين والصواعق التي تدك الصخور وتدمر الحصون . وقد أصبحت تلك القلوب بعد مشاهدة الآيات لاتتأثر بها ولا تزداد إيمانا . فملخص التشبيه أن قلوبكم تشبه الحجارة في القسوة بل قد تزيد في القساوة

عنها فان الحجارة الصم تتأثر فى باطنها بالماء اللطيف النافع بعضها بالقوي منه وبعضها بالضعيف ولكن قلوبكم لا تتأثر بالحكم والمواعظ التي من شأنها التأثير فى الوجدان ، والنفوذ الى الجنان ، والحجارة تتأثر بالحوادث الهائلة التي يحدثها الله فى الكون كالصواعق ولكن قلوبكم لم تتأثر بتلك الآيات الالهية التي تشبهها فلا أفادت فيها المؤثرات الداخلية ولا المؤثرات الخارجية كما أفادت فى الاحجار فبذلك كانت قلوبكم أشد قسوة « ثم هددهم بقوله « وما الله بغافل عما تعملون » أي فهو سيربيكم بضروب النقم ، اذا لم تتربوا بصنوف النعم ،

استدراك

ذكرنا فى هامش صفحة ١٢٣ أننا لا نتذكر فى أي موضع من التوراة ذكر ذلك الحكم الذي أشار اليه الاستاذ الامام فى تفسير الآية ثم ذكرنا انه فى أول الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ونصه :

« اذا وجد قتيل فى الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعا فى الحقل لا يعلم من قتله ٢ يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون الى المدن التي حول القتيل ٣ فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنير ٤ وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة فى الوادي ٥ ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي لأنه اياهم اختار الرب الهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ٦ ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق فى الوادي ٧ ويصرحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر ٨ اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يارب ولا تجعل دم بريء فى وسط شعبك اسرائيل. فيغفر لهم الدم » اه وقد ذكر معنى ذلك الاستاذ الامام فى الدرس ولكن جاءت عبارتنا عنه غير كافية فأوضحناها بهذا الاستدراك

الانجيل الصحيح

(مقدمة كتاب الفيلسوف تولستوي الروسي الذي سماه « الاناجيل »)

(تمهيد) : ينعق دعاة النصرانية فينا دائما : إن القرآن شهد بأن الانجيل كتاب الله المنزل على المسيح وأنه حق فاذا لم تكن هذه الاناجيل الاربعة التي فى أيدينا هي كتاب المسيح فأين هو كتابه ؟ : وقد سبق لنا فى المنار الجواب عن هذا السؤال وبيان أن انجيل المسيح فى اعتقاد المسلمين هو مجموع المواعظ والحكم والأحكام التي جاء بها المسيح وعلمها بني إسرائيل مع تصديقه للتوراة وأن ذلك لم يحفظ كله وإنما حفظ منه شيء ونسيت أشياء كما قال تعالى فى أهله « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » وما كانوا يعترفون بهذا ولكن الله عرف نبيه الامي به فعلم الناس مالم يكونوا يعلمون

كانت تعاليم الدين محبوسة فى هذه الامة عند الرؤساء ولكن ما أحدثه البروتستنت من حرية البحث فيه وما كتبه مؤرخو أوربا الاحرار فى التاريخ العام قد أظهرا لنا تفسير قول الله فى الانجيل فكان ذلك من دلائل نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه ضرب من ضروب إعجاز القرآن وآية من آياته البينات . فان التواريخ الكنيسية وغير الكنيسية أظهرت لنا أن أتباع المسيح فى زمنه كانوا من العوام الجاهلين وأنهم مزقوا من بعده فى الأرض كل ممزق وكانوا مضطهدين من اليهود والرومان جميعا حتى قضت السياسة على الملك قسطنطين بالدخول فى النصرانية واتخاذ عصبة جديدة منها . فلما صار لهذه الديانة سلطة طفقت تنشئ المجامع وتجمع الآ ثار الدينية فظهر عندها أناجيل كثيرة تحكم فيها

الرؤساء كما شاؤا وأقروا منها أربعة وحكموا ببطلان ماعداها . وإن كانت هذه الأربعة الا تواريخ للمسيح فيها بعض كلامه المأثور عنه منقولا عن آحاد لايجزم العقل بصحة روايتهم كلها ولا بكذبها كلها فالذي يمكن الوثوق به فى الجملة ان فيها حظا من كلام المسيح وبقي حظ آخر هو الذي نسوه . وليس فيها كلمة تدل على أن أحد مؤلفيها يدعي أنه جمع فأوعى كل ماقاله المسيح . بل كانت آخر جملة فى الرابع منها قول يوحنا مؤلفه « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » اه

وإننا بغض الطرف عن الغلو فى العبارة نقول إن الأفعال الكثيرة المرادة لابد أن تكون مصحوبة بأقوال وتعاليم تركت كتابتها كما تركت كتابة الأفعال . ولعلنا فى جزء آخر نورد بعض أقوال مؤرخي أوربافى ذلك .ونقول الآن إن العقول المطلقة من أسر تقليد الكنيسة قداهتدت إلى ماحكم به الاسلام فى الجملة . ومن اكبر هذه العقول عقل الفيلسوف تولستوي الروسي الشهير فقد ألف كتابا أرجع فيه الأناجيل الأربعة الى إنجيل واحد وحذف منها مالايوثق به من الأقوال التاريخية والخوارق الكونية وان كان بعضه صحيحا . واننا ننشر فى المنار مقدمة كتابه هذا معربة عن الفرنسية لتكون عبرة للعقلاء وان كنا لانسلم بكل مافيها تسليما

ذكر فى أول المقدمة ان كتابه هذا (واسمه الأناجيل) ملخص من سفر له كبير مؤلف من أربعة أقسام - أحدها فى تاريخ حياته هو وارتقائه فى الفكر الذي أعانه على معرفة الحق والصواب فى التعاليم المسيحية كما يعتقد الآن . وثانيها فى خلاصة المذهب المسيحي المعروف عند

الكنائس لخصه مما يؤثر عن الحواريين والمجامع وجمهور القسيسين وأضاف اليه شرحا « يوضح فساد تلك التعاليم الكنائسية » . وثالثها فى خلاصة الاناجيل الاربعة وجعلها إنجيلا واحد يحتوي على التعاليم المسيحية الصحيحة بحسب ماوصل اليه اجتهاده . ورابعها خلاصة عامة للمعنى الحقيقي الذي تدل عليه التعاليم النصرانية وللاسباب التي أوجدتها والنتائج التي تستلزمها .

(قال) : وهذا الكتاب الذي أنشره الآن على رؤس الاشهاد هو خلاصة القسم الثالث : ثم قال :

***

« ولقد حاولت فى القسم الثالث من مؤلفي الكبير الذي سبقت اليه الاشارة ان أترجم وأنشر الاناجيل الاربعة جملة جملة لاأغفل منها سطرا واحدا ولكن رأيت من الواجب ان أتعمد فى هذه الخلاصة حذف كل العبارات التي ترتبط بهذه الموضوعات وهي : (الحمل بالمسيح وميلاد القديس يوحنا المعمدان وسجنه وقطع رقبته وميلاد المسيح ونسبه وهروبه الى مصر والمعجزات التي حصلت فى كانا وكفرناحوم والعزائم لاخراج الجن من أجساد الناس والسير على سطح البحر ولعن شجرة التين والقيامة وكل مايشير الى النبوات التي جاء مصداقها فى حياة المسيح)

« طويت كشحا عن هذه العبارات لانها لا تحتوي على شيء مما يتعلق بالتعاليم المسيحية وانما لها علاقة ببيان الحوادث التي حصلت قبل تصدر المسيح للتعليم وفى اثنائه وبعده فليس فيها فائدة فى ايضاح حقيقة التعاليم التي جاء بها المسيح بل يسوغ لنا ان نقول انها موجبة للتشويش فى فهمها والارتباك فى إدراكها ومهما كانت الوسيلة فى ترتيب المعاني على هذه

الموضوعات فانها لاتغير تعاليم المسيح نقضا ولا اثباتا وانما الغرض منها إقناع الذين لا يعتقدون بألوهية عيسى المسيح ولذلك لم يكن فيها أقل فائدة لرجل لاتؤثر حكايات الخوارق والعجائب فى إقناعه فضلا عن كون فى نفس تعاليم المسيح الدلائل الكافية على ثبوت ألوهيته

(ثم قال) : « وأقول بوجه العموم فيما يتعلق بمخالفة ترجمتي فى بعض المواضع للنص الرسمي المعتمد فى الكنيسة ان القارىء لا ينبغي له أن ينسى أنه من الخطأ الفاحش والكذب الصراح ان يقال ان الاناجيل الاربعة هي كتب مقدسة فى جميع آياتها وفى جميع مقاطع كلماتها وانها مقدسة بحيث يحرم تبديل شيء منها فلا يصح للقارىء ان ينسى ان عيسى لم يؤلف كتابا قط كما فعل أفلاطون وفيلون ومارك أوريل وانه لم يلق تعاليمه مثل سقراط على رجال من أهل العلم والادب وانما عرضها على قوم من الجهال قد خشنت طباعهم كان يصادفهم فى طريقه . وانما جاء بعد مماته بزمان يقارب المئة عام رجال أدركوا مكانة كلماته فخطر ببالهم ان يدونوها بالكتابة . ولا ينبغي للقارىء ان ينسى ان مثل هذه المدونات كانت كثيرة وقد ضاع معظمها وان منها ما كان محشوا بالخطأ والغلط وان النصارى قد استخدموا كل هذه المدونات فى أول الأمر حتى اختاروا منها مع توالي الأيام ماظهر لهم أنه أقرب للكمال وللصواب وان الكنائس حينما اختارت أحسن الأناجيل بين مئات الالوف من المصنفات التي جادت بها قرائح المشتغلين بالعلم فى أوائل النصرانية وقعت فيما يقوله المثل الروسي « لايخلو القضيب من العقد » فأخذت عقدا كثيرا من هذه المجامع وان الغلط فى الأناجيل القانونية هو بقدر الغلط فى الاناجيل

المهملة لاعتبارها محلا للشك والارتياب وان هذه الاناجيل المتروكة تشتمل على أشياء جميلة قد تعادل ماتضمنته الاناجيل الرسمية .

« لا ينبغي للقارىء انه ينسى ان تعاليم المسيح هي المقدسة وان ذلك التقديس لايتعدى الى عبارات مسطورة وكلمات مرقومة وان اعتبار بعض الكتب مقدسة لايكفي فى إحاطة التقديس بكل ماجاء فيها الى آخر سطر منها . فليس الآن فى عالم المدنية من يجهل أعمال النقد التاريخي منذ مئة عام سوى جمهور الناس فى بلادنا الروسية فانهم لايزالون يعتقدون بهذا الرأي الساذج وهو ان أناجيل متى ومرقس وبولس قد كتبت كما هي الآن وان المؤلفين المنسوبة اليهم قد كتب كل واحد منهم ما كتبه على حدته دفعة واحدة

« لاينبغي للقارىء ان ينسى ان هذا الرأي المبني على الجهل بالمباحث العلمية انما تعادل قيمته اليوم قول أسلافنا فى القرن الماضي إن الشمس تدور حول الارض . ولا ينبغي للقارىء أن ينسى أن الاناجيل المجملة المندمجة فى بعضها انما هي ثمرة المباحث الطويلة ونتيجة سلسلة من أعمال الحذف والزيادة وانها أثر من آثار ماأوحاه الخيال على آلاف من الرجال وانها ليست بنتيجة مانطق به الروح القدس على لسان الانجيليين كما يزعمون.

ولا ينبغي للقارىء أن ينسى ان الاناجيل بشكلها الحاضر لاتتضمن ألبتة شهادة الحواريين وتلامذة عيسى مباشرة وان القول بذلك من الخرافات التي لاتصبر على محك الانتقاد فضلا عن عدم بنائها على أدنى أساس سوى رغبة نفوس أرباب التقوى والورع فى ان تكون كذلك . فقد توالت القرون والناس يدونون الاناجيل ويهذبون موضوعاتها ، ويتوسعون فى

عباراتها ، ويشرحون أقوالها ، فان أقدم النسخ التي وصلت الينا قد تمت كتابتها فى القرن الرابع للميلاد وهي مكتوبة على نسق واحد من أولها الى آخرها أي بلا فواصل ولا غير ذلك من الاشارات التي تستعمل لايضاح الكلمات وبيان الجمل ولذلك دعت الضرورة حتى بعد القرنين الرابع والخامس الى تفسيرها بطرائق متخالفة من كل الوجوه وصارت نسخ هذه الاناجيل تقارب الخمسين ألفا .

« بل يجب على القارىء ان يستحضر فى ذهنه كل هاتيك الاعتبارات حتى لايعول على هذا الرأي السائد فيما بيننا وهو ان الاناجيل وصلت الينا صادرة مباشرة عن الروح القدس بشكلها الحاضر ويجب عليه أيضا أن يسلم معنا بأنه ليس من المحرم علينا ان نحذف من الاناجيل العبارات التي لافائدة فيها وان نستعين ببعض معانيها على بيان معاني البعض الآخر بل ان الحرام كل الحرام والكفر كل الكفر هو عدم التجاسر على فعل ذلك وان نعتقد بتقديس بعض العبارات ، وطائفة من الكلمات، بحيث نرى انه لايجوز مساسها على الاطلاق

« هذا وانني أسأل القارىء الكريم ان يتذكر أنني اذا كنت لاأعتبر الاناجيل كتبا مقدسة قد نزلت علينا من السماء مباشرة بوحي من الروح القدس الذي جعلها لنا عهدا ووصية فانني لاأذهب أيضا الي ان هذه الاناجيل ليست الا آثاراً تاريخية تدل على حالة التأليف فى العلوم الدينية بل انني مصدق بما حوته من التصور الديني والتاريخي ولكنني اتصورها بطريقة أخرى ولذلك أرجو من القارىء الكريم الذي يمعن نظره فى ترجمتي بان لايترك نفسه فى أثناء تلاوتها تسير فى

طريق الضلال من حيث الوجهة الدينية أو من حيث الوجهة التاريخية اللتين أقر عليهما أرباب الآداب وعنوا بهما فى هذه الايام فلست أذهب الى واحدة منهما دون الاخرى فكلاهما فى نظري سواء . لاجرم إنه يستحيل علي أن أعتبر النصرانية وحيا لايشوبه شيء أو مظهرا مجردا من مظاهر التاريخ فى هذا الوجود ولكنني أذهب الى ان النصرانية هي النحلة الوحيدة التي تجعل معنى لهذه الحياة ولم يدفعني اللاهوت ولا التاريخ الى اعتناق النصرانية ولكن الاسباب التي حملتني على قبول هذا المذهب هي ماياتي : (لها بقية)

آثار علمية أدبية

تتمة تقريظ رسالة الشيخ محمد بخيت

قال المؤلف بعد ماتقدم: ومن هذا القبيل بلا شبهة الاجتماع للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لانها جماع الخير ومفتاح البركات باجماع المسلمين :

اقول ان الصلاة على النبي والدعاء له مشروع ولكن لم يقل احد من السلف ومن ينظر الى قوله من الخلف بمشروعية الاجتماع لها وكونها شعارا دينيا يعين له وقت مخصوص وصيغ مخصوصة واجتماع مخصوص . واذا كان الشعار لايثبت الابشرع كما تقدم فعلى المصلين ان يتحاموا ذلك وليصلوا ويدعوا مجتمعين وفرادى مالحامو جعل ذلك شعارا . ولا معنى لهذا الاجماع الذي ذكره. فالذين ينعقد بهم الاجماع لم ينقل عنهم هذ القول « انها جماع الخير ومفتاح البركات » وان اراد انهم قالوا ماهو بمعناه قلنا ان معناه غير محدود متعين وماذاك الذي قالوه بمعناه ومن الذي نقله بالاجماع ؟ . الذي يقوله كل مسلم انها مشروعة وكل مشروع خير نافع ومفيد وبهذا القدر كفاية

(بدع المواسم) ثم قال : ومن هذا القبيل الاجتماع لقراءة وسماع نحو قصة المعراج وفضائل ليلة النصف من شعبان وليلة القدر فى لياليها المشهورة لان الاولى سيرة النبي

واحاديثه الصحيحة والثانية والثالثة آيات قرآنية واحاديث نبوية جاءت في فضل الليلتين وبيان معاني ذلك مما يرغب في العمل الصالح:

ونقول: الاجتماع لهذه القصص صار له كيفية مخصوصة ووقت مخصوص ويكون في المساجد ويقتضي نفقات كثيرة تؤخذ من أوقاف المسلمين بغير حق فيكثرون فيه إضاءة القناديل والشموع في المساجد والمنائر وتدار في بعض المساجد أقداح الشراب الحلو على الحاضرين وقد تكون هذه الاقداح من الذهب أو الفضة وذلك حيث يكون الامراء ومن يتبعهم من الحكام والعلماء . وبعض القصص التي تقرأ فيها تشتمل على الاحاديث المكذوبة والواهية لاسيما قصة المولد التي تدخل في كلامه بمقتضى كلمة «نحو» . ثم ان هذا الشعار المبتدع يستتبع بدعا أخرى كاجتماع أهل اللهو الباطل المصبوغ بصبغة الدين بطبولهم ومزاميرهم في المسجد يعزفون ويغنون ويصفقون ويهزأون باسماء الله تعالى اذ يذكرونها في لهوهم هذا ويجتمع عليهم في بعض المساجد (كمسجد القلعة) الغوغاء والافرنج نساء ورجالا فيكونون في نظر هؤلاء سخرية وآية على ان دين الاسلام دين المجانين والحمقى (حاشاه)

هذا بعض وصف هذه الاجتماعات التي جعلت شعائر إسلامية تقام في بيوت الله تعالى ومن يقرأ رسالة المؤلف لايفهم منها الاكون هذا الاجتماع المعروف مشروعا في الاسلام ومن القرائن ان الناس يرون العلماء يحضرون هذه الاحتفالات . نعم إنه قال في جملة أخرى : لايجوز التكلف في تغيير الصوت في الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعله العوام فيمنع : ثم قال : وكذا يمنع كل منكر وكل شيء اشتمل عليه مجالس الذكر والخير دون نفس الذكر والخير : وهذا القول يشبه ان يكون احتراسا من الانتقاد فان الاجتماعات التي ذكرها معظمها بدع ومنكرات حتى صار الأقرب ان يؤمر بتكريم ذكر الله ان يكون فيها احتراما له فان هذه الاجتماعات قد تكونت هكذا من المنكرات فلا سبيل الى إجازتها وجعلها مشروعة واعتبار المنكرات عرضا لاحقا بها يخص بالانكار دونها . وهذه الآيات وتفسيرها والأحاديث وشرحها تقرأ في مجالس العلم ولايخطر في بال أحد أن يقول إنها منكرة. بل نقول ان مجالس العلم في نحو الازهر لاتخلو من منكر في الغالب ولكن ذلك هو

المنكر العارض والأصل في المجالس والاجتماع إفادة العلم واستفادته

***

(بدع الجنائز) : وقد أحسن المصنف عقيب ذلك في الجزم بحظر ما يكون في الجنائز من « رفع أصوات المشيعين للجنازة بنحو قرآن أو ذكر أو قصيدة بردة أو يمانية » وعده ذلك من البدع المذمومة وعلل ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم تركه مع قيام المقتضي لفعله قال « فيكون تركه سنة وفعله بدعة مذمومة » كما هو الحكم في مثله بل نقل حديثا رواه أبو داود مرفوعا وهو « لا تتبع الجنائز بصوت ولا نار » ثم ذكر ان بعض المتأخرين جوز رفع الصوت بالذكر « مخالفة لاهل الكتاب لأنهم يمشون في الجنائز ساكتين » ... رد عليه هذا القول بوجهين احدهما اتباع النص الناهي عنه والثاني ان العلة ممنوعة فان اهل الكتاب يرفعون اصواتهم في الجنائز لهذا العهد . ونزيد عليه ان هذه العادات سرت الى المسلمين منهم . ثم قال ما نصه : « وأما ما يفعل في زماننا امام الجنائز من الأغاني ورفع الصوت بالبردة واليمانية على الوجه الذي يفعل في هذا الزمان والمشي بالمباخر فلا يقول بجوازه احد » ثم بين ان عرف الناس لا يعتبر في هذا الزمان كما صرح به فقهاؤهم

اقول قد احسن في القول بحظر هذه البدع . ومثل هذا الذي ذكره في كونه مبتدعا مذموما ما تقدم الكلام فيه من الاجتماع لقصة المعراج وليلة النصف وليلة القدر وليلة المولد . وأما العرف المحكم شرعا فلا معنى لاشتراط كونه جرى فى عهد الصحابة وإلحاقه بالاجماع كما قال وانما هو العرف الذي يجري فى المعاملات الدنيوية ويتواطأ الناس عليه لموافقته لمصلحتهم وهو لا يخالف نص الكتاب والسنة ولا يتعلق بالأمور الدينية المحضة

***

(لا عبرة بسكوت العلماء على المنكر) وأحسن أيضا كل الاحسان فى قوله بعد ابطال عرفهم فيما ذكر : « وكذا ما تعارفوه من التغني — أي بمدح السلاطين — والترضي وغير ذلك وقت الخطبة فان كل ذلك ممنوع اتفاقا يثاب من منعه أو أمر بمنعه كما ان فعل شيء مما علم أنه بدعة مذمومة شرعا فى بعض المواضع التي يكون

بها العلماء كالجامع الأزهر مع سكوتهم عليه لا يصلح دليلا على الحل لان المعول عليه في الاحكام الشرعية هو ماذكرنا من الأدلة الأربعة » : فليتأمل قول هذا العالم الأزهري أولئك العوام الذين يحتجون على المنار في إنكار بدع الموالد والمساجد بأن العلماء يشاهدونها ولا ينكرونها بل يقرون الناس عليها . وهذا آخر ماردنا كتابته في تقريظ هذه الرسالة الوجيزة انتقادا واستحسانا وذلك عناية منا بمؤلفها فما كل من كتب يبالي بكلامه

(مختصر جامع بيان العلم وفضله • وما ينبغي في روايته وحمله)

كنا نسمع بكتاب العلم لحافظ المغرب الامام أبي عمر يوسف بن عبد البر ونرى النقل عنه في كتب الحديث والأثر فنشتهي ان نراه ونتمنى لو يطبع • وقد أعطانا الله ماتمنى إذ أظفر الشيخ أحمد عمر المحمصاني البيروتي الازهري المعروف بحسن اختيار الكتب بنسخة من هذا الكتاب ووفقه لاختصارها وطبعها • وما كان اختصاره الا حذف الاسانيد والمكرر • وقد ذيله بهوامش فسر بها الغريب من الكلم ، ونوه بعض الفوائد والحكم ، وجعل في آخره فهرساً للأعلام ذكر فيه جميع أسماء الصحابة والعلماء الذين جاء ذكرهم فيه مبيناً مواضعها من الصفحات والاسطر • وقد بلغت صفحات الكتاب ٢٣٢ وهو بشكل المنار وطبع بحروف كحروفه الصغيرة ولا أجد قولا أقرظه به بعد شهرته وبعد صيت مؤلفه الا ان أتحف القراء ببعض فوائده وسيكون ذلك في غير هذا الجزء • ولكنني أعجل بالنصيحة لأهل العلم الاسلامي ومحبيه بأن يقرأوا هذا الكتاب ويقتنوه • وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مؤلفه بالازهر ومن ادارة مجلة المنار ومن جميع المكاتب الشهيرة في مصر وغيرها

(اغاثة اللهفان ، في مصايد الشيطان • وطريق الهجرتين ، وباب السعادتين)

كتابان جليلان للامام الحجة شمس الدين محمد بن أبي بكر الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية موضوعهما النهي عن البدع والمحرمات والكلام في الأخلاق والآداب الدينية والمواعظ والرقاق والاعتصام بالكتاب والسنة • ومثل هذا الامام الحافظ هو الجدير بالتأليف في ذلك فقد كان هو وشيخه بل شيخ الاسلام وعلم الأعلام

أحمد ابن تيمية أعلم أهل الارض بالكتاب والسنة . وعندي انه لا يستغني أحد يطلب علم الدين عن الاطلاع على كتبهما وان هذين الكتابين يصلحان لافادة العوام وان كان لا يستغني عنهما الخواص . وقد طبع الثاني منهما في هامش الاول وبلغت صفحات المجلد الذي جمعهما ٤٢٣ من القطع الكامل وهو يطلب من مطبعة ومكتبة الحلبي بمصر

(غنية المؤدبين . في الطرق الحديثة للتربية والتعليم)

كتاب حديث الوضع والطبع ألفه الشيخ عبد العزيز شاويش أحد مفتشي نظارة المعارف العمومية . بدأه بمقدمة في تاريخ التربية وجاء فيه بفصول في علم النفس وفصول في التربية على اختلاف ضروبها وفصول في أساليب التعليم ونظام المدارس وفي هذه الفصول فوائد ومسائل لا تكاد توجد في كتاب عربي لأنها مقبوسة من علوم العرب — وقد تربى المؤلف في احسن مدرسة لهم وهي مدرسة دار العلوم بمصر — ومن علوم الافرنج — وقد تخرج في مدرسة من احسن مدارس الانكليز — . وقد تصفحنا صفحات من الكتاب فاستحسنا وضعه ، ورجونا نفعه ، ولم ننتقد فيه شيئاً يضع لذاك الوضع ، أو يحول دون هذا النفع ، وانما هي كلمات نبت عن مواضعها ، وقضايا لا تؤخذ على اطلاقها .

اما الكلمات فبعضها من تحريف الطبع وبعضها من استعمال المدارس ككلمة تخته فانها فارسية معناها الخشب وتعريبها تخت وهو وعاء تصان فيه الثياب وسرير من خشب او غيره غلبت في عرش السلطان واستعملها المؤلف في اللوح الذي يكتب عليه . ومنها ماهو ضرب من ضروب التجوز أو التوسع في الكلام بنحو التعدية والتقديم والتأخير كقوله « كفي لهم معلم واحد » وقوله في ابتداء كلام « كانت تعلم اليهود القراءة » يريد كانت اليهود تعلم . ونحو ذلك من الجمل التي تنكر بعضها البلاغة وان عرفها النحو ومثلها كثير في كلام المعاصرين من الكتاب والمؤلفين الذين يغفر لهم مالا يغفر لمعلمهم فن التربية والتعليم مثل صديقنا مؤلف كتاب « غنية المؤدبين »

واما القضايا التي ينتقد اطلاقها فمثل ماحكاه في اول الكتاب عن التربية عند اليهود وعند العرب . فقد ذكر ان التربية كانت عند الاسرائيليين الى سنة ٦٤ قبل الميلاد منزلية دينية قال « فيربو الطفل وليس في قلبه شيء غير الله وجلاله » وهذه نتيجة فيها مبالغة عظيمة ولا بدان

يكون المؤلف نقلها عن كتاب اوربي يطري اليهود والتاريخ يدل على انهم لم يكونوا في عصر من الاعصار آخذين بروح الدين بمثل هذه العناية . ومثل ماحكاه عن طريق التعليم عند العرب فانه انما ذكر رأي ابن خلدون في ذلك ولم يذكر ما كان عليه العرب في نفس الامر

ومثل هذا لاينافي كون الكتاب لانظير له في بابه وانه ينبغي للمعلمين والمربين الاستعانة به والاستفادة منه • ويا ليت اهل الازهر يقرأونه ويطلعون على ماكتبه واحد كان منهم ثم تعلم بعد علومهم مالم يتعلموا • وقد قال بعض افاضل المشتغلين بتعليم فن التربية والتعليم في تقريظ هذا الكتاب كلمة ينبغي ان تكون فصل الخطاب وهي : إنني كنت اذا اردت إلقاء الدرس في هذا الفن لااجد ما اقول الا بعد بحث واستقصاء ، وجهد وعناء ، فلما طبع هذا الكتاب نظرت فيه فاصبت في كل فصل من فصوله ماينبغي ان يلقى في الدرس الذي يحث ذلك الفصل في مسائله مع زيادات لايستغنى عنها ، ولا بد للمعلم منها ،: والكتاب يطلب من مكتبة المؤيد ومكتبة الشعب بمصر

(المنتحل — للامام أبي منصور الثعالبي)

الثعالبي من أئمة اللغة والأدب المعروفين وله الكتب النافعة فيهما ومنها هذا الكتاب الذي أودعه مفردات ومقاطيع من مختار الشعر في ضروب الكلام وشجونه مما يحسن إيراده في الرسائل والفصول الادبية والاخلاقية والاجتماعية • ولقد كان سراً مضمراً في خاطر الدهر حتى وقعت نسخة منه للشيخ أحمد أبي علي أمين مكتبة البلدية في الاسكندرية وهو من أهل العلم والأدب وعشاق الفنون فأذاعه بما حرص على نشرها بالطبع بعد عناء في تصحيحها وتعليق شرح وجيز عليها جعله كالطراز على مطارف بعض الصحائف •

(المنتخل • في تراجم شعراء المنتحل) كتاب لطيف لشارح المنتحل وطابعه رتب فيه أسماء الشعراء الذين ألف المنتحل من مختار كلامهم على حروف المعجم وذكر سيرهم مختصرة مفيدة فكانت صفحات الكتابين معاً ٣٦٠ والكتاب طلبة المتأدبين وقد طبع على ورق جيد وضبط مايستحق الضبط من كلمه بالشكل وثمن النسخة منه ٢٠ قرشاً صحيحاً وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من طابعه ومن ادارة مجلة المنار بمصر وانا نذكر نموذجا منه ونبدأ بباب الامثال والحكم والآداب

(قال امرؤ القيس بن حجر الكندي)

الله أنجح ما طلبت به   والبر خير حقيبة الرحل

لقد طوّفت في الآفاق حتى   رضيت من الغنيمة بالاياب

فانك لم يفخر عليك كفاخر   ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وجرح اللسان كجرح اليد

(وقال طرفة بن العبد)

كفى واعظاً للمرء أيام دهره   تروح له بالواعظات وتغتدي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

اذا ما رأيت الشر يعقب أهله   وقام جناة الشر للشر فاقعد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

يا راقد الليل مسرور بأوله   إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

كلهم أروغ من ثعلب   ما أشبه الليلة بالبارحه

لنا يوم وللكروان يوم   تطير البائسات ولا نطير

وأعلم علماً ليس بالظن أنه   اذا ذل مولى المرء فهو ذليل

(وقال الأفوه الأودي واسمه صلاة بن عمرو)

تهدي الامور بأهل الرأي ما صلحت   وان تولت فبالاشرار تنقاد

والبيت لا يبتني الاّ على عمد   ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة   وساكن بلغوا الامر الذي كادوا (١)

(وقال محمد بن مناذر)

يا عجباً من حاله كيف لا   يخطئ فينا مرة بالصواب

(وقال أبو نواس)

كفى حزناً أن الجواد مقتر   عليه ولا معروف عند بخيل

وأوبة مشتاق بغير دراهم   الى قومه من أعظم الحدثان

(١) المنار — كاد الامر حاول طلبه

(وقال محمود الوراق)

واذا غلا شيء عليّ تركته فيكون أرخص مايكون اذا غلا

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

(وقال علي بن الجهم)

وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عاراً أن يزول التجمل

(وقال أبو تمام)

ومن لم يسلم للنوائب أصبحت خلائقه طراً عليه نوائبا

وقال أبو الطيب المتنبي

أهم بشيء والليالي كأنما تطاردني عن كونه وأطارد

وحيد من الخلان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قل المساعد

إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

(وقال آخر)

فيانفس صبراً انما عفة الفتى اذا عفّ عن لذاته وهو قادر

دع الوطن المألوف رابك أهله وعدّ عن الأهل الذين تكاثر

فأهلك من أصفى وعيشك ماصفا وان نزحت دار وقلت عشائر

وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

وهل تحجب الشمس المنيرة ضوءها ويستر نور البدر والبدر زاهر

(وقال آخر)

وكنت اذا خاصمت خصما كببته على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الخصومة غلبت عليّ وقالوا قم فانك ظالم

ولما التقينا لجلجت في حديثها ومن آية الشر الحديث الملجلج

ان الامير هو الذي يضحى أميراً بعد عزله

ان زال سلطان الولا ية فهو في سلطان فضله

شعار الفتى ذم الزمان الذي اتى ومن شأنه مدح الزمان الذي مضى

(مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر)

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أفندي زيدان منشيء مجلة الهلال الشهيرة وهو خاص بتراجم رجال العلم والأدب والشعر ومنهم كتاب الجرائد وطريقة المؤلف فى التأليف وذوقه فى تحرير التاريخ مما لايحتاج الى تنويه ٠ ولا يكاد يوجد قارئ بالعربية الا ويحب ان يطلع فيه على ترجمة فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الافغاني وغيره من رجال العلم والأدب كالدكتور فانديك والسيد أحمد خان وبطرس البستاني والشيخ احمد افندي فارس وكمال بك نامق ومحمود باشا الفلكي وأمثالهم٠ نعم قد انتقد عليه انه ذكر بعض الادباء الذين لايعدون من رجال النهضة والذين يوجد لهم نظائر وأمثال كثيرون٠ والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمنه ١٥ قرشاً صحيحاً

(ديوان الرافعي)

لم ينس القراء اننا نشرنا مقدمة هذا الديوان فى الجزء الأول وقد تم طبع الديوان مذيلا بشرح وجيز لشقيق الناظم محمد كامل افندي الرافعي٠ ومن أراد ان يعرف مكانة هذا الديوان فى دواوين الشعر والأدب فلينظر ماقرظه به فرسان هذا الميدان كمحمود باشا سامي البارودي والشيخ عبد المحسن البغدادي وحافظ افندي ابراهيم وغيرهم وإننا ننشر تقريظ هذا الاخير لاختصاره قال:

قد قرأنا نظيمكم فقرأنا ... حكمة كهلة وشعراً فتيا
وتلونا نثيركم فشهدنا ... كاتباً بارع اليراع سريّاً
خاطر يسبق العيون الى القلـ ... ـب ويطوي منازل البرق طيا
ومعان كأنها الروح في الصـ ... ـيف تهز النفوس هز الحميا
من بنات المحار يصبو اليها ... تاج كسرى وتشتهيها الثريا
إيه يارافعي أحسنت حتى ... لاأرى محسناً بجنبك شيا
أنت والله كاتب بدويّ ... ان عددناك شاعراً بدويا

ولا غرو فهذا الشاعر في بدايته قد فاق كثيراً من شيوخ الشعراء في نهايتهم فتمنى لو يقبل الناس على ديوانه تنشيطاً للأدب واهله

(ورقة الآس) هي القصة الرابعة عشرة من قصص (مسامرات الشعب) الشهرية

كتبها احمد بك شوقي شاعر الامير وقد قرأتها فألفيتها احسن ما قرأت من هذه القصص عبارة واسلوباً وتأثيراً حتى كدت اقول انها هي القصة الأولى والاخيرة من هذه المسامرات • وقد صدر بعدها قصة مصارع الشهوات وقصة الفتاة اليابانية وهي الاخيرة ومؤلفها حسن افندي رياض وقد نظرت في التي قبلها فلم احمد اوائلها وربما كان ختامها مسكا

جرائد ومجلات جديدة

(المغرب) جريدة سياسية اقتصادية علمية ادبية تصدر فى مدينة الجزائر باللغة العربية مرتين فى الاسبوع صاحب امتيازها موسيو بيير فونطانا وقيمة الاشتراك فيها عشرة فرنكات فى الجزائر و١٥ فى غيرها وهي على قبح ورقها وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرفهم بعض احوال العالم وشؤن الاجتماع فتتمنى لها دوام الاعتدال والقصد والرواج فى تلك البلاد

(الافكار) جريدة وطنية اخبارية صحية اسبوعية انشأها فى سان باولو بالبرازيل الدكتور سعيد ابو جمره صاحب كتابي (حياتنا التناسلية) و (وقاية الشبان) وقيمة الاشتراك فيها ٢٠٠ قرش برازيلي فى البرازيل وعشرون فرنكا فى سائر الممالك وهي جريدة ترجى فائدتها فعسى ان يتحقق الرجاء

(الفضيلة) مجلة ادبية تصدر في مصر آخر كل شهر شمسي لمنشئها سليم افندي العضم وقيمة الاشتراك فيها اربعون قرشا فى القطر المصري وثلاثة عشر فرنكا فى غيره وثلاثون قرشا لرجال الدين وطلاب العلم • وقد صدر منها جزآن ثانيهما فى شهر ابريل

(حب العلوم) مجلة علمية دينية تاريخية انتقادية تصدر بزفتى مرتين في كل شهر لمنشئها الشيخ عبد الفتاح جاب • الله (هكذا) وقيمة الاشتراك فيها خمسة عشر قرشا ولطلبة الأزهر واساتذة المدارس عشرة قروش وقد انشئت فى اول المحرم من هذه السنة

(الصيحة) جريدة اسبوعية تصدر فى طنطا صاحبها محمود افندي الشاذلي وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش (جنيه مصري)

(القاهرة) جريدة تصدر فى مصر لصاحبها بشير أفندي يوسف قيمة الاشتراك فيها ثلاثون قرشا وهي تصدر فى الشهر مرتين

(السياسة) جريدة اسبوعية تصدر فى مصر لصاحبها يوسف افندي كساب وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ قرشا فى القطر المصري و٢٥ فرنكا فى سائر الاقطار

باب الأخبار والآراء

شرف العرب وفضلهم على الامم

صدر الجزء الصادر فى هذا الشهر من المقتطف بمقالة فى عمران العراق أورد الكاتب فيها ملخص مقالة لجريدة التيمس فى شريعة حموربي (وضبطه « همورابي ») جاء فيها ان هذا الملك الشارع العظيم الذي يرى العلماء فى أوربا ان معظم التوراة مستمدة من شريعته هو من أسرة عربية الأصل قال « فالعرب هم الذين وضعوا تلك الشريعة » فحسب العرب فخرا وشرفا أن أقدم شريعة عرفت فى الارض الى هذا العهد هي منهم وآخر شريعة وجدت فى الارض فكانت خاتمة الشرائع الالهية جاءت على أيديهم فمن يفاخرهم فى الارض وهم ساسة الأمم ومهذبوها فى القديم والحديث

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   اذا جمعتنا ياجرير المجامع

نعم انهم قد هضموا أنفسهم منذ قرون فهضمت حقوقهم الأمم حتى صار يلغط المتطفلون على موائد العلم والكتابة بذمهم والقول بأنهم لا استعداد فيهم للسياسة ولا للحضارة فصدق عليهم قول شاعرهم « ومن لم يكرم نفسه لا يكرم » ولا طريق لتكريم النفس إلا العلم والتهذيب فأما التهذيب فأهل البداوة منهم ارسخ الناس عرقا فى اصول الفضائل وهي الشجاعة والشهامة والمروءة والنجدة والسخاء والوفاء والنصفة . واهل الحضارة منهم اقوى الناس استعداداً له . واما العلم فآلته الذكاء والعقل والعرب اذكى الناس افئدة واكبرهم حلوما ولـكن للعلم فى كل زمنا طريقا فلابد للعرب كغيرهم من التوصل الى العلم الدنيوي من الطريق الذي سار عليه الافرنج قبلهم فسادوا واعتزوا وأما علم الدين فهو منهم على طرف الثمام . فاذا عقل سراتهم هذا فلا يعدمون وسيلة لاشراع هذا الطريق ، وبالله التوفيق

البيوت ـ المحبة الزوجية

قال تعالى « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن

اليها » وقال « وللرجال عليهن درجـــة » وهي السيادة فالرجل والمرأة زوجان من نفس واحدة سعادتهما فى سكون كل منهما الى الآخر وشقاؤهما فى نفور أحدهما من الآخر . هذا السكون فطري فى البشر والحيوان وان شئت قلت فى الاكوان ولكن البشر أعطوا علما واختياراً فى التصرف بالنطرة فتارة يكون تصرفهم جاريا على سنتها ونظامها فيرقيها ، وتارة يكون منحرفا عنه فيفسدها ويدليها ، فكل ماتراه من الشقاء فى البيوت فسببه فساد التربية وسوء الاختيار . وقد يصحب هذا الفساد شيء من العلم فيموهه ، وقد يكون مع الجهل فيشوهه ، وقد ينتهي الجهل الى قلب الطباع ، وتغيير الاوضاع ،

الرجل يسكن الى الانثى سكون فطريا لانها أنثى وهي تسكن اليه لانه رجل . وللرجولية صفات تتبعها أعمال كلما قويت فى الرجل كان جديرا بزيادة ميل المرأة اليه وللأنوثة صفات تتبعها أعمال كلما قويت فى المرأة كانت خليقة بزيادة ميل الرجل اليها . فصفات الرجولية الشجاعة والنجدة والسيادة ومن أعمالها الحماية والمدافعة والكفالة ونحو ذلك وصـفات الانوثة اللطف والرقة والحياء والدماثة ومن أعمالهـا التربية والخدمة كتربية الاطفال وتمريض المرضى ، ولذلك قلنا فى مقالة عقدناها لبيان مضار تربية النساء الاستقلالية ان هـذه التربية تقرّب المرأة من صفات الرجولية فتفسد فطرتها وتضعف وساطتها بين الاطفال والرجل فى نقل الطفل بالتدريج من طفوليته وإعداده للرجولية وبذلك يقل ميل الرجل وسكونه اليها لان الرجل لا يسكن هذا النوع من السكون الا الى الانثى من حيث هي أنثي تمتاز بصفات مخصوصة تمثـل الانوثة بمـا يفصلها عن الرجولية

سكون كل من الصـنفين الى الآخر طبيعي لايزول ولكن الصفات الطبيعية المذكورة تزيده قوة وتحفظه برسوخها وتفسده أو تضعفه بضعفها . وقـد صارت الخنوثة والزينة من عادة الشبان فى المدن التي لاتربية فيها كمصر فصار النساء يملن الى ذلك فى الرجال ولو بصرت المرأة التي تحب شابا مخنثا متورّنا (كثير الزينة والطيب) شابا شهم الجنان شجاع القلب مفردس الصدر ضخم الكراديس شثن الكفين سبط لزندين لفضلته على حبيبها المخنث تفضيلا . « هـذا وما فكيف لو » ولو تربت تربية

صحيحة لظهر هـذا الميل فيها اقوى فقد جاء في المقتطف المفيد مانصه :

ماتستحسنه المرأة في الرجل

« ألقي هذا الموضوع على كثيرات من نخبة الكاتبات الانكليزيات فكتبت سارة يولي تقول: ان المرأة تعجب بشجاعة الرجل واستقلاله وتودّ ان يكون زوجها متسلطاً عليها ولقد كان ذلك شأنها منذ العصور الغابرة وان كان العمران الحاضر قد ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق لكن الاعجاب بقوة الرجل لا يزال ديدن المرأة ولذلك تراها تعجب بالجنود لانهم يمثلون القوة البدنية وبخدمة الدين لان لهم سلطة أدبية ودينية

وكتبت للياس دافدصن: ان المرأة ضعيفة فتعجب بقوة الرجل سواء كانت جسدية أو عقلية أو أدبية وهي تطلب رجلا يسود عليها فاذا وجدته خضعت له • وقد غرس هذا الخلق في فطرتها ولذلك تصف الرجال بما ينقصها وتعبدهم ولا يعبأ النساء بالوجه الجميل ولا ينفرن منه اذا لم يكن جميلا لان ليس فيهن ذوق خاص بالجمال كما في الرجل وقد خصت الطبيعة الرجـل بحب الجمال وخصت المرأة بالجمال لـكي يكون جاذباً له اليها وكـذلك خصّ الرجال بالقوة فصارت قوتهم جاذباً للنساء اليهم • وهنّ يعجبن بالشجاعة والقوة والصبر على المكاره • هذه هي الفضائل التي تود المرأة ان يكون زوجها متصفاً بها وهي لا تسامحه اذا فقد هذه المزايا ولكنها تسامحه اذا فقد غيرها

وكتبت ادلين سرجنت: ان القوة الجسدية تجذب المرأة والقوة العقلية تسحرها والقوة الروحية تتسلط عليها وسبب ذلك واضح وهو ضعف المرأة • فلا شيء يستولي على قلبها مثل الاعتقاد بان زوجها قوي الارادة أو قوي الذراع

وكتبت سارة دودني: ان المرأة تعجب بقوة الرجل • ونظرة واحدة الى رجل قوي تنسينا مئة وجه جميل وخطاب فصيح الا اذا كانت لنا عيون لا تبصر • وأقول بالاختصار ان الشيء الذي تعجب به أكثر من غيره هو القوة والعظمة مع الميل الى الحلم

وكتبت ماري كنور ليتن: انه اذا كان في رجل دليل على انه يفعل فعل الجبابرة حينما تدعو الحال الى ذلك فهو الذي تعجب به المرأة أكثر من غيره وتفضله على غيره وما من امرأة تعجب بجبان أو تحبه • وليس لجمال المنظر شأن كبير في عيون النساء

وكتبت مس اليصابات بنكس: ان الشجاعة والحلم أسمى مناقب الرجال فى عيون النساء وكل امرأة تحب ان يكون زوجها سيداً عليها

وكتبت السيدة ميد: ان المرأة تتبع الرجل اذا كان قوياً وتعبده اذا كان مع قوته كريم الاخلاق

وكتبت مس اثل هدل: ان كرم الاخلاق خير الصفات التي يتصف بها الرجل والكاتبات خمس عشرة من أشهر كاتبات الانكليز وقد كدن يتفقن كلهن على ان المرأة تفضل الشجاعة على غيرها من أوصاف الرجال » اه

***

وقد سر القراء بما كتب المقتطف وكتب الينا صاحب الامضاء ماياتي :

حضرة العلامة المفضال منشي المنار الزاهر

طالعت فى الاخبار العلمية من مقتطف شهر مايو الجاري سؤالا وجهه احد علماء الانكليز لجماعة النساء عن ماتستحسنه المرأة فى الرجل فأجاب عن هذا السؤال خمس عشرة كاتبة من فضليات نسائهن وقد كدن ان يتفقن على ان المرأة تفضل الشجاعة والقوة على غيرهما من أوصاف الرجل وقد ذهب بعضهن الى ذكر أوصاف لاتخلو من حقيقة وهو بحث يحق للانكليزيات ان يفتخرن به إذ طابق ما جاء فى كتابنا الحكيم حكاية عن موسى وابنتي شعيب عليهم السلام فى سورة القصص «قالت إحداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين» ذلك بعد ان سألهما موسى عليه السلام عند الماء عن سبب ذود غنمهما «قال ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما» برفعه الصخرة عن فوهة البئر بذراعيه القويتين دون انتظار مجيء الرعاء وهذا مما يدل على ماكان عليه موسى عليه السلام من القوة والشجاعة ولذلك أعجبت احداهما به وارادته زوجا لها على فقره وعدم معرفتها اصله ونسبه وهذا مما يثبت لنا ان قرآننا الحكيم لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها من امر هذا الكون العظيم من اخلاق وعادات بني الانسان وما تجري عليه سنن جميع المخلوقات فسبحان الله العلي العظيم

ومن موجبات الاسف انه يوجد بين ايدينا هذا الكتاب الكريم شاملا لجميع المطالب ونحن السادرين فى لهو عنه وعن محكم آياته وغيرنا يبحث وينقب عن الحقائق

حتى يجدها ولو اشتغلنا بما فى كتابنا لوجدنا فيه من الفوائد الجليلة المنافع مابه رفع شأننا دنيا واخرى وما كان لاحد ان يسبقنا فى مضمار العلوم والمعارف مادمنا عاكفين عليه ولكن هو انكسل والتقليد الأعمي قد ألقيا على بصائرنا غشاوة كثيفة لايزيلها الا الحض على التعليم الصحيح دون التفات الى مافى المجلدات الضخمة بل العمل بمقتضى الحال ومجاراة الامم الراقية بعقول افرادها فاذا نحن جاريناهم فى مباحثهم ومطالبهم وبين ايدينا هذا المرشد الصادق فلا شك اننا نصبح على درجة عالية لايصلها الا من اتبعنا وعمل بمقتضى شريعتنا والسلام

(حسين العقاد)

(الاحتفال بمدرسة الشوربجي فى كفر الزيات)

احتفل في يوم الجمعة الماضي بافتتاح مدرسة مصطفى بك الشوربجي التي انشأها فى كفر الزيات احتفالا حضره الجم الغفير من وجهاء العاصمة فى مقدمتهم مفتي الديار المصرية وبعض العلماء وعدلي باشا يكن محافظ مصر وبعض الاعيان ومن أصحاب الجرائد صاحب المؤيد وصاحب الوطن وصاحب الجوائب المصرية وصاحب الرائد المصري وبعض وجهاء الاسكندرية وطنطا وغيرهما من مدن القطر. وقد سبق لنا ذكر الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة فى شعبان الماضي وقد تم بناؤها فى نحو ستة اشهر لما للمنشئ حياه الله تعالى من الهمة العالية والعناية الصحيحة فى هذا العمل العظيم

بدئ الاحتفال بتلاوة آيات شريفة من سورة الفتح وبانشاد التلميذات والتلامذة بعض الاناشيد والخطب فى فضل العلم والتعلم ومنهم حفيد وحفيدة لصاحب المدرسة فخراً بجدهما وحق لهما الفخر به

ثم بعد ذلك دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقمت وقلت بعد البسملة والحمدلة والتصلية ماخلاصته

كنت حضرت الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة ودعيت الى الخطابة فقلت كلمة شكر وكلمة ترغيب وقد دعيت الآن لقول كلمة أخرى الا اني اراني فى موقفي هذا غيري فى موقفي الأول اراني فى حاجة الى الاعتذار وما كنت معتذراً ، اعتذر عن ذنب

التقصير قبل ملابسته فانني اتوقعه لأنه يتنازعني الآن شعوران ملكا على نفسي امرها — شعور السرور والابتهاج بسماع الكلام العربي الفصيح من التلميذات على حين اننا نرى العجائز لايصححن قراءة الفاتحة. هذا الشعور قد ابكاني من حيث كان ينبغي ان يضحكني سروراً ولكن الجوّ الذي نعيش فيه مملوء بالمبكيات فالجهل العام وفساد الاخلاق والفقر وتقطع الصلات الاجتماعية كل ذلك يبكي ولكن تكسرت النصال على النصال فجفت العيون بعد ما كانت تبكي وصارت لاتجود بالدمع الا فى موقف السرور. والشعور الثاني هو ان فى هذا المجلس روحا عالية تفيض العلم والعرفان في هذه البلاد وأنا ممن يستمد منها لذلك اخجل ان اعرض شيئاً من العلم فى مجلس تحضره هذه الروح العالية.

اعود الى ذكر الشعور الأول فأقول انه منبعث عن روح البر والخير التي انشأت هذه المدرسة لافادة العلم وهي روح مصطفى بك الشوربجي الزكية. قد كنت قلت فى كلمتي الأولى ان إنشاء المدارس افضل من إنشاء المساجد من حيث ان المصلي في المسجد اذا كان جاهلا تكون عبادته فاسدة وذلك ذنب يستحق العقاب وفي المدارس يزاح الجهل وتصح اعمال الدين واعمال الدنيا. واذا كان العلم افضل الاشياء فالمساعدة عليه مساعدة على افضل الأعمال وصاحبها يستحق افضل الثناء والشكر فيجب ان نشكر لهذا الرجل الجليل عمله والله تعالى يشكر له ويجزيه عليه افضل الجزاء

ثم انتقلت الى حث الأغنياء على انشاء المدارس ونشر العلم فقلت: لاادري اي فضل واي فائدة للمال اذا كان صاحبه لاينفق من فضل ماله فى هذا السبيل وهي افضل السبل. ثم بينت فساد رأي من يجمع المال لأجل اللذات الحسية وقلت: لاارى مثلا لمن يجمع المال ليكنزه فى الصناديق اظهر مما ضربه الامام الغزالي للمرابي الذي يجعل المال مقصوداً لذاته في العمل والكسب إذ قال انه مثله مثل من يحبس القاضي العادل الذي يفصل فى الخصومات وينصف المظلوم من الظالم ويترك الناس فوضى يتناهبون ويتواثبون. وان الذي يقدر على نشر العلم ثم يقصر فيه اجدر بهذا المثل فان اهل التعدي ومرتكبي الجرائم انما يجترحون السيئات باغواء الجهل وفساد التربية فان المربىّ العالم بما لغيره عليه من الحقوق لايسرق ولا يعتدي فاثم جميع

الجرائم التي تقع في البلاد على عاتق الاغنياء بل عليهم تبعة جميع مانحن فيه من التأخر في العلم والكسب والشؤن الاجتماعية ....

واذا كانوا يجمعون المال لأجل الشرف وارتفاع المكانة فقد زال ذلك الزمان الذي كان يعد فيه التوسع فى الانفاق على احتفالات الافراح والمآتم والموالد من الشرف وصارت هذه النفقات منتقدة ومنظورة بعين السخط من العقلاء والفضلاء وأما الانفاق فى طريق العلم فقد كان ولا يزال هو الشرف الاعلى وصاحبه هو المحمود عند الله وعند الناس بل هو أفضل الناس اذا قام بحقوق المال مع سائر الحقوق وهو الذي يسمى الغني الشاكر

يتوهم قوم ان الزهد الذي يستحبه الدين عبارة عن اختيار الفقر وتفضيله والرغبة عن الكسب وهو توهم باطل فان النبي صلى الله عليه وسلم فضل الاخ المكتسب على الاخ المنقطع للعبادة . أزيد على هذا ان الحديث الذي استدل به بعض العلماء على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر قد استدل به نفسه آخرون على أن الغني الشاكر أفضل . الحديث هو أن بعض الفقراء شكوا للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سبق الاغنياء لهم بالخير والاجر لانهم يصلون ويصومون مثلهم ويتصدقون بفضول أموالهم فأمرهم بالذكر والتسبيح والتحميد فرضوا ثم عادوا وقالوا إنهم يفعلون ذلك فقال « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والمتبادر أن الاشارة الى المال الذي ينفق فى سبيل الله . وسبيل الله هو كل مافيه فائدة ومنفعة للناس . وإنما الزهد المحبوب هو ان لايكون الانسان عبدا للمال وهو زهد النفس

هذا هو الغنى الذي يجمع للانسان بين خيري الدنيا والآخرة . ويظن بعض الناس أن عمل الخير لأجل الشرف والمحمدة مذموم فى نظر الدين ولا ثواب لصاحبه عند الله تعالى بل هو مؤاخذ كما يؤخذ من كتب الصوفية . إن هذا الظن غير صحيح وما كان الله ليؤاخذ الانسان على شيء أودعه في فطرته وجعله سائقا له الى كماله وهو حب المحمدة الحقة وإنما المذموم عند الله تعالى وعند الناس هو حب المحمدة الباطلة والثناء الكاذب . ما توعد الله الذين يحبون أن يحمدوا بما فعلوا وإنما توعد الذين « يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » . كيف يكره الله تعالى للعاملين حب الثناء بالحق

ورفعة الذكر وقد امتن بذلك على أفضل العاملين وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى فى خطاب خاتم النبيين «ورفعنا لك ذكرك» وقال تعالى فى كل من إبراهيم وموسى وهرون وغيرهم من الأنبياء «وتركنا عليه فى الآخرين» أي تركنا عليه الثناء الحسن

حب المحمدة الحقة لاينافي كون العمل الصالح لوجه الله تعالى بل هو معنى من معانيه . إننا لن نبلغ نفع الله فننفعه ولن نبلغ ضرّه فنضره كما ورد وانما كلفنا بعمل الخير لأجلنا لا لأجله . فابتغاء وجه الله فى العمل هو إرادة المنفعة الباقية به فان لكل شيء فى هذه الدنيا وجهين — وجها الى الحظوظ الجزئية الفانية ووجها الى المنافع الكلية الباقية وهذا هو وجه الله تعالى والذي يرضيه ويثيب عليه . والثناء عليه حق «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

اذا عرف الناس للعامل المحسن فضله ، وشكروا له عمله ، يكون ذلك باعثاً للهمم الى المباراة والمسابقة فى ميادين الأعمال النافعة . وان تقدم الأمم وارتقاءها على قدر مباراة أفرادها في الأعمال النافعة ومسابقتهم في ميادينها . واذا كان الملوك والأمراء هم الذين يحتفلون بما يكون من أفراد رعاياهم ويقدرون المحسنين قدرهم فلا تسل عن مبلغ تأثير ذلك في تقدم الأمة وارتقائها . أذكر ان السلطان ملكشاه السلجوقي قد احتفل بعالم نبغ فى عصره لا أذكر اسمه الآن وكان من عاداتهم ان يقودوا فى موكب الاحتفال الخيل المسوّمة أمام المحتفل به وعليها المياثر الموتقة . وكان من عناية السلطان ان مشى فى الموكب مشيا ووضع على عاتقه وظهره ميثرة من المياثر التي توضع على الخيل فلامه وزيره نظام الملك فى نفسه على هذه المبالغة فى التواضع وسأله عن السر فى ذلك فقال له سأجيبك عن هذا السؤال بعد بضع سنين فلم تمر السنون المعينة الا وقد نبغ فى تلك البلاد عدد عظيم من العلماء الأعلام فقال السلطان للوزير هذا هو جواب سؤالك

قلت : وأجدر أمراء المسلمين بالعناية بأمر العلم في هذا العصر أمير هذه البلاد فانه أعرفهم بقيمة العلم لأنه قد تربى فى المدارس العالية وأخذ من العلوم حظا لا نعرف أميراً مسلما يساهمه فيه . فاذا هو أظهر رضاه واغتباطه بمثل هذا العمل الجليل فلا

نلبث ان نرى الأغنياء والوجهاء يتبارون فى مثله : (قلت هذا وأمامي مندوب من الامير يحمل الوسام العثماني من الدرجة الثالثة لمصطفى بك الشوربجي كما يأتي)

ثم بعد ختم الكلام بالحث والترغيب دعي الى الخطابة ابراهيم بك الهلباوي فقام واعتذر بمثل ما اعتذرت به وزاد عذراً ثالثاً وهو أنه لم يكن يتوقع الخطابة ثم قال إنه يوافق الخطيب الأول فى قوله الا أنه لا يرى حوله الا ما يسر من الاقبال على العلم وافتتاح المدارس وذكر حال البلاد قبل ثلاثين سنة وما كانت عليه من الرغبة عن العلم والتعليم لاسيما تعليم البنات وقال إن الأهالي كانوا يعتقدون ان تعليم العلوم اذا لم يكن مذموما بلسان الدين فانه ليس محموداً وان حال العلماء كان يقوي هذا الاعتقاد فيهم وان من تحول الحال أن صرنا نرى كبار العلماء تؤسس المدارس وتحضر احتفالها وان أكثرهم يرسلون أولادهم الى المدارس لابسي الطرابيش والسراويل الضيقة كسائر أبناء العصر الجديد . وخص بالذكر مفتي الديار المصرية ركن العلم الركين ورئيس الجمعية الخيرية الاسلامية التي تدير عدة مدارس منتظمة لتعليم أولاد الفقراء . وذكر مدارس جمعية المساعي المشكورة وما كان من الصعوبة فى تأسيسها . وكذلك مدارس جمعية العروة الوثقى . واستطرد من ذكر الجمعيات الى الثناء على صاحب الاحتفال مصطفى بك الشربجي وقال أنه صار فينا الفرد يعمل عمل الجمعية كهذا الرجل الفاضل الذي وجه عنايته الى تأسيس المدارس المتعددة

ثم قام بعده جندي افندي ابراهيم صاحب جريدة الوطن الغراء خطيبا وقال في فاتحة كلامه ان الخطيبين السابقين اعتذرا بما اعتذرا به عن التقصير الذي تقتضيه مهابة روح العلم الحاضرة وإنه أجدر بالاعتذار لولا أن جراه اعتقاده بحلم العلماء وإغضائهم ثم قال ان الخطيبين تكلما في فضل العلم والحث عليه وانه اختار ان يجعل معظم كلامه في مكارم الأخلاق فان العلم لا يفيد بدون مكارم الاخلاق شيئاً وأطنب فى ذلك ماشاء وأثنى على المحتفل بما هو أهله

ثم رغب مدير الاحتفال الى الاستاذ الامام بأن يشنف الآذان بدرر كلمه ، ويحلي العقول بعقود الجوهر من حكمه ، فقام واقفا ولما وقف اضطرب الجمع

وطفقوا يقتربون حتى كادوا يكونون عليه لبدا . ولما تكلم امتدت الاعناق . وشخصت الأبصار ، وأصاخت الآذان ، وخشعت الاصوات ، وأمر العازفون بالموسيقى بالكف عن عزفهم . ولكن الاستاذ كان لسوء الحظ قد عرض له شبه بحة منعته من رفع الصوت والاسترسال فى الكلام حتى ترك لها الدرس فى الجامع الازهر فلم يطل القول كما كان يحب هو ويحب الناس وساوى فى الاعتذار الخطباء الذين اعتذروا بمهابته وإجلاله عن الاسترسال فى القول والاجادة فى الخطابة

اعتذر بما ذكر وقال ان هذا العذر كاد يمنعه حضور الاحتفال بالمرة كما منعه الاجابة الى حضور الاحتفال التأسيسي ولكنه تحمل المشقة للترغيب والتنشيط في إنشاء بيوت العلم ورؤية هذا الرجل الموفق للخير المسوق اليه بوازع الفطرة السليمة (قال) : إنني من زمن بعيد كنت أشتهي ان أرى الخير الفطري البسيط فى الانسان وما كنت أظفر به . رأيت كثيراً من الاخيار ولكنني كنت أرى الخير فيهم مركباً من الاستعداد الطبيعي والتأديب الصناعي لابسيطاً ساذجا حتى اذا رأيت اليوم هذا الرجل مصطفى الشوربجي رأيت جمال الفطرة الانسانية في بساطتها وسذاجتها . رأيت هذا الرجل مسوقا الى عمل الخير بسائق حب الخير لايبتغي به حمداً ولا شكراً إلا وجه الله ومرضاته وانني أراه مدفوعا الى مثل هذا الاحتفال ، ولولا ذلك لم يكن يخطر له بال ، على انني موافق على ماقال الخطيب الأول في حب المحمدة الحقة ولكن هذه مرتبة أخرى لاتكاد توجد الا فى الفطرة السليمة

رزق هذا الرجل مالا فاهتدى الى إنفاقه في أفضل وجوهه ووضعه في أشرف مواضعه وليس هذا بالأمر الصغير فقد قال علماء الاقتصاد ان الدراية والعناية التي يحتاج اليها في انفاق المال تزيدان عما يحتاج اليه فى جمعه عشرة اضعاف . فقلما يحسن انفاق المال من لم يتعلم هذا العلم في المدارس العالية . ولكننا نرى اكثر الذين تقلبوا في المدارس وتوسعوا فى درس علم الاقتصاد السياسي من أهل بلادنا هم أشد الناس إسرافا في المال وتبذيراً له وقلما يضعون منه شيئاً فى موضعه ونرى هذا الرجل العامي البحت الذي تربى في الغيطان والمزارع لافي المدارس فلم يسمع بهذا العلم قد وفق الى عمل العلماء الراسخين فيه ثم قام يعلم المتعلمين بحاله كيف ينفقون ، ويعلم غير المتعلمين بما

ينشئ لهم من المدارس كيف يعملون ،

ثم قال : أما العلم وفضله والترغيب فى نشره فقد تكلم فيه الخطباء وأنا موافق لهم فيما قالوا ولا خلاف بينهم في الواقع فان الأول تأسف لتأخرنا في العلم بالنسبة الى مانحن فى أشد الحاجة اليه واعتبار ان ماعندنا لايقع أدنى موقع من حاجتنا ، والثاني أظهر السرور والاستبشار من حالنا العلمية بالنسبة الى ماكنا فيه ولا شك انه يوجد فينا حركة نحمد الله عليها (اي ان الخطيب الأول نظر الى الحال مع المستقبل والخطيب الثاني نظر الى الحال مع الماضي وهذا هو الواقع منا حقيقة) وأما الثالث فقد تكلم عن مكارم الاخلاق وكون العلم لايفيد بدونها شيئاً • ولا شك ان مكارم الاخلاق من لوازم العلم الصحيح الذي مدحه الخطباء ، ويمدحه جميع العقلاء . فانهم يعنون بالعلم ماكان ملكة فى النفس • والملكة من مادة الملك فمعناها ان يكون العلم مالكا للنفس مصرّفا لها فى شؤنها • ولا معنى لمكارم الأخلاق الا ان تكون ارادة الانسان تابعة للعلم الصحيح بوجوه المصالح والمنافع • فالعلم ومكارم الاخلاق متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر • ومن أطلق العلم على غير هذا المعنى الذي قلته وقال إنه لاتأثير له في الأعمال ولا فى النفس فهو متجوز أي منتقل عن الحقيقة الى نقيضها وان شئت قلت انه كاذب ولم يفهم معنى العلم • ثم ذكر الاستاذ ان الجناب الخديوي قد أرسل مندوبا من قبله لحضور هذا الاحتفال عناية بصاحبه وان عنايته بمثل هذا الأمر لها من التأثير فى الناس مايساوي عناية أمة كاملة به (قال) وسيكون كلامه هو خاتمة الكلام •

وعند ذلك نهض المندوب وقام الناس وذكر ان مولاه أرسله ليحضر هذا الاحتفال ويبلغ صاحبه مصطفى بك الشوربجي انه مسرور ومغبوط بهذه الخدمة الجليلة للبلاد ويقلده الوسام العثماني من الدرجة الثالثة وكان الوسام فى يده ومصطفى بك الشوربجي واقف فأعطاه اياه فأخذه ووضعه في جيبه • ولو قلده إياه تقليداً لكان أجمل وأكمل • والمزية فى هذا الوسام من وجه واحد وهو ان الامير أرسله مع مندوب من قبله حضر الاحتفال باسمه فكان كما قال الناس بمثابة حضور الأمير بنفسه ولولا ذلك لما كان له كبير شأن فان الرتب والوسامات فى مصر صارت اكثر ابتذالا منها فى الاستانة • ثم ختم الاحتفال

بقراءة آيات من الكتاب العزيز وكان ذلك قبيل الظهر • ثم نصبت بعده الموائد فتغدى الجموع وانصرفوا حامدين شاكرين •

(الاصلاح الشرعي في السودان المصري)

يمشى الاصلاح في السودان كتمشي البرء في السقم ومن فضل الله تعالى على هذه البلاد ان كان الشيخ محمد شاكر هو قاضي القضاة فيها وحسبك انه موضع إعجاب اللورد كرومر فمن دونه من رجال السياسة والادارة والقضاء الانكليز الذين قلما يشهدون لشرقي فى هذا الزمن • ولا شك عندي ان رضاء اللورد كرومر وحاكم السودان العام من هذا الرجل وثناءهما عليه والعناية باجابة اقتراحاته وتنفيذ مشروعاته ولو بالتدريج من دلائل حسن النية في عمران السودان وإقامة الشرع الاسلامي فيه إقامة لانظير لها فى بلاد إسلامية فى عصرنا هذا

ذكرنا في الجزء الثاني ان الحكومة السودانية قررت إنشاء مدرسة قضائية لتخريج القضاة الشرعيين وما ذلك الا مشروع من مشروعات قاضي القضاة • ثم إننا علمنا مما وصل الينا من أنباء تقريراته التي رفعها الى الحكومة آراء سديدة في إصلاح المحاكم بجميع فروعها وأعمالها الادارية والشرعية والمالية • ولم يكتف بهذا حتى اقترح على الحكومة نشر العلم الاسلامي وعمارة المساجد واقامة الشعائر الدينية • وقال ان البلاد السودانية الآن فى حاجة الى بناء خمسين مسجداً وان للحكومة ان تستعين على بنائها بديوان الاوقاف العمومية فى مصر • واقترح تعيين رواتب للعلماء الذين تفلتوا من الفتنة السودانية وإعانة تلامذتهم المشتغلين بطلب العلوم الدينية لتنفخ في الأمة روح الميل الى العلوم الحقيقية وليكون من هؤلاء التلامذة طائفة تصلح في المستقبل للوعظ والارشاد وتعليم العامة وقال في بيان فوائد ذلك مامعناه :

ان من يتتبع الحوادث المشؤمة الماضية ويسندها الى عللها وأسبابها الحقيقية يعلم ان مثارها الاكبر خلط التعاليم الدينية بالتلبيس على العامة والشعوذة والدجل وإيهام البسطاء بذلك ان أولئك الدجالين المحتالين أولياء الله وان اتباعهم واجب وطاعتهم مفروضة • فعلى الحكومة ان تستأصل جراثيم هذه الخرافات بالتعلم الاسلامي

الصحيح الذي يطهر القول منها تطهيراً :

ومن الاصلاح الذي سبقت اليه محاكم السودان ونرجو ان تلحقها فيه محاكم مصر الطلاق على الغائب والمعسر فقد كانت المحكمة الكبرى نشرت فى سائر المحاكم منشوراً تأذنها فيه بالحكم فى ذلك على مذهب الامام مالك (رضي الله عنه)

وقد جاء فى تقرير لقاضي القضاة بيان فائدة هذا الحكم وهو إنقاذ النساء الضعيفات اللاتي يتركهن أزواجهن بلا نفقة ولا عائل حتى يلجأن الى خدمة دنيئة أو تكفف الناس أو ماهو شر من ذلك وهو التكسب بأعراضهن . وفيه ان القضاة قد طلقوا على الغائبين والمعسرين فى مئتي قضية أو أكثر ولكن بعضهم لجهله وغباوته لم يتحر فى الامر كما يجب فطلقوا في وقائع يعرف فيها مكان الزوج ويسهل على الحكومة إخباره (إعلانه) بالمحاكمة . وذكر ان مثل هذا الخطأ كثير في كل فروع القضايا لجهل القضاة ووعد بأن سيتبع المنشور الاول بمنشور آخر يعلم القضاة فيه الغرض من هذا الطلاق ليسهل عليهم الوقوف عند حدود الحق فيه

وقال في مقدمة التقرير الذي قدمه الى الحاكم العام وطلب فيه تعميم المحاكم مامثاله : إنني أوجه نظر سعادتكم أولا الى أن القضاء عند الأمم الحية لا يعد من موارد الكسب كغيره من مصالح الحكومة التي يقصد أن يكون ريعها أكثر مما ينفق فيها وإنما هو من المصالح الكمالية الضرورية لأنه عبارة عن إقامة العدل في الأمة ولولا اعتبارات خاصة لما ساغ لحكومة ان تضرب على إقامة العدل فى الرعية ضريبة تحت ستائر الرسوم القضائية . فوظيفة المحاكم الحقيقية هي إقامة العدل وفصل الخصومات لاجباية الاموال وتحصيل الضرائب . ثم قال : وانه ليسرني ان سعادتكم أول من نظر الى القضاء بعين الرعاية والعناية ولاأزال اكرر بمزيد السرور تلك الكلمة التي سمعتها من سعادتكم وهي : « ان الدين الاسلامي غير مقام في البلاد بسبب قلة الدوائر القضائية » ثم اقترح تعميم المحاكم . وربما عدنا الى الكلام في ذلك بعد حين

تقريظ المنار

كتب الينا محسن الملك سيد مهدي خان ناظم مدرسة العلوم في عليكده وأحد أركان النهضة الاسلامية في الهند كتابا ذكر فيه المنار بما يقتضيه الحب وتنظره عين الرضى فقال مانصه :

« قرأنا خاتمة المنار للسنة الخامسة بفرحة وامتنان لامزيد عليهما . وقد سرنا

ماعلمنا من ان المنار الاسلامي قد ازداد شهرة وقبولا فى جميع انحاء الكرة الارضية، وصار موضع ثقة العلماء والفضلاء فى البلاد العجمية والعربية . ولا غرو ، فاننانقطع قطعاً ان مجلتكم هي المجلة الوحيدة التي تخدم الامة المحمدية والديانة الاسلامية بجد ونشاط ، وعزم وثبات ، وعقل وتدبر ، وان مقالاتها الطنانة الرنانة البالغة حد الاعجاز ماكتب مثلها على مانعلم عربي ولاعجمي . ولا يستطيع كاتب هندي ان يصف المجلة حق وصفها مهما أوتي من الفصاحة وحسن البيان . فغاية مانقول : جزاكم الله خير الجزاء ، ومن قال ذلك فقد أبلغ بالدعاء ، وبلغ غاية الثناء .

« لاشك ان المنار فى هذه السنة قد نما نموا عجيباً وانتشر انتشاراً غريباً فى البلاد المصرية ، غير ان شهرته وانتشاره فى البلاد الهندية لايقل عن شهرته وانتشاره فى مصر . فان مئات من مقالاته الحكمية والاسلامية نقلناها فى لغتنا الهندية ونشرناها فى جريدتنا الاسبوعية (على كده انسيثيوت كزت) ثم تناقلتها الجرائد الاسلامية فقرأها الوف من قرائنا وقراء سائر الجرائد . وحازت رضى العلماء والفضلاء فى المدارس والجوامع والمساجد . ومن غريب الاتفاق ان مترجم مقالاتكم لجريدتنا هو أيضاً سمي حضرتكم اسمه رشيد أحمد الانصاري وهو من محرري جريدتنا ومن مشاهير الكتاب والمترجمين المجيدين فى الهند .

« يسرنا ان الحرية التي حلت فى ربوع مصر بواسطة الاحتلال لا شك انكم تعرفون قيمتها ، وتقدرونها حق قدرها ، لاقتصاركم على المباحث الدينية الاسلامية والمقالات العلمية والفضائل الاخلاقية ، واجتنابكم المسائل السياسية . واننا نجزم جزماً ان هذه الخطة التي رسمتموها للمنار هي أسلم له وأضمن للوصول الى الغرض المقصود وأوفق وأفيد للمسلمين من الخطة التي سار عليها بعض كتاب الجرائد المصرية . الاسلام يأمرنا بالمسالمة والمجاملة وحسن القصد مهما كانت الظروف والاحوال . فلا ينبغي لمسلم ان يكون عليه سلطان « لعفريت الوطنية الكاذبة » وينبذ بها أوامر دينه ومصالح أمته وملته وراء ظهره ، وفق المسلمين لما يحب ويرضى . »

(تنبيه) لم ننشر في هذا الجزء شيئاً من الكرامات وشبهات المسيحيين لانه صدر معما قبله

الجزء الخامس		المجلد السادس

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الخميس غرة ربيع الاول سنة ١٣٢١ — ٢٨ مايو (أيار) سنة ١٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر ﴾

« أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون * واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون * أولا يعلمون ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون * »

كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عليهم الرضوان يرون ان أولى الناس بالايمان وأقربهم منه اليهود لانهم موحدون ومصدقون بالوحي والبعث فى الجملة ولذلك كانوا يطمعون بدخولهم فى الاسلام أفواجا لانه مصدق لمامعهم فى الجملة ومجلّ لجميع شبهات الدين وحالّ لجميع إشكالاته

بالتفصيل وواضع له على قواعد لا ترهق الناس عسرا . كان هذا الطمع فى إيمانهم مبنيا على وجه نظري معقول لولا أنهم اكتفوا بجعل الدين رابطة جنسية ، ولم يجعلوه هداية روحية ، ولذلك كانوا يتصرفون فيه باختلاف المذاهب والآراء ، ويحرفون كلمه عن مواضعها بحسب الأهواء ، وما أعذر الله المؤمنين فى طمعهم هذا الا بعد ماقص عليهم من نبأ بني إسرائيل الذين كانوا على عهد التشريع وشاهدوا الآيات ماعلم به أنهم فى المجاحدة والمعاندة على عرق راسخ ونحيزة موروثة لا يكفي فى زلزالها كون القرآن مبينا فى نفسه لا يتطرّق اليه ريب ، ولا يتسرّب اليه شك ، ولذلك بدأ السورة بوصف الكتاب بهذا وكونه هدًى للمتقين من أهل الكتاب وغيرهم . وثنى ببيان ان من الناس من يعانده ويباهته ومنهم المذبذب الذي يميل مع الريحين ، فلا يثبت مع أحد الفريقين ، ثم أفاض فى شرح حال بني اسرائيل الذين لم يؤمن منهم الا قليل من أهل العلم والتقوى وكان الا كثرون أشد الناس استكباراً عن الايمان وإيذاء للرسول ولمن اتبعه من المؤمنين . وبعد هذا كله أنكر على المؤمنين ذلك الطمع بدخولهم فى دين الله أفواجا ووصل الانكار بحجة واقعية ناهضة ، تجعل تلك الحجة النظرية داحضة . نعلم بهذا أن الكلام لا يزال متصلاً فى موضوع الكتاب واصناف الناس بالنسبة الى الايمان به وعدم الايمان . كلما بعد العهد جاء مايذكره تذكيرا

كان الظاهر ان يكون الخطاب للنبيّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خاصة ولكن خاطب المؤمنين معه لأنهم كانوا يشاركونه فى الألم من إيذائهم والطمع بهدايتهم فأشركهم بالتسلية كما سبق ولأن طمع بعض المؤمنين بايمانهم كان يحملهم على الانبساط معهم فى المعاشرة الى حد الافضاء

اليهم ببعض الشؤن الملية المحضة واتخاذهم بطانة وكان يعقب ذلك من الضرر مايعقب حتى نهاهم الله تعالى عن اتخاذ البطانة من دون المؤمنين اذا كانوا موصوفين بأوصاف هؤلاء وذلك قوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودّوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » والآية الآتية تدل على هذا الافضاء أيضا

أما الحجة التي وصلها بانكار الطمع بايمانهم للدلالة على أنه طمع فى غير مطمع فهي تعمد تحريف كلام الله ممن سمعه منهم . وذلك ان موسى اختار بأمر الله سبعين رجلاً من قومه لسماع الوحي ومشاهدة الحال التي يكلمه الله تعالى بها وقد سمعوا كلام الله تعالى على الوجه الذي لانعرفه وانما نعرف انهم صحبوه الى حيث كان يناجي الله تعالى وكان من شأن الله تعالى معهم أن صدقوا بأن ماجاء به موسى عليه السلام هو وحي من الله تعالى . والتصديق بذلك لايتوقف على معرفة كيفيته وكنهه فان أكثر مانصدق به تصديق يقين لانعرف حقيقته وكنهه ولا كيفية تكوينه وإيجاده . وقد كان من أولئك المختارين أنهم لما رجعوا الى قومهم حرفوا كلام الله الذي حضروا وحيه وأذعنوا اليه بأن صرفوه عن وجهه بالتأويل - كما حققه ابن جرير الطبري وغيره - وهذا التحريف ثابت عندهم منصوص فى التوراة والتاريخ الديني الذي يسمى التاريخ المقدس

فدل هذا وما سبقه على ان القسوة المانعة من التأثر والتدبر ومكابرة الحق والتفصي من عقال الشريعة كان شنشنة قديمة فيهم ثم تأصل فصار غريزة مطبوعة فاعراضهم عن القرآن لايستلزم الطعن به ، ولا القول بجواز تسلق

شيء من الريب اليه ، فانهم قد حرفوا وبدلوا ، وعاندوا وجاحدوا ، وهم يشاهدون الآيات الحسية ، ويؤخذون بالعقوبات المعاشية ، فكيف يستنكر بعد هذا ان يعرضوا عن دين دلائله عقليـة ، وآيته معنوية ، وهي القرآن المعجز بما فيه من علوم الهداية ، ودقائق البلاغة ، على أنه من أمي عاش أربعين سنة لم يؤثر عنه فيها شيء من العلم ، ولم يزاحم فحول البلاغة فى نثر ولا نظم ، وفهم تلك الدلائل انما يكون من ذوي العقول الحرة والقلوب السليمة الذين لطف شعورهم ورق وجدانهم وصحت أذواقهم

قال ابن جرير لو كان المراد بما هنا تحريف كلام التوراة المكتوب لما قال « يسمعون كلام ثم يحرفونه » فزيادة « يسمعون » هنا لابد لها من حكمة ولولا ذلك لجاء الكلام على نسق الآيات الاخرى التي ذكر فيها التحريف كأن يقول « وقد كان فريق منهم يحرف كلام الله » . وقوله تعالى « من بعد ماعقلوه » نص فى التعمد وسوء القصد ، وإبطال لما عساه يعتذر لهم به من سوء الفهم ، ثم قال « وهم يعلمون » أي كانوا يفعلون فعلتهم الشنعاء فى حال العلم بالصواب واستحضاره لا انهم كانوا على نسيان أو ذهول . وفى هذين القيدين من النعي والتشنيع عليهم مالا مزيد عليه . وكيف وقد بطل بهما عذر الخطأ والنسيان ، وسجل عليهم الفسوق والعصيان ،

ثم بعد هذا الاحتجاج انتقل الى بيان بعض أحوال الذين كانوا فى زمن التنزيل وقد غير الأسلوب هنا فانه كان يحكي سيئاتهم مبتدأ بكلمة (وإذ) لأنه تذكير بما كان فى الزمان الماضي . والابتداء بكلمة (اذا) هنا هو المناسب فى الحكاية عن حال واقعة في الحال ، مستمرة في الاستقبال ، والمراد من حكاية أحوال الحاضرين ، بيان أنها مساوقة لاحوال سلفهم

الغابرين ، وأنه لا يرجى من هؤلاء أفضل مما كان أولئك .

ترشد هذه الآية الى طور من أطوار البشر في زمن الاصلاح وهي ان جماهير الناس يقعون فى الحيرة بين الهداية الجديدة والتقاليد القديمة . لا ينظرون الى الحق فيتحروا اتباعه أين كان ولكنهم يفكرون في منفعتهم الخاصة . يقولون : نخشى ان نجهر بالجديد فيخذل حزبه ، ويتفرق شمله ، فنكون من الخاسرين . ولا نأمن ان بقينا على القديم أن يتقلص ظله ، ويذل أهله ، فنكون مع الضالين . فالحزم ان نوافق كل حزب نخلو به ونعتذر الى الآخر اذا هو علم بما كان منا الى أن تتبين الفوز فى أحد الفريقين : فيكونون هكذا مذبذبين كما قال تعالى « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم » الخ الضمير في قالوا الثانية غير الضمير في قالوا الأولى كما هو ظاهر من السياق ولا لبس فيه ولا اشتباه ومثله مستفيض في كلام البلغاء وفي التنزيل أيضا كقوله تعالى « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن » فان النهي عن العضل الأولياء لا المطلقون . والكلام في القرآن للمكلفين كافة فيوجه كل كلام الى صاحبه الذي يتعين ان يكون له بقرينة الحال والمقال . فاذا وجه الخطاب بالطلاق الى الازواج لانه لا يكون الا منهم فكذلك يوجه الخطاب بالنهي عن العضل (وهو منع المرأة من التزوج) الى الاولياء لانه لا يكون الا منهم . وعلى هذه الطريقة يتخرج قوله « قالوا آمنا » وقوله « قالوا أتحدثونهم » فالكلام في مجموع اليهود ويوجه الاول الى الذين يلاقون المؤمنين والثاني الى الذين يلاقيهم هؤلاء من قومهم ويعذلونهم على الافضاء الى المؤمنين بما فتح الله عليهم

المراد بالفتح هنا الانعام بالشريعة والأحكام ، والبشارة بالنبي عليه الصلاة والسلام ، شبه الذي يعطى الشريعة بالمحصور يفتح عليه فيخرج من الضيق . أو معنى « بما فتح الله عليكم » بما حكم به وأخذ به الميثاق عليكم من الايمان بالنبي الذي يجيئكم مصدقا لما معكم ونصره . وقوله « ليحاجوكم به عند ربكم » معناه يقيمون به عليكم الحجة من كتاب ربكم وهو التوراة من حيث ان ما تحدثونهم به موافق لما فى القرآن فلهم ان يقولوا : لولا ان محمدا نبي لما علم بهذا الذي حكاه عنكم وقد كان مثلنا لا يعرف من أمر الكتاب شيئا : هذا ما جرى عليه المحققون فى تفسير « عند ربكم » وهو انه بمعنى فى كتابه . وذهب مفسرنا (الجلال) الى ان معناه المحاجة فى الآخرة والنظم لا يأباه ولكن فيه اعترافا من اللائمين المؤنبين بأن المسلمين على الحق الذي لا ينجي عند الله سواه . ومن اعتقد هذا لا يجعله تعليلا للانكار على من يراه من قومه يحدث المؤمنين بما يوافقهم ويقوي حجتهم

مثل هذه الذبذبة تكون من الأمم فى طور الضعف لاسيما ضعف الارادة والعلم ولو كان لأولئك القوم إرادة قوية لثبتوا ظاهرا على ما يعتقدونه باطنا ولم يصانعوا مخالفيهم من أهل الملة الأولى أو الملة الآخرة . وقد وبخهم الله تعالى وأنكر عليهم هذا التلون والدهان فى الدين ولقاء كل فريق بوجه يظهرون له ما يسرون من أمر الآخر فقال « أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » فلم لا يحفلون باطلاعه تعالى على ظواهرهم ، وإحاطته بما يجول فى أطواء ضمائرهم ، وهو الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، وإنما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه فاذا هو صارعه صرعه والعاقبة للتقوى

قال تعالى (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون *)

ذلك الذي تقدم شأن علمائهم يحرفون كتاب الله ويخرجون من حكمه بالتأويل، وهذا هو شأن عامتهم لا علم لهم بشيء من الكتاب، ولا معرفة لهم بالاحكام، وما عندهم من الدين فهو أماني يتمنونها وتجول صورها في خيالاتهم، وهذه الصور هي كل ماعندهم من العلم بدينهم وما هم على بينة منها وإنما هي ظنون يلهون بها. وهذا هو محل الذم لا مجرد كونهم أميين فان الأمي قد يتلقى العلم عن العلماء الثقات ويعقله عنهم بدليله فيكون علمه صحيحاً وهؤلاء لم يكونوا كذلك. فان قيل: لم سمي ما كانوا عليه من الاماني ظناً مع أنهم أخذوه رؤساء دينهم الموثوق بهم عندهم وسلموه تسليما فلم يكن فى نفوسهم مايخالفه ومثل هذا يسمى اعتقاداً وعلماً؟ نقول انما العلم بالدليل ولا يسمي مثل ذلك علماً الا من لا يعرف معنى العلم. على أنه لم يكن راجحاً ومسلّما الا لأن مقابله لم يخطر ببالهم ولو أورد عليهم لتزلزل ماعندهم ثم زال، أو ظهر فيه الشك وتطرق اليه الاحتمال، ويصح ان يقال فى مثل هؤلاء ان الظن أو التردد كان نائما فى نفوسهم وهو عرضة لأن يوقظه نقيضه ويذهب به متى طرأ. ونوم الظن لا يصح ان يسمى اعتقاداً

قال الاستاذ الامام: هذه الاماني توجد فى كل الامم فى حال الضعف والانحطاط يفتخرون بما بين أيديهم من الشريعة وبسلفهم الذين كانوا مهتدين بها وبما لهم من الآثار التي كانت ثمرة تلك الهداية وتسوّل لهم الاماني أن ذلك كاف فى نجاتهم وسعادتهم وفضلهم على سائر الناس: هكذا كان اليهود فى زمن التنزيل وقد اتبعنا سننهم وتلونا تلوهم فظهر فينا تأويل الحديث الصحيح «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً

بذراع » واننا نقرأ أخبارهم فنسخر منهم ولا نسخر من أنفسنا ونعجب لهم كيف رضوا بالاماني ونحن غارقون فيها

ثم إن الآية تدل على بطلان التقليد وعدم الاعتداد بإيمان صاحبه وقد مضى على هذا إجماع الصدر الأول وأهل القرون الثلاثة وانما كان الجاهل يأخذ عن العالم العقيدة ببرهانها ، والاحكام بروايتها ، ولا يتقلد رأيه كيفما كان ، من غير بينة ولا برهان ،

وفسر بعضهم الأماني بالاكاذيب ابتداء ومنهم من فسرها بالقراآت أي انهم لاحظّ لهم من الكتاب الا قراءة ألفاظه من غير فهم ولا اعتبار يظهر أثرهما فى العمل . فهو على حد « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وقد ورد التمني بمعنى القراءة ، ومنه قول الشاعر :

تمنى كتاب الله أول ليله تمني داود الزبور على رسل

وهذا النوع من التمني قد برّز فيه المسلمون حتى سبقوا من قبلهم فقد أمسوا اكثر الامم تلاوة لكتابهم وأقلهم فهما له واهتداء به

قال الاستاذ الامام : إنما يحسن تفسير هذه الآيات من كان على علم بتاريخ اليهود فى ذلك العصر ووقوف على حالهم وإن كانت الانسخة من حال بعض الشعوب الموجودين الآن .... كانوا اكثر الناس مراء وجدالا فى الحق وان كان بينا باهرا وكذبا وغرورا واكلا لاموال الناس بالباطل كالربا الفاحش وغشا وتدليسا وتلبيسا وكانوا مع ذلك يعتقدون أنهم شعب الله الخاص وأفضل الناس كما يعتقد أشباههم فى هذا الزمان . فهذه هي الاماني التي صدتهم عن قبول الاسلام

أما اللفظ والنظم ففيه أن قوله تعالى «الأأماني» استثناء منقطع والعلم المنفي قاصر لا يشمل الاماني . ويصح أن يكون متعديا والآية على حد قولهم «ماعلمت فلانا الا فاضلا» ويكون المعنى انهم انما يعلمون الكتاب على انه مجموعة أماني يمنونها أنفسهم فهم لا يأخذون منه الا ماهو لهم ويمدهم في غرورهم امانيهم على سيئات أعمالهم فكأنه غير معروف لهم من الكتاب . ثم قال جل ثناؤه: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون».

قال المفسر (الجلال) انهم كانوا يكتبون الاحكام على خلاف ماهي عليه في الكتاب كآية الرجم ووصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال الاستاذ الامام لو كان هذا هو المراد من هذه الآية لما بدئ الكلام بالفاء وانما الآية وعيد على أن لبسوا على الناس بالكتابة وتأليف الكتب الدينية وإيهام العامة أن كل ما كتبوه فيها مأخوذ من كتاب الله كما يعتقد المقلدون من كل ملة بكتب الدين التي يؤلفها علماؤهم في الاصول والفروع حتى ان بعضهم يقول ان اختلافها لا ينافي كونها من عند الله . فهذه الكتب هي مثار الاماني والغرور ولذلك نعى على أصحابها بعد ماذكر أصناف اليهود من منافقين ومحرفين وأميين

كان أولئك العلماء يخطبون بتلك الكتب ميل العامة وودهم ويبتغون عندهم الجاه ويأكلون أموالهم بالدين ولذلك قال «ليشتروا به ثمناً قليلاً» وكل ما يباع به الحق ويترك لأجله فهو قليل لان الحق أثمن الاشياء وأغلاها، وأرفعها وأعلاها، ولذلك كرر الوعيد فقال «فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» فالهلاك والويل محيط بهم من أقطارهم ونازل بهم من جانب الوسيلة ومن جانب المقصد

قال الاستاذ الامام : ومن شاء ان يرى نسخة مما كان عليه أولئك اليهود فلينظر فيما بين يديه فانه يراها واضحة جلية. يرى كتبا ألفت فى عقائد الدين وأحكامه حرّفوا فيها مقاصده وحوّلوها الى مايغر الناس ويمنيهم ويفسد عليهم دينهم و يقولون هى من عند الله وما هى من عند الله وانما هى صادة عن النظر فى كتاب الله والاهتداء به . ولا يعمل هذا الا احد رجلين - رجل مارق من الدين يتعمد افساده ويتوخى إضلال اهله فيلبس لباس الدين ويظهر بمظهر اهل الصلاح يخادع بذلك الناس ليقبلوا مايكتب ويقول. ورجل يتحرى التأويل ويستنبط الحيل ليسهل على الناس مخالفة الشريعة ابتغاء المال والجاه

ثم ذكر الاستاذ وقائع طابق فيها بين ماكان عليه اليهود من قبل وما عليه المسلمون الآن - ذكر وقائع للقضاة والمأذونين وللعلماء والواعظين نسوا فيها عن أمر ربهم ، فمنهم من يتأول ويغتر بانه يقصد نفع امته كما كان احبار اليهود يفتون بأكل الربا اضعافا مضعفة ليستغني شعب اسرائيل ومنهم من يفعل مايفعل عامداً عالماً أنه مبطل ولكن تغره اماني الشفاعات والمكفرات

قال تعالى «وقالوا لن تمسنا النار الا اياماً معدودات قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله مالا تعلمون * بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون»

هذا ضرب من ضروب غرورهم زعموا ان النار لن تمسهم الا اياما معدودات قيل هى اربعون يوماً مدة عبادتهم العجل والذي عليه اكثر اليهود أنها سبعه أيام لأن عمر الدنيا سبعة آلاف فالاسرائيلي

الذي لاتدركه الشفاعة تمكث فى النار سبعة ايام عن كل ألف سنة يوم . ومثل هذا الحكم لايمكن القول به الا بعهد من الله تعالى مالك يوم الدين والجزاء والا كان افتئاتا عليه سبحانه وقولا عليه بغير علم وهذا مارد به عليهم ولله الحجة البالغة

وقال ابن جرير وبعض المفسرين معناه هل اتخذتم عند الله عهدا باتباع شريعته اعتقادا وائتمارا وانتهاء وتخلقا فأنتم واثقون بعهد الله فى كتابه لمن كان كذلك بالنجاة من النار ودخول الجنة ومغفرة ماعساه يفرط منه من السيئات أو العقوبة عليه مدة قصيرة ؟ ؟ والاستفهام للانكار أي لستم على عهد من الله تعالى . ولذلك كذبهم بقوله « بلى من من كسب سيئة » الآية .

قال الاستاذ : للسيئة هنا اطلاقها وخصها مفسرنا (الجلال) وبعض المفسرين بالشرك ولو صح هذا لما كان لقوله تعالى «وأحاطت به خطيئته » معنى فان الشرك اكبر السيئات وهو يستحق هذا الوعيد لذاته كيفما كان . ومعنى احاطة الخطيئة هو حصرها لصاحبها واخذها بجوانب احساسه ووجدانه كأنه محبوس فيها لايجد لنفسه مخرجا منها . يرى نفسه حرا مطلقا وهو اسير الشهوات ، وسجين الموبقات ، ورهين الظلمات ، وانما تكون الاحاطة بالاسترسال فى الذنوب ، والتمادي على الاصرار ، قال تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون» أي من الخطايا والسيئات ففي كلمة «يكسبون » معنى الاسترسال والمزاولة وران عليه غطاه وستره أي ان قلوبهم قد اصبحت فى غلف من ظلمات المعاصي حتى لم يبق منفذ للنور يدخل اليها منه. ومن احدث لكل سيئة

يقع فيها توبة نصوحا وإقلاعا صحيحا لاتحيط به الخطايا ولا ترين على قلبه السيئات . روى احمد والترمذي والحاكم وصححاه والنسائي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «ان العبد اذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله تعالى في القرآن «كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون» لمثل هذا كان السلف يقولون : المعاصي بريد الكفر :

ومن المفسرين من ترك السيئة في الآية على اطلاقها فلم يأولها بالشرك ولكنهم أولوا قوله «فأئلك أصحاب النار هم فيها خالدون» فقالوا ان المراد بالخلود طول مدة المكث لان المؤمن لايخلد في النار وان استغرقت المعاصي عمره واحاطت الخطايا بنفسه فانهمك فيها طول حياته . أولوا هذا التأويل هروبا من قول المعتزلة ان أصحاب الكبائر يخلدون في النار وتأييدا لمذهبهم انفسهم المخالف للمعتزلة (١) والقرآن فوق المذاهب يرشد الى ان من تحيط به خطيئته لايكون أو لا يبقى مؤمنا

(١) المنار — ان فتح باب تأويل الخلود يجرىء أصحاب استقلال الفكر في هذا الزمان على الدخول فيه والقول بأن معنى خلود الكافرين في العذاب طول مكثهم فيه لأن الرحمن الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه ماكان ليعذب بعض خلقه عذابا لانهاية له لانهم لم يهتدوا بالدين الذي شرعه لمنفعتهم لالمنفعته ولكنهم لم يفقهوا المنفعة واذا كان التقليد مقبولا عند الله كما يرى فاتحوا الباب فقد وضح عذر الاكثرين لأنهم مقلدون لعلمائهم — الخ مايتكلم به الناس لاسيما في هذا العصر فان هذه المسألة عند أهله من أكبر مشكلات الدين . نعم ان العلماء يحتجون عليهم بالاجماع ولو سكوتيا ولكن التأويل باب لايكاد يسده متى فتح شيء

باب العقائد من الأمالي الدينية (*)

(الدرس ٣٧ في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام)

(المسألة ١٠٣) حكمة ظهور الاسلام في العرب : نذكر هنا كلمة من مقالة (إعادة مجد الاسلام) التي كتبناها في الجزء الرابع من المجلد الثالث وهي :

« كان العالم الانساني قبل ظهور الاسلام في غمرة من الشقاء والتعاسة وظلمات من الفتن وفساد الأخلاق وتداعي أركان المدنية السابقة وصدع بنيانها فأراد الحي القيوم ان يحيي هذا النوع حياة طيبة ويقيم بناء مدنيته على أساس من الحكمة ليثبت ويبقى الى ماشاء الله تعالى ويبلغ به الانسان كماله المستعد هو له في أصل الفطرة القويمة فأظهر له جل ثناؤه الاسلام في الأمة العربية فحملته وطافت به العالم المستعد لقبوله بما سبق له من المدنية فما كان الآ كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى عم نوره المشرق والمغرب ، ودخل الانسان في طور جديد وأقام أركان مدنيته على أسس جديدة ثابتة لاتتزعزع ولا تتزلزل مادامت الارض أرضا والسماء سماء . وكيف تتزلزل نواميس الفطرة أو تزول سنن الخليقة وقد أخبر مبدعها الحكيم الخبير بأنها محفوظة من التبديل والتحويل

« لماذا اختار الله الأمة العربية لهذا الاصلاح على سائر الامم ؟ اختارها وهو أعلم لأسباب ووجوه

(*) نشر الدرس السادس والثلاثون في الكراسة ٤٢ من المجلد الخامس (ص ٣٣٩) وشغلنا بعد ذلك بمقالات الاسلام والنصرانية وأم القرى مع التفسير عن تتابع مقالات العقائد . وكان ذلك الدرس في نبوة خاتم النبيين والحاجة الى عمومها والاستعداد العام لها ووعدنا فيه ببيان حكمة كونه من العرب وبيان ارتقاء الدين من كلام الاستاذ الامام وهذا الثاني قد ذكرناه في غير الأمالي فلا نعيده

«(أحدها) انها كانت وسطا بين الأمم التي سبقت لها المدنية والبلاد التي أقيم فيها من قبل بناء الحضارة وهي بلاد مصر وسوريا والجزيرة والعراق وفارس حيث كان التمدن الكلداني والاشوري والبابلي والفارسي والفينيقي والمصري واليوناني والروماني فيسهل عليها عليها بذلك ان ترمي بذور المدنية في الارض القابلة وتلقي مبادئ الاصلاح في النفوس المستعدة

(ثانيها) أنها كانت - ولا مدنية لها سابقة (معروفة) - اشد استعدادا من تلك الامم التي سبقت لها المدنية لمبدإ الاصلاح الاسلامي الجديد ووضع اساسه الاول وهو استقلال الارادة واستقلال الفكر والرأي لانه لم يكن لها رؤساء في الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد فتفنى إرادتها في إرادتهم، وتتلاشى آراء افرادها في آرائهم، فلا يرجع اليهم أحد قولا، ولا يملك لنفسه من دونهم ضرا ولا نفعا، وأما تلك الأمم فقد كان المرؤسون فيها ذائبين في رؤساء الدين والدنيا حتى لم تبق لهم إرادة ولا فكر ولا رأي الا ماينفذ إرادة الرؤساء ويمثل أفكارهم وآراءهم (ومن هذا نفهم حكمة ظهور الاسلام بمظهر السيادة وعناية خلفائه بالفتح والاستيلاء وهي ازالة ذلك السلطان الغاشم والاستبداد القاهر ليكون الناس أحرارا فيما يعتقدون ولهم بعد ذلك الخيار في الاسلام وعدمه إذ «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» وزال المانع من طريق الادراك والفهم)

«(ثالثها) أن رقة الوجدان وقوة الفهم والادراك كانتا بالغتين فيها درجة الكمال بمجرد سلامة الفطرة. وأمة هذا شأنها تكون أقبل الأمم

لدين الفطرة الذي جاء يخاطب العقل والوجدان معاً ويمحو من الكون أثر التقليد الاعمى ويطمس رسومه ، وتكون أسرع انفعالاً بالمؤثرات ، وأشد تمسكاً بالمعتقدات ،

« (رابعها) أنه كان عندها من عزة النفس وشدة البأس وكمال الشجاعة والحرية الشخصية وما يتبع هذا من الفضائل مايحملها على حفظ ماتعتقده حقا والاستماتة فى المدافعة عنه على حين أمات تنوس الامم الاخرى وذهب بارادتها ماتواتر عليها من الظلم والاضطهاد أحقاباً طويلة حتى سهل عليها مشايعة الظالمين على خذل الحق وتأييد الباطل كماهو واقع فى غير أهل البادية من المسلمين لهذا العهد . وهذا الوجه يقرب فى المعنى من الوجه الثاني

« (خامسها) أنه لم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شيء يستندون فيه على وحي سماوي وعلى سلف من الانبياء أو الحكماء والربانيين فيدافع ماجاء به الاسلام أو يزاحمه . وإنما كان عندهم الشرك فى العبادة الذي يسهل إبطاله بالبرهان ، على وجه يقبله العقل وينفعل له الوجدان ، اذا وجد استقلال الفكر والرأي وكذلك كان » اه

ونزيد الآن سببا سادسا هو السبب الاظهر ، والوجه الانور ، ونذكره على النسق السابق فنقول

(سادسها) كون العرب أمة أمية لاتقرأ ولا تكتب ولم تمارس الاحكام السياسية والمدنية والقضائية . وبيان هذا من وجهين ـ أحدهما مافهم من الاسباب السابقة وهو وجوب كون الاصلاح الجديد الذي احتاجته الامم كلها غير مشوب بشيء من أمشاج الاديان والمدنيات

السابقة لان تلك الاديان قد انطمست وجوهها وتلك المدنيات قد انقلبت الى ترف مفسد وبهيمية محضة . فلو ظهر الاصلاح فى أهلها لصدهم عنه ماهم فيه ولضاع الزمن الطويل فى مكافحة الجديد للقديم وكانت الاقوام قد تقيدت بما هي فيه حتى لاطريق لخروجها منه الا قارعة من دونهم تحل بهم فتزلزل ماهم فيه زلزالا .

كانت تلك الامم تقيم بناء مدنيتها على اركان الدين والعلم والسياسة المنتظمة وأحكامها وهذه هى أركان السعادة البشرية فى هذه الحياة ولكنها اساءت استعمالها فلفحها هجير الشقاوة فكانت من تلك الاركان فى ظل ذي ثلاث شعب ، لاظليل ولا يغني من اللهب ، بل كان كل ماحل بها من الشقاء هو من دخان ذلك الظل الذي ذهب بكل نور، فالاديان كانت قد انقلبت وثنية تضل العقول ، وتذل النفوس ، والعلوم كانت وسائل الترف ، وذرائع السرف ، والاحكام كانت سوط البغي والعتو ، وسيف القهر والعلو ، فكانت جميع آلات الرقي ، آلات للتدلي والهوي ،

وكانت العرب فى إبان ذلك خلوا من كل ذلك ولكنها كانت على جهلها وفساد أخلاقها ترتقي فى بداوتها ارتقاء فطريا ، وتستعد لقبول الهداية استعدادا طبيعيا ، حتى اذا جاءها العلم والاصلاح كانت كما قيل :

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى　　فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(والوجه الثاني) وهو اوجه الوجوه وأظهر الاسباب والحكم ظهور الآية الكبرى والحجة العظمى - ظهور العلم الأعلى ، والتعليم الاجلى ، على يد أمي نشأ فى الاميين ، وتربى بين الجاهلين ، ولو نشأ فى أمة من تلك الامم لقيل انه عالم نقح العلوم وهذبها ، وحرر الشرائع وشذبها ،

وحكيم نظر فى تاريخ البشر ، فاستخرج منها الحكم والعبر ، «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون»

(م ١٠٤) حال النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته: لم يكتب الكاتبون فى هذا المقام مثلما كتبه فى رسالته الاستاذ الامام ذلك أنه بين ما كانت عليه الامم قبل البعثة من الفساد والشرور ثم قال :

«أفلم يكن من رحمة الله بأولئك الاقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه رسالته . ويمنحه عنايته،ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ، التى أظلت رؤس جميع الامم ؟ نعم كان ذلك ولله الامر من قبل ومن بعد

«فى الليلة الثانية عشرة من ربيع الاول عام الفيل (٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام) ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم القرشي بمكة . ولد يتيما توفي والده قبل ان يولد ولم يترك له من المال الا خمسة جمال وبعض نعاج (١) وجارية ويروى أقل من ذلك وفى السنة السادسة من عمره فقد والدته أيضا فاحتضنه جده عبد المطلب وبعد سنتين من كفالته توفي جده فكفله من بعده عمه أبو طالب وكان شهما كريما غير أنه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف أهله . وكان صلى الله عليه وسلم من بني عمه وصبية قومه كاحدهم على ما به من يتم فقد فيه الابوين معا وفقر لم يسلم منه الكافل والمكفول ولم يقم على تربية مهذب ، ولم يعن بتثقيفه مؤدب ، بين اتراب من نبت الجاهلية ، وعشراء من حلفاء الوثنية ، وأولياء من عبدة الاوهام،وأقرباء من حفدة

(١) قيل خمس وقيل تسع

الاصنام ، غير انه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا وفضيلة وأدبا حتى عرف بين أهل مكة وهو في ريعان شبابه بالأمين. أدب الهي لم تجر العادة بأن تزين به نفوس الايتام من الفقراء خصوصا مع فقر القوام . فاكتهل صلى الله عليه وسلم كاملا والقوم ناقصون، رفيعا والناس منحطون، موحدا وهم وثنيون ، سلما وهم شاغبون ، (١) صحيح الاعتقاد وهم واهمون ،مطبوعا على الخير وهم به جاهلون،وعن سبيله عادلون،

« من السنن المعروفة ان يتيما فقيرا أميا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته الى زمن كهولته ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه لاسيما ان كان من ذوي قرابته وأهل عصبته ، ولا كتاب يرشده ، ولا أستاذ ينبهه ، ولا عضد اذا عزم يؤيده .فلو جرى الامر فيه على جاري السنن لنشأ على عقائدهم ،وأخذ بمذاهبهم ،الى أن يبلغ مبلغ الرجال،ويكون للفكر والنظر مجال،فيرجع الى مخالفتهم ،اذا قام له الدليل على خلاف ضلالاتهم، كما فعل القليل ممن كانوا على عهده (٢) ولكن الامر لم يجر على سنته بل بغضت اليه الوثنية من مبدإ عمره ، فعاجلته طهارة العقيدة ، كما بادره حسن الخليقة، وما جاء في الكتاب من قوله « ووجدك ضالا فهدى » لا يفهم منه انه كان على وثنية قبل الاهتداء الى التوحيد أو على غير السبيل القويم ، قبل الخلق العظيم ، حاش لله ان ذلك لهو الافك المبين . وانما هي الحيرة تلم بقلوب أهل الاخلاص،فيما يرجون للناس من الخلاص،وطلب السبيل

---

(١) استشهد له بقصة اختلاف القبائل ايهم يضع الحجر الاسود في موضعه يوم بناء الكعبة وكادوا يقتتلون لولا ان أصلح بينهم بما أرضاهم جميعا (٢) كأمية ابن أبي الصلت وعمرو بن نفيل

الى ماهدوا اليه من انقاذ الهالكين، وارشاد الضالين ، وقد هدى الله نبيه الى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته ، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته ،

« وجد شيئا من المال يسد حاجته – وقد كان له فى الاستزادة منه مايرفه معيشته – بما عمل لخديجة رضي الله عنها فى تجارتها وبما اختارته بعد ذلك زوجا لها وكان فيما يجتنيه من ثمرة عمله غناء له وعون على بلوغه ما كان عليه اعاظم قومه . لكن لم ترقه الدنيا ولم تغره زخارفها، ولم يسلك ما كان يسلكه مثله فى الوصول الى ماترغبه الانفس من نعيمها، بل كلما تقدم به السن زادت فيه الرغبة عمّا كان عليه الناس كافة ونما فيه حب الانفراد والانقطاع الى الفكر والمراقبة والتحنث بمناجاة الله تعالى والتوسل اليه في طلب المخرج من همه الاعظم فى تخليص قومه ونجاة العالم من الشر الذي تولاه، الى أن انفتق له الحجاب عن عالم كان يحثه اليه الالهام الالهي ، وتجلّى عليه النور القدسي ، وهبط عليه الوحي من المقام العلي، فى تفصيل ليس هذا موضعه

« لم يكن من أبائه ملك فيطالب بما ساب من ملكه وكانت نفوس قومه فى انصراف تامّ عن طلب مناصب السلطان، وفى قناعة بما وجدوه من شرف النسبة الى المكان ، دلّ عليهما مافعل جده عبد المطلب عند زحف ابرهة الحبشي على ديارهم . جاء الحبشي لينتقم من العرب بهدم معبدهم العام، وبيتهم الحرام، ومنتجع حجيجهم ومستوى العلية من آلهتهم، ومنتهى حجة القرشيين فى مفاخرتهم لبني قومهم ، وتقدم بعض جنده فاستاق عددا من الابل فيها لعبد المطلب مئتا بعير وخرج عبد المطلب

فى بعض قريش لمقابلة الملك فاستدناه وسأله حاجته فقال: هي أن ترد الي مئتي بعير أصبتها لي : فلامه الملك على المطاب الحقير ، وقت الخطب الخطير ، فأجابه : انا رب الابل أما البيت فله رب يحميه : هذا غاية ماينتهي اليه الاستسلام وعبد المطلب فى مكانه من الرياسة على قريش فأين من تلك المكانة محمد صلى الله عليه وسلم فى حاله من الفقر ومقامه فى الوسط من طبقات أهله حتى ينتجع ملكا أو يطلب سلطانا ؟ لا مال لاجاه لاجند لاأعوان لاسليقة فى الشعر لابراعة فى الكتاب ، لاشهرة فى الخطاب، لاشيء كان عنده مما يكسب المكانة فى نفوس العامة، أو يرقى به الى مقام مابين الخاصة ،

«ماهذا الذي رفع نفسه فوق النفوس، ماالذي أعلى رأسه على الرؤس، ماالذي سما بهمته على الهمم، حتى انتدب لارشاد الامم . وكفالته لهم كشف الغمم بل وإحياء الرمم ؟ ؟ ما كان ذلك الا ماألقى الله فى روعه من حاجة العالم الى مقوم لما زاغ من عقائدهم، ومصلح لما فسد من أخلاقهم وعوائدهم، ما كان ذلك الا وجدانه ريح العناية الآلهية ينصره في عمله، ويمده فى الانتهاء الى أمله، قبل بلوغ أجله، ماهو الا الوحي الالهي يسعى نوره بين يديه فيضيء له السبيل، ويكفيه مؤنة الدليل ، ماهو الا الوعد السماوي ، قام لديه مقام القائد والجندي ، أرأيت كيف نهض وحيدا فريدا يدعو الناس كافة الى التوحيد، والاعتقاد بالعلي المجيد والكل مابين وثنية مفرقة ودهرية وزندقة .

« نادى فى الوثنيين بترك أوثانهم ونبذ معبوداتهم وفى المشبهين المنغمسين فى الخلط بين اللاهوت الاقدس وبين الجسمانيات بالتطهر من

تشبيههم وفى الثانوية بانفراد اله واحد بالتصرف في الاكوان وردّ كل شئ في الوجود اليه*أهاب بالطبيعين ليمدوا بصائرهم الى ماوراء حجاب الطبيعة فيتنوروا سر الوجود الذي قامت به *صاح بذوي الزعامة ليهبطوا الى مصاف العامة فى الاستكانة الى سلطان معبود واحد هو فاطر السموات والارض والقابض على أرواحهم فى هيا كل أجسادهم*تناول المتنحلين منهم لمرتبة التوسط بين العباد وبين ربهم الاعلى فبين لهم بالدليل وكشف لهم بنور الوحي أن نسبة أكبرهم الى الله كنسبة أصغر المعتقدين بهم وطالبهم بالنزول عما انتحلوه لأنفسهم من المكانات الربانية ، الى أدنى سلم من العبودية ، والاشتراك مع كل ذي نفس انسانية فى الاستعانة برب واحد يستوي جميع الخلق فى النسبة اليه لايتفاوتون الا فيما فضل به بعضهم على بعض من علم أو فضيلة * وخز بوعظه عبيد العادات وأسراء التقليد ليعتقوا أرواحهم مما استعبدوا له ، ويحلوا أغلالهم التى أخذت بأيديهم عن العمل ، وقطعتهم دون الامل * مال على قراء الكتب السماوية. والقائمين على ماأودعته من الشرائع الالهية . فبكت الواقفين عند حروفها بغباوتهم . وشدد النكير على المحرفين لها . الصارفين لالفاظها الى غير ماقصد من وحيها اتباعا لشهواتهم . ودعاهم الى فهمها ، والتحقق بسر علمها ، حتى يكونوا على نور من ربهم *ولفت كل انسان الى ماأودع فيه من المواهب الالهية ودعا الناس اجمعين ذكورا وإناثا عامة وسادات الى عرفان أنفسهم وأنهم من نوع خصه الله بالعقل وميزه بالفكر وشرفه بهما وبحرية الارادة فيما يرشده اليه عقله وفكره وأن الله عرض عليهم جميع مابين أيديهم من الاكوان وسلطهم على فهمها والانتفاع بها بدون شرط ولا قيد الا الاعتدال

والوقوف عند حدود الشريعة العادلة والفضيلة الكاملة. وأقدرهم بذلك على أن يصلوا الى معرفة خالقهم بعقولهم وأفكارهم بدون واسطة أحد الامن خصهم الله بوحيه. وقد وكل اليهم معرفتهم بالدليل كما كان الشأن فى معرفتهم لمبدع الكائنات أجمع. والحاجة الى أولئك المصطفين انما هى فى معرفة الصفات التى أذن الله أن تعلم منه وليست فى الاعتقاد بوجوده. وقرر أن لا سلطان لاحد من البشر على آخر منه الا مارسمته الشريعة وفرضه العدل ثم الانسان بعد ذلك يذهب بارادته الى ماسخرت له بمقتضى الفطرة * دعا الانسان الى معرفة أنه جسم وروح وأنه بذلك من عالمين متخالفين وان كانا ممتزجين وأنه مطالب بخدمتهما جميعا وإيفاء كل منهما ماقررت له الحكمة الالهية من الحق * دعا الناس كافة الى الاستعداد فى هذه الحياة لما سيلاقون فى الحياة الاخرى وبين لهم أن خير زاد يتزوده العامل هو الاخلاص لله فى العبادة والاخلاص للعباد فى العدل والنصيحة والارشاد

* * *

«قام بهذه الدعوة العظمى وحده ولا حول له ولا قوة - كل هذا كان منه والناس أحباء ماألفوا وإن كان خسران الدنيا وحرمان الآخرة. أعداء ماجهلوا وان كان رغد العيش وعز السيادة ومنتهى السعادة. كل هذا والقوم حواليه أعداء أنفسهم وعبيد شهواتهم لا يفقهون دعوته. ولا يعقلون رسالته. عقدت أهداب بصائر العامة منهم بأهواء الخاصة. وحجبت عقول الخاصة بغرور العزة عن النظر فى دعوى فقير اميّ مثله لا يرون فيه مايرفعه الى نصيحتهم والتطاول الى مقاماتهم الرفيعة باللوم والتعنيف

«لكنه فى فقره وضعفه كان يقارعهم بالحجة ويناضلهم بالدليل ويأخذهم بالنصيحة ويزعجهم بالزجر وينبههم للعبر ويحوطهم مع ذلك بالموعظة الحسنة كأنما هو سلطان قاهر فى حكمه عادل فى أمره ونهيه أو أب حكيم فى تربية ابنائه شديد الحرص على مصالحهم رؤف بهم فى شدته رحيم فى سلطته

« ماهذه القوة فى ذلك الضعف ؟ ماهذا السلطان فى مظنة العجز ؟ ماهذا العلم فى تلك الامية ؟ ماهذا الرشاد فى غمرات الجاهلية ؟ إن هو إلا خطاب الجبروت الاعلى . قارعة القدرة العظمى . نداء العناية العليا * ذلك خطاب الله القادر على كل شيء الذي وسع كل شيء رحمة وعلما * ذلك نداء أمر الله الصادع . يقرع الآذان ويشق الحجب ويمزق الغلف وينفذ الى القلوب على لسان من اختاره لينطق به واختصه به وهو أضعف قومه ليقيم من هذا الاختصاص برهانا عليه بعيدا عن الظنة . بريئا من التهمة . لانيانه على غير المعتاد بين خلقه

« أي برهان على النبوة أعظم من هذا ؟ أمي قام يدعو الكاتبين الى فهم ما يكتبون وما يقرؤن * بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ليمحصوا ما كانوا يعلمون * فى ناحية عن ينابيع العرفان جاء يرشد العرفاء * ناشيء بين الواهمين هب لتقويم عوج الحكماء * غريب فى أقرب الشعوب الى سذاجة الطبيعة . وابعدها عن فهم نظام الخليقة . والنظر فى سننه البديعة . أخذ يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة . ويخط للسعادة طرقا لن يهلك سالكها . ولن يخلص تاركها .

« ماهذا الخطاب المفحم ؟ ما ذلك الدليل الملجم ؟ أأقول « ماهذا

بشرا ان هذا الا ملك كريم » ؟ لا لا أقول ذلك ولكن أقول كما أمره الله أن يصف نفسه : إن هو إلا بشر مثلكم يوحى اليه : نبيّ صدق الانبياء ولكن لم يأت في الاقناع برسالته بما يلهي الابصار أو يحير الحواس أو يدهش المشاعر ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له واختص العقل بالخطاب ، وحاكم اليه الخطأ والصواب ، وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة وآية الحق الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » اه

الكرامات والخوارق

تتمة المقالة العاشرة

(المسألة الخامسة والعشرون) ذكر الشيخ الاكبر في فتوحاته أن الكرامة على قسمين كرامة حسية كالمشي على الماء وكرامة معنوية وهي التوفيق لكمال المحافظة على حدود الشريعة ظاهراً وباطنا وما ينشأ عن ذلك من العلوم والمعارف الالهية . وذكر ان الاكابر لايحفلون بالكرامات الحسية وأن اعظم كرامة عندهم العلم بالله تعالى والدار الآخرة وما تستحقه الدار الدنيا وما خلقت له ولاي شيء وضعت حتى يكون الانسان من امره على بصيرة من حيث كان فلا يجهل من نفسه ولا من حركاته شيئاً . بل قال : إن الكرامة ليست الا العلم اما المعنوية فظاهر ان العلم مبداها وثمرتها واما الحسية فانه يشترط ان تكون بتعريف الهي وهو عين العلم : ونقول ان هذه الكرامة المعنوية لاينكرها احد وكلها نفع وليس فيها ضرر ولا خداع فان العلم نور لاظلمة فيه . والولي المحمدي لايليق به التعويل على غير هذه الكرامة فان آية نبيه الكبرى معنوية والكرامة قبس من نور المعجزة كما يقولون

(المسألة السادسة والعشرون) ذكر الشيخ الاكبر في فتوحاته ايضاً أن الخوارق التي تحصل على ايدي الصالحين قد يكون فيها مكر خفي واستدراج . وشرط لصحة كونها كرامة اكرم الله بها العبد لامكراً به ولا استدراجا له ان

تكون ناتجة عن استقامة أو منتجة لاستقامة وان تكون بتعريف المي . هذا مااشترطه شيخ الصوفية الاكبر وهو مخالف لما فى كتب علماء الظاهر من كون الكرامة هي الامر الخارق للعادة الذي يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح . ولو اعتبر بهذا وما قبله الذين يعتدون المصادفات الغريبة كرامات وان ظهرت على أيدي المستورين او الفاسقين لكفوا من غلوائهم .

(المسألة السابعة والعشرون) ان الكرامة فى عرف العامة هي الفصل الذي يميز طائفة من الناس يسمونهم الاولياء . والولي فى اللغة الناصر والمتولي للأمور وقد نهى الله المؤمنين ان يتخذوا من دونه أولياء وقال « الله وليّ الذين آمنوا » وأولياء الله هم أنصار دينه والمميز لهم كمال الاتباع المعبر عنه بالتقوى فكل مؤمن تقي وليّ وليس عمل الغرائب ولا صدور الخوارق دليلا على التقوى ولا على الولاية ، قال تعالى « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » وفى الباب السادس والثمانين بعد المئة من الفتوحات المكية ان تارك الكرامات هو المتحقق باتخاذ الحق وكيلا له امتثالا لقوله تعالى « فاتخذه وكيلا »

(المسألة الثامنة والعشرون) يستدل العامة على ثبوت وقوع الكرامات للأولياء بقوله تعالى « لهم مايشاؤن عند ربهم » وهي جراءة على تحريف القرآن فاشية فيهم وإنما الآية فى أهل الجنة فى الجنة وقد اختزلوا منها هذه الجملة فكان استدلالهم بها على ان الاولياء يعطيهم الله فى الدنيا مايشاؤن من الخوارق كاستدلال بعض المتلاعبين على تحريم الصلاة بقوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة » وترك القيد وهو قوله « وأنتم سكارى » . واكثر الذين رأيناهم يستدلون على الكرامة بما ذكر جاهلون بما عدا تلك الكلمة من الآية ولهذا نكتبها لهم بتمامها وهي «ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير » ثم قال بعدها « ذلك الذى يبشر الله عباده » الخ فانت تراها بشارة للمؤمنين العاملين بما سيكون لهم من الجزاء فى الآخرة فهي كقوله تعالى بعد ذكر الجنة ودخول المتقين فيها « لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد » فاين ذلك من حديث الخوارق فى الدنيا ؟

(المسألة التاسعة والعشرون) ان الاعتقاد بالكرامة ليس من اصول الايمان التي يكلف المؤمن باعتقادها كما تقدم وإنما ذكروها فى كتب الدين لما تقدم من الاستدلال على وقوعها بالكتاب فى قصة أم موسى وأم عيسى عليهما السلام . وقد علم من المقالة الرابعة أن قصارى مايدل عليه الكتاب هو الالهام الصحيح للاولى وتمثل الملك الروح للثانية ومكالمتها وذلك من مقدمات نبوة ولديهما كحبل مريم بنفخ الروح فيها . فمثل هذا لايقاس عليه لانه آية لم تات على قياس لان زمن النبوة قد انقطع فلم يبق الا تحكيم العلم فى مسألة الخوارق فما اثبته فهو الثابت وما نفاه فهو المنفي وما توقف فيه فالوقف حتم الى ان يتجلى فيه شيء

(المسألة الثلاثون) لنا ان نجعل الدين معيناً للعلم في البحث عن الخوارق التي تحقق وقوعها وذلك ان الدين علمنا ان وراء العالم المحسوس عالما غيبياً لاتستقل الحواس بادراكه ، ومن حكم الدين فى الاخبار بهذا توجيه همة الانسان الى شيء أرقى من هذه المحسوسات التي تشاركه فيها البهائم والحشرات حتى لايقف باستعداده غير المحدود عند هذه الحدود القريبة . وإن للعالم الغيبي اتصالا بعالم الشهادة المحسوس ومنه أرواحنا التي بها نحيا وندرك

وهذه المسألة تنفعنا في تعليل كثير من الوقائع التي تسمى خوارق وهي خوارق عادات حقيقة ولكنها ليست خوارق للسنن الالهية فاذا لم تظهر لها سنة حسية جلية ، فان لها سنة معنوية خفية ، وهذه التعليلات والتأويلات الآتية من قبيل تعليل علماء المادة كثيراً من الظواهر الطبيعية بالأثير الذي يسندون اليه الآثار ، وان لم تدركه الابصار ، بل هي أظهر منها . وانا نجعل هذه المسألة آخر المسائل التي نجلي بها مبحث الخوارق والكرامات . فعلم من هذا انه ليس فى الدين دليل على وقوع الخوارق لغير الأنبياء إلا فى وقائع متصلة بهم ومتعلقة بظهورهم وان المعول عليه فيما وراء ذلك هو العلم والاختبار . وسترى أنواع الخوارق فى المقالات التالية وحكم العلم والاختبار فيها

*** ***

(المقالة الحادية عشرة في أنواع الكرامات وضروب التأويل)

ما رأيت أحداً توسع في الكلام على الكرامات كالتاج السبكي في الطبقات الكبرى ولذلك جعلنا كلامنا في المقالات الاولى معه . وقد تكلم في أنواع الكرامات وقال : ان بعض المتأخرين عدد أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة وهي أكثر من ذلك وأنا أذكر ماعندي فيها : ثم ذكر خمسة وعشرين نوعا لاتخلو من تكرار وتداخل ثم قال : وأظن أن أنواع كراماتهم تبلغ المئة :

وقد زدت عليه في خاتمة كتاب (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والاحمدية) أنواعا مشهورة عنهم . واننا نسرد هذه الانواع المشهورة ونحرر القول فيها . ونشير الى وجوه التأويل التي تعتريها ، فنقول :

(النوع الاول احياء الموتى)

ذكر السبكي فيه حكايات في إحياء نحو دابة ودجاجة وحدأة وطفل صغير وقع من سطح فمات ثم قال : لايثبت عندي ان وليا حي له ميت مات من أزمان كثيرة بعد ماصار عظاما رميما ثم عاش بعدما حي زمانا كثيراً . هذا القدر لم يبلغنا ولا أعتقده وقع لاحد من الاولياء ولاشك في وقوع مثله للانبياء عليهم السلام فمثل هذا يكون معجزة ولاتنتهي اليه الكرامة فيجوز ان يجيء نبي قبل اختتام النبوة باحياء أمم انقضت قبله بدهور ثم اذا عاشوا استمروا في قيد الحياة أزمانا . ولا اعتقد الآن أن ولياً يحيي لنا الشافعي وأبا حنيفة حياة يبقيان معها زمنا طويلا كما عمرا قبل الوفاة ولازمانا قصيراً يخالطان فيه الاحياء كما خالطاهم قبل الوفاة : اه كلامه

أقول اذا كان يعترف بأن الشيخ عبد القادر الجيلي أحيا الدجاجة بعد أكلها مطبوخة فلماذا يستنكر على مثله إحياء الشافعي وإبي حنيفة وبماذا يفرق بين الاحياءين ؟ ان كان الكلام في الجواز وعدمه فهو حكم عقلي لايختلف باختلاف الاشخاص وان كان الكلام في الوقوع فهو يتوقف على المشاهدة أو السماع من المعصوم أو النقل بالتواتر الصحيح عن أحدهما ولا شيء من ذلك بثابت الا ماحكى الله تعالى من قول عيسى عليه السلام « وأحيي الموتى باذن الله » ولم يقل انه أحيا ميتاً أو

أمواتاً مضى على موتهم الزمن من الطويل حتى صاروا رمما بالية ثم عاشوا بين الناس وحدثوهم بما كان من أمرهم بعد الموت . ولو فعل هذا لما بقي أحد الا و آمن به. ولسنا نريد ان عدم النص والتصريح بانه أحيا الموتى بالفعل يقتضي انه لم يقع منه إحياء حقيقي بالفعل أو ان المراد بالموتى موتى الجهل والكفر وبالاحياء الهداية الى الايمان والحق كما قال المأوّلون وانما نريد أن السبكي لا يجد نصاً يؤيد به دعواه وأنه متحكم وان كان مصيبا في قوله وفاقا للقشيري: ان الكرامة لاتبلغ مبلغ المعجزة: ويظهر ان الميزان الذي يزن به هذه الاحكام هو عظمة الاشخاص أو الاصناف فى نفسه فلما كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم الناس قدراً أعطاهم إحياء العظام الرميم وكون من يحيونه يعيش الزمن الطويل وأعطى الاولياء إذ كانوا دونهم إحياء الطيور والاطفال !!

كان للنصارى غرام بنقل الآيات والخوارق والامر الغريب اذا اشتهر بين الناس لاينسى وان كان سنده واهيا أو موضوعا ولم ينقل القوم عن المسيح أنه أحيا العظام الرميم بل روى لوقا فى آخر الفصل الثامن من إنجيله أن ابنة رئيس المجمع ماتت وأن المسيح قال « لاتبكوا لم تمت لكنها نائمة ٥٣ فضحكوا عليه عارفين أنها ماتت ٥٤ فاخرج الجميع خارجا وأمسك بيدها ونادى قائلا : ياصبية قومي : فرجعت روحها وقامت فى الحال » اه وروى يوحنا فى الفصل الحادي عشر من انجيله قصة إحياء (لعازر) أخي مريم ومرثا وكان المسيح يحبه ويحبهما وكان مرض فأخبر المسيح تلاميذه بأنه نام وأنه يريد إيقاظه ويعني أنه مات فجاء معهم من أورشليم الى قرية بيت عينا حيث كان لعازر واختاه وكان قد مات ووضع فى مغارة منذ أربعة أيام فجاءها وأمر برفع الحجر ورفع هو عينيه الى فوق وقال : ايها الأب اشكرك لأنك سمعت لي وانا علمت انك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني : ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا فخرج الميت الخ

هذا مارووه وهو على انقطاع اسناده ليس فى شيء مما قال السبكي اما حكاية البنت فيحتمل انها كانت فى نوم حقيقي كما هو ظاهر قوله . واما الحكاية الثانية فاننا معشر المؤمنين نسلم بها اذا صح نقلها بالتواتر وان كان ملاحدة النصارى --

قالوا فيها باحتمال المواطأة بين المسيح ولعازر على ما كان (نعوذ بالله من كفرهم) وباحتمال ان يكون ذلك من قبيل النوم الطويل فقد ثبت ان من الناس من ينام عدة اسابيع او عدة أشهر ثم يستيقظ بسبب او بدون سبب ، ولولا ماثبت في القرآن من نبوة المسيح وتأييد الله تعالى له باحياء الموتى لكان التأويل متعينا فليس عندنا نقل متواتر يعتد به

هذا واننا خرجنا عن الموضوع بادخال المعجزة في البحث . والذي نقوله فى هذا النوع من حيث عدّه في الكرامات إنه لم يثبت والأصل عدمه . وان ما ما اورده السبكي من الحكايات ينطبق على القاعدة التي قررها فى طبقاته وهى عدم جواز إظهار الكرامة الا لأمر عظيم يضطر اليها حتى إنه انتحل تطبيق مااورده من الكرامات المأثورة عليها . وكان ينبغي له ان يطبقها على قاعدته الاخرى وهى عدم بلوغ الكرامة مبلغ المعجزة فيقول ان إحياء الموتى لايكون من الكرامات ، ولا عبرة بتلك القصص والحكايات.

هذا وان المشعوذين فى أوربا وغيرها يخيلون للناس أنهم يذبحون الانسان فيبينون رأسه عن جثته ثم يحيونه . ويطمع العلماء بان يرتقي العلم بالناس الى مستوى يهتدون فيه الى إعادة الحياة لمن تفارقه بعد زمن قريب . ومنهم طائفة من الروحيين تشتغل بالبحث عن طريق مناجاة أرواح الموتي. ولا يبعد إن يجيء يوم يظهر لهم فيه أن ماروي من إحياء سيدنا عيسى للبنت ولعازر ، وإحياء سيدنا محمد لابن جابر ، قد كان بسنة إلهية خفية ، وهو إمداد الارواح القوية العلوية للارواح الضعيفة السفلية ، حتى تعود باذن الله الى التصرف بالجسد ، اذا لم يطل على مفارقته الامد ، وقد سبق الالماع الى أن آيات الانبياء عليهم السلام اذا كانت جارية على سنن الهية روحانية يكون ذلك أليق بكمال الله عز وجل مما اذا كانت بمحض القدرة لما فيه من اتفاق القدرة مع النظام والحكمة وذلك كمال في القدرة لانقص فيها

*** ***

(النوع الثاني تكليم الموتى ورؤية الارواح)

قال السبكي هو أكثر من النوع الذي قبله وروي مثله عن ابي سعيد الخراز رضي الله تعالى عنه ثم عن الشيخ عبدالقادر رضي الله تعالى عنه وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الامام الوالدولست اسميه :

ونقلت فى كتاب (الحكمة الشرعية) عن الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي ماحكاه عن نفسه في الفتوحات المكية (باب ٣١١) وهذا نصه : « ولقد كنت انقطعت في القبور مدة منفرداً بنفسي فبلغني ان شيخنا يوسف بن يخلف الكرمي قال : ان فلانا ــ وسماني ــ ترك مجالسة الاحياء وراح يجالس الموتى : فبعثت اليه وقلت: لو جئتني لرأيت من اجالس : فصلى الضحى واقبل الي وحده مامعه احد فطلب علي فوجدني بين القبور قاعدا مطرقا وانا اتكلم على من حضرني من الارواح فجلس الى جانبي بادب قليلا قليلا فنظرت اليه فرايته قد تغير لونه وضاق نفسه وكان لايقدر يرفع راسه من الثقل الذي نزل عليه وانا انظر اليه واتبسم فلا يقدر ان يتبسم لما هو فيه من الكرب فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد خفف عن الشيخ واستراح ورد وجهه الي فقبل بين عيني فقلت له : ياأستاذ من يجالس الموتى انا او انت ؟ قال : لاوالله بل انا اجالس الموتى والله لو تمادى علي الحال فطست : وانصرف وتركني فكان يقول : من اراد ان يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان : »اه

وأقول الآن ان مثل هذه الحكاية منقول عن الصوفية بكثرة وهو من خوارق العادات المألوفة المعروفة ولكنه ليس خارجا عن السنن الالهية ، ولا خارقا للنواميس الكونية ، ولا علاقة له بالامور الدينية. وإنما الروح الانساني مستعد فى أصل الفطرة لادراك عالمه ولكنه يشغل عنه بعالم الجسد الذي يكون كل شغله به من أول النشأة وهذا الاستعداد يكون قويا فى بعض الناس فاذا اهتدى من يكون قويا فيه الى استعماله يزداد قوة حتى يتمكن من رؤية الارواح المجردة أي التي تفارق الاجساد ويقوى على خطابها وللافرنج في هذه السنين عناية بهذا الامر واشتغال به كبير ، ويروى عنهم فى استحضار الارواح ومكالمة الموتى أضعاف ماروى عن الصوفية من الوقائع ولكنهم مع ذلك لم يبلغوا فيه مبلغ الصوفية فيما اظن ولا يبعد ان يسبقوهم

في يوم من الايام لان جد هؤلاء الافرنج ومثابرتهم على الاعمال التي يهتدون الى طريقها من الغرابة بمكان

هذا مايقال في التأويل لمن صحت عنده الروايات عن الاولين والآخرين . ومن الناس من يقول ان كل مايروى في هذا المقام غير حقيقي وانما هو من ضروب الشعوذة والسيمياء يخيلون فيه للناس مالا حقيقة له في الواقع . وقد ذكر الصوفية ان بعض هذه المشاهد الروحية يكون في عالم الخيال ، وبعضها يكون في عالم المثال وقد اطلنا هذا البحث في كتاب (الحكمة الشرعية) فكتبنا فيه ٣٥ صفحة ، ومنه : قال حجة الاسلام الغزالي (رحمه الله تعالى) في كتابه المنقذ من الضلالة في الثناء على الصوفية « حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد » • وفي المواهب اللدنية للقسطلاني ان الغزالي قال في تفسير حديث « من رآني في المنام فقد رآني حقاً » وحديث « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » : ليس معنى قوله « فقد رآني » انه رأى جسمي وبدني وإنما المراد انه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي اليه • وكذلك قوله « فسيراني في اليقظة » ليس المراد انه يرى جسمي وبدني (قال) والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثاله على التحقيق : فعلم بهذا ان الغزالي يريد برؤية الارواح رؤية مثل متخيلة لها • ولكنه قال في المنقذ بعد ما تقدم : ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق الناطق :

وذكر الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر جماعة كانوا يرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة منهم الشيخ قاسم المغربي ، ونقل عن الشيخ قاسم المذكور أنه قال : وأكثر ماتقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى الى رؤية البصر (قال) وليست رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كرؤية بعضنا بعضا وانما هي جمعية خيالية وحالة برزخية وأمر وجداني لايدرك حقيقته الا من باشره : اه ففهم ان الانسان لايزال يفكر في الميت الذي تتوجه اليه نفسه

ويتعمل فى إخطاره على قلبه حتى يتخيل أنه يراه وانه معه لانه يغيب عن عالم الحس ويستغرق فى عالم الخيال

وذكر الشعراني فى ميزانه عن شيخه علي الخواص أن الائمة المجتهدين كانوا يرون النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويسألونه عن الاحكام المشكلة . ولو كانت هذه الرؤية حقيقة مطردة لما اختلفوا اذلا يمكن ان يجيبهم بأجوبة مختلفة في المسألة الواحدة ولما توقفوا فى بعض المسائل ، فان صح قوله فهي الجمعية الخيالية وهى لاتزيد الانسان على مافى نفسه. على انه لم ينقل عن أحد منهم انه ادعى ذلك .

وفى الذهب الابرز (ص ٤٤ و٤٥ من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٢٩٢) ان ابن المبارك سأل الشيخ عبد العزيز الدباغ عن استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم فى ذهن المؤمن هل هي من عالم الروح أو من عالم المثال أو من عالم الخيال قال : « فاجاب رضي الله عنه بان ذلك الاستحضار من روح الشخص وعقله فمن توجه بفكره اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقعت صورته فى ذهنه فان كان ممن يعلم صورته الكريمة لكونه صحابيا أو من العلماء الذين عنوا بالبحث عنها ثم حصلوها فانها تقع فى فكره على ماهي عليه فى الخارج . وان كان من غير هذين فانه يستحضره فى صورة آدمي فى غاية الكمال فى خلقه وخلقه فقد توافق الصورة التي في فكره مافى الخارج وقد تخالفه والحاضر فى الفكر هو صورة ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم لاصورة روحه عليه الصلاة والسلام فان الذى شاهده الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأخبر عنه العلماء هو الذات لاالروح الشريفة ولا يجول الفكر الا فيما يعلمه الشخص ويعرفه . فقولكم : هل هو من عالم الروح ؟ ان اردتم به الاستحضار فهو من عالم الروح اي من روح المتفكر وان أردتم به الحاضر أي فهل الحاضر فى أفكارنا روحه صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقد سبق أنه ليس إياها . وأما المحادثة والمكالمة اذا حصلت لهذا المتفكر فان كانت ذاته طاهرة وتحبها روحه ولم تحجب عنه أسرارها وكانت معه كالخليل مع خليله فالمحادثة معصومة وهي حق وان كانت الذات على العكس فالامر على العكس والله الموفق » اه وماذكره أخيرا من الحكم فى المحادثة والمكالمة فيه غموض ولا أقول هنا كما قلت فى (الحكمة

الشرعية): ان فيه وقفة ظاهرة:

ثم قال ابن المبارك إنه ذكر لشيخه رجلا من الصالحين كان يذكر الله مع جماعة من أصحابه فما كان من أحدهم الا ان تبدل لونه وتغير حاله وبدّل جلسته فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال «واعلموا ان فيكم رسول الله» (قال) فقلت للشيخ هل هذه المشاهدة التي وقعت لهذا الرجل مشاهدة فتح أو مشاهدة فكر؟ فقال: مشاهدة فكر لامشاهدة فتح ومشاهدة الفكر وان كانت دون مشاهدة الفتح الا أنها لاتقع الا لأهل الايمان الخالص والمحبة الصافية والنية الصادقة. وبالجملة فهي لاتقع الا لمن كمل تعلقه بالنبي صلى الله عليه وسلم. وكم واحد تقع له هذه المشاهدة فيظنها مشاهدة فتح وانما هي مشاهدة فكر. وهذا القسم الذي تقع له هذه المشاهدة وهو غير مفتوح عليه اذا قيس مع عامة المؤمنين كانوا بالنسبة اليه كالعدم ويكون إيمانهم بالنسبة اليه كلا شيء والله أعلم:

قال ابن المبارك: ومما يؤيد هذه المشاهدة الفكرية وانها تقع لغير المفتوح عليه كونها تقع لمن كملت محبته فى شخص وان كان غير النبي صلى الله عليه وسلم. ولقد أخبرني بعض الجزارين أنه مات له ولد كان يحبه كثيرا وانه لم يزل شخصه في فكره حتى ان عقله وجوارحه كلها معه فكان هذا دأبه ليلا ونهارا الى ان خرج ذات يوم الى باب الفتوح احد أبواب (فاس) حرسها الله تعالى لشراء الغنم على عادة الجزارين فجال فكره في أمر ولده الميت فبينما هو يجول فكره إذ رآه عيانا وهو قادم اليه حتى وقف الى جنبه. قال فكلمته وقلت له: ياولدي خذ هذه الشاة لشاة اشتريها حتى أشتري أخرى: وقد حصلت غيبة قليلة عن حسي فلما سمعني من كان قريبا أتكلم مع الولد قالوا: مع من تتكلم أنت؟ فلما كلموني رجعت الى حسي وغاب الولد عن بصري فلا يدري ماحصل في باطني من الوجد عليه الا الله تبارك وتعالى: اه

وقلت بعد إيراد هذا فى (الحكمة الشرعية): وظاهر ان هذا الرجل قد انطبعت صورة ولده في خياله ولشدة اشتغاله به وضعف شأن المحسوس الذي هو آخذ به بالنسبة اليه غاب عن حسه وتلاشى تحت قوة سلطان خياله فتمثلت له صورة ولده المطبوعة في خياله بشراً سوياً فخدثه وهمه بأنه يراه حقيقة فخاطبه بما خاطبه به حتى اذا

تنبه بتنبيه آخر لم ير شيئاً . وهذه الرؤية من قبيل الأحلام المنامية . وقد رأيت امرأة مخبولة تخاطب الأموات وتخبر عن حالهم عند مايمرون فى خيالها : هذا فلان يقول كذا هذا فلان يقول كذا : وكثيراً ماتكون الغيبة عن الحس للعشاق باستحواذ الخيالات والأوهام عليهم حتى ان أحدهم لفرط شغفه واشتغال فكره بمعشوقه يمثله له خياله فيتوهم انه موجود أمامه حقيقة فيقابله بما يليق به من الآداب . ويرفع الى أعتاب جنابه ماشاء من العتاب، وفى ذلك قال قائلهم :

يمثلك الشوق الشديد لناظري   فأطرق إجلالا كأنك حاضر

ومنه الحكاية عن عاشقة تقول :

فليس نوما خفض رأسي إنما * أسجد للطيف الذي قد سلما * فانني استزرته توهما

فزارني ورق لي ترحما * لما رأى في الجفن فعل السهد

وقال لي بالله ماأضناكي * قد كل عنك نظر الادراك * نامي بجفني فاقصدي مناكي

كيما تريه أنت أو يراكي * فليس لي بغير ذا من جهد

ومثل هذا فى كلامهم كثير وفيه يقال: الجنون فنون . وكل حزب بما لديهم فرحون .

﴿ النتيجة ﴾

ان مانقل عن كثير من عباد المسلمين والنصارى وغيرهم من رؤية الأنبياء والأولياء والرؤساء الروحيين صحيح فان حال الاشخاص فى الرائين والناقلين فى بعض الوقائع ليس فيها شائبة الكذب . ولكن هذا ليس من الخوارق الحقيقية ولاتلك المشاهدات دليل على ان صاحبها على الحق . وإنما هو تأثير الحب والشغف وكثرة الفكر والتخيل فى الشيء مع تأثر الوجدان به يضعف الحواس ، ويقوي الوسواس ، فيغيب صاحبه عن حاله ، ويحضر مع خياله . ومن الناس من كان يستعين على إثارة رواكد الخيال بما يضعف الحواس والعقل من المخدرات كالحشيشة المعروفة فقد كان أول من استعملها الباطنية والمتصوفة ولذلك كانت تسمى حشيشة الفقراء . كان شيوخهم يشغلون فكر المريد ببعض الاموات المعتقدين أو بالجنة مثلا وينا ولونه شيئا من الحشيشة فتخدّر حواسه فيتجسم مافي خياله من الصورة التي كان وجهه الشيخ اليها فتتمثل له في صورة بديعة وما كان المريدون يعلمون بأن لما تناولوه من الحشيشة تأثيراً فيما رأوه وانما كانوا

يعتقدون أنه تصرف روح الشيخ في عوالم الملكوت وإدناء بعض مافيها من عالم الملك
وأنت ترى ان هذا الذي قلناه في تفسير رؤية الارواح ومكالمتها مأخوذ من كلام كبار الصوفية ولم نفتجره افتجارا . وانني اعترف بان ماقاله الشيخ عبد العزيز الدباغ فيه هو كرامة من كراماته المعنوية فانه كان رجلا أميا وفتح الله عليه بالمعارف العالية وأكرمه بحل كثير من المشكلات الفلسفية كهذه المسألة والمشكلات الدينية أيضا على انني لااسلم بكل مانقل عنه ولاأقول انه معصوم أو محفوظ من الخطأ . وما قاله في إيمان من يرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رؤية فكرية خيالية لاينافي ماقلناه آنفا من كون هذه المشاهدات لاتدل على حقية اعتقاد صاحبها. فصاحب الايمان الصحيح في الاصل تجعل إيمانه إيمانا وجدانيا فيكون أقوى من إيمان غيره . وكذلك صاحب الاعتقاد الباطل فهي تقوي في نفس صاحبها ماهو فيها حقا كان أو باطلا كما فعلت بايمان الذين تمثلت لهم السيدة مريم عليها السلام وهم يعتقدون انها أم الله ـ تعالى عن ذلك علوا كبيراً ـ فثبت بهذا ان هذا النوع ليس من الخوارق في شيء

ورأيت ان كلام الصوفية الذي حل الاشكال يشير او يصرح بان وراء هذه المشاهدات الخيالية والمكالمات الوهمية شيئاً آخر أعلى منه وهو إدراك الارواح إدراكا صحيحا والاستفادة منها استفادة حقيقية لم يكن يعلمها المرء من قبل . وهذا شيء لايمكن ان يعرفه الا من ذاقه وهو جائز وان لنا من الثقة بصدق بعض المخبرين به اكثر مما لاهل هذا العصر من الثقة باهل أوربا إذ يصدقونهم بكل شيء غريب يقطعون بثبوته وان لم يعرف دليلهم هؤلاء المصدقون

واذا ثبت هذا النوع لبعض الاولياء والاصفياء لاستعداد فيهم قواه استعماله وسمي كرامة لهم فلا ينبغي ان تعتقد انه جاء مخالفاً للسنن الالهية في الخلق ولا أن تصدق أحدا من الناس بخصوصه يدعيه لانه مما لايمكن إثباته لغير من ذاقه ومن ادعى مالا يمكن إثباته فهو أحمق او مجنون لايبالى به . وهذا الذي قررناه حجاب دون اغترار العامة ببعض الدجالين وهو غرضنا الاول من كل ما كتبناه في الخوارق والكرامات

في س ٩ ص ١٦٤ «كلام» والصواب «كلام الله» وفي س ٩ ص ١٦٧ (رؤساء) والصواب « عن رؤساء » فليصحح

القسم العمومي

(اليهود والماسونية . وحدث الوطنية)

(اليهود) : لايوجد شعب في الدنيا كشعب اسرائيل في تمسكه بالرابطة الملية ، والعصبية الجنسية. فهم يحبون ويحاولون ان يحوّلوا جميع منافع الشعوب الذين يعيشون معهم اليهم . ولولا أنهم يعتقدون ان دينهم خاص بهم لايجب عليهم الدعوة اليه لحاولوا إرجاع جميع الأديان اليه بالهمة التي يحاولون بها تحويل قوى الشعوب كلها الى منفعة بني إسرائيل . وكل هذا ــ لولا غلوّ فيه ــ من الفضائل التي يحمد صاحبها عليها ولكن الغلوّ فى حب الذات كالتقصير فيه كلاهما من الأمور الضارة بصاحبها . لهذا نرى هذا الشعب مضطهدا من جميع الشعوب والامم لايتسع له صدر الاصدر المسلمين. ألم تر ان الذين تطردهم الممالك وتخرجهم من أرضها لايجدون فى الغالب ملجأ الا بلاد الدولة العلية حتى بلاد فلسطين التي يطمعون ان يستقلوا بها ويحدثوا فيها ملكا جديدا

(الماسونية) : جمعية سياسية سرية تكونت فى أوربا ــ خلافا لما يزعمون من قدمها ــ لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والامراء ورؤساء الدين من البابوات والقسيسين الذين كانوا متضافرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها منتزعة من الكتاب المشترك الذي يسمى الكتاب المقدس وأسندوها الى بناة الهيكل المقدس هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الاقصى . وقد قامت هذه الجمعية بعملها على احسن وجه ولم يعد لها الآن عمل في تلك البلاد . واذ كان منشئوها والمنشأة لهم من غير المسلمين كان فيها أمور متعددة تخالف الاسلام وكان الداخل فيها عرضة لمخالفة دينه الا ان يكون عالما متمكنا

ثم ان الافرنج عند ماتغلغلوا فى الشرق ورأوا مزاج السيادة الاسلامية لايقبل مشاركا له فى حكمه فهو يجيش انفعال جميع المسلمين لنبذ سلطة كل من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على إضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم ويهودها فادخلوا طائفة

منهم وبقي أكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزغة من نزغات الكفر أو وسيلة اليه . لا ان الشعب المصري سريع الانقياد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون فى هذه الجمعية من اهله. على ان اهلها يتنصلون من الاديان ويدعون عدم التعرض لها بحال

ولما هاجر السيد جمال الدين حكيم الشرق وموقظه الى هذه البلاد رأى من استبداد اسماعيل باشا الخديو الاسبق مايزيد على ما كان فى أوربا من الاستبداد ورأى ان الجمعية الماسونية تجر" هذه البلاد الى أوربا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهي كالخيوط التي يربط بها المشعوذ التماثيل التي يلعب بها وراء الستار فيحسب الصبيان أنها هي التي تلعب بنفسها وكذلك كانت مصر ألعوبة فى أيدي الاوربيين . فاراد السيد رحمه الله أن يربي فيها رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجه همته الى استخدام الماسونية في تعليم تلامذته مالا يمكن التصريح به الا فى جمعية سرية فدخل فى الماسونية ودخل معه تلامذته النابغون فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس محفلهم ولكنه كان غاليا فى مضادة الانكليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم فى مصر وقد صرح به كتابة فقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ولم يكن للماسونية عمل فى مصر لمصر الا فى تلك المدة. ثم ان الماسونية صارت فى مصر آلة لبعض زعمائها فى جلب المنافع ثم كثر فيها الغوغاء حتى قل احترامها وانطلقت الالسنة بالطعن فيها وليس هذا مما يعيننا الآن

* * *

(حدث الوطنية) : شاب يعرف قراء المنار أنه يلغط بالوطنية على غير هدى وان له جريدة أنشأها لتعظيم شخصه باسم الوطنية والانتقام لشخصه بكل اسم . يمقت كل من ليس مصري الاصل لاجل مصر ويمقت من المصريين الاصلاء من ليس مسلما لاجل المسلمين ويمقت كل مصالح المسلمين لاجل شخصه فهو لنفسه علة العلل ، فى كل قول له وعمل ، واليك هذا الشاهد العادل

مفتي الديار المصرية مصري" الموطن ويشغل في مصر أكبر الوظائف الدينية ويرأس جمعية خيرية ليس لها ثانية لخدمة مسلمي مصر وهو في علوم الدين والدنيا وفى كبر العقل وقوة الارادة مفخر المسلمين ومفزعهم يرجعون اليه فى الدفاع عن

دينهم وفى قضاء حوائجهم ويرون أكبر خدمة قام بها للاسلام تفسير القرآن الشريف على طريقة روحية عمرانية تظهر أن القرآن الحكيم ينبوع السعادة الدينية والمدنية فى كل عصر

ولكن هذا الرجل خلق من طينة الجد فهو لايقيم وزنا للاحداث المتنفجين فينزلهم منزلة العدم لايحترمهم ولا يحتقرهم . وحدث الوطنية يحب أن يدهن له كل عظيم فهو لايحب مفتي الديار المصرية . وكان ينبغي ان يعامله بالمثل لايعظمه ولا يتطاول ويتسلق ويتعالى لغمص حقه. فاذا لم يستطع صبراً فلينتظر له هفوة يتيسر له التلبيس بها على العامة بأنها تضر بالوطن الذي يدعى حبه ، أو الاسلام الذي يتألف حزبه ، ولكن من الناس من يبلغ من نفسه مبلغا لايصل أحد اليه الا بخذلان من الله!!!

انظر الفرص التي ينتهز مثلها حدث الوطنية — كان مفتي الاسلام فى جماعة من «كبار الوطن العزيز» قد ركبوا مركبة مما اعدته الحكومة للمدعوين لحضور احتفال خزان اسوان فحاول احد الخدمة من الافرنج إنزالهم منها ليركب فيها نساء من قومه فانتهره المفتي فعاد خائباً . ولما علم بذلك زعيم الوطنية بزعمه بادر الى ارسال رسالة برقية الى جريدته جعل عنوانها (اهانة المفتي) وحكى القصة على غير وجهها فهذه هي «الوطنية الحقة» التي يتنفج بها — يفتخر بان خادما اجنبيا اهان اكبر رجال «الوطن المحبوب» وما اهانهم ولكنه يفتخر بما يفتجر ويفتحر

وان تعجب فأعجب مما قصصناه من فرصة هذا الوطني التي اغتنمها لخدمة الوطن ماتقصه الآن من فرصة هذا المسلم التي اغتنمها لخدمة الاسلام ، بل لتأييد بعض ماسون اليهود فى الاحتجاج على تفسير القرآن

ان نبذة التفسير التي نشرناها في الجزء الثاني من منار هذه السنة هي مأخوذة من الدرس الذي ألقاه المفتي فى ٦ ذي القعدة سنة ١٣١٧ اي منذ ثلاث سنين وشهور وقد نقلتها عنا جريدة الرائد العثماني التي قامت تندد فى هذه السنة بسيئات اليهود حتى انهم حاكموا صاحبها وحكم عليه بشدة علم بها ان الحكومة انتصرت لهم وما كانوا مهضومين ولا مظلومين . توهم بعضهم ان مفتي الديار المصرية صاحب النفوذين الديني والادبي كتب الآن يساعد تلك الجريدة بقلمه المؤثر فوجلوا ووجموا ولجأوا الى جمعيتهم الماسونية وكتبوا بقلم الطيش والعجلة احتجاجا باسم الماسونية على مفتي الديار المصرية الذي يفسر القرآن العزيز فى الازهر باسم الله الرحمن الرحيم وطلبوا إيقافه عند

حده . وارسلوا نسخا من احتجاجهم الى امير البلاد والى اللورد كرومر والى رئيس النظار والى جميع الجرائد اليومية فلم يحفل احد باحتجاج هذا المحفل الا رئيس الماسونية العام فى هذه الديار (عطوفتلو) ادريس بك راغب فانه كتب محتجاً على الاحتجاج مبيناً للمحفل انه خالف قانون الجمعية

ولكن حدث الوطنية نشر صورة الاحتجاج في جريدته وقام ينتصر لعترة عثرها بعض يهود الماسون على مفتي الاسلام من حيث هو مفسر للقرآن وسوّل اليه غروره ان ذلك انتقام من المفتي فما كان الا زيادة فى إجلاله وتعظيمه — حضر رئيس ذلك المحفل الماسوني من الاسكندرية مخصوصاً لزيارة المفتي فى الازهر والاعتذار له ثم كتب هذا الرئيس رسالة نشرها فى الجرائد المشهورة في ذلك اثنى فيها بما اثنى . وزاره فى الازهر ايضاً الرئيس الاعظم للمحافل الافريقية ادريس بك راغب . وكتب بعض ادباء اليهود فى الجرائد يبين خطأ الاحتجاج ونشره واثنى على المفتي بما اثنى . وكتبت الجرائد المعتبرة مقالات في ذلك باقلام كتابها واقلام غيرهم من الفضلاء سفهوا فيها منشور الاحتجاج والجريدة التي نشرته وفى مقدمة هذه الجرائد المؤيد والاهرام والمقطم والبيراميد . ولولا ان كان جميع الكاتبين متفقين على الاعتذار عن المحتجين بسوء الفهم والاعتراف بان مفتي الديار المصرية لهذا العهد هو روح الوفاق والوئام ، وداعية الاتحاد والالتئام ، وانه لا يرضيه ان يهضم حق فرد من الافراد ولا طائفة من الطوائف لان الشريعة التي هو احد ائمتها قضت بالعدل والمساواة حتى كان خلفاؤها الراشدون يساوون آحاد اليهود با كبر كبرائهم — لولا هذا لأحدث ذلك المنشور ثورة فكرية قلمية على اليهود سيئة المغبة وكان إثم ذلك على من كتب المنشور بسوء الفهم ، ومن نشره بسوء القصد ،

« ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى » واي شيء أسوأ ممن ارضى نفسه واغضب اليهود الذين انتصر لهم بما كاد يوقعهم فيه من الفتنة واغضب المسلمين لانه انتصر لليهود عليهم فى امر ديني محض واغضب الله تعالى لانه انتصر لافراد من اليهود على كتابه العزيز واراد ان يساعدهم على إيقاف من يبينه للناس عند حده وماهو الا منعه من بيانه للناس ونقض ميثاق الله الذي اخذه على العلماء « ليبيننه للناس ولا يكتمونه »

وههنا نكتة لطيفة وهي ان اليهود قد كتبوا ما كتبوا مغترين بالحرية التي فى مصر الآن كما صرحوا بذلك في منشورهم وحدث الوطنية يتبجح دائماً بذم هذه الحرية لان منبعها الاحتلال الانكليزي فهل كانت هذه الحرية جديرة بالمقت والذم من

حيث رفعت أثقال الظلم عن كاهل الامة المصرية وصارت جديرة بالرضى والمدح من حيث يراد بها منع تفسير القرآن من الجامع الازهر ؟ ؟ كلا ان تلك الحرية ما كانت مذمومة عنده من جهة الأحكام الالانه لم يقدر أن يكون فيها حاكما و ماصارت ممدوحة عند الاستعانة بها على منع كتاب الله الا لأن مفسره لايدهن له ولا يعتبره زعيما للوطن فثبت بهذا ان حدث الوطنية لايخدم الاشخصه مباشرة واسم الوطنية والاسلام ، إنما يذكران اذا صلحا للاستخدام ،

فعلم مما تقدم انه لم يكن من مصلحة اليهود ان يطرقوا هذا الباب — دعوى تحامل المسلمين عليهم وكراههم لهم — لئلا يفتح فيعجزوا عن إغلاقه هم والحرية التي استنجدوا بها وهي العون عليهم مالم يخالف أحد القانون في اعتدائه ، المسلمون أقرب الناس الى مسالمتهم بما يرشد اليه الاسلام والتاريخ شاهد عدل فى الماضي والحاضر ولكن أهل هذه البلاد يؤثر فيهم القول والوهم فاذا صدقوا ان مفتي الاسلام قد برى قلمه للنيل منهم يعتقدون انهم خطر كبير على المسلمين او المصريين . ومن يقدر على إزالة اعتقاد العامة بعد رسوخه ؟ قدر بعض الاحداث على تحريك أضغان المصريين على السوريين بكلمات هذوا بها فكان من أثرها ان الالوف من الناس يعتقدون ان السوري بلاء على مصر على ان السوريين موافقون لهم فى اللغة والجنسية العثمانية ومنهم من هم على دينهم وليس لهم امتياز يثقل عليهم كامتياز الاجانب ثم إنهم أقل الشعوب التي هاجرت الى هذه البلاد كسبا فاليهود والارمن واليونان وجميع الشعوب الاوربية تفوقهم ثروة ومن هؤلاء من افسدوا البلاد بالخمور والفجور ولا ترى مع هذا جريدة مصرية تذكر أحداً منهم بما تذكر به السوريين مما لا يرضي . والسوريون هم الذين خدموا العلم والادب خدمة لم يدركهم بها المصريون الى الآن . نعم ان فيهم بعض السفهاء وفاسدي الآداب والجنسية . وأي شعب ليس فيه الصالح والطالح والمصلح والمفسد ؟ فاذا كان اولئك الاحداث قد أثروا هذا التأثير بمعونة الاستعداد للشر فما بالك بهذا الامام الكبير . كان من حظ اليهود انهم طرقوا الباب فلم يفتح لأن المفتي وجميع من يتصل به من حملة الاقلام لايحبون فتحه ولو فتح لما اغنت عن اليهود الماسونية شيئاً ، اما كون الماسونية خرجت فى هذه المسئلة عن حدها فلا نزاع فيه بعد ما علمنا من احتجاج استاذها الاعظم على كاتبي المنشور . وكل مخطىء قد رجع عن خطأه الا حدث الوطنية فعلم انه هو الذي كان سيء القصد دون اليهود وغيرهم .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الجمعة ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢١ — ١٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر ﴾

(واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدون الاّ الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة ثم توليتم الاقليلا منكم وأنتم معرضون)

الآيات السابقة كانت تذكيراً بالنعم التاريخية الملية وبالتقصير فى الشكر وعواقبه. وذلك كالتفضيل على العالمين الذي يرفع النفس والانجاء من آل فرعون ومن الغرق وإيتاء موسى الكتاب والآيات البينات وتسهيل المعيشة عليهم فى التيه بما ساق الله اليهم من المنّ والسلوى ثم ما كان منهم في إثر كل نعمة وما اعقبه كفر النعم من النقم . ولم يذكر فيما سبق من الاحكام

العملية الاماجاء على سبيل التبع لهذه الاصول . وفى هذه الآية ومابعدها التذكير بأمهات الاحكام فى العبادات والمعاملات وما كان من اهمالها وترك العمل بها . هذا هو المراد أولا وبالذات على ان فيما يأتي إعادة الاشارة الى بعض مامضى قضى بهاما كان عليه اليهود من سوء الفهم وغلظ القلوب وكثرة المشاغبات والمماراة فالخطاب معهم دائما فى باب الاطناب

قال الاستاذ الامام : لاحظ بعض البلغاء والمفسرين أن القرآن يطنب ويبدئ ويعيد فى خطاب اليهود خاصة وذلك لما كانت شحنت به أذهانهم بما يسمى علما أو فقها فأبعد بهم عن ان يصل شعاع الحق الى ماوراء ذلك من نفوسهم ويكتفي بالايجاز بل بالاشارات الدقيقة فى خطاب العرب لما كانوا عليه من سرعة الفهم ورقة الاحساس لقربهم من السذاجة الفطرية فالاشارة الى البرهان فى ضمن تمثيل ، يغني عندهم عن الاسهاب والتطويل ، ولذلك خاطبهم بمثل قوله فى الاصنام «وان يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب »

قوله تعالى « لاتعبدون الا الله » بيان للميثاق لامقول قول محذوف كما قال المفسر . يقال : أخذت عليك تفعل كذا : كماتقول : أن تفعل كذا: سواء . وهو خبر بمعنى النهي للمبالغة والتأكيد يلاحظ ان الامر والنهي قد امتثل فيخبر بوقوعه أو انه لتوثيقه والتشديد فى تأكيده سيمتثل حتما فيخبر بانه كائن لامحالة .

قال تعالى « وبالوالدين إحسانا » أي وتحسنون بالوالدين احسانا . والاحسان نهاية البرّ فيدخل فيه جميع مايجب من الرعاية والعناية وقد أكد الله الامر باكرام الوالدين فى التوراة حتى انه يوجد فيها الآن ان

من يسب والديه يقتل . وقد قرن الامر بالاحسان بالوالدين الى الامر بالتوحيد أو النهي عن الشرك فهو كقوله تعالى «وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا» وليست هذه العناية بأمر الوالدين في الكتب السماوية لكونهما سبب وجود الولد كما يقول الناس فانه لامنة لهما على الولد بهذه السببية لانها لم تكن اكراما له ولا عناية به كيف وهو لم يكن معروفا فيكرم وانما كانت بباعث الشهوة وإرضاء النفس ومنهم من لم يكن يخطر بباله الولد الابعد الزواج بزمن طويل ومنهم من كان يود ان لا يولد له أو ان يكون له ولد واحد اوولدان فقط فيكون له أكثر. فاذا كان وجوب الاحسان بالوالدين معلولا لارادتهما الولد فينبغي ان يخص هذا الاحسان بولد لم يكن لهما من الزوجية حظ سواه بعينه وهو ما لا وجود له. فذلك كلام شعري والعلة الصحيحة في وجوب هذا الاحسان على الولد هي العناية الصادقة التي بذلاها في تربيته والقيام بشؤنه أيام كان ضعيفا عاجزاً جاهلا لا يملك لنفسه نفعا ولا يقدر ان يدفع عنها ضرراً وكانا يحوطانه بالعناية والرعاية ويكفلانه حتى يقدر على الاستقلال والقيام بشأن نفسه فهذا هو الاحسان الذي يكون منهما عن علم واختيار بل مع الشغف الصحيح والحنان العظيم وماجزاء الاحسان الا الاحسان . واذا وجب على الانسان ان يشكر لكل من يساعده على أمر عسير فضله ويكافأه بما يليق به على حسب الحال في المساعد وما كانت به المساعدة فكيف لا يجب ان يكون الشكر للوالدين بعد الشكر لله تعالى وهما اللذان كانا يسعدانه على كل شيء أيام كان يتعذر عليه كل شيء ؟؟

وكذلك حب الوالدين للولد ليست علته كما يقول الناس كونه جزءا

منهما وفلذة كبدهما فان هذا كلام شعري لاحقيقي فان جسم الانسان مركب من الاغذية النباتية والحيوانية فلو كانت العلة صحيحة لكان ينبغي ان يحب الحنطة والغنم أكثر مما يحب والديه . وانما لحب الوالدين الولد منبعان أحدهما حنان فطري أودعه الله تعالى فيهما لاتمام حكمته وثانيهما ماجرت به سنة البشر من التفاخر بالاولاد ومن الامل بالاستفادة منهم فى المستقبل وليست الفائدة محصورة فى المال والعون على المعيشة وانما تتناول الشرف والجاه

وكم أب قد علا بابن له شرفا كما علا برسول الله عدنان

ولما كان حب الوالدين للاولاد بمكانة من القوة لايخشى زوالها ترك النص على الاحسان بهم وثنى بالاحسان بذي القربى

الاحسان هو الذي يقوي غرائز الفطرة ويوثق الروابط الطبيعية حتى تبلغ البيوت فى وحدة المصلحة درجة الكمال . والامة تتألف من البيوت (العائلات) فصلاحها صلاحها . وهاهنا قال الاستاذ كلمة جليلة وهي «من لم يكن له بيت لاتكون له أمة» وذلك أن عاطفة التراحم وداعية التعاون إنما تكونان على أشدهما وأكملهما فى الفطرة بين الوالدين والاولاد ثم بين سائر الاقربين فمن فسدت فطرته حتى لاخير فيه لاهله فأي خير يرجى منه للبعداء والابعدين ؟ ومن لاخير فيه للناس لايصلح ان يكون جزءا من بنية أمة لانه لم تنفع فيه اللحمة النسبية التي هي أقوى لحمة طبيعية تصل بين الناس فأي لحمة بعدها تصله بغير الاهل فتجعله جزءا منهم يسره مايسرهم ويؤلمه مايؤلمهم، ويرى منفعتهم عين منفعته ، ومضرتهم عين مضرته ؟ ؟

قضى نظام الفطرة بأن تكون نعرة القرابة أقوى من كل نعرة

وصلتها أمتن من كل صلة فجاء الدين يقدم حقوق الاقربين على سائر الحقوق وجعل حقوقهم على حسب قربهم من الشخص ثم ذكر حقوق أهل الحاجة من سائر الناس فقال « واليتامى والمساكين » واليتيم هو من مات أبوه وهو صغير وقد قدم الوصية به على الوصية بالمسكين ولم يقيدها بفقر ولا مسكنة فعلم أنها مقصودة لذاتها

قال الاستاذ الامام : أكد الله تعالى فى الوحي الوصية باليتيم وفى القرآن والسنة كثير من هذه الوصايا وحسبك أن القرآن نهى عن قهر اليتيم وشدد الوعيد على أكل ماله تشديدا خاصاً ولو كان السرّ فى ذلك غلبة المسكنة على المساكين لاكتفى هنا بذكر المساكين. كلا ان السر فى ذلك هو كون اليتيم لايجد في الغالب من تبعثه عاطفة الرحمة الفطرية على العناية بتربيته والقيام بحفظ حقوقه والعناية بأموره الدينية والدنيوية فان الام ان وجدت تكون فى الاغلب عاجزة لاسيما اذا تزوجت بعد أبيه فأراد الله تعالى ـ وهو أرحم الراحمين ـ بما أكد من الوصية بالايتام ان يكونوا من الناس بمنزلة أبنائهم يربونهم تربية دينية دنيوية لئلا يفسدوا ويفسد بهم غيرهم فينتشر الفساد فى الامة فتنحلّ انحلالا . فالعناية بتربية اليتامى هي الذريعة لمنع كونهم قدوة سيئة لسائر الاولاد . والتربية لاتتيسر مع وجود هذه القدوة فاهمال اليتامى إهمال لسائر أولاد الامة

وأما المساكين فلا يراد بهم هؤلاء السائلون الشحاذون الملحفون الذين يقدرون على كسب مايفي بحاجاتهم أو يجدون ماينفقون ولو لم يكتسبوا الا أنهم اتخذوا السؤال حرفة يبتغون بها الثروة من حيث لا يعملون عملا ينفع الناس ولكن المسكين من يعجز عن كسب يكفيه

وأما قوله عز وجل «وقولوا للناس حسنا» فهو كلام جديد له شأن مخصوص ولذلك تغير فيه الاسلوب فلم يرد على النسق الذي قبله مع دخوله فى الميثاق فانه بين فيما سبق الحقوق العملية وعبر عنها بالاحسان ويستحيل ان يحسن الانسان بالفعل الى جميع الناس لانه لا يمكن ان يعامل جميع الناس فالذين لابد له من معاملتهم هم أهل بيته وأقاربه الذين ينشأ فيهم ويتربى بينهم فجاء النص بوجوب الاحسان فى معاملتهم لتصلح بذلك حال البيوت. ثم ان اليتامى والمساكين من قومه هم الذين لا يستغنون عن إحسانه وإحسان أمثاله بالفعل لأنه لا قيم للاولين ، ولا غناء عند الآخرين ، ففرض عليه ان يجعل لهم حظا منه . ثم بعد بيان ما به إصلاح البيوت من إعانة الاقربين وما به صلاح بعض العامة من معونة اليتامى والمساكين على إصلاح بيوتهم بقي بيان حقوق سائر الامة وهي النصيحة لهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا هو معنى قوله تعالى « وقولوا للناس حسنا » وليس معناه مجرد التلطف بالقول والمجاملة فى الخطاب فالحسن هو النافع فى الدين أو الدنيا وهو لا يخرج عما ذكرنا فلما كان هذا النوع من الحقوق مستقلا بذاته جاء بأسلوب آخر ولا شك ان في القيام بهذه الفرائض إصلاح الامة كلها

جاء الامر بالعبادة مجملا ليعلم الانسان أنه مكلف بكل فرد من أفرادها بحسب الطاقة ولكن من العبادة ما لا يهتدي اليه الانسان الا بهداية إلهية وأكبر ذلك النوع إقامة الصلاة لاصلاح نفوس الافراد وإيتاء الزكاة لاصلاح شئون الاجتماع لذلك قال تعالى بعد ما تقدم « وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة » وإنما إقامة الصلاة بالاخلاص لله والصدق فى التوجه اليه والخشوع لعظمته وجلاله والاستكانة لعز سلطانه ولا تكون

بمجرد الاتيان بصورة الصلاة ورسومها الظاهرة ولو كان هذا هو المراد لما وصفهم بالتولي والاعراض عنه فانهم ماأعرضوا عن صورة الصلاة الى ذلك اليوم الذي ذكرهم فيه بهذه الآيات والى هذا اليوم أيضاً . وأما الزكاة فقد كان بعض أحبارهم يزعم انها تلك المحرقات والقرابين المفروضة لتكفير الخطايا أوشكر الله تعالى على إخراجهم من مصر وغير ذلك من النعم. وليس الامر كذلك فان لهم زكوات مالية منها مال مخصوص يؤدى لآل هرون وهو الى الآن فى اللاويين . ومنها مال للمساكين . ومنها مايؤخذ من ثمرات الارض . ومنها سبت الارض وهو تركها فى كل سبع سنين مرة بلا حرث ولا زرع وكل مايخرج منها في تلك السنة فهو صدقة

قال تعالى « ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون » أي ثم كان من أمركم بعد هذا الميثاق الذي فيه سعادتكم أن توليتم عن العمل به وانتم فى حالة الاعراض عنه وعدم الاكتراث به . وقد يتولى الانسان منصرفا عن شيء وهو عازم على ان يعود اليه ويوفيه حقه فليس كل متول عن شيء معرضاً عنه ومهملا له بالمرة لذلك كان ذكر هذا القيد « وأنتم معرضون » لازماً لابد منه وليس تكراراً كما يتوهم وانما هو متمم للمعنى ومؤكد للمبالغة فى الترك المستفاد من التولي . قال الاستاذ الامام : ولا حاجة الى ما زاده المفسر من قوله : فقبلتم ذلك : ليعطف عليه « ثم توليتم » فالمقام مقام وعيد وزجر وتوبيخ وفى كلمة (ثم) نفسها ما يفيد ان التولي لم يكن عقيب أخذ الميثاق

وأما قوله « الا قليلا منكم » فهو استثناء لبعض من كانوا فى زمن سيدنا موسى عليه السلام أو في كل زمن فانه لاتخلو أمة من الامم من

المخلصين الذين يحافظون على الحق بحسب معرفتهم وقدر طاقتهم . والحكمة فى ذكر هذا الاستثناء عدم بخس المحسنين حقهم وبيان ان وجود قليل من الصالحين فى الامة لايمنع عنها العقاب الالهي اذا فشافيها المنكر وقل المعروف .

لو تدبر جهالنا هذه الآية لعلموا أنهم مغرورون بالاعتماد على الاقطاب والاوتاد والأبدال فى تحمل البلاء عنهم ومنع العذاب ان ينزل بالامة ببركتهم فلو فرض ان هؤلاء الاقطاب موجودون حقيقة فان وجودهم لايغني عن الامة شيئاً وقد عصى الله جماهيرها ونقضوا ميثاقه الذي واثقهم به . فقد جرت سنته تعالى فى خلقه بأن بقاء الامم عزيزة إنما يكون بمحافظة الجماهير فيها على الاخلاق والاعمال التي تكون بها العزة ويحفظ بها المجد والشرف . ومن لم يعتبر بآيات الله فى كتابه لايعتبر بآياته وسننه فى خلقه فقد فتن المسلمون في دينهم ودنياهم وحل بجميع بلادهم ماحل من البلاء وهم لايعتبرون ، « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ؟ « أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولا هم يذكرون »

أما التولي والاعراض فقد أمر الله اليهود بالتوحيد الخالص ومنه ان لايؤخذ الدين الا من كتابه فاتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله يحلون برأيهم ويحرمون ، ويبيحون باجتهادهم ويحظرون ، ويزيدون فى الاحكام والشرائع ، ويضعون ماشاؤا من الاحتفالات والشعائر ، فصدق عليهم أنهم اتخذوا من دونه شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله . فان الله هو الذي يضع الدين وحده وانما العلماء أدلاء يستعان بهم على فهم كتابه وما شرع

على ألسنة رسله . وقد اتبع سنن اليهود فى هذا التشريع جميع من بعدهم وحكم الجميع عند الله تعالى واحد لايختلف فهو لايحابي أحداً « ولا يظلم ربك أحدا » وكذلك كانوا قد قطعوا صلات القرابة وبخلوا وتركوا النهي عن المنكر وفقدوا روح الصلاة ومنعوا الزكاة ولكنهم الآن عادوا الى بعض ماتركوا ولم يعد الذين تشبهوا بهم والامر لله العلي الكبير

باب العقائد من الامالي الدينية

(الدرس ٣٧ — آية الله الكبرى ـ القرآن)

نبدأ هذا المبحث الجليل بما كتبه القاضي عياض فى الشفاء من وجوه الاعجاز وبعد ذلك نذكر ماهو أقوى منها أو أوضح قال رحمه الله تعالى :

(فصل فى اعجاز القرآن)

« اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه ـ

م ١٠٥ (أولها) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ، بما لم يخص به غيرهم من الأمم ، وأوتوا من ذرابة اللسان . مالم يؤت إنسان ، ومن فصل الخطاب ، مايقيد الألباب ، جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة ، وفيهم غريزة وقوة ، يأتون منه على البديهة بالعجب ، ويدلون به الى كل سبب ، فيخطبون بديها فى المقامات وشديد الخطب ، ويرتجزون به بين الطعن والضرب ، ويمدحون ويقدحون ، ويتوسلون ويتوصلون ، ويرفعون ويضعون ، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل ، فيخدعون الالباب ، ويذللون الصعاب ، ويذهبون الاحن ، ويهيجون الدمن ، ويجرّئون الجبان ، ويبسطون يد الجعد البنان ، ويصيرون الناقص كاملا ، ويتركون النبيه خاملا ، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والكلام الفخم ، والطبع الجوهري ، والمنزع القوي ، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة ، والالفاظ الناصعة ، والكلمات الجامعة ، والطبع السهل ، والتصرف فى القول ، القليل الكلفة ، الكثير الرونق ، الرقيق

الحاشية ، وكلا البابين نالهما في البلاغة الحجة البالغة ، والقوة الدامغة ؛ والقدح الفالج ؛ والمهيع الناهج . لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، واستنبطوا عيونها ، ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها ، فقالوا في الخطير والمهين ، وتفننوا في الغث والسمين ، وتقاولوا في القل والكثر ، وتساجلوا في النظم والنثر . فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» ، احكمت آياته ، وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتضافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه ، واعتدل مع ايجازه حسن نظمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا ، وأشهر في الخطابة رجالا ، وأكثر في السجع والشعر سجالا ، وأوسع في الغريب واللغة مقالا ، بلغتهم التي بها يتحاورون ، ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صارخا بهم في كل حين ، ومقرّعا لهم بضعا وعشرين عاماً على رءوس الملا اجمعين ، « أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتو بسورة من مثله » الى قوله « وان تفعلوا » و« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن » الآية (١) و« قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » وذلك ان المفترى أسهل ، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب ، واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ، ولهذا قيل : فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد ، وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد ، :

« فلم يزل يقرّعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ، ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ، ويحط اعلامهم ، ويشتت نظامهم ، ويذم آلهتهم وآباءهم ، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم (٢) وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، ويخادعون

(١) تمتها « لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (٢) أي يفعل ذلك بهم بعد ما فعلوا أشد منه به وبمن تبعه من القتل والنفي والتمثيل حتى انه لم يبدأهم بعدوان وانما كان مدافعاً حتى أظفره الله تعالى

أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب ، والاغراء بالافتراء وقولهم : ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وانك افتراه وأساطير الاولين : والمباهتة والرضى بالدنيئة كقولهم : قلوبنا غلف : و(١) في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب : ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون : والادعاء مع العجز بقولهم : لو نشاء لقلنا مثل هذا : وقد قال لهم الله « ولن تفعلوا » فما فعلوا ولا قدروا . ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم ، وسلبهم الله ألفوه من فصيح كلامهم ، والا فلم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ، ولا جنس بلاغتهم ، بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون . ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية قال : والله ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أسفله لمغدق ، وان اعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر : وذكر أبو عبيد ان أعرابيا سمع رجلا يقرأ « فاصدع بما تؤمر » فسجد وقال : سجدت لفصاحته : وسمع آخر رجلا يقرأ « فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً » فقال : أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام : وحكي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائماً في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه » الآية ، وحكى الاصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك ! فقالت : أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى « وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه » الآية (٢) فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين :

« فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين . وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه أتى به معلوم ضرورة .

(١) أي « وقالوا قلوبنا في أكنة » الخ (٢) تمتها « فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين »

وكونه صلى الله عليه وسلم متحدّياً به معلوم ضرورة . وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة. وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة. وسبيل من ليس فى أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عند معارضته واعتراف المقترين باعجاز بلاغته وأنت اذا تأملت قوله تعالى « ولكم فى القصاص حيوة » وقوله « ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » وقوله « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم » وقوله « وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي » الآية وقوله « فكلاّ أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً » الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حققت مابينه فى ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض مااستفيد منها ، وكثرت المقالات فى المستنبطات عنها

« ثم هو فى سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان ، آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها . ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها ، وتناصف فى الحسن وجه مقابلها ، ولا نفور للنفوس في ترديدها ، ولا معادة لمعادها .

فصل

م ١٠٦ (الوجه الثاني من اعجازه) صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليها ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه . ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له . ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه . بل حارت فيه عقولهم ، وتدلهت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم ، من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر . ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد ابن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكراً عليه قال : والله مامنكم أحد أعلم بالاشعار مني والله مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا : وفي خبره الآخر حين

جمع قريشاً عند حضور الموسم وقال : ان وفودالعرب ترد فأجمعو فيه رأيا لايكذب بعضكم بعضاً: فقالوا «نقول كاهن» قال والله ماهو بكاهن ماهو بزمزمته ولاسجعه، قالوا « مجنون » قال وما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته ، قالوا فنقول « شاعر » قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه وما هو بشاعر ، قالوا فنقول « ساحر » قال وما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده ، قالوا فما نقول؛ قال وما أنتم بقائلين فى هذا شيئاً الا وأنا أعرف أنه باطل وإن أقرب القول «انه ساحر» فانه سحر يفرق به بين المرء وابنه(١) والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته : فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى فى الوليد «ذرني ومن خلقت وحيداً» الآيات

«وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : ياقومي قد علمتم اني لم أترك شيئاً الا وقد علمته وقرأته والله لقد سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة : وقال النضر بن الحرث نحوه . وفى حديث إسلام أبي ذرّ ووصف أخاه أنيساً فقال : والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثنى عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى أبي ذرّ بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس ؟ قال يقولون شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد بعدي (٢) انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون »

«والاخبار فى هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتهما والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها، مباين لفصاحتها وكلامها، والى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين. وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الاسماع، وتنفر منه القلوب. والصحيح ماقدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً. ومن تفنن فى علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه

---

(١) فى نسخة «وابيه» (٢) لعل الصواب (يدّعي)

* * *

«وقد اختلف أئمة أهل السنة فى وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول : انه ماجمع فى قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لايصح أن يكون فى مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا : وذهب الشيخ أبو الحسن الى أنه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه. وقال به جماعة من اصحابه . وعلى الطريقين تعجز العرب عنه ثابت ؛ واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون فى مقدرر البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع؛ وهو أبلغ فى التعجيز ؛ واحرى بالتقريع ؛ والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم. وهو ابهر آية. واقمع دلالة ؛ وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال. بل صبروا على الجلاء والقتل. وتجرعوا كاسات الصغار والذل. وكانوا من شموخ الانف وإباءة الضيم بحيث لايؤثرون ذلك اختياراً ، ولا يرضونه الاضطراراً ، والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم. والشغل بها اهون عليهم ، واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم. وهم ممن لهم قدرة على الكلام. وقدوة فى المعرفة به لجميع الانام. وما منهم الا من جهد جهده ؛ واستنفد ماعنده. في إخفا ظهوره، وإطفاء نوره. فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ؛ ولا أتوا بنطفة من معين مياههم. مع طول الامد وكثرة العدد. وتظاهر الوالد وما ولد. بل أبلسوا فما نبسوا. ومنعوا فانقطعوا ؛ فهذان النوعان من إعجازه

فصل

م ١٠٧ (الوجه الثالث من الاعجاز) ماانطوى عليه من الاخبار المغيبات ومالم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » وقوله تعالى « وهم من بعد غلبهم سيغلبون » وقوله « ليظهره على الدين كله » وقوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض » الآية وقوله « اذا جاء نصر الله والفتح » الى آخرها. فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس فى بضع سنين ودخل الناس في الاسلام أفواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض

ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من اقصى المشارق الى أقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم « زويت لي الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي مازوي لي منها » وقوله « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فكان كذلك . لايكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم الى اليوم نيفاً على خمس مئة عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ، ولا تغيير كلمة من كلامه ؛ ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه ؛ والحمد لله . ومنه قوله « سيهزم الجمع ويولون الدبر » وقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » الآية وقوله « هو الذي أرسل رسوله بالهدى » الآية « لن يضركم الا أذى وان يقاتلوكم » الآية فكان كل ذلك . وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله «ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول» ، وقوله « يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك » الآية . وقوله « من الذين هادوا سماعون للكذب » الآية وقوله « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه — الى قوله — فى الدين » وقد قال مبديا ماقدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر « واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم » ومنه قوله تعالى « إنا كفيناك المستهزئين» ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزؤن نفراً بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا. وقوله «والله يعصمك من الناس» فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل

م١٠٨ (الوجه الرابع) ماأنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة ، مما كان لايعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار اهل الكتاب الذي قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ، ويأتي به على نصه ، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه ، وان مثله لم ينله بتعليم ، وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم أمي" لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ، ولم يغب عنهم ، ولا جهل حاله أحد منهم ، وقد كان أهل الكتاب كثيراً مايسألونه صلى الله

عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن مايتلو عليهم منه ذكرا، كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف وأخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الأنباء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيب ماذكر منها؛ بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير؛ ومن شقي معاند حاسد. ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم؛ وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم؛ وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيهم إياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم؛ ومستودعات سيرهم؛ وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم؛ ومضمنات كتبهم؛ مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم بغيهم؛ وقوله ذلك « مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل » وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته؛ وصدق مقالته؛ واعترف بعناده وحسده إياه؛ كأهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم. ومن باهت في ذلك بعض المباهتة؛ ودعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة؛ دعي الى إقامة حجته؛ وكشف دعوته؛ فقيل له « قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين — الى قوله — الظالمون » فقرّع ووبخ؛ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع؛ فمن معترف بما جحده؛ ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده؛ ولم يؤثر انه واحداً منهم اظهر بخلاف قوله من كتبه؛ ولا ابدى صحيحاً ولا سقيما من صحفه؛ قال الله تعالى « ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير » الآيتين»

(المنار) بقي لقول القاضي في شفائه بقية تذكر في الدرس التالي

*** ***

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(طعنهم في القرآن العزيز)

قل للذين يرون الجذوع في عيونهم ويعيبون الكحل (بالتحريك) في عيون الناس : اذا كان كتاب دينكم لم يكتب في عهد نبيكم واذا كان الذين كتبوا تاريخه من بعده بأزمنة مختلفة يروون عنه روايات مختلفة لاسند لها بالمرة واذا كانت مجامعكم قد تحكمت بذلك المكتوب بأهوائها وأهواء الرؤساء السياسيين فحذفت ماشاءت وشاؤا وأبقت ماشاءت وشاؤا ونقحت ماشاءت وشاؤا وأنتم تقبلون ذلك وتعدونه أصلا للدين فما بالكم لاتخجلون من الكلام في كتاب لم يوجد في العالم الى اليوم كتاب مثله نقل عن صاحبه بالتواتر الصحيح حفظا وكتابة ورواية ودراية وأداء وهو القرآن العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

نرى العالم الشهير والفيلسوف الكبير يؤلف كتابا في عاصمة من عواصم أوربا فتطبع منه مئات الألوف من النسخ ويثق الناس باسناده الى صاحبه وإنما يكون صاحبه أعطاه الى صاحب مطبعة أو ملتزم طبع في خلوته فأخذه وطبعه فيكون رواية واحد عن المؤلف . وقد كان الصحابة لايقبلون رواية الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من القرآن وان كان في نواصيهم علما وعدالة وحفظا ودراية . وبعد هذا كله تتكلمون في نقل القرآن وجمعه ولا تخجلون من أنفسكم ولا من الناس . ولا تعلمون ان هذا يزيد المؤمنين إيمانا بكتابهم وبحثاً عن كتابكم وهذه هي الفضيحة الكبرى .

نشرت مجلة البروتستنت المصرية في الجزء الرابع من المجلد الثالث نبذة في الطعن بالقرآن نقلتها عن كتاب لهم يقال ان للشيخ إبراهيم اليازجي يدا في تصحيحه أو تأليفه أو ترجمته والزيادة فيه وهو عندهم أقوى طعن في الاسلام على مافيه من الكذب والسخافة والتحريف . وإننا نستقصي شبهاته ونبين بطلانها قال الكاتب :

« زعم أهل السنة والجماعة متابعة لنبيهم أن القرآن كلام الله نفسه لفظا ومعنى وأنه معجز في الفصاحة والبلاغة الا أن ذلك باطل ولنا على بطلانه أدلة متعددة » ثم طفق يسرد تلك الأدلة وانا نذكرها ونجيب عنها بالاختصار اكتفاء بما نكتبه في دروس الامالي .

وقد بدأ بالطعن في طريقة كتابته وجمعه فذكر أمورا نأتي عليها واحداً واحداً فنقول

(الشبهة الاولى على جمع القرآن وحفظه)

اعلم أولا ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يلقي ما ينزل عليه من الوحي الى المؤمنين فيحفظه الجم الغفير من الرجال والنساء ويأمر بكتابته فيكتبه الكاتبون . وقد حفظ القرآن كله جماعة من الصحابة وقرأوه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا أنهم لم يجمعوه في مصحف واحد الا على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وذلك ان عمر رضي الله تعالى عنه أشار على أبي بكر بجمعه في مصحف يأخذ عنه الناس لما خشي ان يستحر القتل بالقراء في قتال الردة فيقل عدد من يلقن الناس القرآن فجمعوا ما كان كتبه الكاتبون وهم يعرفونه لئلا يقع شيء من الغلط باستقلال فرد أو أفراد منهم باملائه . وكانوا يعرفون ما يوجد عند كل واحد من أولئك الكاتبين حتى الآية والآيتين من السورة . يقولون ان آية كذا عند فلان فاطلبوها منه فيطلبونها وان كانوا حافظين لها زيادة في التثبت ومنعاً لما عساه يحدث بعد من إبراز منافق آية أو سورة فيها زيادة أو نقص يشكك به الناس . ومع هذا كله كانوا يطالبون من يأتي بشيء منه بالشهود يشهدون أنه كتبه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقد ورد في كل هذا الذي ذكرناه روايات مسندة ربما نذكرها معزوة الى مخرجيها بعد . اذا علمت هذا فاسمع ماقاله ذلك الكاتب النصراني في الاستدلال على طعنه بجمع القرآن وحفظه

(الدليل الاول) حديث « رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن » ويروى « أنسيتهن » عزاه الى الشفاء وهو فيه غير مسند ولا مخرج . والذي أعرفه أن هذا الاسقاط أو النسيان كان في الصلاة وربما تعدد وهو أنه كان يقرأ سورة فلا يتمها فيسأله بعض الصحابة عن ذلك فيقول نحوه . وقد يكون الاسقاط عمداً إذ ليس بواجب على من بدأ بسورة في الصلاة أو غير الصلاة أن يتمها . فاذا ترك من السورة آية أو آيات عمداً للاختصار أو لاختبار حفظ السامعين أو نسيانا لمثل هذه الحكمة أو لما يعرض للبشر عادة فاي حرج في ذلك وتلك الآيات قد بلغت وحفظت في الصدور والسطور ؟ وأي دليل في ذلك على ترك شيء من القرآن الذي بلغه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظه عنه الجماهير في الصدور والمصاحف ؟

نعم ان نسيان التبليغ غير جائز على الانبياء عليهم السلام ولكن مثل هذا النسيان الذي يعرض احيانا لما هو محفوظ ومقرّر لايخل بالتبليغ . وقد اطال القاضي فى الشفاء القول فى تقرير عصمة الانبياء من النسيان في التبليغ وفى حفظ القرآن وعدم ضياع كلمة اوحرف منه ولكن طلاب الباطل يعمون عن الحق ويأخذون بأقل شبهة على تقرير باطلهم

(الدليل الثاني) قال « وكذلك ثبت ان الصحابة حذفوا من القرآن كل مارأوا المصلحة فى حذفه » وعزا هذا الى مقدمة الشاطبية والشاطبية قصيدة في القرآات ليس فيها شيء من هذا البهتان . ومن علم ان افسق المسلمين لايتجرأ على حذف حرف من القرآن لاعتقاده ان متعمد ذلك يخرج من الدين ، ويعد من شرار الكافرين . يتيسر له ان يعرف مكان هذه الفرية

روى مسدّد عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال « اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله مالا اسمع » وروى نحوه البيهقى عنه وروي مثل ذلك عن عليّ كرم الله وجهه . ونحن نعلم من التاريخ انه لم يعرف فى الناس اشدّ ايمانا من الصحابة لاسيما السابقين الاولين فهؤلاء اصحاب موسى لم تغن عنهم مشاهدة آياته عن الميل الى الوثنية، وإعناته فى قبول الشريعة السماوية ، حتى انهم اتخذوا العجل بأيديهم وعبدوه وهو حي يناجي الله تعالى.وهؤلاء اصحاب عيسى عليه السلام تشهد عليهم اناجيلهم بأنهم خانوه فى وقت الضيق حتى انه طرد اكبرهم وافضلهم وسماه شيطانا . واما اصحاب محمد عليه السلام فقد عرضوا انفسهم للقتل؛ ورضوا بالنفي والذل ، ولم يزحزحهم ذلك شبرا عنه . فكيف يصدق مع هذا قول كافر بدينهم يجيء في آخر الزمان ويدعي انهم حذفوا ماشاؤوا من القرآن ولا بينة له ولابرهان ! ! !

ولقد نعلم ان الذي ذكره بأن يفتري هذه الفرية هو مارواه الكثيرون من ان الصحابة قد تحاموا ان يكتبوا فى المصاحف ماليس قرآنا كأسماء السور وكلمة (آمين) فى آخر الفاتحة وكلمة « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فى اولها وكالتفسير المأثور عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . روى ابن ابي شيبة عن عامر الشعبي

قال كتب رجل مصحفا وكتب عند كل آية تفسيرها فدعا به عمر فقرضه بالمقراضين : وانما فعلوا هذا خشية ان يشتبه بعض التفسير بالقرآن على بعض الناس . وقد كان هذا التشديد سبباً في قلة ماروي صحيحاً من التفسير . فهذا معنى حذفهم مارأوا المصلحة فى حذفه من القرآن إن صح ان احدا عبر بمثل هذا التعبير . وقد نقل الكاتب عن عبد المسيح الكندي ان عليا (عليه السلام) حذف من القرآن آية المتعة وكان يضرب من يقرأها وان عائشة (رضي الله عنها) كانت تشنع عليه به وقالت : إنه بدّل القرآن وحرفه . وأن منه ما كان يرويه أبيّ بن كعب وهو قوله « اللهم إنا نستعينك ونستغفرك » الخ الوتر : ونقول ان عبد المسيح لم يتقن الاكذوبة الاولى ولم يقدر على تمويهها كما موه غيرها من اباطيله فان أتباع عليّ وآل بيته (الشيعة) هم الذين يقولون بالمتعة دون سائر المسلمين ولو كان عليّ هو المشدد فى منعها وعائشة هي المثبتة لها لما كانوا الا ابعد الناس عنها. وان الآية التي يستدلون بها على المتعة هي قوله تعالى « فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة » وهي لم تحذف ولكن يروى ان ابيّا كان يزيد فيها « الى اجل مسمى » ولم يثبت هذا بالتواتر فعدّ من قبيل التفسير وهو مثبت فى كتب التفسير والحديث لم يسقط ولو تواتر لأثبت فى المصحف وكان نصا فى المسألة . واما صيغة القنوت التي أولها « اللهم انا نستعينك » فقد روي عن ابيّ أنه كان يعدها قرآناً وكأن هذا جاءه من قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لها في الصلاة. ولكن سائر الصحابة علموا منه عليه السلام أنها ليست بقرآن وهي لم تسقط ولم تحذف بل هي موجودة يحفظها الصبيان ويقرأها فى الصلاة الملايين من الناس

(الدليل الثالث) قال « ان كثيرا من آيات القرآن لم يكن لها من قيد سوى تحفظ الصحابة لها وكان بعضهم قد قتلوا فى مغازي محمد وحروب خلفائه الاولين وذهب معهم ما كانوا يتحفظونه من قبل ان يوعز ابو بكر الى زيد بن ثابت بجمعه فلذلك لم يستطع زيد أن يجمع سوى ما كان يتحفظه الاحياء » ونقول ان هذه دعوى باطلة اقامها مقام الدليل على دعوى اخرى وهي متهافتة بنفسها كأنها من كلام الصبيان فان خلفاء محمد عليه الصلاة والسلام هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والاول منهم هو الذي جمع فى أول خلافته القرآن في مصحف واحد وكان مكتوبا كله

في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومحفوظا لكثيرين ممن قتلوا في يوم اليمامة وممن كانوا في المدينة وفي غيرها من البلاد ولم يخرجوا الى تلك الحرب . روى ابن أبي شيبة عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر من الانصار — معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبيّ بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب : وروى ابن سعد ويعقوب ابن سفيان والطبراني والحاكم عن الشعبي مرسلا أن ممن جمعه من الانصار أيضا زيد بن ثابت وسعيد ابن عبيد وأبو زيد : واكثر هؤلاء قد عاشوا بعده وبعد جمع أبي بكر وكتابة عثمان زمناً طويلا . وقد وجه عمر ثلاثة منهم الى بلاد الشام يعلمون الناس القرآن كما سنفصله بعد. وروى هؤلاء أيضاً ان مجمع بن جارية كان قد أخذه الا سورتين أو ثلاثا . وانما يعنون بالجمع الجمع بالكتابة وأما الحفظ فأهله كثيرون جداً . وانما قالوا ان أبا بكر جمعه يعنون بين اللوحين وقد كان جمع من ذكرنا من الانصار ومن لم نذكر من المهاجرين في صحف منشرة . وقد روى ابن الانباري في المصاحف من عدة طرق ان الذين قتلوا من قراء القرآن يوم اليمامة أربعمائة رجل . فهل يجد النصارى عندهم رواية عن واحد فقط حفظ إنجيل المسيح كله أو أكثره أو ماهو دون ذلك ؟ ؟

(الدليل الرابع) قال «أما ما كان مكتوبا منه على العظام وغيرها فانه كان مكتوبا بلا نظام ولا ضبط وقد ضاع بعضها وهذا ماحدا العلماء الى الزعم بأن فيه آيات قد نسخت حرفا لا حكما وهو من غريب المزاعم» ونقول ان هذه دعوى مفتراة أيضاً وقد علم كذبها مما تقدم . وياليت شعري هل اطلع هذا النصراني على تلك العظام وغيرها فرآها بغير نظام ؟ وهل كان عدها في أيدي كتاب الوحي في زمنه ثم عدها في زمن أبي بكر فوجدها قد نقصت ؟ وهل يفقه ان ضياع بعضها لا يضر مع تعدد الكاتبين والحافظين الا اذا ثبت ان سورة أو آية بخصوصها قد أضاعها كل من كتبها ومن حفظها؟ وأنى يثبت هذا ؟؟ روي بأسانيد صحيحة ان المكتوب وافق المحفوظ ولم يفقدوا منه شيئاً الا آية آخر التوبة وجدوها مكتوبة عند واحد فقط على انها كانت محفوظة مقروءة في الصلاة . وأما النسخ الذي قاله فقد أنكره قوم ومن أثبته لم يعلله بما ذكر

(الدليل الخامس) قال « ولما قام الحجاج بنصرة بني أمية لم يبق مصحفاً الا جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة كانت قد نزلت فيهم وزاد فيه أشياء ليست منه وكتب

ستة مصاحف جديدة بتأليف ما أراده ووجه بها الى مصر والشام ومكة والمدينة والبصرة والكوفة وهي القرآن المتداول اليوم » ثم زعم انه أتلف سائر المصاحف تزلفا الى بني أمية حتى لايبقى فى القرآن مايسوءهم . ونقول اننا نتخذ مثل هذ الكذب فرصة لتعليم الناس ما كان من عناية هذه الامة بحفظ كتابها ولولا ذلك لكان من اللغو الكلام مع من لايستحي من الكذب . ان الحجاج لم يكن حاكماً عاما له سلطان على جميع البلاد الاسلامية فيحاول جمع القرآن منها وتبديله على حين يعتقد أهلها ان التصرف بحرف واحد منه كفر صريح . ولو فرضنا انه كان حاكماً عاما فهل كان يستطيع ان يجمع المصاحف التي لاعدد لها ولا يمكن ان يعرف مواضعها ؟ ولو فرضنا انه قدر فهل يقدر على محوه من الصدور كما يمحوه من السطور ؟ لقد حفظ القرآن الالوف وانتشروا في الارض قبل ملك بني أمية فلماذا لم يوجد الى اليوم حافظ يخالف حافظاً في هذا المصحف المروي بالتواتر من كل وجه كما قدمنا . حفظه أولئك الالوف بباعث الايمان واليقين ورغبة فى الاجر الذي كتبه الله تعالى لحفظة القرآن وحملته كما ورد فى الاحاديث الصحيحة . ثم ان الخلفاء كانوا فوق هذا يرغبون الناس فى الحفظ . روى أبو عبيد عن سعد بن إبراهيم ان عمر كتب الى بعض عماله ان أعط الناس على تعلم القرآن . فكتب اليه : انك كتبت ان أعط الناس على تعلم القرآن فتعلمه من ليست له رغبة الا رغبة الجعل : فكتب اليه ان أعط الناس على المودة والصحابة. وروى البيهقي عن عليّ قال : من ولد فى الاسلام فقرأ القرآن فله في بيت المال فى كل سنة مئتا دينار إن أخذها فى الدنيا والا أخذها فى الآخرة : وروى أيضاً عن سالم بن أبي الجعد أن عليا فرض لمن قرأ القرآن ألفين ألفين : أرأيت هذا الترغيب فى الاجر الدنيوي فوق الاجر عند الله تعالى هل يبقى معه أحد لايحفظ القرآن الا القليل النادر ؟ وكتب عمر الى عامله فى بعض البلاد يسأله عن عدد من يحفظ القرآن عنده فأجاب انهم ثلثمائة . وقد نسيت اسم البلد ، وأراني لم أنس العدد. فاذا كان العاقل يتصور ان يقع مع هذه العناية التي أشرنا اليها تحريف أو تصحيف أو نقص أو زيادة فبأي كتاب أو بأي شيء يمكن ان يثق ، ومثل هذه العناية لم تتفق ولن تتفق،

(الدليل الخامس) أو الفرية الخامسة — وهي كالثانية — قوله : ان الخلفاء تصرفوا فيما

دعوه كتاب الله تصرف المالك في ملكه» وذكرهنا في الهامش ان ابن عباس أنكر كون المعوذتين من القرآن . ثم ختم لغوه بذم القرآن ذما شعريا بأنه مبتور لا نظام له ولا تأليف ولا معنى يتسق : فاما دعواه في الخلفاء فلا أرى الا ان النصارى واليهود والمجوس والذين أشركوا يسخرون منها . وأما زعمه ان ابن عباس أنكر كون المعوذتين منه فهو كذب وإنما روي هذا عن ابن مسعود وحده ولكن الجم الغفير من الصحابة رووها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرآنا فعدم رواية ابن مسعود لها لاينافي التواتر عن غيره كما رواه أحمد والحميدي والبخاري ومسلم والنسائي وابن حبان . وأما ماقاله في النظم والتأليف فاننا بعد الثقة بأن سيكون سخرية لكل من شم رائحة البلاغة العربية نحيل القارئ على ماتقدم نقله عن القاضي عياض ونتمثل بقول شاعرنا الحكيم

اذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قساً بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس انت خفية وقال الدجى للصبح لونك حائل

فياموت زر ان الحياة ذميمة ويانفس جدّي ان دهرك هازل

(للكلام بقية)

(أيّ الفريقين المتعصب المسلمون أم النصارى)

نشرت أحدى الجرائد السورية التي تصدر في نيويورك مقالة في اخلاق (الالبان) وعوائدهم جاء فيها مانصه :

« ومن أشد متاعس البلقان وجود الارناوط من النصارى والمسلمين في أرض واحدة تجمع بينهم لغة واحدة ووطن واحد ونسب يرجع الى أصل واحد وهم مع ذلك منقسمون على بعضهم بعضا متطرفون في التعصب الديني . وأولئك المتعصبون من المسلمين هم نصارى من الاصل انقلبوا عن النصرانية ودخلوا في دين محمد فخلعوا عنهم بذلك الانتقال رداء اللين المسيحي وتقمصوا بقميص القساوة التركية . وذلك لان الديانة التي اعتنقوها حديثا هي ديانة قامت بالسيف مبنية على أساس الجهاد ولا ثبوت لها الا بالقوة القاهرة . ومن الغريب أننا نرى أشد المسلمين تعصبا وقساوة هم المتحدرون من سلالة نصرانية فان أشد الاكراد ضراوة وهمجية وتعصبا بين إخوانهم

الاكراد القائمين على حدود بلاد العجم هم الاولى تحدروا من نسل نصارى الارمن وأضرى مسلمي البلغار المقيمين فى جبال رودوب هم المتحدرون من نسل النصارى وكذلك نرى ان مسلمي القراوطين والسرب وأهل البشناق من المتسلسلين من عيال نصرانية أشد مسلمي تلك البلاد تعصبا وشرا » اه بحروفه

(المنار) من عجائب تأثير التقليد أنه يجعل نتيجة الدليل الموجبة سالبة والسالبة موجبة ويجمع لصاحبه بين النقيضين فيستدل على إقبال الليل بطلوع الشمس وعلى إقبال النهار بغروبها . شاع بين الناس ان دين الاسلام قام بالسيف وهي قضية بديهية البطلان فان الداعي الى هذا الدين قام يدعو اليه وحده ولا سيف معه ولو كان معه سيف لكان من المحال ان يغلب به سيوف العالمين الذين جاء لدعوتهم الى دينه ثم انه بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته هاجر مستخفيا من بلده وليس معه الا رجل واحد وذلك لانه كان على خطر من قومه ولولا حفظ الله وعناية لقتلوه وهو وتلك الفئة القليلة التي آمنت به وهربت من مكة مهاجرة الى الحبشة لنجاة أرواحها. ثم انه لما صار له فى مهاجره أتباع يتيسر لهم المدافعة كانوا يدافعون المشركين ولم يعتدوا عليهم فى قتال قط اتباعا لقوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » ولا سعة فى هذا الرد للتطويل في شيء سبق القول فيه ونرجو ان نوضحه بعد أتمّ الايضاح وانما نقول ان الناس قلد بعضهم بعضا فى تلك القضية الكاذبة حتى المسلمين كما قلد بعضهم بعضاً في ان الدين المسيحي انتشر بالدعوة مع ان التاريخ يشهد انه لم ينتشر لاسيما فى أوربا الا بالقوة القاهرة. كان من تأثير هذا التقليد ان تشاهد القسوة وشدة التعصب في النصارى اضعاف ماهي فى المسلمين حتى ان الجنس الواحد يوجد فيه العريق في الاسلام والحديث العهد به فيكون الثاني أشد تعصبا من الاول ويلاحظ هذا أهل البحث والذكاء ويثبتونه بالكتابة ثم يقرنون به القول بأن شدة التعصب قد لابست نفوس هؤلاء الداخلين فى الاسلام بتأثير الاسلام وكونه دين قسوة وجهاد ! ! ! ألم يكن الاقرب الى الانصاف ان يقال ان هؤلاء المرتقين الى الاسلام عن النصرانية قد حملوا ما كان عندهم من شدة التعصب فى دينهم القديم الى دينهم الجديد وبذلك امتازوا في التعصب على الاصلاء فيه الذين ورثوا

التساهل وتربوا على الدين القاضي باللين والمجاملة فلم يكن عندهم شيء من ذلك التعصب الذميم ؟ بلى ولكن التقليد يحول دون هذا الحكم العادل

﴿ سؤال فى التثليث لبعض الافاضل ﴾

سؤال للمسيحيين أرجو إجابتهم عليه مع اليقين
هل التثليث فى المولى قديم ام الأقنوم أحدث بعد حين
وليس على الحدوث يقرّ قوم وعن قدم القديم تجاوبوني
أموسى كان يجهل ام بمين اتى أم غيروا أركان دين
وليس بجهله أحد مقرا ولا بالمين يرمى والمجون
فقولوا قومه نقصوا وزادوا بذلك صح قرآن الأمين
وأما كون موسى قد دعاهم على قدر العقول فسامحوني
وان الحق يذهب كل ظن دعوا تثليثكم أو جاوبوني

شرح السؤال

ارجو قبل كل شيء من المسيحيين عموما وأخص ذوي العقول السامية والافكار الراقية خصوصاً ان يجاوبوا بما يطمئن اليه فؤادهم وترتاح اليه ضمائرهم ويسكن اليه خاطرهم ولمنع سوء التفاهم او التجاهل سأشرح السؤال شرحا كافيا وهو

هل لتثليث فى ذات الله سبحانه مع الاقانيم حادث أو قديم فان كان حادثا لزم التغير في ذات الله وهو محال باتفاق وان كان قديما فمن المعلوم أن الله أرسل قبل المسيح عليه السلام رسلا أو آباء (كما تسمون) بشرائع مخصوصة نخص من بينهم موسى عليه السلام لوجود بقية من أتباعه ولاعتراف المسيح بنا موسه واقراره باصل شريعته وانه مكمل لها فقط ولو سألنا قومه عن أصل شريعتهم وعن اعتقادهم فى الله المبني على دعوة موسى لاجابوا بالتوحيد المطلق المجرد عن التثليث والاقانيم أخذاً من كتبهم فهنا نقول هل هذه هي دعوة موسى وانها كانت للتوحيد المطلق أو ان قومه غيروها وكانت بالتثليث فان قالوا بالاخير صدق القرآن فى انهم غيرو وبدلوا «يحرفون الكلم عن مواضعه» وما صدق على أحد المثلين يصدق على الآخر فلا ثقة اذا في الديانة المسيحية

وكتبها ولا داعي لاعتقاد صحتها بل يجب ان تكون الثقة في الموثوق به وهو القرآن المجيد . واذا بالاول وان دعوة موسى كانت للتوحيد قلنا هل كان موسى يجهل مايجب اعتقاده في مولاه الذي أرسله واصطفاه من بني اسرائيل المصطفين على العالمين أو كان يكذب على قومه فيدعوهم الى ان الله واحد فقط وهو يعلم انه ثلاثة في واحد أو واحد في ثلاثة أقانيم أو كان يستعمل التورية في أساس الرسالة إذ معرفة الله أصل كل دين وأساس كل رسالة وشريعة سماوية : . سيقولون: انه كان يعلم انه واحد في ثلاثة (أي يعلم التثليث) ولكن لم يؤمر تبليغه لان الشرائع تأتي على قدر العقول: ولكن نقول لهؤلاء ان المعهود في تاريخ البشر هو ميلهم الى الوثنية والتعدد وهؤلاء قدماء المصريين ووارثوهم اليونانيون وبعدهم الرومانيون الذين بنيت دولتهم بانقاض دولة اليونان كان تعدد الآلهة فيها وقبلها آخذا حده — ولعل سر التثليث جاء من هنا — فلو أتى موسى قومه ودعاهم على قدر العقول لكان الاليق به ان يدعوهم الى التثليث ويقلل تعدد الالهة نوعا ماخصوصاً وقد كان ظهوره في مدة مجد المصريين وتعدد الالهة عندهم أشهر من ان يذكر فهذا قول لا يقوله عاقل . وان قالوا : ان قضية التثليث غير معقولة فيجب الايمان بها اتباعا للوحي : نقول نعم لم يدع اليها موسى والانبياء وهي لا يشترط فيها العقل ولا الاستعداد . والنتيجة ان التثليث ليس بحادث ولا قديم وكل ما كان كذلك فهو باطل فالتثليث باطل لأنه لو كان حادثا للزم التغير في ذات الله وهو باطل فالتثليث ليس بحادث ولو كان قديما لقال به موسى عليه السلام والانبياء ولكنهم لم يقولوا فهو ليس بقديم . ولا يعقل ان موسى عليه السلام كان جاهلا أو كاذبا أو موريا في أصل الدعوة . والمعقول انه لم يكن تثليث فثبت ما تقدم من نفيه

س ن . ان

﴿ الانجيل الصحيح ﴾

(النبذة الثانية من مقدمة كتاب الاناجيل للفيلسوف تولستوي)

قال: «لما قضيت الخمسين من عمري سألت نفسي وسألت الحكماء الذي عرفتهم عن كوني الخاص وعن معنى حياتي . فكان الجواب انني عبارة عن ذرات اجتمعت بعضها وان حياتي خلو من المعنى بل انها رديئة . فداخلني اليأس من هذا الجواب وكاد يحملني على الانتحار ولكنني ذكرت حالتي في عهد الطفولية حينما كان الايمان

راسخاً في نابي وكان للحياة معنى عندي ثم نظرت فرأيت جمهور الناس حولي راضين بالايمان ولم يبطرهم المال فيجرهم الى الفساد فلذلك يعيشون عيشة حقيقية مملوءة بالمعاني . فكان بعد ذلك كله أني بدأت ارتاب في الجواب الذي اوحت به الي حكمتي وحكمة امثالي وعاودت النظر كرّة اخرى عساني ادرك الجواب الذي تجيب به النصرانية اولئك القوم الذين كنت اراهم عائشين عيشة حقيقية

فطفقت حينئذ ادرس النصرانية كما كنت اراها في حياة الناس وشرعت في مقابلة هذه النصرانية المعمول بها ، على الاصول المنبعثة عنها ، وهذه الاصول انما هي الاناجيل وقد وجدت فيها هذا المعنى الذي يسمح للناس ان يعيشوا عيشة حقيقية . ولكنني رأيت فيما آلت اليه النصرانية في هذه الايام كما يرى لناظر في الينبوع . رايت ماء صافيا مشوبا بالاكدار والاوحال وهذه الشوائب هي التي حالت بيني وبين رؤية صفاء هذا الماء الى الآن . رأيت حينئذ انني خلطت بين سمو العقيدة النصرانية وبين العقيدة العبرانية والعقيدة الكنائسية وان كلتا هاتين العقيدتين اجنبيتان عنها بل مخالفتان لها . فشعرت بما يجده الرجل الذي يعطونه كيسا من التراب ولكنه بعد الكد والكدح والتعب والنصب يعثر فيه على بضع لآلئ تعلو قيمتها الوصف والتقدير فمثل هذا الانسان لا يرى انه قد اذنب في نفوره من التراب وكذلك الذين جمعوا تلك اللآلئ مع بقية ما حواه الكيس وحفظوه بما فيه من ثمين ومبتذل ليسوا ايضا بمذنبين بل يستحقون الاجلال في محل الاكرام والاجلال . ثم هو يتساءل بعد ذلك عما يجب عليه فعله بهذه الدراري الغالية التي وجدها مختلطة بالاوحال والرمال . وهذا لعمري موقف حرج . ولقد لبثت فيه الى ان ادركت في احد الايام ان هذه الاحجار الكريمة لم تكن دائما مختلطة بما يشوبها من الاكدار وأنه يتسنى تخليصها منها وتمييزها عنها

لم يكن لي علم بماهية النور وكان يخطر ببالي ان هذه الحياة ليس فيها أدنى حقيقة على الاطلاق ولكنني لما ادركت ان النور وحده هو حياة الناس طفقت ابحث عن مطالع النور وقد عثرت عليها في الاناجيل بالرغم عما ادخلته الكنائس فيها من شوائب التوفيق والتطبيق فلما وصلت الى هذه المشارق التي ينبعث عنها النور انبهرت

من شدة ضيائها ثم وجدت فيها بعد ذلك الجواب السديد عن المسائل التي كانت تخالج فؤادي فيما يتعلق بمعنى حياتي وحياة سائر الناس وقد ألفيت هذا الجواب مطابقاً من كل الوجوه للجواب الذي نالته الامم الاخرى بل هو في نظري يزيد عليه زيادة عظيمة ولقد كنت أبحث عن ماهية الحياة وعن حل مسألتها لا عن مسألة لاهوتية أو تاريخية ولذلك لم يكن يهمني العلم بألوهية المسيح من عدمها ولا معرفة الجهة التي ينبعث منها الروح القدس كما انه لم يكن يعنيني العلم بالذي كتب الاناجيل ولا بوقت تسطيرها ولا بما اذا كانت هذه الاسطورة أو تلك الامثولة صادرة عن المسيح نفسه ام لا . وانما الامر المهم عندي هو ذلك النور الذي أرسل شعاعه على الناس منذ الف وثمانمئة عام والذي استضأت به ولا أزال استضيء به أيضاً . أما الاسم الذي يليق بمطلع هذا النور والعناصر التي يتألف منها وموجده فكل هذه أمور لم يكن لها نصيب من عنايتي على الاطلاق

ثم أخذت انظر الى هذا النور وأراقب وأدرس كل مايستضيء به فكنت كلما تقدمت في هذا السبيل تتضح لي زيادة الفرق المتعاظم على التوالي بين الحق والكذب وفى مبادىء عملي كان الشك لايزال عالقا بنفسي وكنت احاول فنونا من التأويلات الصناعية ولكنني كلما واليت البحث كانت الحقيقة تتراءى لي فى ثوبها الناصع الجميل

وكان مثلي حينئذ كمن يجمع قطع التمثال المتكسر فانه في أول الامر يتشكك ويسائل نفسه هل هذه القطعة مما يجب وضعه في الساق أو فى الذراع ولكنه متى تسنى له إعادة الساق تامة كاملة يتحقق ان تلك القطعة ليست من الساق في شيء ومتى وجد في الذراع نقصا تنطبق عليه تلك القطعة تمام الانطباق فانه لايتردد لحظة واحدة في تعيين المكان الذي كان مخصصاً فى أول الامر لهذه القطعة من التمثال . فكنت كلما تقدمت فى عملي يزداد هذا الشعور تمكنا في نفسي . واذا لم يكن الجنون قد استولى على عقلي فلا شك ان القارىء يجد في نفسه ايضاً مثل هذا الوجدان حينما يقرأ ترجمتي الكبيرة للاناجيل فان كل نظرية من نظرياتي مشفوعة بالدليل اللغوي وبمقارنة النصوص المختلفة ببعضها وبانطباقها تمام الانطباق على الفكرة الاساسية التي بني عليها تعليم المسيح

وربما ساغ لي الوقوف عند هذا الحد واختتام المقدمة بما أوردته الى الآن اذا كانت الاناجيل من الكتب التي عثر عليها الباحثون حديثا او كانت التعاليم المسيحية لم تصادفها على الدوام منذ الف وثمانمئة عام سلسلة متوالية من الاباطيل فى التأويل. ولكي يفهم الناس فى هذه الايام حقيقة دين المسيح كما كان يدركها هو نفسه أرى من الواجب التنبيه على الاسباب الجوهرية التي أوجبت تلك التأويلات الفاسدة وتلك التصورات الكاذبة التي جرّتها على أثرها. ان السبب الاصلي لهذه التأويلات الباطلة التي يصعب علينا معها اليوم العثور على حقيقة دين المسيح هو ان هذا الدين قد اختلط بمقالات وطقوس الفارسيانيين وبما جاء في العهد القديم من الآراء والمذاهب وكان ذلك منذ أيام بولس الذي لم يدرك قط حقيقة دين المسيح (١) والذي لم تخطر على باله أيضاً بصيغتها التي عرفها الناس بها من بعده على مقتضى انجيل متى فقد جرت العادة على اعتبار بولس كرسول الوثنيين وكالرسول القائم بالاحتجاج (البروتستانتي) ولقد كان كذلك فى الواقع ونفس الامر ولكن فيما يتعلق بالصيغ الخارجية فقط كالختان وغيره. بل هو الذي أدخل فى النصرانية تعاليم اليهود وسننهم بضمه العهد القديم الى العهد الجديد وقد كانت هذه التعاليم المشوبة بسنن اليهود السبب الاساسي في تشويه العقيدة المسيحية وتأويلها على غير وجه الحق

فمن عصر بولس كان ابتداء ذلك التلمود المسيحي الذي هو اليوم عبارة عن تعاليم الكنيسة ومن ذلك الوقت أصبح دين المسيح لايعتبر واحداً وكاملا وإلهيا بل مجرد حلقة من حلقات سلسلة الوحي العظيمة التي تبتدئ من يوم الخليقة وتمتد حتى تصل الى الكنيسة فى أيامنا هذه

وبني على هذا التأويل الباطل تسمية المسيح بالاله ولكن الاعتراف بألوهية المسيح لايلزم (كما يظهر) على تعليق أدنى أهمية على كلمته الالهية أكثر من اهتمامه بكلمات التوراة والمزامير وأعمال الرسل ورسائلهم والرؤيا بل بقرارات المجامع وكتابات الآباء (٢)

(١) المنار: هذا هو ماكنا نعتقده وصرّحنا به مرارا وقد سبق ان سمينا الديانة النصرانية المعروفة بالديانة البولسية. ولاغرو فالذين يطلبون الحق كثيراً ماتتلاقى افكارهم وما آفة الحق الا التقليد (٢) هكذا جاءت هذه الجملة فى الترجمة فلتنظر

وهذا التأويل الباطل لايسوغ مع تصور العقيدة المسيحية الا اذا كانت موافقة لكل ماجاء به الوحي قبل المسيح وبعده بحيث يكون الغرض من هذا التأويل هو التوفيق بقدر الامكان بين كتب مختلفة يناقض بعضها بعضاً مثل التوراة والمزامير والاناجيل والرسائل والاعمال وسائر الكتب المعتبرة مقدسة

ومن البديهي انه اذا كان المبدأ بهذه الصفة لايجوز لانسان ان يطمع فى إدراك تعليم المسيح كما ينبغي . وهذا المبدأ الفاسد هو الذي أوجب تعدد الآراء واختلافها الكثير فى حقيقة معنى الاناجيل . اذ لايخفى أنه يمكن حدوث عدد غير محدود من أمثال هذه التأويلات التي لايقصد منها البحث عن الحقيقة بل توفيق النقيضين اللذين لايتفقان وهما العهد القديم والعهد الجديد . وفي الحقيقة ان هذه التفاسير لاتدخل تحت حصر ولأجل اظهارهذه التفاسيرفى مظهر يشابه الحقيقة اضطر أصحابها الى الالتجاء الى وسائل خارجية مثل الخوارق ونزول الروح القدس عليهم ونحو ذلك

وقد اجتهد كل واحد منهم ولا يزال يجتهد في التوفيق على مايراه ثم ترى كلا منهم يدعي بان توفيقه هو آخر وحي صادر عن الروح القدس . مثال ذلك ماجاء فى رسائل بولس وفى قرارات المجامع التي تبتدئ بهذه العبارة (قد وافقنا ووافق الروح القدس) ومثال ذلك أيضاً الاوامر الصادرة عن الباباوات وعن المجامع المقدسة للارثوذكسيين وتعاليم الاريوسيين والبولسيين وكل هؤلاء المفسرين الكاذبين فى دعوى بيان فكر المسيح . فكلهم يلتجئون الى هذه الرسائل الشاذة المستنكرة لتأييد صحة مايذهبون اليه من التوفيق فهم يجزمون بان هذا التوفيق ليس من نتائج أفكارهم الشخصية وانما هو شهادة صادرة عن الروح القدس مباشرة

ولسنا نحاول البحث والتنقيب فى هذه الديانات المتنوعة التي يزعم أصحاب كل واحدة منها انها هي الحق دون سواها ولكننا نقول باننا نرى مع ذلك انها كلها تبتدئ بتقديس الكتب الكثيرة التي تضمنها العهد القديم والعهد الجديد وانها توجب بنفسها على نفسها حدوث عقبة لاتزول فى فهم الدين المسيحي الحقيقي ويترتب على ذلك حتما تعدد الشيع المتناقضة تعددا لايدخل تحت حصر

ولكن هذا التعدد الذي لايتناهى انما نشأ عن التزام القوم التوفيق بين عدد

عظيم من آثار الوحي المتعدد فان تفسير مذهب الشخص الواحد الذي يعتبرونه كاله لايمكن ان يستوجب اختلاف النحل والشيع مطلقا إذ لايصح القول بتفسير التعليم الذي جاء به إله قد نزل على الارض ويكون هذا التفسير بطرق مختلفة فاذا كان الله نزل على الارض لاظهار الحق للناس فأقل ما كان يصنعه انه يبين لهم هذا الحق بطريقة يفهمها الجميع بلا التباس ولا اشتباه فاذا لم يكن قد صنع هذا فذلك دليل على انه لم يكن إلها . واذا كانت الحقائق الربانية هي بحيث لم يقدر الاله نفسه على إبرازها فى صورة يدركها الناس فمن الطبيعي ان الناس لايتمكنون أيضاً من الوصول الى هذا الغرض

ومن جهة أخرى نقول اذا كان المسيح ليس هو الله وإنما هو من عظماء الرجال ونوابغهم فان تعاليمه لايترتب عليه أيضاً كثرة الشيع المتناقضة لان مذهب الرجل العظيم لايكون عظيما الا لكونه أوضح بصفة صريحة واضحة ماقاله غيره بطريقة مبهمة بعيدة عن الادراك . وكل ما كان غير مفهوم فى خطاب الرجل العظيم لايمكن ان يكون عظيما فان مذهب الرجل العظيم ينبغي أن يجمع الناس كلهم على حقيقة واحدة يشتركون فيها على السواء وانما التأويل الذي يزعم صاحبه انه صادر عن وحي من الروح القدس وان فيه الحق وحده هو الذي يثير البغضاء فى النفوس ويوجب اختلاف الشيع والمذاهب. ولا عبرة بما يقوله أصحاب بعض المذاهب من أنهم لايحكمون بالضلال على من يخالفهم وانهم لايودون لهم السوء وليس فى أنفسهم حفيظة عليهم فان ذلك مما لايمكن ان يكون له نصيب من الحقيقة فمنذ عهد اريوس لم يوجد مذهب واحد ولدته غير الرغبة فى معارضة المذهب الذي يناقضه. وأقصى درجات الغرور والجنون ان يقال بان هذه العقيدة هي صادرة عن الوحي ومقتبسة من الروح القدس . ومن منتهى الغرور ان يقول الانسان بان مايصدر عنه من الآراء انما هو من قول الله نفسه على لسانه. ولاأرى اكذب من ذلك الذي يجيب مثل هذا الانسان بقوله : «كلا ان الله لم يتكلم بلسانك بل بلساني وانه يقول مايناقض مانسبته اليه على خط مستقيم» . وهذه لعمري طريقة المجامع كلها والكنائس بلا استثناء والشيع على اختلاف مقالاتها وآرائها وهذا هو الذي أوجب ويوجب الشرور فى العالم باسم الدين. هذا هو العيب الخارجي العظيم والشيع كلها تتألم من عيب آخر داخلي يمنعها أن تكون

لها صبغة واضحة مضمونة معينة

وهذا العيب يتولد من قيام هذه الشيع باثبات تأويلاتها الفاسدة والقول بانها منتهى ماجاء به الوحي عن الروح القدس وهي مع ذلك لاتعنى ببيان جوهر هذا الوحي ولا معناه بطريقة صريحة حاسمة لكل جدال مع انها تدعي بانها تلقته عن الروح القدس وانها متممة لهذا الروح وهي تسمي هذه التأويلات بالدين المسيحي

فالمؤمنون الذين يسلمون بصدور الوحي عن الروح القدس انما يسلمون في الحقيقة ونفس الامر بثلاث جهات للوحي ومثلهم فى ذلك مثل المسلمين فانهم يعتقدون بالوحي الى موسى وعيسى ومحمد. والمؤمنون من المسيحيين يعتقدون بالوحي الى موسى والمسيح والروح القدس . ولكن الديانة الاسلامية تقول بان محمداً هو آخر الانبياء وانه وحده قد فسر بطريقة نهائية الوحي الذي جاء به موسى وعيسى وقد توجهما باضافة الوحي الذي تلقاه . أما حالة الكنائس المسيحية فهي على نقيض ذلك بالمرة فانها بدلا من ان تسمي دينها باسم الوحي الاخير الصادر لها أعني «دين الروح القدس» فانها تقول وتؤكد بان دينها هو دين المسيح وأنه مبني على تعليم المسيح بحيث انها فى الحقيقة ونفس الامر تقدم لنا تعاليمها الخاصة بها وتزعم انها تؤيدها باسم المسيح وبشهادته

(لها بقية)

باب الانتقاد على المنار

(الباب وقرة العين)

يرى بعض الفضلاء أن من حقوق قراء المنار علينا اذا نحن نشرنا شيئاً من كلام غيرنا ان ننتقد ما نراه فيه منتقداً في اللفظ أو الفحوى سواء كان ذلك مرسلا الينا أو منقولا من الكتب أو الجرائد والمجلات. ولم نر أحدا التزم مثل هذا ونظن ان أكثر الناس لايقول به الا فى موضوع يقصد صاحب المجلة الى إثباته فيجيء فى الكلام المنقول ماينفيه فينبغي له حينئذان يحتج لرأيه ولكن لايجب عليه ان يصل كل ماينشره لغيره بمقال ينتقده فيه مطلقا اذا هو وجد مايصح ان ينتقد

ومما انتقد علينا بالنص سكوتنا على ماجاء فى ذلك المكتوب المنشور في الجزء الثاني من ذكر الباب وقرة العين في البابيين الذين يعدوا احدهم بألف. قال المنتقد ان الباب رجل مبتدع دجال

لم يأت بشيء يرفعه الى مصاف" النابغين وأما قرة العين فهي بغي" أباحت نفسها للناس وفتنتهم بجمالها وقد عاقبتها الحكومة الايرانية بأن ربطتها في أذناب الخيل فعدت بها حتى مزقتها كل ممزق

ونحن نوافق المنتقد ونظن ان عذر الكاتب عدم الوقوف على كل مايعرفه أمثاله فان هذا إيراني وذلك مغربي يسمع أن الباب أنشأ مذهبا تبعه فيه خلق كثير وان قرة العين كانت من دعاة مذهبه وكانت عالمة خطيبة مؤثرة وهذا هو ما كنا نسمعه قبل الاختبار وتمام الاطلاع . ولا أقول ان الكاتب يعتقد بصحة مذهب الباب بل أنا ما اعتقد أنه لايشك في بطلانه. ومن قدر على إنشاء مذهب باطل يتبعه فيه ناس كثيرون فهو نابغ في استعداده الفطري ولكنه وجه استعداده الى الباطل ولو وجهه الى الحق لنفع نفعا عظيما لان قوة استعداده تؤيد بقوة الحق

ونعيد هنا ما كنا قلناه من قبل وهو ان البابية أو البهائية لم يأتوا بمذهب جديد في الاسلام وإنما أحدثوا دينا جديداً كالنصرانية سواء وان أتباعهم ليسوا من الكثرة كما يدعون ، وإنما هم قوم يوهمون ويموهون ،

(الطلاق على الغائب والمعسر في السودان)

حضرة الاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامي

اطلعت في المنار الاخير على مدحكم خطة قاضي قضاة السودان وما أدخله من الاصلاح في المحاكم الشرعية وغيرها فكنت أشارككم في الشكر له حتى انتهيت الى عبارة استوقفت نظري فكنت محتاجا لشرحها منكم باجلى بيان وهي قولكم « ومن الاصلاح الذي سبقت اليه محاكم السودان ونرجوان تلحقها فيه محاكم مصر الطلاق على الغائب والمعسر فقد كانت المحكمة الكبرى نشرت في سائر المحاكم منشورا تأذنها فيه بالحكم في ذلك على مذهب الامام مالك » ولقد أردت فهم هذه الجملة على وجه الوضوح فلم أتمكن وذلك لان قاضي قضاة السودان مأذون من قاضي مصر النائب عن الامام في الحكم على مذهبه فهو حينئذ ملزم بأن يحكم ويأمر بالحكم على مذهب الامام وأيضاً كثير من هؤلاء القضاة من هو حنفي" المذهب فيكون مضطرا لان يحكم

على غير مذهبه ومن المقرر في الفقه انه اذا قضى القاضي بغير مذهب الامام وقد اشترط عليه ان يحكم به يكون حكمه لاغيا وهو معزولا من منصبه وكذلك اذا حكم غير المجتهد بغير مذهب يكون أيضاً حكمه لاغيا . فكيف يكون حكم هؤلاء القضاة وهم مأذونون من قاضي مصر النائب عن الامام وفيهم من هو حنفي المذهب وليسوا بمجتهدين ؟ ؟ الرجا توضيح هذه المسألة ليكون لكم الفضل وعظيم الاجر

كتبه احمد علي ضيف بالازهر

(المنار) ان ماقاله الفقهاء من اشتراط كون القاضي الذي ينفذ حكمه منصوبا من قبل الامام أو السلطان ليس أمراً تعبديا فرضه الله تعالى علينا فى كتابه أو على لسان رسوله لنعبده به وإنما هو أمر لابد منه لاجل وحدة الاحكام وتنفيذها والسلطان أو الامام عندهم هو من ينفذ الاحكام الشرعية فاذا كان عاجزا عن ذلك بالفعل فهو ليس بسلطان ولا إمام . وأنتم تعلمون ان السلطان الذي نصب قاضي القضاة في مصر لايقدر على تنفيذ الاحكام الشرعية فى السودان بالفعل وأنتم تعرفون الذي يقدر على ذلك . وإنما للسلطان العثماني حق الحكم فى السودان بالتبعية لمصر والانكليز قد احتلوا مصر باذنه لمنع الفتن التي كانت فيها فلا يصح لهم ان يتغلبوا على جزء من أملاكها باسم الفتح لان يدهم على البلاد يد أمانة . وهذه مسألة سياسية تتبعها رسوم معروفة فاذا لم تقل ان الاحكام في السودان كالاحكام فى الهند فقل انها تشبه الاحكام فى الجزائر أو تونس التي تعتبرها الدولة العلية من بلادها الى الآن أو فى كريد

الحق انه ليس للمسلمين الآن امام قادر على تنفيذ الاحكام الشرعية فى بلادهم كلها حتى البلاد التي ليس فيها أعلام أجنبية فهذه مصر تحكم محاكمها الشرعية ببعض الاحكام فلا تنفذ والخديو وقاضي مصر نائبا السلطان صاحب السيادة (الاسمية الرسمية) على مصر يعلمان ذلك . ولاجل هذا نرى بعض المعتقدين بصحة قول الحنفية انه يشترط فى صلاة الجمعة ان تكون فى بلاد تنفذ فيها الاحكام الشرعية لايصلون الجمعة فى بلاد مصر ولكنهم يصلون الظهر . وكان الواجب على كل المعتقدين بهذا المذهب ان يسعوا فى تنفيذ الاحكام الشرعية فى مصر كحكم قاضي (أبي كبير) وغيره بالحاق زوجات الداخلين في الاسلام من القبط بازواجهم وان لايصلوا الجمعة حتى يتم لهم ذلك

نرى السائل قد اضطرنا الى ذكر أمور يجهلها الاكثرون ، ويستنكرها المغرورون ، وانما ذكرناها لنذكره أين هو وأين السودان من السلطان ، واننا نرجع بعد هذا الى الحجة البيضاء الناصعة وهي ان جميع أئمة المسلمين قد اشترطوا ان يكون القاضي مجتهدا يحكم بما يرى فيه المصلحة ولم يقل بجواز كونه مقلدا الا بعض المقلدين الذين لايعتد باقوالهم ونذكر هنا ما كتبناه فى مقدمة طبع (تقرير مفتي الديار المصرية في اصلاح المحاكم الشرعية) وهو

(الامر الثالث) ان تؤلف لجنة من العلماء لاستخراج كتاب في أحكام المعاملات الشرعية ينطبق على مصالح الناس فى هذا العصر لاسيما الاحكام التي هي من خصائص المحاكم الشرعية يكون سهل العبارة لاخلاف فيه كما عملت الدولة العلية فى مجلة الاحكام العدلية . ولا يكون هذا الكتاب وافيا بالغرض وافيا بالمصالح الا اذا أخذت الاحكام من جميع المذاهب الاسلامية المعتبرة ليكون اختلافهم رحمة للأمة . ولا يلزم من هذا التلفيق الذي يقول الجمهور ببطلانه كما لايخفى . وقد أشير فى صفحتي ٣٨ و ٤٠ من التقرير الى عدم التقيد بالمذهب الحنفي وتوهم بعض الناس ان هذا يمس حقوق مولانا الخليفة وان الاحكام بغير مذهب الحنفية لاتصح ولا تنفذ لهذا ونجيب عنه بامور

(١) جاء فى كتاب الاحكام السلطانية مانصه « فلو شرط المولي وهو حنفي أو شافعي على من ولاه القضاء ان لايحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على ضربين أحدهما ان يشترط ذلك عموما فى جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقا لمذهب المولي أو مخالفا له وأما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيها وأخرجه مخرج الامر أو مخرج النهي وقال قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله علي وجه الامر أولا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسداً سواء تضمن أمراً أو نهياً ويجوز ان يحكم بما أداه اليه اجتهاده سواء وافق شرطه أو خالفه ويكون اشتراط المولي لذلك قدحا فيه ان علم انه اشترط مالا يجوز ولا يكون قدحا ان جهل لكن لايصح مع الجهل ان يكون موليا لاواليا فان اخرج ذلك مخرج الشرط فى عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على ان لاتحكم فيه الا بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط

فاسد وقال أهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط » اه المراد منه

(٢) لايعدل عن مذهب الحنفية الا فى الاحكام التي لاتنطبق على مصلحة الناس في هذ العصر اذا حكم فيها بمذهبهم وهذه حالةضرورة أو حاجة تنزل منزلة الضرورة وبهذا الاعتبار تكون من مذهبهم لأن الحكم الذي تمس اليه الحاجة أو يضطر اليه يصير متفقاً عليه»اه المراد هنا ومنه يعلم الجواب والاجتهاد يتجزأ على الراجح

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

﴿ الاجتهاد والتقليد ﴾

(س١) م . غ . بالازهر : طالعت فى مجلتكم الغراء (م ٤) بحث الوحدة الاسلامية والاجتهاد والتقليد والرجوع الى بساطة الدين الأولى بأخذ الاحكام الدينية من الكتاب والسنة اللذين من تمسك بهما نجا ومن حاد عنهما هلك . وقد عثرت على كتاب كشف الغمة للشيخ الشعراني فاذا هو كتاب فى الحديث مرتب كترتيب كتب الفقه ذكر فيه أدلة الأئمة كلهم ولم يتعصب لمذهب من المذاهب واذا تعارض حديثان صحيحان من جهة التخفيف والتشديد حمل أحدهما على الرخصة والآخر على العزيمة ولا يحكم بنسخ حديث الا بحديث آخر مصرح بنسخ الأول كقوله عليه الصلاة والسلام « كنت نهيتكم عن الانتباذ فى الأسقية فانتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكراً » فهل أحاديث هذا الكتاب صحيحة فنعتمد عليه فى العمل؟ واذا عرض لنا حكم لم نجده فيه ولا فى غيره من كتب السنة الصحيحة كالكتب الستة ومسانيد الائمة الاربعة فهل يجوز لنا أن نأخذ هذا الحكم من مذهب أي إمام غلب على ظننا صحة قوله أم يجب علينا ان نجتهد لنأخذ ذلك الحكم أفيدوا تؤجروا؟

(ج) هذا الكتاب أحسن ما كتب الشعراني والخلط فيه قليل جداً وليست أحاديثه كلها صحيحة ولا حسنة بل فيها مالا يصح الاستدلال به . وأحسن منه في هذا الباب كتاب (نيل الأوطار . شرح منتقى الاخبار) فان مؤلفه الامام الشوكاني يخرج أحاديث المنتقى ويأتي بما قاله أهل الجرح والتعديل فى أسانيدها وباستنباط الأئمة منها فهو أفضل كتاب يهدي الى فهم السنة السنية في أحكام العبادات والمعاملات . أما

مايعرض للانسان من المسائل التي لاذكر لها في الكتاب والمعروف من السنة فالواجب عدم البحث عنها عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » وإنما يتأتى هذا فى أحكام العبادات خاصة التي تمت على عهده صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل الله تعالى في ذلك قوله « اليوم أكملت لكم دينكم » فالعبادات لا اجتهاد فيها ولا استنباط الا الاجتهاد في التمييز بين الصحيح وغيره من الأخبار وفى تحصيل ملكة العربية لفهم ذلك. والاجتهاد الحقيقي انما يكون في الاحكام الدنيوية التي يتنازع فيها الناس ولا تنازع فى عبادة الله تعالى. وعندنا ان من يعرف الحق فى هذه باقتداره على الاستنباط يعمل به ومن لم يعرفه أو عرفه وكان له خصم لايقبل حكمه فالواجب عليه ردّه الى أولي الامر قال تعالى «ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم». وأما السؤال عن الأخذ بقول من يغلب على الظن صحة قوله ففيه ان غلبة الظن لاتأتي الا من الاطلاع على الدليل والوقوف على وجه ترجيحه على مخالفه ان كان هنالك مخالف وهذا لانزاع فيه وصاحبه لايسمى مقلداً

ماتم عاشوراء (س ٢) ر . ع . بمصر : كنا نتوقع منكم ان تكتبوا فى شهر المحرم شيئاً فى انتقاد مايفعله إخواننا الشيعة من المنكرات في عاشوراء كضرب رءوسهم بالسلاح حتى تسيل منها الدماء على وجوههم وثيابهم وما يتبع ذلك مما هو مشاهد. وليس المنار خاصاً بأهل السنة حتى تنتقدوا كل المنكرات الفاشية فيهم وتتركوا إخوانهم من أهل الشيعة وإنما هو منار عام فان كنتم تجدون لهم وجهاً يسوغ مايفعلون فتفضلوا باعلامنا به.

(ج) لقد صدق السائل فى حكمه بأن المنار عامّ وقد جاءنا بعد ورود هذا السؤال كتاب من بعض الفضلاء في تبريز يقول فيه ان الأمة الاسلامية أحوج الى مثل هذا « المنار » منها الى سائر المعارف وأنه ينبغي ان يكتب فيه مايرشد أهل إيران والهند ولا يصح ان يكون خطابه مع أهل مصر خاصة. ونقول ان مباحث المنار كلها عامة الا مايتعلق ببعض المسائل الجزئية وأحوال المسلمين فيها متشابهة فالعبرة فيها عامة. وما منعنا ان نتكلم فى شئون البلاد الاسلامية البعيدة الا قلة الوقوف على تفصيلها

وتأثيرها وزد على ذلك قلة القراء فى البلاد الايرانية على ان قليلهم لايقال له قليل لأنهم من كبار العلماء والامراء أصحاب النفوذ الروحي والاجتماعي . أما ما يفعلونه فى عاشوراء من ضرب أنفسهم وجرحها بالسيوف فهو منكر تقشعر منه الجلود ويجعل المسلمين في نظر الاجانب كالوحوش أو المجانين على أنه لافائدة فيه مطلقاً . نعم كان يتصور ان يفيد لو كان لاولئك الذين قاتلوا آل البيت عليهم السلام عصبية موجودة وشوكة نافذة وهم على ظلمهم وهضمهم لأن مثل هذه الاعمال تحيي في النفوس شعور العداوة والانتقام وتوطنها على سفك دماء أولئك الاعداء ولكن أولئك الظالمين قد خضدت شوكتهم ، وذهب سلطانهم ، بل محي اسمهم من لوح الوجود حتى لانكاد نرى من ينتسب اليهم ، فكان ينبغي الاكتفاء في عاشوراء بمثل ما كنا ارتأيناه فى المولد النبوي والمولد الحسيني وهوان يخطب الخطباء في سيرة صاحب المولد وما كان عليه من الخلق العظيم وما وفقه الله تعالى له من العمل النافع مع توجيه النفوس للتأسي والاقتداء به . فاذا كنا لسنا فى حاجة الى الانتقام ، واذا كنا قد ذقنا نعرفنا جناية سل الحسام ، واذا كنا مهددين فى كل أرض لان ديننا الاسلام ، واذا كنا — كما نعلم — على خطر لاينجي منه الا الاتحاد والالتئام ، واذا كان هذا الاتحاد متعذراً من جهة وحدة السلطة والاحكام ، أفلا يجب علينا أن نلتمسه من جهة الوحدة الدينية فى العقائد المتفق عليها ، والاخلاق التي لاخلاف فيها ، والأخوة التي دعانا القرآن اليها ، ؟ أفلا ينبغي ان نتخذ هذه المواسم مذكرات بأفضل ما كان من سلفنا ، وأنفع ما كان من أئمتنا ، ونجتهد فى ان نجعل شعورنا واحداً حتى يصدق علينا قول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى » : رواه الشيخان عن النعمان ابن بشير وفي رواية عنه لمسلم « المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله »

حبس النساء بالجوع والعرى : (س ٣) ا . ع . بالازهر : يذكر بعض الناس حديثا أوّله « أجيعوا المرأة » ويظهر انه غير صحيح وان استشهد به بعض من كتب فى النساء فالمرجو بيان ذلك :

(ج) جاء في آخر كتاب النكاح من كتاب (اللآلئ المصنوعة ، في الأحاديث الموضوعة) للحافظ السيوطي مانصه

(ابن عدي) حدثنا محمد بن داود بن دينار حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعدان ابن عبدة حدثنا عبيد الله بن عبد الله العتكي عن انس مرفوعا «أجيعوا النساء جوعا غير مضر وأعروهن عريا غير مبرح لأنهن اذا سمن واكتسين فليس شيء احب اليهن من الخروج وان هن أصابهن طرف من العري والجوع فليس شيء أحب اليهن من البيوت وليس شيء خيرا لهن من البيوت» لايصح . العتكي عنده مناكير قال ابن عدي : وسعدان مجهول وشيخنا محمد بن داود يكذب : وقال الشوكاني فى فوائده : لاأصل له وكذا «أعروا النساء يلزمن الحجال» لاأصل له . وكذا «استعينوا على النساء بالعري» :

أقول ومثل هذه الاحاديث المفتراة حديث «لاتسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزلة وسورة النور» رواه الخطيب عن عائشة مرفوعا وفى اسناده محمد بن ابراهيم الشامي كان يضع الحديث . وقدأخرجه الحاكم من غير طريقه وقال : انه صحيح الاسناد : — وما أسرع الحاكم في الحكم بالتصحيح — وتعقبه الحافظ ابن حجر فى اطراقه فقال : ان فى أسناد الحاكم عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك :

الاقتداء بالمخالف وطهارة الكلب (س ٥) السيد محمد طه فى بربر : ماقولكم دام فضلكم فى رجل شافعي المذهب اقتدى بامام مالكي توضأ بماء دون القلتين ولغ فيه كلب فهل هذه القدوة صحيحة ؟ وما حكم هذا الماء المنجس بفم الكلب؟

(ج) ان المسائل الاجتهادية يعذر فيها كل مجتهد بما يراه ولا يجوز ان يكون اختلاف الرأي سببا في التفريق بين المسلمين فان كنت تتصور ان الامام الشافعي يحرّم الاقتداء بشيخه الامام مالك فحرم أنت الاقتداء بمن يتبع مالكا اتباعا للشافعي . ومعاذ الله أن يظن مسلم ذلك في الأئمة بعد قول الله تعالى «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء» نعم ان للفقهاء في هذه المسألة قولين مصححين أحدهما الذي قلنا والثاني ان القدوة غير صحيحة ورجحه بعض المتأخرين سامحهم الله تعالى والحق

ماقلناه . وأما الماء الذي ولغ فيه كلب فقد ذهب الشافعي الى نجاسته لما ورد من الامر بغسل الاناء وتتريبه وغيره يقول بان الامر بالغسل سبع مرات مع التتريب ليس لأجل النجاسة اذ المقصود من غسل النجاسة ازالتها وليس للولوغ تأثير تتوقف ازالته على التسبيع والتتريب ومال بعضهم الى ان الامر تعبدي وذهب بعض الصوفية الى ان له سببا معنويا وهو ان شراب سؤره يقسي القلب . ولا يبعد ان يكون السبب هو التوقي من داء الكلب القتال . ومهما كان السبب فلا يجب على المسلم أكثر مما ورد في الحديث لانه اذا لم يظهر السبب يكون الامر تعبديا لايقاس عليه وان ظهر السبب وقفنا عنده لانتعداه

أجرة التعدية (س ٥) ومنه : اذا كان الحاكم مستوليا على البحر أو النهر واذن للناس بالعبور على المراكب ونحوها من ناحية الى أخرى وجعل على أصحاب المراكب ضريبة فهل يجوز للمسلم ان يتخذ له مركبا يعبر الناس عليه والبهائم بالاجرة ؟ (ج) نعم

﴿باب الاخبار من القسم العمومى﴾

﴿مأثرة للمنشاوي﴾

أحمد باشا المنشاوي من أكبر المصريين ثروة ووجاهة وقد وجه في هذه الايام نفسه الى التبرع وحبس الاراضي على معاهد العلم فأوقف على مدرسة محمد علي الصناعية مئتي فدان واشترط أن تسلم اليها بعد إنشائها بالفعل . وأوقف ثمانين فدانا على طلاب العلم في الجامع الأحدي بطنطا وتبرع بالقسم السفلي من دار له فسيحة في طنطا لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فيها . ويقال انه عازم على إنشاء مدرسة للبنات في القسم العلوي وياحبذا لو أنفذ هذا وعهد بادارتها الى الجمعية الخيرية . بل يتحدثون عنه بما هو أعظم من هذا — يتحدثون عنه بانه عازم على إنشاء مدرسة كلية وهذا هو العمل العظيم الذي نحلم به في الليل ونتمناه في النهار ونرى ان سعادة هذا القطر متوقفة عليه وان الأمة الاسلامية بمجموعها لم تستعد في مصر للقيام به تمام الاستعداد . فاذا وفق الله هذا المثري الكبير لانفاذه قلنا ان نسميه محيي مصر وعظيمها وصاحب الفضل الاكبر عليها

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — السبت غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢١ — ٢٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر ﴾

وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردّون الى أشد العذاب . وما الله بغافل عما تعملون * أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون*

كان في الآية السابقة التذكير بأهم المأمورات التي أخذ الله تعالى الميثاق على بني إسرائيل بها بعد توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وبيان أنهم نقضوا ميثاق الله تعالى ولم يأتمروا بها، وفي هاتين الآيتين التذكير بأهم المنهيات التي أخذ الله تعالى الميثاق عليهم باجتنابها وبيان أنهم نقضوا ميثاقه ولم ينتهوا عنها، وقد قال هناك «أخذنا ميثاق بني إسرائيل» أي الذين نزلت عليهم التوراة، ثم التفت الى خطاب الحاضرين في زمن التنزيل فقال «ثم توليتم». وقال هنا «أخذنا ميثاقكم» تماديا في سياق الالتفات وتذكيراً بوحدة الامة واعتبارها كالشخص الواحد يصيب الخلف أثر ما كان عليه السلف من خير وشر مااستنوا بسنتهم، وجروا على طريقتهم، كما تؤثر أعمال الشخص السابقة في قواه النفسية وطبع ملكاته بعد انحلال مادة تلك الاعضاء التي ابتدأت العمل وحلول مواد أخرى في محلها تمرن على مثل ذلك العمل فمايعمله الشخص في صغره يبقى أثره في قواه في كبره فكذلك الامم

وقد أورد النهي عن سفك بعضهم دم بعض وإخراج بعضهم بعضاً من ديارهم وأوطانهم بعبارة تؤكد معنى وحدة الامة وتحدث في النفس أثراً شريفاً يبعثها على الامتثال ان كان هناك قلب يشعر، ووجدان يتأثر، فقال «لا تسفكون دماءكم» فجعل دم كل فرد من أفراد الامة كأنه دم الآخر عينه حتى اذا سفكه كان كأنه بخع نفسه وانتحر بيده. وقال «ولا تخرجون أنفسكم من دياركم» على هذا النسق. وهذا التعبير المعجز ببلاغته خاص بالقرآن فهذه الاحكام لاتزال محفوظة عند الاسرائيليين في الكتاب وان لم يجروا عليها في العمل ولكن العبارة عنها لا تطاول هذه العبارة التي تدهش صاحب الذوق السليم، والوجدان الرقيق، فهذا إرشاد حكيم طلع من ثنايا الاحكام يهدي

الى أسرارها ، ويومئ الى مشرق أنوارها، ومن تدبر علم أنه لاقوام للأمم، الا بالتحقق بما تضمنته هذه الحكم ، وشعور كل فرد من أفرادها بأن نفسه نفس الآخرين ودمه دمهم لافرق في الاحترام بين الروح التي تجول فى بدنه والدم الذي يجري فى عروقه وبين الارواح والدماء التي يحيا بها إخوانه الذين وحدت بينه وبينهم الشريعة العادلة والمصالح العامة. هذا هو الوجه الوجيه فى الآية وقيل معناها لاترتكبوا من الجرائم ماتجازون عليه بالقتل والاخراج من الديار

وقوله تعالى « ثم أقررتم وأنتم تشهدون » فيه وجهان (أحدهما) أنه يخاطبهم بما كان من اعتراف سلفهم بالميثاق وقبوله وشهودهم الوحي الذي نزل به على موسى عليه الصلاة والسلام . و (ثانيهما) ان المراد الحاضرون أنفسهم أي انكم أيها المخاطبون بالقرآن قد أقررتم بهذا الميثاق وتعتقدونه فى قلوبكم ولا تنكرونه بألسنتكم بل تشهدون به وتعلنونه فالحجة ناهضة عليكم به

ثم بعد بيان هذا الميثاق وتسجيله عليهم بأنهم يعرفونه لاينكرون منه شيئاً ذكر نقضهم اياه فقال « ثم أنتم هؤلاء » الحاضرون الشاهدون المشاهدون « تقتلون أنفسكم » كما كان يفعل سلفكم مع اعترافكم بأن الميثاق مأخوذ عليكم كما كان مأخوذاً عليهم . كان بنو قينقاع من اليهود أعداء بني قريظة إخوانهم فى الدين وكان الاولون حلفاء الاوس والآخرون مع بني النضير حلفاء الخزرج . ثم افترقوا فبقي بنو النضير مع الخزرج وحالف بنو قريظة الاوس وكان الاوس والخزرج قبل الاسلام أعداء وكانوا يقتتلون ومع كل حلفاؤه فهذا ما احتج الله تعالى على

بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم فى عصر التنزيل . ويتبع هذا القتال الاسر ومن لوازمه الاخراج من الديار ولذلك قال « وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان » والتظاهر التعاون كان كل فريق من اليهود يظاهر حلفاءه من العرب ويعاونهم على اخوانه من اليهود بالاثم كالقتل والسلب وبالعدوان كالاخراج من الديار .

ومن مثارات العجب انهم كانوا اذا اتفقوا على فداء الاسرى يفدي كل فريق من اليهود أسرى أبناء جنسه وان كانوا من أعدائه ويعتذرون عن هذا بأنهم مأمورون في الكتاب بفداء أسرى شعب اسرائيل . فان كانوا مستمسكين بالكتاب فلم قاتلوا شعب إسرائيل وأخرجوهم من ديارهم وهم منهيون عن ذلك فى الكتاب ؟ هذا لعب بالكتاب واستهزاء بالدين ولذلك قال تعالى « وإن يأتوكم أسارى تفادوهم » بعد ان كنتم اسرتموهم وأخرجتموهم بالتظاهر عليهم « وهو محرم عليكم إخراجهم » بميثاق أغلظ من طاب مفاداتهم « أفتؤمنون ببعض الكتاب » وهو فداء الاسرى « وتكفرون ببعض » وهو النهي عن القتل والاخراج ؟ أليس من الحماقة والهزء والسخرية ان يدعي مدع مثل هذا الايمان بأهون الامور مع الكفر بأعظمها .

قال الاستاذ الامام : فى التعبير عن المخالفة والمعصية بالكفر دليل على ما سبق بيانه فى معنى قوله تعالى « وأحاطت به خطيئته » فالقرآن يصرح هنا وفى آيات كثيرة بأن من يقدم على الذنب لاتضطرب نفسه قبل إصابته ولا يتألم ويندم بعد وقوعه فيرجع الى الله تعالى تائبا بل يسترسل فيه بلا مبالاة بنهي الله تعالى عنه وتحريمه له فهو كافر به لأن المؤمن بأن

هذا شيء حرمه الله تعالى ، المصدق بأنه من أسباب سخطه وموجبات عقوبته،لايمكن ان لايكون لايمان قلبه أثر في نفسه،فان من الضروريات ان لكل اعتقاد أثراً في النفس ولكل أثر في النفس تأثيراً في الأعمال وهذا هو الوجه في الاحاديث الصحيحة الناطقة بأنه لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لايسرق السارق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن . سمى الله الذنب ههنا كفراً وتوعد عليه بوعيد الكفر فقال «فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا» الخ فتوعدهم الله تعالى كما توعد من قبلهم ومن بعدهم بأنهم يعاقبون على نقض ميثاق الدين الذي يجمعهم ،والشريعة التي هي مناط وحدتهم ، ورباط جنسيتهم، بالخزي العاجل ، والعذاب الآجل ، وقد دلّ المعقول ، وشهد الوجود ، بأنه مامن أمة فسقت عن أمر ربها ، واعتدت حدود شريعتها ، الا وانتكث فتلها ، وتفرق شملها ، ونزل بها الذل والهوان ، وهو الخزي المراد في القرآن ؛ وهذه هي سنة الخليقة ذكرها ليعتبر بها من صرفته الغفلة عنها ،

وأما العذاب الآجل الذي عبر عنه بقوله «ويوم القيمة يردون الى أشد العذاب» فهو على كونه من عالم الغيب معقول المعنى ، وهاد الى حكمة عليا ، ذلك ان النفوس البشرية اذا سحل مريرها، واختلت بفساد الاخلاق أمورها ، وكثرت في هذا العالم شرورها ، حتى سلبت ماأعده الله تعالى لمن حافظوا على الحقيقة، واستقاموا على الطريقة ، تكون جديرة بأن تسلب في الآخرة ماأعده الله تعالى للارواح العالية ، وما وعد به أصحاب النفوس الزاكية ، فان سعادة الدار الدنيا لم تكن أجراً على أعمال بدنية، لاتتعلق بصلاح النفس في خلق ولا نية ، وإنما هي ثمرة تزكية النفس ،

التي يتوسل اليها بعمل الحس ، فاذا كان هذا شأن سعادة الدنيا فكيف يكون نعيم الآخرة جزاء حركات جسدية ، وهي الدار التي تغلب فيها الروحانية ، ؟؟ « ونفس وما سوّاها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ، »

ثم أكد الله تعالى ذلك الوعيد الشديد وبين سببه بقوله « أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة » أي جعلوا حظوظهم من الحياة الدنيا بدلا من الآخرة بما فرطوا فى جنب الله وأهملوا من شريعته حتى لم يتبعوا منها الا ما يوافق أهواءهم ولا يعارض شهواتهم كالحمية التي حملت كل حليف على الانتصار لمحالفه المشرك ومظاهرته إياه على قومه الذين تجمعه بهم رابطة الدين والنسب « فلا يخفف عنهم العذاب » لان علته ذاتية فيهم وهي ظلمة أرواحهم وفساد أخلاقهم « ولاهم ينصرون » بشفاعة شافع أو ولاية ولي من دون الله . ومنذ الذي يشفع عند الله الا باذنه ؟ وأنى يأذن بالشفاعة لمن سجلت عليهم الشقاء أعمالهم باحاطة الخطايا بهم من كل جانب، حتى أخذت عليهم طريق الرحمة، وقطعت عليهم باختيارهم سبيل الرضوان الالهي ؟ فمن الجهل إهمالهم الامر والنهي ، ونقضهم ميثاق الله تعالى فى أهم ما واثقهم به ، واعتمادهم مع هذا كله على الشفعاء « ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون »

ومن مباحث الالفاظ فى قوله « وهو محرم عليكم » ان الضمير للشأن عند المفسر والجماهير وقال الاستاذ الإمام ان المعهود فى كلام العرب ان الجملة التي تقضي الحال فيها بتقدّم الاسم وتأخر الفعل أو ما يشتق منه لابد ان تصدر بضمير تعتمد عليه ولهذا شواهد فى كلام البلغاء يتفق فيها ذوقهم وان اختلف النحاة في إعرابها

﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

﴿ الدرس ٣٩ آية الله الكبرى ـ القرآن ﴾

فصل (*)

(م ١٠٩) « هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية . ومن الوجوه البينة فى إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم فى قضايا وإعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة » الآية قال ابو اسحاق الزجاج : فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال « فتمنوا الموت » واعلمهم انهم لن يتمنوه ابداً فلم يتمنه واحد منهم : وعن النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لا يقوله رجل منهم الا غص بريقه » يعني يموت مكانه . فصرفهم الله عن تمنيه وجزّعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد . فظهرت بذلك معجزته ؛ وبانت حجته ؛ قال ابو محمد الأصيلي : من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ؛ ولا يجيب اليه ؛ وهذا موجود مشاهد لمن أراد ان يمتحنه منهم : وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله « فمن حاجك فيه » الآية ـ فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك ان (العاقب) عظيمهم قال لهم : قد علمتم انه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم : ومثله قوله « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » الى قوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان (١) وهذه الآية أدخل فى باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما فى التي قبلها

فصل

(م ١١٠) « ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه . والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره ، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون

(*) تتمة كلام القاضي عياض فى الشفا (١) لعل الاصل : فكان كما قال :

سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم» وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به . قال تعالى « تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » الآية ويدل على ان هذا شيء خص به أنه يعتري من لايفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن نصراني أنه مرّ بقارىء فوقف يبكي فقيل له : ممّ بكيت ؟ قال : للشجا والنظم : وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر . فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » الى قوله « المصيطرون » كاد قلبي أنه يطير للاسلام : وفي رواية وذلك أول ماوقر الاسلام فى قلبي . وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله « صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لايدري بما يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال : والله لقد كلمني بكلام والله ماسمعت أذناي بمثله قط فما دريت ماأقول له : وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ « وقيل ياأرض ابلعي ماءك » فرجع فمحا ماعمل وقال : أشهد ان هذا لايعارض وما هو من كلام البشر : وكان من أفصح أهل وقته . وكان يحيي بن حكم الغزال بليغ الاندلس فى زمنه فحكي أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها ، وينسج بزعمه على منوالها ، (قال) فاعترته خشية ورقة ، حملته على التوبة والانابة ،

***

فصل

(م ١١١) « ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لاتعدم مابقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقال «لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » الآية . وسائر معجزات الانبياء قد انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها . والقرآن العزيز الباهرة آياته ، الظاهرة معجزاته ، على ماكان عليه اليوم مدة خمس مئة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ، ومعارضته ممتنعة ؛ والاعصار كلها طافحة بأهل البيان ، حملة علم اللسان ، وأئمة البلاغة ، وفرسان الكلام وجها بذة البراعة ، والملحد فيهم كثير ، والمعادي للشرع عتيد ، فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ، ولا الف كلمتين في مناقضته ، ولا قدر فيه على مطعن صحيح ، ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح ؛ بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه ؛ والنكوص على عقبيه ،

فصل

(م١١٢) « وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في إعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لايمله ؛ وسامعه لايمجه ؛ بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة ؛ وترديده يوجب له محبة ؛ لايزال غضا طريا ؛ وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ؛ ويعادى اذا أعيد ، وكتابنا يستلذ به في الخلوات ؛ ويؤنس بتلاوته في الازمات ، وسواه من الكتب لايوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها . ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لايخلق على كثرة الرد ؛ ولاتنقضي عبره ؛ ولا تفنى عجائبه ، هو الفصل ؛ ليس بالهزل ، ولا يشبع منه العلماء ؛ ولا تزيغ به الاهواء ؛ ولاتلتبس به الالسنة ؛ هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد »

(م١١٣) « ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ، ولا القيام بها ، ولا يحيط بها أحد من علماء الامم ، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم ، فجمع فيه من بيان علم الشرائع ، والتنبيه على طرق الحجج

لعقلية، والرد على فرق الامم ببراهين قوية، وأدلة بينة سهلة الالفاظ ، موجزة المقاصد، رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها ، كقوله تعالى « أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم » و« قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرة » و« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » — الى ماحواه من علوم السير ، وأنباء الامم ، والمواعظ والحكم ، وأخبار الدار الآخرة ، ومحاسن الآداب والشيم ، قال الله جلّ اسمه « مافرطنا فى الكتاب من شيء » ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل » » وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل القرآن آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ مابعدكم ، وحكم مابينكم ، لايخلقه طول الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ؛ عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لايعوجّ فيقوّم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ » ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه « ولا يختلف ولا يتشانأ (١) فيه نبأ الاولين والآخرين » وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، فيها ينابيع العلم ، وفهم الحكمة ، وربيع القلوب ، » وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ، ونور الحكمة ، : وقال تعالى « إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » وقال «هذا بيان للناس وهدى» الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف مافي الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات .

(م١١٤) «ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله وذلك انه احتجّ بنظم القرآن وحسن وصفه

(١) المنار : تشانؤا تباغضوا ولا يظهر هنا والذي أعرفه في الرواية (يتشانّ) من تشان الجلد اذا يبس وتشنج أي انه يبقى على جدته وبهائه ورونقه دائما

وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده ، فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ،

(م ١١٥) «ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس . وأوعى للقلوب ، وأسمح في الآذان . وأحلى على الافهام ، فالناس اليه أميل ، والاهواء اليه أسرع ،

(م١١٦) «ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلمية ، وتقريبه على متحفظيه . قال الله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر » وسائر الأمم لايحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم . والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة (١)

(م١١٧) «ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعه والتئام أقسامها ، وحسن التخلص من قصة الى أخرى . والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه ، وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوّة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله . والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ، ولانت جزالته ، وقل رونقه ، وتقلقلت ألفاظه . فتأمل أوّل (ص) وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتعجبهم مما أتى به . والخبر عن اجتماع ملأهم على الكفر ، وماظهر من الحسد في كلامهم ، وتعجيزهم وتوهينهم ، ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة ، وتكذيب الأمم قبلهم ، وإهلاك الله لهم ، ووعيد هؤلاء مثل مصابهم ، وتصبير النبيّ صلى الله عليه وسلم على أذاهم ، وتسليته بكل ما تقدم ذكره ، ثم أخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في أوجز كلام ، وأحسن نظام ، ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن الى وجوه كثيرة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب بلاغته . فلا نحب أن يعدّ فناً منفرداً في إعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة . وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه . وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها ومابعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لاتنقضي والله ولي التوفيق » اه كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى

(١) الاعجاز في إلهام المسلمين حفظه حتى حفظ به الدين وهذا لم يعهد في العالمين

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(الشبهة الثانية على القرآن زعمهم التعارض فى كلامه)

استشهد ذلك الكاتب على سخافته هذه بأمور نأتي عليها واحدة واحدة ونبين الصواب كما فعلنا فى الشبهة الأولى

(الشاهد الاول) زعم ان وجود الآيات المتشابهات فيه ينافي كونه مبينا . وهذا دليل على انه لم يفهم معنى المتشابهات ولا معنى البيان . فهذا المسيح عليه السلام يزعم المنتقد أنه إله وقد كان الكثير من كلامه مع تلاميذه وهم الراسخون فى دينه غير مفهوم لهم فهل يرى هذا دليلا على عجز مقام الالوهية عن البيان . أم يستدل بالشيء في مكان ويترك الاستدلال به في مكان . ؟ ولم ينقل عن الراسخين من الصحابة شيء من الاشتباه فى القرآن كما ينقل النصارى عن تلاميذ المسيح (رضي الله عن الجميع) .

المتشابهات فى القرآن آيات تشابهت وجوه دلالتها على معانيها القريبة والبعيدة حتى ليتسنى لاصحاب الزيغ تأويلها بالباطل وصرفها الى غير الصواب . وهذا أمر لامندوحة عنه لانه ضروري في ذاته وذلك ان أهم مايجيء به الوحي هو العلم بالله تعالى وبعالم الغيب لترتفع بذلك مدارك العقول وتعلو همم النفوس . ومن المعلوم أن الناس وضعوا ألفاظ اللغات لما يعرفون من المعاني فى هذا العالم فيتعين على من يريد أخبارهم بشيء مما لايعرفون ان يستعير بعض ألفاظهم الموضوعة لما يعرفون وينصب القرائن لمنع الاشتباه . ولا شك أن أفهام الناس تختلف فى فهم القرائن وان الذي يريد الفتنة يسهل عليه ان يتبع ماتشابه من القول لأن له معنى يدل على ماوضع له فى الأصل ومعنى آخر تناوله بالكناية أو الاستعارة وغيرها من ضروب التجوز وهو المراد فيحمله على غير المراد ويضل به الناس . فاذا أطلق النبي على الله تعالى لفظ الأب فى مقام بيان الرحمة والعناية حمله أهل الزيغ على الأبوة الحقيقية وقالوا انه أبوه الذي ولده ويصرفون من يفتنونهم عن القرائن العقلية التي تحيل الابوة الحقيقية على الله تعالى والقرائن القولية التي تطلق لفظ الأب على غير النبي كقول المسيح عليه السلام ان صح النقل — : « اني ذاهب الى أبي وأبيكم » : وكذلك يقال في لفظ الابن اذا أطلقه النبي على نفسه يحمله أهل الزيغ على البنوة الحقيقية مع قيام القرائن العقلية

واللفظية على إحالته كسابقه. ومن ذلك اطلاقه على صانعي السلام ، فيما ينقلونه عن المسيح عليه السلام ،

واذا أراد المعترض ان يعرف الفرق بين بيان القرآن وبيان الانجيل وبين أتباعهما فلينظر الى أثر المتشابهات في الأمتين يجد ان قومه (النصارى) كلهم قد اتبعوا ما تشابه مما حفظوا من كتابهم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وأن المسلمين قد اتبعوا المحكم وردّوا المتشابه اليه فجمعوا بين العقل والنقل الا فريقا منهم لا يقام له وزن كالباطنية والمجسمة

(الشاهد الثاني) زعم ان قوله تعالى في سورة الاعراف «ان الله لا يأمر بالفحشاء» وقوله عز وجل في سورة الأنعام « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون » يناقضان قوله جلّ شأنه « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » قال: لانه أثبت فيها الامر بالفسق وهو أمر بالفحشاء ، واهلاك أهل قرية لان مترفيهم فسقوا فيها كما أمروا ظلم :

لا أقول ان صاحب هذا القول سيئ الفهم الى هذه الدرجة ولكنني أرجح أنه متعمد للتحريف فان من له أدنى شمة من فهم اللغة والعقل لا يستجيز ان يعمد الى قول سيد فى عبده : إنني أمرت عبدي فخرج عن طاعتي فعاقبته : فيفسره بأنه أمره بالخروج عن طاعته فخرج فعاقبه على الامتثال . الفسوق في اللغة الخروج عن الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها وفسقت الفأرة عن جحرها : والفسوق عن أمر الله هو الخروج عنه وعدم امتثاله . أما حذف معمول « أمرنا » فهو ما تقتضيه البلاغة هنا لأن المقام مقام بيان جزاء الفسوق عن أمر الله تعالى أيا كان لا بيان ضروب التكليفات الشرعية، وما يأمر الله تعالى به معروف بالاجمال . ولا يخطر على بال عاقل أن يقدّر أحد هذا المعمول بنقيض ما تقضي به الضرورة فيقول ان الله قال إنه أمر هؤلاء الناس ولم يقل بماذا أمرهم ونقول نحن انه أمرهم بالفسوق !! هذا غير معقول فى نفسه ثم ان العبارة تنافيه بذاتها فان الفسوق يقتضي ان يكون هناك شيء يفسق عنه فاذا كان الامر متعلقا بالفسوق نفسه يكون أمراً بلا شيء . مثاله ان تقول لرجل : أمرتك بأن تخرج : ولم يكن في شيء يخرج عنه حين أمرته لا حسي كبيت ولا معنوي كعمل .
فان قيل : ان الامر في الآية ينصرف الى الفسوق عما هم فيه مما يختص بهم فى الجملة :

نقول ان ماكانوا فيه هو الترف فيكون معنى قوله في الآية « ففسقوا فيها » انهم خرجوا من الترف ورجعوا الى القصد . وهذا نقيض مادل عليه الآية بالبداهة وهو ان الاستمرار على الترف بعد الأمر بما جرت عادة الله تعالى ان ينزل وحيه به من الأمر بالقصد والاعتدال، في الاخلاق والاعمال ، هو الذي يكون سبب التدمير ، وينتهي بالأمم الى شر مصير ،

هذا الذي قلناه متبادر اذا تجلى لأي عامي فى لغته يتيسر له ان يفهمه بلا توقف وليس هو من المتشابهات التي تبتغى بها الفتنة بالتأويل والتحريف . وللآيات وراء هذا معان عالية ، وفيها معارف سامية ، هي أرفع من أن يدركها ذلك الطرف الحسير ، أو يتطاول اليها ذلك الفهم القصير ، ذلك ان آية الانعام وآية الاسراء تهديان الى أنفع سنن الله فى نظام نوع الانسان ونواميس الاجتماع البشري ـ تدل آية الانعام على أن الأمم لاتهلك بمجرد التلبس بظلم تكون عليه مادام أهلها غافلين عما يجب عليهم الاخذ به من ضده لاينذرهم به منذر ولا يدعوهم الى الحق داع . فاذا جاء النذير وقذف بحقه على باطلهم وبعدله على ظلمهم يدمغه فاذا هو زاهق واذا بالامة في عداد الهالكين . وفى آية أخرى «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» والمراد بالشرك الظلم كما روي من حديث ابن مسعود مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم والترمذي فى تفسير قوله تعالى فى سورة الانعام «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» يعني ان الأمم لاتهلك وان كانت مشركة بالله تعالى مادامت مصلحة في أعمالها وأحكامها . ويطابق هذا قوله تعالى «واذا أردنا ان نهلك قرية» الآية . فهذه الآيات تعلمنا ان سعادة الأمم أو شقاءها في هذه الحياة انما هو نتيجة سيرتها في أعمالها لاان السعادة هبة إلهية على مالا يعلم سره . والشقاوة نقمة إلهية على ماجهل أمره . وتعلمنا أيضاً ان الباطل انما يطول أمده وتبطئ نتيجته فى الإهلاك اذا لم يكن هنالك حق يصادمه . ومن هنا أخذ الاستاذ الامام كلمته الحكيمة : إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه : ومن هنا نفهم السر فى استيلاء الافرنج على الأمم الشرقية وهو أنهم مصلحون في أعمالهم . وقد أوضحنا هذه المسائل من قبل في مقالات متعددة وحسبنا هذا فى الرد على شبهة المحرفين

(الشاهد الثالث) زعم ان قوله تعالى فى فرعون « فأغرقناه ومن معه جميعاً »

يناقض قوله عز وجل فيه «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» وقد شنع هنا على المسلمين أنهم أوّلوا الآية وهو يزعم أنه نجا ببدنه وروحه وإن كانت الآية ناطقة بأن بدنه هو الذي ينجو. ومحل الشبهة عنده في لفظ « ننجيك » فان ظهور الجثة بعد الموت بالغرق لا يسمى تنجية وفاته أن هذا التعبير للتهكم على حد «فبشرهم بعذاب أليم» ومن تتبع ضروب التجوز في كلام البلغاء وحاول حملها على الحقيقة — وهي لا تصح عليها — يمكنه ان يموّه بأن أكثر الكلام البليغ كذب. على أن الذي ينجو من الغرق يطلق عليه اسم الغريق فلو فرضنا أن الله تعالى نجّى فرعون من الغرق الذي ألمّ به وبقومه لما كان قوله «أغرقناه» مناقضاً لقوله «ننجيك» فقد يغرق إنسان إنسانا ويريه خطر الهلاك ثم ينتاشه وينجيه ولكن هذا ليس مراداً هنا

الحكمة في ظهور بدن فرعون موسى بعد الغرق ظاهرة فانه استعبد الناس وادعى الالوهية بما موّه على الجاهلين بسحره . ولو لم يظهر بدنه لادّعى المغرورون فيه ما يدعي عبدة الحاكم العبيدي الى اليوم من أنه قد عرج الى عالم أعلى ، وارتقى الى مقام أسمى ، فهذا هو معنى قوله تعالى « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » ولو نجا بروحه وبدنه لما كان في ذلك آية على انتقام الله منه لكفره ببنيه وإيذائه لقومه

(للكلام بقية)

الكرامات والخوارق

(المقالة الثالثة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التأويل)

(النوع الثالث انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء)

قال السبكي : وكل ذلك كثير وقد اتفق مثله لشيخ الاسلام وسيد المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد: وأقول يا ليت لنا من هذا الكثير الذي يدعيه واقعة واحدة منقولة بالتواتر الصحيح المستوفي الشروط التي يذكرها السبكي في جمع الجوامع الذي ألفه لكد الافهام، لا نتراعى أحكامه في مثل هذا المقام، وفي خاتمة الفتاوى لابن حجر الهيتمي قال: في الرسالة عن بعضهم كنا في مركب فمات رجل منا فأخذنا في جهازه فلما أردنا ان نلقيه في البحر جفّ فحفرنا له قبراً ودفناه فارتفع الماء والمركب وسرنا:

وكل ما في الباب حكايات عن مثل هذا البعض المجهول وأصحاب المركب المجهولين. ولو حكمنا فيها أصول المسلمين نعددناها من الموضوعات أو الواهيات ، وان رويت على انها من المعجزات ، لانقطاع أسانيدها ، وجهالة رواتها ، وأضف الى ذلك هنا شبهة الهوى ، ومخالفة شروطهم في الكرامة ، فقد علمت ما قاله السبكي من اشتراط الضرورة والخفاء وأين هما مما نحن فيه . نعم ان قبول هذه الحكايات يليق بأهل دين لا سند لهم في أصوله ولا في فروعه وانما هي الثقة العمياء بأن روح القدس حل في رؤسائهم وقديسيهم فعملوا العجائب ووجب قبول كل مايؤثر عنهم وان تناقضت قضاياه ، واستحال مغزاه ،

اذا ثبت انفلاق البحر ثبوتا قطعيا فلا شك انه يكون من الخوارق التي يتعذر تأويلها وتعليلها. وأما المشي على الماء فيحتمل التلبيس والتأويل بحسب الاشخاص والمواقع والازمنة ففي بعض البلاد يجمد ماء النهر لشدة البرد مدة ثم يسيل ويقال ان الافرنج اخترعوا أحذية يمشون بها على الماء . بل الذي يعول عليه حقيقة في تعليل المشي على الماء اذا فرضنا أنه ثبت ثبوتا قطعيا لا يحتمل التأويل هو غلبة الروحانية التي يخف معها الجسد خفة عجيبة على نحو ما يحكونه عن المشتغلين باستحضار الأرواح في أوربا فان لهم في ذلك حكايات تقرب من بعض حكايات الصوفية. على ان هؤلاء انما يوجهون نفوسهم الى الارواح يكلمونها ويرونها ولم يعنوا بأن يكونوا هم روحانيين كما يفعل الصوفية في رياضاتهم . نعم ان من الناس من لا يصدق ما ينقل عن هؤلاء وعن أولئك ومن الناس من يصدق لأن تشابه الحوادث وتصور العلة العامة لها يقربها من العقل . وما نبغي إثبات ما ينقل ولا نفيه وانما نبغي إقناع من يصدق لثقته بالناقلين. أو من يشاهد شيئاً من أعمال الحاضرين. بأن ذلك غير خارج عن سنن الله تعالى في الخلق وأنه ليس من الخوارق الحقيقية وانما هو من الخوارق الاضافية أي التي تعد خوارق بالاضافة الى من لا يعرف طريقها كالاعمال الصناعية التي لا يعرفها الا بعض الناس . أرأيت اذا تعلم بعض الناس التخاطب (بتلغراف ماركوني) الذي يكون التخاطب به بدون واسطة الاسلاك وذهبوا الى بلد أو مملكة وجعلوا يتخاطبون به على البعد الشاسع ألا يعد ذلك الناس منهم أكبر الخوارق ؟

وقد ذكروا ان الواسطة الذي يحضر الروح يخف وزنه مدة حضور الروح الى نصف ما كان ومن كان بهذه الخفة يمشي على الماء بسهولة . وسيأتي ان بعضهم كان يطير في الهواء ونقل مثل هذا أيضاً عن بعض الفلاسفة . وسنوسع القول في الامور لروحية في موضع آخر

﴿ النوع الرابع انقلاب الاعيان ﴾

قال السبكي : حكي ان الشيخ عيسى الهتار اليمني أرسل اليه شخص مستهزئاً إناءين ممتلئين خمرا فصب أحدهما في الآخر وقال « بسم الله كلوا » فاذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه (قال) وقد أكثروا في ذكر نظير هذه الحكايات :

أقول لا يوجد نوع من الانواع يأتي فيه التلبيس والشعوذة مثل هذا النوع ولذلك ترى أكثر أعمال المشعوذين منه وهو على ضربين أحدهما الخفة والمهارة في إخفاء شيء وإحضار غيره . وثانيهما الاستعانة بالاعمال الكيماوية . فمن غرائبهم في الضرب الأول أن أحدهم يأخذ ماء من البحر في كوب ويعطيه آخر فيشربه فاذا هو شراب سكري . والحيلة فيه ان يكون تحت إبط المشعوذ أو الدجال (مدعي الولاية) إناء من الجلد أو الكاوتشتك له أنبوبة دقيقة تصل الى يده فاذا غمس الكوب في البحر يوهم الرائي انه ملأه ماء – وما ملأه – ويفرغ فيه الشراب من الانبوبة بلطف . وقد أخبرني بعض الناس أن رجلا من المعتقدين تناول كوباً من زيت البترول وسقاه فاذا هو ماء فيه سخونة وما جاءت السخونة الا من حرارة إبطه حيث كان الماء

ومن الضرب الثاني ان بعض الدجاجلة الفساق الذين يخدعون الناس بانتحال الكرامات أخذ أمام بعض العامة كوبا زجاجيا فيه شيء من الخمر فوضعه على فيه فاذا هو في أعينهم لبن أبيض . والحيلة فيه ان الخمر التي كانت فيه هي من النوع الذي يسمونه (عرقي الزبيب) ولونها كالماء حتى اذا مزجت بالماء ابيضت وصار لونها كلون اللبن الممزوج وقد كان الماء في فم الدجال فمجه في الكأس بلطف . ولو أردنا ان نملأ المنار بمثل هذه الوقائع التي تستغرب قبل كشف الستار عن وجه التلبيس فيها لفعلنا . فنقل أمثالها اذا صح سنده فهناك ما يمنع من التصديق بمتنه لاحتمال دخول الغش والتلبيس فيه على الناقلين . وأنت ترى ان هذا النوع كان من أبواب الفسق والدجل . والشعوذة والحيل ،

﴿ النوع الخامس إنزواء الارض أوطيها ﴾

قال السبكي : حكوا ان بعض الاولياء كان في جامع طرسوس فاشتاق الى زيارة الحرم فأدخل رأسه فى جيبه ثم أخرجه وهو فى الحرم (قال) والقدر المشترك من الحكايات فى هذا النوع بالغ مبلغ التواتر ولا ينكره الامباهت:

أقول ان السبكي تحمس هنا فرجع الى كتابه (جمع الجوامع) وتقلد حججه فى الاستدلال فزعما ان الحكايات فى انزواء الارض متواترة تواترا معنويا أي ان كثرتها تدل على أن لها أصلا وان كانت كل حكاية منها لم تثبت بخصوصها وستعلم مافيه . واعلم أنهم لايقصدون بانزواء الارض وطيها ان أطرافها تجتمع وتطوى كالثوب وانما يعنون بذلك قطع المسافة فى زمن قصير وهو مجاز صحيح واستعمله الشعراء وغيرهم قال :

وكنت اذا ماجئت ليلى أزورها أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

وما ذكره السبكي من حكاية ولي جامع طرسوس ليس من هذا النوع وانما تلك زيارة خيالية أو روحانية لانه لم يكن فيها مسير وانما قبع ذلك الولي فى مكانه كالقنفذ فرأى نفسه في الحرم . كما يرى ذلك في الحلم . فاذا كان مثل صاحب جمع الجوامع قد اشتبه عليه الامر فعد فى هذا النوع ماليس منه فكيف تثق بسائر الناقلين لهذه الحكايات وهم فى العادة الغالبة من جهلة العوام . واذا لم تكن الوقائع صحيحة بالمرة فكيف يتألف من غير الصحيح دليل صحيح فنقول ان فى مجموع الحكايات تواترا معنويا؟

ثم إن فى أنباء قطع المسافات البعيدة فى الزمن القريب مواضع للتلبيس والإيهام فان الحكايات فى ذلك تؤثر عن السائحين المتجردين وأكثر هؤلاء خفاف سراع أهون سيرهم الوجيف فاذا مر أحدهم بمكان ثم رؤي فى مكان آخر لايكفي الزمن لبلوغه إياه فى السير المعتاد يتناقل الناس هذا ويعدونه كرامة ويبالغون فيه ويغلون وينتشر الخبر لغرام الناس بنقل مثله . وعلى هذا النحو تكثر هذه الاخبار حتى يدعي مثل التاج السبكي أنها كرامة متواترة تواتراً معنويا ، ويدعي من لايفهم مثله معنى التواتر أنها متواترة تواترا حقيقيا ، وينسى هؤلاء أنه يوجد فى البوادي من يسابق عتاق الخيل وعشار النياق فيسبقها . والناس يعلمون ان هذا النوع من المعاول التي هدمت الدين فان

كثيراً من الدجالين الذين يدعون الولاية يتركون الصلاة ويزعمون أنهم لا يصلون الا فى حرم مكة فيصدقهم الجاهلون المخدوعون

هذه إشارة الى طريق التأويل والتلبيس التي تقل معها الثقة بالنقل . وأما التعليل بعد الاختبار الصحيح والثقة التامة بأن انسانا انتقل بجسمه من قطر الى آخر فى زمن قصير لا يكفي لبلوغه إياه وان كان أسرع من العتاق السبق ، والجياد القرّح ، فهو ان يقال ان ذلك المنتقل من الروحانيين الذين تحمل أرواحهم أبدانهم فتمر بها مر النسيم وذلك داخل فى السنن الروحية، وربما تكون فى يوم من الأيام مشهورة جلية ، فيعذر من كان فى غير هذه الاوقات ، ينظمها فى سمط الخوارق والكرامات ، ويظهر فضل الدين ان علم الناس بأن الروح والنفس ، لها وجود مستقل وسنن غير سنن الحس ،

﴿ الانجيل الصحيح ﴾

(النبذة الثالثة من مقدمة كتاب الأناجيل للفيلسوف تولستوي)

على هذا المنوال جرت تلك الديانات الصادرة عن الروح القدس وكل واحدة منها تؤكد لنا ان ختام الوحي ونسخ الديانات السابقة بطريقة حاسمة قاطعة مما تقضي بهما كتابة الرسول بولس أو قرارات بعض المجامع أو أوامر البابوات أو الإلهام الشخصي لبعض الناس وكلها تحاول بلا طائل الاستناد في آخر الأمر على الوحي الهابط على آباء الكنيسة أو على (الكاتشزم) الذي ألفه لوثير أو فيلارتيوس وتأبى أن تعنون نحلتها باسم أولئك المشيدين لدعائمها وتعاند فى القول بان المسيح هو الذي أوحى اليهم بهذه التعاليم وتصر على ذلك اصراراً لو صدقناها فيه لذهبنا معها الى ان المسيح نفسه هو الذي أوحى الى أصحابه بانه افتدى بني الانسان بعد سقوطهم بسبب خطيئة آدم وان الله يتألف من ثلاثة أشخاص وان الروح القدس هبط على الحواريين وان المسح باليد (فى تناول الاسرار) نقله الى القسيسين وان تقديس الارواح سبع مرات مما لا بد منه للحياة المسيحية وغير ذلك . وهم يحملوننا على الظن بان هذه الامور كلها من تعاليم المسيح. على اننا اذا بحثنا فى تعاليم المسيح لا نجد فيها أقل إشارة

اليها ولا الى بعضها . لاجرم ان الكنائس التي تقول بهذه الاشياء ينبغي لها ان تجهر بانها من تعاليم الروح القدس وليست من تعليم المسيح فانما المسيحيون هم الذين يعتبرون الوحي الأخير الذي جاء به المسيح كما هو وارد فى الاناجيل طبقا لما قاله المسيح: لن يكون لكم أستاذ غيري(١)

ربما ظن بعض الناس ان هذه المسألة ليست بذات بال وانها من الامور التي لا تستحق البحث فيها ولكن مما لامراء فيه ان القوم قد أهملوا النظر اليها بعين الاعتبار الى يومنا هذا. وبدلا من بذل نهاية المجهود فى تنقية تعليم المسيح من شوائب علاقته الصناعية بالعهد القديم التي لا ترى مايزكيها ويؤيدها، وتصفيته من تلك الاضافات التي ألصقتها به الاهواء باسم الروح القدس، لايزال القوم حتى يومنا هذا يوجهون همتهم كلها الى تقوية هذه الروابط التي لا أصل لها . ومن غرائب المشاهدات أننا نرى الاتفاق سائداً في هذه المسألة بين الخصمين المتعاندين وأعني بهما المتحزبين للكنائس وأرباب الافكار الحرة من أصحاب التاريخ

فاما أحزاب الكنائس الذين يقولون بان المسيح هو ثاني شخص فى الثالوث فلا يريدون ان يفهموا تعليمه الا تطبيقه على الوحي الموضوع على لسان ثالث الثلاثة (أي الروح القدس الذي نطق بلسان الرؤساء) كما هو وارد بالعهد القديم وفى أوامر المجامع وقرارات آباء الكنيسة . وتراهم ينادون ويبشرون بأمور هي منتهى الحماقة ويؤكدون مع ذلك بأنها من دين المسيح . وأما الآخرون أي اولئك الذين يمتنعون من اعتبار المسيح إلها فهم أيضاً يدركون عقيدته لا كما أتى هو نفسه بها ولكن على الوجه الذي صورها فيه بولس وغيره من المفسرين. فاولئك العلماء مع اعتبارهم المسيح فردا من أفراد البشر لا إلهاً يحرمونه من الحق الطبيعي الذي لكل واحد من الناس ألا وهو أن يكون مسؤلا عن أقواله فقط وغير مؤاخذ بما يقوله عنه غيره . وحينما حاولوا إيضاح تعليم المسيح نسبوا اليه أفكارا لم تخطر قط على باله وهو فى قيد

المنار : الخطاب خاص بتلاميذه الذين تنقل الكنائس عنهم ان تلقوا تعليما آخر من الروح القدس ولهم ان يردوا على الفيلسوف بأن الروح القدس ليس غيره لانه على اصطلاحهم عينه لأن كل واحد من الاقانيم الثلاثة عين الآخرين

الحياة . فان القائمين بهذا المذهب وفي مقدمتهم رنان المحبوب عند الجمهور لم يروا وجها لإجهاد أنفسهم في التمييز بين ماقال به المسيح وبين مانسبه اليه مفسرو كلامه زورا وبهتانا ولعدم زيادتهم على الكنائس في الاهتمام بالتعمق في فهم تعليم المسيح الصحيح انساقوا الى البحث في حوادث حياته وفي الحوادث التاريخية التي وقعت في عصره لمعرفة أسباب نفوذه وشيوع أفكاره

على ان هذا المبحث هو كما يظهر آخر خطأ يجوز للمؤرخين ارتكابه فان المسألة لتي كان عليهم السعي في حلها هي مايأتي :

منذ ثماني عشرة مئة من السنين كان رجل فقير يعيش في بعض الجهات وكان يصدر عنه بعض الاقوال فاضطهده الناس وشنقوه ثم نسيه العالم كله كما نسي آلافاً من الحوادث المماثلة لأمره فلم يذكره أحد من العالمين ولكن يظهر ان بعضهم بقيت في ذاكرته كلمات هذا الانسان فاعادها على مسمع من ثان فثالث ومازالت آخذة في الشيوع والانتشار حتى ان ألوف الألوف من الناس سواء فيهم العقلاء والمجانين والعالمون والجاهلون اعتقدوا اعتقادا مطلقا بأنه هو الله وحده (١) وهذا من غرائب مظاهر الكون فكيف يكون تفسير ذلك ؟

قالت الكنائس ان هذا الرجل أي المسيح هو الله حقيقة والامر واضح في هذه الحال لايحتاج الى بيان ، ولكنه اذا لم يكن هذا الانسان هو الله فكيف نفسر اعتبار الناس له إلها دون سواه ؟

أما علماء المذاهب التاريخية فقد عنوا عناية بالغة بجمع الخصائص المتعلقة بحياة ذلك الانسان (وهم في الحقيقة لم يجمعوا منها ولا واحدة سوى ماوجدوه في

---

(١) المنار : ان الناس لم يقولوا هو الله لاجل الكلمات التي ينقلونها عنه فقد نقل أحسن منها عن سليمان ولم يقولوا إنه إله ومنهم من لم يقل إنه نبي . وإنما ذلك بولس وأمثاله قالوا هذا القول وادعوا ان روح القدس يملي عليهم والخوارق تؤيدهم فصدقهم الناس لاستحواذ الوثنية عليهم وشاع ذلك . والفيلسوف ينكر عليهم إملاء روح القدس ويجحد خوارقهم ولكن إعجابه بكلمات المسيح عليه السلام ، أنسته أكبر سيئاتهم فوقع في الاوهام ،

الاناجيل وفى تاريخ (فلافيوس يوسيفوس) ولم يتفطنوا الى انهم لو توصلوا الى الوقوف على هذه الخصائص كلها ؛ ووفقوا الى اعادة حياة المسيح تامة باصغر تفاصيلها، بحيث عرفوا ما أكله في يوم كذا ويوم كذا وعرفوا في أي منزل أمضى تلك الليله ـ لكان هذا السؤال الجوهري يبقي قائما ولا جواب عليه وهو : لماذا كان لعيسى لا لغيره هذا التأثير في الناس أجمعين ؟ (١) الجواب المطلوب لا يأتي من العلم بالطريقة التي ولد بها عيسى أو كانت تربيته على مقتضاها أو غير ذلك ولا يستنبط من العلم بالحوادث التي وقعت في رومية فى ذلك العصر وكانت داعية الامم الى الاعتقاد بالخرافات والاضاليل ونحو ذلك . وانما ينال الجواب بالبحث في أمر واحد وهو معرفة التعليم الذي جاء به المسيح علما مؤكدا يقينيا ومعرفة كنه هذا التعليم الذي حمل كثيراً من الناس على جعل الرجل فوق سائر الناس واعتباره إلها منذ ثماني عشرة مئة من الاعوام

الباحث الذي يريد حل هذه المعضلة يجب عليه قبل كل شيء ان يجتهد في إدراك تعليم المسيح وأعني به تعليمه الصحيح دون تلك التفاسير الغامضة الشاذة التي ذهب اليها بعض الناس . وهو أمر أهمله الباحثون الى الآن . فان علماء التاريخ من أهل النصرانية فرحون بما ذهبوا اليه من أن المسيح ليس هو الله ولذلك تراهم لا ينفكون يسردون الدلائل على انه لم يكن فيه شيء من الالوهية ولكن لا يتفكرون فى أمر بسيط لا يصح ان يغيب عن الاذهان . وهو ان الاحتجاج على كون المسيح واحدا من الناس مجردا من كل صفات الالوهية يزيد المسألة غموضا وبعدا عن الافهام.(٢) مثال ذلك صاحبنا رنان أو الموسيو (هافيت) فقد لاحظ بسذاجة لطيفة ان المسيح

(١) المنار : إنه لم يكن للمسيح تأثير فى الناس أجمعين كما زعم وان المعتقدين ببوذا أكثر من المعتقدين بالمسيح على الوجه المعروف عند النصارى

(٢) قضى الله ان تكون السخافة حليفة لكل من يتكلم فى الدين من غير طريق الاسلام ، وان ارتقى بعلمه الى درجة الفلاسفة العظام ، فهذه المسألة محلولة بمثل قوله تعالى «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي» فالمسيح بشر كسائر الناس الا أنه امتاز بأن الله تعالى أوحى اليه، والوحي لا يرتقي بالموحى اليه الى مقام الالوهية ولا يعطيه شعبة منها على أنها ليست متشعبة بل هي الوحدة الحقيقية

لم يكن فيه قط شيء (مسيحي) أما الموسيو سوري فقد أظهر ماليس فوقه شيء من الابتهاج والارتياح حينما ذهب الى أن المسيح « كان رجلا بغير تثقيف وانه كان من ذوي العقول الساذجة »

ليس الأمر الجوهري هو إثبات عدم ألوهية المسيح ولا ان تعليمه ليس إلهيا ولا إيراد الدلائل على ان المسيح لم يكن كاثوليكيا وانما هو فهم عناصر هذا التعليم الذي ظهر للناس فى أسنى المظاهر وأجلاها وأعلاها وأغلاها حتى قالوا ولا يزالون يقولون بان الرجل الذي قال به إنما هو الله . هذا هو الامر الذي حاولت البحث فيه والذي نجحت فى الوصول اليه والوقوف عليه وذلك بالنسبة الى شخصي على الاقل . وهو ماأريد ابلاغه إلى إخوتي

يخيل الي ان القارىء لهذا الكتاب انما هو فرد من ذلك المجتمع العظيم الذي يتألف منه فريق المتمدنين الذين تهذبوا ودرجوا على الاعتقاد بقول احدى الكنائس ومنعوا أنفسهم على الدوام من الجهر بالانفصال عنها مع ماثبت لهم من مناقضة تلك العقائد لما أرشدتهم اليه عقولهم ، وأوحت به ضمائرهم ، سواء كان ذلك مبنيا على صبابة باقية من الحب والاحترام لذلك التعليم المسيحي أو لاعتبارهم النصرانية كلها خرافة فهم لايرتبطون بها الا فى الظاهر . اذا كانت هذه حالة القارىء فاني أرجوه ان يعمل بالمثل السائر « ألق بالجامعة فى النار اذ صارت مباءة للقمل » ولكنني أرجوه من باب أولى ان يتفكر ان الذي نفر منه طبعه وسمعه وظهر له بمظهر الخرافات ليس هو التعليم الصادر عن المسيح وانه من الظلم مؤاخذة المسيح بالحماقات التي علقها الناس بعده على تعليمه . وغرضي الوحيد انما هو تحديد تعليم المسيح فى شكله الخاص به كما وصل الينا أي بواسطة الاقوال والافعال التي بلغنا بطريق التواتر انها أقوال المسيح وأفعاله (١) . ومن كان من القراء من الصنف الذي سبق لي وصفه فان

« ١ » المنار : ان أقوال الفيلسوف السابقة فى هذه المقدمة تنفي هذا التواتر فانه قال ان أقوال المسيح لم تنقل فى عهده برمتها بالكتابة ولا بالحفظ وانما كان يحفظ بعضها الواحد فيلقيه الى ثان ثم يشتهر بعد زمن . وإنما يتحقق التواتر بنقل العدد الكثير عن المسيح نفسه ونقل مثلهم عنهم طبقة بعد طبقة بلا انقطاع

كتابي يريه ان النصرانية ليست مزيجا من الامور العالية والامور المبتذلة وانها ليست من الخرافات بل انها عبارة عن التعليم بماوراء الطبيعة الذي توصلت اليه الانسانية الى الآن بطريقة أخلاقية تهذيبية وطيدة الاركان ، ثابتة البنيان ، صافية من الشوائب ، مكملة من كل جانب ، وانها التعليم الذي ترتكز عليه بغير ادراك جميع مظاهر الانسانية العالية فى السياسة والعلم والشعر والفلسفة

أما اذا كان القارئ من تلك الفرقة القليلة التي لاتزال فى كل يوم آخذة فى الاضمحلال وأعني بها أولئك المتمدنين الذين مالبثوا مرتبطين بتعاليم الكنيسة ويقبلون الدين لراحتهم الداخلية لالغرض خارجي فانني أرجو هذا القارئ ان يسائل نفسه عن أعز الامرين لديه : أراحته أم الحقيقة . فان اختار الراحة سألته ان يتنقل هذا الكتاب وأما اذا جنح الى الحقيقة فانني أسأله ان يعتبر تعليم المسيح المبسوط فى هذا الكتاب يناقض كل ما علمه اياه الناس وانه بإزاء هذا التعليم في موقف المسلم بازاء النصرانية . فليس عليه بعد ذلك ان تكون العقيدة المشروحة فى هذا الكتاب توافق عقيدته أو تخالفها بل ان يعلم أيهما أكثر انطباقا على عقله وقلبه . أعقيدة كنيسته أم عقيدة المسيح المحضة ؟ وعليه بعد ذلك ان يختار لنفسه أحد الامرين — الرضى بقبول العقيدة الجديدة أو البقاء على عقيدة كنيسته

وأما اذا كان القارئ من أولئك الذين يذهبون الى احترام عقيدة إحدى الكنائس والتسليم بها فى الظاهر لالصحة هذه العقيدة ولكن بالنظر الى اعتبار المنافع التي يجدونها فيها فهذا القارئ يجب عليه ان يقول لنفسه بانه ليس من المتهمين « بكسر الهاء » بل من المتهمين « بفتحها » مهما كان عدد الذين يماثلونه فى الرأي ومهما كانت سطوتهم ومهما كانت تيجان الملوك معهم ، وشهادات الاكابر منهم مصدقة لما بين أيديهم ؛ وليس يكون ذلك القارئ من الذي تقع عليهم التهمة أمامي بل أمام المسيح . وينبغي لهذا القارئ ان يقول لنفسه انه لن يطالب « بفتح اللام » بأي برهان مما يمكنه الاتيان به من الدلائل فقد جاء بها السابقون عليه بزمان طويل وانه لو اتى بألف حجة على براءته لما كان الا في موقف يضطره إلى تزكية نفسه

نعم انه يبقى عليه ان يزكي نفسه أولا من وصمة الكفر والتدنيس اللذين ارتكبهما

بجعل عقيدة المسيح الذي هو الله (تعالى الله عن هذا الزعم) كعقيدة اسدراس والمجامع وثاوفيلكتس وافراغه كل قواه العقلية لتبديل كلمات الله حتى يجعلها موافقة لكلمات البشر. ثم يجب عليه أن يزكي نفسه ثانيا من «التجديف» الذي ارتكبه بجمل كل مافي قلبه من الخرافات على « حساب » المسيح الذي هو الله (سبحان الله) . ثم يبقى عليه في آخر الامر أن يزكي نفسه أيضا من الخيانة التي ارتكبها بإخفائه عن الناس دين الله الذي جاء الى الدنيا ليأتي لنا بالخلاص والسلام ؛ وبدسه دين الروح القدس بدل هذا الدين وحرمانه ألوف الالوف من الناس من الخلاص الذي جاء به المسيح لأجل الناس وبإيجاده الخلاف فى الشيع والمقالات وبحكم بعضها على بعض وغير ذلك من ألوف الشناعات التي يسترها بالاسم المقدس اسم المسيح

لذلك أقول ليس للقراء الذين من هذا الفريق الا ان يختاروا احد أمرين — إما ان يتوبوا بخضوع وخشوع توبة نصوحا ويرجعوا عن أكاذيبهم . وإما ان يضطهدوا ذلك الذي جاء ليلقي عليهم التهمة بما كسبوه من السيئات التي لايزالون سببا في وقوعها

اذا لم يعدلوا عن أكاذيبهم فليس لهم سوى أمر واحد هو اضطهادي أنا وهذا هو ما أنتظره بنشر كتابي هذا . وأنني لأ نتظره بفرح عظيم لايخالجه سوى مكنون الخوف من ضعفي لأنني فرد من بني الانسان . اه

(المنار) لقد أظهرت لنا هذه المقدمة قوة كاتبها فى أعلى درجها كما أظهرت لنا ضعفه فى أسفل دركه . أما قوته فهي انه أدرك بذهنه الوقاد ، وعقله المطلق من أسر التقليد والاستعباد ، أن إنجيل المسيح لم ينقل نقلا صحيحا ولم يحفظ كله وأن الاهواء تلاعبت أيضاً بتفسير ما نقل فأفسدت ما بقي فيه من ذماء الاصلاح والحق وأن أشد الناس عيثا فى تعليم المسيح بولس زعيم النصرانية — الخ ماقرأت فى المقدمة

وأما ضعفه فهو أنه نظر فى سن الكبر وطور الزهد واليأس الى تلك المواعظ التي قارع بها المسيح مترفي اليهود ومتنطعيهم وتأمل فى غلو النصارى في المسيح وادعاء الألوهية له بإغراء بولس ومن دخل فيه من الوثنيين فرأى فى المواعظ قوة الهية (وهي قوة الوحي) ورأى الناس فتنوا بالمسيح فاستدل بذلك على أنه هو الله «تعالى الله عن ذلك»

هذا وقد وقع فى س ٨ ص ٢٢٩ لفظ الفارسيانيين وصوابه «الفريسيين» وفى س ٢١ ص ٢٢٩ جملة «لايلزم (كما يظهر) على تعليق» وصوابها « لايلزمه (كما يظهر) تعليق»

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) صخرة بيت المقدس ـ السيد احمد منصور الباز بطوخ القراموص: مارأي سيادتكم فى الصخرة الموجودة ببيت المقدس هل هي مرفوعة في الهواء كما يزعم بعضهم وهل رفعها كان معجزة للنبي ؟ نرجوكم إظهار الحقيقة ورفع اللبس

(ج) اننا قد زرنا المسجد الاقصى ورأينا الصخرة وعرفنا منشأ الشبهة في أقاويل الناس فيها على انها ليست مرفوعة فى الهواء . ذلك ان الداخل في الحرم يرى في صحنه الفسيح بناء مرتفعا يصعد اليه بالسلالم وسطح هذا البناء الواسع مرصوف بالبلاط وفيه قباب أعظمها وأكبرها وأكثرها زخرفا قبة الصخرة وبالقرب منها قبة يسمونها قبة المعراج يقولون ان النبي صلى تعالى عليه وآله وسلم عرج منها . والصخرة موضوعة فى قبتها وقد جعلت سقفا لمغارة صناعية تحتها لها باب ينزل اليه بسلم قصير . فهم يقولون ان الصخرة كانت فى الهواء حيث هي الآن وان الناس بنوا تحتها هذا البناء ووصلوه بها . وشبهتهم ان الصخرة مرتفعة عن أرض الحرم التي هي الآن سطح الحرم الاصلي الذي تحت الارض . وفاتهم أن رفع الصخرة من أرض الحرم الذي في الارض أو سطحه الذي هو صحن المسجد لهذا العهد متيسر للانسان ويوجد له نظائر فى مباني الغابرين والحاضرين

«س٢» حجارة الوقود بجوار الكليم ـ ومنه: هل فى الحجارة التي بجوار سيدنا موسى معجزة له اذ تكون وقودا فى تلك الارض واذا نقلت منها تكون كسائر الحجارة لا تشتعل؟

«ج» انه لا يوجد في الدنيا حجارة تشتعل فتكون وقودا الا بسبب طبيعي ولا معنى لهذه المعجزة الآن والناس متهمون جميعا بنقل الغرائب فيجب التحري التام فيما ينقلون منها فمن تحرى علم، ومن لم يتحرّ وهم،

(س٣) شمهورش قاضي الجن ـ السيد حسن السبلجي بمصر : يزعمون أنه كان للجن قاض يقال له شمهورش وأنه كان يتلقى العلوم بالأزهر وكان يحضر دروس لشيخ الباجوري ويسأله عن بعض المسائل التي تشكل عليه على مرأى من الناس ومسمع . وقد حضرت مناظرة في ذلك بين فريقين منكر ومصدق فأبى المصدق ان يرجع الا بفتوى دينية وهي ماننتظره من المنار الانور :

« ج » ان الجن من العوالم الغيبية واسمهم يدل على خفائهم واستتارهم وقد قال الله في ابليس وهو من الجن : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم » وقد نقل عن الامام الشافعي تشديد عظيم على من يدعي رؤيتهم حتى قيل انه أفتى بكفره هذه الآية . وقد اختلف النقل عن الصحابة في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم فروي عن ابن مسعود انه رآهم وروي عن ابن عباس أنه لم يرهم وأنه لو رآهم لما قال الله تعالى « قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن » وقال بعض العلماء ان ابن عباس قال بما يدل عليه القرآن وابن مسعود قال بما ثبت عنده ولا منافاة بينهما . وأدعى بعضهم ان رؤيتهم تكون كرامة للأولياء وسيأتي البحث فيه في موضعه من مقالات الخوارق والكرامات ولكن لم يقل أحد من المسلمين ولا من غيرهم ان الجن يظهرون ويسألون العلماء على مرأى من الناس ومسمع . وان للناس من الحكايات عن الجن في كل قطر وكل شعب مايكاد يصل بهم الى حد الجنون ، والله يعلم انهم لكاذبون

(س ٥) الدليل على وجود الجن ـ بكير بن سمايه بالجزائر : هل يوجد دليل عقلي على وجود الجن ؟

(ج) ان وجود أي شيء من الموجودات لا يعرف بالأدلة العقلية وإنما يعرف بالحس أو بالخبر الصادق فاننا نعتقد بوجود كثير من الحيوانات والنباتات والمعادن ولم نرها . أما العقل فانه يدلنا مع الاختبار بأن في هذا الكون موجودات كثيرة لانعرفها وترون في أصغر الكتب الطبيعية كالنقش في الحجر للدكتور فانديك أن في هذا الكون عوالم لانعرفها لانها لاتدرك بحواسنا هذه ولو خلق لنا حواس غيرها لأدركنا مالاندركه الآن . الجن عالم خفي أو غيبي أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحي والإلهام فوجب التصديق بذلك . وإننا نرى الاعتقاد بوجودهم فاشياً في جميع الأمم والشعوب الهمجية والممدنة الوثنية والموحدة والملحدة . واننا نعد من نوع الجن هذه الاحياء الصغيرة التي لاترى الا بالنظارات المكبرة فاللفظ اللغوي (جن) يتناولها وفي الحديث القائل بأن الطاعون من وخز الجن مايدل على ذلك والله أعلم

(س ٤) الإيمان بخاتم النبيين ـ عبد الحميد افندي نجيب بنيابة الزقازيق : هل يكون ايمان المسلم صحيحاً اذا اعتقد ان رحمة الله تعالى لاتسع من لايؤمن بنبوة محمد

صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك وقد قال تعالى « ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقال) ورحمتي وسعت كل شيء »

(ج) ان رحمة الله تعالى وسعت كل شيء حتى المشركين فانهم انما يعيشون برحمته ويتمتعون بفضله ومن رحمته بالعالمين أن أرسل اليهم خاتم النبيين يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ولا توجد طريقة لترقية الروح وتزكيتها تزكية تستوجب بها الرحمة الخاصة في الآخرة الا شريعته وملته ولذلك قال عز وجل بعد بيان ان رحمته وسعت كل شيء «فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » الآية . فمن بلغته دعوة هذا النبي الكريم على وجهها واعرض عنها فلا يعتد بايمانه . ولكن اذا بلغته على غير وجهها أو نظر باخلاص وبحث فلم يظهر له صدقها فهو معذور وتقدم بسط هذا المعنى فى المنار غير مرة

(س ٤) ترجمة القرآن – رضاء الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الشرعية فى أوفا (الروسية) : نشكر لكم بما لا مزيد عليه ما كتبتم فى المنار جوابا عن سؤالي فى مسألة حدوث العالم فإنا طالعناه مع الأحباب والعلماء الكرام بمزيد الشوق وعجبنا من سعة اطلاعكم وتبحركم في الفنون .... ثم اني أعرض على حضرتكم سؤالا آخر وهو . هل يجوز ترجمة القرآن الشريف الى اللغات الأعجمية كالفارسية والتركية وغيرهما ؟ ونسمع ان بعض علماء الهند نقله الى لغة الاوردو فهل ذلك صحيح وما حكم الشريعة فى ذلك ؟ نرجو من حضرتكم الجواب فى أحد أعداد المنار لتكون الفائدة عامة لنا ولغيرنا :

(ج) ان هذا القرآن عربي «ولو أنزلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي» ومن مقاصد الاسلام العالية جمع البشر على دين واحد ولغة واحدة لتكمل وحدتهم ، وتتحقق أخوتهم ، وقد بينا هذه الحكمة من قبل ولا سبيل اليها الا بتحتيم بقائه عربيا ، وان بقاءه عربيا داخل في معنى حفظ الله له . فترجمته غير جائزة وغير متيسرة فانه معجز في بلاغته وتأديته للمعاني ولن يستطيع ان يترجمه الا من يصل الى درجة الاعجاز في اللغة التي يحاول نقله اليها ويكون مع هذا فى فهم

الاساليب العربية منقطع القرين ، وفي فهم الاسلام ومعرفة حقائقه آية في العالمين ، كلا انني موقن بأن ترجمة القرآن مستحيلة وانه لايوجد في البشر من يستطيع ان ينقله الى لغة أخرى بحيث يفهم قارىء الترجمة كل مايمكن أن يفهم من القرآن العربي المبين . وان من أكبر الجرائم والجناية على الدين ان يحاول المسلمون هذا الامر فيكون عند التركي قرآن تركي وعند الفارسي قرآن فارسي وهلم جرا . وقد عثر بعض العلماء فقال بجواز القراءة بالفارسية لمن عجز عن العربية ولكن طبيعة الاسلام لفظت هذا القول وتركته كالشيء اللقا ولم يعمل به أحد من المسلمين مع احترام قائله لأنه لم يكن سيء القصد . ولو أخذ الناس بهذا القول لما انتشرت اللغة العربية في الاقطار الاسلامية ولصدم الاسلام صدمة أرجعته الى جزيرة العرب وحبسته فيها

أقول هذا على تقدير ان المراد من السؤال ترجمة القرآن وحسبان الترجمة قرآنا باعتبار أن العبرة بالمعاني كما قال بعض العلماء والاكتفاء بذلك . وأما اذا ترجم شيء من القرآن بقصد جعله وسيلة للدعوة الى الاسلام فلا بأس بذلك لاسيما اذا كان من تراد دعوتهم كالافرنج الذين يبحثون عن أصول الاديان ولا يكتفون بعرض آراء علمائها عليهم لانهم يعتقدون ان علماء كل دين تصرفوا فيه باجتهادهم أو بأهوائهم . ومن يترجم القرآن بعضه أوكله لهذا الغرض فعليه أن يبين في مقدمة الترجمة أنه نقل الى لغة كذا مافهمه هو من القرآن ان كان يعتمد على فهمه أو مافهمه فلان المفسر ويذكر من اعتمد على تفسيره . واذا اعتمد على غير واحد من المفسرين فليذكر أسماءهم واذا أشار في هامش الترجمة الى عزو كل قول الى قائله فذلك أفضل وأكمل

وحسب المسلمين من الأعجمين تقصيرا في حق القرآن ان فسروه بلغاتهم وكان الواجب عليهم ان يجتهدوا في تعميم اللغة العربية ويفهموه بالعبارة العربية التي أنزل بها . ولولا الصدمات السياسية التي صدمت الاسلام لظل أهل فارس ومن يجاورهم الى هذا الزمن ينطقون بالعربية كما كانوا في القرون الأولى للاسلام بل لكانت بلاد الهند والافغان والترك وجزء عظيم من بلاد الصين كبلاد سوريا ومصر لهذا العهد ولكان في ذلك للاسلام سياج من الوحدة لايخرق . واذا لم يسع المصلحون في تلك البلاد وأمثالها بتعميم اللغة العربية فماهم بمصلحين ولا عاملين للاسلام ، وليعلموا

ان اعتصامهم بالجنسية اللغوية لايمنعهم من ابتلاع أوربا لهم في يوم من الأيام ،

أما ترجمة أحد علماء الهند القرآن بلسان الأوردو فلم نسمع به ونرجو من قراء المنار فى الهند إعلامنا بالحقيقة

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

(رسالة في علم النفس وفلسفة الاخلاق للعالم العامل ع . ز)

(تمهيد) (١) ان للشرور أسباباً معظمها ناتج من أوهام باطلة . فيجب إحياء الحقائق وإزهاق الأوهام.

(٢) ان للأوهام أسباباً معظمها ناشئ من الجهل — البسيط والمركب — فيفرض تنوير الأذهان بقدر العلم وان كان قليلا .

(٣) ان للجهل أسباباً معظمها آت من قلة القراءة والكتابة الصحيحتين. فيلزم السعي في تكثير القراء الذين يفقهون مايكتب — كتابة صحيحة — والكتّاب الذين يعرفون كيف يكتبون

(٤) ان لقلة القراءة والكتابة — الصحيحتين — أسباباً معظمها صادر عن رداءة أصول التعليم . فيتحتم الدلالة على الاصول النافعة وتعويد الناس عليها .

(٥) ان لرداءة أصول التعليم أسباباً جلها من التقليد الأعمى وإهمال الفكر. فلا بد من النصح والتناصح بالتفكر .

(٦) ان للتقليد الأعمى أسباباً أكثرها ناجم عن اختلال شئون النفوس في حبها وبغضها فيتعين وصف علاجات تشفي من هذا الاختلال ولو قليلا .

هذه الفرائض المشروحة لايشك فى وجوبها عاقل ولكن من هم المكلفون بها؟ أنتم ياعلماء النفس مكلفون بهذه الفرائض . ومذ كلفت نفسي ان تتشرف بالدخول فى زمرتكم طفقت أطالع صفحات كتاب الوجود بعين البصيرة وأقيد النتائج فى دفتر الذاكرة . فهذا ماشجعني اليوم على أن أشارككم فى أعمالكم . ومن أجل هذه المشاركة حررت فصولا لتأدية بعض هذه الفرائض أكثرت فيها من التوضيح

وأقللت الفضول وتوخيت أسهل العبارات وأجمل الإشارات وراعيت فيها فهم الصغير (من حيث القراءة لامن حيث السن) والكبير ، ووهم الجليل والحقير ، وعدلت عن قيل زيد وعبيد واستمسكت بما أرسل الله لأبصارنا وبصائرنا من الأمثال .

واليكم ياقراء المنار الزاهر أقدم هديتي هذه (نظام الحب والبغض) بمساعدة منشئه العلامة المرشد أعلى الله مناره ، وأيده بعنايته ،

* * *

قطبان في الانسان عليهما تدور أحوال نفسه هما الحب والبغض . فهل يمكن إدخالهما تحت أحكام نظام ؟

(الجواب)

فى هاتين القوتين المتنافرتين تكلم الانبياء والمرسلون . والحكماء المتبعون ، والعلماء المعلمون ، والشعراء الواصفون ، والادباء المحاضرون ؛ وبهما تقارب الناس وتباعدوا ؛ وتحازبوا وتحاربوا ؛ واجتمعوا وتفرقوا ؛ وتعاونو وتخاذلوا ؛ ومن أجلهما طغوا واعتدلوا ؛ وأنصفوا وجاروا ؛

تكلم الناس كلهم في الحب والبغض ولكن اختلفت الاصطلاحات ؛ وتنوعت المقاصد ؛ واختلفت المشارب ؛ فتعددت الاسماء ؛ وكثرت الكلمات ؛ وتوفرت المعارضات والمجادلات ؛

فكلام الناس فيهما الدائر على مايجب ان يحب ومايجب ان يبغض يلوح ويصرّح بأنه من الممكن إدخال هذين المؤثرين تحت حكم « نظام »

وعلى هذا نكون نحن سالمين من الخطأ في تعبيرنا عن علم النفس واخلاقها بنظام الحب والبغض . بل نكون قد أصبنا عبارة هي أوضح من اخواتها فى الدلالة على هذا العلم النفيس المفيد .

هذا ـ أي امكان دخول الحب والبغض تحت نظام ـ رأي طوائف العالم على اختلافهم ؛ به تشهد الاديان والعقول ، وله تؤيد المشاهدة والتجربة . ولآخرين قليلين رأي آخر هو عدم الامكان

وسيرى الذين يخالفون بياناً شافياً فى هذا المقال . وسيذّكر فيه الموافقون .

ماهو الحب وما هو البغض

ان لحياة الانسان (كسائر الحيوانات) نظاماً عرف بعد وجوده ولم يعرف مبتدأ وجوده . وقد عرف ان هـذا النظام شبيه بنظام مملكة كثيرة الاجزاء بعض أفرادها مهم جداً خلوها منه يوجب خللا كبيراً فيها. وبعضها من قبيل الخدم والأعوان لايوجب خلوها منه خللا يذكر . وقد احتاج الناس من قديم الزمان لأجل التعريف بمعروفاتهم الى تسمية الاشياء باسماء يتواضعون عليها . فاما التي يشيع عرفها بين الناس فتصـير أسماؤها من قبيل مفردات اللغة التي يتكلمون بها بمعنى ان استعمالها العـام لمعناها المشهور يجعل معناها اللغوي المشهور عاما . وأما التي لايشيع عرفها الاّ بين العلماء منهم فتصير أسماؤها من قبيل مفردات العلوم التي يتداولونها . بمعنى ان استعمالها الخاص يجعل معناها المقصود عند العلماء خاصا . مثاله (١) كلمة «المبتدا» معناها العام «الأوّل» ومعناها الخاص عند علماء النحو الكلمة المسند اليها حكم من الاحكام. ومثاله (٢) كلمة «المجاز» معناها العام «الممرّ» ومعناها الخاص عند علماء البيان العدول في كلمة عن معناها الأصلي والأجزاء التي يتكون منها نظام الحياة قد سمي كل منها باسم وجرى على كل منها الاستعمال العام أما مجموع مابه نظام الحياة فسماه القدماء من أهل لغتنا «النفس» لكن هذه الكلمة لدلالتها عن مدلول عظيم شأنه قد اتخذها العلماء لمعنى غير الذي يفقهه منها العـامة من الناس . ومن ثمة كانت جديرة ان نقول انها «كلمة علمية» بمعنى ان لها معنى خاصا عند العلماء بخواصها وأحوالها .

«والحب والبغض» من هذا القبيل . أي انهما في اعتبار العامة كلمتان من جملة ماهو مشهور المعنى من مفردات لغتهم . وفي اعتبـار العلماء ــ علماء النفس ــ هما كلمتان مدلولاهما تحت النظر والبحث يتسائلون فيما بينهم عن تعريفهما .

على انه يجب ان نصرّح بأن العلماء من حيث الجملة كثيراً مايعرفون المعروفات ويوضحون الواضحات ، وكثيراً ماينتج من كثرة كلماتهم واصطلاحاتهم في توضيح الواضحات إبهامات يشغلون بها اذهان القارئين على غير جدوى . هذه حقيقة يجب ان لانتغافل عنها ، وان لانغفل ذكرها . وهي تفرض علينـا ان لانقلدهم في كل أبحاثهم وان لانشاركهم في الكلمات التي ابتدعوها في أكثر المواضع لالشيء الا حب توسيع مسافة الفرق بينهم وبين العامة .

ولكن لهذا الأمر مستثنيات هي التي تفتح لحسن الظن بنياتهم بابا كبيراً . وهذان الحرفان اللذان نحن بصددهما من مستثنيات هذا الامر . فكلنا نحب ونبغض ولكن في الحقيقة ما كل واحدمنا يعرف ماهو الحب وماهو البغض . ومن ثمة اختلفت تعاريفهما أيضاً بلسان العلم

والتعريف الموافق هو ان الحب اعتقاد خير راجع أو مناسب للنفس المحبة من الجهة المحبوبة (*) والبغض ضده فهو اعتقاد شرّ — الى آخر التعريف. وبهذا التعريف يمكننا بغاية السهولة ان نعرف العلة ونجيب عن هذا السؤال : « لماذا نحب ونبغض »

وهذا التعريف الحقيقي هو الذي سهل لنا الحكم بأن دخولهما تحت حكم « نظام » ممكن لأن هذا الاعتقاد قد يكون صوابا وقد يكون خطأ شأن كل اعتقاد . فكما أمكن بواسطة العلم ارجاع كثير من الناس عن خطأهم فى أشياء كثيرة يمكن ارجاع معتقد الخير والملائمة أو الشر والمباينة فى جهة من الجهات عن ذلك الاعتقاد فيما المرء يحب اذا هو يبغض . واذا سلمنا التعسر احياناً لانقول بالتعذر . وسيوضح هذا أمثلة كثيرة

﴿ حب الذات ﴾

وعلى حسب التعريف السابق للحب وضده . وعلى حسب التعليل المتقدم (لماذا نحب — لماذا نبغض) يظهر ان الانسان لايحب غيره الاّ لأجل ذاته فهو بهذا الحب لم يخرج عن حب ذاته الا بحسب الصورة فقط . فهل هذا صحيح ؟ وما الدليل عليه ؟ وهل محبة الذات أمر نافع أم أمر ضارّ ؟

نعم ان الانسان لايحب غيره الاّ لأجل ذاته . وهذه الحقيقة دقيقة جدّا يدركها بعض بالبداهة ولا يدركها البعض الاّ بالإيضاح . ونحن نجمل الكلام ونذكر رؤس المباحث التي تتعلق بأذيالها . ونشرحها قضية قضية موجزين : (١) الانسان يحب ذاته (٢) حب الذات فى أصله طبيعي نافع . «٣» ذات غيرنا كذاتنا فلا بد من حد

(*) المنار : ادراك النفس قسمان فكر ووجدان والاعتقاد من الاول والحب من الثاني وكذلك البغض فالحب شعور وجداني بأمر يلائم النفس لانه خير لها في نظرها والخير هو النافع واللذيذ والنفع يعرف بالفكر واللذة تعرف بالوجدان فوجدان الحب معلول لأحدهما أو كليهما

فى الحقوق لنا ولغيرنا . فحب الذات له حدود . (٤) اذا تجاوزنا الحدود فى حب الذات صار ضاراً . (٥) اذا لم نحب غيرنا لانقدر ان نقف عند الحدود (٦) اذا لم نحب ذاتنا ، لانقدر ان نحب غيرنا . (٧) بغض الذات مرض . (٨) قد يكون هذا المرض نافعاً اذا سلمت به النفوس من الشرور . (٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة ، «للكلام بقية»

آثار علمية

﴿ كتابة القرآن بالحروف الانكليزية ﴾

كتب بعض المسلمين فى الترنسفال الى جريدة فى مصر ثلاثة أسئلة لتعرضها على بعض علماء الازهر فعرضتها على الشيخ محمد بخيت فأجاب عنها ونشرت الجريدة أجوبته . أحد الاسئلة عن التزوج بأخت الرضيعة وجوابه معروف وهو انه لايحرم على الرجل الامن رضعت هي وإياه من امرأة وأما أخت الرضيعة فلاتحرم . والسؤال الثاني يتعلق بالاقتداء بالمخالف وبينا الراجح فيه عندنا فى آخر الجزء الماضي وأن فى المسألة قولين مصححين ولكن الشيخ ذكر ان الاصح خلاف مارجحناه وهو المذكور فى كتب الفقه وهم أسرى تلك الكتب .

وأما السؤال المهم فهو ما جعلناه عنواناً لهذه النبذة وقد أجاب عنه الشيخ بجواب ننقله عن تلك الجريدة مع السؤال ثم نبين رأينا فيه وهو :

«سؤال — ماقولكم علماء الاسلام ومصابيح الظلام أدام الله وجودكم هل يجوز كتابة القرآن الكريم بالحروف الانكليزية والافرنسية مع ان الحروف الانكليزية ناقصة عن الحروف العربية ومعلوم ان القرآن الكريم أنزل على لسان قريش فالانكليزي مثلا اذا أراد ان يكتب مصر بالانكليزية تقرأ «مسر» أو أحمد تكتب «أهمد» ويكتب «شيك» بمعنى شيخ لاسيما واخواننا المسلمون فى مصر يعرفون اللغة الانكليزية وغيرها والبعض من المسلمين فى جنوبي أفريقية فى جدال عنيف منهم من يجوّز ومنهم من يقول غير جائز . أفيدونا ولكم الاجر والثواب من الله تعالى

« جواب ــ اعلم ان القرآن هو النظم أي اللفظ الدال على المعنى لانه الموصوف بالانزال والاعجاز وغير ذلك من الاوصاف التي لاتكون الا للفظ . وأما المعنى وحده فليس بقرآن حقيقة . وقيل ان القرآن حقيقة هو المعنى ويطلق على اللفظ مجازاً . والحق هو الاول وعليه فلا يجوز قراءة القرآن بغير العربية لقادر عليها وتجوز القراءة والكتابة بغير العربية للعاجز عنها بشرط ان لايختل اللفظ ولا المعنى . فقد كان تاج المحدثين الحسن البصري يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية . وفي النهاية والدراية ان أهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسي ان يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكتب فكانوا يقرأون ما كتب في الصلاة حتى لانت ألسنتهم . وقد عرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه . وفى (النفحة القدسية فى أحكام قراءة القرآن وكتابته بالفارسية) مايؤخذ منه حرمة كتابة القرآن بالفارسية الا ان يكتب بالعربية ويكتب تفسير كل حرف وترجمته ، ويحرم مسه لغير الطاهر اتفاقا . وفى كتب المالكية ان ما كتب بغير العربية ليس بقرآن بل يعتبر تفسيراً له . وفى الاتقان للسيوطي عن الزركشي انه لم ير كلاماً لعلماء مذهبه فى كتابة القرآن بالقلم الاعجمي وانه يحتمل الجواز لانه قد يحسنه من يقرأه بالعربية والاقرب المنع كما تحرم قراءته بغير العربية ولقولهم القلم أحد اللسانين والعرب لاتعرف قلماً غير العربي وقد قال تعالى « بلسان عربي مبين »

« فتلخص من ذلك ان المنصوص عند الحنفية جواز القراءة والكتابة بغير العربية للعاجز عنها بالشروط المار ذكرها وان الاحوط ان يكتبه بالعربية ثم يكتب تفسير كل حرف وترجمته بغيرها كالانكليزية » اه

(المنار) : عندنا مسألتان إحداها ترجمة القرآن الى لغة أعجمية أي التعبير عن معانيه بألفاظ أعجمية يفهمها الأعجمي دون العربي وهذه هي التي سألنا عنها الفاضل الروسي ونشرنا السؤال والجواب في هذا الجزء . والثانية كتابة القرآن العربي بحروف غير عربية وهذه هي التي يسأل عنها السائل الترنسفالي . وقد رأى القراء أن جواب المجيب عنها مضطرب والنقول التي نقلها مضطربة لذلك رأينا أن ننقله ونحرر القول فى المسألة تحريراً

المقصود من الكتابة أداء الكلام بالقراءة فاذا كانت الحروف الأعجمية التي يراد كتابة القرآن بها لاتغني غناء الحروف العربية لنقصها كحروف اللغة الانكليزية فلا شك أنه يمتنع كتابة القرآن بها لما فيها من تحريف كلمه ومن رضي بتغيير كلام القرآن اختياراً فهو كافر. واذا كان الأعجمي الداخل في الاسلام لا يستقيم لسانه بلفظ محمد فينطق بها (مهمد) وبلفظ خاتم النبيين فيقول (كاتم النبيين) فالواجب ان يجتهد بتمرين لسانه حتى يستقيم واذا كتبنا له أمثال هذه الكلمات بحروف لغته فقرأها كما ذكر فلن يستقيم لسانه طول عمره . ولو أجاز المسلمون هذا للرومان والفرس والقبط والبربر والافرنج وغيرهم من الشعوب التي دخلت في الاسلام لعلة العجز لكان لنا اليوم أنواع من القرآن كثيرة ولكان كل شعب من المسلمين لايفهم قرآن الشعب الآخر

واذا كانت الحروف الأعجمية التي يراد كتابة القرآن بها مما تتأدى بها القراءة على وجهها من غير تحريف ولا تبديل كحروف اللغة الفارسية مثلا ففي المسألة تفصيل والذي نقطع به أن الكتابة بخطها لاتكون إخلالا بأصل الدين ولا تلاعباً به وان هو خالف الخط العربي فالفرق بين الخط العربي المعروف والخط الكوفي أبعد من الفرق بين الخطين العربي والفارسي ونرى علماء المذاهب متفقين على هذه الخطوط كلها ولكنهم يعتدونها عربية. واذا قيل إنها مختلفة اختلافا لا يكفي لمتعلم أحدها ان يقرأ الآخر كالكوفي والفارسي: نقول: قصارى مايدل عليه ذلك ان كل خط جائز بشرطه ولكن عندنا مايدل على أنه ينبغي الاتفاق على خط واحد. فهم المسلمون هذا من روح الاسلام فكانوا متحدين في كل عصر على كتابة القرآن بخط واحد يتبع فيه رسم المصحف الإمام لايتعدى الا الى زيادة في التحسين والإتقان. ذلك من آيات حفظ الله له وهو عندي واجب فان القرآن هو الصلة العامة بين المسلمين ، والعروة الوثقى التي يستمسك بها جميع المؤمنين ، ومن التفريط فيه أن يفد المسلم القاريء على مصر قادما من الصين فلا يستطيع القراءة في مصاحفها وكذا يقال في سائر الشعوب . وتصريح كثير من الأئمة بأن خط المصحف توقيفي وأنه لايجوز التصرف فيه يؤيد ماذهبنا اليه

ولقائل ان يقول : ان في هذا الرأي تضييقاً على نشر القرآن ، وتوسيع دائرة

الدعوة الى الاسلام ، وإننا نرى النصارى قد ترجموا أناجيلهم الى كل لغة ، وكتبوها بكل قلم ، حتى إنهم ترجموا بعضها بلغة البرابرة . فما بال المسلمين يضيقون ؛ وغيرهم يتوسعون ، ؟ ولنا ان نقول فى الجواب: إننا جوزنا ترجمة القرآن لأجل الدعوة عند الحاجة الى ذلك ولا شك ان الترجمة تكتب باللغة التي هي بها . ولكن المسلم الذي يقرأ القرآن بالعربية لايحتاج الى كتابته بحروف أعجمية الا في حالة واحدة وهي تسهيل تعليم العربية على أهل اللسان الأعجمي الذين يدخلون في الاسلام وهم قارئون كاتبون بحروف ليست من جنس الحروف العربية

واذا وجد للاسلام دعاة يعملون بجد ونظام كالدعاة من النصارى فلهم ان يعملوا بقواعد الضرورات ككونها تبيح المحظورات وكونها تقدر بقدرها ، فاذا رأوا أنه لاذريعة الى نشر القرآن واللغة العربية الا بكتابة الكلام العربي بحروف لغة القوم الذين يدعونهم الى الاسلام ويدخلونهم فيه فليكتبوه به ماداموا في حاجة اليه ثم ليجتهدوا فى تعليم من يحسن إسلامهم الخط العربي بعد ذلك ليقووا رابطتهم بسائر المسلمين

وكما يعتبر هذا القائل بترجمة القوم لكتبهم فليعتبر بحرص الأمم الحية منهم على لغاتهم وخطوطهم . اللغة الانكليزية أكثر اللغات شذوذاً فى كلمها وخطها ونرى أهلها يحاولون ان يجعلوها لغة جميع العالمين وهم يبذلون فى ذلك العناية العظيمة والاموال الكثيرة فما لنا لا نعتبر بهذا ؟؟

وفى جواب الشيخ محمد بخيت مباحث ليس من غرضنا الإحفاء فيها ونكتفي بأن نقول إن مايصح ان ينظر فيه من نقوله هو ما ذكره عن السلف فأثر سلمان ان أريد به انه كتب لهم ترجمة الفاتحة بلغة الفرس فكيف يكون ذلك وسيلة للين ألسنتهم ، وهم لم يقرءوا الا بلغتهم ، وان أريد به أنه كتبها بالخط الفارسي فالخط الفارسي قريب من العربي ولا دخل له أيضاً بلين الألسنة . والصواب أن الأثر غير صحيح . وأما الحسن البصري الذي ذكره فما هو الحسن التابعي المشهور وكأنه أحد الفرس الحنفية ولا حجة فى قوله فكيف يحتج بعمله . على ان فيه ما في الذي قبله وهو أن القراءة بالفارسية لايلين بها اللسان للعربية الا ان يقال كان يقرأ الترجمة حتى تمرن لسانه على العربية باستعمالها وممارسة الكلام فيها

باب التقريظ

(كتاب البؤساء)

هو أشهر ما كتبه شاعر فرنسا الحكيم . وأديبها العظيم ، « فيكتور هيجو » وهو هو الكتاب الذي رفع به ذكره ، وعلا في عالم المدنية قدره ، حتى صارت فرنسا تفاخر به العالمين ، وتحتفل لشيخوخته ولوفاته احتفالات لا يعهد مثلها للملوك والسلاطين ، وقد نقلت جميع الامم الحية هذا الكتاب الى لغاتها وهمّ به بعض المشتغلين بالتعريب فما أطاقوه وكأنهم هابوا بلاغته في لغته لانه في الذورة العليا مما كتب بالفرنسية حتى أقدم عليها محمد حافظ افندي ابراهيم المشهور برسوخ العرق في العربية وآدابها وطول الباع في التنقيح والتحرير ، والاجادة في المنظوم والمنثور ، فشرع فيه وسلخ في تعريب الجزء الاول منه اثني عشر شهراً — كما قال في المقدمة — وهو نحو ١٥٠ صفحة . وقد قدّم الكتاب الى الاستاذ الامام ، وحكيم الاسلام ، فشكر له الاستاذ ذلك بكتاب بليغ نستغني بنشره عن الكلام في مكانة التعريب من البلاغة : ومحله من الفائدة ، ونبدأ بما كتبه حافظ افندي في أول النسخة المطبوعة وهو :

الى الاستاذ الامام

انك موئل البائس ، ومرجع اليائس ، وهذا الكتاب أيدك الله قد ألمّ بعيش البائسين ، وحياة اليائسين — وضعه صاحبه تذكرة لولاة الامور وسماه كتاب البؤساء وجعله بيتا لهذه الكلمة الجامعة وتلك الحكمة البالغة (الرحمة فوق العدل)

وقد عنيت بتعريبه لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب ، وتصرفت فيه بعض التصرف ، واختصرت بعض الاختصار ، ورأيت أن أرفعه الى مقامك الاسنى ، ورأيك الاعلى . لأجمع في ذلك بين خلال ثلاث — أولها التيمن باسمك والتشرف بالانتماء اليك — وثانيها ارتياح النفس وسرور اليراع برفع ذلك الكتاب الى الرجل الذي يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام — وثالثها امتداد الصلة بين الحكمة الغربية والحكمة الشرقية باهداء ما وضعه حكيم المغرب الى حكيم المشرق

فليتقدم سيدي الى فتاه بقبوله والله المسؤل أن يحفظه للدنيا والدين . وان يساعدني على اتمام تعريبه للقارئين . اه

فأجابه الاستاذ الإمام بهذا التقريظ وهو :

لو كان بي ان أشكرك لظن بالغت في تحسينه. أو أحمدك لرأي لك فينا ابدعت في تزيينه. لكان لقلمي مطمع ان يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك. ويجري في الشكر الى الغاية مما يطلبه فضلك. لكنك لم تقف بعرفك عندنا. بل عممت به من حولنا، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا

زففت الى أهل اللغة العربية، عذراء من بنات الحكمة الغربية. سحرت قومها، وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تذبه منهم خامداً، وتهز فيهم جامداً. بل لاتنفك تحيي من قلوبهم ماأماتته القسوة. وتقوم من نفوسهم ماأعوزت فيه الاسوة. حكمة أفاضها الله على رجل منهم فهدى الى التقاطها رجلا منا فجرّدها من ثوبها الغريب. وكساها حلة من نسج الاديب. وجلاها للناظر. وحلاها للطالب. بعد ماأصلح من خلقها. وزان من معارفها. حتى ظهرت محببة الى القلوب. شيقة الى مؤانسة البصائر. تهش للفهم وتبش للطف الذوق. وتسابق الفكر الى مواطن العلم. فلا يكاد يلحظها الوهم الا وهي من النفس في مكان الالهام

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الاعجم مبلغك فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطريق ووصل منهم فريق الى مايحب من مقصده. ولكنه لم يعن بأن يعيد الى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ويرد اليها ماسلبه المعتدون عليها من متانة التأليف وحسن الصياغة وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه. أما أنت فقد وفيت من ذلك مالا غاية لمريد بعده. ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده. ولو كنت ممن يقول بالتناسخ لذهبت الى أن روح ابن المقفع كانت من طيبات الارواح فظهرت لك اليوم في صورة أبدع . ومعنى أنفع. ولعلك قد سننت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك. ويحملها الزمان الى أبناء مايستقبل منه. فتكون قد أحسنت الى الابناء كما أجملت في الصنع مع الآباء. وحكمت للغة العربية أن لايدخلها بعد من العجمة سوى ماهو في الاسماء ـ أسماء الاماكن والاشخاص ـ لاأسماء المعاني والاجناس. . ومثلي من يعرف قدر الاحسان اذا عم ، ويعلي مكان المعروف اذا شمل. ويتمثل في رأيه بقول الحكيم العربي :

ولو اني حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً
فلا هطلت عليّ ولا بارضي سحائب ليس تنتظم البلادا

فما أعجز قلمي عن الشكر لك وما أحقك بأن ترضى من الوفاء بالملفاء

تقول ان الذي وصل سببك بسر صاحب الكتاب ووقف بك على دقائق من معانيه اشتراكك معه فى البؤس، ونزولك منزلته من سوء الحال، وربما كان فيما تقول شيء من الحقيقة. فان كان البؤس قد هبط على صاحبه بتلك الحكمة، ثم كان سبباً فى امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة، سألت الله ان يزيد وفرك من هذا البؤس حتى يتم الكتاب على نحو ماابتدأ وان يجعلك فى بؤسك أغنى من أهل الثراء فى نعيمهم والسلام (محمد عبده)

وقد طبع الكتاب بمطبعة التمدن على نفقة صاحب السعادة احمد حشمت باشا مدير الدقهلية وهي أريحيـة لايعرفها أهل العربية في أنفسهم الا ما كان أيام سلفهم وثمن النسخة من الكتاب عشرة قروش أميريه وأجرة البريد قرش واحد وهو يطلب من ادارة المؤيد ومن مطبعة التمدن بمصر فنحث أهل العلم والادب على اقتنائه ونعدهم بنشر نموذج منه

(إعانة سكة الحديد الحجازية)

تتذكر أننا ذاكرنا صاحب الدولة مختار باشا الغازي فى مسألة إعانة هذه السكة عند مابدأوا بجمعها فقال كان من رأيي ان يفرض على كل مسلم مبلغ قليل فى كل سنة من سني العمل فيكون ذلك مع الموارد الأخرى المخصصة لنفقات السكة ريعا ثابتاً مقدّرا ويمكن معه تقدير الاعمال ولا يثقل على أحد من الناس. وكنت استحسنت هذا الرأي وقد ظهر لنا الآن أن مولانا السلطان لم يكن غافلا عنه ولكنه أطلق عنان الإعانة أولا ليظهر كرم المسلمين فى أول نشأة العمل ثم رجع الى هذا الآن فأصدر أمره بتعيين مبلغ أقله خمسة قروش على كل مسلم — وأي مسلم يعسر عليه دفع خمسة قروش في السنة ؟ ويسرنا ان مسلمي مصر قد اندفعوا الى تأليف اللجان وجمع الإعانات ونرجو ان يسبقوا غيرهم فى هذا المضمار ، وان كره لهم ذلك « أصحاب السعادة » النظار، فإن كراهتهم لاأثر لها في جلب منفعة ولا دفع مضرة « ورضوان من الله أكبر » وليعلموا أنهم أكثر مسلمي الارض رخاء وهناء وسعة الا ان يكون فى الصين من يفضلهم فى ذلك من حيث لاندري . ثم أنهم قد ذاقوا مرارة صدهم عن بيت الله وإقامة العقبات في وجوه مريدي الحج اليه ولا يدرون ماهو مخبأ لهم في المستقبل فليبادروا الى تسهيل سبيل بيت الله وأجرهم على الله وهو لايضيع أجر المحسنين

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاحد ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١ — ١٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر ﴾

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون * وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون *

عهد في سيرة البشر ان الامة توعظ وتنذر فاذا طال عليها الامد بعد النذير تقسو القلوب ، ويذهب أثر الموعظة من الصدور ، وتفسق الامة عن أمر ربها ، وتنسى مالم تعمل به مما أنذرت به ، أو تحرفه عن موضعه بضروب التأويل ، وزخرف القال والقيل ، ولقد يكون للمتأخر

منها بعض العذر لجهله بما فعل المتقدم وأخذه مايؤثر عنه بالتسليم لكمال الثقة وحسن الظن . بين الله تعالى هذه السنة الاجتماعية في سورة الحديد بقوله «ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» ولهذا كان تعالى يرسل الرسل بعضهم فى أثر بعض حتى لا يطول أمد الانذار على الناس فيفسقوا ويضلوا. ولا يعرف التاريخ شعبا جاءت فيه الرسل تترى كشعب اسرائيل لذلك كانوا بمعزل عن صحة العذر بطول الامد على الانذار . وفى ناحية عما يرجى قبوله من التعلل والاعتذار . لهذا قال تعالى بعد كل ماتقدم « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل » فلم يمر زمن بين موسى وعيسى آخر أنبيائهم الا وكان فيه نبي مرسل أو أنبياء متعددون يأمرون وينهون . كانه يقول : اعلموا يابني إسرائيل أنه ان كان لطول الامد على النبوة وبعد العهد بالرسل يد فى تغيير الاوضاع ونسيان الشرائع وكان في ذلك وجه لاعتذار بعض المتأخرين فان ذلك لايتناولكم فان الرسل قد جاءتكم تترى ثم كان من أمركم معهم ماكان

ذكر رسل بني إسرائيل بالاجمال لبيان ماذكر ثم خص بالذكر المسيح عليه السلام فقال « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » فأما البينات فهي مايتبين به الحق من الحجج القيمة والآيات الباهرة . قال الاستاذ الامام والمراد بها مادعا اليه من أحكام التوراة . وأما الروح القدس فهو روح الوحي الذي يؤيد الله تعالى به أنبياءه فى عقولهم ومعارفهم وهو هو المراد بقوله تعالى « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » ويطلق عليه

روح القدس لان التعليم الذي يكون به مقدس أو لانه يقدس النفوس كما يطلق عليه (الروح الامين) لان النبي الموحى اليه يكون على بينة من ربه فيه يأمن معها التلبيس فيما يلقى اليه قال تعالى في القرآن «نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين»

قال الاستاذ الامام: ذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بروح القدس الملك المسمى بجبريل الذي ينزل على الانبياء ومنه يستمدون الشرائع عن الله تعالى وهو على حد قولهم «حاتم الجود» وذكر بعضهم وجها آخر وهو أن المراد بها روح عيسى نفسه ووصفها بالقداسة والطهارة بمعنى إعاذته من الشيطان ان يكون له حظ فيه او لانه أنزل عليه الانجيل بالتعاليم التي تقدس النفوس بل قال بعضهم ان روح القدس هو الانجيل والمراد من الكل واحد وهو ان الله تعالى ارسل اليهم عيسى بعد ظهور رسل كثيرين فيهم بعد موسى وأعطاه مالم يعط كل رسول من أولئك الرسل من الوحي أو من قوة الروح وزكاء النفس ومكارم الاخلاق ونسخ بعض الاحكام وقد كان حظه مع ذلك منهم كحظ سابقيه الذين لم يؤتوا من المواهب مثلما أوتي

ماذا كان حظ أولئك الرسل من بني إسرائيل؟ كان حظهم منهم ماأفاده الاستفهام التوبيخي فى قوله «أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم» فاتبعتم الهوى وأطعتم الشهوات وعصيتم الرسل واحتميتم عليهم أن انذروكم ودعوكم الى أحكام كتابكم «ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون». كان المعهود فى التخاطب وكلام الناس ان تذكر هذه المساوي ثم يوبخون عليها ولكن طواها فى الخطاب وأدمجها فى الاستفهام لتفاجئ النفوس بقوة التشنيع والتقبيح، وتبرز لها فى ثوب الانكار والتوبيخ،

وفى ذلك الايماء الى ان هذه المعاملة السوءى مما لايخفى خبرها ، ولاتغيب عن الافكار صورها ، فلا ينبغي الالماع اليها، الافى سياق تقريع مجترحيها، وهذا من إيجاز القرآن ، الذي لايعرج اليه فكر الانسان ، وانظر كيف أورد خبر القتل بصيغة المضارع التي تدل على الحال لاستحضار تلك الصورة الفظيعة وتمثيلها للسامع حتى يمثلها فى الخيال ، وان مرت عليها القرون والاحوال ، لأنها أفاعيل لاتخلق جدتها ، ودماء لاتطير رغوتها ، وان مثل هذا التعبير ليمثل تلك الصورة المشوهة لأن الالفاظ اذا قرعت الذهن بمفهومها يتناول الخيال صورة ذلك المفهوم ويصورها بالصورة اللائقة بها ، فيكون لها من التأثير مايناسبها ، قتلوا من الانبياء المرسلين زكريا ويحيي عليهما السلام ويروى أنهم قتلوا في يوم واحد مئة وخمسين نبيا فان صح هذا فالمراد باولئك الانبياء من كانت نبوتهم محصورة فى الدعوة الى إقامة التوراة ، ودليلها محصوراً فى الإنباء ببعض المغيبات ، وكان هذا الفريق منتشرا فى اسباط بني إسرائيل وكثيراً بكثرتهم

وفى هذه الآية حجتان للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - حجة على بني إسرائيل وحجة على الذين يعجبون لعدم إيمانهم به وإجابتهم دعوته ، وبيان ان الجاحدة والمعاندة من شأنهم ومما عرف من شنشنتهم ، وناسب بعد هذا أن يذكر ماكانوا يعتذرون به عن الايمان به ، والاهتداء بكتابه ، بعد تقرير الدعوة ، وإقامة الحجة ، فقال « وقالوا قلوبنا غلف » الغلف بضم وسكون وبضمتين جمع أغلف وهو مايحيط به غلاف يمنع ان يصيبه شيء والمراد اننا لانعقل قولك ولا ينفذ الى قلوبنا مفهوم دعوتك فهو بمعنى قوله تعالى « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن

بيننا وبينك حجاب » وقد ردّ الله تعالى عليهم بما يشعر بكذبهم وعنادهم فقال « بل لعنهم الله بكفرهم » أي ان قلوبهم ليست غلفا لاتفهم الحق وانما أبعدهم الله تعالى من رحمته بسبب كفرهم بالانبياء السابقين وبالكتاب الذي تركوا العمل به وحرفوه اتباعاً لاهوائهم فهم قد أنسوا بالكفر وانطبعوا عليه فكان ذلك سبباً فى حرمانهم من قبول الرحمة الكبرى باجابة دعوة خاتم النبيين - هذا هو معنى اللعن وقد ذكرت معه علته ليعلم انه جرى على سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات وان الله لم يظلمهم بهذا وإنما ظلموا أنفسهم بالكفر الذي يستتبع الكفر والعصيان الذي يجر الى التمادي في العصيان، كما هي السنة فى أخلاق الانسان،

ولما كان ذكر اللعن معللا بالكفر الذي هو نتيجة تأثير أعمالهم السابقة فى نفوسهم وكان مما يخطر بالبال ان أولئك القوم لم يكونوا كافرين بل مؤمنين بالله وكتابه ورسله اليهم استدرك فقال « فقليلا ما يؤمنون » وانما القلة فى الايمان باعتبار ما يؤمن به من أصول الدين وأحكام الشريعة وبالنسبة الى اليقين فى الايمان، وتحكيمه فى الفكر والوجدان، ولقد كان القوم يؤمنون بالشريعة في الجملة وكما تعطيه ظواهر الالفاظ ولكنهم لم يلابسوها مفصلة تفصيلا ، ولم يفقهوا حكمها وأسرارها ، فلم يكن لها سلطان على قلوبهم . ولم تكن هي المحركة لاراداتهم فى أعمالهم ، وانما كان يحركها الهوى والشهوة . ويصرّفها عامل اللذة . فالايمان إنما كان عندهم قولا باللسان . وربما يلوح فى الخيال . تكذبه الاعمال . وتطمسه السجايا الراسخة والخلال . وهذا هو الايمان الذي لاقيمة له عندالله تعالى . ومن العجب ان نرى آيات القرآن تبطله بالحجج القيمة ، والاساليب المؤثرة ،

وأهل القرآن عن ذلك غافلون . فقليلا مايعتبرون ويتذكرون .

ومن مباحث اللفظ فى الآية ان كثيرا من المفسرين يزعمون ان (ما) زائدة وما هي بزائدة وفاقا لابن جرير الطبري وجل القرآن أن يكون فيه كلم زائدة وإنما تأتي (ما) هذه لافادة العموم تارة ولتفخيم الشي تارة ويقول ابن جرير انما يؤتى بها في مثل هذا المقام كمبتدأ كلام جديد يفيد العموم كأنه قال : فايمانا قليلا ذلك الذي يؤمنون به : وأما التي لتفخيم الشيء فكقوله تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم »

﴿الكرامات والخوارق﴾

﴿المقالة الرابعة عشرة فى أنواع الخوارق وضروب التأويل والتعليل﴾

﴿النوع السادس كلام الجمادات والحيوانات﴾

قال السبكي : ولا شك فيه وفى كثرته ومنه ماحكي أن ابراهيم ابن أدهم جلس في طريق المقدس تحت شجرة رمان فقالت له « ياأبا اسحق أكرمني بأن تأكل مني شيئاً » قالت ذلك ثلاثاً وكانت شجرة قصيرة ورمانها حامضا فأكل منها رمانة فطالت وحلا رمانها وحملت فى العام مرتين وسميت رمانة العابدين . وقال الشبلي : عقدت ان لا آكل الا من حلال فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي لآكل منها فنادتني الشجرة « أحفظ عليك عقدك ولا تأكل مني فاني ليهودي » فكففت يدي : هذه حكايات السبكي التي بنى عليها نفى الشك في هذا النوع وان لم تتفق مع أصله وشروطه ولم ترو بطرق صحيحة وأسانيد معروفة . واذا صح ان ابن أدهم والشبلي قد قالا مانقل عنهما في ذلك فالأقرب أنهما كانا يعنيان القول بلسان الحال فحمله بعض الناقلين على لسان المقال حبا في الإغراب او غلوا فى تعظيم الصالحين على ان من الصوفية من يقول بأن صفة الحياة سارية فى جميع المخلوقات حتى الاحجار والمعادن ويمرّون قوله تعالى « وان من شيء الا يسبح بحمده » على ظاهره فيقولون

انه تسبيح حقيقي قولي لالسان حال ودلالة أثر على مؤثر . والقضية ممكنة فى ذاتها ولا يبعد ان يكون لكل صنف من المخلوقات حياة تليق به بل هذا هو اللائق بالإبداع الالهي وانتظام العام ولكن البعيد ان يكون الجماد والنبات عالمين بسائر الشئون وناطقين بجميع اللغات، فيكلمان هذا بلسانه، ويفصحان لذاك عن بعض شانه ، وأبعد من هذا البعيد ان لا يكون ذلك الكلام المزعوم سنة عامة بأن يكون خروجا عن السنن الالهية لتحقق لابن أدهم شهوته ، وللشبلي عزيمته ، ومثل هذه الخارقة مما نقل عن عباد النصارى (كاسبيريدون العجائبي) وحكاياتهم فيها شبيهة بحكاياتنا وكل حزب بما لديهم فرحون

﴿ النوع السابع إبراء العلل ﴾

أشار السبكي فى الكلام على هذا النوع الى حكاية الرجل الذي لقيه السري السقطي ببعض الجبال يبرئ الزمنى والعميان والمرضى ، والى ماروي عن الشيخ عبد القادر الجيلي من انه قال لصبي مقعد مفلوج أعمى مجذوم : قم باذن الله : فقام معافى لاعاهة به . أقول وقد ذكر الشيخ علي القاري هذه الحكاية مفصلة فى كتابه (نزهة الخاطر الفاتر في مناقب السيد عبد القادر) وأوردتها في كتاب (الحكمة الشرعية) وقفيت من بعدها بحكاية أخرى لصاحب هذا الكتاب . وامثال هذه الحكايات كثير عن الصالحين جدا ولا شك عندي في ان الكثير منها صحيح لاشبهة فيه . وينقل مثله أيضاً عن رجال الدين المعتقدين من النصارى والوثنيين وقد وقع على يدي شيء من ذلك فى بعض الأمراض العادية ، وليس فى ذلك شذوذ عن السنن الطبيعية ،

ان الوهم يفعل فى شفاء الأمراض العصبية مالا يفعل العلاج ، ولا يوجد مثار للوهم أقوى من اعتقاد المعتقدين بالسلطة الروحانية والقوى الغيبية يؤتاها بعض رجال الدين ، ويكفي في توثيق عرى هذا الاعتقاد في المستعدين له ماينقل اليهم بلسان زيد وعمرو ، وهند ودعد ، من الحكايات الغريبة ، والوقائع العجيبة ، واذا رأى أحدهم بعينه واقعة منها أو بعض واقعة أو شبهة على واقعة كأن يرى فلانا الذي كان مريضا قد شفي بعد رقية رقي بها ، أو تميمة علقت عليه ، فهناك الجزم بأن كون الشيخ فلان يشفي المرض بالسر ، ويبرئ العلل بالبركة ، من القضايا اليقينية الاولية لايتسرب اليه الشك ، ولا يحوّم حوله الريب ، وان من ينكره فهو مريض الاعتقاد ، أو من أهل الجحود والإلحاد ،

عرف هذا الأطباء والعقلاء فاستعانوا بالايهام على معالجة الأمراض العصبية فنجحوا نجاحا عظيما وهم يتفننون فى تصوير الوهم بالصور المناسبة لحال المرضى فى اعتقاداتهم بل يخلقون لهم اعتقادات ببعض الاشخاص أو ببعض الادوية ويبالغون فى تعظيم شأنها حتى يشغلوا خيال المريض بها ثم يسلطونها على مرضه . وانك لترى حكيما من الحكماء يدعو الى منزله دجالا من الدجاجلة الذين يدعون التصرف فى الجان والسلطة على العفاريت الذين يسمون الاناسي — يدعوه ليعالج بايهاماته الدجلية امرأة عنده مصابة بمرض عصبي مما يسميه الأطباء (الهستيريا) بعد أن يعجز عنها الأطباء، ويخيب فيها كل دواء، فتشفى برؤية زيه وبزته، وشم بخوره وسماع رقيته ، ويعترف له ذلك الحكيم بأنه يفعل بكلماته وعزائمه ، مالا يفعل الطبيب بأدويته ومراهمه ، أتقول ان هذا الحكيم يعتقد بحقية هذه الخرافات ، ويدين بأن ذلك الدجال من أهل الخوارق والكرامات ،أم تقول أنه ساط الوهم على الوهم ، كما يدفع فى الجدل الرأي الفاسد بالدليل الفاسد ، وانه يرى المريض فى عصبه كالمريض فى عقله ، ذلك يتأثر بأوهام الدجل، وهذا يقتنع بمغالطات الجدل،؟

الامراض العصبية التي تفعل فيها الاوهام ضروب مختلفة منها بعض فنون الجنون ومنها مقدماته. ومن المصابين بها من يعتقد بالشيطان يخالط روح الانسان ويعتقد بأن لبعض لناس سلطانا على الشياطين بطريقة صناعية كالبدعة الذميمة التي يسمونها (الزار) : وهي منبع المآثم والاوزار ، أو بطريقة روحانية كبركات الشيوخ ورقاهم وعزائمهم : وتجد الذين ينتحلون هذا الامر بسلوك كل من الطريقتين يعيشون فى مثل هذه البلاد بأكل أموال الناس بالباطل فكثيرا مايوهمون من يرونه مستعدا لهذه الامراض من النساء والرجال بأنه مصاب بها وما هو بمصاب فيؤثر قولهم في نفسه فيمرض ويحكمهم فى نفسه يعالجونها كيف شاؤا . بل يحكمهم فى حاله وشرنه أحيانا وكثيراً مايزيدون الداء إعضالا بحمقهم وسوء سلوكهم

جاءتني جريدة المؤيد وأنا أكتب في هذا النوع فرأيت في رسالة الاسكندرية منها كلاما فى انتشار وباء الزار في تلك المدينة وفعله فى النفوس والأعراض مالم يفعل الطاعون فى الاجسام ، وفي الاموال والعروض مالم يفعل القمار والمدام ، وقد رأيت ان أنقل ما كتب الكاتب بنصه فاقرأه تحت عنوان بدعة الزار

﴿ مضار بدعة الزار ﴾

«أصدرت محافظة ثغرنا في الاسبوع الماضي أمرها الى أقسام المدينة بمراقبة النسوة المشتغلات بالزار لان جمعياتهن كثرت برواج خزعبلاتهن فألحقن بربات البيوت أضراراً أدبية ومادية لايحسن التغاضي عنها وعهدت المحافظة أمر تجسس هذه المحرمات الى مشايخ الحارات ظناً منها أنها تستفيد من دقة مراقبتهم وتضرب بواسطة نفوذهم على أيدي أولئك النساء الشريرات

«أما نحن فنقول ان أوامر نظارة الداخلية الصادرة من عشر سنين ونيف والمصدق عليها من مجلس علماء الازهر الشريف وافتائه بتحريم استعمال بدعة الزار الشنيعة لم تكن فى حاجة الى أوامر جديدة وهمة حديثة ليقال معها ان حكومتنا اليوم التفتت الى ضرر لتلافيه ونظرت الى محرم فلاحقته بعدلها بل يجب أن تصرح بأنها أغضت زمنا عن واجب مقدس ثم تنبهت الى نظام موضوع من أجله فهبت الآن لتلافي الشر ووقاية هاته العيلات وثروتها وآدابها من نتائجه الكثيرة التي منها الاملاق والجنون والطلاق والمروق عن جادة الاستقامة والعفاف وغير ذلك من الاضرار الظاهرة التي لاتحتاج الى استطلاع وفلسفة

«أما الاملاق والجنون فيكفي أن نشير اليهما بحادثة امرأة أشفقت على ابنتها المصابة بمرض عصبي (هستيريا) فالتجأت الى الزار فصارت تبذل لهن مطالبهن الكثيرة من ذهب وطعام وغنم ودجاج حتى احتاجت الى المال فباعت كنها الوحيد الذي يستظلون به ويلجأون اليه وكانت النتيجة جنون الفتاة وموت أمها غما وقهراً لان ألعاب الزار وأوهامه من شأنها أن تثير العواطف وتنبه الاعصاب الى ما كمن من الداء فيظهر بشدة حينئذ ويصبح على التوالي ملكة لايرضيها غير هذه الاعمال الخيالية النفسانية فبدلا من تسكين لاعجه يزداد شراً على شر ويكون من نتائجه الجنون وكفى بالفقر مذهباً للرشاد ومضيعا للعقول

«وكم من زوج طاق عرسه لتبذيرها ونبذها طاعته فى سبيل هذا الزار الذي استحكم فصار عادة بين النساء وموضع افتخار بعضهن وقليل من العقل والروية يكفي لنبذ الرجل زوجته ازوالت معاندته والعمل على اساءته وهي لاتدري انه البر الرؤف

بها في منعها عن الانغماس فى حمأة هذه الاوضار بل تظن به الشح والوسواس والكفر والكراهة الى غير ذلك من الظنون السخيفة التي تزرعها نساء الزار في رءوس البسيطات من هؤلاء الامهات والفتيات فيقضين على راحتهن ومستقبلهن قضاء مبرما بالتفرقة والخراب وكفى بهذه النتائج المحزنة داعياً الى التفات الحكومة ومطاردتها للمشتغلات بهذه الدنايا والرزايا

«أما المروق عن جادة الاستقامة والعفاف فهذا كثير فان لقهرمانات الزار فنونا وحيلا ينفر منها ابليس ويستعيذ بسلبها منهن بالله لانها فوق قدرته لو أبناها فى هذه العجالة وقليلها يكفي للاشارة الى سوء الحال وشر المآل

«حكي ان امرأة تعشقها سفيه دنيء فاحتال للوصول اليها كثيراً حتى لجأ الى نساء الزار فلعبن دورهن مع المرأة حتى أثرن عليها بأنها ملموسة بروح شريرة مما يعبرن عنه (بأن عليها شيخ) وعند ماملكنها بهذه الخزعبلة قلن لها ان شيخك يحب شابا صفته كذا وكذا الخ الخ . ولا سبيل لسكون هذا القادر الا باجتماعهما وما زلن بها حتى رضيت بالشاب فكان من اجتماعهما ما كان من سكون لواعج النفس بطرد حركة الشيخين ... وكثيراً مايجمع النسوة الشريرات مدبرات الزار الرجال بالنساء ويمهدن سبل الدنايا والموبقات على أشكال وضروب لا يليق بيانها وبذلك تتقوض أسس المحبة الزوجية فتكون العواقب أشد وخامة على الذرية التي لم تجن ماجناه الابوان من جهلهما وتساهلهما

«والغاية من رسالتي هذه اني أريد افهام الحكومة ان تكليفها مشايخ الحارات بمراقبة المشتغلات بالزار ومنازل طلابهن ومريديهن لاخير فيه ولا فائدة لانها تفتح لهؤلاء المشايخ المزاقين باب رزق وسيع فانهم يسعون الآن باحثين منقبين على من يحيي ليالي الزار وأيامه ليستفيدوا أتاوة الصمت والتغاضي وهو ربح حسن يفضل الارباح العائدة عليهم من المخافر والضمانات وغيرها ... وبذلك يزيد الزار انتشاراً وضرراً »اه بنصه

(المنار) ان مارآه الكاتب في مشايخ الحارات صحيح فانهم قوم لا خلاق لهم. واذا كان وجهاء الناس والذين يظن فيهم العقل والأدب والدين يخدعون للنساء المنتحلات لبدعة الزار الضارة ويعتقدون نفعها فماذا عسى ينتظر من مشايخ الحارات وأ كثرهم

من التحوت والغوغاء الذين يشترون بالآداب والأعراض ثمنا قليلا ولو جعلت الحكومة لمن يدلها على ذلك جعلا ولو قليلا لما خفي عليها شيء ولتيسر لها أن تستئصل هذه البدعة الضارة استئصالا

ومن العجائب ان الرجال يسمعون بآذانهم ويقرءون بألسنتهم ويشاهدون بأعينهم مفاسد الزار وفتكه بالأموال والاعراض وإفساده للاخلاق والعقائد وهم مع ذلك يسمحون لنسائهم بعمله وبحضوره فأي شرف وأي نخوة بقي عند هؤلاء الرجال السفهاء الاحلام الميتي الإرادة ؟ والله لو صلح الرجال لما فسد النساء ووالله ما أفسد النساء الا الرجال فلعن الله من لا غيرة له ، ولعن الله من لا نخوة له ، ولعن الله من لا شرف له ،

***

لكل قوم نصيب من الوهم يليق بحالهم واعتقادهم وقد ألمعنا الى بعض شأن الذين يعتقدون بالارواح الخيرة والشريرة وأما الماديون والروحيون الذين يعتقدون ان الارواح أمور غيبية لا سلطان لها الا في أبدانها التي تحيا بها وأن لجميع الامراض أدوية يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (كما ورد فى الحديث) فان للوهم منافذ أخرى الى نفوس المصابين بالامراض العصبية منهم كالاعتقاد ببراعة الاطباء واكتشافاتهم واختراعاتهم ، وبأخبار الذين شفوا بمعالجاتهم ، وان كثيراً من أطباء أوربا وأمريكا يُعالجون امثال هؤلاء المرضى بالادوية الوهمية . حكي ان امرأة منهم أعضل داؤها ، وعز شفاؤها ، فجاء بعض الاطباء الذين كانوا يعالجونها وقال : ان كل تلك الادوية التي كانت تداوى بها من المسكنات وانه لم يبق الا علاج سام خطر هو الشافي قطعا ولكن لا يمكنني ان أعطيها منه الا بشروط منها أن لا تزيد عن المقدار الذي أعينه نقطة من السائل ولا مقدار ذرة من الجامد ومنها ان تأخذه فى المواقيت المعينة لا تتقدم دقيقة ولا تتأخر دقيقة ومنها أن نكتب كتابة ونسجلها فى المحكمة بأنه لا تبعة عليّ ولا مطالبة اذا هي ماتت مسمومة لأنني لا آمن من مخالفتها فى المواقيت او المقادير : وقد تردّد أهل المريضة في قبول الشروط ولكنها هي قبلت بها لان المرض كان منعها المنام والراحة فما زالت تلحّ عليهم حتى قبلوا وكان شفاؤها في ذلك الدواء ، ولم يكن الا الدقيق والسكر والماء ،

عرف الناس تأثير قوة الاعتقاد الوهمي فضربوا لها المثل «لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه» ويظن بعض العامة ان هذا حديث لأنه مؤد لامعنى العام بعبارة وجيزة وبذلك امتازت الاحاديث النبوية.

ثم ان الجهل بأمور الدين والدنيا معاً فسره لأهل هذا العصر بغير معناه وان شئت قلت بنقيضه فهم يزعمون ان فيما يعتقد — وإن حجراً — نفعاً حقيقياً ثابتاً له لاينفك عنه ، فهم يتمسحون ببعض الاحجار، ويتعلقون ببعض الاشجار، ويتبركون بمياه بعض الآبار ، ويعتقدون ان فيها خواص تشفي الامراض ، وتقضي الحوائج والأغراض، ثم إنهم يلصقون ذلك بالدين ورجالاته. ويعدونه من دلائل صدقه وآياته، ويغفل أهل كل ملة عن مشاركة أهل الملل الأخرى لهم فيمايدعون ، واستدلالهم بمثل مايستدلون ،

كتبنا غير مرة فى مفاسد الاعتقاد بهذه الجمادات والاشجار كعمود الرخام فى المسجد الحسيني وباب المتولي وشجرة الحنفي ونعل الكلشني وغير ذلك. ولم ينس قراء المنار بل أهل مصر كلهم ما كان منذ سنتين ونيف فى المسجد الحسيني من الجلبة والضوضاء فى آخر الدرس الذي كنا نلقيه هناك اذ نهينا الناس عن التمسح بالعمود الذي يسمونه عمود السيد استشفاء به وطلباً للبركات منه فاحتج علينا بعضهم بالمثل الذي جعله الجهل حديثاً نبوياً ولما بينا لهم معنى المثل وكونه غير حديث وأنه لو كان حديثاً وكان معناه زعموا لكان حجة على نفع عبادة الاصنام قبل ذلك الجماهير وكان في الصفوف البعيدة من حاضري الدرس من لم يفهم القول فطفقوا يتساءلون: ماذا قال فى الحديث ماذا قال في الحديث : فاجاب بعض الذين وعوا القول بالصواب ودس بعض المرجفين أقوالا كانت مثار اللغط والضوضاء كقولهم انه أنكر حديث رسول الله (بمعنى كذبه) وقولهم انه قال ان سيدنا الحسين صنم لاينفع ولا يضر وأمثال ذلك

أليست هذه الفتن والبدع والعقائد الفاسدة المفسدة للعقول والارواح ناشئة كلها عن الاعتقاد بهذا النوع من الخوارق الوهمية التي دخلت في الدين من تلك الاقاويل التي أثبتها مثل التاج السبكي من غير بينة ولا بيان ، ولا حجة ولا برهان ، الا زعم فلان ودعوى فلان ، ؟ بلى

هذا وجه من وجوه تعليل ما نقل فى هذا النوع وهو معقول مقبول وعليه أكثر العقلاء . وبقى وجه آخر يقول به بعض الناس فى بعض الوقائع — ونعني بالناس أهل العلم والبحث — وهو تأثير النفس فى النفس ويعبر عنه الصوفية بتأثير الهمة ويثبتونه لغير المسلمين حتى الوثنيين وهو ثابت عند حكماء اليونان والعرب وغيرهم وحكى ابن خلدون وقائع منه .

معهود عند جميع الناس رؤية أشخاص يرفعون قنطارا (مصريا) عن الارض وقلّ من رأى بعينه أشخاصا يرفعون عدة قناطير فاذا قيل لهؤلاء ان قيصر روسيا السابق كان يأخذ كرتين من الحديد كل منهما عدة قناطير ويقذفهما فى الجو واحدة بعد أخرى ثم يتلقى كل واحدة بيد قاذفا إياها فى الجوّ ويعيد ذلك المرة بعد المرة زمنا طويلا — ينكر أكثر المعروفين بالعقل والروية هذه الرواية لان فى الناس المولع بانكار الغرائب التي لا يعهد مثلها كما ان منهم المولع بنقل الغرائب التي لا يعهد لها نظير .

ويعهد جميع الناس ان يروا حزينا فتؤثر فيهم حالته حتى يمتعضوا وربما بكى فأبكى ويعهد قليل من الناس من تأثير بعض الوعاظ ما توجل له القلوب وتذرف منه العيون ويحمل كثيرا من الناس على الرجوع عن حال الى حال ، وعلى الخروج من العقار والمال ، وليس هذا تأثير الكلام خاصة وإنما العمدة فيه على تأثير النفس . وقد كان بعض الوعاظ الصالحين يعظ فيتوب قوم ويبكي ناس ويموت آخرون فقيل له ان فلانا أفصح منك في التذكير لسانا ، وأوضح بيانا ، فما بال كلامه لا يؤثر ، ولا يستتيب ولا يستعبر ، فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة : يريد ان التأثير بالحال ، لا بزخرف المقال ، — واذا قلت لهؤلاء الناس ان فى الناس أفرادا لهم قوة نفسية ، وهمة روحانية ، اذا وجهوها الى نفس أخرى فانها تؤثر فيها التأثير الذي يريدونه متى صح التوجه ينغضون رءوسهم وينكر اكثر أهل البحث والروية هذه الرواية . واذا دام أهل العلم في الغرب على بحثهم في الامور الروحية فان هذه المسألة ثبتت عندهم بالتجربة التامة . وكما يكون هذا التأثير فى شفاء المرضى يكون فى إحداث الامراض ولبعض الناس فى كل أمة استعداد قوي له اذا استعملوه زاد قوة وتأثيرا

شبهات النصارى وحجج المسلمين

(تتمة الكلام في الشبهة الثانية على القرآن)

(الشاهد الرابع) زعم المعترض ان مافي سورة المؤمن من ان موسى أرسل الى فرعون وهامان وقارون يدل على ان قارون من قوم فرعون فهو مناقض لقوله تعالى في سورة القصص « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم »

ونقول في الجواب ان كون قارون من قوم موسى مجمع عليه عند المسلمين سلفهم وخلفهم كما قال ابن عطية وقالوا انه من ذوي القربى لموسى عليه السلام ولكنهم اختلفوا في جهة القرابة فنقل عن ابن عباس وغيره انه كان ابن خالته وقيل غير ذلك مما لا يعنينا ولم يفهم أحد من العرب ولا ممن بعدهم من أهل اللغة ما فهمه هذا النصراني في آخر الزمان قال تعالى في سورة القصص ان رجلا اسمه قارون كان من قوم موسى وكان طاغيا بطرا بماله فبغى على قومه بني اسرائيل فأنذروه عاقبة البغي ونصحوا له بأن يبتغي بماله الدار الآخرة الى مايتمتع به من الدنيا فلم يقبل وكل هذا يدل على أنه كان كافراً طاغياً جاحداً من قوم سبق لهم إيمان وكتاب . وقال في سورة المؤمن انه ارسل موسى الى فرعون وهامان وقارون فذهب بعض المفسرين الى ان قارون هذا كان مصريا وكان قائداً لجند فرعون وذهب بعض الى أنه قارون الاسرائيلي ولكنه ذكره مع فرعون ووزيره هامان لانه كان رئيساً باغياً مثلهما وهؤلاء الرؤساء الطغاة البغاة هم الذين يحولون بين الرسل والامم وإنما أرسل الله تعالى موسى لهداية بني اسرائيل كما علم من النص ومن الواقع . ولما كان بنو اسرائيل مستعبدين مقهورين لفرعون وكبار أعوانه كهامان وقارون ابتدأ موسى بدعوة هؤلاء بأمر الله تعالى حتى أراهم آياته وكانت العاقبة إخراج بني إسرائيل من مصر وإيتاءهم الشريعة

لا دليل بل لا شبهة على التناقض في قول من القولين - أي مانع يمنع أن يكون هناك قارونان في زمن واحد اوزمنين مختلفين فان قارون قوم موسى ذكر ولم يذكر في قصته أن موسى نصح له أو دعاه الى شيء بل جاء فيها ان قومه هم الذين نصحوا له « اذ قال له قومه لا تفرح » الى آخر الآيات فيجوز بل يقرب انه كان بعد موسى . ثم أي مانع يمنع ان يتخذ فرعون لنفسه رجلا اسرائيليا باغيا فسق عن تقاليد قومه وصار

لايهمه الا بيع مصالحهم بما ينفع شخصه ويجعله عونا له على الاسرائيليين ويحكمه فيهم لانه أعلم بدخائلهم، وأدرى بمقاتلهم ، أليس من المعهود فى كل زمان أن يستعين الذين يحكمون أقواما غير قومهم بأفراد من أولئك الاقوام يبيعون مصالح قومهم للحكام الاجانب بالمال والجاه لاشخاصهم فلماذا يستنكر ان يصطنع فرعون لنفسه طاغية من الاسرائيليين يكون واسطة بينه وبينهم فيما يريد من ضروب الاستبداد والاستعباد ؟ ثم اذا فرضنا انه لم يكن عاملا لفرعون ولا صنيعة له وإنما كان أغنى بني اسرائيل وأقواهم سلطاناً وأنفذهم شوكة كما تدل عليه سورة القصص أفليس هذا مسوغاً لان يذكر مع فرعون وهامان وقد استن بسنهما، وجرى على طريقتهما ؟ بلى ولكن الذي يتلمس التناقض في القرآن ، لايظفر الا بمثل هذا الخذلان ،

(الشاهد الخامس) زعم ان قوله تعالى فى موسى « فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم » يناقض قوله تعالى « اذ أوحينا الى أمك مايوحى أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه فى اليم » فان هذا القذف لم يكن الا هروبا من أن يقتله قوم فرعون فدل ذلك على أنهم كانوا يقتلون الاطفال قبل بعثته .

ونقول فى الجواب أولا ان هذه الآية لم تعلل بهذا التعليل وإنما ذكرت غايتها المقصودة منها بالنص وهي قوله تعالى « يأخذه عدوٌّ لي وعدوٌّ له » أي ان الغاية من قذفه فى اليم أن يأخذه فرعون ويربيه فيكون من أمره بعد ذلك مايكون . وثانيا ان الامر بقتل الابناء أولا لاينافي إعادته ثانيا لاجل التأكيد والتشديد عند وجود المقتضي . ومثال هذا حاضر بين أيدينا – نظار الحكومة المصرية كانوا نهوا جميع المستخدمين في الحكومة أن يجمعوا أموالا لاعانة سكة الحديد الحجازية أو يساعدوا الجامعين وكان ذلك من عدة سنين ثم أعادوا هذا النهي الآن بمناسبة توجه الناس الى الاعانة بعد أمر السلطان بمطالبة المسلمين كافة باعانة اختيارية أقلها خمسة قروش على الشخص وأكثرها غير محدود . وقد ذكرت الجرائد هذا وذاك فهل يقال ان النهي الثاني مناقض للنهي الاول ؟ كذلك كان فرعون قد أمر القوابل بأن يقتلن أبناء بني إسرائيل ليقل نسلهم فلما ظهر موسى ودعاه لى اتباعه والى إرسال بني إسرائيل معه أكد الامر الاول وأعاده او أمر بما هو أشد منه وهو ان يقتل الابناء جهراً ، هذا الامر موافق لذلك لامناقض له فان التناقض أن تكون احدى القضيتين موجبة والاخرى سالبة كقول يوحنا فى الفصل الخامس من انجيله حكاية عن المسيح عليه السلام « ٣١ ان كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقا » مع قوله فى الفصل الثامن

« ١٤ أجاب يسوع وقال لهم وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق » ارأيت أيها القارئ المنصف لو كان يوجد فى القرآن أمثال هذا التناقض ماذا كان يقول ويكتب هؤلاء الجاحدون الذين يسمون الحكاية عن الامر بمعنى الامر تناقضا ويسمون اختلاف القضيتين فى الايجاب والسلب توافقا يدل على الالوهية ؟؟

(الشاهد السادس) زعم المعترض ان قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقوله عز وجل « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » مناقضان لقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وقوله عز شأنه « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تبارك اسمه « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

ونقول فى الجواب ان للمعترض بعض العذر أن لم يفهم هذه الآيات حتى توهم أنها متناقضة وان كانوا يقولون ان الذي كتبها أو صححها هو أعلم النصارى بالعربية (الشيخ ابراهيم اليازجي) فان هؤلاء ينظرون فى كتاب الله ليعترضوا لا ليفهموا ولو ابتغوا الفهم لفهموا على ان منهم من يفهم ويكابر نفسه ويماري الناس فيقول غير ما يعتقد

معنى الآيات ظاهر وان كان للمفسرين فى فهم بعضها وجهان فأما الآية الاولى فمعناها ان كل أمة من الامم المؤمنة بالوحي والانبياء لا تكون آمنة ناجية بمجرد انتمائها الى دين النبي الذي بعث فيها ولكن الناجين منها هم الذين يصح ايمانهم بالله وباليوم الآخر ويكون على وجه الحق ويعملون الصالحات . وهذا حكم لا يعارض كون الدين اختياريا لا إكراه فيه ولا الزام ولا يعارض الاذن بمحاربة المعتدين من الكافرين والمنافقين ولا البغاة من المؤمنين فان الله تعالى أمر بقتال الطائفة الباغية حتى تفيء الى أمر الله

وأما الآية الثانية فمعناها ان الدين يقوم بالدعوة والدعوة تؤيد بالحجة وبيان الرشد فى الايمان من الغي فى الكفر

وأما الآية الثالثة فمعناها أن الاسلام هو دين الانبياء الذي كان عليه ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولا يقبل الله تعالى دينا غيره فى الآخرة ولم يكن يعني من الاسلام الذي دعي اليه الناس فى القرآن ما سيكون عليه الطوائف الذين يسمون أنفسهم مسلمين كيفما كانت عقائدهم وتقاليدهم حتى المجسمة والباطنية والنصيرية وانما معناه الدين الذي روحه إسلام الوجه (القلب) الى الله تعالى والاخلاص له في العبادة والطاعة كما قال « فقل أسلمت وجهي لله ومن

اتبعني » وقال « ملة أبيكم ابراهيم هوسماكم المسلمين من قبل » وقال « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » فعلم من هذه الآيات وأمثالها ان المراد بالاسلام دين الانبياء من ابراهيم الى محمد عليهم السلام . ولقد كان الانبياء من قبل إبراهيم على دينه ولكن ابراهيم أقدم الانبياء الذين لم يمت ذكرهم ولم ينقطع التوحيد من ذريته . وهذا المعنى مطابق لمعنى الآية الاولى مطابقة تامة

وأما الآية الرابعة الآمرة بجهاد الكفار والمنافقين فليس فيها كلمة تومئ الى ان الجهاد لاجل الإكراه على الدين كيف والمنافقون كانوا متلبسين بالدين في الظاهر وكان النبي يعاملهم معاملة المسلمين حتى ان المفسرين قالوا ان الجهاد لا يصح هنا الا اذا كان بمعنى المحاجة بالبرهان فان الجهاد في اللغة ليس بمعنى القتال وانما هو بذل الجهد في مقاومة شيء ولذلك أمرنا بجهاد أنفسنا اي بذل الجهد في مقاومة شهواتها ، ويصح ان يكون الامر بجهاد الكافرين والمنافقين معا بمعنى مقاتلتهم اذا كانت الآية نزلت في مثل غزوة الاحزاب التي اتحد فيها طوائف المشركين مع اليهود والمنافقين من الفريقين على استئصال المسلمين وفيها هدد الله المنافقين بقوله «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا»

نعم ان القتال شرع في الاسلام لمقاومة المعتدين وتأمين المؤمنين الذين كانوا يفتنون عن دينهم في أنفسهم وأهليهم ويدل على كونه مأذونا فيه للضرورة الآيات الواردة فيه . أول هذه الآيات نزولا آية السيف وهي قوله تعالى «أذن للذين يقاتلون (بفتح التاء) بأنهم ظلموا (بضم الظاء) وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » ولا تنس قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين »

وأما الآية الخامسة وهي قوله تعالى «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله » فهي مطابقة لهذه الآيات وللمعنى الذي قلناه في حكمة الإذن بالقتال أي قاتلوا هؤلاء المعتدين عليكم لانكم مؤمنون والذين يفتنونكم عن دينكم ليردوكم الى دينهم ان

استطاعوا حتى تزول هـذه الفتنة والاعتداء لاجل الدين ويكون الدين خالصاً لله لايكره عليـه أحد ولا يفتن عنه أحد أي ليتقي الاكراه بالالزام به والارجاع عنه وتكون الدعوة اليه أمينة لتظهر الحجة. هذا هو معنى الآيات لايقبل تأويلا وهي ملتئمة يؤيد بعضها بعضاً

(الشاهد الثامن) زعم المعترض ان قوله تعالى حكاية عن المسيح « والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » مناقض لقوله « وما قتلوه وما صلبوه » ـ الى قوله « بل رفعه الله اليه » والجواب ان الله تعالى ذكر في آية أخرى ان الرفع يكون بعد الموت وهي قوله « ياعيسى إني متوفيك ورافعك اليّ » فنفي القتل والصلب لايستلزم نفي الموت بل جرى عرف اللغة على ان لايعبر بالوفاة والموت عن القتل والصلب بل عمن يموت حتف أنفه . وبهذا وما قبله تبين ان شواهد المعترض على تعارض القرآن وتناقضه ظاهرة البطلان ويبعد ان يكون مثل ذلك المؤلف (الانكليزي) والمصحح (الشامي) والناقل (القبطي البروتستنتي) معتقدين بها وانما هم سيئوا القصد يحبون ان يشككوا عامة المسلمين في دينهم ليجذبوهم بحبال الاوهام الدنيوية الى ذلك الدين الذي يضم الشاكين والملحدين ، ويؤلف منهم عصبية لمقاومة المسلمين ،

القسم العمومي

نظام الحب والبغض ـ تابع ويتبع

(١) الانسان يحب ذاته ـ قضية يؤيدها الحس وبها تعلل كل اعماله وكل محباته ومن محبته لذاته تحمله الأتعاب العظيمة والآلام الشديدة في العاجل لأمله ان تبقى ذاته وتنال خيراً في الآجل . وهذا أعظم الأمثلة لمحبة الانسان ذاته .

(٢) حب الذات في أصله طبيعي ونافع ـ هذه المحبة تخلق مع الانسان من قبل ان يعرف نفسه وغيره ، ومن قبل ان يعرف النافع والضار ، والدليل على ذلك انه منـذ يبدأ ان يعرف النافع والضارّ من طريق الحس يبدأ ان يحب مرضعته قبـل سواها . وهل يقـدر أحد ان يعلل محبـة الطفل لمرضعته بشيء غير طبيعي ؟ وهل ذلك الشيء الطبيعي أمر غير محبة الأنسـان ذاته بحسب الجبلة؟ ولا ريب في ان هذا

الشيء الطبيعي نافع لازم . أما كونه لازماً فقد يدلنا عليه كونه طبيعيا لانه من المجرب عند قراء سنن الوجود ان الشيء متى كان وجوده لازماً من اللوازم العامة كان طبيعيا وأما كونه نافعاً فلأنه الأساس الأعظم في حفظ الشخص وبقاء النوع . وستأتون على تفصيل هذا الاجمال مرات كثيرة . ومن المجرب المحقق ان محبة المرء ذاته تنمو فيه على التدريج منذ طفوليته الى ان تكمل رجوليته . ونفعها ينمو على هذا الوجه وأعظم آثارها شيئان طبيعيان متضادان تنشأ عنهما آثار متضادة أيضاً . هما شهوة تجذب ، وغضب يدفع .

(٣) ذات غيرنا كذاتنا ، فلا بد من حد في الحقوق لنا ولغيرنا ، فحب الذات له حدود – قل ان نجد قضية مستغنية فى ذاتها عن قيود وشروط فقولنا « محبة الذات نافعة » قضية لاتسلم من الجرح الا اذا ساعدناها بشرط وقيدناها بقيد . وهذا الشرط مشروح بكلمة « ذات غيرنا كذاتنا » وتوضيحه اننا اذا لم نضع لذاتنا حدا لايضع غيرنا لذاته حدا . فما نطلبه لذاتنا يطلبه غيرنا لذاته.ويظهر من هذا ان محبة الذات لاتكون نافعة الا اذا كانت تابعة لنظام وواقفة عند حد . وينتج ذلك ماترى:

(٤) اذا تجاوزنا الحدود فى حب الذات صار ضاراً . كيف لاوجميع مانسميها شروراً انما منشأها مجاوزة الحدود فى محبة الذات لأنه لامعنى للشر الا الاعتداء على الحقوق . وهل هذا الاعتداء شيء غير مجاوزة الحدود ؟ ولا فرق بين ان تكون أنت المعتدي على غيرك لأجل ذاتك . وان تكون يعتدي عليك غيرك لأجل ذاته فالأول شر لانك لاتسلم فيه من جزاء ما وقد يكون الجزاء طبيعياً كجزاء الشره . والثاني شرّ لانك فقدت حقك لأجل شره غيرك فيه .

الصنعة بديعة كاملة اتقنها حكيم عليم قد جعل لكل شيء سنة ، ناموساً ، طبيعة خاصة ، نظاما (قل ماشئت ان تقول وسم ماأردت ان تسمي ، لاتناقش باحثاً فى لفظ يؤدي الى معنى يؤديه لفظك أو قريباً منه) مزج ماتبتغيه النفس بما تنفر منه ، وعلمها السبل في الوصول الى المبتغى ، وجعل للسبل حدوداً عن يمين وشمال . فمن تعدّى الحدود ، فاته المقصود ، وربما وقع في المكروه ، ومن لم يتعدها فاز ونجا ، وتم له الرضى . «تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» .

(٥) اذا لم نحب غيرنا لانقدر أن نقف عند الحدود . – اذا كان لكل داء دواء فلا علاج لداء الشرور الا محبة الناس محبة تابعة لنظام . وهذا العلاج لايتخلف نفعه

أي انه متى استعمل ينفع . فنحن نستطيع ان نقول ان هذا العلاج يستأصل الداء لمن استعمله ولكن لانستطيع ان نقول إنه يعم استعماله وتستأصل الشرور كلها . وليس هذا مستحيلا عقلا ولكن التجربة تجعلنا لانطمع فيه على اننا اذا لم نرج ان تستأصل الشرور نرجو ان تخف ونجتهد في ان نعلم الناس محبة الناس . كذلك كان الناس من قبل فهدى العلم بعضاً ببعض ، كما أضل الجهل بعضاً ببعض ، ولايزال العلم يجاهد الجهل الى ان ينصره الملك القدوس السلام ، على أيدي رجاله الاعلام .

«٦» اذا لم نحب ذاتنا لانقدر ان نحب غيرنا — من لطف العناية الأزلية ان كان استعمال هـذا العلاج سهلا اذ ثبت فى الفطرة ان من لوازم محبة الذات محبة الغير . فلا جناح علينا أن كان حب غيرنا لأجل ذاتنا لأن هذا هو العلاج فى محبة الغير وهذا الثاني هو العـلاج فى تخفيف داء الشرور . ولكن الجناح علينا اذا لم نتبع نظاما في محبة الذات ومحبة الغير . وهنالك الشر .

«٧» بغض الذات مرض . — يظهر مما تقدم ان لمحبة الذات نفعين أحدهما يرجع الى الذات والآخر يرجع الى الغير . وينتج ان لبغض الذات ضررين أحدهما للذات والآخر للغير . واذا ثبت هـذا فلا شـك في ان بغض الذات مرض مشوه للفطرة السليمة . وشائن لصاحبه يؤديه الى نوع رديء من أنواع الرذائل واثم كبير من الآثام التي يناقش عليها المجتمع .

مبغض ذاته بالطبع يبغض غيره ، وتكثر حيرته ، يعترض على الصانع الحكيم في صنعته ، وعلى الانسان العليم فى علمه ، عاطل معطل ، طائش مطيش ، غر مغرر ، مخبول مخبل ، ناقم على الأحياء ، متأفف من الحياة ، جان على الاجتماع ، قليل الرغبة ، قليل الرهبة ، قليل الحياء ، قليل المروءة ، قليل الغيرة ، عديم الهمة ، عديم النشاط ، عديم الفلاح ، عديم السعادة . . وان شئت ان تعرف مبغضي ذواتهم فأولئك هم مخالفو الفطرة التي فطرت عليها النفوس ، وأذعنت لحكمتها العقول ، أقول هذا ولا أزيدكم شرحا لتقدحوا زند ذكائكم ، وتعلموا من أشرنا اليهم بصفاتهم متى رأيتموها فى انسان . وزيدوا عليهم طوائف المستعبدين

هـذا وقد نسأل ويقال لنا : لماذا نرى بعض الحكماء قد يوصون ببغض الذات ،

ويأمرون بمنابذة اللذات المشروعة وإيثار الآلام ؟ فالجواب :

(٨) قد يكون هذا المرض نافعاً اذا سلمت به النفوس من الشرور - كما اذا كان امرؤ لايملك ان يتزوج ويريد ان يستعمل قوة باهه في غير ماخلق لأجله كوطء بهيمة أو دبر أو استمناء بيد أو تسلط على عرض فيه حق الغير - يؤمر في هذه الحالات ان يجوّع نفسه لتضعف قوة باهه فإن فسرت تجويع نفسه ببغض ذاته وسميت هذا البغض المتعمد لحكمة مرضاً قلنا ان هذا المرض لمثل هذه النفس نافع * وربما صحت الأجساد بالعلل * وان سميت هذا التجويع حمية أو علاجا فلا اشكال . وكما اذا كان يكنز النقود الكثيرة لايتاجر بها ولا ينفق منها على نفسه يؤمر ان ينفقها على غيره ولو افتقر لان حاله قبل الانفاق على غيره هي عين حال الفقراء فالفقر بعد الانفاق قد تسلم به نفسه من شر عظيم مؤلف من الجهل وبغض الغير وهو كنز تلك الحجارة التي لامعنى لها الا المبادلة وتسهيل معاملات الناس . وكما اذا كان كثير الاعتداء على النفوس يقتلها ويؤذيها يؤمر بالتوبة وتسليم النفس للقصاص . وهل من معنى لتسليم النفس للقصاص غير بغض الذات ؟ وليس يرتاب أحد بأن من كان كثير الاعتداء على النفوس اذا مرض ببغض الذات الى درجة يسلم بها نفسه للقصاص كان مرضه نافعاً له ولغيره . وأمثلة هذا كثيرة قيسوا على ما ذكرت مايظهر لكم .

(تنبيه مهم) اذا قلنا : ان الله أحب الينا من أنفسنا : يجب علينا ان نفهم معنى هذا الكلام حتى نكون على بينة وصدق مما نقول والا كان كلاما يراد به تزكية النفس بمجرد إيراد حروفه . وسيأتي نحو من تفسير هذا الكلام أو تفسيره ولكن أحببت ههنا ان أبادر الى كلمة واحدة من تفسيره قد تغني الأذكياء . وماهذه المبادرة لا لان هذه الكلمة من علائق الصدد : ان معنى محبة الله اتباع الحدود ورعاية حقوق الغير وبذل وسع النفس في هذا الشأن وكل فروعه . وليس من بغض الذات تجريعها الصبر في هذه السبيل الحميدة البالغة بها أسنى المقامات وأسمى السعادات . بل هو من محبتها فاذا أحببت معلمك أكثر من محبتك لنفسك لا تكون أبغضت ذاتك بل أحببتها حباً جمالك تحب كل مايرقيها ويصلح شأنها حباً شديداً .

(٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة . - هذه المسألة

كنتيجة لما تقدم وكفاتحة لما يأتي لان كل علوم الناس وأعمالهم وأقوالهم مقصود بها تحصيل السعادة التي هي فائدة هذه الحياة عند القائلين بوجود السعادة. وعلم النفس في انفرادها واجتماعها هو العلم الوحيد الذي يهدي الحائر في هذه المهامه. وعندنا ان السعادة موجودة ممكن تحصيلها ومن السعادة اعتقاد وجودها وهذا المبحث المهم يحتاج فضل بيان أما ههنا فاكتفي بتقرير هذه القاعدة لتحفظ في الذهن وتتوجه النفس الى شرحها وهي: «متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة» لان سعادة النفس فى أحوال ثلاث — تصورها وطلبها وفوزها — فمتى كان التصور صافيا سليما قوياً التذت النفس وانبعثت للطلب ومتى كان الطلب مشروعا نظامياً التذت النفس وأشرفت على الفوز فان فازت فذاك هو وان لم تفز فسعادتها انها لم تقصر فى الطلب على ان الطلب فى نفسه لذيذ وفى الاكثر يفيد فائدة مما تبتغيه النفس اذا جدّت وثبتت.

وقل من جد فى أمر يحاوله ولازم الصبر الاّ فاز بالظفر

هذا — والفكر السليم هو الذي يميز بين الخير والشر والنفع والضر. (ع. ز.)

﴿ تحريم الخنزير ونجاسة الكلب ﴾

حضرة الاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أتيت بهذه المقالة راجيا نشرها فى مجلتكم الغراء حتى تتبين للناس الحكمة في اعتبار الشريعة الاسلامية أن الكلب نجس وفى تحريمها لحم الخنزير معتمدا فيما أقول على المباحث العلمية الطبية الحديثة التي أثبتتها التجارب الحسية حتى لا يبقى عند أحد ريب فى صحة ما أتت به هذه الشريعة الغراء والعمل بموجبه فانها أحكم من أن تضع حكما عبثا وأجل من أن تسن قانونا لا فائدة للناس فيه ومهما خفي سببه في بادئ الامر فلا بد أن تتجلى فائدته عاجلا أو آجلا فأقول:

لتحريم لحم الخنزير أسباب كثيرة أجلها ثلاثة قبل ان أتكلم على هذا السبب الاول يجب أن أقدم مقدمة في علم الديدان حتى لا يعسر على أحد فهم ما أقول.

(الأول ومقدمته) قد يوجد في أمعاء الانسان عدة أنواع من الديدان قل ان يخلو منها أحد

ومضار هذه الديدان متفاوتة فمنها ما ضرره عظيم ومنها ما ضرره حقير ومن هذه الانواع ما يسمى بالديدان الشريطية . أذكر منها الدودة الوحيدة بتفصيل يسير لأن لها صلة بموضوعنا وأشير الى غيرها فيما بعد . تسمى هذه الدودة (تينيا سوليم) وهي كلمة يونانية ومعناها الشريط الوحيد سماها الواضع بهذا الاسم لظنه انه لا يوجد منها فى الامعاء الا واحدة فقط وهذا خطأ فقد يوجد منها أحيانا اثنان أو ثلاثة وطولها يختلف من ٧ أقدام الى عشرة وهي مقسمة الى عدة أقسام تبلغ ٨٥٠ وفي الاقسام الخلفية توجد أعضاء التناسل فتجد ان كل قسم منها فيـه أعضاء الذكر والانثى فاذا تممت هذه الاعضاء وظيفتها وتكونت البويضات فى داخل الرحم انمحت الاعضاء الا الرحم فتبقى البويضات محفوظة فيه فاذا سقطت هذه الاقسام المشتملة على البويضات من دبر الانسان وقت التخلي كما يحصل كثيراً لمن كان مصابا بها ووصلت هذه البويضات الى معدة الخنزير أثناء تقممه القاذورات وأكلها ذاب قشرها بواسطة العصير المعدي وخرجت الاجنـة فتثقب الغشاء المخاطي للمعدة وتصل الى أوعية الدم الذي يحملها الى العضلات وغيرها وهناك تنتقل الى طور جديد تصل به الى تمام نموها وهذا الطور هو أن تكوّن هذه الاجنة حويصلات صغيرة واحدها قدر حجم الحمصة فى داخل اللحم وبعد ذلك يبرز فى داخل هذه الحويصلات هنات مخروطية الشكل كل هنة منها رأس لدودة جديدة فاذا أكل انسان هذا اللحم خرجت هذه الرءوس من حويصلاتها وعلقت بالغشـاء المخاطي للامعاء وكونت كل واحدة دودة طويلة تامة النمو وتسبب من وجودها فى الامعاء أعراض كثيرة فيحصل للمصاب بها مغص أو اسهال أو قيء وربما صار نفسه كريه الرائحة ويصاب بالإقهاء (فقد شـهوة الطعام) أو النهم الشديد وقد يصاب بآلام فى رأسه أو دوار أو إغماء ويشعر بضعف عام في جسمه وتضطرب أفكاره وأحيانا تنتابه نوبات صرعية وتشنجات عصبية قوية. وليس هذا كل الضرر الذي ينشأ عن هذه الدودة بل هناك خطر آخر عظيم وذلك أن بعض الاقسام قد يتلف وهو فى الامعاء فيجرح البويضات مع البراز فاذا أصابت ملابسه أو يده أو غير ذلك ووصلت الى معدته أثناء أكله أذاب العصير المعدي قشورها وخرجت الاجنة وتطورت بذلك الطور الذي ذكرناه فى الخنزير فتتكون الحويصلات المذكورة سابقاً فى أعضائه. وكثيراً ما تصيب عينه فتتلفها

أو بعض أجزاء مخه فتفسدها وتبطل عملها فيحصل له شلل في بعض أعضائه أو غير ذلك مما يتسبب عن اصابات جوهر المخ وقد تصيب أعضاء أخرى فتعمل فيها ماعملته في العين والمخ ويصير الانسان منبعا لعدوى غيره فاذا صانح آخر وانتقلت اليه البويضة تعمل فيه ما عملته فى الاول . وكثيرا ما يخلى أهل الارياف وغيرهم في المزارع أو في مياه الشرب فتنقل بسبب ذلك الحويصلات الى أناس كثيرين ولولا الخنزير لما أصاب الانسان شيء من ذلك فانها لاتوجد في حيوان يؤكل سوى الخنزير وقد توجد فى الكلب أيضا والقرد

واعلم أنه لا توجد دودة تتم طور الحويصلات في الانسان سوى هذه وأخرى نذكرها فيما بعد وحويصلات هذه الدودة تقاوم الحرارة في درجة ٦٠ سنتجراد نحو نصف ساعة على الاقل اذ كانت توجد فى داخل لحم الخنزير وهو موصل رديء للحرارة فاذا غلي الماء الذي حوله أثناء الطبخ حتى صارت درجته ١٠٠ فلا تصير درجة مافي داخل اللحم ٦٠ أو ٧٠ الا بعد زمن ثم ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصير ١٠٠ ولهذا تجد أن كثيراً من الاروبيين مصابون بها وذلك لصعوبة قتلها بالحرارة وكلما ازداد الانضاج للثقة بقتلها عسر هضم اللحم لتجمد المواد الزلالية

هذا ولما كان اختيار أخف الضررين هو الواجب عند الاحتياج الى ارتكاب أحدهما ولا يخلو لحم من مضار وجب ان نختار ماهو أخف أذى . قلت ذلك لان الحيوانات الاخرى المأكولة كالضأن أو غيره لاتخلو من ديدان أخرى شريطية كالسابقة من ذلك دودة (تينيا ساجنيتا) التي توجد حويصلاتها في البهائم التي تؤكل ولكن هناك فرقا بين هذه وتلك لأن الحويصلات في هذه اذا وصلت الى معدة الانسان وتكونت منها الدودة التامة وفيها البويضات فلا يمكن اذا ازدرد الانسان البويضات ثانيا ان تكوّن طور الحويصلات فيه مطلقا . لأنه لايفعل ذلك الا دودة الخنزير وبذلك يكون الانسان مطمئنا على عينه وعلى مخه وغير ذلك من الاعضاء الرئيسة ولا يكون منبعا لعدوى غيره وذلك لأن هذه البويضات يلزم لها حيوان آخر غير الانسان حتى تتم طور الحويصلات فيه وبعد ذلك تنتقل منه الى الانسان فتكوّن فى امعائه الدودة التامة البالغة النمو وفى الحقيقة ان أعظم الاخطار هو تكوّن الحويصلات في أعضاء الانسان الرئيسة وأما

في الامعاء فربما لاينشأ عنه شيء مضر به وإذا حصل بعض الاعراض التي ذكرت كالقيء والاسهال والصداع فازالة الدودة بكثير من الادوية سهل جداولكن ازالتها وهي في طور الحويصلات من المخ وغيره عسير بل مستحيل. وياليت هذا هو ضرر الخنزير الوحيد بل هناك مضار أخرى فاسمع الغرائب الآتية

(الثاني) كثيراً مايأكل الخنزير الفيران الميتة التي كثيرا ماتكون عضلاتها محلا لأجنة دودة تسمى (تريكينا اسبايرالس) أي الشعرة الحلزونية لانها دقيقة جدا وملتوية على شكل حلزوني فاذا وصل هذا اللحم الى معدة الخنزير هضم وخرجت الاجنة من غلفها فتكبر وبعدذلك تتزاوج ذكورها وإناثها فتلد ديدانا صغيرة كثيرة وهذه تثقب أغشية الامعاء المخاطية وتصل الى عضلات الخنزير فاذا أكلها انسان ولم يكن قد عرضها بالطبخ لحرارة كافية لإماتتها نمت في أمعائه الى ان تلد أجنة كثيرة تنفذ الى عضلات الانسان وخصوصا عضلات التنفس وكذلك القلب وحينئذ يصاب بمرض شديد ترتفع حرارته ويعتريه اسهال وقيء وتلتهب جميع عضلاته فلا يقدر على تحريكها ويصير لمسها مؤلما فلا يمكنه ان يمضغ أكله فيمتنع عنه ويصعب عليه أن يتنفس لالتهاب عضلاته ولا يقوى على تحريك عينيه وبعد ذلك يحصل له ارتشاح في جميع جسمه فيرم وتسرع حركات نبضه وحركات تنفسه بطيئة جدا حتى يموت. وهذه الاعراض لايمكن علاجها مطلقا إذ لايمكن إزالة هذه الديدان من عضلاته بعد تحصنها فيها. وهذا المرض كثيرا مايحصل في البلاد الاوروبية بسبب أكل هذا اللحم المشئوم ولا يتسبب عن أكل لحم سواه كالضأن وغيره لانها لاتأكل الفيران الميتة الا اذا ألقي في غذائها أو وقع فيه بالاتفاق وأكلته بالتبع له فحينئذ تصاب بما يصاب به الخنزير ولكن هذا نادر جدا والنادر لاحكم له بخلاف الخنزير فان حبه للفيران الميتة يوقعه في ذلك مراراً عديدة ولعل هذا السبب أيضا هو أحد الحكم في تحريم لحوم الحيوانات التي تأكل اللحم لأنها عرضة للاصابة بهذا المرض كثيراً

(الثالث) لحم الخنزير هو أعسر اللحوم هضما باتفاق وذلك لان أليافه العضلية مخاطة بخلايا شحمية عديدة أكثر من الحيوانات الأخرى المباح أكلها وهذه الأنسجة الدهنية تحول دون العصير المعدي فلا تسهل عليه هضم المواد الزلالية للعضلات فتتعب المعدة ويعسر الهضم ويحس الانسان بثقل في بطنه ويضطرب القلب فان ذرع الآكل القيء والا تهيجت الأمعاء وانطلق البطن بالإسهال فمن لم يتعود أكله تعب منه

كثيراً ومن تعوده وكان قويّ المعدة كان الاولى له صرف قوتها فى الاغذية الجيدة النافعة وان لم يكن قوي المعدة ناله من شر هذا اللحم مايستحق

والخلاصة ان من ابتعد عن أكله أمن من الاصابة بالدودة الوحيدة أو حويصلاتها ولم يكون سببا فى عدوى غيره وسلم من الاصابة بمرض دودة الشعرة الحلزونية - الذي ربما فاق الحمى التيفودية فانه من أصابه لايرجى شفاؤه ولابد من موته - وحفظ معدته من التعب وعسر الهضم وأسباب القيء والاسهال وضعف تغذية الجسم الى غير ذلك من المضار التي سبق شرحها . أما اللحوم الاخرى فانها أسهل هضما ولا يتسبب عنه عادة مرض الشعرة الحلزونية ولا حويصلات فى أعضائه الرئيسة يتلفها وان نشأ عنه دودة شريطية فعلاجها سهل ولا تحدث أعراضا مهمة. فعلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين يجب ان نقول: لاتأكلوا لحم الخنزير فانه رجس وكلوا غيره مما أبيح شرعا:

الدين الاسلامي لم يأت لاصلاح الروح فقط بل لاصلاح الروح والجسم معا فأتى بما ينفعنا فى دنيانا وآخرتنا وانفسنا وأبداننا ولم يترك ضارا لاحدها الا ونبه عليه تصريحا أو إجمالا على حسب شيوعه وعدمه بين الناس فلو ترك التكلم في المأكولات ونحوها لما كان مرشداً للانام في جميع أحوالهم الضرورية فلو لم يحرم لحم الخنزير مثلا لمضى زمن طويل حتى يهتدي الناس الى ضرره ولو اهتدى اليه بعض الامم لما اهتدت اليه الامم الاخرى كالسودان والحبشة مثلا ولو علم ضرره بعض الامم لما علمه فيها الا الخاصة فقط ويمضي الزمن الطويل حتى تعلمه العامة ولو علمته العامة لما قويت على ترك مااعتادته وعهدت اللذة فيه بخلاف الامر الديني فان كل الامم المؤمنة به تخضع له فى أقرب وقت تخضع له العامة كما تحترمه الخاصة ويعمل في نفوس الجميع مالا يعمله قول الخطباء ولا نصح النصحاء ولذلك تجد أن شرب الخمر في أوروبا شائع بين سائر الطبقات وكل يعلم ضرره ومع ذلك لايمتنعون عنه لابقول خطيب ولا بقول عالم فكم خطبت الخطباء ونصحت العلماء ولكن أين من يسمع. فلو لم يكن للدين التأثير الاقوى فى أهل الشرق لفاقوا أهل الغرب فى الشرب وسبقوهم فى تربية الخنزير وأكله ولولا أنهم أخذوا يقلدونهم الآن لما وجدت بينهم شارب خمر ولا آكل خنزير الا نادرا ولما سمعت بمرض مما ينشأ عنهما فيهم. فأي انسان يمكنه الآن ان يعترض على الدين ويقول «ماله يتكلم فى المأكول والمشروب» وفاته انه لم يأت الا للاصلاح العام فى كل مايمكن اصلاحه فلم يتكلم في العقائد فقط بل في المعاملات أيضا وكما أمر باصلاح القلب وطهارته أمر بحفظ

صحة الجسم ونظافته فأنعم به من دين جمع فأوعى وأحكم به من صراط سوي مستقيم

بقي علينا أن نتكلم في نجاسة الكلب : لانقول ان السبب فى ذلك هو انه عرضة للاصابة بداء الكلب فان هذا الداء لايصاب به الكلب وحده بل قد تصاب به الهرة والبقرة والحصان وغيرها ومتى أصيب الكلب به عرفه الناس وقتلوه فانه متى أصيب به شل سريعاً عن الحركة وسهل قتله ومجرد لمسه فى هذه الحالة لايعدي بل لابد من العض ودخول لعابه فى جلد الانسان فلماذا يعتبر الكلب نجسا في جميع أحواله ولاتعتبر البقرة والحصان كذلك ؟ السبب فى ذلك ما يأتي : في أمعاء أكثر الكلاب دودة شريطية صغيرة جدا طولها ٤ مليمترات تسمى (تينيا ايكينوكوكس) فاذا راث الكلب خرجت البويضات بكثرة في الروث فيلصق كثير منها بالشعر الذي بالقرب من دبره فاذا أراد الكلب أن ينظف نفسه بلسانه كما هي عادته تلوث لسانه وفمه بها وانتشرت فى بقية شعره بواسطة لسانه أو غيره وهذا مايحصل فى كل نوبة وبتكراره يصير جميع سطح جسمه ملوثا بهذه البويضات كما شوهد ذلك بالنظارات المكبرة

فاذا ولغ الكلب فى إناء أو شرب ماء أو قبله انسان كما يفعل الافرنج أو لمس جسده بيده أو بلباسه علقت بعض هذه البويضات بتلك الأشياء وسهل وصولها الى فمه أثناء أكله أو شربه فتصل الى معدته وتخرج منها الاجنة فتثقب جدر المعدة وتصل الى أوعية الدم فتصل الى أعضاء الجسم الرئيسة وغيرها وهناك تتم طور الحويصلات ولكن هذه الحويصلات كبيرة فتسمى هنا أكياسا وهي تصيب الكبد كثيرا وأحيانا تصيب الاعضاء الاخرى كالمخ والقلب والرئة ووجود هذه الاكياس يحدث اعراضاً عديدة فاذا صيب منها الكبد قد يولد استسقاء زقيا بضغطها على الوريد الباب أو يرقانا وقد يتقيح السائل الذي في قلب الكيس ويولد خراجا فى الكبد وربما انفتح هذا الخراج في تجويف البريتون فينشا عنه التهاب بريتوني حاد فيموت الشخص بسببه واذا انفتح فى تجويف البلوري تسبب عنه التهاب مع انسكاب الى غير ذلك من المضار واذا حصل هذا الكيس في المخ نشأ عنه صداع شديد وقيء متوال وفقد شعور واحساس وتشنجات وشلل بعض الاعضاء على حسب موضعه من المخ واذا أصاب القلب ربما كان سببا في تمزقه فيموت الشخص في الحال

كل ما قلناه ليس تخيلات شعرية ولا تصورات وهمية بل هي أشياء شاهدها أطباء اوربا في بلادهم وعلموا سببها بالحس والمشاهدة ونصحوا للناس بالابتعاد عن

الكلب ولكن أين من يسمع ولا أمر دينيا يعتقد عندهم فيهاهم ؟ . هذا ولما كان تمييز الكلب المصاب بهذه الدودة من غيره عسير جدا لانه يحتاج الى زمن وبحث دقيق بالمنظار المكبر الذي لا يعرف استعماله الا قليل من الناس كان اعتبار الشارع إياه نجسا هو عين الحكمة والصواب فتبتعد الناس عنه وتأمن من شره فالحمد لله الذي جعل ديننا هاديا لنا في جميع أمورنا وأيده ويؤيده كل يوم بالبراهين الحسية حتى يتضح للناس ان الدين عند الله الاسلام ويظهر تأويل قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) م . ت . ص

أحد طلبة الطب بمصر

آثار علمية أدبية

باب التقريظ

ميزان الافكار

كتاب في مهمات القوانين المنطقية وضعه أحمد افندي الهادي المقصودي أحد علماء قزان (روسيا) بأسلوب جديد في اللغة العربية ، وترتيب وتبويب لم يعهدا في كتبها المنطقية ، وادخل فيه فوائد ومسائل ليست من هذا الفن ولكنها تتصل بنسبه ، وتدلي بسببه ، وترغب فيه الباحثين ، وتزيد نشاط المشتغلين ، فقد أصبح المنطق في العلوم العربية ، شبيها بالاعضاء الأثرية ، تقرأ مسائله ، وتهمل في العمل تعاريفه ودلائله ، لان العلوم العقلية التي وضع لها ، قد انطوى بساطها وتقاص ظلها ، بدأ المؤلف كتابه بتمهيد عنوانه (علم الروح وعلم المنطق) وبين بعده فائدة المنطق وكونه فطريا في الانسان ووجه الحاجة الى تعميمه وذكر أشهر علمائه القدماء من اليونان والعرب والمتأخرين من الافرنج ، ثم تكلم في مقدمة الكتاب عن الوجود والعدم والواجب والممتنع والممكن والجوهر والعرض ومقولات الاعراض والعناصر والمواليد والحواس الظاهرة والباطنة والعلم وتحصيله بالتفكر والاستدلال ثم انتقل الى الدلالات ومباحث الالفاظ ثم الى سائر المباحث وجاء فيها بضروب من التقسيم والبحث غير معهودة الا في كتب الافرنج فالكتاب جامع بين المنطق القديم والمنطق الحديث

وقد طبع المؤلف كتابه وجعله ذكرى لمرور عشرين سنة على خدمة اسماعيل

بك الغصفري محرر جريدة ترجمان في بلدة (باغجه سراي) الروسية . فنثني على المؤلف ونهنئ رصيفنا الكامل إسماعيل بك بلسان المنار (كما هنئناه بلسان البرق) على خدمته للمسلمين بجريدته ومطبوعاته وبما وفق له من إنشاء المدارس حتى كان ركن النهضة الاسلامية ، في بلاد القريم بل في البلاد الروسية ، و نسأل الله تعالى أن يكثر في المسلمين من أمثاله

﴿ القصائد الهاشميات ﴾

الكميت بن يزيد الاسدي الكوفي أحد الشعراء والادباء الاولين ولد سنة ٦٠ ومات سنة ست وعشرين ومئة وأحسن شعره القصائد الهاشميات التي سارت بها الركبان وقد عني في هذه الايام الشيخ محمد شاكر الخياط النابلسي أحد مجاوري الازهر المجدين بطبعها بعد ما صححها على أمام أهل الادب في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي • ومن سوء الحظ ان عاثت المطبعة في ذلك التصحيح فأفسدت فيه ما شاءت ولكنه عاد فأصلح بعض غلط الطبع بالقلم فجزاه الله خير الجزاء • أما الذي طبعه على نفقته فهو الشيخ محمد توفيق الخياط النابلسي أحد المجاورين المجتهدين فنشكر للطابع وللمصحح عنايتهما بهذا الأثر النافع ونأمل منهما ان يعيدا طبعه مصححاً ونحث طلاب آداب العربية على حفظ هذه القصائد أو كثرة قراءتها

﴿ هناك وهنا ﴾

كان أحمد حافظ افندي عوض كتب في جريدة المؤيد بضع مقالات عنوانها (هناك وهنا) شرح فيها « تاريخ استيلاء انكلترا على الهند وسياستها فيها وعلاقة مسلمي الهند ونهضتهم الاخيرة بالطوائف الاخرى » ومن ذلك الكلام في المجاعات وفي التجارة وفي النفقات الحربية والتعليم • وقد طبعت هذه المقالات على حدتها بمطبعة الشعب فبلغت ٧٦ صفحة من القطع الصغير وهي جديرة بالمطالعة

﴿ القول السديد • في حرب الدولة العلية مع اليونان ﴾

كتاب جديد ألفه علي بك شاكر نجل المرحوم محمد شاكر باشا الفريق الطوبجي صفحاته زهاء مئتين وهو مزين برسوم القواد والمواقع الحربية ولم نوفق لمطالعة شيء منه ولكننا نظن ان الروح التي تجول فيه هي تعظيم شأن الدولة العلية وتوجيه القلوب الى حبها لأننا نرى المؤلف مغرماً بدولته لاهجاً دائماً بمحاسنها ومدح مولانا السلطان

عبد الحميد أيد الله دولته ووفقه لخدمة الاسلام . وثمن الكتاب ٣٠ قرشا صحيحاً الا للجنود فثمنه لهم ٢٠ قرشاً وهو يطلب من مطبعة الموسوعات بمصر

هذا ما كنا كتبناه لجزء مضى ولم يتيسر نشره الا في هذا الجزء ثم رأينا في بعض الجرائد ان المؤلف جعل الثمن ٢٠ قرشا لجميع الناس ووعد بجعله إعانة لسكة الحديد الحجازية فصار يطلب لذاته والإعانة معا وكفى بذلك ترغيباً

(الف ليلة وليلة) أتمت مطبعة الهلال الجزء الثالث من هذا الكتاب مزينا كسابقيه بالصور والرسوم ، منزها عن الفحش والمجون ، وصفحاته ٢١٦ وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر

(كتاب الخدمة المدرسية في تسهيل قواعد العربية) ألف هذا الكتاب جرجس افندي الخوري المقدسي (ب . ع) مدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشام وطبع هناك وقد سلك فيه مسلك السهولة واكثر فيه من الامثلة فعسى ان يلتفت اليه نظار المدارس ويختاروه للتعليم في مدارسهم اذا رأوه امثل من الكتب التي فيها وأسهل

(ارتياح الفكرة من جهة الكاره) كتيب وضعه احمد افندي رفعت في الفيوم أيام وباء الهيضة من العام الماضي وطبعه بعد ذلك . وعبارة الكتاب أقرب الى العامية واننا لم نقرأه ولكننا نذكر المسائل التي يبحث فيها بعبارته لعل أحداً يريد ان يعرف رأيه فيها وليعذرنا القراء في حكمنا على عبارته قال: قد جئت بالبحث والايضاح عن السبعة أوجه التي يهم كل إنسان الوقوف على حقيقتها وهي

« أولا ـ هل يوجد كارا حقيقة كما يقولون البعض بالاثبات والبعض بالنفي . ثانيا ـ هل ينفع فيها العلاج واستشارة الأطباء لتدارك الشفاء ام لا . ثالثا ـ هل الاحتياطات الصحية في ذلك مما يجب مراعاته والأخذ به ام طرحه ظهريا . رابعاً ـ هل مسألة الاصابة بالعدوى صحيح أم غير صحيح . خامساً ـ هل سير رجال الصحة في عمل الاحتياطات موافق للشرع الشريف أو مخالف له . سادسا ـ هل مايشاع من وجود من يقصدون تعمد وضع أشياء مسممة للناس في الاطعمة والمياه حق أم باطل لا أصل له . سابعا ـ هل أصدق بقولي ان الكارا الثانية الآتي بيانها هي أشد وطأ وأعبأ ثقلا على الناس أم لا » اه بحروفه وصفحات الكتيب ٧٢ ويطلب من أكثر المكتبات الشهيرة

(مسامرات الشعب) صدرت القصة السابعة عشرة واسمها (اليتيم) ومؤلفها حافظ افندي عوض وقد كان طبعها الطبعة الاولى من نحو خمس سنين وقرأناها فحمدنا التأثير، وانتقدنا التقصير فى التحرير .. وصدرت القصة الثامنة عشرة واسمها (شهداء الآباء) ومؤلفها مصطفى افندي ابراهيم وهي تمثل سوء عاقبة ماعليه أولاد الاغنياء فى مصر من فساد الاخلاق واتباع الشهوات . وفاتنا ان نذكر من قبل قصة (الفتاة اليابانية) وهي قصة موضوعها مفيد قرأناه بارتياح ووددنا لو يطالعها تلامذة المدارس المصرية على ان يميزوا بين التعليم الحي وتعليم المحاكاة التقليدية ومؤلفها حسن افندي رياض وهي القصة السادسة عشرة من المسامرات

باب الأخبار والآراء

﴿الجمعية الخيرية الاسلامية ـ الاحتفال بمدرستها فى القاهرة﴾

احتلفت الجمعية الخيرية الاسلامية فى يوم الاربعاء الاسبق بمدرستها في القاهرة احتفالا رأسه مفتي الديار المصرية وحضره كبار العلماء والوجهاء وفى مقدمتهم شيخ الازهر ومدير الاوقاف . وقد كان الاحتفال على نحو الاحتفالات السابقة حسنا ونظاما وموضع إعجاب بما امتاز به تلامذة الجمعية على سائر المتعلمين من أمثالهم وهو أنهم لايحفظون شيئا بدون فهم ولذلك كان رئيس الجمعية والاحتفال يناقش التلامذة فى كل مايسألون عنه فيحسنون الجواب . ولما أراد الرئيس توزيع الجائزة التي باسم المرحوم علي باشا مبارك ذكر من خدمته للمعارف ثلاثة أمور عظيمة أحدها تعميم المدارس فى المديريات وثانيها ابطال الضرب من المدارس وكان الضرب فيها مفروضاً رسميا فالتأديب فيها كان «بالكرباج» كتأديب المذنبين والمجرمين فى شريعة محمد على باشا وقوانينه . وقد قال الاستاذ الرئيس فى هذا المقام كلمة جليلة وهي :

ان علي باشا مبارك أبطل بمنع ضرب التلامذة التربية بالإهانة والقسوة وجعل التعليم مقرونا بكرامة النفس وهي قوام التربية فان المعاقبة على الذنب بالاهانة والقسوة لاتؤدب النفس لأنها تخفي الاخلاق الذميمة ولكنها لاتمحوها بل تزيدها وتقويها فتكون

كامنة حتى اذا تدنى لها الظهور تظهر في أقبح الصور . وأما الذي يمحو الاخلاق الذميمة فهو الاقناع بقبحها وضررها وحسن المعاملة وتكريم النفس حتى تتكرم عن الشوائن وتأنف من كل ماينافي الشرف

وأما الامر الثالث فهو إنشاء مدرسة دار العلوم التي تسمى الآن« مدرسةالمعلمين الناصرية » (قال) إن تلامذة هـذه المدرسة يؤخذون من طلاب العلم فى الأزهر فيضمون الى العلوم الازهرية جملة صالحة من العلوم الكونية التي تقرأ فى المدارس . وقد تخرج فى هذه المدرسة كثيرون خدموا المعارف في مصر خدمة نافعة فمنهم معلمو العربيـة فى جميع مدارس الحكومة وبعض المدارس الأخرى ومنهم المشتغلون في المعارف بالتفتيش فى المدارس والكتاتيب وهم محافظون على زيهم المصري زي أهل العلم الديني ولهذه المحافظة تأثير عظيم فى التربية والتعليم

وبعد ذلك وزعت المكافأة السنوية التي يتبرع بها الشيخ عبد الرحيم الدمرداش للنابغين من تلامذة مدرسة الجمعيـة في القاهرة وهي ألف قرش . ثم انفض القوم بختم الاحتفال داعين للمدرسة بزيادة النجاح وللجمعية ببلوغ الكمال

﴿ المحسن المصري العظيم ـ منشاوي باشا ﴾

ذكرنا فى جزء مضى ان صاحب السعادة احمد باشا المنشاوي الشهير تبرع بمئة فدان من أطيانه لمدرسة الصنائع التي تنشئها جمعيـة العروة الوثقى في الاسكندرية . وقد كتب رئيس الاكتتاب لإعانة المدرسة صاحب الدولة مصطفى رياض باشا كتاب شكر الى هذا المحسن العظيم وأرسلت الجمعية طائفة من أعضائها الى داره فى القرشية يشكرون له بأنفسهم هذا الاحسان . ولما كان الشكر مدعاة المزيد هزته أريحية الكرم فتبرع بوقف ثلاث مئة فدان على هذه الجمعية الخيرية فكتب اليه رياض باشا كتاب شكر آخر ترغيباً فى الاحسان وإسعاداً على الترغيب فيه وهو :

سعادتلو افندم أحمد منشاوي باشا حضرتلري

سلام وثناء عليك يامن عرفت كيف تصرف الأموال وكيف تخدم الاوطان وكيف تقدم البلاد . اني كثيراً ما تمنيت الخير وكثيراً ماحييت فيه وكثيراً ما ناديت الامة المصرية الى جمع الاموال لتأسيس المدارس العلمية والصناعية وبعدان أوشك اليأس ان يستولي

علي " رأيتك أيها الشهم الكريم وقفت مئة فدان على مدرسة محمد علي الصناعية . فعملك هذا جدد في " الآمال وحبيني في الامة المصرية باجمعها لوجود مثلك وجعلني اعتقد بأن اغنياء الامة سيقتدون بك في هـذا العمل الجليل الذي قمت به لتعلمهم مايجب على الاغنياء نحو وطنهم وكتبت لسعادتك من آيات الشكر ماتستحقه من الله والامة . ثم جاءني كتاب من سعادتك ينبئني بانك أيها البار بوطنك وقفت ثلاثمئة فدان على جمعية العروة الوثقى فالحق يقال ان حبك لبلادك وكرم نفسك وسخاء يدك أدهشني اعجاباً بهمتك العالية وحسن عاطفتك للخير نحو أمتك لانني لم أر مصرياً جاد بما جدت به وستشكرك الاجيال المستقبلة على فضلك هذا كما شكرتك الامة باسرها . وأهلا بزيارتك التي وعدت بها في خطابك . نسأل الله ان يمد في أجلك لاحياء بلادك ولتكون قدوة حسنة لغيرك والسلام عليك أيها المفضال (رياض)

في ٣ ربيع آخر سنة ١٣٢١

لحق علينا ان نعترف الآن بأن أحمد باشا المنشاوي هو أول غني يفتخر المصريون بكرمه الحميد وإحسانه النافع بل هو مفخر لجميع المسلمين الذين صار أغنياؤهم في هذه القرون يبخلون بالدرهم في طريق المعارف وما دون المعارف من الخير ويبذلون القناطير المقنطرة في الاسراف والمخيلة والتمتع بالشهوات التي تفسد الاخلاق والآداب وتضعف الامة بذهاب ثروتها والإدلاء بها الى الاجانب . وانا لننتظر من محسننا العظيم نفحة من هذه النفحات لاخت جمعية العروة الوثقى وشقيقتها الكبرى وهي الجمعية الخيرية الاسلامية ولعله يخبأ لها إنشاء المدرسة الكلية التي لاتحقق أمنيتها الا بكرمه وجوده

ومما لهجت به الجرائد في هذه الايام ان محسننا العظيم تبرع بألفي ليرة عثمانية إعانة لسكة الحديد الحجازية وبخمس مئة ليرة أخرى باسم قرينته فجزاه الله أفضل الجزاء بمنه وكرمه

﴿ جمعية الفضائل الاسلامية ﴾

ألف نفر من ذوي الغيرة الملية في الفيوم جمعية سموها بهذا الاسم وفرضوا على كل داخل فيها خمسة قروش في الشهر على ان يشتروا بما يجتمع في كل شهر نسخا من المنار وبعض مؤلفات الاستاذ الامام ويوزعوها على الناس . وهؤلاء النفر الكرام محمد رمزي وابراهيم أبو عيشة وأحمد نصار وحسن ناصر وعبد الجواد حسن وابراهيم الصعيدي حياهم الله ونماهم

﴿ قراء الصحف المنشرة ﴾

يقرأ هذه الصحف التي تسمى المجلات والجرائد جميع أصناف الناس في جميع البلاد فاصحاب الصحف الرائجة المشهورة أجدر الناس بمعرفة حال الناس في المعاملة مطلا ووفاء . وقد علمنا بالاختبار ان لكل صنف خلقا ولأهل كل قطر خلقا فمسلمو بلاد روسيا أحسن خلق الله وفاء أكثرهم يرسل مع طلب الاشتراك اوراقا مالية بقيمته وأوراقا مطبوعا عليها عنوانه ثم يرسلون القيمة في أول كل سنة ومن ارجأ الارسال عن أول السنة فلا يرجئه الا قليلا ويليهم اهل جزيرة العرب. وأسوأهم معاملة وأكثرهم مطلا وإهمالا مسلمو الهند ويليهم أهل الجزائر فان كثيرا من المشتركين في هذين القطرين يقرأ المجلة أو الجريدة عدة سنين ولا يخطر بباله أن يرسل الى صاحبها شيئا. ومن العجيب أن السلائل العربية في كل بلاد يتبوءونها يحافظون على أكثر أخلاق العرب الفاضلة فتجار العرب في الهند وجاوه وسنغافورهم الذين يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة ولا تذكير ، وأهل المغرب الأقصى كأهل الجزائر الا أفراداً في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء . والحق أنه ليس لنا ان نحكم على أهل تلك البلاد لان القراء فيهم قليلون وأصلهم في الغالب مجهول . وأما أهل تونس فهم وسط أكثرهم اذا طولب يدفع واذا سكت عنه يسكت وقليل منهم يرسل وان لم يطالب ولا أعرف احدا منهم الى اليوم طواب فمطل حتى لايرجونه الا ان الوكيل طلب منع المنار عن نفر قليل لأن الحق لايخرج منهم الا نكدا وأظن انهم دفعوا وليس عندهم شيء وسيتبين هذا بعد قليل ، لان المحصل لايزال يشتغل بالتحصيل ، فان قيل ان علي بن زنين الذي كان وكيلا للمنار قد جمع طائفة من الاشتراكات وثمن كتب أرسلتموها اليه بطلبه كتقرير مفتي الديار المصرية وكتاب الدروس الحكمية وما طلكم في ذلك عدة سنين : نقول اننا لانزال نرجوه وقد كان بعض الناس يكتب الينا يحذرنا منه فلم نحفل بذلك والذي تحققناه انه ماطل ولا نقول انه لاذمة له ولا أمانة الا اذا كتب الينا الوكيل الذي كلفناه بمحاسبته ومطالبته : انه لايدفع مختاراً أو تقاضاه في المحكمة . هذا وان الوكيل هناك يشكو من عناء التحصيل ولعل ذلك لكرم نفسه وعدم اختباره الناس في حرصهم على المال

هذا إيماء الى ما كان من اختبارنا فاذا أردنا ان نعلل ذلك بتأثير الحكومات

بأن نقول ان الامة التي تظلمها حكومتها تتعلم الظلم والامة التي تحكم بالعدل تجري على العدل — خاننا التعليل وان كان له وجه وجيه إذ يصعب علينا ان نفضل حكومة روسيا على حكومة الهند . والصواب ان حسن المعاملة تابع لحسن الخلق والاخلاق آثار الوراثة والتربية في النفس اذا رسخت وانطبعت ٠ ولا شك ان الامم المحكومة تؤثر كيفية الحكم في أخلاقها. ولكن أخلاق الامم تنطبع في الزمن الطويل ولا تتغير الافي الزمن الطويل ولذلك لايصح الحكم على أخلاق الامة بحال حكومتها الحاضرة الحادثة فان الذين بفعل الاستبداد والاستذلال في نفوسهم عدة قرون لايتطهرون من تلك الآثار الخبيثة في عشرات من السنين لاسيما اذا انتقلوا من عبودية ذل الى حرية مجون وخلاعة ٠ ومسلمو روسيا لم يكونوا أذلاء ولا مجانا من قبل حكمها وهي لم تظلمهم الا بالتضييق على المعارف زمنا ثم أعطتهم حرية ما في التعليم والتربية فهم يجدون فيها ويجتهدون على بصيرة يفضلون فيها سائر المسلمين .وأهل الهند كانوا اذلاء بالاستبداد ثم كانت لهم حرية فاسقة مع تضييق في أمور المعارف ثم صارت لهم حرية تامة لم تؤثر فيهم تأثيرها لقصر الزمن

وأما أهل المغرب الاقصى فهم على بداوتهم في ظلمات من الفوضى والجهل لايبصرون ولا يبصرون ولذلك قلنا ان الحكم عليهم غير صحيح . ونظن ان الاخلاق في الجزائر لم تفسد بالمرة وانها هناك خير منها في تونس لأن الجزائريين أبعد من التونسيين عن الخلاعة والترف وقد كانوا من قبل حكم فرنسا أقرب في حضرهم الى البداوة ولم يؤثر حكمها في أخلاقهم الا قوة الاعتصام برابطة الدين والجنس لأنها أزالت منهم السلطة الاسلامية ولا يستطيع افساد المسلمين الا الحكام الطغاة من المسلمين اذ لايفل الحديد الا الحديد. والبلاد العثمانية نزلت عليها آية الحجاب فلا كلام فيها

بقي الكلام على بلاد مصر . كانت هذه البلاد ولا تزال أم العجائب وفيها من الماطلين والخائنين والهاضمين للحقوق مالا يوجد في غيرها كما ان فيها من الفضلاء وأهل الكرم والوفاء نفر أعز وجود أمثالهم في سواها ٠ في هذه البلاد رأينا من الفروق بين الاصناف ، كما يرى الراءون بين الاشخاص ، وأظن ان غير العالم المختبر يحسب ان أحسن الناس وفاء، وأسهلهم قضاء، علماء الدين أو قضاة الشرع أو القضاة عامة لانهم هم الذين يعملون لاقامة العدل وأداء الحقوق الى أهلها وهم أعلم الناس بآثار اللي في الحقوق

ومضراته لانها ممثلة كل يوم أمام أعينهم في أقبح صورها وأشكالها . ليس هذا الحسبان بصحيح ولعل القارئ لا يتوقع ان أقول ان أحسن الناس وفاء وأطهرهم ذمة المهندسون . ولعل السبب في ذلك تأثير العلوم الرياضية في نفوسهم كما تؤثر في عقولهم فانها هي العلوم التي ليس فيها أوهام ولا ظنون فاسدة ولا خرافات ولا مسائل تؤخذ بالتقليد الاعمى

أما المطل فهو على أشده في أهل البطالة ثم في كتاب الدواوين وغيرها لان أكثرهم لاهم له من حياته الا أن يكون له رزق مضمون يتمتع به وان كان قليلا أعني أنهم لا تهمهم الامور العامة وليس لهم مقاصد عالية وانما يذكرون لفظ الملة أو الوطن حكاية للالفاظ التي تكثر في الجرائد ومن يشترك في الجرائد منهم فانما يشترك تشبها بالوجهاء والرؤساء . هذا كلامنا في الاكثرين ومنهم أفراد من أرباب البيوت التي لها سلف في حسن الاخلاق أو التي لها قرب من سذاجة الفلاحين الفطرية التي لم يطغ عليها طوفان فساد ما يسمونه (التمدن) فاولئك يشتركون ليستفيدوا وليكونوا عونا للصحيفة التي يعتقدون نفعها وقليل ماهم

ومن العجيب ان يكثر المطل والالي وهضم حقوق العلم والادب في رجال القضاء وأعوانهم من رجال (النيابة) فان في قضاة الاستئناف الذين يرون أنفسهم فوق جميع رجال الحكومة عدلا وعدالة وعفة واستقامة من يدافعون محصل الجريدة من شهر الى شهر حتى تصير هذه الشهور سنين فما بالك بمن دونهم؟

أما أهل العلم الديني ومنهم قضاة الشرع ومعلمو المدارس فهم أحرص على المال وأضن به من جميع الناس الا أنهم قلما يشتركون في الجرائد ولكن يطالبها الوجهاء منهم على ان تكون هدية ومن أراد الاشتراك من غير الوجهاء فانه يجتهد في أن ينتقص من قيمة الاشتراك المعينة شيئاً النصف فما دونه ويلح في ذلك إلحاحا ثم انهم بعد ذلك لا يتنزهون عن المطل والتسويف ولكنهم قلما يستحلون أكل قيمة الاشتراك وهضمها بالمرة كما يفعل بعض كتاب الدواوين وبعض التجار والفلاحين والعمد

هؤلاء العمد يحبون الجرائد ويكرهون المجلات — يحبون الجرائد لما يتوقعون من مدحها إياهم ودفعها عنهم فيما يتهمون به ولذلك يدفعون لها الاشتراك ويزيدونها عطاء ومساعدة . ويكرهون المجلات لانهم لا يتوقعون منها ذلك ولا يفهمونها وليس عندهم روح حب العلم والادب وقد اعتاد أكثرهم على الظلم وهضم الحقوق حتى ان الاستاذ الامام يضرب

المثل في الدرس ببلادتهم . وليس هذا الحكم عاما فانني أعرف نفراً منهم يحبون العلم والادب منهم المتعلم في المدارس النظامية ومنهم من له حسب عريق وأخلاق موروثة . وإنما قلت ماقلت في العمد عن سماع لاعن اختبار فان المشتركين منهم في المنار قليلون واني شاكر لهم لاشاك منهم ولا استثني الى اثنين لاأذكرهما بالاسم ولا بالوسم لأن هذا ليس من شأن المنار ولذلك تجرءا على هضم حقه

ومن الناس من يحتال على قراءة الصحف المنشرة بالانتداب لخدمتها بالمكاتبة أو الدعوة اليها وتكثير سواد قرائها وقد عانينا من هؤلاء المحتالين ماعانى غيرنا ولم يبق لاحد يعرف المنار مطمع في مكاتبته لأن مائدته لاتقبل المتطفلين ولكننا نتلقى في كل حين كتابا ممن يصفون أنفسهم بالغيرة على العلم والدين ، والرغبة في إسعاد الكتاب والمنشئين، وبعد إطرائنا وإطراء أنفسهم يطلبون ان يكونوا وكلاء . وقد اجبنا طلب كثير منهم بارسال المجلة اليهم وحثهم على نشرها فلم يصدق أحد منهم وإنما كانوا يخادعوننا في أول الامر بطلب المجلة لواحد أو اثنين ويشهدون لمن يطلبون له بالأمانة والاستقامة ويعدون بأخذ قيمة الاشتراك منه في أثناء السنة فتمر السنة ولا يفي أحدهم بوعده ومن يدري أأخذ من المشترك أم لا . وقد كان لنا من أرجى هؤلاء العاضدين للادب بالوكالة ان حبانا مشتركا في أول العهد بوكالته (في السنة الماضية) ثم ان ذلك المشترك كتب الينا بأنه لم يرض ان يكون عونا للمجلة بالاشتراك فقط وإنما هو مستعد لنشرها وطلب وصولات لأجل التحصيل ممن يدعوهم الى الاشتراك فكتبنا اليه بأننا ننتظر قبل كل شيء قيمة اشتراكه هو ثم عليه ان ينبه من يدعوهم الى الاشتراك بارسال القيمة حوالة على البريد فسكت ولم يحر جوابا حتى اذا انتهت السنة كتبنا اليه نطالبه فلم يرسل الينا مالا ، ولم يرجع الينا قولا ، فرجعنا الى الوكيل الذي أمر بارسال المجلة اليه فكتب إنه طالبه فادعى ان المجلة ترسل اليه أنه وكيل لها لا أنه مشترك فيها!! ثم طالبها لمشترك جديد... فكتبنا اليه: إنك كنت وكيلا على مشترك واحد فلما صار هو وكيلا صرتما وكيلين على لاشيء . وأنت الآن تطلب المجلة لآخر ونخشى ان يصير في آخر السنة وكيلا فيكون لنا ثلاثة وكلاء على لاشيء ثم تجدد هذا في كل عام... وما يدرينا اننا اذا أطعنا هذا الوكيل يصير خبره الى جميع المشتركين فيختارون ان يكونوا وكلاء، يتحكم كل منهم بارسال المجلة الى من شاء ، !!!

﴿ نحن واليازجي ﴾

الشيخ ابراهيم اليازجي فى الطبقة الاولى من أدباء نصارى بلاد الشام وقد اشتهر بالعناية والبحث فى اللغة العربية وانتقاد مايكتب بها وان قومه ليجلون قدره ، ولكننا كنا نراهم على نخرهم به يشكون من عجبه وصلفه ، ويألمون من غروره وتنفجه، ويقولون ان هذه الخلال حالت دون انتفاعه بعلمه وانتفاع الناس به ، وانها تحمله على أن يغمص العلماء والفضلاء الذين لا يدانيهم فى علمهم (كمنشئي المقتطف) لما قد يقع فى كلامهم أحياناً من كلمة دخيلة اوعامية ، أو عبارة تخالف بعض قواعد العربية ، على ان كلامه لايسلم من مثل ذلك ولكنه لانصرافه بكل همته الى التنقيح يقل فى كلامه الغلط والشذوذ . وللقوم شغل بالعلوم يأخذ من همتهم حظا هو أشرف ماتصرف اليه الهمم، ومما سمعناه عنه في بلاد الشام وفي هذه البلاد ان غروره بنفسه فى فهم اللغة جراه على الطعن فى القرآن العظيم الذي خضعت له أعناق البلغاء، وسجدت له جباه الفصحاء، أيام كانت البلاغة في أوج سلطانها ، والفصاحة فى ريعان شبابها . فكان لهذا الرجل في خيالنا صورة منتزعة من سيرته المسموعة غير جميلة لذلك لم تتوجه النفس الى طلب معرفته لأننا من قوم يفضلون الاخلاق الكريمة على العلوم العقلية والكونية، بله الفنون اللغوية ، ثم ان كلا منا يشتغل بالصحافة ولكن ليس بيننا وبينه مبادلة فلا نحن نطلع على مجلته ولا هو يطلع على مجلتنا الا أن يكون ذلك مصادفة واتفاقا

ثم كان في العام الماضي ان جمعية الكتاب المصرية ضمتنا في بعض جلساتها فرأينا صورة أجمل من تلك الصورة الخيالية رأينا لطافة ودماثة وأدبا كدنا نكذب به كل ماسمعناه مما لا يرضى لولا ان هذا اللقاء لايصح ان يسمى اختباراً يحكم به على الاخلاق. على أن اعتقادنا فيه حسن ورجحنا ان في قول الناس فيه مبالغة حتى اتفق لنا ما كشف الستار من حيث لانحتسب

رأى القراء أننا حين شرعنا في رد شبهات النصارى على القرآن. قلنا ان المجلة البروتستنتية نقلت هذه الشبهات من كتاب لهم « يقال ان للشيخ ابراهيم اليازجي يدا فى تصحيحه أو تأليفه أو الزيادة فيه وهو عندهم أقوى طعن في القرآن » معتقدين صدق الذين قالوا لنا ذلك لنبين لصاحب تلك المجلة وغيره ان آخر سهم فى كنانتهم طائش وان ما ارتضاه أعلمهم باللغة وعده طعنا فى القرآن ليس بأمثل ممايهذي به اجهلهم فهو دليل

على سوء قصده والا فعلى جهله ، ولكنني حفظت لليازجي حق ذلك الاجتماع القليل فأوردت الرواية بصيغة المجهول التي تشعر بالشك (يقال) ثم انني لم أكن راضيا عن نفسي تمام الرضى بما نشرته وأنا أشبه بالمضطر مني بالمختار لأن مدافعة المشاغبين الذين يطعنون في الدين من الفروض الاسلامية الكفائية اذا لم يقم بها أحد يكون جميع المسلمين العارفين عاصين لله تعالى . وقد لقيت بعد أيام من صدور المنار صاحبا لي وللشيخ ابراهيم فأخبرني بأنه استاء مما كتبت وأنكر مانسب اليه . فقلت له ان أحب شيء الي ان أجد سندا لإعلان براءته وحسبي في ذلك مانقلت انت عنه وانني سأبرئه في أول جزء يصدر من المنار . فقال لا تعجل حتى ترى مايكتب فان الذي أطلعه على المنار أغراه بالرد عليه والاغلاظ له ثم جاءني صاحب آخر بما كتبه فاذا هو قد أعاد لي تلك الصورة التي صورها الناقلون الاولون

أكبر الرصيف أمر تلك الكلمة (يقال ...) إكبارا حتى مثلها القارئ كلامه بصورة جبل عظيم يريد ان ينقض على العالم فتنقض معه المعاقل والصياصي ، وتشيب لهوله النواصي . وعدها من « الفوضى القلمية في هـذا القطر وانقطاع كل عقال فيه حتى أصبح كل شيء مباحا وصار الكاتب اذا هجس في صدره خاطر متخرص (كذا) أو مر بسمعه قول مرجف لايلبث ان ينشره بغير تثبت ولا فحص يشوش به الافكار ويجعله مصدراً للقيل والقال » . كأنه يرى ان ما كتبه أصحاب الجرائد الاسبوعية في الائمة الاعلام ، وفي كبار الامراء والحكام ، لايذكر في جانب تلك الكلمة في مقامه ولا تصل به الحرية الى حال الفوضى القلمية وكأنه يتوهم أن أبناء الملتين الكبيرتين (الاسلامية والنصرانية) ينتظرون سماع اسمه ونقل كلمة عنه حتى اذا ماقيل ان الشيخ ابراهيم قال كذا تضطرب الافكار ، وتجيش الصدور ، وتستعر نيران الجدال ، وتكون كلمته موضوع القيل والقال ، ولكن الكلمة قد قيلت ولم يحفل بها أحد . وأما المنار فإنما رد عليه كما رد من قبل على ما كتبه ذلك القبطي الذي لايعرف اسمه الامكتوبا على غلاف تلك المجلة فلا هو من العلماء ولامن الكتاب ولكنه من المشاغبين ، الذين ينشرون شبهات المشككين ،

وقال بعد نقل الكلمة انه وقف يقلب الطرف في هذا الكلام ويتمثل أيامه وأحلامه الماضية ليتذكر عهد اشتغاله بالمناقشات الدينية . ثم استدل من الكلمة على شدة حرصنا على إلصاق التهمة به وعلى أنه مأخوذ بها إما من جهة التأليف أو من ناحية التصحيح أو من جانب الزيادة . ثم قال اننا بنينا هذا الحرص وهذا الحكم بالاخذ على شهادة

«يقال» وهي شهادة ما أنزل الله بها من سلطان . وكتب باشا أديبه من الطعن والهجو

ولعمري ان استنباط هذه المعاني كلها من كلمة «يقال» ثم ادعاء انها هي نفسها انما جعلت شاهدا على المستنبطات ثم الاعتراف بانها شهادة لا تدل على شيء من ذلك — كل ذلك يناسب فهم ذلك المنتقد على القرآن الذي عمد الى الآيات المتناسبة الواردة في تأييد حقيقة واحدة فجعلها متعارضة متناقضة . سبحان الله ! اننا لم نكتب عنك يا علامة اللغة الا تلك الكلمة «يقال ...» فاذا كانت لا تدل على ثبوت شيء فمن أين استنبطت كل هذه المعاني ؟ لعلك استنبطتها من الطريقة التي فسرت بها القرآن بهواك . فسبحان من أعطاك، أو من التمرن على مجادلة الجزويت ، فلله أنت ولله ما أوتيت ،

ثم قال اننا كنا نستطيع ان نستثبت ذلك منه مشافهة وانه كان يعتقد الى الساعة التي علم فيها بالكلمة أننا من أصدقائه — وان لم تثبت مع التعصب صداقة — واذ ذلك كان يكفينا إعنات النفس في الاستخبار والاستطلاع أو كدّ المخيلة في الحدس والتكهن (كذا)

ما أشبه هذه الاقوال بتلك في الخطل والمساطة . أيظن الرصيف اللغوي ان تلك الكلمة «يقال ....» لم تأت الا من إعنات النفس في سؤال الكثير من الناس: هل كان لليازجي يد في كتاب كذا أم لا؟ أو من كدّ المخيلة في التكهن ؟ ان هذا الظن من أعجب وحي الغرور . وأعجب منه أن يظن رجل مثله شاخ في اختبار الناس أن فلانا صديقه وهو لم يختبره في شيء وإنما رآه مرتين أو ثلاثا ولم يتحدث معه الا بعض دقائق . أما قوله بأنه كان ينبغي لنا الاستثبات منه فهو صواب ولكنه مخفف بغروره إذ كلفنا ان نجيئه وهو يعلم أننا لا نعلم في أي ناحية من مصر يقيم وان أوقاتنا لا تسمح لنا بزيارة جميع أصدقائنا الذين يزورونا فضلا عن إضاعة الأوقات في السؤال عن غيرهم . ولعمر الحق انه لو خطر في بالنا ذلك عند الكتابة لكتبنا اليه وان كان الوقت قصيراً وانه لو كتب بعد ذلك رقعة يبرئ بها نفسه لبادرنا الى تبرئته ولكن هذا الغيظ الذي استولى عليه حتى كتب ما كتب مما كنا نجله عنه يدل على ان ما قيل عنه صحيح وإن بالغ في تنزيه نفسه عن المناقشة في الاديان فان الانسان لا يتألم مثل هذا الألم الا اذا كان ما قيل فيه حقاً

أما الصداقة فنؤكد له القول بأنه قلما يوجد في بلاد سوريا ومصر من له أصدقاء يخلصون لهم ويخصون له مثلنا . وان أصدقاءنا من فضلاء النصارى يعرفون حرصنا الحقيقي على الوفاق بين الملل وان مدافعتنا ما يفتريه أو يموّه به القسيسون والمبشرون وأعوانهم على الاسلام، مما يعيننا على الدعوة الى الوفاق والوئام ،

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاحد غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢١ — ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر ﴾

هذا ما اختاره الاستاذ الامام فى تفسير قوله تعالى « فقليلا مايؤمنون» وهناك وجه آخر أورده ابن جرير فى تفسيره وهو أنه لايؤمن بالنبي وما جاء به الاقليل منهم . والاستدراك على هذا الوجه أظهر فانه لما بين ان كفرهم المستقر ، وعصيانهم المستمر ، كانا سبباً في لعنهم وإبعادهم كان للوهم أن يذهب الى أنهم قوم قد سجل عليهم الشقاء وعمهم حتى لامطمع فى ايمان أحد منهم فجاء قوله تعالى «فقليلا مايؤمنون» يبين ان هذا الوهم لايصح ان ينطلق على اطلاقه وأن تأثير ماذكر فى مجموع الشعب لم يستغرق أفراده استغراقاً وانما غمر الاكثرين ويرجى ان ينجو منه النفر القليل وكذلك كان

(ولَمّا جاءهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكافِرِينَ * بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أنْفُسَهُمْ أنْ يَكْفُرُوا بِما أنْزَلَ اللهُ بَغْياً أنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ولِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ * وإذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أنْزَلَ اللهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ إلَيْنا ويَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

قال الاستاذ الإمام : ان قوله تعالى « ولما جاءهم كتاب » الخ متصل بقوله قبله « فقليلا مايؤمنون » والمعنى ان إيمانهم كان قليلا حال كونهم كانوا ينتظرون نبيا وكتابا مصدقا لما معهم وكانوا يستفتحون به على المشركين فكيف لايكون قليلا أو أقل بعد ماجاء ماكانوا ينتظرون وعرفوا أنه الحق ثم كفروا ؟ فالجملة حالية : ويصح أيضا هذا الاتصال الذي ذكره على الوجه الثاني فى تفسير « فقليلا مايؤمنون »

الكتاب هو القرآن نكره للتفخيم ، وتصديقه لما معهم موافقته له في التوحيد وأصول الدين ومقاصده. والاستفتاح طلب الفتح وهو الفصل فى الشيء والحكم ويستعمل بمعنى النصر لأنه فصل بين المتحاربين وكانت اليهود تستفتح على مشركي العرب بالنبي المنتظر يقولون إنه سيظهر فينصر التوحيد الذي نحن عليه ويخذل الوثنية التي تنتحلونها ويبطلها فيكون مؤيداً لدين موسى . فلما جاءهم ماعرفوا وتوقعوا راعهم كونه بعث فى العرب فحسدوه وكفروا به فسجلت عليهم اللعنة التي أصابتهم بكفرهم الاول بأن الكفر صار وصفاً لازماً لهم ولذلك قال « فلعنة الله على الكافرين »

ثم ذكر علة هذا الكفر وسببه وبين فساد رأيهم فيه بقوله « بئسما اشتروا به أنفسهم » الخ شرى الشيء واشتراه يستعمل كل منهما بمعنى باع الشيء وبمعنى ابتاعه لان الحرف يدل على المعاوضة . وقد ذهب جمهور المفسرين الى أن اشتروا هنا بمعنى باعوا أي أنهم بذلوا أنفسهم وباعوها بما حرصوا عليه من الكفر بغيا وحسداً للنبي وحبا فى الرئاسة واعتزازاً بالجنسية وما لكل من الرؤساء والمرءوسين من المنافع المتبادلة فى المحافظة عليها فهذا كله يعد ثمنا لأنفسهم التي أهلكوها بالكفر حتى كأنهم فقدوها كما يفقد البائع المبيع . وذكر ابن جرير وجها آخر وهو ان اشتروا هنا بمعنى ابتاعوا أي انهم جعلوا أنفسهم ثمنا للكفر الذي ذكرت علته آنفاً. وفيه من الزيادة على معنى المعاوضة فى الوجه الاول أنهم قد انقذوا أنفسهم بذلك الكفر أي أنهم يزعمون ذلك ويدعونه فى الظاهر وان كانوا فى الباطن قد عرفوا ان ما جاءهم هو الحق الذي كانوا ينتظرون، وانهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولكنهم يكتمون .

وقد فهم مما تقدم معنى قوله تعالى « بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » وأي بغي أقبح من بغي من يريد ان يحجر على فضل الله ويقيد رحمته فلا يرضى منه أن يجعل الوحي في آل اسماعيل كما جعله فى آل أخيه اسحق ؟ وأما قوله « فباءوا بغضب على غضب » فهو الغضب الذي استوجبوه حديثاً بالكفر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك الغضب الذي لحقهم من قبل بإعنات موسى عليه السلام والكفر به وقد ذكر في قوله « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ » ثم توعدهم بعد الغضب المزدوج فقال « وللكافرين عذاب مهين » ولم يقل

«ولهم» لما فى المظهر من بيان التعليل بالوصف وهذا العذاب مطلق يشمل عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقد تقدم ان ذنوب الامم تتبعها عقوبتها في الدنيا لأنها أثر طبيعي لها وانما جعلها الله كذلك لتكون عبرة يتأدب المتأخرون بما أصاب منها المتقدمين. وكذلك الحال فى عقوبة الآخرة بالنسبة الى الافراد فان عذاب كل شخص انما يكون بحسب تأثير الجهل فى عقله وفساد الاخلاق وسوء الاعمال في نفسه

اعتذر بعض اليهود فى عصر التنزيل عن عدم الايمان به بان قلوبهم غُلفٌ لم تفهم الدعوة ولم تعقل الخطاب فرد الله تعالى عليهم ببيان السبب الحقيقي في ترك الايمان، وما استحقوه عليه من الغضب والهوان، ثم ذكر اعتذاراً لهم آخر مقروناً بالرد والابطال واقامة الحجة عليهم منه فقال «واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل الينا» صيغة الدعوة تشعر بوجوب الايمان بما أنزل الله تعالى لانه هو الذي أنزله لا لأن المنزل عليه فلان ولذلك لم يقل: آمنوا بما أنزل على محمد: فان ما أنزل عليه لو أنزل على غيره لوجب الايمان به فان الوحي هو المقصود بالذات والانبياء إنما هم مبلغون فتقييد الخضوع لوحي الله بكونه لابد أن يكون منزلا على شخص من شعب كذا بعينه تحكم على الله تعالى وقضاء عليه بأن تكون رحمته مقيدة بأهواء فريق من خلقه. فايراد الدعوة بما ذكر من الاطلاق مع إيراد الجواب مقيداً بقيد «نؤمن بما أنزل إلينا» يشعر بقوة حجة الدعوة، ووهن ما بني عليه الجواب من الشبهة، ثم صرح بالحقيقة وهي أنهم انما يدعون هذا الإيمان بألسنتهم «ويكفرون بما وراءه» من مدلول ولازم لا ينفك عنه كالبشارة برسول من بني اخوتهم أي ولد اسمعيل وكون ما ثبت به نبوة محمد

بمساواته لما ثبت به نبوة موسى يستلزم وجوب اتباع محمد كما اتبع موسى لان المدلول يتبع دليله فى كل زمن وكل موضوع . قال انهم يكفرون بما وراء المنزل اليهم «و» الحال انه «هو الحق» الثابت فى نفسه بالدليل حال كونه «مصدقاً لما معهم» فهو مؤيد عندهم بالعقل والنقل وقد كان من من مكابرتهم وعنادهم ما كان فلم يبق الا إلزامهم الحجة بما اقترفوا من فحش المخالفة لما أنزل اليهم والفسوق عنه ليعلم أنهم انما يتبعون أهواءهم ويحكمون شهواتهم بما أنزل اليهم وما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال «قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين» بما أنزل اليكم وليس فيه الامر بقتل الانبيا بل فيه النهي الشديد عن قتل أنفسكم .

ومن مباحث اللفظ وضع المضارع (تقتلون) موضع الماضي (قتلتم) لما سبق بيانه فى مثل هذا التعبير من ارادة استحضار صورة هذا الجرم الفظيع مبالغة فى التقريع ، واغراقاً فى التشنيع . ولما كانت هذه الصيغة تدل على الحال فتوهم ان الذين فى زمن التنزيل كانوا لا يزالون يقترفون هذه الجريمة على أنه لم يكن فى ذلك العهد أنبياء الا من يبكتهم ويحتج عليهم — وصلها بقوله «من قبل» دفعا لذلك الوهم . والفاء فى قوله «فلم» واقعة فى جواب شرط دل عليه مابعده

وقد سبق القول غير مرة بان خطاب الخلف بإسناد ما كان من سلفهم اليهم مقصود لبيان وحدة الامة وتكافلها وكونها في الاخلاق والسجايا المشتركة بين أفرادها كالشخص الواحد وبيان ان ماتبلى به الامم من الحسنات والسيئات انما هو أثر الاخلاق الغالبة عليها والاعمال الفاشية فيها منبعثة عن تلك الاخلاق فما جرى من بني اسرائيل من المنكرات

لم يكن من قذفات المصادفة وانما كان عن أخلاق راسخة في الشعب تبع الآخرون فيها الاولين إما بالعمل وإما بالاقرار وترك الانكار . ولو أنكر المجموع ماكان من بعض الافراد لماتفاقم الامر ، ولماتمادى واستمر ، فالحجة تقوم على الحاضرين بأن الغابرين قتلوا الانبياء فأقرهم من كان معهم ولم يعد ذلك خروجا من الدين ولا رفضا للشريعة وتبعهم من بعدهم على ذلك وفاعل الكفر ومجيزه واحد وقد سبق تقرير هذا غير مرة

الخوارق والكرامات

المقالة الخامسة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل

(التنويم المغناطيسي — بقية بحث ابراء العلل)

قلنا ان من وجوه التعليل في ابراء العلل تأثير النفس الذي يعبر عنه الصوفية بتأثير الهمة وقد كان هذا فاشيافيهم لإنهم كانوا يعرفون تربية الهمة النفسية أي تربية الارادة والعزيمة، وقلنا إنهم لم يكونوا يقصرون هذا على أنفسهم بل كانوا يعترفون بوقوعه للوثنيين كالهنود وغيرهم وانما سرى هذا الى المسلمين من الهنود . ونقول الآن ان هذا التأثير قد ظهر في هذا العصر — عصر الصناعات والعلوم الطبيعية — بشكل صناعي يعبرون عنه بالتنويم المغناطيسي الذي شاع ذكره واشتهر أمره وكثرت فيه الدعاوي ومن أغربها ان المنوّم اذا سأل المنوّم عن شيء من الامور الغيبية التي لم يسبق له بها علم يجيبه عنه لأن روحه بغيبتها عن الحس تطلع على ماوراءه ومنه ان المنوّم اذا قال للمنوّم إنك قد برئت من علتك وشفيت من مرضك — وهو مريض — فانه يبرأ حالاً واذا قال له ان الجوّ بارد ينتابه البرد حالاً ويقفقف وان كان الحر شديداً وكذلك اذا قال له ان الحرّ شديد في إبان البرد القارس فانه يسرع اليه العرق مما يجد من الحر .

ومن العلماء من ينكر هذه الدعاوي ويعد منتحليها من المشعوذين . والمحققون من الاطباء والطبيعيين يقولون ان الذي ثبت بهذا التنويم شيء واحد وهو تأثير النفس

في النفس وحكم الارادة القوية على الارادة الضعيفة وهذا هو الذي كان معروفاً عند القدماء من الصوفية وغيرهم على ماعلمت من الجزء الماضي . وقد جاءنا بعد صدوره العدد ٢٢ من جريدة (الافكار) التي يصدرها في سان باولو البرازيل (أمريكا الجنوبية) الدكتور سعيد أبو جمرة فرأينا فيه مقالة في ذلك رأينا ان ننشرها هنا لما نعلم من تشوف أكثر القراء الى الوقوف على آراء العلماء المحققين في هذه المسألة قال بعد العنوان ما نصه :

« كانت امامنا مجلة نيويورك الطبية عدد ١٨ نيسان الماضي وبها مقالة بديعة عن التنويم المغنطيسي تتضمن أحدث الاراء وادق المعاني عن مسئلة هامة شغلت عقول العلماء والاطباء مدة طويلة والآن ورد علينا سؤال من صديق عزيز علينا يسألنا ابداء رأينا في استعمال التنويم طبياً في احدى الحالات المرضية فاخترنا اذ ذاك تلخيص هذه المقالة حباً بافادة القراء وهي خطاب لاشهر طبيب أمركاني « الدكتور هاورد » القاه امام عمدة مدرسة الاطباء والجراحين في مدينة بلتيمور . وهاك فحواه مع بعض التصرف والاختصار :

« أيها السادة . كثر الدجالون القائلون الآن باستعمال التنويم المغنطيسي في كل الامراض تقريباً وكثر الناس الذين لسوء الحظ يصدقون بأقوالهم المزخرفة وبراهينهم السطحية السفسطية حتى صار صبيان الازقة عندنا يقولون « المغنطيس الحيواني والهستيريا والمغنطيس » وهلم جرا . واننا لسوء الحظ نقول ان بعض هؤلاء الدجالين هم أطباء قانونيون مثلنا . ولكنهم يستعملون هذا السلاح الحاد بدون معرفة وبلا تمييز حتى صرت أود من كل قلبي ان تختفي المعرفة عن التنويم فاني أرى اضرارها أكثر من منافعها في يدي هولاء المشعوذين والسحرة

« واني لا أخفي عليكم رأي شاركو شيخ الاطباء الحاليين في كل العالم من هذا القبيل اعني قوله لي في وسط مكتبه وعلى مسمع من عشرات من أطباء الارض يقصدون باريس سنويا للاستفادة من شاركو ذلك البحر الزاخر قال لي ان التنويم والهستيريا فرعان لاصل واحد . أي ان المريض المهستر يقبل التنويم والذي يقبل التنويم يكون مهستراً أو ضعيف العقل و لارادة والعكس بالعكس . وهذا هو عين الواقع أيها الرصفاء .

وعلى هذا قد صادق الدكاترة برنهاين وليبول في أوروبا وانا فى أمركا بعد احصاآت عديدة حسية في المستشفيات هنا وفى مكتبي الخاص أيضاً . ولما كان هذا الخطاب لاجل الحقائق لالاجل تقديم الاراء فاني انتقل بغتةً الى التجارب الحسية امامكم لاقناعكم بصحة قول شاركو وقولي . انظروا هذه الدجاجة على الطاولة امامي هاانى الآن أنومها (فنومها فمدت ساقها وذبلت جفنيها ونامت مغنطيسياً حالاً) باشارة صغيرة . وعلى الطرف الآخر انظروا هذه الحمامة . هاقدنامت أيضاً . والآن تقدمي يامس ... (ونادى سيدة كهلة عزباء مصابة بمرض تتطبب عنده) فترون أيها السادة الرصفاء ان كلمة صغيرة الى مس... تجعلها تحت تسلط ارادتي ... نامي . أقول لك أنت الآن نائمة . لاتشعرين . لاتنظرين . لاتسمعين ... فها قد نامت هذه السيدة مثل الدجاجة والحمامة حالاً . ولكنكم اذا أتيتم بشاركو وكل أطباء الارض وعلمائها فانهم لايقدرون ان ينوموني . (ضحك واستحسان)

وهذا يأتي بنا طبعاً الى هذا السوال المهم وهو : من هم الناس الذين ينامون وما هي ماهية التنويم؟ فمن الاول أجيب ان الناس الذين ينامون هم كل الذين يشكون من ضعف مافي مراكز العقل والارادة . وهؤلاء كثار العدد خلاف ماتتصورون. وعلى ما أظن انهم ٣٠ بالماية فى العالم المتمدن واكثر من نصف الناس في غيره . ولكن أنواع التنويم وهيئاته مختلفة . فاني اذا نومت زيداً وقلت له لاتشعر بالالم فانه لايشعر واذ ذاك فاقدر ان أعمل عملية جراحية صغيرة عليه وهو كأنه تحت البنج . ولكني اذا فعلت ذلك مع عمرو لا أنجح بل أنجح اذا قلت مثلاً انك لاتسمع أو لاتبصر أو لاتبرد مع ان الماء المثلج يسقط على بدنه العاري . أما عن الثاني اي ماهية التنويم فأقول بالاختصار انها غير معروفة تماماً . سوى ان المظنون هو حكم ارادة قوية على ارادة ضعيفة بمظهر كبير . وعلى هذا القياس نقدر ان نقول ان من يستولي على عقول الناس وأميالهم وأفكارهم ليس سوى منوم وما الناس الذين يقادون له الاّ مصابون بنوع من أنواع الضعف العقلي (أو الدماغي) حتى أصبحوا عرضة لان ينوموا بالتنويم المغنطيسي ولو بمظهر بسيط وبهيئة دارجة عادية قلما يعلق عليها الناس كبير أهمية. ولهذا السبب لاتتعجبوا اذا قلت لكم ان نصف العالم عرضة للتنويم المغنطيسي بأحد

أنواعه هذا اذا لم أقل نصف المتمدنين (استغراب وهمس في الحضور)

«استعماله طبياً: أما دائرة استعماله العامي فضيقة لكنها مفيدة للغاية في يد منوم شريف عفيف عالم . ومضرة للغاية أيضاً في يد المحتال محب المال الدجال الساحر الغاشم الكافر . ورأي شاركو في استعمال التنويم هو: — يحسن (أي لايجب) بنا ان نستعمله فى أمرين فقط وهما (١) عند وجوب تحقيق أو تشخيص أمراض الدماغ والعصب للتمييز بين الامراض العقلية منها وبين أمراض مادة الدماغ ذاتها أي للتمييز بين الامراض الوظائفية والامراض الآلية. مثلاً اذا جن زيد فيجب علينا تحقيق سبب الجنون هل هو ناتج عن خلل في احدى وظائف الدماغ أم عن مرض أصاب الدماغ ذاته كنزيف أو احتقان أو ضغط عظم جمجمة مكسورة وهلم جرا. و(٢) عند تخفيف الآلام ومعالجة الارق أو قلة النوم التي تضنك الجسم وتسبب له الضعف الشديد والتعرض للجنون بأحد أنواعه. وعلى هذا فاستعملوه في آلام الحمى الروماتزمية (داء المفاصل الحاد). في الارق المستديم. في الامراض العصبية التي تأتي بالألم الشديد ليلا . في بعض انواع الفالج وما شابه من الحالات. اما في الهستيريا وهو المرض الذي يكثر به احتيال الدجالين فاستعملوه نادراً وبحذر تام. أي انه يحسن بنا ان نستعمله في الهستيريا اذا كانت المهسترة أو المهستر متألماً جداً من ارتجاف الاعضاء أو تقلصها أو انكماشها أو شللها أو التوقف عن عمل وظائفها الطبيعية كحبس البول أو الامتناع عن الاكل والشرب والنوم وما شاكل ذلك من العوارض التي اذا دامت مع العليل تؤذيه وتأتي له بامراض ثانوية مضنكة. ولا بأس من استعماله فى حالات السكر اذا كان السكران عرضة لان يضر ذاته أو غيره وكذلك في حالات المانيا (نوع من الجنون) الحادة أو الملانخوليا التي تجعل المصاب عرضة للانتحار . وفي كل هذه الظروف فليكن استعماله بحذر تام وباعتدال لحد الامساك. انتهى باختصار وتصرف» اه

(المنار) نكتفي بهذا البحث في هذا الجزء وسنعود في الاجزاء الآتية الى الكلام في بقية أنواع الخوارق وتعليلها المعقول ان شاء الله تعالى . وقد نقلنا عبارة الافكار بحروفها وفيها من النقد فى اللغة والاسلوب ما يعذرنا القراء على عدم التعرض له

﴿ شبهات النصارى وحجج المسلمين ﴾

﴿ النبذة الثالثة فى رد شبهاتهم على القرآن ﴾

﴿ الشاهد التاسع على تناقض القرآن بزعمهم ﴾ قوله تعالى فى سورة الانعام « وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » مع قوله تعالى فى سورة النساء « يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثاً » والجواب عنه من وجهين أحدهما أن لفظ (يوم) له إطلاقان إطلاق بمعنى مدة بياض النهار أو مجموع ليل ونهار وإطلاق بمعنى الوقت مطلقاً واذا أضيف الى حادثة وقعت أوقدر وقوعها في المستقبل يراد به الاطلاق الثاني ومنه أيام العرب المشهورة لايريدون باليوم منها بياض نهار ولا مجموع نهار وليل وانما يريدون الوقت وان كان ساعة واحدة أو أياما طويلة بحسب الإطلاق الاول. ومنه أيضاً ماعبر عنه في القرآن الكريم بكلمة يومئذ أو يوم يكون كذا كقوله « ويوم نحشرهم جميعا » وقوله « يومئذ يود الذين كفروا » الخ ومثالهما كثير جدا لاسيما في سياق الكلام على الآخرة التي ليس فيها أيام تتعاقب مع الليالي فمعنى «يوم» في كل آية وقت يحدده الفعل الذي تعلق هو به في الآية أو المضاف اليه كيوم الحسرة

اذا تمهد هذا فاعلم ان الآيتين اللتين زعم النصراني تناقضهما تدلان بأمرين يكونان في يومين أي وقتين مختلفين أحدهما حشر المشركين وسؤالهم عن الشرك وقد أخبر انهم يومئذ ينكرون كما فى آية الانعام وثانيهما إتيان الله بعد ذلك الانكار بالشهداء يشهدون عليهم وفي ذلك الوقت (أو اليوم) يضطرون الى الاعتراف فيعترفون ولا يكتمون كما فى آية النساء. وقد حذف المعترض الآية التي قبل قوله تعالى «يومئذ يود الذين كفروا» الخ وهي التي تدل على أن عدم الكتمان إنما يكون بعد شهادة الشهداء وهي قوله عز وجل « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً » ومجموع الآيات يمثل لنا محاكمة في الحساب الاخروي ينكر فيها الخصم جريمته أولا

ثم يضطر الى الاعتراف بعد شهادة الشهداء وإقامة البينة كما يعهد في الدنيا. والحكمة في هذا ردع العصاة وانذارهم عاقبة الفضيحة في تلك المحاكمة التي لا يظلم فيها أحد. فالآيات متوافقة متطابقة وما أظن ان ذلك « العلامة اللغوي » الذي حرّر الاعتراض يجهل ذلك وانما هو مكابر ومشاغب

هذا هو الوجه الأول في الجواب وأما الوجه الثاني فهو ماذهب اليه بعض المفسرين من أن الواو في قوله «ولا يكتمون الله حديثاً» واو الحال وليست واو العطف فتدلّ على عدم الكتمان ومعنى الآية حينئذ ان أولئك الكافرين العاصين تأخذهم الرهبة ويحيط بهم الوجل فلا يتجرأون على الكذب على الله تعالى وإنكار ماكان منهم بل يودون ان يكونوا ترابا فتسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يعلمون انه محيط به وانه لا يعزب عن علمه، كما تقول: أودّ أن أقتل ولا أغشك: أي انني استحب الموت وأفضله على غشك. وبهذا التفسير تكون هذه الآية بمعنى الأولى وهو لا يأباه النظم ولا ينبذه الاعراب ولا ترفضه البلاغة والفصاحة وما هو بتأويل، ولا انحراف عن السبيل، ولو شاء المجيب ان يكثر من الوجوه لفعل فانه يشترط في تحقق التناقض الاتحاد في الموضوع والمحمول والزمان والمكان، الى آخر مايسمونه الوحدات الثمان، فكما ان الجواب الاول أبان عدم التناقض لعدم الاتفاق في الزمان (والجواب الثاني نفى الخلاف بالمرة) فلنا ان نجيب جوابا ثالثا باختلاف الموضوع فنقول ان التناقض غير متحقق لاختلاف القضيتين في الموضوع فان إحداهما تحكي عن المشركين والاخرى عن الذين كفروا وعصوا الرسول وتشمل الموحدين الذين لم يشركوا ولكن كان كفرهم برفض الايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام كما تشمل الذين آمنوا برسالته، ولكن عصوه في هدايته، وهذه آيات القرآن تصف اليهود بالكفر دون الشرك. ثم ان لنا ان نجيب جوابا رابعاً بمنع التناقض لاختلاف المكان فان ليوم القيامة مواقف كما ورد فيحتمل ان ينكر المشركون والكافرون جميعاً في بعضها ويعترفوا في بعض آخر والجواب الاول هو العمدة ويليه في القوة الثاني

(الشاهد العاشر) قوله تعالى في سورة فصلت « قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ (الى قوله) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ » زعم المعترض ان هذا الكلام يفيد أمرين أحدهما انه خلق الارض والسموات في ثمانية أيام والآخر انه خلق السماء بعد الارض لاقبلها لكن الاول منقوض فى سبعة مواضع من القرآن بما معناه انه خلقهما وما بينهما في ستة أيام لافي ثمانية والثاني منقوض بقوله فى سورة النازعات « أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا » . ونقول فى الجواب عن الامر الاول إن من المستعمل الشائع عند العرب أن يقال مثلا سرت من القاهرة الى طنطا في يومين والى الاسكندرية فى أربعة أيام ويراد فى يومين آخرين كانا مع ماقبلهما أربعة أيام ولذلك لم يتوقف أحد من الصحابة فى فهم الآية ولم ير مفسروهم كابن عباس وغيره ان هذه الآية تحتاج الى بيان وإنما اختلف فى إعرابها وإعراب أمثالها النحاة فقدر بعضهم مضافا محذوفا للقرينة فقال المعنى « فى تتمة أربعة أيام » كما قدروا في مثل « واسأل القرية » كلمة (أهل) أي اسأل أهل القرية وذهب الزمخشري الى ان الجار والمجرور خبر مبتدإ محذوف يفيد ان العمل او السفر كان في أربعة أيام على طريق الفذلكة ولما كان المعترض مطلعا على هذا ومقتنعا بحسنه في قلبه لم ير سبيلا لصرف الوجوه عنه الاشتم قائليه بتسميه ذلك تأولا من عبث الولدان وقد زين له تعصبه ان يقول انه لو صح هذا « للزم منه ان يقول بعد ذلك عن السموات فقضاهن سبع سموات في ستة أيام لا فى يومين كما قال » واحتج على ذلك بزعمه فقال ان موضع الفذلكة آخر الكلام لاأوله . وقد تجاهل أن الآية التي تنطق بخلق الارض قد تمت وجاءت الفذلكة فى آخرها وأن الكلام في خلق السموات جاء فى آية أخري ابتدأت بثم التى تستعمل فى التراخي فى الزمن أو فى رتبة العمل ونوعه بصرف النظر عن زمنه كما في قوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » وهكذا شأن أهل العنت والبهت والتعصب الذميم

وأما الامر الثاني فقد أخذه المعترض من اختلاف المفسرين في خلق السموات والارض أيهما أسبق لاختلاف فهمهم في الآيتين . وله بعض العذر — وهو ينظر بعين السخط والنقد — اذا آنس فيهما خلافا أوشبهة خلاف فتشبث بها وصرف ذهنه عن الجمع بينهما بما جمع به المفسرون . واني أقول ان جميع المفسرين قد قصروا في تفسير أمثال هذه الآيات التي تتكلم فى أمور المبدإ والمعاد وغير ذلك من الامور الغيبية ولهم العذر فان هذه الامور لم تذكر في الكتب المنزّلة لشرح حقائقها وبيان كنهها بالتفصيل ولا لبيان تاريخها وإنما يذكر الخلق والتكوين للاستدلال على قدرة الله وعلمه وحكمته ولتوجيه الانظار الى الاعتبار بما في المخلوقات والمكونات من العلوم والحكم ووجوه المنافع . وقد أجاز بعض علماء اللاهوت من النصارى أن يجيء فى الكتب المقدسة من العبر والدلائل الصحيحة ما يبنى على اعتقاد الامم المخاطبة بها وان خالف الحقيقة لأن شرح الحقائق الكونية ليس من موضوع الدين وإنما موضوعه الهداية الى الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح وإنما أجازوه لانه كثير في كتبهم

ومن عجائب القرآن وضروب إعجازه انه يصوغ الحقائق في قوالب العبر فترى العبرة بادية يستفيد منها العوام والخواص والحقائق كامنة فيها يستخرج منها أصحاب القرائح والفهوم ما ينتهي اليه استعدادهم فى كل زمن بحسب ارتقاء العقول وتقدم العلوم فيه . كان الناس يتلون فيه آيات التكوين منذ ثلاثة عشر قرنا فيهتدون بدلائلها ويتمتعون بعبرها ولا يرون فيها شيئاً مخالفاً للحقائق الكونية التي كشفها العلم . ثم ارتقى العلم الكوني في آخر هذه المدة وقرر أهله أشياء فى أمور الخلق والتكوين تؤيد القرآن من حيث لا يعلمون . قالوا ان السموات والارض قد خلقتا من مادة تشبه الضباب سموها بعضهم سديما كانت مادة واحدة فانفطرت أو انفتقت فكان منها أجسام كرّية الشكل انفصل منها كرات أخرى . وقد سبقت الاشارة الى ذلك فى القرآن بمثل قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان » وقوله « أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا » وقوله « فَاطِرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ »

وقالوا إن هذه الارض لم تخلق هكذا ابتداء وإنما خلقت أطوارا فكانت نارية ثم مائعة ثم يابسة ليس فيها نبات ولا حيوان ثم صار فيها الحيوان والنبات وما حدث

هذه الاطوار الا بالتدريج الطويل كل طور في زمن يليق به . وهذا التفصيل الذي قالوه يفسر الاجمال في قوله عز وجل « قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين » والمعنى ان أصل التكوين تم في زمنين (ولا تنس ماتقدم شرحه من استعمال كلمة يوم في مطلق الزمان) ولا يأبى ذلك ان تكون في أحدهما كرة نارية وفي الثاني مائعة. ثم قال انه بارك فيها وقدر فيها الاقوات حتى صارت صالحة للسكنى وارتقاق الاحياء في يومين تتمة أربعة أيام وذلك صريح أو كالصريح في طور اليابسة التي ظهرت في الماء وطور الاحياء التي ظهرت في اليابسة . ثم انتقل بعد هذا البيان الى ذكر خلق السماء. فذكر أنها كانت دخانا وأنه خلقها في يومين أي في زمنين كل منهما تم فيه طور خاص فكان خلق السماء وتكوينها كخلق الارض. ولم يخبرنا بماقدر فيها بعد ذلك ولا بعدد الازمنة التي تدل على عدد الاطوار لان العبرة والاستدلال المقصودين من ذكر التكوين لايتمان الافيما للانسان فيه علم ما وان لنا علما ما بوجود السموات والارض فذكر لنا خلقهما وعلما بما في الارض من الاقوات والخيرات فذكر لنا خلق ذلك

فانت ترى انه لايراد بالايام التي خلقت فيها السموات والارض أزمان متعاقبة بينهما ولا غير متعاقبة وإنما يراد بها الاشارة الى الاطوار ومن شأن الاطوار ان تتعاقب في كل شيء بحسبه « وَخَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا » فلو فرضنا ان الزمنين اللذين خلقت فيهما الارض هما الزمنان اللذان خلقت فيهما السماء بعينهما كما أن الطورين متحدان لما لزم من ذلك شيء يعترض به على التعبير، اذ ليس المراد بيان التقديم والتأخير، ومن هنا تعلم ان قوله بعد ذكر خلق الارض «ثم استوى الى السماء» لم يقصد به الترتيب في الزمن بل الترتيب في الذكر كأنه قال اننا سقنا لكم هذه الآية من آيات قدرتنا وحكمتنا ثم اننا نسوق لكم آية أخرى. واستعمال (ثم) في الترتيب الذكري كثير في القرآن وفي كلام العرب والمولدين

وأما قوله تعالى بعد ذكر خلق السماء في سورة النازعات «والارض بعد ذلك دحاها» فلا يدل على أن خلق الارض كان بعد خلق السماء، ولا قبله إذ ليس معنى الدحو الخلق والتكوين وانما معناه تمهيدها للسكنى في نهاية الطور الرابع ولذلك وصل كلمة (دحاها) بتفسيرها فقال « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » ولاشك ان هذا كله كان بعد خلق السماء ووجود الليل والنهار الذي عبر عنه بقوله « وأغطش

ليلها وأخرج ضحاها » فظهر أنه لاتناقض ولا تنافي ولاتخالف بين آيات (فصلت) وآية النازعات. وثم وجوه أخرى ذكرها المفسرون تنطبق على اللغة وانما ذكرنا ماهو الراجح عندنا بحسب ما وصل اليه علمنا وفوق كل ذي علم عليم

القسم العمومي

نظام الحب والبغض ـ تابع ويتبع

ماهو الخير والشر ؟

هاتان الكلمتان (الخير والشر) وما رادفهما يرد ذكرهما كثيراً في العلم الباحث عن أحوال النفس ومعاملاتها بل عليهما مدار هذا العلم في أوامره ونواهيه لأن الأنسان في محبته طالب خير وفى بغضه هارب من شر . وهذا هو ديدن الانسان مدة حياته . وكل واحد يعتقد فى الجهة التى يطلبها الخير لنفسه وفي الجهة التى يهرب منها الشر (اللهم الامبغضي ذواتهم) وكل واحد ينبسط للخير وينقبض من الشر . ولكن هل كل واحد يعرف ماهو الخير وما هو الشر وهل كل من اعتقد في جهة من الجهات الخير أو الشر مصيب ؟ لو كان كل واحد عارفاً بهما لكان كل واحد مصيباً فى طلبه وهربه ولو كان كل واحد مصيباً لتضاءل الشر وتبارك الخير.

هذه القضايا مسلمة وبناء عليها نسأل ويقال لنا : من ذا الذي يتولى للناس تعريف هاتين الكلمتين ؟ فنقول هم الباحثون فى أحوال النفس . فنسأل مرة أخرى ويقال لنا: من هم أولئك الباحثون ؟ هل هم الآناس أمثالنا ؟ وفى هذا السؤال رائحة الإباء والاستنكاف فيجب ان يكون فى الجواب رائحة الرفق والأناة فنقول: الباحثون فى علم النفس أناس أمثال غيرهم من حيث الصور الجسدية وكذلك الباحثون في كل علم . ولكن لكل امرىء في هذه الحياة عمل تتفق له فيه اجادة لاتتفق لغيره سيما ان كان ذلك الغير ليس من أرباب ذلك العمل . مثاله الشاعر هو رجل وأنت يا أيها الفلاح رجل فلم أنت عاجز عما يعلمه ويعمله هو ؟ أليس لإنك لم تعان الشعر ؟ (بلى) واني أبشرك بأنه هو عاجز أيضاً عما تعلمه وتعمله أنت لانه لم يعان ماعانيته . كذلكم قولوا فى الصائغ هو عاجز عما يعلمه ويعمله الخياط والثاني عاجز عما يعلمه الاول .

وكذلكم قولوا في أرباب العلوم والصنائع كلها . ويومئذ لا يصعب عليكم ان تقولوا ان الذى يعانيه علماء النفس من التفكر والتذكر واختبار الاحوال وتجربة الأمور ربما لايتفق لغيرهم ان يعانوه . فاذا كانوا أمثالهم من جهة صورة الجسد لايلزم ان يكونوا أمثالهم من جهة صورة الفكر . ولعمركم ان ابن خلدون والغزالي لايحصى مشابهوهما فى الخلقة ولكن مشابهوهما ومقاربوهما فى صنعتيهما يعدون على الأصابع وربما لايبلغون عدد أصابع الكفين .

فاذا علم السائل هذا وسهل عليه ان يعرّف له علماء النفس (في انفرادها واجتماعها) الخير والشر فليصغ الى ماقتبسناه منهم بفكر خالص من الوهم والتقليد وليتأمله بعقله المستفاد لابعقله المستعار .

« الخير هو استعمال الانسان ماخلق الله له من القوى والاستعدادات فيما خلقت لاجله استعمالا مشروعاً (أى تابعا لشرع) يراعى فيه حق الغير » والشر ضده أى عدم الاستعمال مطلقا أو الاستعمال في غير ماخلقت لأجله أو الاستعمال الذى ليس بتابع لشرع .

هذا التعريف واف جامع لكن التعاريف فى الحقيقة لايستغنى بها الناس عن الشروح والايضاحات والأمثلة (اللهم الا أذكى الاذكياء) فكأنها انما تسطر لتكون قاعدة وأصلا للشروح ولتحفظ عبارتها الجامعة بعد ان يحيط الناس خبراً بالمسئلة من الايضاحات والأمثلة .

ان الله جل ثناؤه قد خلق في الانسان قوى واستعدادات بعضها نصيبها مباشرة المحسوسات وبعضها نصيبها ملاحظة المعقولات فكل مايستعمل فيه الانسان قواه وينال يلتذ به وكل مايلتذ به الانسان خير الا لذة تؤدي الى ألم أو لذة يغصب فيها حق الغير . وكل مايمنع الانسان عن استعمال القوى فهو شر .

(مثال أول) أنت اذا أكلت فمعناه (١) انك تمكنت من ان تأكل وهو دليل عدم مرضك وعدم حرمانك من حصول الطعم . و (٢) انك استعملت القوة المخلوقة لك لأجل الأكل لحكمة حياتك وهو دليل محبتك لذاتك لأنك لولم تستعملها لم تحي . ودليل انك وافقت الفطرة التى فطرك الله عليها . و (٣) انك تلذذت فى أكلك وهو دليل سلامة حواسك . وكل هذه الاشياء لاشك في كونها خيراً . أما اذا أكلت فوق

الشبع فانك سوف تتألم إما عاجلا وإما آجلا · وقد عطلت فى هذا الأكل القوة التى تستطيع بها ان تأكل · وقللت لذلك فيما بعد · وخالفت الأدب · وكل هذه شر · وكذلك اذا تعديت في أكلك على حق الغير كأن غصبت الذي أكلته من غيرك فإن هذا يؤدي الى ان يشاجرك عليه وقد يقوى عليك بقوته أو القوة المؤلفة لحفظ الحقوق (قوة الحكومات) واذا قوى عليك فقد يغصب منك ماتحتاج اليه وقد يعمل فيك أعمالا تمنعك عن الالتذاذ بالأكل · وكذلك اذا استعملت القوة فى غير ماخلقت لاجله كما اذا أكلت سما أو ترابا · أو لم تستعملها ألبتة كبعض الذين يعملون ذلك ويجوعون أياما كثيرة عمداً · فكل هذه المذكورات شر ·

(مثال ثان) وأنت اذا واقعت فمعناه (١) انك تمكنت من الوقاع ولم يمنعك مانع · و (٢) انك استعملت القوة المخلوقة فيك لاجل الوقاع لحكمة بقاء النوع . و (٣) انك وافقت الفطرة . و (٤) انك أحببت غيرك و (٤) انك تلذذت · وكل هذه المذكورات دليل سلامة حواسك وسلامة فطرتك وسلامة عقلك ودليل أمنك من الموانع الغيرية كالموانع الذاتية · وكلها خير اذا كان وقاعك تابعاً لنظام · أما اذا أفرطت في الوقاع افراطاً يعطل القوة أو استعملت القوة في غير ماخلقت لاجله كأن واقعت بهيمة أو دبرا أو أهملت الوقاع المشروع من غير مانع · فإن هذه الاشياء عين الشر ·

(مثال ثالث) وأنت اذا اكتسيت فمعناه (١) انك حصلت ماتتقي به الحر والبرد و (٢) انه أحبك الغير اذ عمل لك ماتلبس وأحببت الغير اذ سترت عن عينه ماربما يكره ان يراه و (٣) انك أحببت ذاتك اذ وقيتها أو زينتها . وكل هذه خير · أما اذا لبست مالا عدل فيه كلبس مالايلائم عملك كديباج وأنت تعمل في الطين أو قنب غليظ وأنت حاكم أو بزاز وكلبس شيء يليق بالاناث دون الرجال وكالتزين بشيء يحتاجه الناس للمبادلة أشد الاحتياج · أو أبغضت ذاتك فلم تلبس اولبست مايلائم عملك أو لبست مالا يلائم الزمان كلبس أخف الثياب في أشد الايام برداً وبالعكس · فكل هذه وما أشبهها من الاشياء التى لاعدل فيها شر ·

(مثال رابع) وأنت اذا أويت الى ميت وبت فى أمان فمعناه (١) انك نلت حاجة لايعلو فيها عليك الملوك الا بالزخرف · و (٢) انك نلت من فوائد اشتراكك مع الهيئة

المجتمعة لأنك ماوجدت هذا الميت الا بفضل اجتماعهم ولا وجدت هذا الأمان الا بفضل التكافل المشروط طبعاً ووضعاً وشرعاً ولولا ماذكرنا لما كان ميتك أفضل من جحر الوحش ولا كنت بآمن من حمام بين صقور، ولا آنس من حي بين موتى القبور، فقدر هذا الخير بنظرك لتعلم فضل غيرك على ذاتك ولتعلم ان لذاتك فضلا على غيرك به استوجبت فضله عليك. ولتعلم من هذا ان الأمر تكافؤ وتكافل. لاتطوّل وتفضل، وان الفضل كله لله وحده، وان الخيرات لاتمدونا طرفة عين ولكننا غافلون نجلب الشر على أنفسنا بأنفسنا حنيناً منا الى جهالات سبقت ونحن لها متوارثون الى ان يأذن الله بتقشعها رويداً رويداً.

أما اذا استوحشت نفسك وتشبهت بالوحوش في مساكنها ومعايشها فمعناه انك أهملت الاستعداد الذي فيك وخالفت الفطرة وابغضت ذاتك فلا شك بأن هذه الحالة من الشر.

(مثال خامس) وأنت اذا تفكرت في خواصّ المحسوسات وعجائب المعقولات فأنت يومئذ أنا الخَيِّرُ العظيم يوم ينتج تفكرك علماً وعلمك عملا وعملك نفعاً عميما وشرفا للنوع عظيما. بربكم قولوا لنا اذا استثنينا من هذا النوع أولي الالباب من الانبياء وذوي الافكار من الحكماء والمخترعين والمعلمين فأيّة مزية تبقى في الباقين وأي شرف لهم؟ أولئك هم مفاتح أبواب الخير ومصادر الشرف الاعلى لهذا النوع. أما من أساء استعمال التفكر كأن تفكر بالعدوان وأساليبه فهو الشرير العظيم. ومثله أو قريب منه من أهمل الفكر لأنه يصعب علينا ان نفرّق بين عامل بالشر وحامل عليه لانه تفكر وبين واقع في الشر ومحمول عليه لانه لم يتفكر. نسأل الله السلامة لأفكارنا من ان نهملها ومن ان نعملها في باطل ومن ان نعميها بالتقليد.

هذا ويرى القارئ انا تساهلنا أو سهلنا العبارة وتنازلنا بالتمثيل الى أمور ليس ادراكها بالصعب فربما ظن اننا نكتب كتاباً لقراءة المبتدئين. وهذا الظن قد ينشأ من أمرين الاول الاسلوب الذي التزمناه لزيادة التوضيح وعدلنا به عن سرد الكلام والثاني استصغار هذه الامور التي مثلنا بها. ولما كان الواقع يكبر هذه الامور التي سبكنا نضار حقائقها بقالب سهل المأخذ وجب ان نزيدها تبيانا ونزيد الخير والشر تعريفاً:

ان الانسان هذا المخلوق العظيم ، صاحب العقل المنير ، صاحب الرأي والتدبير ، صاحب السلطان على مخلوقات الارض ، والاشراف على مصنوعات السماء ، صاحب التمدين والاجتماع ، صاحب الابداع والاختراع ، صاحب المنطق المفيد ، والعزم الشديد . صاحب الصورة التامة ، والروح العالية ، صاحب المآثر والآثار ، كاشف الخواص والاسرار ، هذا السائد بالفكر الممتاز به لم يخرج فى كل مزاياه التي عددناها وغيرها مما يعجز القلم عن تصويرها تصويراً شعرياً خيالياً أوحقيقياً عن كونه حيواناً محتاجاً كالحيوانات الى طعام وشراب ومأوى مسوقاً من طبيعة خلقته الى الوقاع ومعالجة ألم الباه . فهب اننا سميناه قطب هذا الوجود ، وصفوة البشر من كل موجود ، وهب اننا رفعنا علومه فوق الشمس مقاماً وضياء . وأحللنا فضائله فوق التصور درجة واستقصاء ، ونوهنا بمنزلته عند خالقه ، وعظمنا الاعتبار للطبيعي من خلائقه ، أفنستطيع ان نقول انه مقدس عن المطعم والمأوى والمنكح ، بعد ما اختبرناه دهوراً دهارير ، وبلوناه فذا وفي العير والنفير . هل علمنا منه غير كونه هلوعا ، اذا مسه الخير مما يغذوه ويكسوه كان منوعا ، واذا مسه الشر من جوع وعرى كان جزوعا ، هل عهدنا به الا التقاتل من طمع أفراده وحبهم الاستئثار ؟

هذا هو الانسان الذي تعرفون ماضيه وما أنتم عن حاضره بغافلين . هذا هو المخلوق الذي فطره خالقه محتاجا ويسر له ما يحتاج اليه وخلق فيه سائقاً يسوقه نحوه وجاذباً يجذبه ودافعاً يدفع ما يرى استغناءه عنه . أفنسمي هذا التركيب الذى ركبه الصانع شراً . أم عمل المخلوق بحسب التركيب . أم تيسر الحاجة التي لابد منها . أم اللذة الطبيعية فى نيل هذه الحاجة ؟ واذا لم تكن هذه شراً فهل بقي الا الخير ؟

سيقول قائلون ان هذا الاحتياج لايدفعه الانسان عن نفسه بتحصيل الحاجة الا بكد ونصب وقصارى الامر فى حصول الحاجة انها تسكن ألماً تقدم الحصول فهب اننا سمينا تلك الامور خيراً أفليس الشر قبلها وبعدها .

هذا كلام له وجه ظاهر ولكن ههنا اعتقادان في حياة الانسان احدهما ان الانسان يستفيد منها والآخر انه لايستفيد فإن كان السائل ممن يعتقدون استفادة الانسان من الحياة فجوابنا له ان الالم السابق الذي يسكنه نيل الحاجة وتعقبه بهذا النيل اللذه ليس

شراً بل هو لتعرف به اللذة ويشعر بها ولو كانت دائمة لما أحسّ بها المرء وهذا كسبق العدم على الوجود والجهل على العلم والضعف في الطفولية على القوة في الرجولية ونظائر ما ذكرنا . على انه اذا سمينا تلك الآلام وما يتبعها من لزوم الكد والنصب والمجاهدة شروراً فلا ضير فيها اذا كانت الخيرات تدفعها وتمحوها ويدلنا على ذلك استعذاب الحياة مع كل المرارات التي تصادف في سبيلها وما ذلك الا لان الخيرات لا يطول احتجابها كالشمس اذا حجبها الدجى واستأنف النهار يشرق بضيائها . وان كان السائل ممن لا يقولون باستفادة الانسان من الحياة فجوابنا له : اذا كانت الحياة من أصلها حملاً ثقيلاً والاحوال فيها متضادة ومتعاقبة يعقب الضدّ فيها الضد فمهما صادفنا الضد الذي نرتاح به زمناً من الازمان كان جديراً بنا ان نفضله على ضده الذي يتعبنا . وهذا هو معنى الخير والشر اللذان هما ضدّان . على انك يا منكر الاستفادة من الحياة يشم منك رائحة اتباع الخيالات الفاسدة ويتفرس فيك انك مبغض أو مستبغض ذاتك ، ويتوقع بك كل شر فدعني منك ،

ان هذا الانسان البديع خلقه لم يخلقه الخالق عبثاً وانه خلق لامر عظيم . وانه سائر الى كمال بديع . وانه شاء أو أبي يحيا في هذه الدار محباً للحياة ، ويكدّ فيها غير مالّ من الكدّ . وان الصانع خلق له ما في الارض جميعاً . وقسم بين أفراده الاعمال . وخصّ كل عامل بما يناسب عمله من طعام ولباس ومبيت . وأعان كل عامل على عمله . وعلمه ما لم يعلم . وأتحفه بهذا الفكر العجيب . الذي به امتيازه العالي . فانقسم الانسان بحسب جسده وفكره بين جهتين تتعاور عليه فيهما الخيرات والشرور التي جعلها الصانع ممتزجة ببعضها . وجعل للجسد من الخيرات لذات المطاعم والمشارب والمناكح والمساكن . وللفكر من الخيرات لذات الادراك للامور البعيدة والاختراعات العجيبة . والتأثيرات المعنوية الغريبة . وجعل الخيرات متيسرة ، ولكن تجاوز الحدود هو الذي يوفر الشرور . وتجاوز الحدود أكثر ما ينشأ من قلة التفكر وعدم العلم بنظام الحب والبغض أي بأحوال النفوس في انفرادها واجتماعها . ومن أحب ذاته حق المحبة هيهات ان يظلمها . ومن أراد ان لا يظلم نفسه فليحارب من لا يظلمون غيرهم وليحارب من يظلمون . فلا جناح علينا ان نبيع الحياة وهي أغلى شيء في جهاد الذين يظلمون غيرهم لعلنا نحيا لا نظلم ولا نظلم . أو يحيا أبناؤنا من بعدنا على هذه الشاكلة . لعلنا نحيا عالمين أن ذوات غيرنا كذاتنا فنأخذ ما لنا وندع لهم ما لهم . لعلنا نحيا متعاونين فنحن كلنا

أخوة. سواء بالحياة والممات، سواء بالحاجة للاكل والشرب والنكاح، سواء بالتكلم والتفكر اللذين يميزاننا عن العجماوات. سواء بالفرح والالم اذا فزنا أو خبنا. سواء بالخوف والرجاء في يومنا وغدنا،

ونحن سواء بالتفكر والعنا بتحصيل مانحتاج في كل معمل
ترى أعجزنا ان نسالم بعضنا لنسلم من عدواننا والتقلقل
نرى أعجزنا ان نعاف رذائلا ونهجر أوهاماً رمتنا باحبل

اللهم الهمنا رشدنا وأعنا فى استثمار الخيرات الموهوبة لافكارنا إنك مفيض الخير، وأنت المستغني وحدك عن الغير، — ثمة بقية — (ع٠ز)

آثار علمية أدبية

﴿ نموذج من دلائل الاعجاز (*) ﴾

تمتاز كتب الامام عبد القاهر الجرجاني واضع فنون البلاغة (رحمه الله تعالى) على سائر الكتب التي ألفت من بعده بعدة مزايا منها أن عبارتها بليغة ، وأساليبها رشيقة، ومنها تصوير المعاني شخوصا تامة سوية ، حتى كأن المعقولات ملموسة مرئية، ومنها كثرة إيراد الشواهد والامثلة على الوجه الذي اختاره الاوربيون ومقلدوهم في كتب التعليم لهذا العهد، واننا نورد هنا نموذجا من كتاب دلائل الاعجاز فى علم المعاني وذلك من حيث انتهينا فى الطبع بمطبعتنا (الكراسة أو الملزمة ٤٤). بين رحمه الله فى فصول متعددة فساد رأي الذين ذهبوا الى أن الفصاحة والبلاغة صفة للفظ دون النظم والاسلوب باعتبار تصوير المعنى ثم ختم ذلك بفصل فى الموازنة بين المذهبين فقال :

فصل

قد بلغنا فى مداواة الناس من دائهم وعلاج الفساد الذي عرض في فى آرائهم كل مبلغ ، وانتهينا الى كل غاية ، وأخذنا بهم عن المجاهل التي

(*) ان هذا النموذج نموذج للطبع أيضاً فالكتاب يطبع بهذه الحروف

كانوا يتعسفون فيها الى السنن اللاحب ، ونقلناهم عن الآجن المطروق الى النمير الذي يشفي غليل الشارب . ولم ندع لباطلهم عرقا ينبض الا كويناه ، ولا للخلاف لسانا ينطق الا أخرسناه . ولم نترك غطاء كان على بصر ذي عقل الا حسرناه ، فيأيها السامع لما قلناه . والناظر فيما كتبناه ، والمتصفح لما دوّناه، ان كنت سمعت سماع صادق الرغبة في أن تكون في أمرك على بصيرة . ونظرت نظر تام العناية في أن يورد ويصدر عن معرفة ، وتصفحت تصفح من اذا مارس باباً من العلم لم يقنعه الا أن يكون على ذروة السنام ، ويضرب بالمعلى من السهام . فقد هديت لضالتك . وفتح لك الطريق الى بغيتك . وهيئ لك الاداة التي التي بها تبلغ ، وأوتيت الآلة التي معها تصل ، فخذ لنفسك بالتي هي املأ ليديك ، وأعود بالحظ عليك . ووازن بين حالك الآن ، وقد تنبهت من من رقدتك . وأفقت من غفلتك . وصرت تعلم - اذا أنت خضت في أمر اللفظ والنظم - معنى ماتذكر . وتعلم كيف تورد وتصدر . وبينها (١) وأنت من أمرها في عمياء، وخابط خبط عشواء . فصاراك أن تكرر ألفاظا لا تعرف لشيء منها تفسيرا . وضروب كلام للبلغاء ان سئلت عن اغراضهم فيها لم تستطع لها تبيينا . فانك تراك تطيل التعجب من غفلتك ، وتكثر الاعتذار الى عقلك ، من الذي كنت عليه طول مدتك . ونسأل الله تعالى أن يجعل كل مانأتيه ، ونقصده وننتحيه . لوجهه خالصا . والى رضاه عز وجل مؤديا ، ولثوابه مقتضيا . وللزلفى عنده موجبا . بمنه وفضله ورحمته .

(ثم عقد فصلا لكشف شبهة الذين جعلوا الفصاحة والبلاغة للالفاظ فقال :)

(١) قوله « وبينها » عطف على قوله « بين حالك الآن »

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انه لما كان الغلط الذي دخل على الناس فى حديث اللفظ كالداء الذي يسري فى العروق ، ويفسد مزاج البدن، وجب ان يتوخى دائبا فيهم مايتوخاه الطبيب فى الناقه من تعهده بما يزيد فى مُنَّته ، ويبقيه على صحته ، ويؤمنه النكس فى علته ، وقد علمنا ان أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني ان تختلف عليها الصور ، وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد أن لاتكون ، فإنك ترى الشاعر قدعمد الى معنى مبتذل فصنع فيه مايصنع الصانع الحاذق اذا هو أغربَ فى صنعة خاتم وعمل شنفٍ وغيرهما من أصناف الحلي . فان جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهم واستهواهم ، وورطهم فيما تورطوا فيه من الجهالات ، وأداهم الى التعلق بالمحالات ، وذلك انهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لانفسهم أساسا وبنوا على قاعدة، فقالوا انه ليس الا المعنى واللفظ ولا ثالث وانه اذا كان كذلك وجب اذا كان لاحد الكلامين فضيلة لاتكون للآخر ثم كان الغرض من احدهما هو الغرض من صاحبه ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ خاصة وأن لايكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك زعموا يؤدي الى التناقض وان يكون معناهما متغايرا وغير متغاير معا . ولما أقروا هذا فى نفوسهم حملوا كلام العلماء فى كل مانسبوا فيه الفضيلة الى اللفظ على ظاهره وأبوا أن ينظروا فى الاوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة الى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكن غير قلق ولا نابٍ به موضعه: الى سائر ماذكرناه قبل فيعلموا انهم لم يوجبوا للفظ ماأوجبوه من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان وأجراس الحروف ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم ان يقولوا اللفظ

وهم يريدون الصورة التي تحدث فى المعنى والخاصة التي حدثت فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال : وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي والحضري والبدوي وانما الشعر صياغة (١) وضرب من التصوير : وما يعنونه اذا قالوا : انه يأخذ الحديث فيشنفه ويقرطه ، ويأخذ المعنى خرزة فيرده جوهرة ، وعباءة فيجعله ديباجة ، ويأخذه عاطلا فيرده حاليا ، : وليس كون هذا مرادهم بحيث كان ينبغي أن يخفى هذا الخفاء ويشتبه هذا الاشتباه ولكن اذا تعاطى الشيء غير أهله ، وتولى الامر غير البصير به ، أعضل الداء ، واشتد البلاء ، ولولم يكن من الدليل على انهم لم ينحلوا اللفظ الفضيلة وهم يريدونه نفسه وعلى الحقيقة الا واحد وهو وصفهم له بانه يزين المعنى وانه حلي له لكان فيه الكفاية. وذلك ان الالفاظ أدلة على المعاني وليس للدليل الا أن يعلمك الشيء على مايكون عليه فأما أن يصير الشيء بالدليل على صفة لم يكن عليها فما لايقوم فى عقل ، ولا يتصور فى وهم ،

(ثم ذكر الاخذ والسرقة وبين ان الفاضل يكون بالاسلوب لا بالألفاظ ثم أورد الامثلة فقال)

ثم ان أردت مثالا فى ذلك فان من أحسن شيء فيه ماصنع أبو تمام فى بيت أبي نُخَيْلَةَ وذلك ان أبا نخيلة قال فى مَسلمة بن عبد الملك :

أمسلم اني يا ابن كل خليفة ... ويا جبل الدنيا ويا واحد الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقى ... وما كل من أوليته صالحا يقضي
وأنبهت لي ذكري وما كان خاملا ... ولكن بعض الذكر أنبه من بعض (٢)

فعمد أبو تمام الى هذا البيت الاخير فقال:

(١) اي كلامنا الآن في انهم الخ مبتدأ وخبر (٢) وفى رواية « ونوهت لي باسمي »

لقد زدت أوضاحي امتدادا ولم أكن بهيما ولا أرضي من الارض مجهلا (١)
ولكن أياد صادفتني جسامها أغر فأوفت بي أغر محجلا

وفي كتاب الشعر والشعراء للمرزُباني فصل في هذا المعنى حسن قال: ومن الامثال القديمة قولهم «حرًّا أخاف على جاني كمأة لا قُرًّا» يضرب مثلا للذي يخاف من شيء فيسلم منه ويصيبه غيره مما لم يخفه فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال: (٢)

وحذرت من أمر فمرّ بجانبي لم ينكني ولقيت مالم أحذر

وقال لبيد:

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والاسد (٣)

قال وأخذه البحتري فأحسن وطغى اقتدارا على العبارة واتساعا في المعنى فقال:

لو انني أوفي التجارب حقها فيما أرت لرجوت ما أخشاه

وشبيه بهذا الفصل فصل آخر من هذا الكتاب (٤) أيضاً أنشد (٥) لابراهيم بن المهدي:

يامن لقلب صيغ من صخرة في جسد من لؤلوء رطب
جرحت خديه بلحظي فما برحت حتى اقتص من قلبي

ثم قال: قال علي بن هارون أخذه أحمد بن أبي فنن معنى ولفظا فقال: (٦)

---

(١) الاوضاح جمع وضح وهو البياض (٢) وقيل في هذا المعنى
ترى الشيء مما يتقى فتهابه وما لا ترى مما يقي الله أكثر
(٣) اربد هو أخو لبيد قتلته الصاعقة بدعاء النبي (ص) وكان مع عامر بن الطفيل يريدان قتله عليه الصلاة والسلام (٤) يريد كتاب المرزباني (٥) أي المرزباني (٦) قد أكثر الشعراء تجاذب هذا المعنى وحسنه بعضهم بالاقتباس فقال
الى الله أشكو عشق ظبي مهفهف رماني ومالي من يديه خلاص

أدميت باللحظات وجنته فاقتص ناظره من القلب

قال: ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه قد صار أولى به: ففي هذا دليل لمن عقل انهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ ولكن صورة وصفه وخصوصية تحدث في المعنى وشيئاً طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع فانه على كل حال لم يقل في البحتري انه أحسن فطغى اقتدارا على العبارة من أجل حروف * لو انني أوفي التجارب حقها * وكذلك لم يصف ابن أبي فنن بنقاء العبارة من أجل حروف * أدميت باللحظات وجنته *

(ثم عقد فصلا للموازنة بين نظم المعنى المتحد ، في اللفظ المتعدد ، فقال)

وقد أردت ان أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب ، وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصوّر . وأبدأ بالقسم الاول الذي يكون المعنى في أحد البيتين غُفلا وفي الآخر مصوّرا مصنوعا ويكون ذلك إما لان متأخرا قصر عن متقدم وإما لان هدي متأخر لشيء لم يهتد اليه المتقدم ومثال ذلك قول المتنبي :

بِئْسَ ٱللَّيالِي سَهِرْتُ مِن طَرَبِي شَوْقًا إلى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُها

مع قول البحتري :

لَيْلٌ يُصَادِفُنِي ومُرْهَفَةَ ٱلْحَشَا ضِدَّيْنِ أُسْهِرُهُ لَهَا وتُنَامُهُ

جرحت بعيني خده وهو جارح بعينيه قلبي والجروح قصاص

وأوردته في مورد الاحتجاج احدى الحسان فقالت

ألحاظنا تجرحكم في الحشا ولحظكم يجرحنا في الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا فما الذي أوجب جرح الصدود

وقول البحتري :

وَلَوْ مَلَكْتُ زِمَاعًا ظَلَّ يَجْذِبُنِي قَوْدًا لَكَانَ نَدَى كَفَّيْكَ مِنْ عُقُلِي (١)

مع قول المتنبي :

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذُرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا

وقول المتنبي:

اذا اعتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعتَلَّتِ الأرضُ وَمَنْ فَوْقَهَا وَالبَأْسُ وَالكَرَمُ المَحْضُ

مع قول البحتري :

ظَلِلْنَا نَعُودُ الجُودَ مِنْ وَعْكِكَ الَّذِي وَجَدْتَ وَقُلْنَا اعْتَلَّ عِضْوٌ مِنَ المَجْدِ

وقول المتنبي :

يُعْطِيكَ مُبْتَدِئًا فَإِنْ أَعْجَلْتَه أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا

مع قول أبي تمام :

أَخُو عَزَمَاتٍ فِعْلُهُ فِعْلُ مُحْسِنٍ إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ

وقول المتنبي :

كَرِيمٌ مَتَى اسْتُوهِبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ نَازِلُ (٢)

مع قول البحتري

مَاضٍ عَلَى عَزْمِهِ فِي الْجُودِ لَوْ وَهَبَ الشَّـ ـمَبَابَ يَوْمَ لِقَاءِ الْبِيضِ مَا نَدِمَا (٣)

وقول المتنبي:

وَالَّذِي يَشْهَدُ الوَغَى سَاكِنُ القَلْـ ـبِ كَأَنَّ القِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ

(١) أراد من الزماع العزم على الرجوع الى أهله (٢) لقحت الحرب هاجت بعد سكون ويقال لقحت العداوة بمعناه (٣) ظاهر انه يريد بالبيض النساء الحسان وإن تخيل هبة الشباب في ذلك اليوم لأ بعد شوط وآخر غاية ينتهي اليها خيال الشاعر

باب الأخبار والآراء

﴿ البابا لاون الثالث عشر - ترجمته ﴾

في يوم الاثنين الماضي (٢٠ يوليو) توفي عظيم النصرانية ورئيس الطائفة الكبرى فيها بابا رومية عن ثلاث وتسعين سنة قضى جلها في خدمة مذهبه الكاثوليكي منها خمس وعشرون سنة أو ربع قرن في منصب البابوية وقد كان لسياسته من التأثير في عالم النصرانية والمدنية مالم يكن في حسبان أحد من العالمين وكاتب هذه السطور يعتقد أنه كان أعقل رجال أوربا وأعلاهم كعبا في السياسة. وانا نذكر من ترجمته ما فيه العبرة للمسلمين كما يليق بمجلة إسلامية مثل المنار فلا تقل أيها المسلم ما لهذه المجلة الاسلامية، ولزعماء النصرانية،

الكاثوليك أكثر فرق النصارى عددا واعتقادهم في البابا كاعتقاد أكثر المسلمين في الخليفة أو أمير المؤمنين من حيث الرياسة الدينية والدنيوية في الجملة وكاعتقاد بعض الفرق الاسلامية في وجوب عصمة الامام الحق ثم انه ينتخب من طائفة مخصوصة ولا يأخذ هذا المنصب بالوراثة وتلك سنة الاسلام في انتخاب الامام من طائفة مخصوصة. قال ياقوت في معجمه « والبابا رئيس الفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين ينفذ أمره في جميع مايتعلق بالدين في جميعهم » وقال الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق: «وفي مدينة رومة قصر الملك المسمى البابة وليس فوق البابة فوق في القدر والملوك دونه ويقيمونه مقام الباري جل وعز — الى ان قال — وحكمه نافذ ماض على جميع ملوك الروم ولا يقدر أحد منهم يرد عليه » وقال أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان عن أهل بيزة « وليس لهم ملك وانما مرجعهم الى الباب خليفة النصارى » وقال عن رومية: «وهي مدينة مشهورة ومقر خليفة النصارى المسمى بالباب» وقد تكلم ابن خلدون عن هذه الرياسة وصاحبها بايضاح تام ولهذا كله قال بعض علماء أوربا ان البابوية أو النصرانية مقتبسة من الاسلام

جلس لاون الثالث عشر على كرسي هذه الخلافة (سنة ١٧٧٨م) وأوربا بقضها وقضيضها

وعلومها وصنائعها ومدنيتها معادية للكاثوليك أشد من معاداتها للاسلام لأنها تعتقد ان الكاثوليك والبابوية من الامراض الباطنية التي أصابت الوطن في القلب والكبد والرئتين فهي تقتات تفتك به حتى تبيده فالكثلكة خطر في الباطن تحارب خوفا وحذراً من شرها وأما الاسلام فهو عدوّ على البعد يحارب طمعا في أرضه ودياره . ولكن البابا لاون الثالث عشر حوّل بسياسته ودهائه ذلك العداء الى ولاء ، وذلك الاستخفاف والاحتقار، الى اجلال واعتبار ، والفضل فى ذلك لحسن الانتخاب والاختيار، اذلو كان هذا المنصب وراثيا لما ارتقى اليه مثل هذا الرجل

ولد ليون الثالث عشر (وكان اسمه قبل البابوية بتشي) في ٢ مارث سنة ١٨١٠م في بلدة كاربنتو من ايطاليا وتعلم التعليم الابتدائي في مدرسة للجزويت ببلدة فيترب وجاء رومية سنة ١٨٢٤ وأتم دروسه بمدرسة الجزويت فيها ثم بمدرسة رومية الجامعة وعني أولا بالعلوم الطبيعية والكيمياء حتى نبغ فيها ثم اشتغل بآداب اللغة اللاتينية حتى عدّ من الكتاب البلغاء والشعراء المجيدين ثم درس علوم الفلسفة واللاهوت فأتقنهما ومنح لقب «دكتور» في الفلسفة . ثم وجه عنايته الى علم الحقوق فبرع حتى أخذ الشهادة العالية فيه من مدرسة رومية الجامعة

وفي سنة ١٨٣٧ عين قساً ونائبا عن البابا في بعض البلاد وفي سنة ١٨٤٣ عين رئيسا لاساقفة دمياط . ثم وكيلا للبابا في بروكسل عاصمة بلجيكا فاقام في تلك البلاد ثلاث سنين منحه ملكها في آخرها وسام (ليوبولد) من الدرجة الأولى وهو من أعلى الوسامات عنده . وفي سنة ١٨٤٦ عين رئيسا لاساقفة بيروز . وقد لبث في منصب الاسقفية ٣٢ سنة كان فيها حسن السلوك يستتيب اللصوص والبغاة المعتدين حتى خلت منهم السجون التي كانت ممتلئة بهم قبل عهده . وفي سنة ١٨٧٧ صار كردينالا ومديرا في الفاتيكان والكنيسة الرومانية . وفى سنة ١٨٧٨ توفى البابا بيوس التاسع فانتخب خلفاله . وقد ذكرنا هذه النبذة الوجيزة في تعليمه وتقلبه فى الاعمال الدينية لأجل المقابلة بين تربية رؤسائهم ورؤسائنا حتى لا يعجب أحد من تقدمهم وتأخرنا

اذا سأل المسلم عن كيفية تربية رئيس أمته العام من أمير وسلطان أو وليّ عهدهما أو الرئيس الخاص كشيخ الاسلام فى الاستانة وشيخ الازهر في مصر وسأل ماذا

تعلم هؤلاء من العلوم التي لابد منها للأمة التي يرأسونها وماهي الاعمال والمناصب التي تقلبوا فيها فظهر استعدادهم لخدمة الامة فرشحوا لها بسببها؟ فماذا يكون جواب هذا السائل ؟ لعل الاكثرين يجيبونه بأن الواجب علينا ان نقبل رياستهم من غير سؤال عن استعدادهم وعن علومهم وأعمالهم ومن تحدث بشيء من ذلك فهو عدو للملة والدين، وفتنة لجميع المسلمين ، وذلك أن الامة فى طور الضعف لايرضيها الا ان يمدح منها كل شيء وذلك أنها تشعر بفقد مقومات السعادة بالفعل فتحب أن تخادع نفسها بالمدح كما يتكبر الوضيع ويتنفج ليظهر في مظهر الكبراء

فقد الكاثوليك السلطة الدنيوية سلبها الملوك من البابا الذي كان يفيضها عليهم ولو تسنى لهم فى أي يوم من الايام إرجاعها لوجدوا فى الفاتيكان رجالا يديرونها أحسن مما يديرها ملك إيطاليا وحكومته فى جميع أصولها الادارية والمالية والقضائية والعسكرية لأن رجال الدين عندهم يتعلمون كل شيء . أرأيتك هؤلاء الذين يسمون رجال الدين فى الاسلام اذا قيل لهم — وهم يشكون من خروج الاحكام عن الشرع الا مايسمونه الامور الشخصية ومحاكمها على خطر —: تعالوا فأديروا أعمال الحكومة الكلية من إدارية ومالية وحربية وقضائية وسياسية (خارجية) وغير ذلك أيجدون فى الأزهر من يحسن عملا من هذه الاعمال كما يجد الكاثوليك فى الفاتيكان ؟ أنى وهم الى اليوم يتنازعون بينهم: هل علم تقويم البلدان يقطع على الطالب طريق الدين أم لا ؟ الجمهور على انه يقطع وأنه ينبغي ان لايقرأ فى الازهر . وهل الحساب العملي والهندسة العملية يفسدان العقل حتى يضعف استعداده لفهم العلوم الدينية أم لا؟ الجمهور على أنه يفسد العقل وينبغي أن لايدرس في الازهر كما صرح بذلك الشيخ (ثابت بن منصور) والشيخ محمد راضي البحراوي من كبار المدرسين هناك في مقالاتهما المنشورة في المؤيد . ثم أنى يجدون في الازهر من يحسن عملا ما وليس فيه من يعدّ لعمل ما الا القضاء الشرعي وهؤلاء القضاة الخارجون منه تبكي من سيرة أكثرهم السماء والارض وتستغيث العدالة بلسان المظلومين المهضومين بأن ينقذها الله منهم ويرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون .

ولقد كان رجال الكاثوليك فى يوم مضى مثل رجال الازهر يعدون كل علوم

العمران حجابا دون الدين حتى كأن الدين آلة الخراب والدمار وكان أكثر عامتهم على رأي رجال الدين كما هو الشأن عندنا حتى اليوم . ولكنهم لم يلبثوا ان علموا على ان بقاء الدين محال مالم تجعل علوم العمران نصيرة له فعكفوا على العلوم حتى برعوا في جميع فنونها فمدارسهم جامعة تفوق غيرها نظاما وإحكاما وعلماؤهم من القسيسين وغير القسيسين مستعدون لكل عمل يرتقي فيه العمران . فمتى يعود قومنا الى هذا وهم أحق به من كل أحد؟ أنت يارب المسئول بتوفيق العقلاء لاسعي واليك وحدك المشتكى

قلنا ان لاون الثالث عشر قد ولي البابوية والاخطار محدقة بها من كل جانب فقد كان في عهد سلفه بيوس التاسع ماكان من الثورات والانقلاب حتى نشر على عهده في باريس (إعلان) في تحريض بلاد ايطاليا على انشاء جمهورية إيطالية لايكون فيها بابا ولا دين بالمرة. وأصابت البلاد سنة فذهب الجماهير الى ان المحل والقحط من شؤم السلطة البابوية. وقد أشاع المرجفون على عهده بأن النمسا تعضد مؤامرة سرية على خلع البابا واقامة حكومة عسكرية في البلاد البابوية كلها فاضطربت رومية وكثر فيها الهرج وعجزت الحكومة عن ضبط النظام اذ كانت المدينة غاصة بجماهير المسلحين من الاهلين. ثم فتح مجلس الشوري فطلب إناطة الاعمال الادارية بالعوام (يطلق لفظ العوام في مقابل لفظ الاكليروس في اصطلاحهم) وحرية المطابع وطرد اليسوعيين (الجزويت) وإعتاق اليهود وكان الشعب الثائر يؤيد طلب المجلس. ثم عم الهياج بلاد ايطاليا من شمالها الى جنوبها وكان على أشده في رومية وتوقع الناس سقوط الدولة البابوية من الارض وقل احترام البابا في البلاد الاجنبية حتى ماكان يجد نصيرا

ونقول بالاختصار انه لم يستقر للسلطة البابوية قرار من بعد ثورة فرنسا سنة ١٨٤٨ بل كانت الفتن تتفاقم يوما بعد يوم وقد أظهر البابا بيوس التاسع من حب الاصلاح وارادة الخير للشعب مالامزيد عليه ولم ينقص ذلك من قوة الحزب الجمهوري شيئا. ولقد بلغ من الاستهانة بالبابا ان كتب الى امبراطور النمسا يلتمس اخراج عساكره من ايطاليا فكان كتابه سخرية في فينا بعد أن كان لامردّ لامره ولا معقب لحكمه. وحدث في هذه السنة من الاحداث مازعزع الكرسي البابوي من الشعب الذي كان يقول ان هذا الكرسي هو كرسي بطرس الرسول نائب المسيح. ومن ذلك اتفاق

الشعب والحرس المدني والعساكر المنظمة والجيش الروماني على محاصرة الكويرنال وقتل أمين أسرار البابا وإكراهه بعد ذلك على قبول وزارة إصلاحية وجعله كالاسير فى قصره تاركا الاحكام الدينية والمدنية جميعا حتى اضطر الى الفرار متنكراً بهيئة قسيس الى غايتا. ثم اشتعلت نيران الفتن والثورات فى جميع البلاد التابعة له كما أشرنا اليه آنفاً حتى خسر سلطته فى تلك البلاد . وسنذكر نبذة من سلوك لاون الثالث عشر في مقاومة الاخطار ، وصرف التيار ، وما في ذلك من العظة والاعتبار ،

﴿ الخديو وجمعية المسلمين فى لوندره ﴾

زار عزيز مصر فى هذا الصيف عاصمة الانكليز بصفة غير رسمية فلقي من حفاوة ملك الانكليز وكبار أسرته ورجال حكومته ما كان فوق الحسبان . وقد زار سموه فى تلك العاصمة وفد من جمعية الاتحاد الاسلامي فيهم رئيسه السيد علي البلجرامي الهندي الشهير فخطب خطبة بليغة رحب فيها بالعزيز وذكر مقصد الجمعية وسعيها في ترقية المسلمين وتأليف بين شعوبهم ووصف الامير بتأييد العلم وافتخر بالازهر وذكر ماسمع من عود الحركة العلمية اليه بعد سكونها. فأجابه الامير بأنه قد سره ان تكون هذه الجمعية جامعة لافراد من طوائف المسلمين المتفرقة على الاتحاد وقال كلمة كبيرة وهي « ان الاسلام دين اشتراكي يأمر بالمساواة بين الغني والفقير ، والكبير والصغير ، » ثم ذكر استياءه من قلة عدد المجاورين الهنديين فى الازهر وانه يرجو ان يزيدوا فى مستقبل الايام. ثم ذكر الحج والحجاج وقال انه يجب ان يسهل الحج على مسلمي كل الاقطار لانه من أركان الدين « فاذا أهمل المسلمون فريضته حلت بهم الارزاء لاهمال دين قويم يعتقده ٣٠٠ مليون من الناس »

وعندنا ان اجتماع أمراءنا برجال هذه الجمعيات مفيد جداً للمسلمين . وعسى ان يعتبر بكلمة الامير بعض الاحداث من رعيته الذين يكتبون ويخطبون للتفريق بين المسلمين باسم الوطنية ويسمون المسلم السوري في مصر دخيلا . واما اقبال الهنود وغيرهم على الازهر فهو موقوف على ترقية التعليم فيه وذلك بيد الامير وفقه الله تعالى. والا فاننا لانأمن ان ينفر المصريون منه بعد حين الا فاراً من العسكرية. أو عاجزاً عن الكسب فيتخذه له تكية،

﴿ لائم مليم ﴾

تألم مما كتبناه عن قراء الصحف رجل هضم حقوق المنار سنتين أو ثلاثا كان يعد ويمطل ثم صرح بأنه لا يجوز أخذ قيمة الاشتراك منه لانه كاتب وأديب ولم نعرف عن غيره ان تعريف الأديب او خاصته هضم حقوق خدمة العلم والدين والآداب. تألم فكان طول ليله يحسو كؤوس المدام ، ويسدد الينا سهام الملام ، ويحرض سماره «الأدباء» على اتباع سنة صاحب اللواء ، في معاداة الذين يسميهم الدخلاء ، بأن ينفروا عن المنار وصاحبه لانه ذكر المصريين في مقال يذكر فيه معاملة الأمم وأصناف الناس لقراء الصحف فضل فيه بعض البلاد على بعض وبعض الاصناف على بعض . وقال ان هذا يعد شتما للمصريين .

ونعيد بهذه المناسبة ما كنا كتبناه من قبل وهو أن أكثر المشتركين في المنار من أهل الفضل والدين والكثيرون منهم يدفعون قيمة الاشتراك من غير مطالبة حتى انه لا يكاد توجد جريدة أو مجلة منتشرة مثل المنار ليس لها وكلاء الا في بلدين أو ثلاثة بلاد . ولم نكتب ما كتبناه تألما منهم ولكن عظة وذكرى وإنا نحن المقصرون اذ تمر السنة بعد السنة ولا نطالب الواحد منهم بشيء . نعم ان فيهم من يمطل ولكن لا يكاد يوجد فيهم من يهضم الا تسعة رهط نحن منهم في شك وعسى ان يصلح الله حالهم

﴿ جريدة المناظر – ابطالها ﴾

سبق ان نوهنا بهذه الجريدة التي يصدرها في سان باولو (البرازيل) نعوم أفندي لبكي السوري وسبق ان افتخرنا بنهضة السوريين المهاجرين الى أمريكا في الآداب لأجلها فانا كنا معجبين بحرية هذه الجريدة وإنصافها وشدة غيرة منشئها على قومه وحبه لجنسه ولوطنه وحسن اختياره فيما يكتب وتوخيه النفع فيه . ومن دلائل طفولية الشعوب الشرقية – حاشا اليابان – ان يضطر صاحب هذه الجريدة النافعة الى ابطالها بعد جهاد بضع سنين . أقول الحق ولا أستحي من رصفائي الفضلاء: انه اذا صح الاستدلال بفحوى الكلام ولحنه على قصد المتكلم وغرضه فان صاحب المناظر في مقدمة المخلصين في قصدهم الذين يقدمون نفع قومهم حتى على مصلحة أنفسهم . ويظهر ان أكثر قراء العربية هناك يجهلون أقدار أهل الاخلاص وأصحاب الوجدان

الشريف ولاهم لهم من الجرائد الا ان يتلذذوا بمدح أنفسهم أوذم أعدائهم

كتب صاحب المناظر نشرة يودع بها الصحافة ووزعها على قراء جريدته . قال فى أولها « غدا تنضب دمعة وتذرف دمعة — تنضب دمعة هذا القلم ، وتذرف دمعة هذا الكاتب ، غدا يودع الصاحبان بعضهما بعضا لايرجوان التقاء حيث اجتمعا على مكتب الصحافة » وأقول ان كل ذى شعور بقيمة أهل الوجدان الشريف يشارك هذا الكاتب في ذرف الدموع ولكن ماأقل الذين يشعرون

وقال انه دخل باب الصحافة لثلاثة أغراض — مقاومة فساد الأمة حيث الكلمة حرة ، وترقية المهاجرين السوريين ، وتمكين علاقتهم بوطنهم لئلا تبتلعهم الأمة التي هاجروا اليها . وأنا أعتقد أنه صادق فى دعواه وأحترم أغراضه وأحترمه على البعد لأننى أعتقد أنه يريد نفع الناس ولكن أكثر رجالنا كالاطفال يحبون من يسعى فى لذتهم، لامن يسعى فى منفعتهم ، ولقد كان يجل كل كلام جليل نافع للناس وان لم يكونوا ممن أنشأ لهم جريدته . ومن آية هذا أنه كان ينقل عن المنار مثل مباحث جمعية أم القرى ومقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) نعم انه نشر رداً لبعض الكتاب على الثانية فيه شيء من التحامل ولكن لاأقول انه هو كان متحاملا

وقال في سبب إبطال الصحيفة انه كان يعلم ان من يكتب لتلك الاغراض لايكون موضوعا للاقبال ولكنه لم يكن يحسب أنه يهمل ويقاوم حتي يعجز عن النفقة عليها لانه يقصر في مدح الذين يتجنسون بغير جنسيتهم (السورية) وفى ذكر حركات المشتركين؟ وتقلبهم فى البلاد . وقد اتي مالم يكن فى الحسبان

وبالجملة ان إبطال هذه الجريدة خسارة على السوريين لاعوض عنها فعسى ان يوجد من أهل الغيرة والنجدة من يسعى في إعادتها، من حيث يجدون في مساعدتها،

(كتاب دلائل الاعجاز)

نشرنا نموذجا من هذا الكتاب الجليل فى البلاغة بالحروف والهوامش التي نطبعه فيها ومنه يرى القراء أن المطبعة قد استكملت أنواع الحروف حتى الشكل وصارت مستعدة لطبع الكتب وغيرها . أما الاشتراك في الكتاب فهو ١٥ على كبره وحسن ورقه وطبعه وسيكون ثمنه بعد تمام الطبع عشرين قرشاً

﴿ كيفية جمع إعانة سكة حديد الحجاز ﴾

أخبرنا شاهد اعدل ان أحد مختاري القرى فى سوريا جمع من كل رجل من قريته ريالا للاعانة ولكنه لم يدفع مما جمعه الا نحو ثلثيه فاذا كان المتصرف يأخذ ثلث الباقي أيضا ويرسل الى الولاية ثلثيه وكان الوالي يفعل هكذا فيما يرسله الى الاستانة فان الذي يبقى للاستانة نحو الخمس حتى كأن المال غنيمة لا يصل الى بيت المال منه الا خمسه . والسبب فى وقوع هذه الخيانة من مثل ذلك المختار الذي لا ذمة له ولا أمانة هو عدم نشر كل مايدفعه الناس هناك فى الجرائد وعدم طبع وصولات مسلسلة الاعداد يحاسب بها الجامعون للاعانة . فعسى أن تتنبه الحكومة العثمانية في جميع الولايات لتلافي ذلك وأن تأمر باصدار صحف تابعة للجرائد الرسمية فى كل ولاية يبين فيها كل مايدفعه الناس وترسل كل صحيفة الى الجهة التي ذكر أسماء أهلها فيها . وأن لا يجمع شيء من الاعانة التي يأمر بها السلطان أخيراً الا بوصولات مختومة مسلسلة الاعداد

هذا وقد كثر الذين يجمعون الاعانة في هذه البلاد ومنهم من لا يوثق بأمانته فيجب على كل أحد ان يحتاط فيما يتبرع به فلا يضعه الافى يد أمين كادارة المؤيد في مصر واللجنة الكبرى التي يرأسها أحمد باشا المنشاوي فى الغربية

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

﴿ عود الى سرد الاحاديث الموضوعة ﴾

مناقب الصديق : — (١) حديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم «قال يا أبا بكر ألا أبشرك » قال: بلى فداك أبي وأمي: قال«ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة» رواه الخطيب عن انس مرفوعا وقال لا أصل له وضعه محمد بن عبد بن عامر وله طرق منها أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر « أعطاك الله الرضوان الاكبر» فقال بعض القوم يارسول الله وما الرضوان الاكبر ؟ قال«يتجلى الله فى الآخرة لعباده المؤمنين عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة » رواه أبو نعيم عن جابر مرفوعا وفى إسناده محمد بن خالد

الختـلي وهو كذاب . ولا يغرنك ذكر الحاكم له في مستدركه فكم في المستدرك من الاحاديث الموضوعة والواهية

(٢) حديث ان أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : إني كنت معك في الصف الاول فكبرت وكبرت فاستفتحت بالحمد فقرأتها فوسوس الى شيء من الطهور فخرجت الى باب المسجد فاذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : وراءك : فالتفت فاذا أنا بقدس من ذهب مملوء ماء أبيض من الثلج وأعذب من الشهد وألين من الزبد عليه منديل أخضر مكتوب عليه : لا إله الا الله ، الصديق أبو بكر : فأخذت المنديل فوضعته على منكبي وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ورددت المنديل على القدس ولحقتك وأنت في ربع الركعة الاولى فتممت صلاتي معك يارسول الله : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أبشر ياأبا بكر الذي وضأك للصلاة جبريل والذي مندلك ميكائيل والذي مسك ركبتي حتى لحقت للصلاة إسرافيل » هو موضوع ومحمد بن زياد المذكور في اسناده كذاب وقد روى نحو هذا لعلي بن أبي طالب وفيه ذكر المنطل والمنديل والكل كذب موضوع

ونقول ياليت عزرائيل انتقم من واضع هذا الحديث لانه لم يجعل له حظاً في هذه الخدمة فأخذ روحه الخبيثة قبل ان تصـل أكاذيبه الى الناس . وان الممارس للسنة الفقهية في الدين ليعرف فيه الكذب وان لم يطلع على نقلنا عن المحدثين في وضعه وكذب مخترعه ولكن جهلة العامة يفتتون به ويتظمونه في سلك الكرامات والخوارق

(٣) حديث ان الله لمـا خلق الارواح اختار روح أبي بكر الصـديق من بين الارواح فجعل ترابها من الجنة وماءها من الحيوان وجعل له قصراً في الجنة من درة بيضاء الخ رواه الخطيب عن عائشة مرفوعاً وقال لايثبت وقد اتهم به هرون بن أحمد العلاف المعروف بالقطان . وقد جزم الذهبي في ترجمته من الميزان بان هـذا باطل . وفي معناه أحاديث نترك ذكرها فانتقس عليه

(٤) حديث ان يهوديا قال لأبي بكر : والذي بعث موسى وكلمه تكليما اني أحبك : فلم يرفع أبو بكر له رأساً تهاونا به فهبط جبريل وقال « يامحمد ان العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك قل لليهودي الذي قال لأبي بكر : إني أحبك : ان الله قد أحاد عنه في النار خلتين ــ لاتوضع الانكال في عنقه ولا الاغلال في عنقه لحبه أبا بكر » الخ

رواه ابن عدي عن أنس مرفوعا وهو موضوع في إسناده وضاعان .

(٥) حديث «ان الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه فاسمعوا له تفلحوا وأطيعوه ترشدوا» رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعا وهو موضوع للاحتجاج به على الشيعة بل كل هـذه الاحاديث قد وضعت لمثل هـذا الغرض فقد كانت سوق الرواية رائجة في أيام الفتن والخلاف فوضع الكذابون من كل قوم من الاحاديث ماشاؤوا ينصرون بها مذهبهم فما كان أشأم تلك المذاهب على الاسلام !!!

(٦) حديث بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع جبريل اذ مرّ أبو بكر فقال «هـذا أبو بكر» قال «أتعرفه يا جبريل» قال «نعم إنه لفي السماء أشهر منه في الارض وان الملائكة لتسميه حليم قريش وانه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك» رواه ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعا وفي إسناده اسماعيل ابن محمد بن يوسف كذاب . وذكر له صاحب (اللآلئ المصنوعة ، في الاحاديث الموضوعة) طريقاً أخرى فيها وضاع . وقال الذهبي : إسناده مظلم : وتعقبه ابن حجر في لسان الميزان بأن رجاله معروفون بالثقة وليس فيهم من ينظر في حاله الا المعلى بن الوليد وقد ذكره ابن حبان في الثقات . قال في الفوائد المجموعة مستدركا على ابن حجر : بل في اسناده اسمعيل بن محمد وهو كذاب وقد قال الحاكم انه يروي الموضوعات . فلينظر القارئ كيف يشتبه في مثل هذا الحديث الحافظ ابن حجر وينسى اسمعيل الذي حكم عليه بالوضع الحاكم على تساهله ووقوعه في رواية الموضوعات بحسن ظنه

﴿ البيوت ـ منكراتها وعاداتها ﴾

تهتك النساء : تبتدع نساء المسلمين في مصر كل يوم زيا جديداً من أزياء الخلاعة والتهتك فلم يكتفين عند الخروج باظهار بعض الرأس ومعظم الوجه وصفحتي العنق والنحر حتى جعلن في هذه الايام أكمامهن قصيرة واسعة فهن يمشين في الاسواق وسواعدهن بارزة من وراء معاصمهن المطوقة بالاسورة فلم يبق من الزينة شيء الا وقد أبدينه حتى وقعن في مخالفة نص القرآن الذي لاخلاف فيه وهن مع هذا كله معدودات من أهل الحجاب . فأين أهل الغيرة ؟ أين أهل الصيانة ؟ أين الذين ملأوا أرض مصر صراخا وعويلا أن قال قاسم بك أمين ينبغي أن نربي المرأة ونعلمها ثم نأذن لها بعد ذلك بأن تميط

هذا المنديل عن أنفها لتستنشق الهواء النقي ثم لتستر مع ذلك رأسها ونحرها وصفحتي عنقها وسائر بدنها ؟ أليس ماقاله أهون بشرطه وبغير شرط مما عليه نساء أولئك الصائحين النائحين الذين ينكرون الكلام ، ولاينكرون الموبقات العملية التي يشاهدونها في كل آن ؟ ؟

﴿ الخدم في البيوت ﴾

يعلم كل مقيم في مصر ان الناس يبيحون للخدم من الرجال الخلوة بالنساء في جميع الحالات فالخادم يساعد سيدته في المطبخ حاسرة عن رأسها وذراعيها، كاشفة عن صدرها وساقيها، ومنهن من تلبس في حال غسل الثياب الأخلاق الممزقة فيبدو منها مالم يكن يبدو. ويصعد معها الى السطح يساعدها على نشر الثياب وهي في مثل ماذكرنا من ثياب البذلة ويدخل معها في بيت الدواجن لاطعامها وربما أغلق الباب عليهما لئلا يطير الحمام أو يفر الارنب .ورب البيت يعرف كل هذا ولا يبالي به ولا يتأثم منه وان كان في خادمه من الشباب والفتاء ماليس فيه ! وليس هذا المنكر مما تدعو اليه ضرورة المعيشة بل لاحاجة اليه ولو كان محتاجا اليه لكانت الموانع التي تمنع منه أولى بالترجيح من الحاجة التي تدعو اليه لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح في نظر الشرع والعقل معاً

واننا لنعجب من أمر هؤلاء الرجال الذين نبذوا الشرع آدابه وأحكامه وحرموا ثمرة العقل من البصيرة والاحتياط كيف أفسدت عليهم عادات البلد السوءى وجدان الغيرة فسمحوا لهؤلاء الخدم ـ الذين هم أضل سبيلا من الأنعام بخبث طينتهم وسوء تربيتهم ـ ان يمازجوا نساءهم في الخلوات والجلوات ، والدين لم يسمح بهذا لاطفالهم في جميع الحالات ، اذ أمر تعالى بأن يستأذنوا في بعض الاوقات «ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ـ من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم » فاذا كان الله لايسمح لاولادكم ان يروا النساء في الاوقات التي هي مظنة التساهل في الستر لئلا ينقش في ذهن الولد من رؤية العورات مايشتغل به خياله . وتسوء في الآداب حاله ، فكيف تسمحون لهؤلاء الرجال الاشرار . بمالا يسمح به الشرع للاطفال الصغار . ! !

﴿ الفقيون في البيوت ﴾

يطلق أهل هـذه البلاد على حافظ ألفاظ القرآن لفظ (فقي) ويجمعونه على (فقها) وان كانوا في الغالب لايكادون يفقهون حديثاً وما ذكرناه في العنوان من الجمع هو أولى من جهتي اللفظ والمعنى معاً . ومن العادات الضارّة في هذه البلاد – وان صبغت بصبغة الدين – أن أكثر البيوت يعين لها فقيون يجيئونها في ساعة من ليل أونهار فيقرءون شيئاً من القرآن حيث يكون النساء وينصرفون . وانهم ليخلون بالنساء كثيرا والخلوة محرمة بإجماع المسلمين سواءكان الرجل والمرأة بصيرين أو أعميين أو أحدهما أعمى فقط . وقد سمعنا من أهل النقد والبصيرة حكايات كثيرة في مفاسد هذه الخلوات بل حدثنا غير واحد من أهل النقد بأن من هؤلاء الفقيين من يتوسل بكلام رب العالمين ، الى الصلة بين المعشوقات والعاشقين ، فكأن هؤلاء العميان يكافئون صنف المبصرين الذين يقودونهم بعمل من جنس عملهم فكل صنف يساعد الآخر على مالا وصول اليه بدونه ، ويقوده في المسالك التي يحتاج فيها الى قيادته ،

وليت شعري ماذا يريد الذي يعين فقيا أعمى يقرأ لامرأته في بيته مالا تفهمه ولا تعقله ؟ أيريد تقوية دينها بقراءة ذلك المأجور ؟ كيف وهو لم يلقنها عقيدة المسلمين ، ولم يرضها بشيء من أخلاق الدين ، ولم يعلمها الصلاة بالقول ، ولم يمرنها على آدائها بالعمل ، ولم يذكرها يوما من الايام بالدار الآخرة ، ولم يحدثها في ليلة من الليالي بالحساب والعقاب ، فأيّ فائدة لها في سماع نغمات ذلك الرجل المأجور الذي ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء ؟ نعم ان هؤلاء الفقيين لا كسب لهم وان أكثرهم مستحق للصدقة فمن تصدق عليهم فلا يجعل صدقته أجرا لهم عن التغني بكتاب الله في بيته والوقوف على عورات اهله وان أمن فتنتهم فكيف به إذا لم يأمنها

فان قيل : ان المسلمين يحسنون الظن بحملة القرآن وأنت تحملهم على إساءة الظن بهم : أقول روى أحمد وأبو داود والترمذي (وصححه) والنسائي وابن حبان من حديث أم سلمة قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة فأقبل ابن أم مكتوم حتى دخل عليه وذلك بعد ان أمر بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «احتجبا منه» فقلنا : يارسول الله أليس أعمى لايبصرنا ولايعرفنا ؟ فقال «أفعمياوان

أنتما ألستما تبصرانه» وقد علل المحققون النهي بأن الاعمي قليـل العناية بالستر . فاذا كان هذا قول النبي لازواجه اللواتي أذهب الله عنهن الرجس وطهرهن تطهيرا في شأن ابن أم مكتوم الذى عاتب الله النبي فى الاعراض عنه لدعوة سادات قريش وقال فى شأنه «وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى» فماذا تقولون أنتم في عميان مصر دار الفسق فى هذا الزمن الذى فشا فيه الفجور، وفار التنور.؟ فاتقوا الله أيها المسلمون، وطهروا بيوتكم واستعينوا بذلك على تربية أولادكم، والاهلكم وأهلكم بلادكم،

وأقبح من خلوة الفقيين بالنساء في البيوت، خلوتهم بهن في (أحواش) القبور، فان هذه الخلوة أتم من تلك لأن البيوت لاتخلو فى الغالب من الاولاد والخدم فالخلوة الصحيحة فيها متعسرة على أن في الجلوة من المفاسد مافيها . وان الشافع لجميع مايكون في المقابر من البدع والمنكرات استحباب زيارة القبور أو الاذن فيها لاجل الاعتبار بالموت. فيستباح لاجل هذا الاستحباب من المحرمات مايستباح ويعد كله قربة الى الله تعالى وان كان كله فسادا لاشيء من العبرة والعظة فيه. هذا وان الاحاديث الصحيحة تدل على ان الاذن بزيارة القبور بعد النهي عنه خاص بالرجال ولقد لعن صلى الله عليه وسلم زائرات القبور . هذا مانصح به لاخواننا المسلمين ، وان سماه ذلك « الكاتب الاديب » شتما للمصريين ، فان النهي عن المنكر فريضة « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

(طلب الزواج بلسان الصحف)

رأينا في بعض المجلات والجرائد عادة جديدة قلد المصريون فيها الاوربيين وهي طلب الزواج بلسان الصحف، يكتب الفتى شيئا في ترجمة نفسـه ومورد معاشه ثم يذكر الصفات والنعوت والحالات التى يحبها فيمن يريد التزوج بها ثم رأينا أكثرهم يطلب ان ترسل اليه صورتها الشمسية (الفوتغرافية) وطلب بعضهم ان يأذن له أبواها أو غيرهمـا من أوليائها برؤيتها في حضرتهم وهذا طلب شرعي ولا بأس به اذا كان أهل الفتاة راضـين من أخلاق من يخطب اليهم وواثقين بأنه يمنعه أدبه ان يذكر ذلك اذا لم يتم الاتفاق على الزواج . وأما طلاب الصور فلاشك أنهم من النابتة المتفرنجة الذين لايخطر فى بالهم أدب الدين ولا أحكامه ولو تفكروا في ذلك لعلموا ان تصوير الفتيات يتوقف على بروزهن للمصورين سافرات حاسرات كما هي العادة. ولا يتوهم ان أحدا يطلب صورة امرأة ملفوفة في ملاءتها متبرقعة لايظهر منها الا الحدق . سبحان مقلب القلوب والابصار قد صار شبان المسلمين يشترطون فيمن يريدون التزوج بها أن تكون ممن تبرز امام المصورين، وكانوا يغارون على النساء من الاهل والاقربين،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاثنين ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢١ — ١٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الأزهر ﴾

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ *

سبق التذكير باتخاذ العجل فى قوله تعالى « واذ واعدنا موسى أربعين ليلة » ثم أعاده هنا بعبارة وأسلوب آخرين فى سياق آخر . أما اختلاف العبارة والاسلوب فظاهر وأما السياق فقد كان أولا في تعداد النعم على بني إسرائيل وبيان ماقابلوها به من الكفران وهو هنا فى ذكر الآيات ورد شبهاتهم المانعة بزعمهم من الايمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهناك يقول ان النعم التي اسبغها الله عليكم لم يكن لها من شكر عندكم الا اتخاذ عجل تعبدونه من دونه. وههنا يقول إن الآيات البينات على النبوة والوحدانية، لم تزدكم الا إيغالا فى الشرك وانهما كا فى الوثنية، فكيف تعتذرون عن الايمان بمحمد بانكم لا تؤمنون الا بما أنزل اليكم وهذا شأنكم فيه؟ ومجموع الآيتين ينبئ بفساد قلوب القوم وفساد عقولهم حتى لا مطمع فى هداية أكثرهم من جهة الوجدان ، ولا من ناحية الجنان . وهذه البينات التي ذكرها هاهنا قد كانت فى مصر قبل الميعاد الذي نزلت فيه التوراة وأما النعم التي ذكرها هناك فقد كانت فى أرض الميعاد كما تقدم. ووجه الاتصال بين هذه الآية وما قبلها قد علم مما قلناه فى السياق وفيه المقابلة بين معاملتهم لموسى عليه السلام ومعاملتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ قالوا : قلوبنا غلف : وادعوا انهم مأمورون بأن لا يؤمنوا الا بما أنزل عليهم خاصة . وقد علم من هذه الحجج كلها بطلان شبههم وكذبهم في دعواهم وانه لا عذر لهم فى ترك الايمان

قال « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده » أي من بعد هذا المجيء لا من بعد موسى والمراد انه لم يكن لهم عذر فى ذلك الاتخاذ فانه بعد بلوغ الدعوة، وقيام الحجة ، ولذلك قال « وأنتم ظالمون »

وأي ظلم أعظم من الشرك بالله تعالى ؟ ولا تغفل عن الإيجاز فى قوله «من بعده» وحذف مفعول «اتخذتم» اي اتخذتموه إلها

ثم ذكرهم هنا أيضا بأخذ الميثاق ورفع الطور كما ذكرهم به فى آية تقدمت، وقد قال هناك «خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه» وقال هنا «خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا» وأمرهم في تلك بالحفظ وأمرهم فى هذه بالفهم والطاعة. وقلنا فى تفسير «واذكروا» ان المراد الحث على العمل فالعبارتان تتلاقيان فى المعنى والمراد. وفى اختلاف النظم والاسلوب حجة على الذين توهموا ان إعجاز القرآن فى البلاغة انما هو فى السبق الى العبارة التي يتأدى بها المعنى على أكمل الوجوه الممكنة في نظم الكلمات العربية . رأى هؤلاء ان المعنى الذي يفيد علما بشيء ما له كلمات فى اللغة تؤديه بوجوه من النظم وأن الكلمات والوجوه محدودة فمن سبق الى أتمها أداء وأبلغها تأثيراً كان كالسابق الى انتقاء أكرم جوهرة من طائفة من الجواهر أمامه أو الى أنفس عقد وأحسنه نظما من عقود عرضت عليه . مثال ذلك قوله تعالى «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله» قال علماء هذا الشأن انه يتألف من هذه الكلمات عشرة ضروب من النظم بالتقديم والتأخير ما من ضرب منها الا وهو منتقد بالخطل أو إيهام خلاف المراد أو الخطإ في الاعراب الا نظم الآية فهو الذي يؤدي المعنى على أكمل الوجوه ولا يتأتى نظم آخر يؤدي مؤداه .

وزعم بعض الناس ان هذا الاعجاز ليس إلهيا

لو أخذ ما قالوه مسلما على إطلاقه لكان لنا ان نقول انه ليس فى قدرة أحد من البشر ان يأتي بكلام طويل يتجلى له في كل جملة منه جميع الكلمات

التي تدخل في تأدية المعنى المراد له وجميع ضروب النظم ووجوه الاساليب الممكنة في ترتيب تلك الكلمات وتأليفها فيختار الاحسن الابلغ منها. واذا لم يكن هذا فى قدرة البشر كما هو ظاهر فلا بد ان يكون من جاء به مؤيدا بعناية من الله تعالى . على اننا لانسلم بما قالوه على إطلاقه فانه لايتجه الا فى ألفاظ معينة كألفاظ آية « وقال رجل مؤمن من آل فرعون » الخ واذا نظرنا الى المعاني لاسيما الحكاية نراها تتجلى فى صور كثيرة من النظم الذي تختلف ألفاظه . وأمامنا الآن معنى الآية التي نفسرها وهو ان الله أخذ العهد على بني إسرائيل بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وان يعملوا بشريعته ووصاياه وكان أخذ هذا العهد فى موقف رهبة وخشوع يمين على أخذه بالجد والعزيمة اذ كان الجبل مرفوعا فوقهم بصفة لم يعهدوها حتى توهموا انه يريد ان يقع بهم ولكنهم لم يلبثوا ان نقضوا هذا الميثاق وتركوا العمل به وعبدوا العجل الذي صاغوه من حليهم بأيديهم عن حب متمكن من النفس ، وغالب على العقل والحس ، وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى فى كتابه غير مرة ولكن بعبارات مختلفة كالآية التي تقدمت وذكر هناك أنهم تولوا عن الميثاق بعد الامر بحفظه والعمل به رجاء التقوى ، وكآية الاعراف « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » وتقدمت الاشارة اليها هناك وكلاهما غاية فى البلاغة

وذكره هنا بنظم آخر تنتهي اليه البلاغة فى سياق آخر فقال « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتيناكم بقوة واسمعوا » ثم التفت عن خطاب الحاضرين الى الحكاية عن الغابرين فقال « قالوا سمعنا وعصينا » أي انهم قبلوا الميثاق وفهموه ولكنهم لم يعملوا به بل خالفوه تعنتا وتأولا

وليس المراد انهم نطقوا بهاتين الكلمتين « سمعنا وعصينا » بل المراد أنهم بمثابة من قال ذلك . ومثل هذا التجوز معروف فى عهد العرب وفى هذا العهد - يعبرون عن حال الانسان وغيره بقول يحكيه عن نفسه حتى حكي مثل ذلك عن الحيوانات والطيور وعن الجمادات أيضا وهو أسلوب أظن انه يوجد فى كل لغة أوفى اللغات الراقية فقط . ثم ذكر أقبح أمثلة هذا العصيان بعبارة مدهشة فى بلاغتها فقال « وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم » هذه الاستعارة من فرائد الاستعارات يتمثل بها عند ذكر بلاغة القرآن . واشراب الشيء الشيء مخالطته اياه وامتزاجه به يقال بياض مشرب بحمرة أو هو من الشرب كأن الشيء المحبوب شراب يساغ فهو يسري فى قلب المحب ويمازجه كما يسري الشراب فى البدن . وقد قدّر الاكثرون هنا مضافا محذوفا فقالوا المراد « حب العجل » وذهب بعض الجامدين على الظواهر الى ان المراد بالشرب هنا حقيقته وزعموا ان موسى لما سحق العجل وذراه فى اليم طفقوا يشربون المسحوق مع الماء . وغفل صاحب هذا الزعم عن قوله تعالى « فى قلوبهم » والشراب الحقيقي لا يكون فى القلب . والشرب غير الاشراب . ولبعض المفسرين مزاعم وقصص فى العجل لا يدل عليها وحي منزل ، ولا تاريخ صحيح ينقل ، والباء في قوله « بكفرهم » للسببية أي سبب هذا الحب الشديد لعبادة العجل هو ماكانوا عليه من الوثنية فى مصر فقد رسخ الكفر في قلوبهم بطول الزمن وورثه الأبناء عن الآباء

أما السياق الذي وردت فيه هذه الاية بهذا النظم والاسلوب المخالفين لأسلوب تلك الآية مع الاتحاد فى المعنى فهو إقامة الحجة على

اليهود الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ورد زعمهم انهم مؤمنون بشريعة لايطالبهم الله بالايمان بغيرها كما قلنا في التي قبلها ، ولذلك ختم الآية بقوله تعالى مخاطبا للنبي عليه السلام «قل بئسما يأمركم به إيمانكم ان كنتم مؤمنين» أي ان صح زعمكم انكم مؤمنون بشريعة - والايمان الحقيقي يقتضي العمل بما له من السلطان على الارادة - فبئسما يأمركم به ذلك الايمان من الاعمال التي منها عبادة العجل وقتل الانبياء ونقض الميثاق . لكن هذا الزعم مشكوك فيه بل يصح القطع بعدمه بدليل الاعمال التي يستحيل ان تكون أثراً له . ولا ينسى القارئ ماتقدم من ربط الايمان بالعمل الصالح في تفسير قوله تعالى «بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته» الآية

هذه حجة عليهم بطبيعة الايمان وأثره في عمل المؤمن . وتليها حجة أخرى تتعلق بفائدة الايمان ومثوبته في الحياة الاخرى وهي قوله عز وجل : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين» المراد من الدار الآخرة ثوابها ونعيمها لان حال الانسان فيها لايخلو من أحد الامرين - المثوبة بالنعيم المقيم ، والعقوبة بالعذاب الاليم ، واستغنى عن التصريح بالنعيم أو الثواب بقوله (لكم) فانه يشعر بالمحذوف . وانما أوجز هنا في خطاب اليهود لأنه يحكي عن شيء يعرفونه في أنفسهم وقد أوضح المراد بقوله « خالصة من دون الناس » والخالصة هي السالمة من الشوائب .

﴿قال الاستاذ الامام﴾ فسر مفسرنا (الجلال) الخالصة بالخاصة وقالوا انه استعمال لم يعهد في الكلام الفصيح ، والتخصيص مفهوم من قوله «من دون الناس» . يقول ان صحت دعواكم وصدق قولكم انه لن يدخل

الجنة الا من كان هوداً وانكم شعب الله المختار فان تمسكم النار الا أياما معدودات لاتزيد على أيام عبادة العجل ولا تتجاوز عابديه فتمنوا الموت الذي يوصلكم الى ذلك النعيم الخالص الدائم ، الذي لامنازع لكم فيه ولا مزاحم ، وان لم تمنوا الموت فما أنتم بصادقين اذ لا يعقل ان يرغب الانسان عن السعادة ويختار الشقاء عليها . والتمني هو ارتياح النفس وتشوفها الى الشيء توده وتحب المصير اليه

﴿قال الاستاذ الامام﴾: وروي عن ابن عباس تفسير التمني بالسؤال والطلب ، وهو غير معروف عن غيره من العرب ، ولعله فسره باللازم فان من تمنى شيئا طلبه بالقول والعمل : وقد روي عن كثير من الصحابة عليهم رضوان الله تمني الموت عند القتال وبعد القتال يعبرون بألسنتهم عما في نفوسهم وما هو الاصدق الايمان بما أعد الله للمؤمنين في الدار الآخرة

تفسير التمني بلازمه القولي كما نقل عن ابن عباس أو العملي كالتعرض للقتل في سبيل الايمان كما نقل عن غيره يدفع إيراد من يقول : اذا كان المراد بالتمني تمني النفس فلا يظهر صدق قوله تعالى في الآية التي بعد هذه الآية « ولن يتمنوه » وقد ظهر صدقها على الوجه الاول فلم يتمن أحد من المخاطبين الموت وقد ورد انهم لو تمنوا الموت لماتوا رواه البخاري : وما قاله الاستاذ الامام في تفسير التمني بحقيقته يدفع كل ايراد فقد قال ان الكلام حجة على مدعي الايمان واستحقاق ما أعده الله لاهله في الآخرة تتنعم في أنفسهم بأنهم إما صادقون في دعواهم وذلك اذا كانوا يتمنون في أنفسهم الموت والوصول الى الدار الآخرة ويبذلون أرواحهم في سبيل الله بارتياح اذا كان حفظ الحق يقتضي بذلها وإما كاذبون فيها وذلك اذا كانوا شديدي

الحرص على هـذه الحياة . وليس المراد به الحجة الالزامية أمام الناس .
ولذلك كانت العبرة في الآية عامة فهي واردة فى سياق الاحتجاج على اليهود
ويجب على المسلمين ان يتخذوها ميزانا يزنون به دعواهم اليقين فى الايمان
والقيام بحقوقه لأن الله أنزلها لذلك

لو كان المراد بقوله «ولن يتمنوه أبداً» أنهم لن يقولوا : ياليتنا نموت :
أو كلمة هذا معناها لكان الاحتجاج عليهم انما هو بالتعجيز عن لفظ يحركون
به ألسنتهم ولكان ذلك من الخوارق الكونية ولما صح تعليل نفي التمني
بقوله «بما قدمت أيديهم» فان هذا التعليل صريح بان المانع لهم من تمني
الموت هو أنهم يعرفون من أنفسهم انهم عاصون مقترفون للذنوب
التي يستحقون عليها العقوبة لا لأن ألسنتهم عاجزة عن النطق بكلمة تدل على
تمني الموت وإن كذبا وكثيرا ما كانوا يكذبون. وقد أسند الفعل الى الايدي
لأن أكثر الاعمال تزاول بها ولذلك جرى عرف اللغة على جعلها كناية عن
الشخص باعتبار أنه عامل مطلقا . وقد ختم الآية بقوله «والله عليم بالظالمين»
ليبين أنهم ظالمون فى حكمهم بان الدار الآخرة خالصة لهم وان غيرهم من
الشعوب محروم منها وأن كل من كان مثلهم مفتاتا على الله تعالى فهو ظالم مثلهم

ثم بين حقيقة حالهم فى الاخلاد الى الارض والفناء في حب البقاء
وانهم ليسوا على بينة مما يدعون، ولا ثقة لهم بانفسهم فيما يزعمون ، فقال
« ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة » كذلك كانوا وكذلك هم الآن
والظاهر من سيرتهم ونظام معيشتهم انهم كذلك يكونون الى ماشاء الله
وان كان الظاهر أن الكلام خاص بمن كانوا في عصر التنزيل يحاجهم النبي
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويشاغبونه ويجاحدونه معتزين بشعبهم ،

مفترين بكتابهم ، بل ذهب بعض المفسرين الى ان المراد علماؤهم فقط .
ونكر الحياة للتحقير كأنه يقول أنهم شديدو الحرص على الحياة وان كانت في بؤس وشقاء، ثم خص طائفة من الناس بالذكر عرفوا بشدة الحرص على الحياة وتمني طول البقاء في الدنيا لانهم لا يؤمنون بحياة بعدها فقال «ومن الذين أشركوا» أي انهم أحرص من جميع الناس حتى من الذين أشركوا. ثم بين مثالاً من هذا الحرص فقال «يود أحدهم لو يعمر ألف سنة» لانه يعرف من نفسه أنه مخالف لكتابه ويتوقع سخط الله وعقابه فيرى ان الدنيا على ما فيها من المنغصات خير له من الآخرة وما يتوقعه فيها .
قال تعالى «وما هو بمزحزحه من العذاب ان يُعَمَّرَ» فانه ميت مهما طال عمره وكل ماله حد فهو منته إليه «والله بصير بما يعملون» لا تخفى عليه خافية من أمرهم ولو عرفوه حق معرفته لعلموا ان طول العمر لا يخرجهم من قبضته، ولا ينجيهم من عقوبته، فان المرجع اليه، والامر كله بيديه ،

ومن مباحث اللفظ ان الضمير فى قوله «وما هو» مبهم يفسره مابعده كما اختاره الاستاذ الامام واكثر المفسرين على ان ماحجازية والضمير العائد على (أحدهم) اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة في الاعراب و «أن يعمر» فاعل مزحزحه

الكرامات والخوارق

(المقالة السادسة عشرة فى أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل)

(النوع الثامن طاعة الحيوانات والجمادات)

استشهد السبكي للاول بحكاية الاسد مع أبي سعيد ابن أبي الخير الميهني ومع ابراهيم الخواص من قبله وللثاني بحكاية الشيخ عز الدين بن عبد السلام مع الفرنج .

فأما حكاية الاسد فلا أعرفها وأما حكاية الريح فهي كما في ترجمة الشيخ عز الدين (رحمه الله تعالى) من طبقات السبكي ان الفرنج وصلوا الى المنصورة في المراكب واستظهروا على المسلمين فنادى الشيخ بأعلى صوته : ياريح خذيهم : عدة مرار فعادت الريح على مراكب الفرنج وكسرتها وكان الفتح وغرق أكثر الفرنج وصرخ من بين المسلمين صارخ : الحمد لله الذي أرانا فى أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا سخر الله تعالى له الريح

أخذ السبكي من هاتين الحكايتين ان الحيوانات والجمادات تطيع الاولياء وتمتثل أمرهم وانما الطاعة عمل بارادة واختيار يقصد به امتثال أمر المطاع فهو يبني هذا على قول بعض الصوفية ان للجمادات حياة وإدراكا ولولا ذلك لسمى ماكان من الريح تسخيرا من الله تعالى كما قال ذلك الصارخ . وتسخير الله الريح لايستلزم ان يكون بقدرة لاحكمة معها ولا نظام بل ذلك محال على الحكيم العليم وانما يكون ذلك بتوفيق الله تعالى بين أسباب هبوب الريح وأسباب خروج الفرنج كأن يكونوا خرجوا في وقت سبقته أوقارنته حرارة شديدة فى هذا الاقليم فاشتدت حرارة الهواء فصعد الحار منه بتمدده وخفته الى الجو فتحرك الهواء لأجل الموازنة فكان عاصفة أغرقت الفلك بمن فيها من الفرنج . ووافق ذلك قول الشيخ تلك الكلمة فعد الحادث كرامة له لأن الله ألهمه ذلك القول فى ذلك الوقت . يعلم كثيرون من القراء ان البارجة (فيكتوريا) أعظم بوارج الاسطول الانكليزي في البحر المتوسط قد غرقت عند دخول الاسطول ميناء طرابلس الشام منذ بضع سنين او أكثر . وقد اتفق عند ذلك أن رجلا من الظرفاء في طرابلس كان مع جماعة فى منتزه التل من تلك المدينة يتفرج على الاسطول فقال اذا تصرفت لكم بهذا الاسطول فأغرقت بعض بوارجه أتشهدون لي بالولاية والكرامة ؟ قالوا كيف لا وأنت أهل للتصريف؟ فقال مامعناه انه تصرف ولم يمض الا قليل من الوقت حتى رأوا كأن الاسطول قد نقص بارجة فشكوا فى ذلك حتى علموه اليقين . ولو كان ذلك الرجل وسخ الثياب كثير الهذر والدعوى بحيث يعتقد العامة فيه الولاية والبركة لسارت الركبان بأن غرق البارجة كان كرامة له

وأما طاعة الحيوانات فالحكايات فيها كثيرة عند جميع الامم لما يقع من الحوادث

التي يعدها المعتقدون بولاية شخص كرامة له ولو وقعت بعينها لغيره ممن لا يرونه أهلا للكرامة لما عدوها الا مصادفة لاتتعدى حدود المعتاد فان الحيوانات لاتعرف لحركاتها في اقبالها وادبارها وهجومها على الشيء وانصرافها عنه أسباب مطردة . وقد وقع لكثير من جوّاب الآفاق ان يصادفوا السباع فى بعض الفيافي مقبلة عليهم ثم لاتلبث ان تنصرف عنهم بغير سبب يعرف . وعدم العلم بالسبب لاينفى وجود السبب فربما تذكر السبع في الساعة التي انصرف فيها شيئاً حمله على الانصراف عمن كان يقصده كان شم رائحة أو سمع صوتا من الجهة التي فيها أشباله نخاف عليها عدوان عاد . وقد اتفق لفصيلة من العساكر المصرية في السودان ان سارت فى ليلة مقمرة فاعترضهم الاسد فى الطريق فذعروا وحاروا لايدرون مايصنعون ولكن الاسد لم يلبث أن زار وعدا كالسهم وسمعوا فى أثنا ذلك عواء كثيرا فعلم بعضهم بما سبق له من الاختبار أن عرجلة من الضباع هجمت على لبوة ذلك الاسد من شدة الخوف فشعر بذلك الاسد فذهب لنصرتها

قد علم مما ذكرناه في المسائل ان الحكايات التى يتناقلها الناس لاثقة بها فمنها الإفك المبين ومنها جعل ماهو معتاد ليس خارقا للعادة ومنها مايضاف الى غير سببه ويعلل بغير علته . ولو شئنا لذكرنا من هذا النوع حكايات كهذه الحكايات أسندها غير المسلمين الى من يعتقدون لهم الكرامة وعمل العجائب . واذا جاءنا السبكي أوغيره بحكاية منقولة بالتواتر لاتحتمل التأويل فاننا نجزم بأنها خارقة وما كان ينبغي لمثله فى العلم ان يقول ان هبوب الريح وإغراقها للمراكب من خوارق العادات وما زال الناس في كل زمان يشاهدون مثل ذلك بأعينهم في جميع البحار والانهار التي تجري فيها السفن . وكلمة الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى لاتجعل المعتاد خارقا للعادة . فان قال : ان الكرامة لايشترط أن تكون خارقة للعادة ومخالفة للسنن الكونية وان توفيق الله تعالى بين حوادث الطبيعة ومصلحة المؤمنين عند دعاء بعض الصالحين أو بشارته يصح أن يسمى كرامة لذلك العبد الصالح : فلا منازع له فى قوله ، ولا معارض له في حكمه ، لأن التسليم بهذا لايفسد عقول العامة فيحول دون الاعتقاد بحكمة الله واطراد سننه ، ولا يغرهم بالاشخاص فيطلبوا الشيء بغير سببه ومن غير معدنه ، وما نريد بالبحث

فى الخوارق الا المدافعة عن هذا الاعتقاد والحرص على إزالة هذا الغرور

﴿ النوعان التاسع والعاشر طي الزمان ونشره ﴾

قال السبكي : وفي تقرير هذين القسمين عسر على الافهام ، وتسليمه لاهله أولى بدين الايمان ، والحكايات فيهما كثيرة :

أقول يريدون بطي الزمان ان تمضي الايام الكثيرة على المرء ولا يشعر بمرورها فيمر الشهر عليه كأنه يوم أو بعض يوم . ويعنون بنشر الزمان ان تكون الساعة الواحدة كالسنين الطويلة . ومن الحكايات التي استحيا السبكي من سردها ان بعضهم أحدث وهو في المسجد الجامع يوم الجمعة والامام يخطب فوضع بعضهم عليه عباءته وقال اذهب فتوضأ فذهب الى مكة فتوضأ ثم عاد والامام يخطب ومنهم من رأى نفسه في مثل هذه الحالة في بلاد فمكث فيها عدة سنين وتزوج ورزق بأولاد ثم عاد فرأى الناس فى مجالسهم الذي فارقهم فيه . وهم يزعمون ان مثل هذا واقع حقيقة لا تخيلا ولذلك قال ان فى تقريره عسراً . وأيّ الخوارق قرر فكانت قريبة من الفهم ، سهلة القبول فى نظر العقل ، ؟ وياليته قرر ماعنده ، ولم يذكر « دين الايمان » فيما لم يرد فى كتاب ولا سنة ، وما أرى عنده الا التسليم والتقليد ،

وياليت شعري ماهي الفائدة للأمة — التي يشترطها السبكي لاظهار الكرامة — في هذين النوعين . على ان هذا شيء لايظهر لأنه لايقع وإنما ادعي ادعاء بلا بينة ولا برهان ، فكيف جازلهم ادعاؤه وأمر الكرامة مبني — كما قال — على الكتمان ،

قالوا وأكثروا فاذا كان العقل والدين يقضيان بأن لا يصدق المرء بكل مايسمع وان عليه ان يتثبت في الاخبار التي تسند الى الحس ويستشهد فيها الناس فكيف يسلم العاقل بما هو غريب عن العقل والعادة ولا حجة على قول مدعيه الا نفس دعواه فقوله هو الدليل وهو المدلول . رأى الدجالون ان الناس يسلمون لمدعي الولاية بالتظاهر بالصلاح كل مايقول فطفقوا يدعون كل مايخطر ببالهم وقد كان العلماء يفندون أقوالهم فصاروا في مقدمة الخاضعين لهم المسلمين بكل مايقولون . فان كان فى أهل الصدق من قال بطي الزمان ونشر الزمان فلا نظنه يعني به ان ذلك قد وقع حقيقة في عالم الحس وانما يعنون — والله أعلم — مايكون لهم من الاحوال

التي يغيبون فيها عن الحس ويطيرون في جو الخيال ، ويجولون في عالم المثال ، فيكونون أيقاظا وكأنهم في منام ، فأماطي الزمان فغيبة تامة وأما نشره فروءى وأحلام ، وقد يسمى القوم التصور تطورا ، والاحوال النفسية ، عوالم غيبية ، واذا صح أن الارواح تجرد قبل الموت كما يقولون ، وتكون في عالم وسط بين عالم الملك وعالم الملكوت ، فمن الحماقة ان يحدث الناس كافة بشيء يفوق إدراكهم ، ويعلو على افهامهم ، وليس فيه من الفائدة الا انه فتنة لهم ، ولو لم يدخلوه في الدين لكانت الفتنة أهون بل لكان فيه فائدة للخواص لأنهم يجتهدون في كشف حقيقة هذا الامر فان كانت هناك عوالم حقيقية ، طريقها الرياضة الروحانية ، يسلكون اليها طريقها ، ويدخلون عليها من بابها ، ولكنهم الآن يقولون ان هذا من خوارق العادات ، وانه لايكون الا بالخصائص والعنايات ، وهذا السبكي أحد علماء الاصول يقول فوق ذلك انه يعلو الافهام ، وان التسليم به أولى في دين الإيمان وشريعة الاسلام ، والعامة من ورائه تستخذي لمدعي هذه الكرامات ، وتنظم تعظيمهم في سلك العبادات ، وتطلب منهم منهم ما لا يطلب الا من الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ،

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(النرد والشطرنج ونحوهما)

(س١) النرد — الشيخ أحمد محمد الالفي بطوخ القراموص : ماهو النرد وتاريخه ومخترعه وما سبب اختراعه وما حكم الشارع فيه وما حكمة ذلك . واذا كان الشارع حرمه فهل قال أحد من الأئمة الاربعة أو غيرهم بحله اذا خلا عن الرهن ؟ وكذا نرجو الاجابة على هذا النحو على الشطرنج والضمنة والكتشينة وهي أوراق مزوقة بالصور وما هي القاعدة الفاصلة بين الحل والحرمة وما حكمتها :

(ج) النرد هو مايسمونه اليوم (الطاولة) وهذا يغني عن وصفه ووصف الملعب به على أننا رأيناه ولكن لا نعرف كيفية اللعب به وهو من وضع الفرس ويقول صاحب القاموس المحيط وغيره ان واضعه أردشير بن بابك أحد ملوكهم قال : ولهذا يقال له النردشير : وأردشير هـذا هو مؤسس الدولة الساسانيه في الفرس التي هي الطبقة الرابعة من

ملوكهم وذلك في سنة ٢٢٦ م وقبل موته توج ابنه سابور وولاه واختار هو العزلة ومات من سنته وهي ٢٤٠ م ويظن انه اخترع النرد في تلك العزلة للتلهي به وان كان مشغولا بالعبادة في بيوت النيران فانه هو الذي أرجع في تلك المدة مذهب زرادشت المجوسي الى الفرس . وفي شرح القاموس ان سبب تسمية أردشير هو ان شير اسم الاسد وقد نقل ان الاسد شمه وهو طفل ولم يأكله . وقال الماوردي : قيل انه وضعه على البروج الاثنى عشر والكواكب السبعة لان بيوته اثنا عشر كالبروج ونقطه من جانبي القصر سبع كالكواكب السبعة فعدل به الى تدبير الكواكب والبروج : وقال البيضاوي في شرح المصابيح : يقال أول من وضعه سابور بن أردشير ثاني ملوك الساسان ولأجله يقال له النردشير وشبه رقعته بالارض وقسمها أربعة أقسام تشبها بالفصول الاربعة :

أما حكم الشارع في النرد بخصوصه فالحظر فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي موسى مرفوعا « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » ومن حديث بريدة « من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير ودمه » وأما الحكمة في ذلك فهي أنه كالأزلام يعوّل فيه على ترك الاسباب والاعتماد على الحظ والبخت فهو عبث يخشى ضره ولا يرجى منه نفع . قال النووي في شرح مسلم عند الكلام على الحديث وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد . وقال أبو اسحق المروزي يكره ولا يحرم . قيل وسبب تحريمه ان وضعه على هيئة الفلك بصورة شمس وقمر وتأثيرات مختلفة تحدث عند اقترانات أوضاعه ليدل بذلك على أن أقضية الامور كلها مقدرة بقضاء الله ليس للكسب فيها مدخل ولهذا ينتظر اللاعب مايقضي له به . وقد اختلف فقهاء الشافعية في درجة حظره فذهب الاكثرون الى أنه من الكبائر ترد الشهادة بالمرة الواحدة منه وقيل هو من الصغائر وقال بعضهم بكراهته لقول الشافعي في المختصر : وأكره اللعب بالنرد للخبر : وردوه بأنه كثيرا مايقول مثل هذا في المحرمات واختلف النقل عن الام . ونقل الموفق الحنبلي في مغنيه الاجماع على تحريم اللعب به وكأن الذين قالوا بالكراهة لم يعتدوا بهذا النقل وعندي ان تحقق الاجماع في غير الامور العملية المتواترة كهيئة

الصلاة وعددها عزيز . ولكن اقل مافي نقل الموفق أنه لم يقل أحد من الائمة المشهورين بحله

الشطرنج — وأما الشطرنج فهو معروف . والمشهور فى كتب التاريخ والادب ان واضعه أحد حكماء الهند القدماء ويزعم بعض الافرنج ان اليونانيين هم الذين وضعوه فى أثناء حرب ترواده الشهيرة . وأما سبب وضعه فقد قالوا فيه ان الحكيم صيصه ابن داهر الهندي رأى ان ملك زمانه فتى مستعد للخير والعدل في الرعية ولكن بطانته قد حببوا اليه اللهو واللعب والترف والمخيلة وصرفوه فى حظوظهم وأهوائهم ورأى ان الملوك يثقل عليهم سماع النصح الصريح فأحسن الحيلة في ايصال النصيحة الى الملك فى صورة اللعب باختراع الشطرنج الذي مبناه على ان بقاء الملك ببقاء الرعية وانه فى نفسه ليس بشيء وهو بهم كل شيء . ولما اخترعه وعلم به الملك استقدمه ليعلمه اللعب به فكان يلاعبه ويشرح له في ضروب اللعب مايمثل له حالته وما يتوقع من أخطارها ففهم النصيحة وعمل بها فحسنت الحال .

ويقال انه أراد ان يكافئه فقال له تمنّ عليّ واقترح فاقترح ان يوضع في بيت من بيوت الشطرنج حبة قمح واحدة وتضاعف فى البيت الذي بعده ثم تستمر المضاعفة بأن يضاعف في كل بيت ماقبله الى آخر البيوت وعددها ٦٤ ويعطى مجموع ذلك فاحتقر الملك هذا المطلب ثم علم ان خزائنه لاتفي به . وقد عني بعضهم بضبط العدد الحاصل من هذه المضاعفة قال ابن السمان الدمشقي ان جملته ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف — ست مرات — وأربع مئة وسبعة واربعون ألف ألف ألف ألف ألف — خمس مرات — وسبع مئة وأربعون ألف ألف ألف ألف — أربع مرات — وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف — ثلاث مرات — وسبع مئة وتسعون ألف ألف — مرتين — وخمس مئة وواحد وخمسون ألف وست مئة وخمس عشرة.

وقدر بعضهم ان هذا العدد يملأ ١٦٣٨٤ مدينة فى كل مدينة ١٠٢٤ بيتا فى كل بيت ١٧٤٧٦ مكيالا من القمح كل ٣٢٧٦٨ حبة

أما حكمه فقد اختلف فيه الفقهاء والاكثرون على أنه غير محرم أباحه قوم بشرط ان لايدخل فيه القمار وان لايصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة وبديهي ان

الاكثار من اللعب به وبغيره يسقط المروءة ولا يرضاه العاقل لنفسه فهو مكروه كراهة شديدة . وقد رووا فى تحريمه أحاديث لايصح منها شيء بل هي الى الوضع أقرب منها الى الضعف ، ومنها حديث : ملعون من لعب بالشطرنج : رواه الديلمي عن أنس ورواه غيره بزيادة : والناظر اليها كآكل لحم الخنزير : وروى من حديث واثلة : ان الله تعالى ينظر فى كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة لاينظر فيها الى صاحب الشاه : يعني الشطرنج . ورواه الخرائطي بلفظ آخر ، وروى البيهقي وابن عساكر عن عمار بن أبي عمار ان علياً عليه السلام مرّ بقوم يلعبون بالشطرنج فوثب عليهم فقال « أما والله لغير هذا خلقتم ولولا ان تكون سنة لضربت بها وجوهكم » وروى الثاني عنه أنه قال. لاتسلم على أهل النردشير والشطرنج . وروايته ضعيفة . وقد روى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ـ كلاهما من شيوخ البخاري ـ وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن علي كرم الله وجهه أنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال « ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفئه خير له من أن يمسها » وفي الزواجر أن ابن عمر (رضي الله عنهما) سئل عن الشطرنج فقال « هي شر من الميسر » . وقال الامام مالك هي كالنرد وروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) انه ولي مالا ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فاحرقها ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز احراقها . وقال النووي في فتاويه : الشطرنج حرام عند أكثر العلماء ، وكذا عندنا ان فوّت به صلاة عن وقتها أو لعب به على عوض فان انتفى ذلك كره عند الشافعي وحرم عند غيره : قال ابن حجر فى الزواجر : فان قلت ما الفرق عندنا بين النرد والشطرنج ؟ قلت فرق أئمتنا بأن التعويل فى النرد على مايخرجه الكعبان فهو كالازلام وفي الشطرنج على الفكر والتأمل وأنه ينفع فى تدبير الحرب

وقد أحببت ان أختم الكلام فى النرد والشطرنج بما جاء في كتاب الصادح والباغم فيهما ما فيه من الفكاهة والحكمة . قال في سياق حكاية

ثم بدا لي فرأيت رجلا   شيخا يناجي صاحبا مكتهلا
قد أكثرا الخصام والجدالا   وأعلنا الشجار والمقالا
وافتخرا وكثرة المفاخره   تدعو الى العناد والمشاجره

فكان قول الشيخ قومي الهند   الحكماء العلماء اللدّ
لهم علوم وحلوم وفطن   وحكمة بالغة إذ تمتحن
لو لم يكن من فضلهم إذ يختبر   فضل الرجال منصف ويعتبر
الا الذي أبدوه في الشطرنج   للناس من علم سديد النهج
جد عظيم لقبوه هزلا   يصير الرأي الافين جزلا
فيه اشارات الى مواعظ   نافعة لكل واع حافظ
قد رسموها للهدى مثالا   ان الحكيم يضرب الامثالا
يعنون ان العيش في التدبير   وليس بالقسمة والتقدير
والمرء للافعال مستطيع   محكم يحفظ أو يضيع
وذلك العدل بلا خلاف   لو وفق الرجال للانصاف
قال له الكهل وقومي الفرس   الحكماء ما بذاك لبس
لهم سياسات وتدبير حسن   كالشرع عدلا في الفروض والسنن
وملكهم معتضد بالحكمه   كأنهم قد أيدوا بالعصمه
لانعبد الاصنام والاوثانا   ولا نرى الظلم ولا العدوانا
والعيش بالرزق وبالتقدير   وليس بالرأي ولا التدبير
وقد وضعنا النرد للمثال   لو فطنت بصائر الرجال
وما قصدنا بالفصوص اللعبا   حاشا لنا لكن قصدنا الادبا
وانما سمي لعبا حيله   تخفى به ما فيه من فضيله
وانما يعشقه الرجال   لانه لعب كما يقال
ولو دروا ان المراد الادب   بوضعه وصنعه ما لعبوا
فالحق قد تعافه ثقيل   يأباه الا نفر قليل
وانما أخفيت المصالح   وهو القول الشفيق الناصح
ودلست بظاهر اللذات   كم راحة تكمن في اذاة
كمثلما ركبت الالحان   ووضعت للحكمة العيدان
يظنها الجاهل لهوا ولعب   ولو درى بوضعها ماذا طلب

من راحة الروح وبسط النفس وهزها لطبعها بالانس
لم يستمع قط الغناء ونفر عنه لان الحق مافيه وطر
قال له الهندي هذي حجتي سلكت فيما جئته محجتي
شطرنجنا لمثل هـذا وضعا أول فن في العـلوم اخترعا
وفضـله باد بغير مين ما أوضح الصبح لذي عينين
وان برهاني فيــه ظاهر والحق لايدفعـه المكابر

أما الضمنة فهي لعبة حديثة فيما أظن واما الكتشينة فهي نوع من اللعب بالورق الذي سماه الفقهاء الكتجفة وكلاهما يعلم من القاعدة التي نذكرها لتكون فصل الخطاب وهي

﴿ قاعدة في حكم الملاهي ﴾

ان العلة فى تحريم كل حرام هي المضرة في الدين او النفس أو العقل أو العرض أوالمال فما لاضرر فيه لايحرم وماورد في النرد فسببه الاول انه شبيه بالازلام التي كانوا يلقونها في الجاهلية لمعرفة الخير والشر فان المعول فى النرد على البخت الذي يخرجه الكعبان (يأخذ كل لاعب كعبين يسمونها الآن الزهر) كما ان المعول فى الازلام على البخت الذي تخرجه القداح. وقد حرم الاستقسام بالازلام لما فيها من التغرير بالعقل وبناء الامور على الوهم وإهمال الفكر والنظر ونهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن النرد لما فيه من معنى الازلام ومن التذكير بها. وأحب لكل مسلم ان يجتنبه وان انتفت العلة عنده بأن كان لايعتقد بالبخت ولا يبني حكما الا على سبب صحيح، احتراما للنهي الصريح،

واما الشطرنج فقد قالوا انه لم يكن معروفا على عهد النبي صلى الله عليـه وآله وسلم وذلك من دلائل وضع ماورد فيه مرفوعا واما الآثار فمنها اقوى ومنها الضعيف فمن لم يحتج بها فايحكم قاعدة دفع الضرر في كل لعب. وقد قال بعض أئمة الشافعية ان اللعب الذي فيه حساب وفكر يباح ومالاحساب فيه ولافكر فهو مكروه أي ان لم يضر والا فهو حرام. أقول ومن اللعب مايفيد رياضة البدن وتحريك الدم فيه وينبغي ان يكون محمودا محبوبا لامذموما ولامكروها، وأي حرج — ليت شعري — على من أنهك بدنه او عقله التعب من شغله فحاول ترويح نفسه أو ترويض جسمه ببعض الالعاب التي تنفعه

ولا تضر غيره ولا تخل بمروءته ؟ أقول ان ترك مثل هذه الرياضات يضر أحيانا فاذا ظن ضرر تركها كان الترك مكروها واذا تحقق الضرر كان الترك حراما . واذا لم يكن في الفعل ولا في الترك ضرر فالفعل مباح مالم يخل بالمروءة كانكباب اهل الهيئات ورجال العلم والاحكام على اللعب في بيوت اللهو (القهاوي) فان ذلك مكروه شرعا وعقلا بلا نزاع والله أعلم وأحكم واليه المرجع والمصير

(س ٢) علم الهيئة والقرآن — ومنه: كيف ينطبق علم الهيئة الجديد من ان هناك عوالم شمسية لا يحصي عددها سوى خالقها غير عالمنا الشمسي وانها ممتلئة بالمخلوقات على قوله تعالى «وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه» وان نبينا صلى الله عليه وسلم مرسل لكافة الخلق وانه سيد الوجود على الاطلاق ؟

(ج) السموات هي الاجرام السامية فوقنا وهي كثيرة جدا فمنها سبعة كواكب تابعة لشمسنا وهي نبتون وأورانوس وزحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وهذه الكواكب سيارة ولها أقمار تتبعها كقمر الارض ومنها شموس لها عوالم تابعة لها لا نعرف حقيقة أمرها ولكننا نعرف ان جميع هذه السموات التى فوقنا مسخرة بقدرة الله تعالى لنا ننتفع بنورها الذى هو من أسباب الحياة فى الارض ونهتدي بها في ظلمات البر والبحر كما قال في آية أخرى مبينة للاجمال فى الآية الواردة فى السؤال «وهو الذي سخر لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر» ويصح ان يكون من وجوه التسخير وضروب الانتفاع ارتباط بعضها ببعض بالسنة الالهية التى يعبرون عنها بالجاذبية العامة اذ لولا بقاء هذه الجاذبية لاصطدم بعض هذه الأجرام ببعض وخرب العالم كله كما انه لولا النور المنبعث منها لما عاش حيوان ولا نبات فى الأرض . فهي مسخرة لنا بهذه الاعتبارات

وأما بعثة نبينا لجميع المخلوقات في جميع العوالم فلا دليل عليها في عقل ولا نقل اما العقل فلا معنى عنده لكونه مرسلا لقوم يسكنون في كوكب آخر وهو فى كوكب الارض وهو الوجه في السؤال واما النقل فقوله تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا» اما ذكر العالمين فى قوله تعالى «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» فيراد به من أرسل اليهم للجمع بين الآيتين ولما عهد في تفسير مثل هذا التعبير كقوله تعالى «ان الله اصطفى آدم

ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين» وأما كونه سيد الوجود فهذا اللقب لم يرد في كتاب ولا سنة وانما ورد في كلام بعض المتأخرين ولكن ورد في الحديث الصحيح «انا سيد ولد آدم» قال الشيخ محيي الدين بن عربي انه لولا هذا الحديث لما فضلناه على غيره من الانبياء فان هذا التفاضل لا يعرف الا بالنص الصريح عن المعصوم لانه لا ذوق لنا في مقامات الانبياء. وهو يرد ما قاله بعض المتكلمين من تفضيل خمسة على الجميع وجعل الفضيلة بين الخمسة على ترتيب الذكر في هذا البيت :

محمد ابراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

ويعد هذا مجازفة وتحكما. وقد سبق لنا الاستدلال في المنار على تفضيله عليه السلام بأدلة معقولة والحق الذي لا مرية فيه ان سيد الوجود على الاطلاق هو الله تعالى وحده. ومن غرور الانسان ان يفضل جنسه على جميع خلق الله على جهله بهم والله تعالى يقول في بني آدم «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» وان هذه الارض التي يسكنها الانسان اذا نسبت الى ملك الله الواسع كانت كذرة من جبل أو نقطة من بحر بل كانت أقل من ذلك «ومايعلم جنود ربك الا هو» والله أعلم واحكم. والسكوت عما لا يعلم المرء أسلم.

(س ٣) السعدية والرفاعية — الشيخ قاسم محمد غدير بأسيوط : ماقولكم دام فضلكم فيما تفعله طائفتا السعدية والرفاعية من ضرب بعضهم بعضا بالسيوف والاتكاء عليها من غير ان يصيبهم ضرر هل هذا كرامة لشيخهم أم لا وان كان الثاني فما وجه عدم الضرر

(ج) ان هذه الاضروب من اللعب يتمرنون عليها ويوجد في أوربا من الولدان والبنات الحسان من يفوقهم في ذلك والذكي الفطن لا يخفى عليه من أمرهم شيء اذا هو تأمل. رأيت بعيني رجلين رفاعيين قابضين على سيف من طرفيه فجاء ثالث فوضع بطنه على السيف مكشوفا يوهم الناس ان ثقله كله على السيف وهو في الواقع معتمد بيديه على الرجلين بحيث يتمكن من إلقاء الثقل على السيف بقدر الحاجة. ولو كان هذا اللعب من الكرامات لكان كرامة لفاعليه لا لشيوخهم و«تلك العصا من هذه العصية»

(س ٤) دخول الفرن — ومنه : قرأت في المؤيد المؤرخ في ٢٦ ربيع الاول لمكاتبه الاسكندري أنه علم أن شخصا من ذرية سيدي عبد السلام الاسمر بالغرب جاع بمريوط واستطعم فلم يطعم فدخل فرنا هناك فيه لحم يشوى فأكله فما هذا ؟

(ج) سترون الجواب في مقالات الكرامات والخوارق واعلموا ان رواة الجرائد ليس فيهم شروط العدالة التي يعتبرها المحدثون في الرواة الذين تفيد روايتهم الظن فكيف نعتمد عليها فيما يطلب فيه اليقين كالذي نحن فيه

(س ٥) قراءة الفاتحة – ومنه ماحكم قراءة الفاتحة في الاتفاق على امر اهي بمنزلة اليمين ام لا وماجزاء من لم يعمل بما قرئت الفاتحة لاجله ؟

(ج) جرت عادة الناس في هذه البلاد وفي بلاد غيرها بأن يقرأ المتعاقدان على شيء الفاتحة بعد إبرام الاتفاق يجعلونها علامة على إبرام العقد والوفاق تفاؤلا بأن يكون ما اتفقا عليه خيرا ويتم بخير وليس لقراءة الفاتحة حكم خاص في هذا المقام ولا أعرف له أصلا في الدين ولكن التعاقد على شيء يجب الوفاء به ان لم يمنع من ذلك مانع شرعي «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»

آثار علمية أدبية

﴿نموذج من دلائل الاعجاز﴾

(تابع لما في الجزء الماضي من الموازنة)

مع قول البحتري :

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ ٱلْجَأْشُ جَأْشَ مُسَالِمٍ ... عَلَى أَنَّ ذَاكَ ٱلزِّيَّ زِيُّ مُحَارِبِ

وقول أبي تمام :

الصُّبْحُ مَشْهُورٌ بِغَيْرِ دَلاَئِلٍ ... مِنْ غَيْرِهِ ٱبْتُغِيَتْ وَلاَ أَعْلاَمِ

مع قول المتنبي :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي ٱلأَفْهَامِ شَيْءٌ ... اذا ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

وقول أبي تمام :

وَفِي شَرَفِ ٱلْحَدِيثِ دَلِيلُ صِدْقٍ ... لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ ٱلْقَدِيمِ

مع قول المتنبي :

أفعالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا جَدِّي ٱلْخَصِيبُ عَرَفْنَا العِرْقَ بِالغُصُنِ

وقول البحتري :

وَأَحَبُّ آفاقِ ٱلْبِلَادِ الى فَتًى أرضٌ يَنَالُ بِهَا كَرِيمَ ٱلْمَطَالِبِ

مع قول المتنبي :

وكُلُّ ٱمْرِئٍ يُولِي ٱلْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ

وقول المتنبي :

يُقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوَدُّهُ وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُنَجِّمِ

مع قول البحتري :

لا أَدَّعِي لِأَبِي العَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ

وقول خالد الكاتب :

رَقَدْتَ وَلَمْ تَرْثِ لِلسَّاهِرِ وَلَيْلُ ٱلْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ

مع قول بشار :

لِخَدَّيْكَ مِنْ كَفَّيْكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى ضَوْءَ الصَّبَاحِ وِسَادُ

تَبِيتُ تُرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ لِلَيْلِ ٱلْعَاشِقِينَ نَفَادُ

وقول أبي تمام :

ثَوَى بِالْمَشْرِقَيْنِ لَهُمْ ضَجَاجٌ أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١)

وقول البحتري :

تَنَاذَرَ أَهْلُ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِعًا أَطَاعَ لَهَا ٱلْعَاصُونَ فِي بَلَدِ ٱلْغَرْبِ (٢)

مع قول مسلم :

---

(١) الضجاج بالفتح وبالضم كالضجيج وهو صياح الفزع مما يخاف منه (٢) تناذر الناس أنذر بعضهم بعضا وخوفه الشيء

لَمَّا نَزَلْتَ عَلَى أَدْنَى دِيَارِهِمِ ... أَلْقَى إِلَيْكَ ٱلْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ

وقول محمد بن بشير :

أُفْرُغْ لِحَاجَتِنَا مَادُمْتَ مَشْغُولاَ ... فَلَوْ فَرَغْتَ لَكُنْتَ ٱلدَّهْرَ مَبْذُولاَ

مع قول أبي علي البصير :

فَقُلْ لِسَعِيدٍ أَسْعَدَ اللهُ جَدَّهُ ... لَقَدْ رَثَّ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ ٱلْحَبْلُ

فَلاَ تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا ... تُنَاطُ بِكَ ٱلْآمَالُ مَا ٱتَّصَلَ الشُّغْلُ

وقول البحتري :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ وَصْلَهَا ... فَلَوَ ٱنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ

مع قول ابن الرومي :

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنَّنِي ... عُلِّقْتُ مَمْنُوعًا مَنُوعًا

وقول أبي تمام :

لَئِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِي ... أَسَاءَ فَفِي سُوءِ ٱلْقَضَاءِ لِيَ ٱلْعُذْرُ

مع قول البحتري :

اذا مَحَاسِنِيَ ٱللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا ... كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ

وقول أبي تمام : * قَدْ يُقْدِمُ الْعَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَى ٱلْأَسَدِ *

مع قول البحتري :

فَجَاءَ مَجِيءَ ٱلْعَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ ... إِلَى أَهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ تَدْمَى أَظَافِرُهْ (١)

وقول معن بن أوس :

إِذَا ٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ ... إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

مع قول العباس بن الأحنف :

(١) اهرت الشدقين واسعهما

نَقْلُ ٱلْجِبَالِ الرَّوَاسِي مِنْ أَمَا كِنِهَا ... أَخَفُّ مِنْ رَدِّ قَلْبٍ حِينَ يَنْصَرِفُ (١)

وقول أمية بن أبي الصلت :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِىءٍ إِنْ أَصَبْتَهُ ... بِخَيْرٍ وَمَا كُلُّ ٱلْعَطَاءِ يَزِينُ

مع قول أبي تمام :

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفْرًا وَهْيَ إِنْ شُهِرَتْ ... كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَعْفُوهُ مُؤْتَنِفَا (٢)

مَازِلْتُ مُنْتَظِرًا أُعْجُوبَةً عَنَنًا ... حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالًا يَجْتَنِي شَرَفَا (٣)

وقول جرير :

بَعَثْنَ ٱلْهَوَى ثُمَّ ٱرْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا ... بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

مع قول أبي نواس :

إِذَا ٱمْتَحَنَ ٱلدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وقول كثير :

اذا ماأَودت خُلَّةٌ ان تُزِيلنا ... أَبَيْنَا وقلنا الحاجِبِيَّةُ أَوَّلُ (٤)

مع قول أبي تمام :

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ ٱلْهَوَى ... مَا ٱلْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلِ

وقول المتنبي :

وعِنْدَ مَنِ ٱلْيَوْمَ ٱلْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ ... شَبِيبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانِ (٥)

مع قول أبي تمام :

---

(١) فى رواية نفس بدل قلب وتنصرف بدل ينصرف (٢) اي لمن يسأله مبتدئا والاحسن جعل مؤتنفا اسم مفعول صفة للفخار . كتبه الاستاذ الامام «٣» عننا اي معترضة تأتي بلاسبب «٤» يريد بالحاجبة عزة «٥» يريد ان شبيبا وأوفى الورى أخوان فى الغدر اذ لا وفاء عند أحد و«من» استفهامية.

فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها ... سجية نفس كل غانية هند

وقول البحتري :

ولم أرَ في رنق الصرى لي مورداً ... فحاولت ورد النيل عند احتفاله (١)

مع قول المتنبي :

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

وقول المتنبي :

كأنما يولد الندى معهم ... لا صغر عاذر ولا هرم

مع قول البحتري :

عريقون في الإفضال يؤتنف الندى ... لناشئهم من حيث يؤتنف العمر

وقول البحتري :

فلا تغلين بالسيف كل غلائه ... ليمضي فإن الكف لا السيف تقطع

مع قول المتنبي :

إذا الهند سوت بين سيفي كريهة ... فسيفك في كف تزيل التساويا

وقول البحتري :

ساموك من حسد فأفضل منهم ... غير الجواد وجاد غير المفضل

فبذلت فينا ما بذلت سماحة ... وتكرماً وبذلت مالم تبذل (٢)

مع قول أبي تمام :

أرى الناس منهاج الندى بعد ما عفت ... مهايعه المثلى ومحت لواحبه (٣)

«١» الصرى اسم نهر (٢) أراد انهم من الحسد اخذوا يسامونه في العطاء فبذلوا ولا جود عندهم فكان بذله بذلين بذل السماحة الصادر منه مباشرة وبذل هؤلاء البخلاء الذي صدر عنهم بسببه كتبه الاستاذ الامام (٣) محت لواحبه بمعنى عفت مهايعه أي بليت طرقه الواضحة وواحد اللواحب لاحب

فَفِي كُلِّ نجدٍ في البِلادِ وَغائرٍ مَواهِبُ لَيْستْ مِنْهُ وَهِيَ مَواهِبُهْ

وقول المتنبي :

بَيْضاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا

مع قول البحتري:

تبدُو بِعَطْفَةِ مُطْمِعٍ حَتّى إِذَا شُغِلَ الخَلِيُّ ثَنَتْ بِصَدْفَةِ مُؤْيِسِ (١)

وقول المتنبي :

إِذْكَارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إِذْكَارِي لَهُ إِذْ لاَ تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمَا

مع قول أبي تمام :

وَإِذَا المَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى المَرْ ءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي

وقول أبي تمام:

فَنَعِمْتَ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِدْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ

مع قول قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللهُ حِينَ صَوَّرَهَا الْـ ـخَالِقُ أَلاَّ تُكِنَّهَا سُدَفُ

وقول المتنبي :

رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيشُهَا الْهُدْ بُ تَشُقُّ القُلُوبَ قَبْلَ الجُلُودِ

مع قول كثير :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الكُحْلُ لَمْ يَجُزْ ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ فِي القَلْبِ جَارِحُ (٢)

وقول بعض شعراء الجاهلية ويعزى الى لبيد:

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلاَمَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلاَمَةُ دَاءُ

مع قول أبي العتاهية :

---

(١) الصدفة المرة من الصدف وهو الإعراض عن الشيء (٢) وفى نسخة يصب بدل يجز

أَسْرَعَ فِي نَقْصِ ٱمْرِئٍ تَمَامُهُ ... تُدْبِرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيَّامُهُ

وقوله: أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ ٱلْحَبِيـ ... ـبَ تَكُونُ كَٱلثَّوْبِ ٱسْتَجَدَّهْ

إِنَّ ٱلصَّدِيقَ يُمِلُّهُ ... أَنْ لَا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهْ

مع قول أبي تمام:

وَطُولُ مُقَامِ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ فَٱغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

وقول الخريمي:

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا ... أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَغِيرْ

تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ ... وَهُوَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرْ

مع قول المتنبي:

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ ٱعْتِدَادَهُمُ ... أَنَّهُمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا

وقول البحتري:

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو ... إِلَى أَهْلِ ٱلنَّوَافِلِ وَٱلْفُضُولِ

مع قول المتنبي:

أَفَاضِلُ ٱلنَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا ٱلزَّمَنِ ... يَخْلُو مِنَ ٱلْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ ٱلْفِطَنِ

وقول المتنبي:

تَذَلَّلْ لَهَا وَٱخْضَعْ عَلَى ٱلْقُرْبِ وَٱلنَّوَى ... فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ

مع قول بعض المحدثين:

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا ... لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعَا

لَنْ تَنَالَ ٱلْوَصْلَ حَتَّى ... تُلْزِمَ ٱلنَّفْسَ ٱلْخُضُوعَا

وقول مضرّس بن ربعيّ:

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِٱلْخَلِيلِ ٱلَّذِي لَهُ ... عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمُفَجَّعُ

وَإِنِّي بِالمَوْلَى ٱلَّذِي لَيْسَ نَافِعِي ... وَلاَ ضَائِرِي فُقْدَانُهُ لَمُمَتَّعُ

مع قول المتنبي :

أَمَا تَغْلَطُ ٱلأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى ... بَغِيضاً تُنَائِي أَوْ حَبِيباً تُقَرِّبُ

وقول المتنبي :

مَظْلُومَةُ ٱلقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصُناً ... مَظْلُومَةُ ٱلرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا

مع قوله :

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِٱلبَدْرِ طَالِعاً ... بَخَسْنَاكَ حَظّاً أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ

وَنَظْلِمُ إِنْ قِسْنَاكَ بِٱللَّيْثِ فِي ٱلوَغَى ... لِأَنَّكَ أَحْمَى لِلْحَرِيمِ وَأَبْسَلُ

*** ***

ذكر ما أنت ترى فيه فى كل واحد من البيتين صنعة وتصويرا وأستاذية على الجملة فمن ذلك وهو من النادر قول لبيد :

وَٱكْذِبِ ٱلنَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا ... إِنَّ صِدْقَ ٱلنَّفْسِ يُزْرِي بِٱلأَمَلْ

مع قول نافع بن لقيط :

وَإِذَا صَدَقْتَ ٱلنَّفْسَ لَمْ تَتْرُكْ لَهَا ... أَمَلاً وَيَأْمُلُ مَا ٱشْتَهَى ٱلمَكْذُوبُ

وقول رجل من الخوارج أُتِيَ به الحجاج فى جماعة من أصحاب قَطَرِيٍّ فقتلهم ومنّ عليه ليد كانت عنده وعاد الى قَطَرِيٍّ فقال له قطري عاود قتال عدو الله الحجاج فأبى وقال :

أَأُقَاتِلُ ٱلحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ ... بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلاَتُهُ

مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ ... فِي ٱلصَّفِّ وَٱحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلاَتُهُ

وَتَحَدَّثَ ٱلأَقْوَامُ أَنَّ صَنَائِعاً ... غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلَتْ نَخَلاَتُهُ (١)

«١» يقال حنظلت الشجرة أي صار ثمرها مرّا كالحنظل

مع قول أبي تمام :

أَسَرْبَلُ هُجْرَ ٱلْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي (١)

وقول النابغة :

إِذَا مَا غَدَا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا ٱلْتَقَى ٱلصَّفَّانِ أَوَّلُ غَالِبِ (٢)

مع قول أبي نواس:

وإذا مجَّ ٱلْقَنَا عَلَقًا وَتَرَاءَى ٱلْمَوْتُ فِي صُوَرِهِ

رَاحَ فِي ثِنْيَيْ مُفَاضَتِهِ أَسَدٌ يَدْمَى شَبَا ظُفُرِهِ (٣)

يَتَأَيَّى ٱلطَّيْرُ غُدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبَعِ مِنْ جَزَرِهِ (٤)

المقصود البيت الأخير (له بقية)

(تقريظ المطبوعات الحديثة)

﴿ كيمياء السعادة ﴾

رسالة فى علم النفس والاخـلاق أو التصوف لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي طبعت في مطبعة المنار عن نسخة خطية قديمة وصححها بالمقابلة على نسخة خطية أخرى بدار الكتب المصرية ملتزم طبعها الشـيخ ابراهيم اسماعيل خاطر احد المجاورين فى لازهر وجعل ثمن النسخة الواحدة من الورق الجيد قرشا صحيحا ومن ورق متوسط نصف قرش وكفى بعزوها الى حجة الاسلام ترغيبا فيها وهي تطلب من ملتزم طبعها ومن ادارة مجلة المنار بمصر وأجرة البريد مليمان

---

(١) الكلام استفهام انكاري حذفت من «أسربل» همزة الاستفهام (٢) الرواية الجمعان بدل الصفان) (٣) المفاضة الدرع الواسعة (٤) يتأيى — يتحرى ويترقب والضمير في جزره للطير وجزر الطير وجزر السباع هو اللحم الذي تأكله

(كتاب اللؤلؤ المرصوع . فيما لا أصل له أو بأصله موضوع)

ألف الحفاظ والمحدثون كتبا كثيرة في الأحاديث الموضوعة التي عزيت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذبا عمدا أو جهلا محضا حتى ان المقلد لكل متقدم ليظن أنهم لم يدعوا لمتأخر مقالا ، ولم يتركوا له في التأليف مجالا ، ولكن من يتوجه الى الافادة باخلاص قلب يفتح الله عليه ما يفيد به . فهذه الكتب المؤلفة في الموضوعات لا تكاد تجد لها قارئا واحدا في الالف من طلاب العلم . ونظن ان كتاب «اللؤلؤ المرصوع» الذي طبع في هذه الأيام سيكون حظه عند أهل هذا الزمن أكبر من حظ تلك الكتب لأن مؤلفه هدي بإخلاصه فجمع فيه كثيرا من الأحاديث الموضوعة التي تدور على ألسنة الناس وفي بعض الكتب ورتبها على حروف المعجم فكانت كتابا تزيد صفحاته عن المئة

مؤلف الكتاب الشيخ محمد أبو المحاسن القاوقجي الطرابلسي أحد شيوخنا في الحديث . وكفى بذكر القاوقجي تعريفا فانه قد اشتهر بصلاحه في هذه البلاد وغيرها ومريدوه يعدون بالالوف رحمه الله تعالى رحمة واسعة . وقد طبع الكتاب على نفقة الحاج عبد الله العطار من مريدي المؤلف وصححه الشيخ محمد كمال الدين القاوقجي الأزهري نجل المؤلف وطبعت في آخره رسالة الحافظ الصناني في الموضوعات. فنحث جميع القراء على مطالعته كيلا يغتروا بما اشتهر من تلك الاحاديث المكذوبة

﴿ ديوان الكاشف ﴾

أحمد افندي الكاشف شاعر قوي السليقة بعيد من الصنعة مشهور بما نشر له من القصائد في الجرائد وقد جمع شعره من سنة ١٣١٥ الى سنة ١٣٢٠ وطبعه في ديوان سماه ديوان الكاشف وصدّره بمقدمة في ترجمة نفسه بلغت ٣٠ صفحة وبلغ الديوان بها ١٦٠ صفحة . وقد سلك في الترجمة مسلك الحرية فذكر ما يمدح وما يذم وباح باسرار الخواطر والهواجس . ويعلم منها أنه كان موكولا الى نفسه ، مسترشدا بوجدانه وحسه ، يبتلى فيستسلم لدواعي الاحزان . ويتحمس فيسلك مسالك الشجعان ، ويعشق فيسترسل في طاعة الغرام ، ولم يصبر على مرارة التعليم ، ولم يسلس قياده لنظار المدارس ، فاكتفى ببعض المبادي ورضي من ثمرة العلم والادب بالشعر يوحيه الذوق وتنظمه السليقة . وهو دموي المزاج حاده محب للفخر والعلو ويرى ان

الشعر كاف في رقيّ صاحبه الى ذرى المعالي وحسبانه في عداد النابغين . كتب ما كتب في مقدمته وشعر بأنه جاء فيها ما يعتذر منه فقال في آخرها إن له ثلاثة أعذار المرض وضيق الوقت وفقد النصير . افتتح الديوان بعد المقدمة بتقديمه الى الله تعالى فقال :

رب هذا شعري وهذا بياني ... شهدا لي بصحة الايمان
لي داع من فطرتي قبل أن أد ... عو كتابا الى اليقين هداني
من يكن قام بالعقائد تقليـ ... ـدا فاني استقمت بالبرهان
مسلما عشت للإسلام أمي ... وأبي والامير والسلطان
أنا لو كنت ناشئاً ومقيما ... بين قوم من عابدي الاوثان
لم أجد غير دين أحمد أولى ... باتباع من سائر الاديان

ثم قدمه الى النبي بأبيات لا تشعر بالتقديم ثم الى أمير المؤمنين ثم الى مصر ثم الى قومه ثم الى الشعراء . وجعل الديوان أبوابا في مدح السلطان ومدح أمير مصر ومدح العظماء والاخوان . وفي السياسة والتاريخ ومن هذا الباب قصيدة في فتح السودان وقصيدة في ذكر الثورة العرابية . وفي التربية والتعليم وفي الاخلاق والآداب والحكم والفكاهات . وفي الوطنية . وفي الشكوى والعتاب . وفي الخصوصيات والاغراض وفي حوادث الغرام وفي المراثي والتعازي وثمن النسخة من الديوان عشرة قروش في بلاد مصر و ١٥ قرشاً في غيرها من البلاد . فعسى ان يلقى هذا الديوان من اقبال القراء ما تقر به عين الناظم

﴿ فتح الأندلس ﴾

« قصة تاريخية غرامية هي الحلقة السابعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تتضمن تاريخ اسبانيا قبيل الفتح الاسلامي ووصف أحوالها الادارية والسياسية والدينية وعلاقة بعضها ببعض وبسط عادات القوط والرومان هناك والفرق بين طبقات الناس وقدوم طارق بن زياد لفتحها والسبب الذي دعاه الى ذلك — الى مقتل رودريك ملك القوط في واقعة وادي لبتة سنة ٩٣ هـ » هذا ملخص به الرواية . ومؤلفها جرجي افندي زيدان وهي كما قال . رغب الينا المؤلف في قراءة القصة قبل تقريظها حبا في النقد الذي لا يحب الا الواثق بحسن عمله الراغب في تكميله فقرأناها بلذة عظيمة وشهدنا له بحسن تصنيف

القصص فان القارئ لاينتهي من فصل من فصولها الى بشوق يلح به ويحفزه الى قراءة مابعده حتى ينتهي بالفصل الاخير

وننتقد عليه ان المقصود من القصة بيان تاريخ الاسلام كسوابقها وليس فيها منه الا ذكر الفتح بغاية الايجاز . وانتقد غيرنا من نبهاء المسلمين على هذه القصص أنها تصور للقارئ ان انتصار المسلمين في الفتوحات لم يكن الا بسبب ماكان ألم بالامم التى فتحوا بلادها كالرومانيين والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق واختلاف المذاهب الدينية وتفرق الكلمة . ويرى هؤلاء المنتقدون ان هذا غمط لحقوق المسلمين وعدم اعتراف بشجاعتهم وعناية الله تعالى بهم حمل المؤلف عليهما التعصب الديني . ونحن نشكر عليهم هذا الرأي كتابة كما أنكرناه قولا فان ماذكره من فساد دين الامم وأخلاقها وتفريق كلمتها هو السبب الاول في قهر أولئك الشراذم من المسلمين لتلك الامم القوية العظيمة السلطان بل لولا ذلك الفساد العام لما أرسل الله تعالى ذلك المصلح العام كافة للناس بشيراً ونذيراً (صلى الله عليه وسلم) وأيده بعنايته فجمع له كلمة الامة العربية التي لايعرف لها التاريخ اجتماعا فأدبها وأدب بها على بداوتها أمم العلوم والمدنية ، على ان المؤلف نوه بشجاعة العرب وفضلهم وعدلهم ولم ينقصهم منه شيئاً

أما عبارة القصة فقد كنت أتوقع أن تكون خيراً مما سبقها فاذا هي كغيرها في السلاسة ولكن فيها كلمات وعبارات عامية لم أر مثلها في كتابة قبلها للرصيف فجزمت بأنه متعمد ليسهل فهم كتابته على العوام ، وعندي ان سلاسة عبارته كافية في الوصول الى هذا المرام ، وصحة العبارة لاتحول بين المعنى والافهام

﴿ فتاة غسان ﴾

قصة تاريخية غرامية أخرى لجرجي افندي زيدان أيضا كتب على ظهرها بعد ذكر اسمها « تشرح حال الاسلام من أول ظهوره الى فتوح العراق والشام مع بسط عوائد العرب في آخر جاهليتهم وأول اسلامهم ووصف أخلاقهم وازيائهم وسائر أحوالهم » أهدانا المؤلف نسخة من الجزء الاول منها طبع ثانية قبل اهداء (فتح الاندلس) فلم ننظر فيه لأن وقتنا قصير وعملنا كثير فلما طالعنا هذه إجابة لطالب المودة ساقتنا اللذة الى مطالعة الاخرى فكانت اللذة فيها لاتقل عن اللذة في أختها ، وعبارتها أسلم

من عبارتها ، وفائدتها فى التاريخ الاسلامي أكبر من فائدتها ، وان كانت لم تشرح حال الاسلام كما قال شرحا ، ولم تبسط عوائد العرب وأخلاقهم وسائر أحوالهم بسطا، فانه ذكر جملة صالحة من ذلك كان يجهلها السواد الاعظم من القراء لأن أكثرهم من العوام وان تعلم الكثيرون منهم في المدارس الابتدائية فان مدارس مصر لاحظ لها من تاريخ الاسلام . ولذلك كنت أناظر جماعة من أهل العلم يدعون ان قراءة هذه القصص ضارة وأدعي انا أنها نافعة

يحتج هؤلاء بأن في هذه القصص أغلاطا تاريخية حتى في الامور المشهورة ومثل هذا لا يسلم منه كتاب منها قوله ان أمير العرب على فتح العراق هو « سعد بن مالك » وهو إغراب وكان يدعي سعد بن أبي وقاص وان كان اسم أبيه مالكا . ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه الى نقل صحيح كهذا أو ضعيف فمن الاول قوله ان أبا سفيان حيا هرقل بقوله « أبيت اللعن » وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الحميريين للملوك دون المضريين وله ان يحتج هو باطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحية الملوك في الجاهلية . ومن الثاني نص كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل فانه نقلها عن الاغاني هكذا « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان اثم الاكابر عليك » والرواية الصحيحة في البخاري وغيره «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله (وفى رواية رسول الله) الى الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين (وفى رواية الاكارين _ لا الاكابر_ وكلاهما بمعنى الفلاحين يريد رعيته أهل الحرث) ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » هذا هو نص الكتاب ولا شك ان المؤلف قصر فى اعتماده على كتاب أدبي دون كتب الحديث وكتب السير فى أهم شيء من موضوع قصته

وذكر في آخر الكتاب صورة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم نقلا عن الواقدي

وهي ان لفظ (محمد) في السطر الاعلى ولفظ (رسول) في السطر الاوسط ولفظ الجلالة (الله) في السطر الادنى والمشهور العكس والواقدي يروي الموضوعات وقصته في فتوح الشام مملوءة بالكذب وهذه المسألة أهون من غيرها

أما ماذكره مؤلف القصة عن أبي سفيان من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنه بالرواية وانما جمع المؤلف أقوالا من الكتب وألفها مع بعض آرائه وأسندها الى أبي سفيان لانهم يستجيزون ذلك في القصص لان العبرة عندهم بالمسائل لابالرواية — وان سمى أهل العربية هذه القصص روايات كذبا ومينا — والمعروف في الصحيح ان أبا سفيان لم يتجاوز أجوبة أسئلة هرقل •

ومن المسائل الباطلة التي حكاها المؤلف عن أبي سفيان مسألة الغرانيق. رآها في الطبري فنظمها في سلك الحكاية وقال ان أبا سفيان قال ان محمداً ذكر آلهتهم (أي بخير) فيما نزل عليه ثم رجع عن ذلك (وأبدل هذه الفقرة بفقرة تزيدنا نفرة منه فقال « ان تلك انما ألقاها الشيطان على لسانه » ثم ذكر آلهتنا بكل سوء فقال « انها أسماء سميتموها انتم وآباؤكم » الى غير ذلك مما زادنا نفورا و بعدا). هذه العبارة بين الهلالين منقولة من القصة بحروفها وهي توهم ان جملة «ان تلك» الخ مروية عن النبي عليه السلام وذلك غير صحيح وفيها تحريف للآية الكريمة «ان هي الا أسماء سميتموها» الخ والسبب في ذلك اعتياد القوم على التساهل في النقل والاعتماد على المعنى الذين يفهمونه ويحسبون هذا التساهل هينا حتى في الامور الدينية وهو عند المسلمين عظيم. وقد نشرنا في المجلد الثالث من المنار مقالة طويلة للاستاذ الامام يفند فيها مسألة الغرانيق ويبين بطلانها. وللمؤلف المسيحي العذر في تصديق مسألة ذكرها بعض علماء المسلمين وسكت عليها فلم يكذبها. وهذه القصة وضعت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تكن معروفة في عهده لمؤمن ولا لمشرك

(بشارة بحيرا الراهب بالنبي صلى الله عليه وسلم وشبهتهم فيه)

ومما أسنده المؤلف الى أبي سفيان قوله ان أبا طالب كان يصطحب محمدا في أسفاره فينزل الدبور (كذا) ويجالس الرهبان والعلماء وذكر هنا ان بحيرا الراهب أنبأه بأمور كثيرة من مستقبل حياته وأوصى عمه ان يعتني به ويخاف عليه اليهود،

وقوله ان محمداً كان اذا عاد من سفره يقضي معظم ساعات نهاره في الكعبة يحدث الناس ويجادلهم ويطارحهم ويعجبون لذكائه وقوة برهانه (قال) فقد كان على صغر سنه ذكي الفؤاد واسع الاطلاع بما اكتسبه من مجالسة عمه ومخالطة الناس في أسفاره مع انه أمي لايعرف القراءة : ونقول ان هذا غير صحيح فانه ما كان معروفا بالفصاحة ولا بسعة الاطلاع ولا كان يجادل الناس ولم يقل بالمجادلة جهلاء المسلمين الذين أرادوا ان يعظموه بأكثر مما عظمه الله تعالى به فوضعوا أحاديث واخترعوا حكايات جاءت بنقيض المطلوب منها قولهم عنه «أنا أفصح من نطق بالضاد» قال المحدثون انه لاأصل له وقال شيخنا القاوقجي في (اللؤلؤ المرصوع) : والعجب من الجلال المحلي ذكره في شرح جمع الجوامع من غير تنبيه وكذا زكريا الانصاري فى شرح المقدمة الجزرية :

أما قصة بحيرا الراهب فقد ذكرها أصحاب السير فى البشارات بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونظموها فى سمط الخوارق التي رووا أنها كانت محتفة بها ولكن النصارى نظموها في سلك آخر فزعموا ان بحيرا كان معلما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعظموا من شأنه ووسعوا دائرة رواية المسلمين في شأنه فأخذ صاحبنا جرجي افندي زيدان خلاصة مما قرأه وسمعه من الفريقين وأودعها قصته هذه (فتاة غسان) ونوه بها في غيرها وأنا أعتقد بما لي من حسن الظن فيه أنه كتب مايعتقده وان كان مخطئا فيه

أوهمت عبارته الماضية ان أبا طالب كان يسافر بابن أخيه قبل النبوة كثيراً فينزل الأديار ومجالس الرهبان والعلماء ... والصواب انه لم يسافر مع عمه الا مرة واحدة وكان ابن تسع وكان سبب خروجه معه تعلقه به وحبه إياه لما كان يعامله به من الكرامة والاحسان وفى هذه المرة رآه الراهب بحيرا وبشر به ولم يره بعدها . وقد سافر مرة ثانية الى الشام في عير لخديجة مع غلامها ميسرة وكان ابن ٢٥ سنة على الارجح وفى هذه المرة رآه نسطورا الراهب ورأى من علامات النبوة ماأنطقه بأنه هو الذي بشر به المسيح وغيره من الانبياء ولم ير بحيرا فى هذه المرة

وقد ذكر المؤلف رأيه فى بحيرا في الفصل الثامن من القصة وملخصه (١) ان اسم بحيرا يوحنا عزا ذلك الى الكندي أي الى ذلك الكتاب الطاعن فى الاسلام المنسوب الى رجل على عهد المأمون اسمه اسحق الكندي والكتاب لبعض

المتأخرين لاشك عندي في ذلك . وفي السيرة الحلبية وغيرها ان اسمه جرجيس وقيل سرجيس . و (٢) ان سلمان الفارسي كان تلميذا له نقل ذلك عن الدائرة ولم يعرف في ترجمة سلمان عند المحدثين . و (٣) انه كان على مذهب آريوس . و(٤) انه كان عالما بالفلك والنجوم والطوالع وسائر علوم تلك الايام و (٥) انه كان حسن الفراسة ولكنهم كانوا يعتقدون انه ساحر . و (٦) أنه سافر في آخر عهده الى مكان مجهول في جزيرة العرب ثم علم ان اليهود قتلوه غيلة . و (٧) ان المظنون فى سبب ذهابه الى بلاد العرب قصد الحجاز لحادثة جرت معه .

ثم ذكر المؤلف في بيان هذه الحادثة قصة عن لسان راهب كان تلميذا لبحيرا وملخصها ان القوافل القادمة من بلاد العرب كانت تقف عند دير بحيرا بالقرب من مدينة بصرى وكان بحيرا يخرج اليهم ويعلمهم عبادة الله تعالى اذا كانوا وثنيين وانه كان يعتقد ان الله ظهر له فى الرؤيا وانبأه بأن سيكون واسطة لهداية بني اسماعيل ثم رأى فى رؤيا اخرى « ان فتى جميل المنظر شهما مولده ببرج الثور والزهرة مع قران المشتري وزحل سيهدي أبناء جلدته بني اسماعيل الى معرفة الله وان به يقوى أمرهم ويشتد أزرهم وتجتمع كلمتهم فيذللون أبناء عمهم بني اسحق ويتسلطون عليهم مدة كما أشار اليه دانيال في نبوته وانه يخرج من العرب أثنتا عشرة دولة »

ثم ذكر المؤلف بلسان الراهب ان قافلة جاءتهم من قريش فشاهد بحيرا فيهم غلاما جميلا علم انه هو الذي بشر به في المنام وأوصى به عمه أن يحذر عليه اليهود (قال) : ثم كانوا كلما مروا بنا أقاموا عندنا كالعادة :

أقول فى هذه الحكاية أغلاط يبنى عليها أحكام فاسدة وهو لم يروها عن أحد وانما استنبطها من قريحته ليصور فيها ما كان يعتقده فى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو انه اقتبس آراء من ذلك الراهب فى التوحيد وغير التوحيد وطفق يستعد لتحقيق بما بشره به وكان يختلف اليه للاستفادة منه ثم ان الراهب بعد ذلك رحل اليه . وحاصل القول ان دين الاسلام بني على معارف ذلك الراهب وبشارته . ويظهر ان المؤلف رجع عن هذا الرأي الذي يؤخذ من كلامه في بحيرا وصار يعتقد أن النبي عليه السلام لم يكن متصنعا ولا متكلفا بل كان يعتقد في نفسه انه مرسل من الله تعالى .

ويفهم هذا الرجوع مما كتبه بعد ذلك فى الجزء الاول من تاريخ تمدن الاسلام

أما الاغلاط المهمة التي جاءت فى حكايته المخترعة فأحدها قوله ان كان يعلم العرب الذين كانوا ينزلون بجوار الدير والصواب انه ماكان يخرج اليهم ولا يكلمهم قال في السيرة الحلبية « وكانت قريش كثيرا ماتمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا فى ظل شجرة نظر الى الغمامة قد أظلت الشجرة وتهصرت — أي مالت — أغصان الشجرة على رسول الله الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها ... ثم أرسل اليهم قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم . فقال له رجل منهم — لم أقف على اسم هذا الرجل — : يابحيرا ان لك اليوم شأنا ماكنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ فقال صدقت » — القصة وفيها ان النبي لم يحضر معهم أولا فسألهم عمن تخلف لانه لم ير الغمامة على أحد منهم فقالوا له ماتخلف عن طعامك أحد ينبغي له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا : فطلبه فجاء والعمامة فوقه . فلما أكل القوم وتفرقوا قام اليه بحيرا « فقال له : أسألك باللات والعزى الا ماأخبرتني عما أسألك عنه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتسألني باللات والعزى شيئاً فوالله ماأبغض شيئاً قط بغضهما : فقال بحيرا فبالله الا ماأخبرتني عما أسألك عنه : فقال له : سلني عما بدالك : فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ويخبره فيوافق ماعنده من صفته أي صفة النبي المبعوث آخر الزمان » وذكر أنه أوصى به عمه وليس فى رواية من الروايات أنه علمهم في تلك الدعوة أو غيرها شيئا أو دعاهم الى توحيد أو غيره

ثانيها خبر الرؤيا والنظر فى النجوم وقد علمت ان سبب البشارة به فى الرواية المأثورة هو مارآه من النعوت والآيات ، وما كان يحفظ من البشارات ، فالرؤيا المنامية دعوى اختراعية ، وبناء البشارة على معرفته بالتنجيم حكاية خرافية . فان قالوا انهم لا يسلمون بمافي الرواية الاسلامية من تظليل السحابة والشجرة نقول سواء علينا أرددتم هذا وحده أم رددتم الرواية من أصلها وارحتمونا من ذكر بحيرا الذي عظمتم أمره وهو واحد

من ألوف كانوا يعتقدون بأن نبيا يبعث من آل اسماعيل ، كما بشرت التوراة والانجيل ، ثالثها قوله : وأقام الركب عندنا مدة : ورابعها قوله : ثم كانوا كلما مروابنا أقاموا عندنا كالعادة : وكلاهما غير صحيح كما علمت

وجملة القول أنه لاتوجد شبهة ما على أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى بحيرا غير تلك المرة ولاتوجد شبهة ما على انه استفاد منه علما يذكر ، أو حكما يؤثر ، وما ذا عسى يستفيد ابن تسع من مجلس جلسه الى عالم؟ وكيف يصدق عاقل ان ذلك الغلام يخزن هذه العلوم زمنا يزيد على ثلاثين سنة ثم يفيضها على الناس بحكمة باهرة وسياسة عالية . وكيف عجز الراهب مفيض العلوم عن هداية رجل واحد كالراهب الذي يحكي عنه في القصة وقدر ذلك الغلام المستفيض على هداية الشعوب والقبائل وقلب نظام العالم بتطهيره من الشرك والوثنية والظلم والتهتك في الشهوات ! ! ! ان في ذلك لآيات.

وانما أطنبت في قصة بحيرا اطنابا ما كان يتسع له تقريظ قصة لانني كنت أسمع من رهبان هذا الزمان وبعض عوام النصارى كلاما كثيرا في دعوى تعليمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما كنت أظن ان خواصهم يحفلون بذلك حتى رأيت في هذه القصص ما رأيت . ولا أزال اعتقد ان رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان ليس له قصد شيء يحمله على كتابة مالا يعتقد وأقول انه لايجوز لمسلم ان يثق بغير العلماء الراسخين من أهل الدين في نقل الامور الدينية اذ لا يعرف الصحيح المعتمد عليه غيرهم

باب الأخبار والآراء

﴿ المحسن العظيم منشاوي باشا ـ أبو الوطن لا الاسكندرية وحدها ﴾

زار صاحب السعادة والفضل أحمد باشا المنشاوي مدارس العروة الوثقى الخيرية في الاسكندرية فتلقاه أعضاء الجمعية الكرام بما يليق بمقامه في فضله واحسانه وكانوا قد أمروا بأن تزين المدارس حفاوة به فابتدأ بزيارة مدرسة عباس الاول للذكور وهناك قدموا له كتابا مصفحا بالذهب ذكرى شكر على احسانه وعند ختام الاحتفال وتلاوة الخطب والاناشيد وعد التلامذة بانه أوقف حياته لتربيتهم . ثم زار

مدرسة اسماعيل الاول للبنات ثم مدرسة كوم الشقافه ومدرسة عباس الثاني ومدرسة توفيق الاول والمكتب العباسي ثم مدرسة عباس الاول للبنات فمدرسة ابراهيم الاول وكانت كل مدرسة تقدم له ذكرى تليق بها

وقد هزته الاريحية لما شاهده من حال هذه المدارس والمكاتب وحال التلامذة والتلميذات الذين كانوا يتدفقون بزيارته بشرا وشكرا فأمر بأن تكون كسوة تلامذة المكاتب على نفقته ووعد بأن سيوقف أطيانا يخص ربعها تجهيز بنات الفقراء المتعلمات في هذه المدارس عند زواجهن . وذكرت مدرسة جمعية الحمالين (الشيالين) في الكمرك فوعد بمساعدتها. ثم أمر بصرف راتب شهر لكل واحد من معلمي هذه المدارس

ننشر خبر هذه الزيارة وان كنا نغفل ذكر زيارات الملوك والامراء الحاكمين للمعاهد العامة والخاصة لأن شأن الاسعاد على العلم لايعلوه عندنا شأن وانما نفتخر بهذا المحسن العظيم الذي طوق الاسكندرية بفضله واحسانه حتى قال بعض الادباء : يجب ان نكنيه بأبي الاسكندرية: ونحن نتوقع ان يطوق بفضله القطر كله بمساعدة الجمعية الخيرية الاسلامية العامة كما طوق الاسكندرية بمساعدة جمعية العروة الوثقى الخاصة فيكون أبا الوطن كله لا ابا الاسكندرية وحدها دام الله توفيقه. وألهم سائر اغنيائنا بأن يسلكوا طريقه.

(مدرسة المعلمين الالهامية)

وفق الله تعالى صاحبة الدولة والدة الجناب الخديوي فألهمها بأن تنشئ مدرسة لتخرج معلمي المدارس الابتدائية وتجعلها تذكارا لوالدها (إلهامي باشا) وقد وضع جدول الدروس واتخذ للمدرسة مكان موقت وستبنى لها دار فسيحة في الحلمية على نفقة المنشئة أثابها الله تعالى . وقد عين عابدين افندي خير الله ناظراً لهذه المدرسة

أما العلوم التي تقرأ في المدرسة فهي تجويد القرآن الكريم وتفسيره والنحو والصرف والبلاغة والانشاء قولا وكتابة والفقه والتوحيد والحساب والهندسة وتقويم البلدان والخط وتقبل المدرسة ثلاثين طالبا مجانا بشروط هي معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والصحة وكون السن لاتزيد على ١٢ ولاتنقص عن ١٨ سنة

العمل المقصود جليل ولكنه لايتم بالدار الفسيحة والنفقة الواسعة من كرم الإمارة وانما يتم بانتقاء المعلمين الفضلاء الاكفاء الذين يحسنون التربيه أولا والتعليم

ثانيا فاذا لم يكن المعلمون مربين فلا فائدة لهم ولا جدوى . وفق الله ناظر هذه المدرسة لاتقاء الرجال ، كما وفق منشئتها الكريمة لبذل المال ،

(وفاء قراء الصحف ومطلهم)

كتبنا مقالة أخلاقية في وفاء قراء الصحف المنشرة و مطلهم بالنسبة الى البلاد والى الاصناف بنينا الحكم فيها على اختبارنا الخاص فأخذ المقتطف الاغر خلاصتها وقال انها ذكرته بحثا مثل بحثنا للفيلسوف سبنسر الشهير ظهر له منه ان خدمة الدين أقل وفاء بالحقوق من غيرهم . ثم ذكر احصاء الاصناف المشتركين في المقتطف والمقطم من حيث الوفاء والمطل كانت نتيجته موافقة لنتيجتنا . ظهر من احصاء المقتطف ان أصحاب الاملاك يتأخر عندهم سبعة في المئة من حقوق الجرائد والمجلات ويتأخر عند العلماء ٩ في المئة وعند التجار ١٥ في المئة وعند المحامين ٢٥ في المئة وعند القضاه ٣٠ في المئة وعند الموظفين ٤٠ ونصفا في المئة . قال الكاتب :

« وهذه النتيجة تنطبق على نتيجة صاحب المنار الا من حيث العلماء ولعل سبب ذلك أننا جمعنا معهم المعلمين . أما موظفو الحكومة فاكثرهم من المستخدمين الصغار لا من الموظفين الكبار . ومن الغريب أن يدخل حضرات القضاة والمحامين في باب المطل ولو لم تكن النتيجة التي وصلنا اليها نحن مطابقة للنتيجة التي وصل اليها صاحب المنار لظننا حسابنا خطأ »

أما ماذكره في علة اختلاف الحسابين في العلماء فصحيح لان المعلمين في المدارس يقل فيهم الماطلون وقد قلنا هذا فلا خلاف . أما المحامون فقد نسينا ان نذكرهم في تلك المقالة وهم أحسن وفاء من القضاة وان كنا نسمع القضاة يتبرمون منهم . ونحن لانشكو الا من المحامين الشرعيين فان أكثرهم يمطلون وأما المحامون في المحاكم الاهلية فكلهم يؤدون حق المنار ويقل فيهم من يخرج منه الحق نكدا

ومن عجيب ماوقع لنا مع القضاة الاهليين ان أحدهم اجتمع عنده اشتراك ثلاث سنين فطالبناه فطلب منا ان نعطيه ثلاث مجلدات من المنار ثمنها او نعطيه وصولا بما يطالب منه من غير ان يدفع قرشا واحدا واحتج بأنه ينقصه بعض الاجزاء . فيا حرمان من يتقاضى عند مثله .

(تنبيه) ضاق هذا الجزء عن شبهات النصارى وتتمة ترجمة البابا

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢١ — ٢٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر)

«قُل مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ * أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *»

الكلام متصل بما قبله من ذكر تعلات اليهود واعتذارهم عن الايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام وبما جاء به من البينات والهدى — زعموا أنهم مؤمنون بكتاب لا حاجة لهم بهداية في غيره فاحتج عليهم بما ينقض دعواهم، وزعموا أنهم ناجون في الآخرة على كل حال لأنهم شعب الله وأبناؤه

فأبطل زعمهم، ثم ذكر لهم تعلة أخرى أغرب مما سبقها، وفندها كما فند ماقبلها، وهي ان جبريل الذي ينزل بالوحي على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عدوّهم فلا يؤمنون بوحي يجيء هو به. وقد جاء فى أسباب النزول روايات عنهم في ذلك منها ان عبد الله بن صوريا من علمائهم سأل النبي عليه السلام عن الملك الذي ينزل عليه بالوحي فقال هو جبريل فزعم أنه عدوّ اليهود وذكر من عداوته انه أنذرهم خراب بيت المقدس فكان. ومنها ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) دخل مدارسهم فذكر جبريل فقالوا: ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب، وميكائيل صاحب الخصب والسلم: الخ وهذا القول هراء وخطله بين وإنما عني القرآن بذكره وردّه لانه مؤذن بتعنتهم وعنادهم، وشاهد على فساد تصوّرهم وعدم تدبرهم، ليعلم الذين كانوا ينتظرون مايقول أهل الكتاب فيه أنه لاقيمة لاقوالهم، ولا اعتداد بمرائهم وجدالهم،

قال تعالى «قل من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله» واذا كان يناجي روحك ويخاطب قلبك باذن الله لا افتياتا من نفسه فعداوته لايصح ان تصد عن الايمان بك وليس للعاقل ان يتخذها تعلة ويتنحلها عذرا فان القرآن من عند الله لا من عنده. فقوله «باذن الله» حجة أولى عليهم ثم قال «مصدقا لما بين يديه» أي موافقا للكتب التي تقدمته فى الاصول التي تدعو اليها من التوحيد واتباع الحق والعمل الصالح ومطابقا لما فيها من البشارات بالنبي الذي يجيء من أبناء اسماعيل كأنه يقول تفآمنوا به لهذه المطابقة والموافقة لا لأن جبريل واسطة فى تبليغه وتنزيله. وهذه حجة ثانية ثم عززها بثالثة وهي قوله «وهدى» أي نزله هاديا من

الضلالات والبدع التي طرأت على الاديان ، فألقت أهلها فى حضيض الهوان ، والعاقل لا يرفض الهداية التي تأتيه ، وتنقذه من ضلال هو فيه ، لأن الواسطة في مجيئها كان عدوا له من قبل ، فان هذا الرفض من عمل الغبي الجاهل الذي لايعرف الخير بذاته وانما يعرفه بمن كان سبباً فى حصوله . ثم أيد الحجج الثلاث برابعة فقال « وبشرى للمؤمنين » أي اذا كنتم تعادون جبريل لانه أنذر بخراب بيت المقدس فهو انما أنذر المفسدين وقد أنزل هذا القرآن عليّ بشرى للمؤمنين فما لكم ان تتركوا هذه البشرى ان كنتم من أهل الايمان ، لأن الذي نزل بها قد نزل بإنذار أهل الفساد والطغيان ،

ومن مباحث اللفظ في الآية ان قوله « نزله على قلبك » ورد على طريق الالتفات عن التكلم الى الخطاب اذ كان مقتضى السياق ان يقول « نزله على قلبي » وقد قالوا فى نكتته انها حكاية ماخاطبه الله تعالى به . ولا أرى صاحب الذوق السليم الا مستنكرا صيغة التكلم في هذا المقام ، والعلة فى ذلك لا تبعد عن الافهام ، ومنها ان الضمير في « نزله » للقرآن وهو لم يذكر فيما قبلها وإنما عينته قرينة الحال وذلك يدل على فخامة شأنه ، كأنه لشهرته قد استغني عن ذكره (قاله البيضاوي)

أقام الحجج على حماقتهم وسخفهم فى دعوى عداوة جبريل وبيان أنها لا يصح أن تكون مانعة من الايمان بكتاب أنزله الله بتلك الصفات التي طويت فيها الحجج . ثم بين فى آية أخرى حقيقة حالهم فى هذه العداوة فقال « قل من كان عدوّا لله » بكفره بما ينزله من الهداية « وملائكته » برفض الحق والخير الذي فطروا عليه « ورسله » بتكذيب بعض وقتل

بعض « وجبريل وميكال » بأن الاول ينزل بالآيات والنذر ومن كان عدوّا لجبريل فهو عدوّ لميكال لأن فطرتهما واحدة وحقيقتهما واحدة فمن مقتها وعاداها فى أحدهما فقد عاداها فى الآخر «فان الله عدوّ للكافرين» أي من عادى الله وعادى هؤلاء المقربين من الله الذين جعلهم رحمة لخلقه فهو كافر بالله ومعاد له والله عدوّ للكافرين أي يعاملهم معاملة الاعداء للاعداء، وهم الظالمون لانفسهم اذ دعاهم فلم يقبلوا ان يكونوا مع الاولياء،

﴿ قال الاستاذ الامام ﴾ هذا وعيد بعد بيان فساد العلة التي جاؤا بها وهم لم يدعوا عداوة هؤلاء كلهم ولكنهم كذلك فى نفس الامر فأراد ان يبين حقيقة حالهم فى الواقع وهي أنهم أعداء الحق وأعداء كل من يمثله وينقله ويدعو اليه فالتصريح بعداوة جبريل كالتصريح بعداوة ميكال الذي يزعمون انه يحبونه وانهم كانوا يؤمنون بالنبي لو كان هو الذي ينزل بالوحي عليه. ومعاداة القرآن كمعاداة سائر الكتب الالهية لان الغرض من الجميع واحد. ومعاداة محمد (عليه السلام) كمعاداة سائر رسل الله لان وظيفتهم واحدة. فقولهم السابق وحالهم يدلان على معاداة كل ما ذكر. وهذا من ضروب إيجاز القرآن التي انفرد بها. وفي قوله تعالى «للكافرين» وضع للمظهر في موضع المضمر لبيان ان هذا هو الكفر وأن الله لايعادي قوما لذواتهم ولا لأنسابهم وانما يكره لهم الكفر ويعاقبهم عليه معاقبة العدوّ للعدوّ

وقد بينا غير مرة ان عذاب الله وانتقامه من الكفرة الفجرة لا يشبه انتقام ملوك الدنيا وزعمائها وإنما قضت سنته تعالى بأن يكون لكل عمل يعمله الانسان فى ظاهره أو فى نفسه وضميره أثرا فى نفس العامل يزكيها

أو يدسيها وسعادة الانسان فى الآخرة أو شقاؤه تابع لآثار اعتقاداته وأعماله فى نفسه . ولذلك قال تعالى «وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين»

ثم صرح بأن القرآن منزل من عند الله وحده وأنه فى نفسه آيات بينات لايحتاج الى آية أخرى تبينه وتشهد له فان ماكان بينا فى نفسه أولى بالقبول مما يحتاج فى بيانه الى غيره فقال «ولقد أنزلنا اليك آيات بينات» وقد تقدم ان الوحي من الله للنبي يسمى تنزيلا وانزالا ونزولا لبيان علو مرتبة الربوبية لاان هناك نزولا حقيقيا من مكان مرتفع الى مكان منخفض . وأما كون آيات القرآن بينات فهي انها باعجازها البشر وبقرن المسائل الاعتقادية فيها ببراهينها، والاحكام الادبية والعملية بوجوه منافعها، لاتحتاج الى دليل آخر يدل على انها هداية من الله تعالى وأنها جديرة بالاتباع، بل هي دليل على نفسها عند صاحب الفطرة السليمة كالنور يظهر الاشياء وهو ظاهر بنفسه لايحتاج الى شيء آخر يظهره « وما يكفر بها الا الفاسقون » الذين خرجوا من نور الفطرة وانغمسوا فى ظلمة التقليد فتركوا طلب الحق بذاته لاعتقادهم ان فطرتهم ناقصة لااستعداد فيها لإدراكه بذاته على شدة ظهوره وانما يطلبونه من كلام مقلديهم - والذين ظهر لهم الحق فاستحبوا العمى على الهدى حسدا لمن ظهر الحق على يديه وعنادا له

بعد هذا كله بين الله تعالى شأنين من شئون أهل الكتاب وهما انه لاثقة بهم فى شيء لما عرف عنهم من نقض العهود وأنه لارجاء فى إيمان أكثرهم لأن الضلالة قد ملكت عليهم أمرهم الا قليلا منهم فان كان ماتقدم من الاعمال والاقوال قد صدر عن بعضهم - وان كان نقض العهود

قد وقع فى كل زمن من فريق منهم دون فريق فلا يتوهمن أحد ان أولئك هم الاقلون، كلا بل هم الاكثرون ، ولذلك قال «أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم» همزة الاستفهام التوبيخي داخلة على محذوف أي أكفروا بالآيات وقالوا ماقالوا وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم . ولما كان لفظ فريق يوهم العدد القليل أضرب عنه وقال « بل أكثرهم لايؤمنون » وكذلك كان وصدق الله العظيم

الكرامات والخوارق

(المقالة السابعة عشره في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل)

النوع الحادي عشر استجابة الدعاء

قال السبكي : وهو كثير جدا وشاهدناه من جماعة : أقول هذه مسألة من أكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين المذاهب الاسلامية ويذكرونها فى العقائد. والمشهور أن أهل السنة يقولون بنفع الدعاء والمعتزلة ينكرونه. قال اللقاني فى الجوهرة :

وعندنا ان الدعاء ينفع كما من القرآن وعدا يسمع

وقد تقدم فى مقالات الكرامات الاولى ان جمهور أهل السنة يقولون بجواز وقوع الكرامة والخوارق والمعتزلة ينكرون ذلك. وقد عدّ السبكي وغيره استجابة الدعاء من الكرامات والخوارق ويلزم من ذلك أن يكون الخلاف في الدعاء فرع الخلاف في الكرامات ولكنك تراهم يخصونه بالذكر ويعدونه مسألة مستقلة ويرون الخلاف فيه أقوى ويشنعون فيه على المعتزلة مالا يشنعون فى مسألة الكرامات. ولقد انقرض المعتزلة وذهبت كتبهم ولكن المسائل التي اختلفوا فيها مع الاشعرية لايزال الكثير منها حيا يقول فيه بقولهم كثير من الناس فنحمد الله ان جعل أئمة الفريقين أرقى عقلا ودينا من ان يكفر بعضهم بعضا فلو كفر أبو الحسن الاشعري وكبار أصحابه منكري نفع الدعاء وجواز الكرامات أو وقوعها لرأيت المسلمين اليوم في شقاق شر من ذلك الشقاق

ولا تمنع أهل العلم والدين من الصلاة على موتى أكثر المتعلمين من أبناء هذا العصر. على أن الباحثين في هذه المسائل لا يسلمون من تكفير غلاة المقلدين ولكنه تكفير باللسان لا يعدو الشتم ولا يتجاوز الشاتمين ، واذا مات المرمي بالكفر صلوا عليه ودفنوه بين المسلمين ، ثم إنه شتم قلما يقع من المطلعين على المذاهب والعالمين بما يؤثر عن العلماء من الخلاف

الحق أقول ان الخلاف فى الدعاء أقوى من الخلاف في الكرامات فان مسألة الكرامات ليست من أصول الدين ولا من فروعه ولا يوجد فى الكتاب والسنة دليل على طلب حصولها ولا على مطالبة الناس بالايمان بها • وأما الدعاء فهو مطلوب بلا خلاف والآيات والاحاديث الصحيحة التي يذكر فيها كثيرة جداً • ويعجبني جعلهم محل الخلاف في نفع الدعاء لا في استجابته خاصة وأنه لم يقل أحد من أئمة المسلمين بأن الدعاء يستجاب حتما ولا ان الاصل أو الاكثر انه يستجاب ولكنهم قالوا ان الدعاء ينفع سواء أستجيب أم لم يستجب وهذا القول حق كما سنبينه . ولو كانوا يرون ان الدعاء يستجاب من كل داع تحققت فيه الشروط التي ذكروها لما كان لعدهم استجابة الدعاء من الكرامات والخوارق معنى

وردت آيات في الدعاء ولكن يراد بها في الاكثر العبادة ومن غير الاكثر مجرد الطلب كقوله تعالى حكاية عن بنت شعيب « ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا » وأقرب الآيات الى مانحن فيه من دعاء الله تعالى وطلب الحاجة منه توقعا للاجابة بقضائها قوله تعالى « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » وقريب منها قوله عز وجل « واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » ولكن ورد في الصحيح تفسير الدعاء في الاولى بالعبادة • روى أحمد وأبو بكر ابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه والحاكم وغيرهم من حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه قال « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » وفسرت الاستجابة على هذا بقبول العبادة • ومن العلماء من فسر الدعاء في الآية بطلب الحاجات والاستجابة بقضائها • وفسرت الآية الثانية بمثل مافسرت به الاولى من الوجهين • وقد علم ان الآيتين

ليستا نصا فى موضع الخلاف فيحتج بهما على المعتزلة ومن على رأيهم من أهل هـذا العصر ولهذا لم يكفروا من قال بأن الدعاء لاتأثير له فى قضاء الحاجات وانما عدوه مخالفا للسنة لما ورد في الدعاء من الاحاديث الصحيحة

ورد فى الصحيح ان لكل نبي دعوة مستجابة • وقد قال العلماء ان المراد انها مستجابة قطعا وما عداها من دعوات الانبياء فهو محتمل للاجابة ولعدمها • أي ان الحديث لايفهم منه ان الله لايستجيب لنبي الا دعوة واحدة • وورد الامر بالدعاء وعدم الاستعجال بالاستجابة • وترى العلماء متفقين على ان الاستجابة تكون باحدى ثلاث وردت في الحديث – إما أن تعجل له دعوته وإما أن تدخر له في الآخرة وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها • وللحديث طرق بعضها ضعيف وبعضها قد صحح الحاكم اسناده ولم يروه من أصحاب الصحاح والسنن الا الترمذي وقال : حسن صحيح غريب : والسبكي يجعل الاولى من الثلاث – ان أعطيها الداعي – كرامة وتعريفنا للكرامة لايأباه ولكن يأباه قول من يجعل الكرامة من الخوارق التي تأتي على خلاف السنن الالهية فى الخلق • ونحن لانشك في ان كثيرين من الداعين قد استجيب دعاؤهم بأن سخر الله لهم من الاسباب مالم يكن في أيديهم تسخيره ولم يكن يخطر لهم على بال كيف يجابون وقد وقع لنا مثل ذلك وحمدنا الله عليه ولكننا لانقول الا انه جاء موافقا لسنن الله تعالى فى الاسباب والمسببات على مافيه من العناية الخفية والتوفيق الالهي

وقد اشترطوا فى الدعاء شروطا منها ان لايدعو بمحال عقلا ولا شرعا ولا عادة واذا كان الدعاء بالمحال فى العادة ممنوعا وغير جدير بالاجابة لأنه من اساءة الأدب مع الله تعالى كأن الداعي يقول اللهم ابطل حكمتك فى نظام خليقتك وبدل سنتك فى خلقك لاجلي – فكيف يتحقق فى الدعاء أمر خرق العادة ؟ هذا تناف بين أقوالهم

***

وعندي أن الدعاء على قسمين اضطراري واختياري فاما الاضطراري فهو الالتجاء الى القوة الغيبية عند تقطع الاسباب بالانسان وسد منافذ الرجاء بالسعي • وكل مؤمن بقوة غيبية يرى نفسه ملتجئة اليها عند اشتداد البأس ، والخطر المشرف بها على اليأس ؛ فيدعو صاحب القوة العليا ويستغيث به وعند ذلك تفتح فى وجهه

أبواب الرجاء ؛ وتنزل عليه السكينة بعد الاضطراب ؛ وهذه فائدة كبرى للدعاء تتلوها فوائد أظهرها أن اليائس ينقطع عن السعي فاذا اشتد به الضيق فربما يبخع نفسه انتحارا بيده ولذلك يكثر الانتحار في قوم لا يؤمنون ، فالرجاء الذي يحدثه الالتجاء بالدعاء يعطي المضطر قوة جديدة ويهديه الى طرق جديدة يسلكها في اعادة السعي حتى ينجو من الخطر : أو يبلغ بعض الوطر ؛ ويقول الاستاذ الامام : قلما وله قلب المؤمن الى الله تعالى داعيا مخلصا في حال اضطرارية كهذه الا وأجاب الله دعاه : ٠ وهذا الفرع من الدعاء هو ميزان الايمان ومعيار التوحيد الخالص فان الله تعالى جعل أعمال الانسان في الاسباب والمسببات فالمؤمن الكامل يذكر الله عند كل سبب ويزداد ايمانا بزيادة العلم بالاسباب لما فيها من الحكمة والنظام العجيب ؛ والغافلون تحجبهم الاسباب عن رؤية حكمة واضعها وان كانوا مؤمنين حتى تكون الشدائد هي التي تذكرهم بما تقطع من الاسباب التي يعرفونها فيرجعوا الى من بيده ملكوت كل شيء وواضع كل سبب فيدعوه باخلاص « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » وفي آية أخرى « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » وانما كان الدعاء في حالة الاضطرار معيارا للايمان لأن من يعتقد بقوة غيبية وراء الاسباب لغير الله تعالى فهو يلجأ اليها في تلك الحالة بطبعه وينطق لسانه بدعاء صاحبها وندائه . ولا توجد أمارة على الشرك أظهر من هذه الامارة وان استهان بها الذين يدعون في الشدائد فلانا وفلانا ويستغيثون بهم من صميم أفئدتهم ويولهون اليهم لا يلاحظون أنهم وسطاء بين الله تعالى وبينهم يقربونهم اليه زلفى كما يزعم أهل التأويل لان القلب في مثل تلك الحالة لا يسع شيئين فمن يدعو فلانا من المعتقدين في وقت الشدة لا يخطر في باله غيره ولا يدعوه الا وهو يعتقد أنه هو الذي يفرج كربه فهو موحد له من دون الله تعالى . واذا وسع قلبه قوتين احداهما مؤثرة في الاخرى تحملها على العمل فتعمل فهو مشرك شركا ظاهرا لا خفيا .

واذ كان ـ ليت شعري ـ هؤلاء الوسطاء المزعومون أسبابا خفية كما يدعي بعض المأولين وجوزنا ان يلجأ اليهم في وقت الضيق ففي أي وقت نوجب على المؤمن ان

يلجأ الى الله تعالى وحده دون سواه ؛ ألا يوجد عند هؤلاء الذين يمتاز دينهم بالتوحيد الخالص حال يجب على العبد ان يتوجه فيها الى الله تعالى وحده لايكون في قلبه سواه من عبيده الضعفاء « وخلق الانسان ضعيفا » ؟ لااله الا الله وحده لاشريك له ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

فعلم مما شرحناه أن هذا الدعاء أثر من آثار الايمان بقوة وراء الطبيعة فمن كان يعتقد أن مع صاحبها من يحمله على الفعل أو الترك فهو المشرك ؛ وهذا الأثر الذي ذكرناه هو روح العبادة وأكبر مظاهرها لانه الأثر الطبيعي للإيمان ولذلك فسر الدعاء في القرآن بالعبادة في جميع الموضوعات الدينية وورد فى الحديث « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي وتقدم حديث « الدعاء هو العبادة » فكل من يدعى وينادى عنه شدة الحاجة وتعسر الاسباب الكسبية فهو معبود لمن ناداه ودعاه « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »

وأما القسم الثاني من الدعاء وهو الاختياري فانه من الاعمال التي تزيد في الايمان وتمده وتدعمه كسائر العبادات المطلوبة في الدين وليس أثرا طبيعيا له ولولا ذلك لما كان للتكليف به معنى . اذا قال العبد : اللهم وسع عليّ في الرزق : يتذكر ان سعيه فى طلب الرزق من أسبابه التي هداه الله تعالى اليها بالحواس والعقل يتوقف على حفظ قواه وعلى توفيق الله بين سعيه وبين الاحوال والامور الخارجية التي يتوقف عليها النجاح فيزداد إيمانه بهذا الذكر ويزداد نشاطه باعتقاده ان الله يعينه ماراعى سنته فى خليقته وأتى البيوت من أبوابها . واذا قال : اللهم اغفرلي : يتذكر انه عرضة للهفوات والخطايا وان الغفران الالهي له طريق بينها الكتاب العزيز بمثل قوله « وأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » فان لم يتذكر الآية فانه يتذكر معناها الا اذا كان جاهلا بالدين مكتفيا منه بما يسمعه ممن يعيش بينهم من الجاهلين ؛ واذا تذكر ان الدين علم البشر ان للذنوب والخطايا آثارا سيئة في النفس وأن غفرها ومحوها انما يكون بالرجوع عن الذنب وعمل طاعة من جنسه تؤثر في النفس ضد أثره فانه يكون قريبا من العمل الصالح قال تعالى « ان الحسنات يذهبن السيئات » وقال عليه الصلاة والسلام « واتبع السيئة الحسنة تمحها »

أقول هذا تمهيدا لبيان أن هذا النوع من الدعاء هو أحد خصال الايمان.
والايمان كما ورد في الاحاديث الصحيحة قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان فهذا الدعاء لايكون صحيحا الا اذا وافق اللسان فيه القلب والعمل. أعني ان يطلب المؤمن الرزق فى الدنيا والمغفرة في الآخرة ونحوهما بتوجه القلب والقيام بالعمل الذي جعله الله وسيلة للرزق وسببا فى المغفرة. ويستلزم هذا ماقالوه من عدم جواز طلب المحال أو المحرم شرعا لان الاول ليس له وسيلة تتوجه النفس اليها وتطالب بالعمل منها والثاني لايطلب من الله تعالى وانما يطلب بالعمل فى حال الغفلة عن الله عزوجل.
ومن طلب من الله تعالى شيئاً بالتوجه النفسي الصحيح وصدق العزيمة وإعمال الفكر مع الجد في السعي من الطرق التي سنها الله تعالى والاسباب التي ربط بها المسببات وكان دعاؤه باللسان مترجما عن ايمانه بأن المسخر الاسباب والموفق بينها هو الله تعالى فان الله تعالى يستجيب دعاءه ويسهل له الاسباب ويمنحه التوفيق

هذا هو الدعاء المطلوب شرعا وفائدته فى تهذيب النفس وتسديد الفكر وتقوية العزيمة ظاهرة بالبداهة؛ والوصول به الى المقاصد التي يطلبها الداعي ثابتة بالتجربة وقريبة من المعقول. وما أظن المعتزلة ينكرون ذلك وإنما أنكروا فيما أرى فائدة الدعاء القولي البحت والمحققون من أهل السنة يوافقونهم على هذا لاسيما الصوفية علماء النفس والاخلاق. قالت رابعة العدوية رحمها الله تعالى: استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير:
وقال الشيخ محيي الدين بن عربي:

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب

وانما يعني الذكر مع الغفلة فانه كالاستهزاء بالله تعالى. وورد هذا المعنى في الآثار عن السلف. قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين:
وفي الاحياء عن بعض الحكماء: من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عزوجل وهو لايعلم: وقال الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى: لايقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي: وجملة القول ان الدعاء مخ العبادة وروحها وميزان الايمان ومعيار الاخلاص وسلامة التوحيد وان فائدته فى الدنيا مشهورة وان المحرومين منه لحرمانهم من سعادة الايمان الخالص

عرضة للانتحار ، اذا استولت عليهم الهموم والاكدار ، وأن فائدته في الآخرة أعظم ؛ وان استجابته اذا وجد على حقيقته التي شرحناها كثيرة يعرفها المؤمنون الصادقون ، وينكرها الملحدون والشاكون ، وان هذه الاستجابة ليست من الخوارق الحقيقية ، ولكنها من التوفيق الإلهي والعناية الربانية ، واذا كان أمر العناية فيها غريبا في صورته غير معهود يصح ان تسمى كرامة . وقد بسطنا هذه المسألة فلم نقصر البحث فيها على موضوعنا لما نعلم من اشتباه الامر فيها على الذين يحبون ان يعقلوا الدين ويفقهوه ، ومن جهالة المقلدين الذين يسلمون بكل ماينقل عن الميتين وان لم يفهموه ، ونرجو أن يقبل كلامنا هذا كل مؤمن بان لايكون فاعلا مختارا ؛ وان للناس حياة بعد هذه الحياة ؛ كما نرجو ان يراجعنا من يتوقف في صحة شيء مما كتبناه أو في فقهه وفهمه والله الموفق للصواب

شبهات النصارى وحجج المسلمين

(النبذة الخامسة في رد شبهاتهم على القرآن العزيز)

(الشاهد الحادي عشر) قال المعترض ، الذي كتب مالا يعتقد : وعدّ في جملة هذه المناقضات مئة وخمسا وعشرين آية متفرقة في ثلاث وستين سورة منه تأمر بالصفح والتولي والاعراض والكف عمن لم يكن مسلما وقد نقضتها كلها آية السيف وهي قوله في سورة التوبة « فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ » (قال) وهذا في زعمهم كلام الله يأمرهم في مئة وخمسة وعشرين موضعا من كتابهم بالصفح عمن خالفهم في الدين ثم يبطل ذلك كله اعتباطا : ثم هذي بعد ذلك بما يعد شتما لا اشتباها فنعرض عن ذلك عملا باحدى تلك الآيات التي أشار اليها ونخص الكلام بدفع الشبهة فنقول

نعوذ بالله من الغلو في التعصب الذي يعمي ويصم ويوقع المرء في مثل الفضيحة التي وقع فيها هذا الكاتب المعترض فقد جمع آيات الفضائل العالية والآداب السامية وحسد المسلمين عليها ولم يجد سبيلا الى الاعتراض عليها الا بزعمه انها منقوضة بآية سيف والتناقض انما يكون في القضايا الخبرية ، لافي الاوامر والنواهي التهذيبية ،

ونحوها من الجمل الانشائية ، واذا قيل : انه لايعني بالتناقض ما هو مقرر في علم المنطق وانما يعني به ان آية السيف التي ذكرها تنافي تلك الآداب والفضائل نقول :

ان هذا زعم باطل وكأن قائله شعر بضعفه وتداعيه فدعمه بأكذوبة افتراها من عنده اذ زعم ان الامر بقتال المشركين كان « اعتباطا » أى ظلما لاقصاصا ولا مدافعة عن حق . وأصل الاعتباط ذبح البهيمة من غير علة وقالوا : اعتبط فلانا : أي قتله ظلما لاقصاصا . يزعم هذا المتعصب ان المسلمين هم الذين اعتدوا على المشركين وحاربوهم ابتداء وتناسى ان المشركين هم الذين كانوا يرمون النبي صلى عليه الصلاة والسلام بالحجارة ويلقون عليه فرث الكرش وهو يصلي وأخرجوه هو ومن آمن معه من ديارهم وأموالهم وأهليهم وكانوا يوقعون بكل من ظفروا به منهم . ثم لما كانت بينه وبينهم معاهدة الحديبية عاملهم بكل ماتأمر به تلك الآيات من الحلم والتساهل وهو قوي لاضعيف حتى رضي بأن يرجع اليهم من يجيئه منهم مسلما وان لايرجعوا من يجيئهم من عنده وبعد ذلك كله كانوا هم الغادرين الناكثين للعهد وتناسى أيضا الآية التي قبل الآية التي أوردها وزعم انها هدمت جميع الفضائل « اعتباطا » وهي قوله عز وجل « إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ » وقوله تعالى بعد آيات « وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ » فالمعترض قد قرأ كل هذه الآيات التي تحيط بالآية التي ذكرها من أمامها وورائها وعلم ان المشركين هم الذين نكثوا العهد وهم الذين بدأوا المسلمين بالعدوان وهو مع هذا كله يكتب بلا حياء ولا خجل زاعما ان المسلمين قاتلوهم « اعتباطا »

ثم انه تناسى الآيات الأخرى التي تنهى عن الاعتداء في القتال كقوله تعالى « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ » وقوله جل وعز وهو أول مانزل في الاذن بالجهاد دفاعا عن الحق والانفس التي تظلم

وتهان لانها تمسكت به وتركت عبادة الاصنام والاوثان وذلك قوله «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهم ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ على نَصرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخرجوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ» الآيات وفيها من بيان حكمة هذا الاذن بمدافعة أولئك المعتدين من عباد الاصنام أنه لولا هذه المدافعة لهدمت معابد أهل الكتاب كلهم وأنه يشترط على المؤمنين المأذون لهم بالمدافعة ـ اذا مكنهم في الارض ـ أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة مواساة للفقراء ونحوهم من المستحقين ويمنعوا المنكرات الضارة ويأمروا بالمعروف. فهل تعد هذه المدافعة لعباد الحجارة الباغين المعتدين هدما للفضائل وظلما للعباد ويمتنع أن تكون بوحي من الله تعالى؟ وهل كانت المسوغات لموسى ويوشع وسائر أنبياء بني اسرائيل (عليهم السلام) حين حاربوا الامم المشركة أظهر من هذه المسوغات؟ وهل اشترط عليهم كما اشترط الاسلام ان لا يبدأوا بالعدوان ولا ينقضوا لمشرك عهدا وأن يصلحوا في الارض بمشاركة الناس في أموالهم وازالة المنكرات من الارض؟

جاء في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع (التوراة) مانصه: «١٠ حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ١٢ وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما»!! أليس من العار والفضيحة على من يعتقد أن هذا وحي من الله تعالى ان ينكر تلك الآيات الكريمة الرحيمة التي أذنت بمدافعة المعتدين بقدر الضرورة؟ أليس من رحمة الله تعالى بعباده أن تنسخ هذه الاحكام القاسية الآمرة باهلاك الامم التي لها حق الجوار حتى لا يبقى منها امرأة ولا طفل بشريعة تحرم قتل النساء والاطفال ورجال الدين وكل من لا يعتدي ولا يقاتل؟ بلى ولكن تعصب هؤلاء الناس ووقاحتهم من المدهشات

علم مما ذكرناه ان الآية التي ذكرها وسماها آية السيف وزعم أنها نقضت جميع الفضائل التي بنتها الآيات الكثيرة اذ أمرت بقتل المشركين «اعتباطا» تتقدمها آيات وتتلوها آيات تبطل مازعم . وما هي الا إذن بقتال المشركين الذين نكثوا العهد كما في الآيات التي قبلها وبعدها . وذلك ان المسلمين عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم عهدا فنكثوا الابني ضمرة وبني كنانة فأمر الله تعالى بأن ينبذ للناكثين عهدهم ويمهلوا أربعة أشهر الى آخر المحرم من الاشهر الحرم فان تابوا والا قوتلوا : قال البيضاوي في تفسير الآية مانصه مع اختصار قليل يتعلق بالالفاظ : «فاذا انسلخ» انقضى «الاشهر الحرم» التي أبيح للناكثين ان يسيحوا فيها «فاقتلوا المشركين» الناكثين «حيث وجدتموهم» من حل وحرم «وخذوهم» وأسروهم والاخذ الاسر «واحصروهم» واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام «واقعدوا لهم كل مرصد» كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد : اه فأين الامر بقتل جميع المشركين ظلما وعدوانا كما زعم المعترض

وروى أصحاب الصحاح وأهل السير والتاريخ ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عاهد قريشا عام الحديبية عهدا كاد يخالفه لاجله المسلمون لما رأوا من الغضاضة عليهم في تساهله مع المشركين وكان أهم مافي العهد ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهده وبنو بكر فى عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها واعانتهم قريش بالسلاح حتى تظاهروا عليهم وفي ذلك يقول عمرو الخزاعي فيما أنشده يخاطب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لى من كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا * هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

وقد كان هذا الغدر سببا فى فتوح مكة وآذنهم قبل ذلك بان لايطوف بالبيت عريان وان يتم لكل ذي عهد عهده وأرسل أبا بكر ثم عليا الى مكة فقرأ عليهم نحو أربعين آية من صدر سورة (براءة) وفيها الآيات التي تقدم ذكرها . ثم كيف كانت معاملته للمشركين عند ما فتح مدينتهم العظمى ؟ هل أبادهم كما أمرت التوراة التي يعتقد بها

المعترض النصراني فلم يبق منهم نسمة ام عاملهم بما أرشدته اليه الآيات الـ ١٢٥ الآمرة بالصفح وحسن المعاملة ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطى رايته سعد ابن عبادة فبلغه انه قال قبل ان يصلوا الى مكة : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا : فأمر بنزع الراية منه وأعطاها لابنه وقال عليه الصلاة والسلام : « اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشا » ودخل مكة لم يسفك دما وانما كانت ساعة قتال بين خالد بن الوليد وبين الذعر من قريش الذين حاولوا صده فقتل من جيشه أثنان ومن المشركين أربعة وعشرون . ثم دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الكعبة فاجتمع الناس فقال « يامعشر قريش ماتظنون اني فاعل بكم » قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال « اذهبوا فانتم الطلقاء » أفيرى المعترض ان هذه المعاملة مناقضة للرفق والصبر والصفح عن المخالفين فى الدين ؟ ان كان يرى ذلك فليصور لنا معاملة أفضل منها وأرحم

ثم اننا نعود الى آيات الصفح والصبر وحسن المعاملة والرفق والحلم فنقول إنها وردت فى ضروب من السياق مختلفة منها تسلية النبي صلوات الله عليه عند ما كان يضيق صدره لإعراض الناس عن الحق وعدم اصغائهم اليه . ومنها تقبيح جهلهم وبيان ان الكمال في الإعراض عنه لافى مقابلته بمثله . ومنها بيان ان الانبياء عاجزون عن هداية الناس بالفعل وان القادر على ذلك هو الله تعالى الذي وضع السنن على أساس الحكمة والنظام . ومنها بيان ان وظيفة الانبياء البيان وحسن التبليغ وان الايمان لايكون بالاكراه وانما يكون بالاقناع وهذا قريب مما قبله ولكنه غيره . كقوله تعالى « فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » وقوله « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقوله فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » وقوله « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقوله « وما أنت عليهم بجبار » وقد كانت هذه الآيات تقرن بآيات أخرى تشعر بأن الله ينصر رسوله ويجعل العزة والغلبة لحزبه كقوله تعالى في سورة الصافات وهي مكية « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * انهم لهم المنصورون * وان جندنا لهم الغالبون * فتول عنهم حتى حين * وأبصرهم فسوف يبصرون * » وانك لتجد من التهديد والوعيد فى السور المكية التي نزلت فى

زمن الضعف مالا تجد مثله في السور المدنية التي نزلت في زمن القوة . والمعترض يوهم خلاف ذلك وما أراه الا متعمدا للايهام اذ لم يبلغ به الجهل أن يعتقد بما يقول ولكن بلغ به التعصب أن يقول مالا يعتقد

أما زعمه ان المسلمين لما رأوا التناقض في هذه الآيات زعموا أنها منسوخة فباطل فان أحكامها ثابتة وكان العمل عليها لم ينقطع بالقتال الذي كان للضرورة وبمقدار الضرورة مع الرحمة والعدل ورعاية حقوق الانسان بقدر الامكان . وقد علم مما أشرنا اليه من الشواهد ان الآيات الآمرة بالصفح والتولي عن المشركين لجهلهم على العموم لم يترك العمل بها وأما ما كان متعلقا بالمدافعة والمقاومة فقد كان موقتا كقول تعالى «فتول عنهم حتى حين» وقوله «فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره» نعم ان من المؤلفين من زعم أن هذه الآيات منسوخة بآية السيف وقد رد العلماء المحققون هذا القول وأنكروه كما يعلم من كتاب (الاتقان) ومن كتب التفسير

والذي يحمل المؤلفين على أمثال هذه الجهالة هو حب الاغراب وملء الصحائف فان الرجل يخطر في باله ان يؤلف كتابا في موضوع ضيق لاتتسع مسائله لان تكون كتابا فيدخل فيها ماليس منها لادنى شبهة . وقد حقق الامام الشوكاني ان الآيات المنسوخة سبع لاتزيد وكان الحافظ السيوطي عدها عشرين . ومن العلماء المحققين من ينكر النسخ في القرآن دون السنة ويفسر الآيات التي قالوا بنسخها تفسيراً يبين به أحكامها . والنسخ في كتب اليهود والنصارى التي يسمون مجموعها (الكتاب المقدس) كثير جدا وقد عقد له الشيخ رحمه الله في كتاب (اظهار الحق) بابا أورد فيه الشواهد الكثيرة من تلك الكتب .

وربما يستغرب القارئ إحصاء هذا المعترض النصراني لهذه الآيات ويتوهم انه قرأ القرآن واستخرج منه ماتقدم . والامر ليس كما يظن وانما استخرج هو وأمثاله جميع مطاعنهم من كتب المسلمين كالاتقان والناسخ والمنسوخ فانك ترى في الاتقان فصلا في مشكل القرآن وموهم التناقض فيه فالخصم يأخذ ما يوهم التناقض من من هذه الكتب فيسميه متناقضا ليسر به قومه ويشكك المسلمين ويشفي غليل تعصبه منهم

آثار علمية ادبية

﴿ نموذج من دلائل الاعجاز ﴾

(تتمة ماسبق من الموازنة الشعرية)

رأيت أبا نواس ينشد قصيدته التي أولها * أيها المنتاب من عفره * فحسدته فلما بلغ الى قوله :

يتأيى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

قلت له : ماتركت للنابغة شيئاً حيث يقول : اذا ماغدا بالجيش : البيتين ـ فقال : اسكت فلئن كان سبق فما أسأت الاتباع : وهذا الكلام من أبي نواس دليل بين فى أن المعنى ينقل من صورة الى صورة : ذاك لانه لو كان لايكون قد صنع بالمعنى شيئاً لكان قوله : فما أسأت الاتباع : محالا لانه على كل حال لم يتبعه فى اللفظ . ثم ان الامر ظاهر لمن نظر فى أنه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها فى شعر النابغة الى صورة أخرى وذلك أن ههنا معنيين أحدهما أصل وهو علم الطير بأن الممدوح اذا غزا عدوّا كان الظفر له وكان هو الغالب والآخر فرع وهو طمع الطير في ان تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى وقد عمد النابغة الى الاصل الذي هو علم الطير بأن الممدوح يكون الغالب فذكره صريحا وكشف عن وجهه واعتمد في الفرع الذي هو طمعها فى لحوم القتلى وانها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى . وعكس أبو نواس القصة فذكر الفرع الذي هو طمعها فى لحوم القتلى صريحا فقال كما ترى * ثقة بالشبع من جزره * وعول فى الاصل الذي هو علمها بأن الظفر يكون للممدوح على الفحوى ودلالة

الفحوى على علمها ان الظفر يكون للممدوح هي فى أن قال من جزره وهي لا تثق بأن شبعها يكون من جزر الممدوح حتى تعلم ان الظفر يكون له أفيكون شيء أظهر من هذا فى النقل عن صورة الى صورة ؟ أرجع الى النسق ومن ذلك قول أبي العتاهية :

شِيَمٌ فَتَحْتَ مِنَ ٱلْمَدحِ مَا قَدْ ... كَانَ مُسْتَغْلِقًا عَلَى ٱلْمُدَّاحِ

مع قول أبي تمام :

نَظمتَ لَهُ خَرَزَ ٱلْمَدِيحِ مَوَاهِبٌ ... يَنفُثْنَ فِي عُقَدِ ٱللِّسَانِ ٱلْمُفْحَمِ

وقول أبي وجزة :

أَتاكَ ٱلْمَجْدُ مِنْ هَنَّا وَهَنَّا ... وَكُنتَ لَهُ كَمُجْتَمَعِ ٱلسُّيُولِ

مع قول منصور النَّمَري :

إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ وَٱلْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ ... أَحلَّكَ ٱللهُ مِنهَا حَيْثُ تَجتَمِعُ

وقول بشار :

الشَّيْبُ كُرْهٌ وَكُرْهٌ أَنْ يُفَارِقَنِي ... أَعْجِبْ بِشَيءٍ عَلَى ٱلْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ

مع قول البحتري :

تَعِيبُ ٱلْغَانِيَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي ... وَمَنْ لِي أَنْ أُمَتَّعَ بِالْمَعِيبِ

وقول أبي تمام :

يَشْتَاقُهُ مِنْ كَمَالِهِ غَدُهُ ... وَيُكْثِرُ ٱلْوَجْدَ نَحْوَهُ ٱلْأَمْسُ

مع قول ابن الرومي :

إِمَامٌ يَظَلُّ ٱلْأَمْسُ يُعمِلُ نَحْوَهُ ... تَلَفُّتَ مَلْهُوفٍ وَيَشْتَاقُهُ ٱلْغَدُ

لا تنظر الى انه قال : يشتاقه الغد : فأعاد لفظ أبي تمام ولكن انظر الى قوله : يعمل نحوه تلفت ملهوف : وقول أبي تمام :

لئن ذَمّتِ الأعداءُ سوءَ صباحِها فليسَ يؤدّي شكرَها الذئبُ والنسرُ (١)

مع قول المتنبي :

وأنبتَ منهم ربيعَ السباعِ فأثنتْ بإحسانِكَ الشاملِ

وقول ابي تمام :

وربَّ نائي المغاني روحُهُ أبداً لصيقُ روحي ودانٍ ليسَ بالداني

مع قول المتنبي :

لنا ولأهلِهِ أبداً قلوبٌ تلاقَى في جسومٍ ما تلاقَى

وقول أبي هفّان :

أصبحَ الدهرُ مسيئاً كلُّهُ ما لَهُ إلّا ابنَ يحيى حسَنَهْ

مع قول المتنبي :

أزالتْ بكَ الأيامُ عتبي كأنّما بنوها لها ذنبٌ وأنتَ لها عذرُ

وقول علي بن جبلة :

وأرى الليالي ما طوتْ من قوّتي ردّتهُ في عظتي وفي أفهامي

مع قول ابن المعتز :

وما ينتقصْ من شبابِ الرجالِ يزدْ في نهاها وألبابِها

وقول بكر بن النطاح :

ولو لم يكنْ في كفِّهِ غيرُ روحِهِ لجادَ بها فليتّقِ اللهَ سائلُهْ

مع قول المتنبي :

إنكَ من معشرٍ إذا وهبُوا ما دونَ أعمارِهم فقدْ بخلُوا

وقول البحتري :

(١) أي لا يستطيع الذئب والنسر ان يقضيا حق شكرها لكثرة ما أكلا مما قتلت

وَمَنْ ذَا يَلُومُ ٱلْبَحْرَ إِنْ بَاتَ زَاخِرًا يَفِيضُ وَصَوْبُ ٱلْمُزْنِ إِنْ رَاحَ يَهْطِلُ

مع قول المتنبي :

وَمَا ثَنَاكَ كَلَامُ ٱلنَّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ ٱلْعَارِضِ ٱلْهَطِلِ

وقول الكندي :

عَزُّوا وَعَزَّ بِعِزِّهِمْ مَنْ جَاوَرُوا فَهُمُ ٱلذُّرَى وَجَمَاجِمُ ٱلْهَامَاتِ
إِنْ يَطْلُبُوا بِتِرَاتِهِمْ يُعْطَوْا بِهَا أَوْ يُطْلَبُوا لَا يُدْرَكُوا بِتِرَاتِ

مع قول المتنبي :

تُفِيتُ ٱللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ

وقول أبي تمام :

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى ٱلْهَامِ حَاكِمًا غَدَا ٱلْعَفْوُ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلسَّيْفِ حَاكِمُ

مع قول المتنبي :

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ فِي ٱلْحَرْبِ مُنْتَضٍ وَمِنْ عَادَةِ الاحسَانِ وَٱلصَّفْحِ غَامِدُ

ثم احتج المصنف بهذه الامثلة على ان البلاغة والفصاحة انما تكون بالنظم والاسلوب دون خفة اللفظ

﴿ باب الانتقاد على المنار ﴾

(قصة بقرة بني إسرائيل ليس فيها معجزة)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء دام بقاه

بعد السلام رأيت فيما أوردتموه بالعدد الرابع من المجلة في تفسير قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) تفسير الاستاذ الاكبر مولانا الشيخ محمد عبده انه لم يستحسن قول المفسرين الذين قالوا انهم ضربوا المقتول فعادت اليه الحياة وقال ضربني أخي أو ابن أخي فلان الى آخر ماقالوه

وقال (والآية ليست نصا في مجمله فكيف بتفصيله والظاهر ان ذلك العمل كان وسيلة

عندهم للفصل فى الدماء عند التنازع فيمن القاتل اذا وجد القتيل بين بلدين كما قدمنا ليعرف الجاني من غيره فمن غمس يده في الدم وفعل مارسم لذلك فى الشريعة برىء من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء الى آخره)

على هذا فما معنى استغراب بني اسرائيل الامر بذبح البقرة كما تقدم في تفسير الاستاذ مع قوله ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء الى آخره وما الثمرة التي نتجت من الضرب حتى أمر الله به وما الذي منع الجاني من ان يغمس يده في الدم حتى لا تثبت عليه الجناية؟ وقد سكت الاستاذ الامام عن تفسير قوله تعالى (ويريكم آياته) فما معناه على هذا التأويل فأرجوك أيها الاستاذ الفاضل ارشادي الى الحقيقة ودمتم

(الاسكندرية) كاتبه مصطفى محمد الاسكندراني

(المنار) وجه الاستغراب ظاهر فإن الامر بذبح بقرة لا علاقة له في بادي الرأي بالفصل في قضية قتيل تنازع فيه طائفتان حتى كادت إحداهما توقع بالأخرى والظاهر ان هذه الواقعة كانت هي السبب الأول في اشتراع تلك الطريقة للفصل فى الدماء المتنازع فيها مثلها وقد أشرنا الى ذلك فى تفسير الآيات . وأما الذي يمنع الجاني من وضع يده في الدم وتلاوة الدعوات فهو الايمان والاعتقاد الذي يمنع الجاني المؤمن من اليمين الكاذبة فان المؤمن انما يقدم على الجريمة ناسيا أو مغلوبا بانفعال النفس ثم يرجع على نفسه باللائمة ويصعب عليه ان يحلف بالله كاذبا . وقد كانت تلك الهيئة التي يأتيها بنو اسرائيل من اجتماع الشيوخ الاشراف ووضع أيديهم فى الدم وتلاوة الدعوات مؤثرة جدا حتى ان الجاني ليضطرب اذا أقدم عليها منكرا للحق وربما يظهر عليه الاضطراب ولو كان شاكا في الدين . وكثيرا ما يحتال القضاة فى كل زمان بالمؤثرات القولية والفعلية على حمل المجرمين على الاقرار بجرائمهم فيقرون

وأما تفسير « ويريكم آياته » فهو ظاهر ولا أدري أكان الاستاذ الامام سكت عنه أم ذكره ونسيته أنا أو ذهلت عنه لظهوره . السائل يعلم ان لفظ الآيات يطلق على ما ينزله الله تعالى من الاحكام فتوهمه ان معنى (الآيات) في هذا المقام (المعجزات) مبني على اعتقاده بأن هناك معجزة ظهرت ومن المصادرة ان يلزم من لم ير ذلك بأن يفسر الآيات هذا التفسير . وانا نذكره بقرن القرآن مثل هذا التعبير بآيات الاحكام

الشرعية من سورة البقرة نفسها ، قال تعالى بعد ذكر أحكام الصيام « تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » وقال بعد بيان تحريم الخمر والميسر « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » وقال بعد بيان أحكام النساء في الطلاق وغيره « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون »

﴿ تحرير يوم مولد النبي عليه الصلاة والسلام ﴾

استاذنا الاجل السيد محمد رشيد رضا صاحب ومحرر مجلة المنار الغراء

أفتتح كتابي هذا بالشكر الذي يجب على كل مسلم أنه يقدمه لسيادتكم على مالكم من الايادي البيضاء والهمة الشماء في منافع المسلمين وتخليص الدين من شوائب المضللين فالله ينفع بكم البلاد والعباد ويوفق الكل للعمل بتعاليمكم المفيدة — أما بعد فيا أيها السيد جاء في العدد الخامس من مجلد هذه السنة ضمن كلام للاستاذ الامام (نفعنا الله به وبعلومه) : ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد ليلة الاثنين ١٢ ربيع الاول عام الفيل (٢٠ ابريل سنة ٥٧١ ميلادية وقد اطلعت على رسالة لصاحب السعادة محمود باشا الفلكي وضعها باللغة الفرنساوية أثبت فيها ان ميلاده عليه الصلاة والسلام ليلة الاثنين ٩ ربيع الاول عام الفيل ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ أيضا وأورد على ذلك أدلة كثيرة استنتج منها ان ليلة الولادة لابد ان تكون ليلة الاثنين ٨ أو ١٠ أو ١٢ ربيع الاول حسبما جاءت به روايات الأئمة الاعلام

وبعد الحساب الدقيق وجد ان أول الشهر المذكور وقع في ١١ ابريل سنة ٥٧١ م حيث كان الاجتماع الحقيقي للقمر وعليه لايكون يوم اثنين بين ٨ و ١٢ منه الا يوم ٩ منه وجاء في نهاية عبارته « يتلخص من ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد ليلة الاثنين ٩ ربيع الاول عام الفيل ٢٠ ابريل م فاحرص على هذا التحقيق »

وأنا مع اعتقادي بان منار المسلمين لايجب عليه البحث في مثل هذا الموضوع الا بما تسمح به الظروف لكني آنست منه ان نرشد فيه الى سواء السبيل لذا جئت بهذا راجيا الإفادة عما يلزم ان نعتقده أو كيف يمكن الجمع بين القولين والسلام

(اسيوط) أحد المشتركين

(ا . ف .)

(المنار) في تعيين تاريخ مولده عليه السلام أقوال أرجحها انه ولد ليلة الاثنين لثمان خلون

من ربيع الاول وأشهرها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه وترجيح الاول هو المعروف عند علماء الحديث والتاريخ ٩ قال في السيرة الحلبية « وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية : وهو الذي لايصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ : وقال القطب القسطلاني : هو اختيار أكثر أهل الحديث أي كالحميدي وشيخه ابن حزم :

وظاهر أن معناه انه ولد في اليوم التاسع من الشهر (لافرق بين ليله ونهاره) لان التاسع هو الذي يتلو الثمان التي خلت من الشهر . وجهل كثير من أهل هذا العصر بأسلوب العرب في التاريخ كقولهم في أول الشهر لثمان خلت ونحوه وقولهم في أواخره لثمان بقين مثلا — يظنون ان معنى « ولد لثمان خلت من الشهر » أنه ولد في الثامن منه . ومن آية ترجيح هذه الرواية موافقتها للحساب الذي نقلتموه وقد جمع الاقوال كلها بعضهم فقال : ولد عام الفيل يوم الاثنين (ولا خلاف في هذين) لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول أو لليلتين خلتا منه أو لثمان أو لعشر خلون منه ، أقوال : (خاتمة مجمع بحار الانوار) وهناك أقوال أخرى ذكرها أهل السير ولا عبرة بها بعد تصحيح النقل بما يوافق الحساب الدقيق

الخلاف في تحديد اليوم الذي ولد فيه عليه الصلاة والسلام لايترتب عليه حكم شرعي ولا دنيوي ولذلك يتساهل العلماء فيه ويحتفلون مع المحتفلين بتذكار المولد في الثاني عشر من الشهر وهم يعتقدون ان المولد كان في التاسع على الراجح فيحتمل أن يكون قد كتب الاستاذ الامام ما كتب تعمداً لهذا التساهل ويحتمل أن يكون قد جرى قلمه بالمشهور سهواً . ولا محل للعجب من اشتهار القول المرجوح في هذه المسألة فاذا كان الخلاف في مولد نبينا بأيام فالغلط في مولد المسيح بعد بالسنين كما في كتاب (تقريب التقويم) تأليف يعقوب باشا أرتين وكيل المعارف في مصر وفانتر باشا باشمهندس الدائرة السنية . وقد عرب هذا الكتاب محمد افندي كامل المدرس بالمدرسة الحربية وقرأنا في « المقتطف » الاغر نقلا عنه ما يأتي :

« اذا جعلنا مبدأ جميع الازمان الماضية من التاريخ المسيحي ١٦ يوليه سنة ٦٢٢ يوليانية تجنبنا كل إشكال فان من المعلوم أن طريقة حساب السنين بالابتداء من ميلاد المسيح وضعت سنة ٥٢٦ بمعرفة ديونيسيوس أحد قسس (أي قسوس) بعض الاديرة (أي الاديار) برومة وقد أخطأ في حسابه بجعله مبدأ التاريخ المسيحي متأخراً بنحو خمس سنوات لانه بموجب حساب

أمهر المؤرخين المؤسس على مؤلفات القدماء مثل يوسيفوس وزديون كسيوس كان ميلاد المسيح في ٢٥ ديسمبر سنة ٦ قبل التاريخ المسيحي وليس ٢٥ ديسمبر سنة ١ قبل التاريخ المذكور كما يظنه العوام . وهو خطأ لا يزول ، لما يترتب على تصحيحه من الارتباك المهول ، » اه

(المنار) من العبر في هذا التحرير ان ما يشتهر على ألسنة العوام لا قيمة له وان وافقهم الخواص سكوتا وان اتفاق الملايين من العوام على أمر لا يصلح دليلا على جعله متواترا فان نقل التواتر لابد أن يكون في كل طبقة من الناقلين حتى ينتهي في الطبقة الأولى الى الحس الذي لا شبهة فيه

﴿الرد على شبهات النصارى — وترجمة البابا﴾

حضرة الاستاذ الكامل

ان ما تنشره البر وتستنت ضد الدين الحنيف وضد القرآن ما كان يدري به أحد من المسلمين لولا ما تنشرونه تباعا في مناركم في باب شبهات النصارى وحجج المسلمين فان كتاباتهم ومجلاتهم الدينية لا يقرأها الاهم ولم يكن لها مشتركون الامنهم ولابد ان يكون فرحهم بنشركم خزعبلاتهم والرد عليها أكثر من سرورهم من نشرها في جرائدهم بالله وما مناسبة ذكر ترجمة البابا لاون الثالث عشر في مناركم الاخير هل قصدكم اظهار فضله وورعه ومناقبه للمسلمين ألا يكفي في ذلك جرائدهم ؟ هداكم وهدانا الله لما فيه خير المسلمين (الاسكندرية) (عبدالله نصوحي أحد قرائكم)

(المنار) لم يكن هـذا الانتقاد جديرا بالنشر لضعفه في كلتا المسألتين ولكننا نشرناه لنطمع كل قارئ للمنار بانتقاد ما يراه فيه منتقدا ولتوقع ان يكون في القراء من ينتقد ما ذكر لاتفاقه مع هذا المنتقد في الرأي . أما الجواب عن الاول فمن وجوه

(أحدها) انا نخبر المنتقد بأن المجلة التي نرد عليها ترسل الى شيخ الجامع الازهر وطائفة من كبار شيوخه فمنهم من يردها ومنهم من يقبلها لعلمه بأنه لا يطالب باشتراكها وترسل الى غيرهم من المسلمين فاذا لم يرد عليها أحد فان ناشريها يحتجون فيما بينهم ويحتجون على عوام المسلمين الذين يحضرون مجالسهم في المكتبة الانكليزية وغيرها بأن علماء المسلمين قد عجزوا عن دفع تلك الشبه لانها أرسلت اليهم ولو كانوا قادرين على الرد عليها لفعلوا . وهذا باب من أبواب تشكيك العوام في الدين يجب علينا اغلاقه

(ثانيها) ان هـذه الشبه منشورة فى كتب لهم مطبوعة تباع للمسلمين وغيرهم ويطلع عليها بعض المسلمين في المجلة التي تنقـل من الكتب . ومتى أظهر المخالفون الاعتراض على الاسلام فالواجب على المسلمين مدافعتهم وبيان فساد شبههم فاذا لم يفعل ذلك أحد يكون جميع المسلمين العالمين بذلك عصاة فساقا . على ان هذه المطاعن فى أصل الدين فهي من الكفر ولعلكم تعرفون حكم من يسكت على ذلك ويقره وهو قادر على ابطاله

(ثالثها) اننا ننشر تلك الشبهات مع ردها بالدلائل الناصعة التي نرى قراء المنار حتى من النصارى مقتنعين بأنها أزالت كل شبهة وكشفت كل غمة فكيف يتوهم المنتقد مع هذا ان يفرح المنتقدون ببيان جهلهم واظهار بهتانهم ـ ان هذا وهم عجيب الا ممن لم يقرأ تلك الاجوبة السديدة

(رابعها) ان كثيرين من المسلمين يطالبوننا بالرد على هذه الشبهات وكثيرا ماترد الينا نسخ المجلة البروتستنية من جهات مختلفة فى البريد فنعلم انه لاغرض لمرسليها الا الرد على مافيها ومتى سئل العالم في أمر الدين يحرم عليه الكتمان بلا خلاف

(خامسها) اذا فرضنا ان مايكتبه القوم لايعدوهم وأنهم هم الذين يقرءونه دون سواهم فإننا نرى من الواجب أن نزيل من امام أعينهم الشبه التي تحجب عنهم محاسن الاسلام وتحملهم على سوء الاعتقاد به وتجعل لهم حجة يحتجون بها على البقاء فيما هم فيه . فان شيوع هذه الشبهات بينهم مانعة من تحقق بلوغهم دعوة الاسلام على حقيقتها وهي ان تكون الدعوة على وجه يحرك الى النظر والبحث . والدعوة الصحيحة واجبة على المسلمين والجرائد والمجلات خير وسيلة لها . ولانرى للمسلمين جريدة ولا مجلة تنشر محاسن الاسلام وأصوله واحكامه على وجه يحرك الى النظر ولذلك جعلنا أشرف مقاصد المنار احياء هذه الفريضة الاسلامية التي يأثم المسلمون كلهم بتركها

وانني أخبر المنتقد بمـا كنت أحب أن أكتمه وهو أنه جاءني فى الاسبوع الذي كتب الي فيه كتاب من أحد المشتركين فى (أنشاص الرمل) يقول فيه مرسله انه اجتمع بأحد المتنصرين فسأله عن سبب تنصره فأخرج له الكتاب الذي تنقل عنه المجلة البروتستنية الطعن فى القرآن وقال له ان قراءة هذا الكتاب هي السبب فى

ذلك لاضيق المعاش ونحوه من الاسباب التي تخرج بعض جهلة المقلدين عن دينهم أحيانا . وقد سألني من كتب الي بذلك ان أرشده الى كتاب يرد على ذلك الكتاب المضل ليطلع عليه ذلك المتنصر لعله يعود الى هداه . وانني لا أعرف أن أحدا رد عليه فما على السائل الا ان يطلع ذلك المتنصر على مقالات المنار في الرد لعله يهتدي بما أظهرناه من جهل مؤلف الكتاب ومن تحريفه وكذبه وسوء فهمه وقصده ويقيس على ما رددناه ما سنرده حتى يتم الرد كله وبالله التوفيق

وأما سؤاله عن سبب ترجمة البابا في المنار فجوابه صريح في النبذة التي كتبناها والظاهر أنه رأى الترجمة فأنكرها ولم يقرأها فنرغب اليه ان يقرأها . واننا رأينا الفضلاء في مصر قد سروا بهذه الترجمة سرورا عظيما وذهب بعضهم الى أنها من أنفع ما كتب في المنار وقال بعضهم: وددنا لو يموت في كل يوم بابا لنسمع موعظة مثل هذه الموعظة: «وما يتذكر إلا أولو الالباب»

﴿ باب التقريظ ﴾

(مجلة الاحكام الشرعية) أتمت هذه المجلة سنتها الاولى ودخلت في الثانية وأصدرت فيها أربعة أعداد . واننا نهنئ منشئها حسن بك حماده بما وفق له من النجاح في عمله وانتشار مجلته على خصوصية موضوعها وآية هذا النجاح الكبرى ان نظارة الحقانية قد اشتركت في نسخ من المجلة بعدد المحاكم الشرعية في القطر المصري واذنت لصاحب المجلة بأخذ صور الاحكام التي تبحث في المبادي القضائية من كل محكمة مجانا والتزم هو نشر الاعلانات الادارية لهذه المحاكم مجانا . وآية أخرى أن بعض كبار رجال القضاء يكتبون في هذه المجلة انتقادات على بعض المرافعات وصور الاحكام نعم أنهم يكتمون أسماءهم ولكنهم يجهرون بأفكارهم

(عروس النيل) مجلة أدبية اجتماعية عمومية أنشأها في القاهرة سليم افندي قبعين يدخل كل عدد منها في ٢٤ صفحة يتبعه ذيل اربع صفحات ينشر فيه قصة (البعث) للفيلسوف تولستوي معربة عن اللغة الروسية . وقد صدر العدد الاول في أول أغسطس مصدرا برسم المرحوم علي باشا رفاعه وتأبينه ويتلو ذلك مقدمة المجلة وبعدها مقالة

لمحمد افندي فاضل الازهري موضوعها (الاستقلال) يتلوها لغز فكاهي يتبعه نبذة في سكة حديد الحجاز من ورائها كلمة في التعليم فنبذة في مقتل الملكين (ملك الصرب وزوجه) وبعض المقاطيع الشعريه . وقيمة الاشتراك في المجلة سبعون قرشا صحيحا في السنة

(الاوقاف المصرية) مجلة جديدة أسبوعية صاحبها محمد غالب افندي فطين ويظهر ان صاحبها اكتفى باسمها في الدلالة على موضوعها فلم يكتب تحته في غلافها وصفا يشعر بذلك وقد التمسنا بيان تحديد الموضوع في مقدمتها فلم نر فيها الافاتحة كفواتح (الوقفيات) تذم الدنيا وتمدح الصدقة ثم قرأنا بعدها (معذرة لتأخير مقدمة الجريدة) نذكرها بنصها لما فيها من الدلالة على مكانة المجلة في التحرير والفكر قال :

« اكتفاء بالخطبة وبناء على طلب حضرات الاصدقاء النبهاء ممن لا تسعنا مخالفتهم »
« لعلو منزلتهم لدينا وهم أرقى منا فكرا ورأيا وعقلا قد أخرنا درج المقدمة في »
« هذا العدد للعدد الآتي وعذر حضراتهم في ذلك ان الخطبة بحسب أفكارهم العالية »
« كادت بفضل الله تغني عن الايضاح وان المواد أصبحت دارة الجريدة كثيرة جدا »
« بحيث تكفي لاعداد مقبلة فبناء عليه نلتمس ونرجو من حضرات القراء الكرام »
قبول المعذرة والمسامحة وعدم الملام والموعد قريب ان شاء الله » اه

ثم قرأنا عنوانات المجلة فاذا هي (مقابلة مع سعادة مدير الاوقاف) بلغ صاحب المجلة فيها المدير أنه مستعد لنشر إعلانات الاوقاف مجانا و(مقابلة مع سيدة مصرية) وقيمة الاشتراك في المجلة ٧٥ قرشا صحيحا في السنة

(الانتقام) هي القصة العشرون من مسامرات الشعب عربها احمد حافظ أفندي عوض عن الانكليزية وليست بشيء لولا انها مقدمة لقصة أخرى تتصل بها

باب الأخبار والآراء

﴿ الدولة العلية ومكدونية . ورأي في الاصلاح ﴾

كتبنا في الجزء الاول والجزء الثاني من هذه السنة نبذتين عن الثورة التي نجمت في بلاد مكدونية قلنا في الاولى إن المسألة عشواء والحكم فيها غامض لان أهل هذه

البلاد وغيرهم من النصارى في بلاد الدولة طامعون بالاستقلال وأوروباعون لهم ولأن غرض روسيا غير معروف وعليه المدار في هذه المسألة . وقلنا في الثانية اننا اطمأننا من جهة روسيا بعض الاطمئنان وبنينا ذلك على ما كان نقل من ترك روسيا لمنشوريا بسبب الحاجة الى المال . وتوقعنا من تقرب انكلترا الى فرنسا وزيارة ملك الاولى لرئيس الثانية ان يتفقا على عدم اسعاد روسيا على حرب تركيا اذا كانت تريد ذلك وتمهد له بالثورة . وقلنا أيضا انه اذا كان اتكال بغاة مكدونية على البلغار والصرب فلاخطر على الدولة العلية لانها قادرة على تدويخ هاتين بسهولة وان هي لم تستفد من تدويخهما شيئا لتعصب أوربا

ثم تحولت الاحوال وظهر لنا من الوقائع ما لم نكن نحتسب . ظهر لنا ان روسيا لاتترك منشوريا وهي أول ثمرة تذكر لتلك الملايين التي أنفقتها في مد خطوط الحديد الى الشرق الاقصى ووراءها من المقاصد الاستعمارية والتجارية ما وراءها . ثم علمنا ان توجيه عناية الروس الكبرى الى تلك البلاد ومزاحمة اليابان بالمناكب في ربوعها قد حرك في نفوس اليابانيين الاباء والحمية فصاروا يهجسون بمحاربتها حتى قال قائلهم : اننا قد جارينا أوربا في كل علم وكل عمل وجاريناها في القوى البرية والبحرية حتى صرنا في مقدمة دولها العظمى وهي مع ذلك تراندونها ذهابا مع التقاليد الماضية التي تفضل الجنس الابيض على الجنس الاصفر فلا وسيلة لاقناع أوربا بمساواة الجنسين الا بمحاربة روسيا فاظهار شرفنا ببرهان ساطع يخطف أبصار أمم المدنية لايكون الا بهذه الحرب : وما أرى هذه الهواجس الا من وسوسة الانكليز الذين يعتمدون عليها في اغراء بعض الشعوب ببعض وكانت أنفع لهم من أساطيلهم التي يفاخرون بها

هذا شاغل كبير لروسيا عن القصد الى حرب الدولة العثمانية فان محاربة الترك تضطر روسيا الى توجيه جميع قواها الى الشرق الادنى وهي لا تأمن حينئذ من اليابان ولكنها اذا وجهت جميع قواها الى الشرق الاقصى لمحاربة اليابان فانها لاتخاف من الترك اعتداء ولا تخشى لانهم أمسوا كما قال الشاعر العربي :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء احسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الخلق إنسانا

فهذا هو السبب فيما ظهر لنا من رغبة روسيا أولا وآخرا في مبادرة الدولة الى الاصلاح وفي سكوتها عن عقاب قاتل قنصلها الاول لأن قاتله من الالبانيين الذين كانو متمردين على الدولة وفى اكتفائها بعقاب قاتل قنصلها الثاني ومن عاونه بأشد العقوبات ونفي والي موناستير الى طرابلس الغرب وفي نصحها للبلغار بعدم مساعدة الثائرين . ولو كانت تريد سوءا لوثبت اليه بما فتح لها من المنافذ وما أشرعت لها الفتنة من الطرق . ويقال ان بين السلطان والقيصر اتفاقا سريا نذكر موضوعه بعد

يعجب الواقفون على أخبار الثورة من سلوك البلغار مع سلوك روسيا فانهما يسيران متدابرين فيما يتراءى للناظرين — روسيا تسعى في إطفاء النار والبلغار تذكيها وتحضها وتمد البغاة في غيهم حتى ان ضباط عساكرها ينسلون من معسكرهم لادارة الثورة ادارة عسكرية منتظمة وذلك لايكون الا بإيعاز من حكومتهم . أليس في هذا السلوك مثار للريب ؟ أيعقل ان تحرش بلغاريا الضعيفة بالاسد التركي الا اذا كانت واثقة بأن وراءها أسدا أو أسودا ؟ اذا لم يكن الاسد الروسي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها هو الذي يحميها من قرنه التركي فعلى أي الاسود تعتمد ؟ الاقرب عندي أن يكون الخوف اليوم فى موضع الرجاء بالامس . فاننا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحسنا الظن بالانكليز حتى توقعنا ان يكون الغرض من زيارة ملكهم لفرنسا الاتفاق معها على عدم الرضى من روسيا بمحاربة تركيا لكيلا تساعدها فرنسا على ذلك ولما ترجح عندنا الآن أن روسيا لاتريد حربا ولا تضمر غدرا انعكس الرأي الاول وظننا السوء بانكلترا وتوقعنا انها قد اتفقت مع فرنسا على النفخ في نار الثورة واغراء البلغار بامدادها ووعدها بالمساعدة على ضم مكدونية اليها كلها أو بعضها . وهل يتيسر لهما الوفاء بالوعد اذا لم تكن روسيا والنمسا معهما ؟ لاحاجة لنا بالبحث فى الجواب ولكننا في حاجة الى التأمل في معاملة أوربا لنا وماذا يجب علينا

ان سلوك اوربا الجديد فى حل المسألة التي يسمونها الشرقية ويعنون بها الاسلامية سلوك عجيب وأعجب صوره وأغرب أشكاله ماكان من نتيجة محاربة الدولة العلية لليونان فقد جعلت أوربا الدولة البادئة بالعدوان ، المغلوبة فى ميدان الطعان ، هي الفائزة

بالنتيجة اذ جعلت وليّ عهدها حاكما على ولاية عظيمة من بلاد الدولة المنتصرة (وهي جزيرة كريت) على ان تكون هي الحافظة والحامية لتلك الولاية. وما يدرينا لعلهم يريدون الآن سلخ ولايات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة. وهكذا يقطعون في كل مرة عضوا من جسم الدولة يغذون به من يرونه أولى به حتى لا يبقى الا الرأس والقلب فيسهل على الرءوس الاتفاق على الايقاع به.

انا نرى دول أوربا عابثة في كل حين باستقلال الدولة ففي كل حادثة لهم أوامر تطاع ومناهي تجتنب والدولة راضية وكل ماتجنيه من الظفر في بعض الاحيان لايخرج عن مراوغة فى تنفيذ بعض الاوامر أو ارجائها وكلما تم للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هتف المغرورون مع الغارين: نحن أصحاب السياسة المثلى والكلمة العليا: فاذا انتهى أجل الارجاء، وحل اليأس محل الرجاء، سكتوا واجمين. أو خادعوا أنفسهم معتذرين،

يقول الاوربيون: ان الذي أذل تركيا وذللها لهم هو ظلمها لمن ليس على دينها من رعيتها لاسيما النصارى: ولنا ان نقول إن وجدنا سامعا: اذا كانت هذه الدولة تظلم المخالفين لها في الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوربا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها؟ أمن المعقول ان يهرب الناس من ظل العدل الى هاجرة الظلم؟ واذا زعمتم أنها تظلم النصارى خاصة فكيف يعقل أن تظلم المخالف الذي يجد أنصارا أقوياء ينتقمون له وتدع من لا وليّ له ولا نصير؟ واذا كانت أوربا تعبث باستقلال الدولة وتفتات عليها فى سياستها الداخلية حبا بالعدل بالمظلومين فما بال هذه الرحمة لاتحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحر القتل فيهم بأيدي النصارى لانهم يهود؟ ليس موقفنا مع أوروبا موقف جدال وحجاج ولكنه موقف قوة وضعف فالقوة تفعل والضعف ينفعل

لماذا كنا ضعفاء وعندنا جيش يشهد له الاعداء بأنه في مقدمة جيوش الامم الحربية بسالة وشجاعة وتدريبا؟ يقول قوم أن ضعفنا محصور في قلة المال ونقول ان عند الدولة من الذخائر مايساعد على كل عمل تريده وعندها من موارد الثروة ما ان أحسنت استغلاله واستعماله كانت من أغنى الدول. ويقول آخرون ان ضعفنا

محصور في الجهل دون سواه ونقول ان الامة جاهلة ولكن عند الدولة من الرجال من لاينقصهم شيء من علوم الادارة والسياسة . والصواب أن ضعفنا كله معلول لعلة واحدة وهي السلطة المطلقة

صاحب السلطة المطلقة أقدر على الاصلاح اذا هو علم وأراد ولكنه قلما يريد . ولم نر أمة من الامم صلح حالها وارتفع شأنها بسرعة كالامة اليابانية التي نهضت بهمة عاهلها (الميكادو) على انها هي الامة الوحيدة التي ارتقت بملكها وسائر الامم المرتقية إنما نهضت بأنفسها واصلحت حال حكامها وأوقفتهم عن حدودهم

قد بينا في السنة الاولى أركان الاصلاح التي يجب على الدولة العلية اقامتها بعد بيان أسباب الضعف ومناشئ الخلل من تاريخ الدولة الرسمي (تاريخ جودت باشا) ويعتذر بعض الناس عن السلطان بأن مداراة دول أوربا في الخارج ومناهضة حزب الترك الاحرار في الداخل لم يدعا له وقتا يصرفه في اصلاح المملكة . ونقول في الجواب أما حزب الاحرار فالصادقون من أهله تؤمن غائلتهم بمجرد الشروع في الاصلاح والمحتالون على المناصب والرواتب علاجهم الاعراض عنهم وعدم المبالاة بهم مهما قالوا وفعلوا

واما دول اوربا فلامفر من عدوانها وافتئاتها على الدولة وعبثها باستقلالها في بلادها الا بالقوة . فأول عمل يجب على السلطان وجوبا فوريا هو الاسراع بإصلاح القوة البحرية وزيادة القوة البرية حتى تكون القوتان في المكانة الاولى ولا استحي ان أقول انه يجب ان يكون قصده في عمله هذا الى جعل قوة الدولة في البر والبحر كقوة دولة فرنسا سواء . ولا يمكن القصد الى هذا العمل العظيم الا بعد السماح ببيع تلك الكنوز من ذخائر الملوك الذهبية والجوهرية الا ما كان أثرا تاريخيا يفيد بقاؤه العلم . فاذا أنف السلطان من بيع تلك القناطير المقنطرة من أواني الذهب والفضة ومن الجواهر التي لاصناعة فيها يضن بها التاريخ وكان لايجد المال لهذا الاصلاح الا ببيعها فان دولته ستفقدها من يوم من الايام ويكون قد أبى بيعها بعز الدولة ليبيعها بذلها وهو انها (لاقدر الله تعالى)

ومن الناس من يزعم ان دول أوربا لاتمكن السلطان والدولة من زيادة القوة وابلاغها درجة الكمال فاذا هي شعرت بأنه يقوي البحرية ويعمم التعليم العسكري

فى الولايات فانها لا تمهله ان تقسم بلاده وتعجل بحل عقدة المسألة الشرقية . ونحن نقول : اذا كان من الثابت عند السلطان ان أوربا لا تمكنه من الاصلاح لانها تريدان تحتج بالخلل على تمزيق الدولة وتقطيعها قطعا يسهل عليها ابتلاعها وأنه اذا حاول تقوية دولته لتتمكن من الاستقلال ظاهرا وباطنا فان دولها تتفق حينئذ على الايقاع بها مرة واحدة - فاي مرجح للرضى بالتقطيع إربا إربا على الاستبسال والتعرض لاحدى الحسنيين حفظ الاستقلال أو موتة الابطال ؟ ؟

يقال انه كان من رأي رجل الدولة العظيم فؤاد باشا ان تمنح الدولة العلية جميع ولاياتها النصرانية في أوربا الاستقلال اداريا وأنه صرح في وصيته المشهورة بأن هذه الولايات لابد ان تنفصل من جسم الدولة فى المستقبل فاذا أعطتها الاستقلال الاداري النوعي باختيارها فانها تقبل مع الشكر والحمد كل ماتشترطه عليها الدولة والا فان كل ولاية منها لاتنفصل الا بعد ان تسفك الدولة فى سبيلها دماء عزيزة وتنفق أموالا غزيرة فيكون انفصال كل منها ضعفا على ضعف ؛ وقد علمت الدولة صدق هذه الفراسة باليقين، وذاقت مرارتها بالفعل . فما بالها تلدغ من الجحر الواحد مرتين

يجب على الدولة أن تهتم بالاصلاح اهتماما صادقا وان تنشر لواء العدل والمساواة فى الحقوق على رءوس جميع رعاياها وان تبدأ بما قلناه من ترقية قوتيها البحرية والبرية وتبذل فى سبيل ذلك كل رخيص وغال فان علمت ان اوربا تحول دون ذلك وانها قادرة على ان تحول وانه لايرضيها الآن ماكان يرضيها من قبل كالعمل بالقانون الاساسي فليس امامها الاسلوك احدى طريقتين لحفظ حياتها المستقبلة

(الطريقة الاولى) ان تجعل ولاياتها كالولايات المتحدة فى أمريكا تستقل كل ولاية فى ادارتها الداخلية ويكون حكامها منها ولا مجال هنا للخوض في كيفية هذا الاستقلال وشروطه فالدولة والسلطان اعلم منا به وبسعادة البلاد المتمتعة به . نعم ان الحكم المطلق ألذ وأشهى ولذلك لم نطلب من السلطان ترك هذه اللذة والتنازل عن هذه الشهوة الا اذا كان غير واثق بدوامهما

(الطريقة الثانية) ان يتفق مع روسيا - اذا رضيت - على أن تعيد اليه بمساعدة فرنسا مصر والسودان وتحالفه محالفة حربية على الاستقلال التام فى الولايات التركية

والعربية وان يعطيها فى مقابلة ذلك الاستانة وماشاءت من الولايات المسيحية في اوربا ويعدها بالمساعدة المعنوية على امتلاك الهند ثم يجعل التخت فى دمشق الشام ويعتني بعد ذلك ويجدّ في عمران البلاد العربية التي اهملها واخربها سلفه من السلاطين ويجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية ويجتهد فى استعراب الترك أجمعين ويؤلف منهم ومن عرب العراق ونجد والحجاز قوة عسكرية منتظمة ويقيم الشرع . فاذا هو فعل ذلك يكون له ملك عظيم وعز منيع ويأمن غائلة الخارجين بدعوى الخلافة . . فاذا لم ترض فرنسا باعادة مصر عثمانية محضة فليكتف ببلاد الاناطول والاكراد والعراق وسوريا وبلاد العرب . فاذا وفقت دولته لترك الجنسية التركية والتعصب لها وأصلحت هذه البلاد وعززتها فان ملكها يكون بها عظيما ويتيسر لها بعد ذلك القيام بعمل عظيم

واذا بقيت الدولة على حالها تخير مستقبلها مع أوربا ان يتركوا لها بلاد الترك الخاص المسلمين تحكمها باستقلال أو تحت حماية . وشرها (وقاها الله من شرها) ان يمحى أثرها بالتدريج حتى لايبقى لها عين ولا أثر

﴿ البابا لاون الثالث عشر — تتمة ترجمته ﴾

بينا في النبذة الاولى التي نشرناها فى الجزء التاسع ان الاخطار كانت محدقة بكرسي البابا عندما جلس عليه لاون الثالث عشر ووعدنا بالالماع الى سلوكه في مقاومتها وما كان من نجاحه فيه فنقول : ان الدول الكاثوليكية التي يدين أكثر رعاياها بالخضوع الى البابا كفرنسا والنمسا وايطاليا كانت عاملة على محو سلطته فما بال روسيا الارثوذكية وانكلترا وألمانيا البروتستنتيتين لايكنّ من اعدائه العاملات على محو ومحو طائفته من الارض وقد كان بين أهل مذهبه ومذهبيهن من الخلاف وسفك الدماء ما كان ؟

سلطة البابا رسمية دولية وللدول عنده وكلاء كالسفراء عند الملوك وقد كان أول عمله استمالة الملوك العظام والتوسل اليهم بالرفق بالكاثوليك فنجح في ذلك حتى عاد اليه اعتباره وتيسر لطائفته السير في طرق الترقي في كل مملكة كانوا مهددين فيها حتى تقدموا تقدما مبينا . ولم تبق حكومة لم تسالمه ويسالمها الا ايطاليا التي أزالت ملكه ونزعت سلطته المدنية (أو الزمنية) واستولت على أملاكه وفرضت له مبالغا

عظيما من المال بدلا عنها فلم يقبله، ومن يبيع الملك بالمال ؟ ولكنه على استمراره على عداوة الحكومة لم يقصر في استمالة الشعب الايطالي ومن ذلك أنه بعث وفداً دينيا الى ملك الحبشة يسأله اطلاق الاسرى الذين أسرهم من جند ايطاليا في الحرب المعروفة.

سياسته مع الدول الكاثوليكية : قد كان من اساءة فرنسا والنمسا في معاملة بيوس التاسع والإنحاء على كرسيه ما أومأنا اليه في الجزء التاسع وقد استطاع ان يسالمهما مع حفظ حقوقه فكان يحث الكاثوليك على الخضوع للحكومة الجمهورية التي اختارتها الامة لنفسها على ان أكثر أعدائها منهم . وكذلك جامل النمسا بقدر الامكان وأحسن في تعزية عاهل النمسا والمجر جوزيف عند وفاة ولي عهده والتجائه اليه حتى قيل انه لم يرد الزيارة لملك ايطاليا حلفه مصانعة للبابا والتماسا لرضاه . وقد كانت الصلات السياسية قطعت بين باجكا والفاتيكان فأعاد رابطتها حتى صارت حكومة البلاد الى وزارة كاثوليكية . وأما سياسته مع الدول غير الكاثوليكية فهي السياسة المثلى واننا نتوسع بعض التوسع فيها فنقول

سياسته مع ألمانيا : يعرف التاريخ ما كان في ألمانيا من اضطهاد الكاثوليك بعد سفك تلك الدماء في التنازع الديني بينهم وبين البرتستنت فان ألمانيا مهد لوثر مؤسس المذهب الثاني الذي كان مبدأ كل ما كان . وقد كان البرنس بسمارك داهية السياسة يبغض الكاثوليك ويناصبهم . فلما ولي البابا كان أول عمله العناية بمسالمة ألمانيا واستمالتها وجمع كلمة الكاثوليك فيها فكتب الى عاهل الالمان بتوليته. ثم رأى البرنس بسمارك اتحاد الكاثوليك وارتباطهم بالبابا ورأى نفسه محتاجا اليهم في مقاومة الاشتراكيين في مجلس النواب فلم ير بدا من استبدال الملاينة بالمخاشنة فكتب الى البابا رقيما أطراه فيه اطراء لم يكن يخطر بالبال وكان من اعتبار ألمانيا للبابا أن حكمته في الخلاف بينها وبين أسبانيا على جزائر كارولين فكان من حكمته ودهائه ان تمكن من إرضاء الفريقين معا بما حكم به

ثم انه أسلس لألمانيا حتى أطمع عاهلها بلينه في إرضائه بأن تكون دولته حامية الكاثوليك في الشرق ولهذا الطمع زاره غليوم الثاني مرتين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٣ ولكنه لم ينل منه هذه الامنية ولم ييأس منها . ولولا دهاؤه لسلب فرنسا التي قاومته وقاومت الدين أشد مقاومة هذه المزية — حماية الكاثوليك — وهي أقوى آلتها السياسية في الشرق

ومنحها لعدوتها (المانيا) ولكنه لم يحب ان يزيد الخرق اتساعا بينه وبينها

سياسته مع انكلترا : لم يكن حظ الكثلكة في انكلترا مع الاصلاح بأمثل من حظها فى المانيا فقد اضطهد الكاثوليك في تلك الجزائر وسفكت دماؤهم وسيموا خسفا وهوانا فى القرون الثلاثة السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وكذلك الثلث الاول من القرن التاسع عشر حتى قل عددهم وانطمست رسومهم فى تلك البلاد فلم يبق من الانكليز على مذهب الكنيسة الرومانية الا نحو ١٦٠ ألفا

أحسن ليون الثالث عشر التودد لملكة الانكليز واختار لرياسة الكنيسة فى بلادها بعض رجاله الدهاة حتى حسنت الحال وصارت الملكة تتلقى الكرادلة الوافدين عليها من قبله بالحفاوة العظيمة بل صاروا يتقدمون في قصرها على رئيس اساقفة (كنتربري) رئيس الكنيسة الانكليكانية الرسمي الذى يتوج ملوك الانكليز. وأعطي الكاثوليك حرية من الحكومة الانكليزية لم تكن تصل اليها أمانيهم فارتقوا ارتقاء مبينا وزاد عددهم حتى صار البروتستنت يرجعون الى الكثلكة وحتى طلب بعض قسوسهم رجوع الكنيسة الانكليكانية الى رسوم الرومانية فطمع البابا المترجم باتحاد الكنيستين وكتب يدعو الى ذلك . ويقول العارفون انه لو قدر على ترك بعض الرسوم والتقاليد التي لايمكن أن يطيقها أهل مذهب الاصلاح بعد ما نفضوا من عثلها لتم له مايريد

أرأيت الكاثوليك الذين كانوا فى أول القرن التاسع عشر يعدون في انكلترا بالالوف إنهم صاروا يعدون بالملايين فقد جاء فى إحصاء سنة ١٨٩١ ان عدد الكاثوليك فى انكلترا نفسها مليون ونصف وفى إيرلاندة ٩٥٦ و٥٤٩ و٣ وفى سكوتلنده ٣٥٦٠٠٠ وتبع هذا التقدم والنمو في بلاد الانكليز التقدم والنمو فى مستعمراتها حتى علم من ذلك التقويم ان عددهم فى البلاد والمستعمرات يزيد على عشرة ملايين ونصف وان لهم فيها من كراسي رؤساء الاساقفة ٢٨ ومن كراسي الاساقفة ١٠٥

ونخص الهند بالذكر فنقول ان عدد الكاثوليك في الهند لم يكن يزيد في أوائل القرن التاسع عشر على نصف مليون ولم يكن لهم الا ثلاثة اساقفة وقد تبين من الاحصاء الذي أشرنا اليه ان عددهم صار يزيد على مليونين وان لهم ٣٣ كرسيا اسقفيا و ٨٠٠ كاهن أوربي و ٦٥٠ كاهنا هنديا و ٦٠٠ راهبة أوربية و ٢٠٠ راهبة هندية و ٢٠٠

راهب من جمعية الاخوة (فرير) و ٧٠ مدرسة كبرى و ٢٢٠٠ مدرسة ابتدائية وتلامذة هذه المدارس مئة ألف وان لهم مدرسة دينية خاصة (على أن جميع مدارسهم دينية) فيها ستة آلاف تلميذ يكونون كلهم دعاة للدين ورهبانا وقسيسين . وان لهم أيضا ٩٨ ملجأ للايتام فيها ٥٨٠٠ ولد . وقد زار ملك الانكليز البابا في هذه السنة . ولما مرض مرض الموت كتب اليه بخطه يسأله عن صحته كما كتب اليه عاهل المانيا بخطه

سياسته مع روسيا : الخلاف بين الكنيسة الرومانية والكنيسة الشرقية - التي يحميها قيصر روسيا وأكثر رعيته من أتباعها - قديم كان ولم يكن في الدنيا بروتستانت وقد كانت روسيا في سرور عظيم من قيام أوربا بمناهضة البابا وكنيسته ولم تقصر في اضطهاد كاثوليك بلادها . وكانت الصلات السياسية قد تقطعت بين هذه الدولة وبين الفاتيكان في عهد البابا بيوس التاسع فلما جاء بعده ليون الثالث عشر كان أول شيء عمله في تلافي ماسبق ان أرسل كتابا بخط يده الى القيصر يخبره فيه بتوليته ولما كاد النهلست للقيصر وحاولوا اغتياله سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ فنجا من كيدهم كتب اليه البابا يهنئه بذلك فكان لهذه المجاملة من التأثير ما حمل القيصر على التساهل في تعيين الاساقفة للكاثوليك في بلاده وأعيد أسقف ورسو من منفاه في سيبريا . وكتب البابا الى أساقفة بولندا يأمرهم بالخضوع لحكام بلادهم وقوانينها ويحث العوام على ذلك وأرسل سفيرا من قبله لحضور تتويج القيصر الحالي سنة ١٨٩٦

سياسته مع الدولة العلية : ان هـذه الدولة تخالف مع البابا في أصل الدين لا في المذهب ولكن التساهل الذي تقضي به طبيعة الاسلام جعل الكاثوليك في بلادها أحسن حالا منهم في جميع البلاد الاوربية أيام ذلك الاضطهاد والتسافك في الدماء وقد قابل البابا السياسي هذه المعاملة الحسنة بالشكر فازدادت المودة بينه وبين السلطان العثماني . وقد أرسل السلطان مندوبا خاصا الى رومية لتهنئة ليون الثالث عشر بمنصبه وقد اجتهد السلطان أيضا بالفصل في الخلاف الذي كان من الارمن الكاثوليك والشقاق الذي كان من الكلدان الكاثوليك فكان البابا يعلن الشكر له على ذلك . ولما احتفل بعيد البابا الكهنوتي (يوبيله الفضي) سنة ١٨٨٧ أرسل السلطان عبد الحميد يهنئه بهدية نفيسة وهي خاتم من جوهرة يتيمة كبيرة الحجم بيضية الشكل تنبعث منها أشعة تنعكس

أنوارها على الزوايا فيخال الناظر اليها انها مجموع أحجار كريمة تتراءى فيها ألوان الطيف التي في قوس السحاب وكانت هذه الجوهرة من النفائس المحفوظة في خزائن سلاطين آل عثمان . وقد وضع الخاتم في غلاف من الذهب الوهاج على هيئة تاج ملكي يضيء الخاتم من خلال فروجه

ولما احتفل بعيد البابا الاسقفي (يوبيله الذهبي) سنة ١٧٩٢ أهداه السلطان هدية كانت عنده وعند أهل ملته أنفس من الاولى وهي الكتابة التي يقولون ان القديس ابرقيوس أسقف هيرابوليس وتلميذ يوحنا الحبيب نقشها في أواسط القرن الثاني الميلادي على صفيحة اوصى بأن تجعل فوق ضريحه .

ولو أردنا ان نذكر ماخدم به ملته وأمته في الصين واليابان والحبشة وفي سائر البلاد البلاد لخرجنا الى التطويل الذي ليس من موضوعنا ولا من غرضنا لان العبرة التي نقصدها تتم لنا بالقليل الذي يغني عن الكثير . فكيف بنا اذا حاولنا إحصاء المكاتب والمدارس ، والاديار والكنائس ، والملاجئ والمستشفيات ، والرهبان والراهبات ، والاطباء والممرضات ، والمبشرين والمربيات ؛ والمعلمين والمعلمات ، والمتنصرين والمتنصرات ،

هل من الحكمة والرأي أن نجهل مايفعله القوم من خدمة دينهم ونشره وان نكتم مايتفق لنا علمه لانه مما يمدحون عليه؟ هل تقضي علينا الغيرة الدينية بأن نسمي جهلنا علما ، وتقصيرنا تشميرا ، وضعفنا قوة ، وان نسمي حذقهم بلادة ، ونشاطهم كسلا ، وعلمهم جهلا ، وقوتهم ضعفا ؟

منزلة ماخلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حجى

لاشيء أنفع من معرفة الحقيقة والواقع ولا شيء أضر من الجهل بالحقيقة والواقع ومن أنهكه المرض حتى صار حرضا وأشرف على الهلاك ويئس من روح الله لا يرضيه الا ان يغش نفسه بالمدح الكاذب ويكابر حسه وعقله فيذم من مناظريه مايراه محمودا . وانا نبدئ هذا القول ونعيده ثم اننا نجد ممن يطلعون عليه من يقول : ان محبنا الذي ينصح لنا هو من يمدحنا ويمدح رؤساءنا ولو بالباطل وينكر حقوق من يخالفنا ويذمهم ولو كاذبا . والعلة في هذا ان هؤلاء الضعفاء لاغرض لهم من حياتهم الا اللذة ،

والحق مرّ في ذائقة المبطلين ، والجد مملول عند الهازلين .

اليكم عنا ياعشاق اللذة الباطلة ، ومحبي الجهالة القاتلة ، لسنا نكتب لكم وانما نكتب لقوم استعدوا لقبول العلم النافع وهو كما قال الاستاذ الامام « مايعرفك من أنت ممن معك » فالى هؤلاء نسوق هـذه الترجمة ونقول : أين علماؤكم الاعلام ، أين الذين تلقبونهم بمشايخ الاسـلام ، أين الامراء الذين انتحلوا لأنفسهم الرياسـة الدينية ، وزعموا انهم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم على الرعية ، خبرونا ماذا تعاموا وماذا عملوا حتى استحقوا هـذه الرياسة ، وهل كان للامة رأي فى اختيارهم لها ، وبماذا خدموا الاسلام فيها ، هل يعرف شيخ الاسلام حدود بلاد المسلمين ، هل وقف على شيء من أحوال شعوبهم فى الدنيا والدين ، هل سعى لهم بانشاء مدرسة كلية أو جزئيـة ، هل أرسل الى بعض بلادهم بعثة دينية ، هل كشف لهم شبهة اعتقادية ،هل حلّ لهم مشكلة سياسية ، هل كاتب العلماء فى غير بلاده ، هل حاول ان يصل ودادهم بوداده ، هل خطر بباله أن يعد طائفة من العلماء ، للقيام بمثل هذه الاعباء ، ؟ ؟

كلا ان المسلمين ليس لهم جمعيات دينية ولا دنيوية تنتخب لهم شيخا مستعدا لخدمة الاسلام فتسميه « شيخ الاسلام » ويكون مطالبا من المسلمين وانما اخترع هـذا اللقب الامراء الذين اسـتقلوا بالزعامة الدينية والدنيوية فثقل عليهم الجمع بين شعار رؤساء الدين وبين التمتع بالشهوات وحضور مجالس اللهو والشرب والرقص فجعلوا هـذا الشعار لبعض العلماء الرسميين الذين يأخذون شعار العلم والدين من الامير أو السلطان فالامير يصل الى مقاصده الدينية بعمامة « شيخ الاسلام » وجبته ويتمتع هو بما شاء بزي السياسة ،وشيخ الاسلام وسائر أصحاب المناصب الدينية من القضاة والمفتين والمدرسين الرسميين والخطباء وأئمة المساجد يعترفون للامير بالرياسة الدينية الكبرى بما يمنحهم من الرتب والرواتب ،والاوسمة والمناصب ،؟ فما لهؤلاء ولخدمة الاسلام والمسلمين ؟

اذا أراد الحاكم الذي يولي شيخ الاسـلام وغيره من المشايخ مناصبهم ويزين صدورهم وأكتادهم وعمائمهم بالنسيج الفضي يتلألأ عليهم في أيام الاعياد – ان يكلفهم بعمل ينفع الاسلام فانهم يجتهدون في القيام به ما استطاعوا كما اجتهدوا في

خدمة هؤلاء الحكام فيما يضر ولا ينفع وأولوا لهم ما أولوا ، حتى غيروا ما غيروا وبدلوا ما بدلوا ، واذا لم يرد الحاكم لا يريد شيخ الاسلام فان الانسان مادام محروما من الاستقلال يكون تابعا لمن يرى بيده منفعته ومضرته . ولو كان المسلمون هم الذين ينصبون «شيخ الاسلام» كما عهد اليهم ان ينصبوا السلطان والامام ، لكان شيخ الاسلام تابعا لارادتهم ؛ وعاملا بمشاورتهم لمصلحتهم ، وسنكتب نبذة خاصة في كيفية انتخاب البابا ونبين فيها حكم الانتخاب عند المسلمين

(الهيضة الوبائية في سوريا)

انتشرت الهيضة الوبائية في سوريا حتى كادت تعمها . ظهرت أولا في ولاية الشام ثم في ولاية بيروت وأصابت بلادا من فلسطين وولاية حلب . وأن فتكها في طرابلس الشام وحمص أشد منه في سائر البلاد . وقد بلغنا أن أكثر اهالي طرابلس هلعوا وجزعوا وفرّ نحو ثلثهم الى لبنان قبل انتشار الوباء وأكثر الفارّين من النصارى . ومن بقي في البلدة وميناها فهم فريقان متناقضان في العلم والعمل – الفريق الاول أكثر المسلمين وهم يعتقدون ان الوباء سوط سماوي يصب على بعض الناس بدون سبب لقبول المزاج له أو لوقوعه بمن يصاب به وانما يكون لمحض الارادة الإلهية الخفية فلا تنفع طرق الوقاية ولا يفيد الاحتياط شيئاً – هذا مبلغهم من العلم وأما عملهم فهو أنهم يأكلون ما ينهى الاطباء عن أكله ويمتنعون عن اتخاذ الادوية التي تضاد العفونات وتقتل جنة الهيضة ونحوها المعبر عنها بالميكروبات . والفريق الثاني عقلاء المسلمين وأكثر النصارى أو كلهم وهم يعتقدون أن كل شيء في هذا العالم جار على سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات وان لكل داء دواء وأن التخمة وأكل المواد التي يسرع اليها التعفن كالفاكهة والبقول التي لم يحسن إنضاجها بالطبخ من أسباب استعداد البدن لفتك الهيضة وأن النظافة والقصد في الاكل وشرب الماء بعد غليه وتبريده من الاسباب التي تحول دون فتك هذا المرض في أمعاء الآكلين الشاربين فهم يعملون بذلك . وقد علم بالاختبار ان الوباء انما فتك بالفريق الأول دون الثاني «فاعتبروا يا أولي الابصار»

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق﴾

﴿مصر — الثلاثاء ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢١ — ٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٣﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر﴾

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ كِتَابَ ٱللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُو ٱلشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَٱتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *

قوله تعالى «ولما جاءهم رسول من عند الله» الخ بيان لحال جديدة من أحوال أهل الكتاب يصح أن تكون علة لجميع ماصدر عنهم من الشناعات فى معاداة النبي عليه السلام ومجاحدته وهي أن فريقا منهم قد نبذوا كتاب الله الذي يفاخرون به ويحتجون بأنهم اكتفوا من الهداية به وأنه لاحاجة لهم بسواه - نبذوه أن جاءهم رسول مصدق له بحاله لأن البشارات التي فيه بالنبي الذي يجيء من آل اسماعيل لاتنطبق الا على هذا الرسول ومصدق له بمقاله باعترافه بنبوة موسى عليه السلام وصدقه فيما جاء به من الهدى والشريعة وتوبيخه اليهود على تحريف بعضها ونسيان بعض وترك العمل بما بقي لهم منها

(قال الاستاذ الامام) ليس المراد بنبذ الكتاب وراء ظهورهم أنهم طرحوه برمته وتركوا التصديق به فى جملته وتفصيله وانما المراد انهم طرحوا جزءا منه وهو مايبشر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويبين صفاته ويأمرهم بالايمان به واتباعه ، وترك الجزء منه كتركه كله لان ترك البعض يذهب بحرمة الوحي من النفس ويجرئ على ترك الباقي « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً » (قال) ولا فرق فى هذا الحكم بين اليهود والنصارى فكل منهما مبشر بالنبي عليه الصلاة والسلام فى كتابه وكل منهما قد نبذ الكتاب فلم يعمل به . ولم يضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الجحود من الفريق الجاحد لان دعوته قد قبلها الآخرون واهتدى بها من لايحصى من الامتين ومن سائر الامم وإنما يضر الجاحدين لأنهم تركوا كتابهم الذي يزعمون انه

المنجي والمخاص لهم وحرموا من هداية خاتم النبيين ، التي هي أكمل هداية أنعم الله بها على العالمين ،

قال تعالى بعد ماذكر نبذهم الكتاب «كأنهم لا يعلمون» أي نبذوه نبذ من لا يعلم انه كتاب الله يريد أنهم بالغوا فى تركه واهماله ومن ترك شيئاً من أمر الله وهو يعلم انه أمره ولكن طاف به طائف من الشيطان فغلب على أمره فانه لا يلبث أن يعود ولكن هذا الفريق النابذ لكتاب الله تعالى من حيث هو مبشر بالنبي وآمر باتباعه يتمادى بهم الزمان ولا يتوبون ولا يرجعون ، وما أحسن التعبير عن ذلك بنفي الحال والاستقبال دون نفي الماضي

﴿ مبحث السحر وهاروت وماروت ﴾

ثم ذكر تعالى ان أولئك الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم مجاحدة للنبي عليه الصلاة والسلام وحسداً له قد تبدلوا الكفر بالايمان واشتروا الضلالة بالهدى « واتبعوا ماتتلو الشياطين » من الانس فى قصصها أو من الجن فى وسوستها « على ملك سليمان » اذ زعموا ان ملكه قام على أساس السحر والطلسمات وانه ارتد فى آخر عمره وعبد الاصنام مرضاة لنسائه الوثنيات « وما كفر سليمان » وما سحر « ولكن » أولئك « الشياطين » الذين يسندون اليه ماانتحلوه من السحر وما تلبسوا به من الكفر هم الذين « كفروا يعلمون الناس السحر » ليفتنوا به العامة ويضلوهم عن طلب الاشياء من أسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة

هذه الاوهام والاكاذيب على نبي الله سليمان عليه السلام مما افتجره بعض الدجالين من بني إسرائيل ووسوسوا به الى بعض المسلمين فصدقوهم فى بعض مازعموه من حكايات السحر ، وكذبوهم فيما رموا به سليمان من

الكفر ، وانك لترى دجاجلة المسلمين الى اليوم يتلون أقساما وعزائم ، ويخطون خطوطا وطلاسم ، ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهوده ويزعمون أنها تقي حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريت ولقد رأى كاتب هذا التفسير شيئاً من ذلك وكان في يوم من الايام يصدق به ويعتقد بفائدته. وقد زعم اليهود ان سليمان سُحر ودُفِن السحر تحت كرسيه وانه أضاع خاتمه الذي به ملكه فوقع في يد آخر وجلس مجلسه للحكم الخ ما خلطوا فيه التاريخ بالدجل . وروي عنهم ان سليمان هو الذي جمع كتب السحر من الناس ودفنها تحت كرسيه ثم استخرجها الناس وتناقلوها وفي رواية أخرى انه انما دفن تحت كرسيه كتبا أخرى في العلوم فلما استخرجت أشاع الشياطين انها كتب سحر وأنشأ الدجالون بعد ذلك ينتحلون ماشاؤا وينسبونه الى تلك الكتب . ولا شك ان ماقالوه على سليمان وملكه من خبر السحر والكفر مكذوب افتراه أهل الاهواء وقد قصه الله تعالى علينا لنعتبر بما افتراه هؤلاء الناس على الانبياء وبترجيح فريق من خلفهم الاشتغال بذلك على الاهتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى انهم نبذوا كتابهم الذي بشر به وراء ظهورهم . ومن البديهي ان ذكر القصة في القرآن لايقتضي أن يكون كل مايحكى فيها عن الناس صحيحا فذكر السحر في هذه الآيات لايستلزم اثبات مايعتقد فيه كما ان نسبة الكفر الى سليمان التي علمت من النفي لاتستلزم أن تكون صحيحة لأنها ذكرت في القرآن ولو لم يكن ذكرها في سياق النفي

(قال الاستاذ الامام) بينا غير مرة ان القصص جاءت في القرآن لاجل الموعظة والاعتبار لالبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات

الاخبار عند الغابرين وانه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضارّ ولكن حكاية القرآن لاتعدو موضع العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية ولا بد أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم مايدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح .

وقد يأتي في الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكي عنهم وان لم تكن صحيحة في نفسها كقوله « كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ » وكقوله « بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ » وهذا الاسلوب مألوف فاننا نرى كثيراً من كتاب العربية وكتاب الافرنج يذكرون آلهة الخير والشر في خطبهم ومقالاتهم لاسيما في سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد أحد منهم بتلك الآلهة . ويقول أهل السواحل غربت السماء أو سقط قرص الشمس في البحر أو في الماء ولا يعتقدون بذلك

جاء ذكر السحر في مواضع متعددة في القرآن وأكثره في قصة موسى وفرعون وذكر هنا في الكلام عن اليهود . واذا أردنا فهمه من عرف اللغة وجدنا ان السحر عند العرب كل مالطف مأخذه ودق وقالوا سحره وَسَحَّرَه بمعنى خدعه وعلله وقالوا عين ساحرة وعيون سواحر وفي الحديث « ان من البيان لسحرا » والسحر بالفتح وبالتحريك الرئة وهي أصل هذه المادة والرئة في الباطن فما لطف مأخذه ودق صنعه حتى لايهتدي اليه غير أهله فهو باطن خفي ومنه الخداع وهو ان يظهر لك شيئاً غير الواقع في نفس الامر فالواقع باطن خفي وتأثير العيون في عشاق الحسان ، والكلام البليغ في عشاق البيان ، مما يخفى مسالكه ويدق سببه حتى يعسر على أكثر الناس الوقوف على العلة في التأثير . وقد وصف السحر

فى القرآن بأنه تخييل يخدع الاعين فيريها ماليس بكائن كائنا فقال «يُخَيَّلُ اليه من سحرهم أنها تسعى» والكلام فى حبال السحرة وعصيهم ، وفي آية أخرى « فسحروا أعين الناس واسترهبوهم» وفي هذه الآية التي تفسرها ان السحر كان يؤخذ بالتعليم والتاريخ يشهد بهذا وقد كان المصريون يطلقون لقب الساحر على العالم كما يؤخذ من قوله تعالى « وقالوا : ياأيها الساحر ادع لنا ربك » ومجموع هذه النصوص يدل على ان السحر إما حيلة وشعوذة وأما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ويجهلها الاكثرون فيسمون العمل بها سحرا لخفاء سببه ولطف مأخذه ويمكن أن يعد منه تأثير النفس الانسانية فى نفس أخرى لمثل هذه العلة . وقد قال المؤرخون ان سحرة فرعون قد استعانوا بالزئبق على اظهار الحبال والعصي بصور الحيات والثعابين وتخييل انها تسعى . وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة للمعاش ان يستعينوا بكلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان وانهم يحضرون اذا دعوا بها ويكونون مسخرين للداعي . ولمثل هذا الكلام تأثير فى اثارة الوهم عرف بالتجربة وسببه اعتقاد الواهم بأن الشياطين يستجيبون لقارئه ويطيعون أمره ومنهم من يعتقد ان فيه خاصية التأثير وليس فيه خاصية وانما تلك العقيدة الفاسدة تفعل فى النفس الواهمة ماينبغي منتحل السحر عن توجيه همته وتأثير إرادته . وهذا هو السبب فى اعتقاد الدهماء ان السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب . وقد اختلف المتكلمون والمفسرون والفقهاء فى حقيقة السحر وفي أحكامه وعده بعضهم من خوارق العادات وفرقوا بينه وبين المعجزة ولم يذكروا فى فروقهم ان السحر يتلقى

بالتعليم بخلاف المعجزة

(قال الاستاذ الامام) فى قوله تعالى «يعلمون الناس السحر» وجهان أحدهما أنه متصل بقوله « ولكن الشياطين كفروا » أي ان الشياطين هم الذين يعلمون الناس السحر والثاني - وهو الاظهر - أنه متصل بالكلام عن اليهود وان الكلام في الشياطين قد انتهى عند القول بكفرهم. وانتحال اليهود لتعليم السحر أمر كان مشهورا في زمن التنزيل ولا يزالون ينتحلون ذلك الى اليوم. أي ان فريقا من اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان. وههنا يقول القائل بماذا اتبعوا أولئك الشياطين الذين كذبوا على سليمان فى رميه بالكفر وزعمهم ان السحر استخرج من كتبه التي كانت تحت كرسيه ؟ فأجاب على طريق الاستئناف البياني «يعلمون الناس السحر» الخ ونفي الكفر عن سليمان والصاقه بالشياطين الكاذبين ذكر بطريق الاعتراض فعلم أيضا انهم اتبعوا الشياطين بهذه القرينة أيضا . وانما كان القصد الى وصف اليهود بتعليم السحر لأنه من السيئات التي كانوا متلبسين بها ويضرون بها الناس خداعا وتمويها وتلبيسا

ثم قال «وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» فأجمل بهذه العبارة الوجيزة خبر قصة كانوا يتحدثون بها كما أجمل فى ذكر تعليم السحر فلم يذكر ماهو أشعوذة وتخييل أم خواص طبيعية وتأثيرات نفسية . وهذا ضرب من الاعجاز في الايجاز انفرد به القرآن - يذكر الامر المشهور بين الناس فى وقت من الاوقات لاجل الاعتبار به فينظمه فى أسلوب يمكن لكل أحد أن يقبله فيه مهما كان اعتقاده بذلك الشيء فى تفصيله . ألا ترى كيف ذكر السحر هنا وفى مواضع أخرى بأساليب لايستطيع

أن ينكرها من يدعي ان السحر حيلة وشعوذة أو غير ذلك مما ذكرناه ولايستطيع ان يردها من يدعي انه من خوارق العادات . والحكمة فى هذا ان الله جل وعز قد وكل معرفة هذه الحقائق الكونية الى بحث الانسان واشتغاله بالعلم لانه من الامور الكسبية ولو بين مسائلها بالنص القاطع لجاءت مخالفة لعلم الناس واختبارهم فى كل جيل لم يرتق العلم فيه الى أعلى درجه ولكانت تلك المخالفة من أسباب الشك أو التكذيب فاننا نرى من الناس من يطعن فى كتب الوحي لتفسير بعض تلك الامور المجملة بما يتراءى لهم وان لم تكن نصا ولا ظاهرا فيه ويزعمون ان كتاب الدين جاء مخالفا للعلم وان كان ذلك العلم ظنيا أوفرضيا

في (الملكين) قراءتان فتح اللام وكسرها وهما رجلان صاحبا وقار وسمت فشبها بالملائكة وكان يؤمهما الناس بالحوائج الاهلية ويجلونهما أشد الاجلال فشبها بالملوك وتلك عادة الناس فيمن ينفرد بالصفات المحمودة يقولون: هذا ملك وليس بانسان : كما يقولون فيمن كان سيدا عزيزا يظهر الغنى عن الناس من حيث يحتاجون اليه : هذا سلطان زمانه : جلت حكمة الله فى خلقه فقد قدّ هؤلاء الآدميين من أديم واحد ، كان الناس على عهد هاروت وماروت ــ اللذين كان يتحدث بخبرهما ولا يحدّد تاريخهما ــ على مثالهم اليوم لايقصدون للفصل فى شئونهم الاهلية من الجهة الروحانية الا الى أهل السمت والوقار اللابسين لباس أهل التقوى والصلاح ، هذا مانشاهدهم عليه فى زمننا وهذا ماحكى الله تعالى عنهم فى الزمن القديم ،

(وقال الاستاذ الامام) لعل الله تعالى سماهما ملكين (بفتح اللام) حكاية لاعتقاد الناس فيهما وأجاز أيضا كون إطلاق لفظ الملكين عليهما مجازا كما

قال بعض المفسرين

قال تعالى فى اليهود انهم «يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل» والظاهر من العطف ان ما أنزل عليهما هو غير السحر ضم اليه لانه من جنسه في كون تعليمه سيئة مذمومة أو هو لتغاير الاعتبار او النوع • وليس معنى الانزال عليهما انه وحي من الله كوحيه للانبياء فيشكل عده من الشر والباطل الذي يذم تعلمه فان كلمة «أنزل» تستعمل في مواضع لاصلة بينها وبين وحي الانبياء . قالوا : انزلت حاجتي على كريم ، وانزل لي عن هذه الابيات : ويقال : قد أنزل الصبر على قلب فلان : وقال تعالى «وأنزلنا الحديد» وقال « فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » • ولعل التعبير عما أوتياه من العلم بالانزال لانه لم يكن يعرف له مأخذ غيرهما يراد أنهما ألهماه إلهاما واهتديا اليه من غير استاذ ولا معلم . ويصح ان يسمى مثل هذا وحيا لخفاء منبعه وليس الوحي وإلهام الخواطر خاصا فى عرف اللغة ولا عرف القرآن بالانبياء ولا بما يكون موضوعه خيرا أو حقا فقد قال تعالى « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا» وقال الشاعر :

رأس الغواية فى العقل السقيم فما فيه نأ كثره وحي الشياطين

وذكر ابن جرير الطبري وجها آخر في تفسير « وما أنزل على الملكين» ونقله كثير من المفسرين وهو أن «ما» نافية اي ان اليهود يعلمون الناس السحر ويرتقون بسنده الى الملكين ببابل وما أنزل السحر على الملكين فكيف كانوا يعلمونه بني إسرائيل • وقد ضعفوه بأن الثابت فى الواقع ان بني اسرائيل كانوا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين • وقد أجاز هذا

التضعيف الاستاذ الامام. على انه يمكن ان يراد به نفي الانزال خاصة اي ان ذلك السحر الذي ينسبونه الى الملكين لم ينزل عليهما إنزالا من الله فينظمه اليهود في سلك العلوم المحمودة ويزعمون انه حق وانما هو شيء ابتجراه واخترعاه من عند أنفسهما

ثم قال « وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر » أي ان ماعندنا هو أمر يبتلي به الله الناس ويختبرهم فلا تتعلم ماهو كفر فان أصر علماه. هذا ماعليه الجمهور واقتصر عليه الاستاذ الامام في الدرس. قال البيضاوي : « وما يعلمان أحدا حتى ينصحاه ويقولا له : إنما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به : وفيه دليل على ان تعلم السحر ومالا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به » : ويجوز ان يكون المعنى انما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر وننصح لك بأن لاتكفر. ولعلهما يقولان هذا للمحافظة على حسن اعتقاد الناس بفضلهما اذ كانوا يقولون هما ملكان. واننا نسمع الدجاجلة الذين ينتحلون مثل هذا ويوهمون الناس انهم روحانيون يقولون لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة وللبغض نوصيك بأن لاتكتب لجلب أمرأة متزوجة الى حب رجل غير زوجها ولا تكتب لأحد الزوجين بأن يبغض الآخر وان تخص هذه الفوائد بالمصلحة كالحب بين الزوجين والتفريق بين العاشقين الفاسقين : وانما يقولون هذا ليوهموا الناس ان علومهم إلهية، وان صناعتهم روحانية، وقد كان اليهود يسندون سحرهم الى ملكين ببابل ونرى دجاجلة المسلمين من المغاربة وغيرهم يسندون خزعبلاتهم الى « دانيال النبي »

وهذا المعنى يصح على القول بان «وما أنزل» نفي بحسب توجيهنا السابق وقال البيضاوي ان معناه على وجه النفي : انما نحن مفتونون فلا تكن مثلنا :

قال تعالى « فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه » صيغة المضارع فى هذه الجملة وما قبلها لتصوير ماكان كأنه كائن فالكلام تصوير للقصة لا حكم بمضمونها اي انهم كانوا يتعلمون منهم ماوضع لاجل التفريق بين الزوجين وهو نحو مايسميه الدجاجلة الآن (كتاب البغضة) وليس فى العبارة مايدل على ان مايتعلمونه لهذا الغرض هو مؤثر فيه بطبعه او بسبب خفي او بخارقة لاتعقل لها علة ولا انه غير مؤثر ، وليس فيها بيان لما يتعلمونه هل هو كتابة تمائم ، أو تلاوة رقىً وعزائم ، أو أساليب سعاية ، أو دسائس تنفير ونكاية ، او تأثير نفساني ، او وسواس شيطاني ، واي شيء من ذلك ثبت علما كان تفصيلا لما أجمله القرآن فى الواقع . ولا يجوز لنا ان نتحكم بتفصيل ماأجمله القرآن فنحمله على أحد ماذكر أو على غيره .

ولو علم الله ان الخير لنا في بيان ذلك لبينه كما قلناه فى مثله مرار

لم يبين القرآن ذلك الاجمال ولا حقيقة ذلك العلم لانه موكول الى بحث البشر وارتقائهم فى العلم كما تقدم ولكنه لم يهمل مايتعلق بالعقائد وبيان الحق فيها ولذلك قال بعد حكاية السحر عنهم « وماهم بضارّين به من أحد الا باذن الله » اي انهم ليس لهم قوة غيبية وراء الاسباب التي ربط الله بها المسببات فهم يفعلون بها مايوهمون الناس انه فوق استعداد البشر ، وفوق مامنحوا من القوى والقدر ، فاذا اتفق أن أصيب أحد بضرر من أعمالهم فانما ذلك باذن الله اي بسبب من الاسباب التي جرت العادة بان يحصل المسببات من ضر ونفع عند حصولها باذن الله تعالى . وهذا الحكم

التوحيدي هو المقصد الاول من مقاصد الدين فالقرآن لا يترك بيانه عند الحاجة بل عند كل مناسبة وربما ترد فى القرآن قصة مثل هذه القصة لأجل بيان الحق فى مسألة اعتقادية كهذه المسألة لان إيراد الاحكام فى سياق الوقائع أوقع فى النفس وأعصى على التأويل و التحريف

ثم قال بمدنني القوة التي وراء الاسباب عنهم «ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم» يضرهم لانه سبب فى الاضرار بالناس وهو محرم يعاقب الله تعالى عليه في الآخرة ومن عرف بايذاء الناس يمقته الناس ويكونون عليه. ولما كان بعض الضارّ من جهة نافعا من جهة أخرى وربما كانت منفعته أكبر من إثمه نفى المنفعة بعد إثبات المضرة فهذا النفي واجب فى قانون البلاغة لا بد منه. وقد صدق الله تعالى فاننا نرى منتحلي السحر وما فى معناه أفقر الناس وأحقرهم ولو عقل السفهاء الذين يختلفون اليهم يلتمسون المنافع لانفسهم والايقاع بأعدائهم لعلموا ان الشقي فى نفسه لا يمكن ان يهب السعادة لغيره لأن فاقد الشيء لا يعطيه . هذه حالهم في الدنيا فكيف يكونون فى الآخرة يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ؟ لاجرم انها تكون حالا سوءى واليهود يعلمون ذلك كما قال «ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق» أي انهم يعلمون ان من اختار هذا واستبدله بما آتاه الله من اصول الدين الحق وأحكام الشريعة العادلة الموصلين الى سعادة الدنيا والآخرة فليس له نصيب فى نعيم الآخرة وذلك ان التوراة قد حظرت تعليم السحر وجعلته كعبادة الاوثان وشددت العقوبة على فاعله وعلى اتباع الجن والشياطين والكهان، ولا ينافي هذا العلم قوله «ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون» فان العلم علمان ـ علم

تفصيلي متمكن من النفس متسلط على إرادتها يحركها الى العمل وعلم إجمالي خيالي يلوح في الذهن مبهما عند مايعرض مايذكر به ككتاب ونحو سؤال وهو يقبل التحريف والتأويل ، وليس له منفذ الى الارادة ولا سبيل ، فقد كانوا يستحلون بالتأويل أكل السحت كالرشوة والربا كما يفعل غيرهم اليوم وقبل اليوم . ولو كانوا يعلمون حرمة ماذكر علما تفصيلياً يستغرق جميع جزئيات المحرم ويفقهون علة التحريم وسره ويصدقون بما توعد الله مرتكبه من العقوبة فى الآخرة تصديقا جازما ويتذكرونه وقت العمل بما للعقيدة من السلطان على الارادة لما ارتكبوا ماارتكبوه مع الاصرار عليه ولكنهم فقدوا هذا النوع من العلم ولم يغن عنهم تصور أن السحر والخداع كلاهما حرام كالربا والرشوة لان فى الكتاب عبارة تدل على ذلك فإن العبارة تحتمل ضروبا من التأويل ككون النهي خاصا بمعاملة شعب إسرائيل وكانوا يقولون « ليس علينا في الاميين سبيل » وكاشتراط الضرر فى السحر مع ادعاء ان مايأتونه منه نافع غير ضار وغير ذلك

وإننا نرى كثيرا من الحرمات قد انتهكت فى المسلمين بمثل تلك التأويلات حتى جوز بعض المشتغلين بالفقه هدم ركن من أعظم أركان الاسلام بالحيلة وهو ركن الزكاة الذي يحارَب تاركوه شرعا وترى هذه الحيل قد أثرت فى الامة حتى لايكاد يوجد غني يؤدي الزكاة ولا يعتقد المتمسك بالدين من هؤلاء الاغنياء انه متعرض لمقت الله وعقوبته وأنه قد فسق عن أمر ربه لانه يمنع الزكاة بحيلة يسميها شرعية وقد أخذها عمن يسمون فقهاء، ويفتخرون بأنهم ورثة الانبياء ، ثم ان الحيل على التزوير وأكل أموال بالباطل لها فى بعض الكتب وعلى ألسنة كثيرين من أصحاب العمائم مجال

واسع وميدان فسيح ولها أقبح التأثير فى إفساد العامة واستباحتهم المحظورات ولقد صارت هذه الحيل على الله عز وجل والتأويلات الباطلة الهادمة لدينه معدودة من الدين حتى إنه ليأتيها من لا منعة له فى إتيانها ممن يعدون صالحين، ومن أعجب ذلك ان بعض أهل العلم الصالحين يشهد الزور بمثل هذه التأويلات وقد نقل الثقات ان طالب الشهادة يستعطفه ويستميل قلبه بالشكوى من الظلم وارادة الاستعانة بشهادته على دفع المظلمة والتخلص من الاذى فيأمر الشيخ بأن تطوى الورقه المشتملة على قول الزور بحيث يحجب سواد الكتابة فلا يراه ويضع توقيعه وختمه فى ذيلها كأنه وضعهما على ورقة خالية وهو يعلم انها ليست خالية من الكتابة ويعرف ما فيها من الكذب. فهل نقول انه غير عالم بقوله تعالى «والذين لا يشهدون الزور» وقوله «انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون» وبما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وكان متكئا: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الاشراك بالله وعقوق الوالدين - ثم قعد فقال - ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. وبما روياه من حديث أبي هريرة مرفوعا أيضا: آية المنافق ثلاث اذ حدّث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان» وفى رواية لغيرهما: ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال اني مسلم» وذكرهن؟ بلى انه عالم بكل ذلك ولكنه التأويل افسد على كل أهل دين دينهم.

أقول أشار الاستاذ الامام الى ماكان من إقدام هذا العالم العابد على شهادة الزور وذكر أمثلة أخرى وقد تذكرت عند كتابة الحديث فى

المنافقين ان بعض شيوخ الازهر المعروفين كان وعد وعدا وأخلف فسألته به فقال : ان فقهاءنا (الحنفية) قالوا بأن الوفاء بالوعد غير واجب ، فقلت وقد تميزت من الغيظ : ان من يقول هذا القول بعد ماورد من النصوص الصريحة فى الوفاء وفى الوعيد على تركه فهو مخطئ وقوله مردود كما ورد فى الصحيح (بل قلت أكثر من هذا) وانني أبرئ الائمة من القول بحل اخلاف الوعد من غير عذر صحيح ولكنني أعذر الفقهاء اذا قالوا بأنه ليس للقاضي ان يحكم على من وعد بالوفاء ويلزمه بذلك إلزاما . ولا أعذر من يقول ان الوفاء مستحب وتركه جائز وان كان هو المعروف فى أكثر كتب الفقه المتداولة .

ولقد صار العالم المسلم عاجزا في أكثر بلاد المسلمين عن انكار مايخالف هدي الكتاب والسنة من كتب الميتين لاسيما اذا اشتهروا باختيار كتبهم للتدريس . وحجة هؤلاء المسلمين على نصر كتب الميتين وترجيحها على كتاب الله وسنة رسوله هي ان القادرين على الاهتداء بهما قد انقرضوا فوجب على المسلمين ترك العمل بهما والاعتماد على كتب العلماء المتأخرين الذين استنبطوا من قواعد أئمتهم جميع مسائل الدين . فعلينا ان نأخذ بكل ما قالوا وان لاننظر فى الكتاب والسنة الا للتبرك بهما فان رأينا خلافا بين قول الله ورسوله وقول الفقيه لايحتمل التأويل فعلينا ان نتهم عقولنا وأفهامنا وننزه فهم الفقيه الميت وعقله ونعمل بقوله مكابرين أنفسنا التي سجل عليها الحرمان من فهم الكتاب المبين والسنة البيضاء التي وصفها صاحبها بأن ليلها كنهارها لايشتبه فيها أحد !!! . هذا ماعليه جماهير المسلمين ، ولم يبعد من قبلهم عن كتاب ربهم أشد من هذا البعد وسيعودون اليه بعد

حين ، فقد أخذهم العذاب على تركه « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

ثم قال تعالى « ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير » أي لو أنهم استبدلوا بهذا العناد واتباع نزغات الشياطين الايمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم او لو آمنوا بكتابهم ايمانا حقيقيا ومنه البشارة بالنبي والامر باتباعه واتقوا بالعمل به والمحافظة على حدوده مغبة ماينتظره المجرمون من العقوبة على العصيان لكان ثواب الله لهم على الايمان الصحيح والعمل الصالح خيرا لهم من جميع ماتوهموه فى المخالفة من المنافع . ثم قال « لو كانوا يعلمون » أي انهم في كل ماهم عليه من الاباطيل، ومن زعمهم أنها ترجع الى الكتاب بضروب من التأويل ، يتبعون الظنون ويعتمدون على التقليد وليسوا على شيء من العلم ولو كانوا يعلمون علما صحيحا لظهر أثره فى أعمالهم ولآمنوا بالنبي عليه السلام واتبعوه فكانوا من المفلحين

ومن مباحث اللفظ فى الآيات ان بابل بلدة قديمة كانت فى سواد الكوفة (قبل الكوفة) فى اشهر أقوال المفسرين ويؤخذ من بعض كتب التاريخ انها كانت فى الجانب الشرقي من نهر الفرات بعيدة عنه ويقال ان أصل اشتقاقها فى العبرانية يدل على الخلط إشارة الى مايرويه العبرانيون من اختلاط الالسنة هناك . وهاروت وماروت اسماء أعجميان ولو كانا مشتقين من الهرت والمرت كما زعم بعضهم لما منعا من الصرف . و « من » فى قوله تعالى « ومايعلمان من أحد » لاستغراق النفي وتأكيده وقد شدد الاستاذ الامام كعادته الانكار على من قال انها زائدة وقال انما الزائد مايذكر للتحلية ولا يكون له معنى ماوفاقا لكثير من المفسرين . والمثوبة الثواب و « لمثوبة » خبر « لو » قال الاستاذ أي لكانت مثوبة من الله خيرا . وقد قدروا لها

فعلا فقالوا الاصل لاثيبوا مثوبة فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة ونكرت لبيان انها مهما قلت فهي خير لهم. وأصلها الثوب بمعنى الرجوع كأن المحسن يثوب الى من أحسن اليه بعض إعراض

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(النبذة السادسة في رد شبهاتهم على القرآن)

(الشاهد الحادي عشر) قال المعترض: ومما يقضي بالعجب أن يناقض القرآن نفسه فى القدر الذي هو من الايمان وركن مهم من أركان الاسلام فقال « لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » أي من كل أمر قدر في تلك السنه كما عليه جمهور المفسرين. وقال أيضا « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ » وهي عندهم ليلة القدر التي تفصل فيها الأقضية ويفرق أي يقدر كل أمر يقع ذلك العام من حياة أو موت أو غير ذلك الى مثلها من قابل وهذا يترتب عليه أن أمور الخلق تقدر عاما عاما. لكن ذلك منقوض بقوله في سورة الحديد « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا في أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها » أي الا مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة فى علم الله من قبل أن تخلق وأنت تعلم أن هذا اللوح قد كتبت فيه بزعمهم كل الأمور وقدرت من قبل أن تكون ليلة القدر. وزاد ذلك ايضاحا فقال « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » أي ألزمناه عمله وما قدر له وعليه منذ ميلاده حتى لزمه لزوم الطوق للعنق. ويترتب على هذا أنه قدر على الانسان دفعة كل ما يعمله في عمره لا ما يعمله في عامه فقط وهذا تناقض بين في أركان الايمان لا يصح وقوعه في كتاب جميع ما فيه كلام الله: اه قوله بحروفه الا كلمة (أنفسكم) من الآية الكريمة بدلها بنفوسكم فكتبنا الاصل الصحيح

ونقول في الجواب: إننا كتبنا كل ما كتبه في تقرير هذه الشبهة وحسبه ما كتبه فضيحة ودلالة على سوء القصد وتعمد التمويه ولو قلنا إنه يزعم أن بين تلك الآيات تناقضا

ولم نذكر ماقرر وشرح به ذلك التناقض لما أفاد القول الا أنه جاهل لم يفهم تلك الآيات وهذا عار عليه أكبر وخلاف الواقع . أما كونه خلاف الواقع فهو انه اطلع على تفسير الآيات وفهمها وأما كونه أكبر عارا فذاك أن الجهل عار عند جميع الناس من أهل ملته وغيرهم،وان قومه يعدونه من كبار الكتاب والبلغاء فاذا ظهر لهم انه لايفهم هذه الآيات فانهم يحتقرونه وينزعون عنه لباس تلك الخصوصية فيكون عاريا من كل مزية ،وليس فى سوء القصد وسلوك سبيل المغالطة في تشكيك عوام المسلمين بدينهم الا احتقار العقلاء والفضلاء من جميع الطوائف وأهل الانصاف من قومه النصارى خاصةوأما المتعصبون منهم مثله فانه ليرضيهم الطعن بالاسلام والمسلمين ، وان جاء صاحبه بالافك المبين

هذه الشبهة لاتحتاج الى جواب من حيث هي شبهة على القرآن لأن محلها في زعمه ان بعض الآيات نص في أن أمور الخلق تقدر عاما فعاما وبعضها نص فى أنها تقدر دفعة واحدة وليس شيء منها كما قال.فقوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » لايدل على أن أمور الخلق تقدر عاما عاما كازعم وهذاظاهر لايحتاج الى بيان اذ ليس فيها ذكر للتقدير ولا للسنين والاعوام . وقوله جل وعز « ما أصاب من مصيبة»الآية- ليس نصا فى أن أمور المخلوقات تقدر دفعة واحدة كما أدعى وانما تدل على أن المصائب في الآفاق وفى الأنفس معلومة قبل وقوعهاالله تعالى علم الامر المحصي فى الكتاب اوهي مكتوبة كتابة تناسب عالم الغيب وتليق به،وليس فيها ان تلك الكتابة التي ذكرت على سبيل التمثيل أو المجاز أوالحقيقيةالغيبية حصلت دفعة واحدة أو بالتدريج أو انها كانت في أول العام،أو قبل خلق الانام . ولكن العقل والنقل يدلان على أن علم الله تعالى قديم لاتدريج فيه لأن التدريج لايكون الا في الحوادث وهو يستلزم الجهل فتعين ان يقال ان ما يقع من المصائب وغيرها معلوم لله تعالى في الأزل . فان أريد بالكتابة العلم الالهي فظاهر وان أريد أن هناك كتابة فلا شك أنها تكون للملائكة الموكلين بالأعمال الذين جعل الله بهم قوام السنن العامة والنواميس الكلية والذين يسميهم المحجوبون قوى ونواميس طبيعية . وعند ذلك يصح أن تكون الكتابة فى كل عام ولكن الآية ليست نصافى هذا فلايمكن الاعتراض

عليها بحال. وكذلك قوله تعالى « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » ليس نصا في كون أعمال الانسان قدرت عليه دفعة واحدة ولا منافيا لكونها تقدر عليه في كل عام كما هو ظاهر وانما معناه أن الانسان رهين بعمله ومطوق به لا يستطيع ان يتفلت من تبعته لماله في التأثير في نفسه فان الاعمال تطبع الملكات وتكون الاخلاق التي هي صفات النفس فآثارها لازمة للانسان لزوم الطوق للعنق . فاين هذا المعنى الظاهر مما زعمه المعترض وكيف السبيل الى القول بتناقضه مع تلك الآية لو فرضنا أنها نص فيما فسرها به ؟؟

بقي ان يقال : ان المعترض بنى حكمه على قول المفسرين في ليلة القدر انها الليلة المباركة الموصوفة في سورة الدخان بقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » وقد فسر الفرق بالتقدير وقال جمهورهم بان المراد تقدير أمور العام : ونقول في الجواب (أولا) انه قد علم مما شرحناه ان آية الحديد وآية الاسراء لا تناقضان هذا التفسير لان المطلق لا ينافي المقيد ولا يناقضه ولعلماء الاصول في مقابلة المطلق بالمقيد قولان أحدهما أن المطلق يجري على إطلاقه والمقيد يجري على قيده . فلو فرضنا أن معنى الآيات ما ذكر لما كان من مانع لأن يقال ان هناك تقديرا أزليا وهو ما في علم الله الازلي وتقديراً سنويا يحدد في كل عام لحكمة من الحكم ككون الملائكة المدبرات للأعمال والشؤن تجري عليه . ولا شك ان الملائكة لا يعلمون كل ما في علم الله تعالى ولا يستطيعون ان يعلموا كل ذلك فالله تعالى يعلمهم بما تقضي حكمته ان يعلموه . واذا صح هذا فيشبهه في عالم الشهادة ان الفلكي يكتب تقويما للسنة ثم يستخرج منه في كل شهر تقويما لغرض من الأغراض كسهولة المراجعة مثلا . ومن الناس من كتب تقويما لألوف من السنين فاذا كتب تقاويم أخرى للاعوام عاما عاما أو للشهور شهرا شهرا وقال قائل ان فلانا كتب تقويما لخمسة آلاف عاما ثم قال في سياق آخر انه كتب تقويما للسنة فهل يقال ان هذين القولين متناقضان ؟ كلا إنما يقول ذلك الجاهل الذي يفهم معنى التناقض

وثاني قولي الاصوليين ان المقيد يقيد المطلق كما قالوا في الامر باعتاق القاتل رقبة مؤمنة انه يقيد أمر الحانث باليمين باعتاق رقبة لم تقيد بأنها مؤمنة . ومن امثلة ذلك ان يكتب المؤرخ أو صاحب الجريدة ان فلانا صار عالما وألف كتابا نفيسا

ثم يكتب في وقت آخر: ان فلانا قد ألف كتابا في علم البيان: فيحمل هذا على ذلك ويقال انه أراد بالكتاب المطلق كتاب البيان. والامثلة في كل من القولين كثيرة ويختلف الترجيح باختلاف الوقائع والاحوال

ثم نقول (ثانيا) انه لايصح للعاقل أن يجعل رأي بعض المفسرين ولا جمهورهم حاكما على الكلام الذين يفسرونه اذا كان يرى ان الكلام لايدل عليه. وظاهر لكل من يعرف العربية انه لايوجد في آية من الآيات مايدل على التقدير السنوي لا بمنطوق الآيات ولا بمفهومها ولكن جرت عادة المفسرين بأن يذكروا في كل موضوع ما يتعلق به من الآراء أو الاحكام المروية عن السلف وائمة المذاهب مرفوعة أو موقوفة صحيحة أو ضعيفة كما يذكرون آراء النحاة في إعراب الآيات فمن يتعلق برأي أو رواية مما يوردونه في التفسير يرى آية أخرى تنافيه فيجعل هذا شاهدا على تناقض القرآن نفسه فهو كمن يتعلق برأي من آراء النحاة التي يوردونها يمنع أو يجيز حكما في الاعراب لاينطبق ذلك الحكم على آية أخرى غير التي أوردوه في إعرابها ثم يقول: إن هذه الآية مخالفة لتلك في الاعراب فهي غلط أو لحن: وما هي بمخالفة الا لرأي ذلك النحوي!

وبعد هذا كله نقول ان (القدر) في قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة القدر » معناه الشرف وهو المتبادر منه وليس معناه التقدير وقد قدم البيضاوي القول الاول في تفسيره وذكر الثاني بصفة التمريض (قيل) ومعنى الشرف فيها ظاهر فإنها الليلة التي بدئ فيها نزول القرآن فهي شرف للنبي عليه الصلاة والسلام ولقومه ولجميع المؤمنين كما قال تعالى في القرآن « وانه لذكر لك ولقومك » أي شرف لكم. وأي شرف أعظم من هذه الهداية الالهية العظمى. وأما قوله تعالى «تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » فمعناه أنهم يتنزلون من أجل كل أمر من أمور الوحي لامن أمور الخلق لأن سياق الكلام فيه لافي التكوين

وأما قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة مباركة - الى قوله - فيها يفرق كل أمر حكيم » فمعناه انه أنزل القرآن في ليلة مباركة والبركة فيها ظاهرة كما ان الشرف فيها ظاهر فهي ليلة القدر خلافا لبعض المفسرين الذين قالوا انها ليلة النصف من شعبان.

وقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » معناه انه يفصل فيها ويبين كل أمر من أمور الوحي لامن أمور الخليقة بدليل ان سياق الكلام في انزال القرآن وبدليل الآية التي بعدها وهي « أمرا من عندنا انا كنا مرسلين » فبين ان هذه الأمور هي التي تختص بارسال الرسول صلى الله عليه و آله وسلم

واعلم انه قد ورد في تفسير هذه الآية ان الملائكة تكتب فيها الأقدار ولكن هذا ليس منصوصا في الكتاب العزيز ولافي الحديث المتواتر فيكون قطعيا والاعتقاد به محتما ولا في الاحاديث المرفوعة الصحيحة الآحادية فيكون ظنيا والاعتقاد به من الاحتياط وانما ورد عن بعض الذين اشتهروا بالتفسير من السلف ورويت عنهم فيه الموضوعات والاكاذيب حتى قال الامام أحمد انه لايصح في التفسير شيء ، وأقوى ماروى في ذلك مارواه عبد الرزاق وغيره عن مجاهد وعكرمة وقتادة . وقد علمت أن المعترض قد سقط بشبهته سواء صح ذلك عن هؤلاء المفسرين أم لم يصح « فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون * فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين »

باب الاسئلة والاجوبة

(بيان القرآن و بلاغته ومايوهم غير ذلك)

(س ١) الشيخ احمد محمد الالفي بطوخ القراموص : كيف الجمع بين قوله تعالى « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقوله تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا »

(ج) راجعوا ماكتبه الاستاذ الامام في الجمع بين الآية الاولى وبين قوله تعالى « قل كل من عند الله » في الصفحة ١٥٧ من مجلد المنار الثالث

(س٢) ومنه : كيف الجمع بين قوله تعالى في أوائل السور : حم : الر : ن : ق : وقوله « عربي مبين » وقوله « تلك آيات الكتاب المبين — قرآنا عربيا غير ذي عوج » الخ :

(ج) ان « حم » و نظائرها أسماء للسور على الراجح عند المحققين ودلالة الاسم على المسمى بينة لاعوج فيها وأنتم تعلمون ان الاسماء لاتعلل فلا يقال : لماذا سميت السورة المعلومة (ن) فان كانت سميت به لذكر الحوت فيها والنون من أسماء الحوت فلماذا

سمي غيرها باسماء حروف مفردة ومركبة لا يعرف لها معنى غير تلك الحروف ؟ لا يقال هذا لاننا اذا جوزنا ان يقال لقيل فى جميع الاسماء ولذلك قالوا : الاسماء لا تعلل : وأما الذين يقولون بان لتلك الحروف اشارات لمعاني سامية تعلو أفهام العوام ولا يعرفها الا الراسخون من العلماء الربانيين فقولهم هذا ـ اذا صح ـ لا ينافي انها أسماء للسور وان القرآن مبين وظاهر يتيسر لكل من يعرف اللغة العربية مفرداتها وأساليبها ان يفهمه ويهتدي به . ومثال هذا فى المحسوسات الاهرام فان جميع المؤرخين والقارئين للتاريخ يعرفون الغرض منها ثم ان الرياضي منهم يستخرج من مساحة أضلاعها وهيئة أوضاعها مالا يعرفه غيره ممن عرف معناها والغرض منها ولم يعلم ان تلك الاطوال والعروض وضعت بالمقادير المخصوصة لتدل على مقاييس البلاد فى الزمن الذي بنيت فيه وغير ذلك. فكل ما يمكن استخراجه من القرآن بطريق معقول فلا ينبغي ان يتوقف في قبوله لانه لم يهتد اليه الا بعض الخواص. وأما الذي لا يقبل فهو ما كانت دلالته على معناه غير وضعية ولا عقلية كاستخراج المعاني من هذه الحروف بالعدد الذي يسمونه حساب الجمل . وهذا المعنى الذي قلناه ظاهر عند أهله فى العلوم العالية المشروحة في القرآن وأعني العلوم الالهية والغيبية فان آياتها ظاهرة للعارف باللغة فهي فى غاية البيان ووراءها معان أخرى يعرفها بعض الخواص وهي توافق المعاني الظاهرة وتزيد عليها بما لا يخالفها ولكنه يدق عن أفهام العامة . وهذا ضرب من ضروب اعجاز القرآن لعلنا نوفق لشرحه في وقت آخر ، نعم ان كون القرآن مبينا لا يمكن ان يجامع القول بالتقليد الذي يزعم أهله ان الكتاب والسنة المبينة له لم يفهمهما الا نفر ماتوا ولا يمكن ان يوجد بعدهم من يفهمهما

(س ٣) ومنه : ان كثيرا من المسيحيين لهم القدح المعلى في اللغة والبلاغة ومع ذلك لم يعترف باعجاز القرآن مع ما فيه من أسرار البلاغة وضروب الاحكام والحكم وبديع المعاني والبيان مما جعل عرب زمن التنزيل في دهشة منه واعترفوا باعجازه ومن كفر فانما كفر عن حسد وعناد. ومع ذلك ترى هذا المسيحي الأديب الفصيح متمسكا بالنصرانية فيقول : لاريب ان المسيح (عليه السلام) إله وانسان وخالق ومخلوق وعابد ومعبود ورب وعبد ومخلص ومصلوب وبارّ وملعون (١) وآب وابن

(١) فى التوراة ملعون كل من يصلب على خشبة ويزعم النصارى ان المسيح قبل اللعنة لاجل خلاص الناس

وروح قدس فهو ثلاثة حقيقة وواحد حقيقة : الى غير ذلك من ضروب المتناقضات فهل لذلك من سبب ؟ ثم هو ينظر الى الكتاب المقدس نظر المغشي عليه فيغض الطرف عن تناقضه واختلافه وانقطاع اسناده ومخالفته لصريح العقل ومقبول النقل وفساد آدابه ثم يفتح عينيه لانتقاد القرآن الحكيم فيأتي بالمضحك والمبكي المحزن للانسانية والفضيلة والعدل والحرية في القول والعمل فهل لذلك من سبب أيضا :

(ج) السبب في هذا وذاك ان من ذكرتم قد اتخذو الدين جنسية ورابطة اجتماعية سياسية فهم يحافظون على العقائد والتقاليد والعادات الملية التي تربطهم بعامة أهل ملتهم اذ لو أهملوها لانحلت جامعتهم وصاروا بغير أمة وغير ملة . ولم ينظروا في الاسلام نظر إنصاف فيفهموه من أصوله لان المسلمين الذين اتخذوا الدين جنسية أيضا قد عادوهم عداوة لم يأذن بها الاسلام فكانت هذه المعاداة سببا في بحث كل فريق عن عيوب الآخر فقط لاعن حقيقة ماعنده. وأنتم تعلمون ان البدع والمنكرات الفاشية في المسلمين كافية لان تكون حجابا دون محاسن الاسلام حتى تحجب العاقل المنصف ، بله المعاند المتعسف ، فالعارفون بفنون البلاغة من النصارى قلما ينظرون في القرآن نظر إنصاف ومن نظر ولاح له أنه معجز فان العداوة الجنسية تمنعه من قول الحق لاسيما اذا كان يرى أن كون القرآن معجزا ببلاغته لايدل على كونه منزلا من عند الله تعالى وجاهم أو كلهم يرون ذلك . وقد وجد من أهل العلم والانصاف منهم من صرح بان القرآن قد بلغ حد الاعجاز في بلاغته كالمعلم جبر أفندي ضومط استاذ البلاغة في المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فانه قد صرح بذلك في فاتحة كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان)

هذا ـ وقد علمنا بالاختبار ان أكثر المتعلمين العقلاء من النصارى لايعتقدون بالتثليث ولا بشيء من الخرافات المعروفة عند قومهم بل منهم المتطرفون الذين لايعتقدون الا بالمحسوسات والبديهيات المعقولة. ولو أن المسلمين الذين يعيش معهم هؤلاء النصارى أهل نظر وبرهان ، واطلاع على علوم هذا الزمان ، لاأهل تقليد للاموات ، وتسليم بالخرافات ، وكانوا يعاملونهم بالانصاف ، ويجادلونهم بالتي هي أحسن ، لرأيت كثيرين منهم دخلوا في الاسلام ، ولرأيت من لم يدخل فيه ، يعترف بفضله ولا يعاديه ، وانني

أري أننا احوج الى حسن معاملتهم والقسط اليهم في هذا العصر منا الى ذلك العصور السابقة وان هـذا خير لنا ولهم في الدين والدنيا فعسى ان يوجد في عقلاء المسلمين كثيرون يسعون في هذه السبيل

(س ٤) محمد افندي عمر السمان بمصر: اختلف المفسرون في تفسير آيات القرآن الشريف اختلافات شتى وبين كل واحد لها معنى قلما يتفق مع الآخر وأغلبهم من علماء العربية العارفين بأسرارها ودقائقها فما معنى بلاغة القرآن مع انبهام معانيه حتى على الخاصة الذين هم أولى الناس بفهمه وهل يعد كلام بليغا اذا أنبهم معناه على سامعيه واختلفوا في فهم المراد منه طرائق شتى؟ نرجوان تفيدوا في ناركم الوضاح جواب هذا السؤال بعبارة يفهم كل القراء معناها، ولايخفى على الخاصه منهم مغزاها، ولكم الفضل:

(ج) نقول قبل كل شيء ان السائل قد غلا في تقرير الخلاف في فهم الآيات حتى زعم ان الاتفاق بين المفسرين العارفين بأسرار العربية قليل والصواب ان الخلاف بين المحققين العارفين هو القليل وأن الاكثر متفق عليه ثم ان الجواب يتجلى في مسائل نذكرها بالاختصار فنقول

(١) ان الغرض من البلاغة ان يبلغ المتكلم مايريد من نفس المخاطب وهو الفهم والتأثير وقد بلغ القرآن من نفوس من دعوا به الى الاسلام مبلغا لم يعهد مثله لكلام آخر عربي ولا عجمي وما ذلك الا انهم فهموا معانيه بدلائلها وبراهينها وتأثروا بحكمه ومواعظه حتى تركوا عقائدهم وتقاليدهم وعاداتهم التي كانوا يفاخرون بها وانشئوا خلقا جديدا وحتى كان المشاغبون المعاندون منهم لم يروا وسيلة للتخلص من تأثيره الا بالاعراض عن سماعه واللغو واللغط عند تلاوته حتى لايصل منه شيء الى نفوسهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله « وَقَالُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ » ولم ينقل عن العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن انهم اختلفوا في فهمه كما اختلف من بعدهم وإنما كان الراسخين في العلم كالخلفاء لاسيما رابعهم وكالعبادلة فهم أعلى من فهم سائر الناس كما فهم ابن عباس من سورة النصر ان النبي عليه الصلاة والسلام قد دنا أجله وان قوله تعالى « فسبح بحمد ربك واستغفره » نعي له واقره النبي على ذلك . ولا شك ان سائر الصحابة قد فهموا معنى السورة كما فهمها ابن عباس وهي

على بلاغتها وهذا الفهم الجديد من ابن عباس مزيد في البلاغة ودليل على ان لها مراتب متفاوتة ولا يمكن ان يكون الناس المتفاوتون في فهم كل شيء والعلم به يتفقون فى فهم القرآن والعلم به وهو أعلى كلام وأجمعه للمعارف العالية الالهية والنفسية والشرعية (راجع جواب السؤال الثاني)

(٢) ان علماء اللغة والبلاغة قد اختلفوا فى فهم كل كلام بليغ غير القرآن كالمعلقات السبع وغيرها مما يؤثر عن البلغاء فى الجاهلية والاسلام فلو كان اختلاف الافهام في الكلام ينافي بلاغته لما كان لنا ان نقول ان فى الكلام بليغا الا بعض الجمل البديهية من العامة الجهلاء كقولهم: أكلت رغيفا وشربت كوزا من الماء: وقد يختلفون فى فهم ماعدا البديهي من كلام العامي كما يختلفون فى فهم البديهي من كلام العالم بحمله على الكناية أو المجاز. واذا قرأت القرآن على عامي يعرف العربية ولو ممزوجة باللحن والدخيل وأنشدته قصيدة من شعر امرئ القيس أبلغ شعراء العرب لرأيته فهم من القرآن مالم يفهم من القصيدة وكان للقرآن فى نفسه الأثر الذى ليس للقصيدة مايدانيه، ومن هنا تعلم ان بيان القرآن عجيب، وان لكل من يعرف العربية منه نصيب،

ولكن تأخذ الاذهان منه على قدر القرائح والفهوم

(٢) ان أكثر ماتعهد من الخلاف في التفسير سببه ان المختلفين لم يحاولوا فهم القرآن بذاته وإنما حاولوا تطبيقه على مذاهبهم فى النحو والبلاغة والكلام والفقه حتى كأن مذاهبهم هي الاصل الثابت ولا بد من تطبيق القرآن عليه ولو حاولوا فهمه بذاته وأعدوا له مزاولة أساليب اللغة ومعرفة متنها والاطلاع على السنة من غير تقيد بمذهب مخصوص لأن القرآن فوق المذاهب والآراء لكان خلافهم أقل ووفاقهم أكثر ولكان رجوع أحد المختلفين الى الوفاق بعد النظر فى دليل الآخر قريبا. فالتقليد فى الدين وفي قوانين اللغة هو منشأ البلاء الأعظم في الخلاف. وله أسباب أخرى مفصلة فى كتاب (الانصاف، في أسباب الخلاف) وهو كتاب نفيس يطلب من ادارة المنار وثمنه ٣ قروش وأجرة البريد نصف قرش

فعلم مما قلناه ان الخلاف دون ماقال السائل وانه لاينافي البلاغة قل أو أكثر. ولو كان الخلاف في الكلام هل هو صحيح أو غير صحيح وهل هو بليغ أو غير بليغ وكان

كل ذي قول يورد الادلة على تأييد رأيه لكان للجاهل ان يشك فى بلاغته لانه علم ان أهل الشأن اختلفوا فيها وهو غير قادر على الترجيح . والامر في القرآن على غير ذلك فقد أجمع بلغاء العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن على اعجازه وكذلك العلماء بالعربية الذين أخذوها بالصناعة فلم يبق للجاهل عذر بعد العلم بان هذه مسألة لا نزاع فيها عند العارفين بهذا الشأن والله أعلم

باب التربية والتعليم

مضار تربية النساء الاستقلالية

كتبنا من قبل في بيان مضار استقلال النساء بتربيتهن كتربية الرجال وإقناعهن بأنهن مساويات لهم من كل وجه فان هذا أمر مخالف لسنن الفطرة التي بينها دين الفطرة فى كتابه السماوي فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » أي ان المساواة بين الزوجين واجبة في الحقوق مع حفظ حق سيادة المنزل للرجل . وقد أوردنا الشواهد والامثلة عن أهل أوروبا لاسيما نساء الانكليز على وجوب جعل المرأة تحت سيادة الرجل وعلى كون التربية عندهم صارت تعارض ذلك . وقد رأينا عنهن شاهدا جديدا فى هذه الايام وهي ان النساء الكاتبات الفاضلات اللواتي تربين وتعلمن في هذا العصر طفقن يكتبن في الجرائد منتقدات شاكيات من تربية بناتهن تربية جعلت همهن محصورا فى الزينة والولوع بصرف الاوقات فى المتنزهات حتى صار يثقل عليهن مساعدة أمهاتهن فى تدبير المنزل . وقد نقل المقطم نبذة من ذلك الى العربية عنوانها (حرب سجال) نوردها هنا تأييدا لقولنا وهي

«في انكلترا الآن حرب أقلام ثار عجاجها على صفحات الجرائد الانكليزية بين الامهات وبناتهن ورب قلم احد من السنان وامضى من الحسام . وقد كانت الامهات البادئات بالعداء فان أما منهن رأت من بناتها تقصيرا فى قضاء الواجبات المنزلية المفروضة عليهن وميلا الى عصيان كل أمر تصدره اليهن فهالها طغيانهن وتهاملهن وضاقت ذرعا عن كبح جماحهن فاستغاثت بالجرائد وبعثت برسالة الى احدى الجرائد المشهورة

بامضاء « أم خائبة الامل » وهذا نصها بعد الديباجة

« أريد أن أعلم آراء قراء جريدتكم فى هـذه المسألة . فان لي ثلاث بنات عمر الصغرى منهن ١٧ والـكبرى ٢١ وقد تعلمن فى مدارس معروفة وأكملن دروسهن ولزمن البيت . وزوجي متقلد منصبا حسنا فلا حاجة بهن الى احتراف حرفة يرتزقن منها . ولـكن أملي بهن خاب لمـا يبدين من الميل الى الحرية والاستقلال فبدلا من ان يساعدنني ويتفكرن فيّ تراهن لايتفكرن في غـير أنفسهن وملاذهن كالالعاب الرياضية وغيرها مما هو خارج عن دائرة الاشغال المنزلية ويكرهن البقاء في المنزل ايام استقبال الزائرين ورد الزيارات معي قائلات ان ذلك من قبيل اضاعة الوقت وهنّ يسخرن باذواقي ويعددنها اذواقا قديمة ليست حسب الاذواق الحـديثة ولا يزلن يتعلمن الموسيقى الى الآن فيقضين نصف النهار في التمرن عليها

« هذا واني لست أريد معارضتهن فى كل شيء ولكنني أريد أن أعلم ان كانت بنات الناس كذلك ومما لم استحسنه فيهن استعمالهن كلمات زقاقية وعبارات الغلو والمبالغة فى حديثهن . فهل توافقني سائر الامهات على ان هذه هي (مودة) هذا الزمان »

وكأن هذه الرسالة جرأت الامهات على مالم يجترئن عليه قبلها فبعثن بالرسائل تباعا الى ادارة الجريدة يشكون أمورا كثيرة يأتيها بناتهن مما ينكرنه عليهن . فنذكر بعضا للتفكهة قالت احداهن :

« اني اوافق على كل ماقالته صاحبة الرسالة الممضاة بامضاء « الام الخائبة الامل » فاننا كلنا في « الهوى سوى » وان للبنات حرية زائدة هذه الايام في العمل والـكلام فاذا قاطعتهن انتقمن لانفسهن برد جوابات فيها مافيها من الصلف والوقاحة . وهذا اختبار أم أخري خاب أملها » . وقالت غيرها :

« اخشى ان ماتشعر به (الأم الخائبة الامل) يكون مطابقا لشعور الامهات في جميع العالم وهو دليل على انحطاط الشعور القديم من نحو العائلة وانتشار « المودة » الجديدة وهذا آفة على التهذيب القديم الذى كان أمهاتنا يعتقدن بقوة تأثيره فينا » وقالت أخرى :

انى أشارك الام الخائبة الامل فى ما تراه وتشعر به وأقول ان تمرد البنات شر متفاقم تشعر الامهات بضرره الشديد . فان الامهات حاولن تربية بناتهن على مثل ما ربين

عليه أيام كانت الحشمة الحقيقية ناتجة عن رقة الشعور واحترام الآخرين . ولكن تلك الافكار امست قديمة مبتذلة الآن فبات البنات لايحترمن امهاتهن ولا يخضعن لهن . بل يفعلن مايردن غير مكترثات لآراء والديهن . فما هي نتيجة ذلك ياترى . وكيف تربي أولئك البنات أولادهن متى تزوجن»

هذا مثال الرسائل التي أرسلها الامهات يعترضن فيها على سلوك بناتهن ووافقهن أخ أرسل رسالة بامضاء «أخ مشمئز» قال فيها: ان هـذا العصر هو مايسمونه عصر «التقدم» و«تساوي الجنسين» وغير ذلك من الاسماء فكانت نتيجته «المرأة الجديدة» التي نراها الآن بعيوبها الكثيرة:

وماكادت هذه الرسائل تنشر حتى استشاطت البنات حنقا وارسلن الرسائل تترى الى الجريدة المذكورة جوابا على شكاوى الامهات ونصرهن بعض الآباء والامهات كما سيأتي . وهاك أجوبة بعض البنات قالت احداهن بامضاء «ابنة مضطربة»

«أنا ابنة مدركة سن الرشد وأحوالي على ماوصفت «الام الخائبة الامل» في رسالتها ولا شيء يسرني مثل مساعدة والدتي على تدبير المنزل وتخليصها من همومه الكثيرة ولكنها لا تعتمد عليّ في عمل من أقل الاعمال لانها تعتقد ان لا أحد يحسن عملا الا اذا كانت يدها فيه وهي تراقب عمله . وعليه عدلت عن الاهتمام بتخليصها من عناء الاشغال والاعمال المنزلية لاني وجدت الاهتمام يضيع سدى. فكيف تؤمل الامهات ان تثق بناتهن بهن مادمن لايثقن ببناتهن وهل يستغرب من البنات الاهتمام بما هو خارج البيت اذا كنا لايجدن فيه من يهتم بهن ويعطف عليهن»

وكتبت بنت كتابا طويلا بالاصالة عن نفسها والنيابة عن اخواتها قالت فيه ماملخصه:

«ان معظم بنات هذه الايام يقضين عدة سنوات في المدارس يلعبن فيها ألعابا مختلفة لترويض أجسادهن ومتى خرجن منها ودخلن البيت ينتظر أمهاتنا منا ان نكون رفيقاتهن وان لا نعمل عملا سوى الاهتمام بشؤن المنزل فشتان مابين جلوسنا في غرفة الاستقبال نسمع انتحاب أمهاتنا وزائراتهن من فساد أمر البنات في هذا الزمان وحديثهن الدائم عن الخدمة والخادمات وبين التنزه على ضفة النهر أو لعب الالعاب الرياضية

«ولسنا نقصد أن نكون محبات لانفسنا ونقضي العمر بالتمتع بنعيم هذه الحياة فقط بل

اننا ندخل البيوت مشتاقات الى مساعدة امهاتنا مستعدات لتعلم الاعمال والاشغال البيتية ولكننا نريد ان نقوم بالواجب علينا على الطريقة التي نحبها ونهواها . فكل يوم نرى شيئا جديدا نحب اقتباسه وادخاله الى منزلنا ولكن أمهاتنا يعارضننا بدلا من أن يوافقننا على أذواقنا قائلات ان العجب لا يعجبنا واننا لا نستحسن شيئا فى البيت بل نجد عيبا في كل شيء ونرى منازل الآخرين احسن من منازلنا . مثال ذلك ان أكثر البنات مولعات بترتيب الازهار التي توضع على مائدة الطعام وفي غرف الاستقبال فيرتبنها وينظمنها على أذواقهن ولكن أمهاتهن يغتنمن فرصة غيابهن ويقحمن بين تلك الازهار الجميلة المتناسقة ازهاراً ذات الوان لا توافق الذوق السليم فيضيع تعب البنات سدًى

«وأكثرنا ينتظر بسرور مجيء اليوم الذي نصبح فيه ربات منازل مستقلة فتكثر همومنا ومشاغلنا ويأتي دورنا للزيارات وردها فلماذا هذه العجلة الآن »

أما الامهات اللواتي انتصرن لبناتهن فمنهن أم كتبت كتاباً بامضاء (أم مسرورة شكورة) قالت فيه «لما قرأت كتاب «الام الخائبة الامل» حزنت عليها فقد مرت بي سنون وهموم وشقاء من شراسة زوجي ولكن بنتي كانت تعزيتي وقوتي على احتمال مصيبتي وقد عرض كثيرون من الاصدقاء والاقارب ان يأخذوها معهم فى أسفارهم للتنزه ومشاهدة هذا العالم واتهموني بحب الذات لاني لا أسمح لها بالابتعاد عني ولكنني اؤكد لكم انني لم اجبرها على عمل شيء بل تركتها تفعل ماتشاء»

ومنهن أم كتبت رسالة بامضاء (أم راضية) قالت فيها: «ان لي اربع بنات لا يتأخرن عن مساعدتي حينما اشاء ولكنني لا اطلب منهن الشيء الكثير لان للشباب مطالب لا يصح الاغضاء عنها فبعض الامهات يطلبن من بناتهن اموراً كثيرة وقلما يخطر ببالهن ان الالعاب والملاهي لازمة لهن وعندي انه يكفي البنات ان يشتغلن بجمع الازهار وتنسيقها وترتيبها ونفض أثاث البيت من الغبار الا اذا اضطرت الحال الى اكثر من ذلك»

أما الاب الذي انتصر للبنات فقد عدل فى حكمه ولم يجر فاعترف باهمال البنات وتطرفهن ولكنه نسب ذلك الى اهمال الامهات حيث قال: لو عرفت الام الخائبة الامل كيف تعلم بناتها عمل الواجب عليهن لما احتاجت الى كتابة رسالتها فان البنات يربين هذه الايام تربية مطلقة من كل قيد ويعطين كل ماتشتهيه نفوسهن . فينكر الوالدون أنفسهم حبا بهن

ولكنهن لا يفهمن معنى انكار النفس فيشبين وقد تعودن طلب كل شيء بالامر والنهي كأن لهن حقا شرعيا فيه بدلا من ان يطلبنه طلبهن للمعروف • فاي حق لفتاة سنها ١٧ سنة فى الاعتراض على شيء من الاشياء انما يجب عليها ان تفعل مايطلب منها واما الالعاب فاذا رأى الوالدون اقل ضرر منها لم يصعب عليهم منع أولادهم من لعبها بالامتناع عن أعطائهم الدراهم لمشترى لوازمها ويحسن بهم ان يهدوا تلك الالعاب الى ذوي السلوك الحسن من أولادهم ويعودوهم ان يحصلوا عليها بتعبهم بدلاً من ان يأخذوها كأنها حق طبيعي من حقوقهم : » اه المراد وبقي في المقطم قول لبعض الشعراء اهملناه

(المنار) يجب أن تربى البنت لتكون زوجة، ويجب ان تكون زوجة لتكون أما . وهي لاتكون زوجة الا اذا أراد الرجل، ومن مصلحة الرجل ان تكون زوجته أما، ولا تصلح ان تكون أما الا اذا تربت على الاعمال المنزلية وتربية الاطفال . والمدرسة الطبيعية التي تربيها وتعلمها أعمال الامهات هي بيت أبيها الذى تدبر أعماله أمها . فالبنت التى ترى الحرية والاستقلال يبيحان لها ترك البيت وصرف الاوقات فى الملاهي والمتنزهات ومخالفة والدتها في ماتأمرها به بلسان المقال أو بلسان الحال من القيام بالامور المنزلية هي كالتلميذ الذي يستبيح ان يترك المدرسة اذا شاء، ويتعلم فيها ما شاء ويعصى ناظرها واساتذتها متى شاء . فمن يقول ان هذا التلميذ يفلح فى اتباع هواه فليقل ان تلك البنت تفلح في اتباع هواها

غلط الافرنج فى محاولة جعل النساء كالرجال في تمام الاستقلال ومغبة غلط الامم لا تظهر الا بعد زمن طويل وها هو قد نجمت نواجمه في قلة النسل وفى اهمال النساء والبنات البيوت اهمالا يفسد شأنها وفى كثرة طلب الطلاق وفى قلة التزوج والاستغناء عنه بالفسق . ومن أعجب أنواع هذا الظهور شكوى الامهات من البنات مع شدة حبهن لهن وعنايتهن برفاهتهن وراحتهن ومع مبالغتهن في إظهار محاسنهن واخفاء مساويهن . ولا بد ان تحمل هذه المضرات القوم على تدارك الامر والاجتهاد فى جعل البنت تحت سيطرة امها وأبيها فى البيت ليكون ذلك مقدمة لسيطرة زوجها عليها من غير ان يثقل ذلك عليها

اما ما قرأت من مدح بعض الامهات لبناتهن فهو موافق لانتقاد الشاكيات من الحرية وتمام الاستقلال . هكذا تظهر الحوادث بعد تجارب القرون ان تهذيب القرآن وتعليمه فوق كل تهذيب وتعليم ، وما ذلك الا لأنه تنزيل من لدن حكيم عليم ،

آثار علمية ادبية

نموذج من دلائل الاعجاز

قال المصنف فى سياق إثبات ان البلاغة والفصاحة للنظم لا للكلم المفردة مانصه:

وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمله وإدلالهم به ـ أبو حية النُّمَيري:

ان القصائد قد علمن بأنني ... صَنَعُ اللسان بهن لا أتنحل (١)
واذا ابتدأت عروض نسج ريض ... جعلت تذل لما أريد وتسهل (٢)
حتى تطاوعني ولو يرتاضها ... غيري لحاول صعبة لاتقبل

تميم بن مقبل

اذامت عن ذكر القوافي فلن ترى ... لها قائلا بعدي أطبّ وأشعرا
وأكثر بيتا سائرا ضربت له ... حزون جبال الشعر حتى تيسرا
أغر غريبا يمسح الناس وجهه ... كما تمسح الايدي الاغرّ المشهرا

عدي بن الرِّقاع

وقصيدة قدبت أجمع بينها ... حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها (٣)

كعب بن زهير

فمن للقوافي شانها من يحوكها ... اذاماتوى كعب وفوّز جرَول (٤)

(١) يقال لمن سرق شعر غيره تنحله وانتحله (٢) العروض الناقة التي لم ترض. وعروض الشعر معروف. والريض بتشديد الياء المكسورة الدابة أول ماتراض وهي صعبة يستوي فيه المذكر والمؤنث (٣) المثقف بكسر القاف المشددة مقوم الرماح والثقاف بالكسر آلته الخشبية التي يثقف بها والمنآد المائل المنحني. والسناد في البيت الاول عيب القافية قبل الرويّ (٤) شانها عابها وتوى هلك وفوّز مات وجرول لقب الحطيئة الشاعر الهجاء وجملة «شانها من يحوكها» دعاء

يقوّمها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل مايتمثل

﴿ بشار ﴾

عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاص ضياء العين للعلم رافداً لقلب اذا ماضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ماأحزن الشعر اسهلا(١)

﴿ وله ﴾

زَورُ ملوك عليه أبهة يغرف من شعره ومن خطبه(٢)
لله ما راح فى جوانحه من لؤلؤ لاينام عن طلبه
يخرج من فيه للنديّ كما يخرج ضوء السراج من لهبه(٣)

﴿ أبو شريح العمير ﴾

فان أهلك فقد أبقيت بعدي قوافيَ تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس لارتدينا

﴿ الفرزدق ﴾

بلغن الشمس حين تكون شرقا ومسقط قرنها من حيث غابا
بكل ثنية وبكل ثغر غرائبهن تنتسب انتسابا(٤)

(١) أحزن صار فى الحزن وهو بالفتح ضد السهل واسهل ضد احزن (٢) الزور الزائر يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد وغيره لانه مصدر في الاصل(٣) النديّ كالنادي مجلس القوم للحديث نهارا (٤) الثنية واحدة الثنايا وهي الاسنان الاربع . وطريق العقبة. والثغر الفم أو الاسنان في منابتها. وكل فرجة في جبل أو بطن واد وطريق مسلوك ثغر. يقول ان قوافيه طافت الخافقين فبلغت مطلع الشمس ومغربها ولم تدع طريقا في عقبة أو جبل الاسلكته ، ولا واديا الاهبطته، فاي مكان اشرفت عليه، رأيتها فيه تنتسب اليه ، أويقول ان كل فم ينشدها ؛ وكل ثغر يتزين بالتمثل بها ، ويريد من الثغر الفم

﴿ ابن مياده ﴾

فجرنا ينابيع الكلام وبحره ... فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر الا شعر قيس وخندفٍ ... وشعر سواهم كلفة وتملح

وقال عقال بن هشام القيني يرد عليه:

ألا بلغ الرماح نقض مقالة ... بها خطل الرماح أو كان يمزح
لقد خرق الحي اليمانون قبلهم ... بحور الكلام تستقى وهي طفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا ... وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فللسابقين الفضل لا تجحدونه ... وليس لمسبوق عليهم تبجح

﴿ أبو تمام ﴾

كشفت قناع الشعر عن حر وجهه ... وطيرته عن وكره وهو واقع
بغر يراها من يراها بسمعه ... ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع
يود ودادا أن أعضاء جسمه ... اذا أنشدت شوقا اليها مسامع

(وله)

حذاء تملأ كل أذن حكمة ... وبلاغة وتدر كل وريد
كالدر والمرجان ألف نظمه ... بالشذر فى عنق الفتاة الرود
كشقيقة البرد المنمم وشيه ... فى أرض مهرة أو بلاد تزيد
يعطي بها البشرى الكريم ويرتدي ... بردائها في المحفل المشهود
بشرى الغني أبي البنات تتابعت ... بشراؤه بالفارس المولود

﴿ وله ﴾

جاءتك من نظم اللسان قلادة ... سمطان فيها اللؤلؤ المكنون

أحذا كما صنع الضمير يمده جفر اذا نضب الكلام معين (١)

أخذ لفظ الصنع من قول أبي حية بأني * صنع اللسان بهن لا أتنحل *
ونقله الى الضمير وقد جعل حسان أيضا اللسان صنعا وذلك في قوله :

أهدى لهم مِدَحاً قلبٌ مُؤَازِرُهُ فيما أحبَّ لسانٌ حائك صَنَع

ولابي تمام

اليك أرحنا عازب الشعر بعد ما تمهل فى روض المعاني العجائب
غرائب لاقت فى فنائك أنسها من المجد فهي الآن غير غرائب
ولو كان يفنى الشعر افناه ماقرت حياضك منه فى السنين الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

﴿ البحتري ﴾

ألست الموالي فيك نظم قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل انجما
ثناء كان الروض منه منورا ضحى وكان الوشي منه منمنما

﴿ وله ﴾

احسن أبا حسن بالشعر اذ جعلت عليك أنجمه بالمدح تنتشر
فقد أتتك القوافي غب فائدة كما تفتح غب الوابل الزهر

﴿ وله ﴾

اليك القوافي نازعات قواصد يُسَيَّرُ ضاحي وشيها وينمنم (٢)
ومشرقة فى النظم غر يزينها بهاء وحسنا أنها لك تنظم (٣)

﴿ وله ﴾

---

(١) أحذا كما اعطا كما والجفر البئر (٢) يسير — يجعل كوشي السيراء وهي ضرب من الحال
(٣) وفى نسخة يزيدها بدل يزينها

بمنقوشة نقش الدنانير ينتقي لها اللفظ مختارا كما ينتقي التبر

﴿ وله ﴾

أيذهب هذا الدهر لم ير موضعي ولم يدر مامقدار حلي ولا عقدي
ويكسد مثلي وهو تاجر سؤدد يبيع ثمينات المكارم والمجد
سوائر شعر جامع بِدَدَ العلى تعلقن من قبلي وأتعبن من بعدي
يقدر فيها صانع متعمل لاحكامها تقدير داود في السرد

﴿ وله ﴾

لله يسهر في مديحك ليله متململا وتنام دون ثوابه
يقظان ينتحل الكلام كأنه جيش لديه يريدان يلتى به
فأتى به كالسيف رقرق صيقل مابين قائم سنخه وذبابه (١)

ومن نادر وصفه للبلاغة قوله:

فى نظام من البلاغة ماشك م أمرؤ انه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع مايخ لقه عوده على المستعيد
حجج تخرس الالدّ بالفا ظ فرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فادرك ن به غاية المراد البعيد
كالعذارى غدون فى الحلل الصف راذا رحن في الخطوط السود

---

(١) سنخ السيف بالكسر طرف سيلانه والسيلان بالكسر مايدخل منه فى القراب وذبابه حده الذي يضرب به

باب الأخبار والآراء

الاحتفال بتذكار عيد الجلوس السلطاني

في يوم الثلاثاء الماضي زينت حديقة الازبكية احتفالا بتذكار جلوس مولانا السلطان عبد الحميد خان على عرش السلطنة العثمانية (أيدها الله تعالى) وكان رئيس لجنة الاحتفال أحمد باشا المنشاوي. وقد أذاعت الجرائد بأن المال الذي يجمع لأجل الاحتفال ينفق منه على الزينة ويصرف مابقى منه الى إعانة سكة الحجاز فاقبل الناس على البذل وعلى شراء ورق الدخول في الحديقة وتبرع اسكندر افندي فرح صاحب جوقة التمثيل العربي بأن يمثل في الحديقة رواية صلاح الدين مجانا وتبرع كذلك الحاج حسن التوتي الذي تولى إقامة معالم الزينة بنصف الأجرة. لهذا ولقلة العناية بالزينة يرجى ان يكون مابقي من المال لاعانة السكة عظيما جداً فان الجمعية الخيرية الاسلامية تنفق أضعاف ماأنفقت اللجنة على زينتها ويبقى لها من الربح زيادة عن ألف ومئين من الجنيهات في كل عام

الاستاذ الامام في أوروبا

يسافر أكثر أمراء المصريين وكبار الموظفين منهم كل عام الى أوربا مصطافين فيقضون أشهر الصيف هناك في لهو ولعب وتمتع باللذات وخيرهم من يسافر لغرض صحيح كترويض جسمه بالاستحمام في الحمامات المعدنية وصعود الجبال أو لاختبار يفيده في صناعته التي بها قوام منافعه الشخصية ولم نسمع عن أحد منهم انه سافر لاختبار حال التربية والتعليم في تلك البلاد — التي أجمع علماؤها وعقلاؤها على أنهم ماسادوا الامم الا بالتربية والتعليم — والاستفادة من ذلك لتكميل نفسه والاستعانة على نفع قومه الا الشيخ محمدا عبده مفتي الديار المصريه فانه قد سافر من قبل غير مرة لتعلم أفصح لغات القوم (الفرنسية) فتعلمها وأحسنها ووقف بها على أهم معارفهم التي تعينه على ترقية أمته. وقد ولى وجهه في هذه السنة شطر المدارس الكلية التي يتخرج فيها كبار الرجال ليختبر شؤنها حتى اذا حقق الله تعالى له رجاءه بايجاد مدرسة جامعة في هذه البلاد يكون على بصيرة في كيفية تأسيسها ونظامها كما يرشد اليه قوله تعالى «أفلم يسيروا في

الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » وكما قال الشاعر :

قد سلك الطريق ثم عادا ليخبر القوم بما استفادا

وقد سبق له رؤية المدارس الفرنسية العالية وكان في بعض اسفاره قد أخذ إذنا من ناظر معارف فرنسا بأن يزور أي معهد من معاهد العلم في أي وقت شاء . ولما كانت التربية ونظام التعليم فى البلاد الانكليزية مفضلين عند علماء هذا الشأن من الفرنسيين على مثلهما فى سائر الممالك الاوربية سافر فى هذه السنة لزيارة أعظم مدارس هذه الدولة العظيمة وأعظمها كلية اكسفورد وكلية كمبردج

وقد ذكرت جرائد لوندرة هذه الزيارة وما كان من احتفال رجال العلم فى المدرستين واجلالهما للاستاذ واثنت الجرائد عليه بما هو أهله من العلم الواسع والعقل الكبير والهمة العالية وذكرت غير ذلك من تقلبه في البلاد كزيارته للفيلسوف سبنسر أعظم فلاسفة أوربا الاجتماعيين ونزوله ضيفا كريما على المستر ويلفرد بلنت فى قصر (كرايت بارك) . وقالت ان المستر كوكرنل قد صحب فضيلته فى زيارة مدرسة اكسفورد وأن الاستاذ بويل المؤلف الشهير كان دليلا له لانه من معلمي التاريخ فى تلك المدرسة وقالت انه لما زار مدرسة كمبردج خرج لاستقباله فى المحطة طائفة من اساتذتها وان المستر ادوار براون قد دعاه فيها الى طعام الغداء ودعا لاجله طائفة من الاساتذة وبعض المستشرقين وكبار المستخدمين وانه تناول طعام العشاء في قاعة المدرسة الكبرى . وذكرت تفصيل الزيارة بما لا حاجة الى بيانه هنا وقد لخصته الجرائد اليومية المصرية وذكرت ثناء الجرائد الانكليزية على معارف الاستاذ الواسعة

وقد كتب الدكتور ادوارد براون استاذ اللغتين العربية والفارسية في كلية كمبردج رسالة الى جريدة المؤيد ذكر فيها خبر الزيارة بنحو التفصيل الذي جاء في الجرائد الانكليزية ومما جاء فى رسالته قوله كما فى العدد ٤٠٤٢ من المؤيد :

«ولقد كان كل من في المدرسة فرحا مسرورا بزيارة هذا الرجل العالم العظيم . وأعجب بعلمه وفضله وسمو آرائه جميع العلماء والعظماء وتمنوا لو أقام بينهم زمنا طويلا . وفي اعتقادي ان فضيلة المفتي قد شرف الشرق وعلماءه في هذه الديار » اه

فالحمد لله الذي جعل فينا من نفتخر به أمام كبار رجال العلم في أوربا الذين يرون الشرق وأهله فى ظلمات من الجهل لا يبصرون

وقد ذكرت الجرائد الانكليزية ان المفتي سافر من انكلترا قاصدا فرنسا ليسافر منها الى تونس والجزائر . وهذا ما كنا علمناه من هناقبل سفره وقدكان عازما على ان ينتهي الى بلاد اسبانيا (الاندلس) حيث كانت تلك الدولة العربية التي أفاضت العلوم على أوربا فانتقم منها التعصب فافناها عن آخرها ولا ندري هل بقي من زمن اجازته مايكفي لذلك أم يعود من تونس الى بلاده التي ظمئت لمعارفه؟ كان الله له وأيده بروحه حيث كان، ومد في أجله حتى يرتقي بهذه الامة الى أعلى ما في عالم الامكان.

﴿ مكانة القسطنطينيه بمكانها ﴾

لهذه المدينة بموقعها ومكانها امتياز على سائر بقاع الارض وهي أنها ملجأ وحصن بحري طبيعي لانظير له في بحار الدنيا فطبيعة المكان توجب على صاحبه ان يكون صاحب قوة بحرية لاتساويها قوة كما توجب طبيعة الارض الخصبة على صاحبها ان يكون غنيا بزراعته وصاحب الارض المدنية ان يكون غنيا بتجارته . فاذا أهمل صاحب الارض الخصبة زراعتها واشتغل عنها بشيء آخر فان شريعة العمران تقضي بنزعها منه وقاضي الزمان ينفذ حكمها عند حلول الاجل الموافق له . وكذلك كل من قصر في استعمال ماوهبته له طبيعة الوجود

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته كذاك من لايسوس الملك ينزعه

لهذا قلنا في المقالة التي كتبناها في الجزء الحادي عشر إنه يجب على الدولة العلية أن تكون في مقدمة الدول البحرية بان تكون أساطيلها كاساطيل فرنسا وقلنا انها اذا عجزت عن ذلك فانها لافائدة لها من هذا الحصن فلتتركه طوعا بفائدة لئلا تتركه كرها بدونها. واذا هي وفقت لذلك ولو بعد حين من شروعها الذي يجب ان يكون عاجلا فانها بذلك تحفظ مجدها بل تعيد مافقدت منه حتى تكون في مقدمة دول الارض (ان شاء الله) لان أساطيل كاساطيل فرنسا لها حصن عظيم كبحر مرمرة يسهل ان يكون صاحبها مالك البرين (بري اوربا وآسيا) والبحرين (الابيض والاسود) ويصعب على من له قوة كقوته في البحر ان يناوئه فان صاحب الحصن البحري العظيم يلجأ عند الضيق باساطيله الى حصنها حتى يأخذ أهبته فيخرج مهاجما ومن لاحصن له لاملجأ له فهو إما مغلوب وإما غير غالب

﴿ موسيو روا الكاتب العام للدولة التونسية ﴾

جاءنا من تونس أن قد صدر الامر بتثبيت موسيو روا في منصبه السامي بعد ماأشيع بان سينقل من تونس وقد سرت النابتة التونسية وجميع عقلاء المسلمين من تثبيته بل كتب

اليانان جميع التونسيين قد سروا بذلك ولا غرو فان هذا الرجل قد خص بمزية عظيمة وهي القدرة على الجمع بين مصلحة أمته الحامية وبين رضاء الامة المحمية فهو على صدقه في خدمة فرنسا يخدم تونس وأهلها الخدمة التي ترضيهم عنه وعن قومه وتؤلف بين القلوب . ولو ان عند فرنسا كثيرا من مثله في الجزائر لانحلت بحكمتهم المسألة التي يبحثون دائما عن طريقة مرضية لحلها وهي كيف يكون كل فريق راضيا من الآخر مرضيا عنده . وقد بينا في مقالة سابقة أنه لا طريقة لذلك الاحسن المعاملة والجمع بين المصلحتين وقد بلغنا ان موسيو روا يسلك هذا المسلك الحميد فنهنئ به تونس وفرنسا جميعا

﴿ البابية في بلاد فارس ﴾

جاء في بعض الجرائد الاوربية ان المسلمين في بلاد فارس قد احتموا على طائفة البابية وطفقوا ينكلون بهم ويسفكون دماءهم لاجل الخلاف الديني بينهم . وشبهت جريدة التيمس الانكليزية هذا التعصب بتعصب الروسيين على اليهود وذكرت من وصف البابية انهم يقربون في عقائدهم من الاوربيين وشنعت على الحكومة الايرانية لتقصيرها في حمايتهم

ونقول ان قياس التيمس البابية على اليهود قياس غير صحيح فان اليهود أصحاب دين قديم تعترف به جميع الامم ولكن النصارى والمسلمين يقولون ان المسيح ومحمدا عليهما السلام نسخا بعض أحكامه وأقرا بعضها فيجب عليهم الاخذ بآخر هداية جاء بها الوحي . وأما البابية فانهم قوم ارتدوا عن الاسلام وأحدثوا لانفسهم دينا وضعيا مؤلفا من أمشاج الوثنية والمدنية وهم يستخفون به ويظهرون في مظاهر النفاق ليتمكنوا من تشكيك أهل كل دين في دينهم ولا يزال دينهم سريا ولذلك يتمكنون من مخادعة أهل كل دين ولإقناعهم بأنهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم . ولقد علمنا من شابين غويين في مصر انخدعا لهذه الطائفة انهم لا يطلعون أحداً على كتبهم الاساسية كالبيان للباب والكتاب المسمى بالكتاب الاقدس للبهاء حتى الداخل فيهم جديدا

وكيف تطالب حكومة إيران بأن تطلق الحرية لقوم يثيرون شغب الاهالي بادعائهم الاسلام في الظاهر ودعوة الناس للاعتقاد بألوهية البهاء وعبادته في الباطن . اذا كانت الحرية الدينية في نظر التيمس محمودة فهل تنكر التيمس ان بعض أفراد الحرية في بعض البلاد تأتي بأعظم المضرات . بماذا تحتج انكلترا على عدم إطلاق الحرية في بلاد زنجبار؟ أليست حجتها أضعف من حجة إيران في عدم إطلاق الحرية لهذه الطائفة التي تشكك العوام في عقائدهم وتثير إحنهم وتخرج أضغانهم بحيث يخشى ان تقع البلاد في الفتن والثورات

الداخلية ؟ بلى ولكن التيمس لم تقل ماقالت حبا في الحرية وانما أرادت تنبيه حكومتها الى ان لها بابا مفتوحا يسهل عليها ان تدخل منه الى ماعساها تحب الدخول فيه

اذا كان للخبر حقيقة فلا أرى الان منشأه المشاغبة بين دعاة الدين الجديد وعوام المسلمين كأن يقول البابي للمسلم ان ربك البهاء دفين عكا فيحتمي عليه ويقول كلا بل ربي الله الحي" الذى لايموت ولايدفن وتنتهي المكالمة بالملاكمة فينتصر قوم هذا لهذا وطائفة ذاك له فكيف ترضى الحكومة بهذا ؟ وكيف تحاول جريدة التيمس ان تطالب الفارسي المتدين باخلاق الانكليزي أو الفرنسي الذى لايبالي بالدين؟

ومن هنا علمنا ان فرقا آخر بين اليهود والبابية وهو ان اليهود لايعرضون لتفنيد دين آخر ولا لدعوته الى دينهم بخلاف البابية فإنهم يعيبون على الناس دينهم وليس من مصلحة الحكومة ان تبيح لهم ذلك من جهة السياسة فكيف والدين يوجب عليها منعهم من تشكيك عوام المسلمين في الاسلام. وقد علمنا بعد كتابة مامر ان سبب الفتنة ان بعض البابة سب النبي عليه السلام علناً فافتى العلماء بقتله وهاج الناس ولجأ هو الى قنصل روسيا فمنعه من الناس ولكن الحكومة طلبته فسلمه القنصل وشنق وكان ذلك مبدأ الفتنة

أما زعم بعض الجرائد الاوربية ان دينهم منتشر وان أتباعه صاروا يعدون بالملايين فهو من الكذب الذى ينقل عن البابية أنفسهم فاننا رأينا أحد دعاتهم فى مصر يزعم ان منهم ملايين فى إيران وملايين في الهند وقد سألنا بعض الايرانيين والهنديين عن ذلك فانكروه وقالوا انهم في الهند يزعمون ان أتباعهم في مصر يعدون بالالوف. واننا لم نر ولم نسمع ان أحدا من أهل مصر اتبعهم وانما رأينا شابين من شذاذ الآفاق يمدحانهم ويلهجان ببعض هذيانهم ولكنهما ينكران الدخول في دينهم فهما من منافقيهم . لهذا الكذب نرى بعض الناس فى شك من عددهم ومن كيفية نشأتهم فياليت أحد القراء الواقفين على تاريخهم من أهل إيران أوغيرهم يكتب لنا مجملا في تاريخهم من غير تجريح ولا ترجيح كما هوشأن المؤرخ المنصف .

واننا نود ان نكتب مقالات مفصلة في بيان بطلان هذه الديانة ولكننا لانقدم على ذلك الا بعد مطالعة كتابيهما اللذين اشرنا اليهما آنفا اذلا يصح ان نبني الحكم على ماسمعنامنهم لانهم فى كل يوم يغيرون ويبدلون فياليت أحد القراء في الهند وإيران يمن علينا بهذين الكتابين

الجزء الثالث عشر — المجلد السادس

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الثلاثاء غرة رجب سنة ١٣٢١ — ٢٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *

« راعنا » كلمة كانت تدور على ألسنة الصحابة في خطاب النبيّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمعنى الذي يصح ان يكون مرادهم هو: راعنا سمعك: وهو كأرعنا سمعك أي اسمع لنا ما نريد ان نسأل عنه ونراجعك القول فيه لنفهمه عنك أو راقبنا وانتظر الى ما يكون من شأننا في حفظ ما تلقيه علينا وفهمه: قال في مجاز الأساس: « وراعيت الامر — نظرت إلام

يصير ، وأنا أراعي فلانا ـ أنظر ماذا يفعل ، وأرعيته سمعي وأرعني سمعك وراعني سمعك ، :

وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن قول هذه الكلمة والمشهور في كتب التفسير ان سبب ذلك هو ان اليهود سمعوا هذه الكلمة فافترصوها وصاروا يخاطبون بها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لاوين ألسنتهم بها لتوافق كلمة شتم بلسانهم العبراني قيل كانوا ينطقون بها « راعينا » وقيل كانوا يريدون بتحريفها نسبته الى الرعونة . وفي سورة النساء « مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ » الآية .

﴿ الاستاذ الامام ﴾ ان هذا النهي له صلة وارتباط بشأن اليهود لامحالة لان الكلام لايزال في شؤنهم مع النبي والمؤمنين ولكن هذا لايستلزم ان يكون سبب النهي هو كون الكلمة تستعمل للشتم في العبرانية ولا أقول بهذا الا بنقل صحيح عمن يعرف هذه اللغة وللمفسرين وجوه أخرى في تعليل النهي فعن مجاهد وغيره ان معنى الكلمة (خلاف) والمراد لاتخالفوه كما يفعل أهل الكتاب ولكن اعترض على هذا الوجه بأن ليس له شاهد من اللغة . والمعروف فى اللغة ان « راعنا » من المراعاة وهي تقتضي المشاركة أي أُرعنا نرعك وفي خطاب النبي بذلك من سوء الادب ماهو ظاهر فالنهي عنها تأديب كقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » كأنه يقول لاتكونوا كهؤلاء الغلاظ القلوب الذين قصصنا عليكم خبرهم أو الذين عرفتم سوء أدبهم مع الانبياء بل اجمعوا بين الطاعة والادب

(قال) وهناك وجه آخر وهو انه يقال في اللغة: راعى الحمار الحمر: اذا رعى معها فيجوز ان اليهود كانوا يحرفون الكلمة بصرفها الى هذا المعنى فنهى المسلمين عن هذه الكلمة وشنع على اليهود باظهار سوء قصدهم فيها. وقد رضوا بصرف اللفظ الى هذا المعنى وان كان يتضمن انهم حمر لان السبّاب يسب نفسه كما يسب غيره فهو على حد قول القائل:

أقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا » وكلمة انظرنا تفيد معنى كلمة «راعنا» فان فيها معنى الانظار والامهال ويؤيد هذا المعنى قراءة « أنظرنا » من الانظار وفيها معنى المراقبة وهو ما يستفاد من النظر بالعين . تقول: نظرت الشيء ونظرت اليه: اذا وجهت اليه بصرك ورأيته وتقول نظرته بمعنى انتظرته ومنه «ما ينظرون الا صيحة واحدة» أذن الله تعالى لهم بهذه الكلمة «انظرنا» وأمرهم بالسماع للنبي ليعوا عنه ما يقول من الدين وهو أمر يتضمن الطاعة والاستجابة . ثم ختم الآية بقوله «وللكافرين عذاب أليم » لبيان أن ما صدر عن اليهود من سوء الادب في خطاب الرسول هو أثر من آثار الكفر الذي يعذبون عليه العذاب الموجع أشد الايجاع وللتنبيه على أن التقصير في الادب معه عليه السلام ذنب مجاور للكفر يوشك ان يجرّ اليه فيجب الاحتراس منه بترك الالفاظ الموهمة المساواة فضلا عما يوهم عدم الاحترام

أقول لا شك ان من يعامل استاذه ومرشده معاملة المساواة في القول والعمل يقل احترامه له وتزول هيبته من نفسه حتى تقل الاستفادة أو تعدم . واذا لم تزل الاستفادة منه من حيث كونه معلما فانها تقل وتزول لا محالة من

حيث كونه مربيا لان المدار فى التربية على التأسي والقدوة ومن أراه مثلي لا أرضاه إماما وقدوة لي فان رضيته بالمواضعة والتقليد وكذبتني المعاملة فأي قيمة لهذا الرضى والعبرة بما فى الواقع ونفس الامر وهو أن من اعتقد ان امرءًا فوقه علما وكمالا وأنه فى حاجة للاستفادة من علمه وارشاده ومن أخلاقه وآدابه فإنه لايستطيع ان يساوي نفسه به فى المعاملة القولية ولا الفعلية الا ما يكون من فلتات اللسان ومن اللمم، وعن مثل هذا نهي الصحابة رضي الله عنهم لئلا يجرهم الانس به عليه السلام وكرم أخلاقه الى اعتداء حدود الادب الواجب معه الذي لاتكمل التربية الا بكماله

﴿ الاستاذ الامام ﴾ إنما كان عدم الإصغاء لما يقوله الرسول عليه الصلاة والسلام وخطابه خطاب الاكفاء والنظراء مجاورا للكفر لانه يتكلم عن الله عز وجل لسعادة من يسمع ويعقل ويأخذ ما يؤمر به بالادب ويسأل عما لا يفهمه بالادب ومن فاتته هذه السعادة فهو الشقي الذي لا يعدل بشقائه شقاء. ومعنى هذه المجاورة ان سوء الادب بنحو ماحكي عن اليهود فى سورة النساء هو من الكفر الصريح ولذلك قال بعده « ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا » فالألفاظ التي تحاكي الالفاظ التي توعدوا عليها بهذا الوعيد على أنها كفر اذا صدرت من المؤمن غير محرفة ولا مقصودا بها ماكانوا يقصدون تسمى مجاورة لالفاظ الكفر لانها موهمة وخارجة عن حدود الادب اللائق بالمؤمنين

(قال) ان لمن جاء بعد الرسول حظاً من هذا التأديب وليس هو خاصا بمن كان فى عصره من المؤمنين فهذا كتاب الله الذي كان يتلوه عليهم

وكان يجب الاستماع له والانصات لاجل تدبره يتلى علينا بعينه لم يذهب منه شيء وهو كلام الله الذي به كان الرسول رسولا تجب طاعته والاهتداء بهديه فما هو الادب الذي يقابله به الاكثرون ؟ إنهم يلغطون فى مجلس القرآن فلا يستمعون ولا ينصتون ومن أنصت واستمع فانما ينصت طربا بالصوت واستلذاذا بتوقيع نغمات القارئ وانهم ليقولون فى استحسان ذلك واستجادته مايقولونه فى مجالس الغناء ويهتزون للتلاوة ويصوتون باصوات مخصوصة كما يفعلون عندسماع الغناء بلافرق ولا يلتفتون الى شيء من معانيه الا مايرونه مدعاة لسرورهم فى مثل قصة يوسف عليه السلام مع الغفلة عما فيه من العبرة واعلاء شأن الفضيلة لاسيما العفة والامانة . أليس هذا أقرب الى الاستهانة بالقرآن منه بالادب اللائق الذي ترشد اليه هذه الآية الكريمة وأمثالها وتتوعد على تركه بجعله مجاورا للكفر الذي يسوق صاحبه الى العذاب الاليم ؟ « أفلم يَدَّبَّرُوا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون * »

قال تعالى « مايودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم » هذه الآية ختم لباب من أبواب الكلام عن اليهود وهو بيان حالهم مع القرآن . يقول تعالى للمؤمنين ان هؤلاء الذين علمتم شأنهم مع انبيائهم حسدة لا يلتفت الى تكذيبهم ولا يبالى بعدوانهم ولا يضركم كفرهم وعنادهم فهم لحسدهم لا يودون ان ينزل عليكم أدنى خير من ربكم والقرآن أعظم الخيرات لانه النظام الكامل ، والفضل الشامل ، والهداية العظمى ، والآية الكبرى ، جمع به شملكم ، ووصل حبلكم ، ووحد شعوبكم وقبائلكم ، وطهر عقولكم من نزغات

الوثنية ، وزكى نفوسكم من أدران الجاهلية ، وأقامكم على سنن الفطرة ، وشرع لكم الحنيفية السمحة ، فكيف لايحرق الحسد عليه أكبادهم ، ويخرج أضغانهم عليكم وأحقادهم ، و«من» الاولى من الصلة كالتي تقدمت وإنما جعلت للاستغراق لأنها تدل على البعضية وزيادة لوقوعها في حيز النفي فهي هنا بمعنى: أي شيء من الخير: أي فما بالكم بهذا الخير العظيم أليس هو أولى بأن يكون أكبر مثير لحسدهم ، ومغر بعنادهم ، ؟

ثم ان الله تعالى ردّ عليهم بما بين جهلهم وجهل جميع الحاسدين فقال « والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » أي ان الحاسد لغباوته وفساد طويته يكون ساخطاً على الله تعالى ومعترضا عليه أن أنعم على المحسود بما أنعم ولا يضر الله تعالى سخط الساخطين ، ولايحول مجاري نعمه حسد الحاسدين ، فهو يختص برحمته من يشاء والفضل كله له والخير جميعه بيده وهو على كل شيء قدير

الكرامات والخوارق

(المقالة الثامنة عشرة في انواع الخوارق وضروب التأويل والتعليل)

﴿ النوع الثاني عشر امساك اللسان عن الكلام وانطلاقه ﴾

لم يذكر السبكي أمثلة لهذا النوع ولو ذكر شيئاً منها لوضح الحق من خلاله أشد من وضوحه بالبحث فيه من غير ذكر للوقائع التي سماها كرامات وخوارق عادات. والظاهر انه يعني بامساك اللسان وانطلاقه ان بعض الناس يحضر مجلس الرجل الصالح فيريد الكلام فيحصر وتأخذ الحبسة لسانه لما يعروه من الهيبة والاجلال ثم يزول ذلك بالانس أوالمباسطة. وهذا أمر يقع كل يوم من المعتقدين مع الصالحين ومن المرؤسين مع الرؤساء ومن افراد الرعايا المهضومين مع الامراء . وما يقع منه

بين رجال الاديان ومن يعتقد رياستهم الروحانية من المقلدين كثير فى كل أمة وملة ولكن كل فريق يعد هذا مزية له وكرامة من كراماته يجهل حال الآخر اذ العارف بأحوال الملل وشئون الناس لا يغتر ولا يستسلم للنصارى وأهلها فالآفة الكبرى هي الجهل والجهل سياج الدجالين ولذلك تراهم في كل ملة يعادون العلم وينهون عنه ويزعمون أنه حجاب دون الدين ؛ ومفسد لعقائد المؤمنين ، ويصدقهم في ذلك الجاهلون، ويتعصبون لهم على الذين يعلمون والذين يتعلمون.

النوع الثالث عشر جذب القلوب النافرة

لم يذكر السبكي لهذا مثالا أيضا وهو نحو الذي سبقه وأضعف منه فان كثيراً من أهل الشهرة ما نالوا شهرتهم الا بجذب القلوب وذلك أن في كل صنف من الناس من له هذه الخاصية فمنهم من يختلب القلوب بمهابته ، ومنهم من يسحر الألباب ببلاغته، ومنهم من يستحوذ على النفوس بقوة روحه وتوجيه ارادته ، ومنهم من يخدع بعض البسطاء بزيه وشارته ، وقد رأيت بعيني كثيراً من الناس ناقمين على رجل من أهل الفضل منكرين عليه نافرين منه مسيئي الاعتقاد به وقد حضروا مجلسه واحداً بعد واحد وما منهم الا وقد انجذب قلبه اليه وامتلأ هيبة وإعظاما له وصار من المتعصبين له اللاهجين بالثناء عليه . والسبب في ذلك ان النفور الأول كان لسوء ظن أحدثه سماع كلام الحاسدين ولما شاهدوا الرجل رأوه بالضد مما كانوا سمعوا رأوا فضلا كبيراً وعلماً واسعاً وأمارات تنطق بحسن القصد واخلاص القلب من حيث كانوا يتوهمون خلاف ذلك فتحولت قلوبهم مرة واحدة . فهل نقول ان هذا من باب الخوارق وننظمه في سلك الكرامات والسبب فيه معروف والعلة ظاهرة ؟

حسب العاقل دليلا على فتنة الناس بمسألة الكرامات ان يري العالم الاصولي منهم (كالتاج السبكي) يعد ميل القلب الى شخص بعد النفرة منه كرامة له . كأن الفتنة قد سحرت النفوس وأفسدت العقول وأعمت الابصار وأصمت المسامع وساوت بين العالم والجاهل والذكي والغبي في عدم التمييز بين المعتاد وخارق العادة والغفلة عن الوقائع المتشابهة المتماثلة فى مثل هذا الامر التي تقع لمن يعتقدون كرامتهم ومن يعتقدون كفرهم أو ابتداعهم . وفي طبقات السبكي كثير من هذه الوقائع يحكيها هو والمؤرخون

عن زعماء الفتن، ودعاة البدع، ومؤسسي المذاهب الباطلة، والطرق المعوجة الملتوية، وما رأيت في التاريخ أشد جذبا للنفوس، وتلاعبا بالعقول من رجال طوائف الباطنية فلقد كانوا يفعلون بالالباب مالا تفعل الخمر، ويؤثرون في النفوس مالا يؤثر عن فعل السحر،

فان قال قائل: ان جذب أئمة الكفر وزعماء البدع قلوب بعض أتباعهم أو بعض الضعفاء المستعدين لقبول ضلالتهم هو من باب الاستدراج والاملاء ليسترسلوا في غيهم حتى يأخذهم الله تعالى بالانتقام في الدنيا أو بالموت الذي يسوقهم الى الانتقام في الآخرة. وأما أولياء الله تعالى فانهم يجذبون القلوب الى الحق ويؤثرون فيها تأثير الخير النافع وبهذا كان جذبهم من الكرامة دون جذب غيرهم

ونقول في الجواب اننا نسلم بان ماذكرتم يصح ان يعد كرامة اذا سلمتم معنا بأن الكرامة ليست من الخوارق الحقيقية وانما هي من الخصائص الشريفة النافعة فإن أمرا يعقل سببه وتعرف علته ويقع من جميع أصناف الناس ومن أهل كل ملة ودين لايصح للعاقل ان يجعله من خوارق العادات التي تأتي على غير النظام المعهود والسنن المطردة. ولكم بعد ذلك ان تأوّلوا ما يقع من ذلك للصالحين من أهل الملل الاخرى فأنه يوجد في كل أمة الصالح والطالح كما لايخفى على المنصف الخبير

واننا نختم الكلام في هذين النوعين ـ المهابة التي تمنع الكلام وجذب القلوب ـ بشيء من العبرة بما كان لرؤساء الباطنية من الاحترام الروحي في نفوس اتباعهم ولم يصل الصوفية الصادقون الى مثل ذلك. قال المؤرخون: ان الحسن بن الصباح زعيم الاسماعيلية قد استهوى قلوب اتباعه واستحوذ على نفوسهم حتى كانوا يطيعونه فى السر والجهر ولو بما يذهب بأرواحهم. ولقد كان من أمره لما أرسل السلطان يطلب منه الطاعة ان دعا نفرا من أتباعه وقال لاحدهم اقتل نفسك ففعل بدون توقف ولا تردد وقال لآخر: ارم بنفسك من هذا الحصن: فرمى بنفسه ومات. ثم التفت الى رسول السلطان وقال له: قل لمولاك هكذا يطيعني سبعون الفا من الرعايا الامناء: فمن كان هذا شأنه وهذه منزلته في نفوس اتباعه فكيف تكون مهابته في نفس من يحضر مجلسه وكيف يكون انجذاب القلوب المعتقدة بفضله أو المستعدة لقبول عقيدته اليه وتحويمها عليه ؟ ؟

الصوفية الذين ينقل عنهم جذب القلوب والتسلط على نفوس المجالسين بالهيبة والوقار كانت سيرتهم على مقربة من سيرة زعماء الباطنية بل هم فرقة منهم وتأثيرهم من نوع تأثيرهم فالمؤرخ لايكاد يفصل بين هذا وهذا الابالانتماء للمذاهب المعينة كالاسماعيلية وغيرهم وأما كلامهم في الدين وتفسيرهم للقرآن والحديث فانه متشابه لانهم يقولون فيه أقوالا تنكرها اللغة وأساليبها وتأباها سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وحجة الفريقين فيها واحدة وهي الاطلاع على الحقائق الخفية، والوقوف اسرار الدين الروحانية، وقد سلم الناس لهم بذلك تسليما لاسيما بعد موت العلم بحمل الناس على التقليد وحظر الاخذ بالدليل عليهم فمن لادليل له يسلم لكل من يعظم الناس أمره. ومارأيت في أمر الذين يسمى صنفهم علماء الدين أعجب من تسليمهم لهؤلاء الباطنية الذين يدعون الولاية كل مايقولونه وان لم يوافق تقاليدهم فهم يسلمون لهم القول المخالف بغير دليل ويحجرون على غيرهم المخالفة بالدليل . وانت تعلم ان مبنى علومهم كلها على الكشف وسيأتي الكلام عليه مفصلا في النوع الرابع عشر ولذلك جعلنا هذه المقالة مختصرة حتى تمكن من جمل الكلام في الكشف فى جزء واحد

هذا – وقد كنت قرأت في بعض الجرائد ان رجلا دخل على أحد علماء الكهرباء وهو في عمله وبين يديه الآلات والبطاريات فحدث فى الكهربائية تأثر بدخوله لم يبق في ذهني ماهو ذلك التأثر الذي شوهد في الآلات فقال العالم للرجل أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فكان التأثر باقباله غير التأثر بادباره اذ كان أحدهما في الكهربائية الايجابية والآخر في السلبية وكان لقربه أشد التأثير. فاذا صحة الرواية فلا بد ان يكون هذا الاكتشاف مفتاحا لمعرفة أسرار كثيرة كسر الحب والبغض والتأثير في النفوس فان فى كل أحد كهربائية ويظهر انها فى بعض الناس أقوي منها فى بعض فلا عجب ان كان صاحب الكهربائية القوية يؤثر في صاحب الكهربائية الضعيفة وان يكون لتوجيه الارادة والهمة عملا في قوة التأثير ولا مانع من أن يكون لاختلاف الكهربائية فى الشخصين شأن فى الحب والبغض فقد يبصر الانسان الجمال البارع في شخص ويمقته بلاسبب ظاهر مع اعترافه بجماله وقد يعشق ولاجمال . ومن الناس أفراد يستثقلهم كل أحد وأفراد يحبهم كل من عرفهم ويعبر الناس عن سبب الحب فى هؤلاء بالجاذبية يقولون فلان

ذو جاذبية وفلانة ذات جاذبية ويصفونهم بخفة الروح وخفة الدم . ومن الناس من يهابهم كل من يجالسهم وان كان من أقرانهم ولعل للكهربائية أثراً في كل ذلك تظهره الايام ويكشفه العلماء . فأين حديث الخوارق الكونية ، من هذه العلل الطبيعية ، ؟

ولا يهولن القارئ تأثير الانسان في الآلات الكهربائية فقد ثبت ان للسنانير تأثيراً عجيباً فيها تنبهوا الى هذا حين ثبت ان قطا وقف على سلك من أسلاك المسرّة (التليفون) فأبطل عمله . فان قلت انه ماأثر فيه الا باتصاله به فكيف يؤثر الانسان في كهربائية لم يتصل بآلاتها ؟ أقول لايبعد ان ينتقل التأثير بواسطه كهربائية الجو أو الهواء أو الاثير ونحن في عصر يتخاطب الناس فيه بالكهربائية من غير واسطة الاسلاك وهومايسمونه (تلغراف ماركوني) فهل يليق بأهل هذا العصر ان يقلدوا الميتين من بضع مئين من السنين أو أكثر في مزاعم غريبة عن العقل غير قريبة من الشرع ، ويقولوا مع ذلك ان عقولهم أرقى من عقولنا ، وعلومهم أغزر من علومنا ، كلا انما يرضى بهذا من احتقر نعمة الله على أهل عصره ، وسجل الخزي والخسار على نفسه ، فانكر كرامة الله له ليثبت كرامته لآخرين ، وخسر بجهله الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

لما نشرنا تلك المحاورات بين المصلح والمقلد في بحث الاجتهاد والتقليد ووحدة الامة الاسلامية في المجلدين الثالث والرابع من المنار كتب الينا بعض الفضلاء من قراء المنار في البحرين يسألنا : هل اطلعتم على كتاب أعلام الموقعين للامام ابن القيم ؟ فأجبناه اننا لم نطلع عليه ولكننا رأينا في بعض الكتب نقلا عنه عرفنا به مكانته . فكتب الينا ثانيا ان فيه مناظرة بين مقلد وصاحب دليل كالمناظرة التي نشرتموها واننا سنرسل اليكم نسخة منه ولم يلبث ان أرسلها وكانت مقالات المحاورات قد تمت. وقد رأينا الآن ان ننشر هذه المناظرة أيضاً لان هذا المبحث أهم المباحث والاجتهاد ركن من أركان الاصلاح بل هو أقوى أركانه . ولقد أورد المصنف شبه المقلد كلها سردا ثم ذكر حجج متبع الدليل الناهضة والناقضة لاقوال المقلد وشبهه واحدة بعد واحدة ولذلك نترك شبهات المقلد خشية التكرار ونبتدئ بالحجج فنقول : قال المؤلف رحمه الله تعالى ونفعنا به :

(قال أصحاب الحجة) عجبا لكم معاشر المقلدين الشاهدين على أنفسهم مع شهادة أهل العلم بأنهم ليسوا من أهله ولا معدودين في زمرة أهله كيف ابطلتم مذهبكم بنفس دليلكم فما للمقلد وما للاستدلال وأين منصب المقلد من منصب المستدل وهل

ذكرتم من الادلة الا ثيابا استعرتموها من صاحب الحجة فتجملتم بها بين الناس وكنتم في ذلك متشبعين بما لم تعطوه ، ناطقين من العلم بما شهدتم على أنفسكم أنكم لم تؤتوه، وذلك ثوب زور لبستموه، ومنصب لستم من أهله غصبتموه، فأخبرونا هل صرتم الى التقليد لدليل قادكم اليه، وبرهان دلكم عليه ، فنزلتم من الاستدلال أقرب منزل، وكنتم به عن التقليد بمعزل، أم سلكتم سبيله اتفاقا وتخمينا من غير دليل، وليس الى خروجكم من أحد هذين القسمين سبيل، وأيهما كان فهو بفساد مذهب التقليد حاكم، والرجوع الى مذهب الحجة منه لازم ، ونحن ان خاطبناكم بلسان الحجة قلتم انا لسنا من أهل هذه السبيل، وان خاطبناكم بحكم التقليد فلا معنى لما اقمتم من الدليل،

والعجب ان كل طائفة من الطوائف وكل أمة من الامم تدعي انها على حق حاشا فرقة التقليد فانهم لايدعون ذلك ولو ادعوه لكانوا مبطلين فانهم شاهدون على أنفسهم بأنهم لم يعتقدوا تلك الاقوال لدليل قادهم اليه ، وبرهان دلهم عليه ، وانما سبيلهم محض التقليد، والمقلد لا يعرف الحق من الباطل، ولا الحالي من العاطل،

وأعجب من هذا ان أئمتهم نهوهم عن تقليدهم فعصوهم وخالفوهم وقالوا نحن على مذاهبهم وقد دانوا بخلافهم في أصل المذهب الذي بنوا عليه فانهم بنوا على الحجة ونهوا عن التقليد وأوصوهم اذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه فخالفوهم في ذلك كله وقالوا نحن من أتباعهم ، تلك أمانيهم وما أتباعهم الا من سلك سبيلهم واقتفى آثارهم في أصولهم وفروعهم . وأعجب من هذا أنهم مصرحون فى كتبهم ببطلان التقليد وتحريمه وانه لايحل القول به فى دين الله ولو اشترط الامام على الحاكم ان يحكم بمذهب معين لم يصح شرطه ولا توليته ومنهم من صحح التولية وأبطل الشرط . وكذلك المفتي يحرم عليه الافتاء بما لايعلم صحته باتفاق الناس والمقلد لاعلم له بصحة القول وفساده اذ طريق ذلك مسدودة عليه . ثم كل منهم يعرف من نفسه انه مقلد لمتبوعه لايفارق قوله ويترك له كل ماخالفه من كتاب أو سنة أو قول صاحب أوقول من هو أعلم من متبوعه أونظيره وهذا من أعجب العجب

(وأيضا) فانا نعلم بالضرورة انه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا منهم يقلده فى جميع أقواله فلم يسقط منها شيئاً وأسقط أقوال غيره فلم يأخذ منها شيئاً،

ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن في التابعين ولا تابعي التابعين فليكذبنا المقلدون برجل واحد سلك سبيلهم الوخيمة فى القرون الفضيلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانما حدثت هذه الفتنة فى القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم فالمقلدون لمتبوعيهم فى جميع ماقالوه يبيحون به الفروج والدماء والاموال ويحرمونها ولا يدرون اذلك صواب أم خطأ على خطر عظيم ولهم بين يدي الله موقف شديد يعلم فيه من قال على الله مالا يعلم انه لم يكن على شيء

(وأيضا) فنقول لكل من قلد واحدا من الناس دون غيره: ما الذي خص صاحبك ان يكون أولى بالتقليد من غيره؟ فان قال لانه اعلم أهل عصره وربما فضله على من قبله مع جزمه الباطل أنه لم يجئ بعده اعلم منه. قيل له: وما يدريك ولست من أهل العلم بشهادتك على نفسك أنه اعلم الأمة فى وقته فان هذا انما يعرفه من عرف المذاهب وادلتها وراجحها ومرجوحها فما للأعمى ونقد الدراهم. وهذا أيضا باب آخر من القول على الله بلا علم.

ويقال له (ثانيا) فأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعائشة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اعلم من صاحبك بلاشك فهلا قلدتهم وتركته بل سعيد بن المسيب والشعبي وعطاء وطاوس وامثالهم اعلم وافضل بلاشك فلم تركت تقليد الاعلم والافضل الاجمع لادوات الخير والعلم والدين ورغبت عن أقواله ومذاهبه الى من هو دونه. فان قال: لان صاحبي ومن قلدته اعلم به مني فتقليدي له أوجب على مخالفة قوله لقول من قلدته لان وفور علمه ودينه يمنعه من مخالفة من هو فوقه واعلم منه الا الدليل صار اليه هو أولى من قول كل واحد من هؤلاء: قيل له: ومن أين علمت ان الدليل الذي صار اليه صاحبك الذي زعمت أنت أنه صاحبك أولى من الدليل الذي صار اليه من هو اعلم منه وخير منه أو هو نظيره، وقولان معا متناقضان لايكونان صوابا بل احدهما هو الصواب ومعلوم ان ظفر الاعلم الافضل بالصواب أقرب من ظفر من هو دونه: فان قلت: علمت ذلك بالدليل فههنا اذاً فقد انتقلت عن منصب التقليد الى منصب الاستدلال وأبطلت التقليد

ثم يقال لك (ثالثاً) هذا لاينفعك شيئا البتة فيما اختلف فيه فان من قلدته ومن قلده غيرك

قد اختلفا وصار من قلده غيرك الى موافقة أبي بكر وعمر أو علي وابن عباس أو عائشة وغيرهم دون من قلدته فهلا نصحت نفسك وهديت لرشدك وقلت هذان عالمان كبيران ومع احداهما من ذكر من الصحابة فهو أولى بتقليدي إياه.

ويقال له (رابعاً) إمام بامام ويسلم قول الصحابي فيكون أولى بالتقليد.

ويقال (خامساً) إذا جاز أن يظفر من قلدته بعلم خفي على عمر بن الخطاب وعلى علي بن أبي طالب وعبدالله ابن مسعود ودونهم فأحق وأحق فأجوز وأجوز ان يظفر نظيره ومن بعده بعلم خفي عليه هو فان النسبة بين من قلدته وبين نظيره ومن بعده أقرب بكثير من النسبة بين من قلدته وبين الصحابة. والخفاء على من قلدته أقرب من الخفاء على الصحابة.

ويقال (سادسا) اذا سوغت لنفسك مخالفة الافضل الاعلم بقول المفضول فهلا سوغت لها مخالفة المفضول لمن هو أعلم منه وهل كان الذي ينبغي ويجب الاعكس ما ارتكبت

ويقال (سابعاً) هل أنت في تقليد امامك واباحة الفروج والدماء والاموال ونقلها عمن هي بيده الى غيره موافق لامر الله أو رسوله أو اجماع أمته أو قول أحد من الصحابة؟ فان قال: نعم: قال ما يعلم الله ورسوله وجميع العلماء بطلانه وان قال: لا: فقد كفانا مؤنته وشهد على نفسه بشهادة الله ورسوله وأهل العلم عليه.

ويقال (ثامناً) تقليدك لمتبوعك يحرم عليك تقليده فانه نهاك عن ذلك وقال لايحل لك ان تقول بقوله حتى تعلم من أين قاله ونهاك عن تقليده وتقليد غيره من العلماء فان كنت مقلداً له فى جميع مذهبه فهذا من مذهبه فهلا اتبعته فيه.

ويقال (تاسعاً) هل انت على بصيرة فى أن من قلدته أولى بالصواب من سائر من رغبت عن قوله من الاولين والآخرين أم لست على بصيرة؟ فان قال: انا على بصيرة: قال مايعلم بطلانه. وان قال: لست على بصيرة: وهو الحق قيل له: فما عذرك غدا بين يدي الله حين لاينفعك من قلدته بحسنة واحدة ولايحمل عنك سيئة واحدة اذا حكمت وأفتيت بين خلقه بما لست على بصيرة منه هل هو صواب أم خطأ.

ويقال (حادي عشر) هل تقول اذا أفتيت وحكمت بقول من قلدته: ان هذا هو دين الله الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وشرعه لعباده ولا دين له سواه؟ أو تقول: ان

دين الله الذي شرعه لعباده خلافه؟ أو تقول: لا أدري؟ ولا بد لك من قول من هذه الاقوال ولا سبيل لك الى الاول قطعا فان دين الله الذي لا دين له سواه ولا تسوغ مخالفته(١) وأقل درجات مخالفه ان يكون من الآثمين والثاني لا تدعيه فليس لك ملجأ إلا الثالث. فيالله العجب كيف تستباح الفروج والدماء والاموال والحقوق وتحلل وتحرم بأمر أحسن أحواله وأفضلها «لا أدري»:

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة   وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ويقال (ثاني عشر) على أي شيء كان الناس قبل ان يولد فلان وفلان وفلان الذين قلدتموهم وجعلتم أقوالهم بمنزلة نصوص الشارع وليتكم اقتصرتم على ذلك بل جعلتموها أولى بالاتباع من نصوص الشارع؟ أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو على ضلالة؟ فلا بد من أن تقروا بأنهم كانوا على هدى فيقال لكم فما الذي كانوا عليه غير اتباع القرآن والسنن والآثار وتقديم قول الله ورسوله وآثار الصحابة على ما يخالفها والتحاكم اليها دون قول فلان أو رأي فلان؟ واذا كان هذا هو الهدى فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تؤفكون؟ فان قالت كل فرقة من المقلدين وكذلك يقولون: صاحبنا هو الذي ثبت على ما مضى عليه السلف واقتفى منهاجهم وسلك سبيلهم: قيل لهم: فمن سواه من الأئمة هل شارك صاحبكم في ذلك أو انفرد صاحبكم بالاتباع وحرمه من عداه فلابد من واحد من الامرين؟ فان قالوا بالثاني فهم أضل سبيلا من الأنعام وان قالوا بالاول فيقال فكيف وفقتم لقبول قول صاحبكم كله ورد قول من هو مثله أو اعلم منه كله فلا يرد لهذا قول ولا يقبل لهذا قول حتى كأن الصواب وقف على صاحبكم والخطأ وقف على من خالفه ولهذا أنتم موكلون بنصرته في كل ما قاله وبالرد على ما خالفه في كل قاله وهذه حال الفرقة الاخرى معكم.

ويقال (ثالث عشر) فمن قلدتموه من الأئمة قد نهوكم عن تقليدهم فأنتم أول مخالف لهم. قال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهو لا يدري: وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: لا يحل لاحد ان يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه. وقال أحمد: لا تقلد دينك أحدا.

---

(١) هكذا الأصل ولعله سقط شي هنا كقوله «هو كتابه وسنة رسوله»

ويقال (رابع عشر) هل أنتم موقنون بانكم غدا موقوفون بين يدي الله وتسألون عما تقضيم به في دماء عباده وفروجهم وابشارهم وأموالهم وعما أفتيتم به في دينه محرمين ومحللين وموجبين؟ فمن قولهم نحن موقنون بذلك . فيقال لهم : فاذا سألكم من أين قلتم ذلك فماذا جوابكم؟فان قلتم:جوابنا انا حللنا وحرمنا وقضينا بما في كتاب الاصل لمحمد بن الحسن مما رواه عن أبي حنيفة وأبي يوسف من رأي واختيار،وبما في المدونة من رواية سحنون عن ابن القاسم من رأي واختيار ، وبما في الام من رواية الربيع من رأي واختيار ، وبما في جوابات غير هؤلاء من رأي واختيار ،ـ وليتكم اقتصرتم على ذلك أو صعدتم اليه أو سمت همتكم نحوه بل نزلتم عن ذلك طبقات ـ فاذا سئلتم هل فعلتم ذلك عن أمري أوامر رسولي فماذا يكون جوابكم اذا؟فان أمكنكم حينئذ ان تقولوا:فعلنا ماأمرتنا به وأمرنا به رسولك فزتم وتخاصتم وان لم يمكنكم ذلك فلا بد ان تقولوالم تأمرنابذلك ولارسولك ولاأئمتناولا بدمن أحدالجوابين وكأن قد .

ويقال (خامس عشر) اذا نزل عيسى بن مريم إماماعدلا وحكمامقسطاً فبمذهب من يحكم وبرأي من يقضي ومعلوم انه لايحكم ولا يقضي الا بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم التي شرعها الله لعباده فذلك الذي يقضي به احق وأولى الناس به عيسى ابن مريم هذا الذي أوجب عليكم ان تقضوا به وتفتوا . ولا يحل لاحدان يقضي ولا يفتي بشيء سواه البتة . فان قلتم : نحن وأنتم في هذا السؤال سواء . قيل : أجل ولكن نفترق في الجواب فنقول . يا ربنا انك لتعلم انا لم نجعل أحدا من الناس عيارا على كلامك وكلام رسولك ونرد ماتنازعنا فيه اليه . ونحاكم الى قوله ونقدم أقواله على كلامك وكلام رسولك وكلام أصحاب رسولك وكان الخلق عندنا أهون أن نقدم كلامهم وآراءهم على وحيك بل أفتينا بما وجدناه في كتابك وبما وصل الينا من سنة رسولك وبما أفتى به أصحاب نبيك وان عدلنا عن ذلك فخطأ منا لاعمد . ولم نتخذ من دونك ولا دون رسولك ولا المؤمنين وليجة ، ولم نفرق ديننا ونكن شيعا ، ولم نقطع أمرنا بيننا زبرا.وجعلنا أئمتنا قدوة لنا ووسائط بيننا وبين رسولك في نقلهم مابلغوه الينا عن رسولك فاتبعناهم في ذلك وقلدناهم فيه اذا أمرتنا انت وأمرنا رسولك بأن نسمع منهم ونقبل مابلغوه عنك وعن رسولك فسمعا لك ولرسولك

وطاعة (١) ، ولم تتخذهم أربابا تحاكم الى أقوالهم وتخاصم بها ونوالي ونعادي عليها بل عرضنا أقوالهم على كتابك وسنة رسولك فما وافقهما قبلناه، وما خالفهما أعرضنا عنه وتركناه ، وان كانوا أعلم منا بك وبرسولك فمن وافق قوله قول رسولك كان أعلم منهم في تلك المسئلة فهذا جوابنا ، ونحن نناشدكم الله هل أنتم كذلك حتى يمكنكم هذا الجواب بين يدي من لايبدل القول لديه ، ولايروج الباطل عليه، (لها بقية)

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) خطبة الجمعة بالاعجمية — الشيخ عبد الحق الاعظمي خطيب المسجد ذي المنارات فى بمبي (الهند) : هل يجوز العدول عن تلاوة خطبة الجمعة باللسان العربي الى لسان البلد التي تقام فيه الجمعة حتى ينتفع بها العموم ويحصل منها الارشاد المطلوب فان بتلاوتها بالعربية على أعجام لايعرفون هذه اللغة فوات لفائدتها وهو ايصال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى افهامهم وتمكين آثار الوعظ فى قلوبهم واني فى كل اسبوع انشيء خطبة وألقيها يوم الجمعة على مئات من المسلمين وبعد الجمعة أسأل المتعلمين منهم الذين مارسوا اللغة العربية هل فهمتم ماتلوته على المنبر فيقولون لم نفهم الا كلمات قليلة لاننا وان كنا قرأنا قوانين اللغة العربية وعلومها الا أننا لانفهم مايقرأ علينا بها اللهم الا اذا نحن قرأناه وتأملناه مليا . فآسف على تعبي في انشاء الخطبة فاردت ان اخطب فيهم بلغتهم الاوردية مع ذكر اركان الخطبة بالعربية فهل ورد في السنة وآثار السلف ماينع من ذلك ويحتم اداءها كلها بالعربية وان لم يفهمها حاضرو الجمعة كلهم أوجلهم وبماذا كان يخطب الصدر الاول في بلاد الاعاجم التي افتتحوها

(ج) قد بينا غير مرة ان معرفة اللغة العربية واجبة على كل مسلم لان فهم الدين واقامة شعائره واداء فرائضه كل ذلك موقوف على فهم هذه اللغة ولا تصح الا بها وخطبة الجمعة من أقلها تأكيدا وثبوتا وان كانت من أكبر الشعائر فائدة . وقد كان الذين يدخلون فى الاسلام من الاعاجم على عهد الصدر الاول يبادرون الى تعلم اللغة العربية لاجل فهم القرآن والسنة والارتباط بصلة اللغة التي لاتحقق وحدة الامة بدونها

(١) المنار : يريد ان الذي يؤخذ عن الائمة هو ماينقلونه عن الشارع لا آراؤهم

وكان الصحابة يخطبون الناس باللغة العربية في كل بلاد يفتحونها وما كان يمر الزمن الطويل على بلاد يدخلونها الا وتحول لغتها الى لغتهم في زمن قصير بتأثير روح الاسلام، لا بالترغيب الدنيوي ولا بقوة الالزام. ولو كانوا يرون اقرار من يدخل في دينهم من الامم الاعجمية على لغاتهم لبادروا هم الى تعلم لغات تلك الامم وأقاموا لهم فرائض الدين وعباداته بها وبقي الروماني رومانيا والفارسي فارسيا و«هلم جرا»

وان التفريق الذي نراه اليوم فى المسلمين باختلاف اللغات هو من سيئات السياسة ومفاسدها الكبرى واذا لم ترجع الدولتان العثمانية والايرانية الى السعي في تعميم اللغة العربية في مملكتيهما فسيأتي يوم تندمان فيه وانا لا نعتد باصلاح فى الهند ولا بغيرها من بلاد المسلمين مالم يجعل ركن التعليم الاول تعلم العربية وجعلها لغة العلم

لا يصعب عليك ان تجد عند الحنفية وجها لجواز الخطبة بلغة من تخطبهم لاجل حصول المقصود من الخطبة كما جوزوا كون القاضي والمفتي من المقلدين خلافا لنصوص المذهب بل المذاهب كلها في اشتراط كونهما مجتهدين وكما جوزوا كون القاضي جاهلا وفاسقا وكما جوزوا صلاة الجمعة في الامصار التي ليس فيها حاكم ينفذ الاحكام الشرعية وكما جوزوا إمامة من ليس مستوفيا لشروط الامامة وغير ذلك من الاحكام التي جوزوها للضرورة. وليس معنى جواز الشيء للضرورة ان يترك الاصل ويرضى الناس بالضرورة الى أبد الابد وانما معناه ان يأخذوا بالاستعداد لاقامة الحق والرجوع الى الاصل مع الاتيان بالشيء ناقصا وذلك بأن يترخصوا بترك بعض الشروط فيه مع الجد في تحصيلها الى أن تتم الشروط ويستقر كل شيء في نصابه والا كان لنا أن نترك الدين كله أو نحوله عن وجهه تعللا بالضرورات التي تحكم فيها الاهواء كما تشاء

قلت ان خطبة الجمعة أهون من غيرها لانها غير مجمع على وجوبها فان من السلف من قال أنها مندوبة كخطبة العيد فاذا أقيمت أركانها الاصلية بالعربية وزيد فيها شيء من الوعظ بلغة أخرى للحاجة لا يخل ذلك بصحة الصلاة ولا بصحة الخطبة ولكنه يدخل فى الشعائر الاسلامية تشويها يخشى ان يصير مستمرا .

وليست المصيبة في عدم فهم الخطبة أقوى من المصيبة في عدم فهم الفاتحة وغيرها من السور والآيات التي تقرأ فى الصلاة ، اللهم اجز من نصروا لغاتهم على لغة كتابك

حتى حالوا بينه وبين عبادك بما يستحقون فقد صارت صلاة المسلمين تقليدية محضة لاروح فيها كصلاة كثير من أهل الملل الاخرى

ويسهل على السائل ان يترجم خطبه النافعة بلغة القوم ويقرأ عليهم الترجمة بعد الصلاة لينتفعوا بها ويتحسروا لعدم فهمهم أصلها العربي فى إقامة الشعار الديني لعلهم يرجعون

والسائل يعلم ان المسلمين مازالوا يخطبون بالعربية فى جميع بلاد الاعاجم ملاحظهم ماقلناه لم يختلف في هذا سني ولا شيعي . وقد عد بعض الحنفية الضرورة التي تجيز العدول عدم وجود خطيب يحسن العربية حتى يوجد وقالوا لابد من السعي في ايجاده. قال شارح الاحياء : «وهل يشترط كون الخطبة كلها بالعربية وجهان الصحيح اشتراطه فان لم يكن فيهم من يحسن العربية خطب بغيرها ويجب عليهم التعليم والاعصوا ولاجمعة لهم» : يعني ان الضرورة لايجوز ان تجعل مستمرة بل يجب السعي في إزالتها. ونحن نقول يجب عليهم تعلم العربية ليفهموا الخطبة وما هو أهم من الخطبة كالفاتحة وسائر الاذكار والسور فان لم يفعلوا كان عاصين ولا صلاة لهم ولاقراءة لهم وانما لهم الصور التي لاتؤثر في القلب ولا تزكي النفس وما كان كذلك فلا تأثير له في سعادة الآخرة ولا فى سعادة الدنيا والله أعلم

(س ٢) حد اللواطة — ومنه: ما الحكمة فى ان الشارع لم ينص على حد اللواط مع منافاته لاصل الطبيعة وفظاعته عند سائر الامم من قديم الازمان وانه يحدث امراضا خطرة حسية ومعنوية فيضعف النفوس ويحط الهمم ويهدم مستقبل صاحبه ويسمه بميسم الذل والشنار ومابال يفشو في هذا الزمان في كثير من البلدان مع انتشار العلم وكثرة الكتب وتقدم فن الطب واستنارة الافكار حتى لقد كاد ان يكون منبعه في منابع العلم كالمدارس وفشوه بين ارقى الطبقات كاولاد الاغنياء وبين المنقطعين للعبادة المتزهدين المتنسكين كسكنة التكايا والأديار وغيرها

(ج) ليست الشريعة محصورة في جلود كتب الحنفية فقد ورد فى اللواط من التشديد والعقوبة فى السنة نحو ماورد فى الزنا وورد فيه عن الصحابة القتل والرجم والاحراق بالنار. اما الوارد فى القرآن فالمجمل منه يشمل الفاحشتين والتفصيل جاء فى الزنا ومن العلماء من قال انه يشمل اللواط. اما كون المجمل واردا فى الفريقين فهو انه تعالى قال اولا

«واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن» الآية ثم قال «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما» الآية فتثنية الذي لايجوز ان يراد بها الرجلان اللذان يزنيان لأنها تكون لغوا فتعين ان يراد بها فاعلا اللواط أو الزاني واللائط كما قال مجاهد وأبو مسلم وغيرهما وبه أخذ الشافعي . وهذا الايذاء مجمل بينته السنة

قال عليه الصلاة والسلام : « من وجدتموه يعمل بعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول » . رواه أحمد وأصحاب السنن والدارقطني والحاكم والبيهقي والضياء عن ابن عباس . وفي رواية لاحمد عنه «اقتلوا الفاعل والمفعول به في عمل قوم لوط والبهيمة والواقع على البهيمة ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه» وقال ص : « ارجموا الاعلى والاسفل ارجموهما جميعا » . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وقال ص: «من عمل قوم لوط فارجموا الفاعل والمفعول به » : الحاكم عن أبي هريرة وروى مثل ذلك عنه الخرائطي في مساوي الاخلاق وابن جرير

هذا بعض ماورد في الاخبار وأما الآثار فقد روى الشافعي وابن أبي شيبة وسعيد ابن منصور في سننه وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي والبيهقي عن يزيد بن قيس أن عليا رجم لوطيا . وروى ابن أبي الدنيا فى ذم الملاهي وابن المنذر وابن بشران والبيهقي عن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب الى أبي بكر الصديق انه وجد رجل فى بعض ضواحي بلاد العرب ينكح كما تنكح المرأة وان ابا بكر جمع لذلك ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيهم علي ابن أبي طالب اشدهم يومئذ قولا فقال ان هذا ذنب لم تعمل به أمة من الامم الا أمة واحدة فصنع بها ماقد علمتم أرى ان تحرقوه بالنار : فكتب اليه أبو بكر ان يحرق بالنار . وروى الطبراني عن سالم بن عبد الله وأبان بن عثمان وزيد بن حسن ان عثمان بن عفان اتي برجل قد فجر بغلام من قريش فقال عثمان : أحصن ؟ قالوا قد تزوج بامرأة ولم يدخل بها بعد فقال علي لعثمان لو دخل بها لحل عليه الرجم فأما اذا لم يدخل بها فاجلده الحد ، فقال أبو أيوب أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي ذكر أبو الحسن . فأمر به عثمان فجلد . وهذا الاثر أقوى من الذي قبله

وأما أقوال السلف والفقهاء فى ذلك فقد جاء في الزواجر من ذلك ما نصه :

« قال البغوي اختلف أهل العلم في حد اللوطي فذهب قوم الى ان حد الفاعل حد الزنا

ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مئة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن وقتادة والنخعي وبه قال الثوري والاوزاعي وهو أظهر قولي الشافعي ويحكى أيضا عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وعلى المفعول به عند الشافعي على هذا القول جلد مئة وتغريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا كان أو غير محصن . وذهب قوم الى ان اللوطي يرجم ولو غير محصن رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس وروي عن الشعبي وبه قال الزهري وهو قول مالك واحمد واسحق . وروى حماد ابن ابراهيم عن ابراهيم (يعني النخعي) قال لو كان احد يستقيم ان يرجم مرتين لرجم اللوطي . والقول الآخر للشافعي انه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في الحديث . اه »:

ثم قال صاحب الزواجر : « قال الحافظ المنذري حرق اللوطية بالنار أربعة من الخلفاء أبو بكر وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهشام بن عبد الملك » : ثم ذكر ما كتبه خالد الى أبي بكر وقد تقدم آنفا

اما ما ورد في وعيد فاعل هذه الفاحشة فكثير وقد شنع ابن حجر على من يأتيها من المترفين ، ولعنهم كما يلعنهم جميع المؤمنين ، وقد وصفوا من شناعة هذه الجريمة ولكنهم لم يذكروا أعظم مضرة لها ، وأقبح غائلة من غوائلها ، وهي إفساد البيوت فقلما يوجد بيت للوطي طاهر من الفسق واتباع الفسق كباره وصغاره نساؤه واطفاله . ومع هذا كله نرى اناسا في هذه المدينة يُزَنُّون بالهنات ، ويغلبون حب البنين على البنات ، وهم يصفون انفسهم بأنهم من الادباء والشعراء وتستخدمهم الحكومة ويحترمهم سائر الناس فتبا لهذه الاخلاق ، ولهؤلاء الجبناء الذين ليس لهم خلاق ،

واما سبب فشو هذه الفاحشة فيمن ذكرتم فسببه الترف واتباع خطوات مدنية أوربا في التمتع بالشهوات واللذات واما فشوه في المدارس ونحوها فسببه بعد الرجال هناك عن النساء وتعذر الافضاء اليهن . وليس لهذه المفسدة وأمثالها علاج الا التربية الدينية الصحيحة وكماله باقامة الحدود والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(س٣) التأمين على المال — ومنه : كيف يجري المسلم عقد السكرتاه (التأمين على المال وغيره) مع الذمي على غير اساس شرعي وكيف يستحل ماله فهل يمكن استخراج أصل شرعي يستأنس به ؟

(ج) قد سألنا هذا السؤال كثيرون من أهل مصر ومن غيرها وسنكتب في ذلك في فرصة

أخرى بعد شرح حقيقة هذه المعاملات

(س ٤) كينا لاروش ـ الحاج احمد بن عبد الله باحدى محاكم (ستريت ستامنت ـ سنغافوره): ماقولكم سادتي أدام الله النفع بكم للانام في الدواء المعروف بكينا لاروش هل يجوز التداوي به ام لا فانني كثيرا ماسمعت من انه (والله أعلم) ممزوج ببعض المسكرات غير انني رأيت كثيرين مداومين استعماله وللوقوف على الحقيقة أحببت ان أعرض على سيادتكم هذا السؤال راجيا منكم نشره في أحد أعداد المنار والجواب عنه بلا أو نعم ليقف عليه كل من يريد الاستفهام عنه ودمتم وعناية المولى ترعاكم :

(ج) نعم يجوز استعماله لمن احتاج اليه فانه ليس مسكرا في نفسه ولا يجب على المريض البحث عن الادوية التي يصفها له الطبيب ليعرف هل فيها جزء من بعض المسكرات أم لا واذا عرف ان فيها شيئاً من ذلك فلا يحرم عليه استعمالها اذا احتاج اليها للتداوي وانما يحرم عليه شرب المسكر لانه مسكر. وانما حرموا القليل من الخمور لأنه يدعو الى الكثير كما ثبت ذلك نظرا واستدلالا وتجربة في كل زمان ومكان فشارب القليل لاجل اللذة والنشوة عاص ومنته الى الفسق بما يجره ذلك الى الاكثار وليس في شرب الدواء الذي فيه جزء من مسكر لاجل التداوي بالمقدار الذي يعينه الطبيب سكر ولا قصد الى السكر ولا خوف من الوقوع فيه

(س ٥) صلاة مكشوف الرأس ــ محمد افندي حلمي كاتب سجن حلفا : رجل شافعي المذهب يصلي مكشوف الرأس مع وجود عمامة وطرابيش عنده فهل يجوز ذلك ؟

(ج) لا يشترط لصحة الصلاة من الملابس الا مايستر العورة وهي عند الشافعية مابين السرة والركبة فصلاة من ذكر صحيحة ولكن الله تعالى أمرنا بالتجمل عند الصلاة بقوله « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ومن التجمل والزينة في عرف الاسلام ستر الرأس بالعمامة وقد استبدل بها كثير من المسلمين غيرها كالطربوش فستر الرأس فى الصلاة مطلوب شرعا وتركه مذموم الا لعذر وهو من شعائر النصارى

(س ٦) تمثل جبريل للنبي ص ــ ومنه : هل رأى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام جبريل عيانا وهل كان يجيئه بصورة أحد الصحابة واذا كان هذا صحيحا فما الدليل عليه؟

(ج) جبريل هو الروح الذى كان ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله

وسلم وكما جاء في الآيات مايدل على ان النزول كان روحانيا كالتعبير بالنزول على القلب ورد فيها ان النبي رأى جبريل وفي ذلك نزل قوله تعالى « علمه شديد القوى » الى قوله «ولقد رآه نزلة أخرى » ولكنهم قالوا ان هـذه رؤية ملكية روحانية أي رآه كما خلقه الله تعالى . وورد في الاحاديث الصحيحة انه يتمثل له الملك رجلا أي كما تمثل لمريم عليها السلام بشرا سويا . وهذا التمثل أيضا روحاني والذين يدعون رؤية الارواح من الصوفية وغيرهم يقولون انها تتمثل لهم بصور بشرية . وورد أيضا انه كان يراه بصورة دحية الكلبي فاما تمثل الملك له بصورة رجل فقد ورد في الصحيح عند الشيخين وغيرهما . واما رؤيته بصورة دحية فقد رواه الطبراني عن أنس وإسناده ضعيف

(س ٧) المعراج والرؤية — هل عرج سيدنا محمد الى السماء بروحه وجسمه أو بروحه دون جسمه وهل تشرف برؤية الحق جل شأنه عيانا أو بقلبه واذا كان كذلك فهل يوجد إثبات ؟

(ج) اختلف العلماء فيما ذكرتم لانه لا يوجد دليل قطعي يعين شيئاً من هذه الوجوه والاقرب الى العقل ان ماروي من ذلك فهو روحاني . وحديث المعراج على اطلاقه ورد في أحاديث آحادية تفيد الظن ولكن رؤية الحق لم تثبت بحديث مرفوع صحيح وقد سئلت عنها عائشة رضي الله عنها فأنكرتها كما ورد في الصحيح وقالت « لقد قف شعري » الخ وورد في صحيح مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل : هل رأيت ربك فقال « رأيت نورا » وفي رواية « نورٌ أنَّى أراه » اى انه لم ير الا النور او ان النور منع من رؤيته وليس المعنى ان الله تعالى نور « ليس كمثله شيء » وقال الامام الغزالي في الاحياء : الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى ربه ليلة المعراج : والذين يثبتون الرؤية يروونها موقوفة على ابن عباس في تفسير « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » والمعروف في اللغة ان « الرؤيا » هي ما كان في المنام و « الرؤية » ما كان في اليقظة وعلى كل حال يجب ان تعتقدوا ان الله تعالى منزه عن صفات المخلوقين فلا يمكن ان تكون رؤيته كرؤيتهم وان ماورد يحمل على كمال المعرفة التي تستغرق الروح وكل مداركها والله أعلم

نظام الحب والبغض – تابع ويتبع

(حب الزينة وحب التميز)

«لست من محبي الامور الفانية ولا المغرورين بها ولكني أحب ذلك السر الرباني الذي به نعلم خواص" هذه الامور مفردة ومركبة . وبه نتصرف فيها على أمثلة لايعي مجموعها عقل واحد . وانكم لتعلمون ان ذلك السر الرباني الذي اودعناه من أعظم خواصه محبة الجميل .

وحرام على من لم يروا ببصائرهم شيئاً من اسرار الصنعة الالهية ان يخوضوا فى علم الاخلاق وعلم شرائع الاجتماع .

احفظ لي أيها القارئ هذا الكلام لعلك تتذكر وتتدبر اذا فاجأتك مني مخالفة لبعض كتاب هذا العلم .

لحياة الانسان لوازم : هن حاجاته الضرورية . والحيوانات تشاركه بنظائرها. وتوابع : هن حاجاته الكمالية . وليس للحيوانات حظ بأشباهها. ويمكننا باعتبار الاولى والثانية ان نقسم حياته الواحدة الى قسمين : حياته الجنسية . وحياته النوعية .
الحياة الجنسية يمكن حصر مابه قوامها . فالغذاء قد يكون من الاعشاب كدأب آكلة النبات من الانعام وغيرها. وليس هذا مبنيا على خيال شعري" يعظمه الزهد فيما تقبله طبيعة الانسان بل هو مجرب محسوس أثبته لنا بالفعل قوم أوحى اليهم الوهم ما أوحى من نبذ ماخلقه الله للبشر .

والإواء قد يكون حجراً كأوجار الوحوش . وقد أتاح الله لنا ان نشاهد بالذات معيشة بني هذا النوع في الغيران ولا أعني بالذين شاهدناهم قوما من اخوان الوحوش في السيرة والطباع والانقطاع عن الانس . بل هم فئات من زراع هذه البلاد أولو ثاغية وراغية وأولو حرث في بلاد ذات زرع وحب الحصيد .

والكساء قد يستغنى عنه وقد يكون من جلود الصيد أو الانعام. ولدينا قبيلة يقال لهم الصُّلَيب لم نشاهد من اكسيتهم غير جلود الآرام التي جل غذائهم من لحومها.
والوقاع لايحتاج منه الى أكثر مما في طبيعة النوع من تراضي أنثى وفحل وانجذابها

لهذا الامر بسائق ما في الفطرة .

وبهذا القدر الذي مثلنا به تحفظ الاشخاص ويبقى النوع كما حفظت أشخاص السوارح العجماوات وأنواعها .

قلنا ان هذا القدر يمثل لنا الحياة التي يمكن ان يعيش بها الانسان ويتناسل . وهل يمكننا أن نقول يوجد شيء يميز الانسان عن باقي الحيوان في هذا المثال من الحياة ؟. قد كان يمكننا ان ندّعي وجود مميز لو كان له مع هذه الحياة أفكار عالية . وهيهات فقد أنبأنا التاريخ ان الانسان كان معدما من الافكار العالية يوم كان يعيش مثل هذه المعيشة وكذلك بلونا الذين يحيون هذه الحياة في يومنا فلم نجد لديهم فضل إدراك ينيفون به على الغابرين . بلى ان وعد الله حق وان الانسان بمجموعه ارتقى ولكن كان ذلك منذ طفق الاستعداد النوعي تجلي مظاهره ، وتجلى مناظره ، ولن يبرح في رقيه مادامت الغبراء في ازاء الزرقاء . تجلى عليها شمسها وتؤتيها من لدنها نظاما .

عرّفنا لكم الحياة الجنسية بالتمثيل وبه أوضحنا قولنا انه يمكن حصر ما به قوامها . أما الحياة النوعية — فمن الصعب جعل حدّ لما يتعلق بها كما كان من الصعب تحديد الاوهام والافكار التي هي تابعة لها . ولكن يمكن ان نقول ان أكثر الاشياء التي هي من فروع الحياة النوعية تابعة لناموسين عظيمين من طبيعة النفس الانسانية هما (١) حب الزينة و(٢) حب التميز . ونتكلم فيهما على الافراد لشدة العلاقة بينهما .

﴿ حب الزينة ﴾

نأخذ من التمهيد المقدم كلمة نقولها هنا : لو كان الانسان هو الآن كل المواقع لكان من السهل في معرفة ما هو ان نقول « هو آلة من جملة هذه الآلات الكونية المتحركة بأصل صنعها » ولكن هنا فصول وقيود كثيرة زائدة على هذين الوصفين لا نريد الآن ذكرها كلها بل ذكر واحد منها وهو كونه « محباً للجميل » . فهذا القيد وحده يمنعنا ان نقول في تعريفه ذلك الكلام ويجعلنا نتفكر وسعنا في خصائص هذا المخلوق الكريم ، المصنوع لامر عظيم .

من تأمل في الانسان وجد العوالم محشورة في ذرات صغيرة من مواقع ادراكه . ووجد محاكم فيها أحكام كثيرة ونظم تناهايده . بعض تلك الاحكام له نسب بالحقيقة متصل .

وبعضها له سبب الى طائف الوهم ممدود .

أما الذي يتعلق بالوظائف الطبيعية لحياته الفكرية من تلك الاشياء المتكثرة فهو تقسيمه المحسوسات والمتخيلات الى قسمين مستحسن محبوب ، ومستقبح مكروه ،

— ماهو الحسَن ، ماهو الزين ، ماهو الجميل ؟ —

الحسَن والزين والجميل كالحسن والزينة والجمال ، الفاظ متعددة تدل على معنى واحد عند روّاد لب البيان ، وعلى معان متقاربة عند روّاد القشور . وتعدد الالفاظ مع توحد المعنى (وهو الذي يسمونه الترادف) لاعيب فيـه على لغة لانه كتعدد الحلل لكاسية واحدة . ولكن بعض المتورعين في حفظ الدلالات اللغوية من طوارق النسيان يجتهدون ان لايثبتوا الترادف بادعاء معان متقاربة أو فروق لاتكاد تذكر في مثل هذه المترادفات ولا نعيب فعلهم هذا فان له فوائد ولكن نسألهم ان لايعيبوا قولنا بترادف هذه الكلمات التي رمنا بتعديدها تفسير بعضها ببعض وبيان ترادف مااشتقت منـه ليتم من قولنا « حب الزينة » اعلام بحب الجمال الطبيعي كالصناعي وقد حملنا على هذه الايضاحات مانعلمه من تفريق الاصطلاح وأهله بين هـذه المتحدات تفريقا افضى الى تشتيت الفهوم . وهنا استغفر من هذا الاستطراد الطويل وان أوجبه المقام .

نعود الى معرفة حقيقة الحسن الزين الجميل ثم نسأل نفسنا وغيرنا ماهو الحَسَن ؟ ماهو الحُسْن ؟ ماهو الاستحسان ؟ ماهو حب المستحسن ؟ لماذا نستحسن ؟ لماذا نحب الحسن ؟ لماذا نختلف بالاستحسان ؟ ماهو عشق المستحسنات الذي يميل بكل نحو مستحسن فيغرم به ؟ هذه مسائل تخطر في بال كثيرين ولكن قل ان تجد في حجرات السرائر مقرا تقيم فيه برهةً طويلةً ، أستدل على ذلك بعـدم ثبات اراداتنا معشر بني النوع اللهم الاقليـلا من أحكم الحكماء الذين تزكت أرواحهم فكانوا بالأسرار من العارفين ولاجناح علي ان اعترف بأني لاأملك تلك الملكة التي بها يتيسر الجواب عن كل مسئلة من هذه الشروحات . ولكني أظن ان هذا لايكون مانعاً من عرض مااستفاده الفكر من ملاحظاته في عالمي الشهادة والغيب ، فاشدّ ماساح في هذين العالمين في سبيل اكتشاف هاتيك الشؤون .

(١) ماهو الحسن ؟ — نجيب عن السؤل الاول جواباً يفتح كل مغلق امامه

من المسائل فنقول :

الحسن ان كان محسوسا فهو مابني بالحاجات ويزيد عليها أمورا تنبسط النفس برآها لمناسبة ماخفية تتقدح فى النفس ويظهر للقارئ ان هذه المناسبة بقائها خفية تبقي الكثير من اسرار الاستحسان فى المحسوسات غامضا وستأتي زيادة بيان ،

وان كان الحسن غير محسوس فهل هو مايستحسنه كل عقل لنفسه؟ كلا بل هو ماتتفق العقول السليمة كلها أو جلها على استحسانه ويجب ان نصرّح هنا بأنه لاعبرة بكثرة الذين يستحسنون الشيء تقليداً بل العبرة بكثرة الحكماء الذين يستحسنون الشيء عن طول تفكر . واذا وجدناهم مختلفين فى شيء وفي جانب كل حزب كثرة فان لاصحاب العقول من أهل الزمان الذى هم فيه ان يتفكروا كما يتفكرون ولهم ان يصرحوا باستحسان مااستحسنوه فليس ثمة اغلال للافكار . ويختاج فى الاذهان ان حرية الاستحسان في غير المحسوسات توجب انفراجا واسعاً بين الافراد . وانه ليكاد هذا الظن ان يكون صواباً لولا سببان عظيمان احدهما ان توسع حاجة النوع الى الاجتماع وتوسع حاجاته فى الاجتماع قد ضيقا بالتدريج ذلك الانفراج من قبل ان يتسع اتساعا عظيما، اذ كما تتسع أشياء من الضيق تضيق أشياء من السعة . الثاني ان العلم الذي رزقه مجموع النوع قد قارب بين الافكار بأنواع خاصة ــ سيجيء بيانها ــ وبهذا التقارب صار الافراد الذين لايحصون جماعات تحصى . ومن المشاهد ان لكل جماعة مستحسنات عامة لايستنكرها الافراد وان لم تكن حسنة فى الحقيقة لانهم مقلدون . واكثر هؤلاء الجماعات يذهبون الى ان الحسن ماحسنته مذاهبهم الدينية على انه مهما بالغ المبالغون فى حبس حرية الافكار فلا يسعهم مناقشة الناس اذا بدا لهم ضد ماحسنته المذاهب بل يضطرون الى المجاملة بضروب من الاصطلاحات معروفة لمن مر بتلك الابواب . وبمثل هذا كانت ولا تزال تحصل التغيرات في العالم ويجب ان لانكتم ان حكماء الناس هم حكام الافكار ولكن قد تصير فترات تضيع فيها الحكمة ويقوم أناس ينتحلون لانفسهم هذه الوظيفة بصبغة أخرى فيحيون ضالين مضلين . وفى هذه الايام يصير غير الحسن حسناً .

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

هذا والمقام يحتاج الى فضل بيان ولكننا اجملناه اجمالا فمن لم يع مافي باطنه كفاه

ظاهره الواضح .

وسواء كان المستحسن مستحسن جماعة أو مستحسن فرد من محسوس أو متخيل لايمكننا تعليل وجه الاستحسان في كل شيء ولكن نعلم ان العلة العامة فى استحسان الاشياء هي مناسبة تنقدح فى النفوس . ونعلم ان استحسان كل شيء علة محبته والاهتمام به على مقدار درجة المحبة (اذلها درجات) . ونعلم ان هذه الاستحسانات — من حيث هي — طبيعية فى النوع . ونعلم انها هي التي أوصلت مصانع الانسان الى هذه الصورة الباهرة الساحرة . ونعلم ان هذه المصانع من المميزات العظمى لهذا النوع . ونعلم ان الانسان سيتسامى رقيه مادام يستحسن ويسعى وراء مايستحسنه باهتمام يسوق ، وأمل يقود ، وعزم يعين .

باب التربية والتعليم

شكوى الامهات من تربية البنات

لما نشر المقطم شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهن فى هذا العصر طلب ان يعرف رأي الامهات فى بناتهن فى مصر فكتب اليه من بعضهن الشكوى فى إثر الشكوى من سوء حال تربية البنات المتعلمات وكونهن لايحفلن بغير اللهو والزينة والعزف بالبيانو ونحو ذلك من الترهات، ولم تصادف هذه الشكوى أقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن أنفسهن وقد توالى الحث عليهن من المقطم وكثر الترغيب حتى جاءه رسالتان من بلدين قال انه لم يرد منهما شكوى من الامهات إحداهما بامضاء « ابنة قبطية » والثانية بامضاء « ابنة شاكرة » وفحوى الرسالتين واحد وهو ان الذنب فى كل ماتشكو منه الامهات عليهن وعلى الآباء في عدم العناية بتربية البنات والاعتراف بأن التعليم لايغني عن التربية شيئاً وان كان فى نفسه نافعاً .

ولا يزال المقطم يثير كوامن الرغبات ، ويحرك سواكن همم البنات ، ونظن انه اذا نثلت الكنائن ، وبعثرت الدفائن ، وفار فى الجدل التنور ، وحصل مافى الصدور ، فانه لايكتب فى الجرائد شيء يخرج عن معنى ماكتب الا ان تفتخر بنت بأنها أصلحت

من بيت أبيها ما كان فاسدا ، ونظمت ما كان مختلا ، أو تفتخر ام بأن بنتها كذلك ،
وسواء كتب هذا أو بقي الفريقان متفقين على سوء تربية البنات ، وعلى كون الذنب
فى ذلك على الآباء والامهات ، فان الحقيقة فى مجموع الشعب المصري لاتظهر بمثل
هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بأن أكثر صواحبها من السوريات ثم من القبط ،
والسوريات لهن أخلاق وراثية وعادات تقليدية ليست للمصريات وان كانت هجرتهن
الى مصر من زمن بعيد وربي بناتهن في مصر وتعلمن فيها ، وأما نساء القبط وبناتهن
فيشاركن المسلمات المصريات فى بعض الشؤن ويفارقهن فى بعضها . ومسافة الخلف
فى المتعلمات من الطائفتين أوسع فان القبطيات المتعلمات يمزقن الحجاب ويحضرن مجالس
الرجال فى زينتهن كنساء الافرنج بلا فرق فلابد أن يكون لذلك أثر فى سيرتهن لايعرف
في المسلمات اللواتي هن أكثر أهل البلاد ،

ويوجد سبب آخر للخلف حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد
التعليم فان من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهن من تعلمت في
مدارس الجزويت أو الفرير ومنهن من تعلمت في مدارس البروتستانت الامريكان
أو غيرهم ومنهن من تعلمت في المدارس الاهلية الاسلامية أو القبطية . ولكل نوع
من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس من يتعلم فيها يحدث خلفا كبيرا فى الاخلاق
والعادات والرغبات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلها في انكلترا التي
يحاولون في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختبار حال البيوت ومعرفة تأثير التربية
في البنات . الأمة هنالك واحدة وللمدارس طريقة واحدة وللتربية العامة نظام واحد
فاذا شكا بعض نساء الانكليز من تربية بناتهن فلك أن تعتبر شكواهن ميزانا للتربية
فى الامة وان تقول ان مايصدق على هؤلاء يصدق على من في طبقتهن فاذا رأيت الشكوى
من جميع الطبقات فلك أن تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنته الشكوى حتى اذا
استثني بعض الافراد كان ذلك لاسباب خاصة فان القواعد الاجتماعية لاتستغرق جميع
أفراد الامم والشذوذ فيها مطرد

اذا سألنا عن حال البنات المتعلمات فى البيوت هل هن قرة عين لامهاتهن أم لا

فلا بد لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المتعلمين المختبرين . والذي يقرب من النظر ويؤيده الخبران تعلم البنات فى مصر سطحي كما يقولون وانه عندهن ضرب من ضروب الزينة فهو فى الغالب يشغلهن عن مساعدة أمهاتهن على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهن من يعتقدن أنهن أرفع منزلة من ذلك . اما حال الامهات معهن فيختلف باختلاف الطبقات فالبيوت الغنية يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهن مشغولات بالزينة في جميع الاوقات وان يكن ممتازات بمعرفة مالا يعرفه سائر البنات من اتقان اللغات الاجنبية واحسان العزف بالبيانو والتفنن في بدع الزينة ، ويعتقدن ان هذه المزايا هي المرغبات الكبرى لمريدي الزواج ، والاسباب الصحيحة للمسرة والابتهاج ،

وأما البيوت التي يحتاج فيها لمساعدة البنات والتي يعسر على أصحابها موافاة رغباتهن الجديدة التي أحدثها التعليم الجديد فلا شك ان الامهات فيها يتبرمن من تقصير البنات فى مساعدتهن على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهن يكتمن ذلك فى الغالب ولا يبدينه الا لمن يسهل عليهن اطلاعه على عوراتهن ، ووقوفه على مساويهن ،

اعتذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعتذر به الكاتبتان صاحبتا الرسالتين فى المقطم بأن الذنب على الوالدين لا على البنات فانهما يعلمان بناتهما الا انهما لا يربيانهن وحسن الحال في المعيشة وكل أعمال الحياة يتوقف على التربية أكثر من توقفه على التعليم لاسيما تعليم المدارس الذي أكثره فيما لا عمل فيه ، إذ بالتربية يكون تمرين الاعضاء على العمل ، وبالتربية تتكون الاخلاق والعادات الحاكمة على الارادة . والارادة هي التي تنفذ ما يقضي به العلم ويظهر وجه المصلحة فيه فمن لا تربية له لا ينفعه علمه الذي تعلمه فى مدرسة العلم ولا علمه الذي تعلمه فى مدرسة الوجود لان العلم عنده يكون صورا خيالية تلوح في ذهنه ثم تغيب ،

وأقول ان هذا العذر على صحته لم يصب موقعه من تبرئة البنات المتعلمات لأن القصد من تعليمهن اصلاح البيوت التي أفسدها جهل أمهاتهن فاذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل ، ويزيدها اعراضا عن العمل ، ويبغض اليها عادات أهلها وقومها نافعة كانت أو ضارة ، ويحبب اليها تقليد قوم آخرين فى الزينة والترف وان أعجز الوصول اليهما أباها وأمها — فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل ، وبلاء نازل ، وان تركه واجب ،

ومقاومته ضربة لازب ،

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلمات وسوء حال غير المتعلمات هو – كما قيل – سوء التربية العامة أو ترك التربية الصحيحة النافعة . ولكن أليس من الضروري ان يكون سوء الاخلاق الذميمة ، وفتك العادات الرديئة ، أقل تأثيرا فى نفس المتعلمة منه فى نفس غيرها ؟ أليست فائدة العلم الكبرى مساعدة التربية لان المتعلم يحكم على ماعليه الناس بغير مايحكم به الجاهل فيميز بين الضار والنافع ، والصالح والفاسد . أليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو أفضل القوى النفسية . فاذا امتازت البنت على أمها بالعقل وصحة الحكم على الامر وعرفت من الحقوق مالا تعرف ، وساوتها في ضعف الارادة ، والخضوع لسلطان العادة ، أليس من المعقول ان يتنازع مابه الامتياز وما به التساوي فيقوى هذا تارة وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غلب فيه مبدأ دخول الاصلاح المطلوب ؟؟

بلى ان اصلاح حال الامم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم فى هذه البلاد يقصد به الى اصلاحها لارتقت فى الاخلاق والاعمال كما ارتقت فى التعليم على أكثر بلاد المشرق . والامر بخلاف ذلك فان أخلاق الناس فى كل بلاد نعرفها أرقى من أخلاق أهل هذه البلاد كما ان عاداتهم أمثل من عاداتهم ، على ان التعليم هنا أكثر انتشاراً منه فى تلك البلاد التي نعنيها والمصريون الذين سافروا الى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون به . وأعجب من هذا ان أكثر الفساد والفجور لم ينتشر فى اكناف هذه البلاد ويتغلل فى أحشائها الا بالمتعلمين فكأنهم لم يتعلموا الا لاجل العمل الا شرب الخمور ولعب الميسر والتفنن فى الزينة والانغماس فى الشهوة البهيمية حاشا نفرا يعدون على الانامل هم الذين أفادهم العلم وحدهم من الوف المتعلمين

السبب فى هذا ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية – سواء كانت للحكومة أو للاجانب أو للاهالي – لم يقصد به الى إصلاح النفوس وارتقائها وجعل المصريين سعداء أعزاء فان مثل هذا القصد لا يأتي الا ممن يغارون على الامة ويرون سعادتهم بسعادتها وعزهم بعزها ، ورؤساء الحكومة المصرية ليسوا كذلك ، والجزويت والفرير والامريكان ليسوا كذلك ، ومنشئوا المدارس الاهلية كان يجب ان يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك . وهذا شيء يعرفه كل أهل البصيرة في مصر وربما نشرحه فى مقالة أخرى

٥١١

تبين من هذا ان قلة استفادة البنات من التعليم سببها انه لم يقصد به اصلاحهن ولا إعدادهن لاصلاح بيوتهن فان هذا التعليم جاء من الافرنج وزمامه بأيديهم في مدارسهم ومدارس الحكومة التي هم قوّام عليها (والمدارس الاهلية مقلدة لهذه المدارس تقليداً أعمى أصم) وإنما يقصد الافرنج جذب نساء هذه البلاد الى النطق بلغاتهم ، والتزي بأزياء نسائهم، واستحسان عادات قومهم وتعظيم شؤنهم ، ليقبضوا من صدور الامة حب جنسها ووطنها ويقطعوا جميع روابطها الملية فتكون طعمة لهم . ومن تراه انتفع بتعليمهم من ذكر وانثى وصلح حاله فاعلم ان ذلك كان بمعونة استعداد فطري عظيم وتربية محمودة وتوفيق الهي أمام ذلك ووراءه

والنتيجة انه لا يرجى ان نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح به شأننا وترتقي به أمتنا الا اذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهمهم إصلاح الامة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط الى هذا أكثر مما وفق المسلمون ، فاذا نهضت بهؤلاء الهمة الى إنشاء مدرسة كلية تناط إدارتها برجال الجمعية الخيرية الذين أثبتوا لنا بثباتهم على خدمة الامة انهم خير رجالها فبشرهم بالنجاح العاجل ، والخير الآجل ، والا كانوا على خطر عظيم ربما لا ينتبهون له الا بعد فوت الفرصة . ووقوع الغصة ، والامر لله العلي الكبير

آثار علمية أدبية

التقريظ

(ارشاد الالبا * الى طريق تعليم الف با)

في أيدي الناس ألوف من الكتب المؤلفة في العلوم والفنون ولكن أكثرها متشابه لان بعضها في الغالب منقول من بعض مع اختصار مخل أو غير مخل وزيادة ضارة أو نافعة وكيفما كان هذا التأليف فهو تقليد من المتأخر للمتقدم منهم من أحسنه ومنهم من أساء فيه وسواء كان التقليد متقنا أو غير متقن فهو ليس من العلم في شيء والمقلد لا يكون عالما ولا مفيدا للعلم ولا مستفيدا له وانما ينتفع بكلام العلماء ومباحثهم

من ينظر فى ذلك بعين البصيرة والاستدلال . ومن نزع من عنقه ربقة التقليد هدي الى الاستفادة والافادة حتى يصح ان يقال فى تأليفه انه له وان فيه علمه وحتى ان الباحث المجتهد ليفيد في كل موضوع وان كان مايظنه الناس بديهيا لامجال فيه للبحث

أمامنا الآن كتاب «ارشاد الالبا . الى طريق تعليم ألف با» الذي وضعه حديثا الشيخ طاهر الجزائري الشهير واسمه يدل على موضوعه . فقد سلك فيه صاحبه مسلكا في الاجتهاد لم يخرج فيه عما قاله أئمة اللغة العربية ولكنه أحسن الاختيار والتصرف فقرب البعيد ، وسهل الحزن ، وذلل الصعب الجامح ، حتى أخرج لنا علم الاوائل فى أحسن صورة انتهى اليها رقيّ الاواخر . فلا يتوهمن أحد من الاسم ان الموضوع بديهي لايحتاج المؤلف فيه الى سعة اطلاع ، ولا براعة في الوضع والتأليف ، وان لاينتفع بهذا الكتاب ، الا معلم الكتّاب ، كلا انه كتاب لايستغني عنه معلم عربي مهما علت منزلته فى العلم ، وان كان كمؤلفه في سعة الاطلاع وقوة الفهم ، فان هذا الرجل أعلم علماء سوريا فى العلوم العربية بل هو أوسع من نعرف اطلاعا على مؤلفات المتقدمين والمتأخرين من أهل هذه اللغة مع تمكنه في علومها . واننا نود ان يطلع عليه جميع علماء الازهر وجميع معلمي العربية فى مدارس الحكومة والمدارس الاهلية فعسى ان يتنبه لذلك شيخ الازهر ومفتشو العربية في المعارف ونظار سائر المدارس فيأمروا بنشر هذا الكتاب فى مدارسهم

لواردنا ان ننشر ماانطوى مافي الكتاب من مباحث الحروف المفردة والمركبة ومباحث النطق والكتابة والتعليم ونورد طائفة من الشواهد والامثلة التي وردت فيه تسهيلا لسبيل التعليم لاطلنا في التقريظ ولا سعة هنا للتطويل . وقد طبع الكتاب فى بيروت طبعا حسنا على نفقة الشيخ أحمد طباره محرر جريدة ثمرات الفنون الغراء وضبط فيه ماينبغي ضبطه وصفحاته ١٤٤ وثمن النسخة منه أربعة قروش وهو يطلب من ادارة المنار ومن مكتبة أمين افندي هندية

(رسالة ألف با) هي رسالة مستخرجة من كتاب (ارشاد الالبا) لاجل التعليم وهي توافق الطرق الحديثة في التعليم على انها مقتبسة من وضع الائمة المتقدمين وصفحاتها ٣٢ وثمن النسخة منها نصف قرش صحيح وتطلب من مكتبة هندية أيضا

﴿ تدبير الاطفال ﴾

كتاب حديث في فن تربية الاطفال وتدبير أمرهم في الصحة والمرض من تصنيف « الدكتور اسكندر جريديني بك مساعد استاذ الفيسيولوجيا سابقا في كلية ماريون سمس الطبية في سانت لويس اميركا » ابتدأ المؤلف كتابه بفصل في تدبير صحة الحوامل وأمراض الحمل وحال الولادة ثم تكلم على تدبير الاطفال منذ يولدون فلم يترك شيئاً يجب ان يبحث فيه الاوفاه حقه ولم يقتصر على الكلام في الوقاية من الامراض الجسدية ومعالجتها بل بحث في تربيتهم النفسية ايضا واطال القول في ثيابهم وغذائهم وخدمتهم. وكلامه في العلل والامراض التي تطرأ عليهم سهل يفهمه كل متعلم ومتعلمة. وجملة القول في هذا الكتاب انه نعمة كبيرة على قراء العربية وانه لايستغني عنه بيت من البيوت فنحث جميع المتعلمين على قراءته ونخص الامهات بالحث عليه. وقد طبع طبعا حسنا في مطبعة الهلال وصفحاته ٢٦٨ وثمن النسخة منه ١٢ قرشا صحيحا وأجر البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ الالفاظ المترادفة ﴾

رسالة للامام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (رحمه الله تعالى) اعتنى بشرحها وطبعها محمد أفندي محمود الرافعي بعد ان صححها وضبط ألفاظها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي امام اللغة في هذا العصر. والمراد بالالفاظ المترادفة فيها الالفاظ التي يجمعها معنى عام وان كان لكل لفظ منها معنى خاص يغاير الآخر فهي في المفردات نحو كتاب (الالفاظ الكتابية) للهمداني في الجمل ولكن فيها من الفوائد مالا يغني هو عنه وقد طبعت بالشكل في مطبعة الموسوعات وتباع في المكتبة الازهرية وثمن النسخة منها قرش ونصف فنحث طلاب العلم لاسيما المشتغلين بالكتابة والشعر على اقتنائها ومطالعتها

﴿ مراقي الترجمة ﴾

صدر الكتاب الرابع من مراقي الترجمة من الانكليزية الى العربية وبالعكس وهو خاص بتلامذة السنة الرابعة في المدارس الابتدائية. ومن فوائد هذا الجزء أنه مشتمل على مسائل الشهادة الابتدائية في الترجمة التي امتحن بها الطلاب في المعارف من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٣ فنشكر لمؤلفه وناشره أبي زيد افندي فايد عمله ولمساعديه

٥١٤

على التأليف عبد الحميد افندي الشربيني ومحمود افندي عثمان عطا الله (الثلاثة من المدرسين في مدرسة الناصرية الاميرية) ونحث جميع متعلمي الانكليزية على الانتفاع بكتابهم وثمنه قرشان ونصف قرش فقط

﴿ المقامات العشر * لطلبة العصر ﴾

انتخب الشيخ محمد المبارك الجزائري عشر مقامات من مقامات الحريري واختار ان يقرأها طلاب العلم لتكون مادة لهم في اللغة وقد شرحها ليسهل عليهم فهمها فطبعها على نفقته الشيخ أحمد حسن طباره محرر جريدة «ثمرات الفنون» الغراء في بيروت وجعل ثمن النسخة منها ثلاثة قروش ولعل محبي هذه المقامات من طلاب العلم يكتفون بها ويجعلون همهم الاستفادة من مفرداتها من غير عناية بأسلوبها. وهي تطلب من مطبعة هندية

﴿ ملكة على عرش الفراعنة ﴾

اسطورة انكليزية تشرح بعض عادات المصريين الاولين وفراعنتهم وموضوعها ان فرعون موسى عشق غادة مصرية اسمها تاهوسر كانت عاشقة للشاب الإسرائيلي بوياري مدير الاملاك الخاصة بالاسرة الملكية وكان من كبار الاغنياء وكانت الفتاة من أولاد أكابر الكهان ذات ثروة عظيمة ولم تجد سبيلا للقرب من معشوقها الامغادرة قصرها متنكرة بزي فقيرة والدخول في قصره والانتظام في سلك خوادمه لعلها تستميله بما يشاهد من جمالها وكمالها ولكنها لسوء حظها علمت بعد ذلك انه عاشق لفتاة من قومه اسمها راحيل على ان الفتاة الاسرائيلية رضيت بأن يجمع خطيبها بينها وبين المصرية اذا هي تركت دين قومها وعبدت مع الاسرائيليين إلها واحدا وكاشفتها بذلك وأخبرتها بأن سيخرجون مع موسى من مصر فرضيت المصرية بالخروج معهم ولكن خادمة راحيل دلت فرعون عليها فأخذها الى قصره وكان يستميلها فلا تميل اليه حتى اذا ظهر موسى عليه السلام يدعوه الى ارسال بني اسرائيل معه صارت تلين له القول ليسمع نصحها له بعدم الفتك ببني اسرائيل وفي الاسطورة من خبر موسى مع فرعون ما يصح وما لا يصح

ومن فوائد هذه القصة العلم بأن بعض الاسرائيليين كانوا مقربين من الفراعنه لاحسانهم خدمتهم وكانوا أصحاب ثروة واسعة على ما مني به قومهم من الظلم والاضطهاد، ومنها تمايل عشق فرعون للفتاة وتذلله لها بأن نساءه على جمالهن البارع كن يعاملنه

معاملة العبد للمعبود وان حظ الرجل الطبيعي من المرأة هو ان يكون لها سلطان على قلبه نظير سلطانه على قلبها وان يعامل كل منهما الآخر معاملة النظير للنظير في الشئون الزوجية وذلك ما أعوز فرعون حتى التمسه في عشق الفتاة فوجده لولا انه لم يستطع امتلاك قلبها كما ملكها قلبه . ومن الخطأ فيها نسبة الكذب الى موسى عليه السلام وزعم ان فرعون لم يكن يعرفه قبل بعثته وانه بعث وهو شيخ كبير وان العصا كانت لهرون وكان هو الذي يعمل بها العجائب بأمر موسى عليهما السلام وغير ذلك وهو خطأ ضار . اما ترجمة الرواية فحسنة ومترجمها نقولا افندي رزق الله وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة بمصر وثمن النسخة ٨ قروش

باب الأخبار والآراء

﴿ وفاة حسن باشا ناظر البحرية ﴾

ننقل ترجمة هذا الوزير عن جريدة (محمدان) الهندية كما نقلتها عن جريدة الاخبار الاسلامية (مسلم كرونيكل) وهي رسالة لمكاتب هذه في لندن مأخوذة من رسالة من الاستانة كتبت في اليوم الثالث لموت الوزير . وقد نشر في بعض الجرائد المصرية ترجمة الرجل على نحو ما في جريدة الدولة الرسمية خالية من كل عبرة وفائدة وذلك ان جرائد المسلمين في مصر تحو في الاخبار العثمانية منحى جرائد الاستانة وسوريا وهي لا تكاد تنشر الا ما يوافق الاهواء . ومن هنا نستدل على كون جرائد المسلمين في الهند أرقى حرية من أخواتها في مصر ولعل سبب ذلك ان القارئين صاروا هنالك أرقى منهم هنا في الحرية اذ يحبون ان يعرفوا الحقيقة لا ان يتلذذوا بالمدح وان كان كذباً . قال المكاتب ما تعريبه :

الرأي العام مجمع على ان قوة الدولة العثمانيـــة الحربية توازن قوة أية دولة من الدول الكبرى ولكن بحرية الدولة صارت من عدة سنين قرحا في جسمها ومرضا في بنيها وقد كانت الى عهد حرب القريم بحيث لا تقل عن قوة فرنسا وروسيا ان لم تكن من أعلى القوى البحرية . لذلك كان مما يثير العجب ان لا يكون لتركيا موقف مع الدول البحرية لهذا العهد . وقد علم قراء (الكرونكل) من رسائلي السابقة في هذا الموضوع الاسباب والاحوال

٥١٦

التي هبطت بحرية الدولة الى هذا الحضيض. وكل هذا الهبوط والتأخر ينسب الى رجل واحد استحق لعن الامة التركية — هذا الرجل البغيض هو حسن باشا حسني

مات حسن باشا حسني ناظر البحرية العثمانية أول أمس وكان يرجو الناس موته من زمن بعيد وكان موته في قصره بانكوروشمه على ضفة البوسفور وهو في سن الثمانين ولم يعرف فى تاريخ البشر من أول الخليقة الى الآن رجل كان أشد بغضا ومقتا الى أمته من هذا الرجل الذي مكث في منصبه هذا نحو ربع قرن. ولي البحرية العثمانية وهي فى الدرجة الثانية من قوى البحرية الاوربية وتركها وهي أدنى القوى البحرية فى العالم وأضعفها. ولقد تستحوذ الدهشة على الانسان وتملكه الحيرة اذا حاول فهم سبب اهمال البحرية من دولة حربية عارفة بمكانة القوى البحرية في هذا العصر. على ان هذا الناظر لم يكن أقل علما من أعظم أمراء البحر فى أوروبا بل المشهور عنه أنه كان من أمثل امراء البحر فى الدول البحرية العظمى وأمهرهم وأحذقهم ولكن هذا الرجل الذي كان من أكبر رجال الدولة هو الذى أضعف تلك القوة العظمى عامدا متعمدا وقد وصفته احدى الجرائد التركية اليوم بأنه أعظم عبيد السلطان أمانة وأشدهم استقامة ولكن أفكارنا وشكل الحكومات الراقية فى هذا العصر يحولان دون الاعتقاد بأن الخائن لامته ودولته، يكون ناصحا لسلطانه وصادقا في خدمته، ذلك لان النصح للحاكم والاخلاص فى خدمته أمران لازمان لحكومته اذ لا معنى لخدمة الحاكم من حيث هو حاكم الا خدمة الحكومة التي هو رئيسها. وكان فساد طوية حسن باشا وتركه محاسبة نفسه واستفتاء قلبه حال دون التمييز بين الرجل من حيث هو حاكم ومن حيث هو شخص ربما يرجى نفعه ويخشى ضره. لذلك كان يقضي ليله ونهاره مدة ربع قرن فى تجريد السفن الحربية من جميع عدتها التي تكون بها صالحة للحرب. ولا يدري أحد من الناس أين صرفت الاموال العظيمة المخصصة للبحرية فى ميزانية الدولة اذ لم يطالبه أحد بحسابها بل كان مطلق التصرف ومتمتعاً بالسلطة التامة فى نظارته الى آخر حدودها وكان يولي ويعزل من شاء من غير سؤال ولا مراقبة من أحد نافذ الرأي مطاع الامر في نظارته وفي مجلس الوزراء بل وفى قصر يلدز نفسه.

ولقد مات موتة شنيعة سبقها مرض تمادى في جسمه سنة كاملة كان فيها موضعا لسبعين نوعا

٥١٧

من الاعمال الجراحية وذاق فيه من الآلام مالا يطاق. وكان يجمجم وهو يتقلب في غمرات الموت بهذه الكلمة توبة وندماً «ما جنيت اذ جنيت وحدي ولكن كان لي شركاء» او ما هو في معناها وسيكون موته عبرة لغيره ممن يدفعون الى الجري على سننه

عين حسن باشا ناظراً للبحرية ولم يكن يملك شيئاً حتى ولا بيتاً يقيم فيه ومات بالامس وهو يكاد يكون أغنى رجل في تركيا وتقدر ثروته المنقولة والثابتة بثمانية ملايين من الجنيهات وكان دخله السنوي مئتي ألف جنيه وكان يشتري كل ما يباع حيثما وجده وإن لم يكن قادراً على كمال الانتفاع به لانه لم يكن يسمح له بالخروج من القسطنطينية. وقد أقبل الناس هنا (الاستانة) على الجرائد التي نعته بالامس واشتروا منها عدداً عظيماً وقد أخذتهم روعة من السرور استغرقت شعورهم وطفق يهنئ بعضهم بعضاً بالجهر من القول بكمال الحرية، وكان الفرح عاماً في السواحل البحرية فان أتراك الاستانة وسواحل البحر الاسود وبحر مرمره والساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وخليج العجم مولعون جداً بالبحرية فالسفينة المدرعة أبهى في نظرهم من الخميس العرمرم من الجيش. ولو كانت ترجمة الرجل الرسمية مما يستحق العناية لنقلناها من الجريدة الرسمية بحروفها ذلك أن أعماله قليلة جداً فلا نصيب لها من التطويل

كان حسن ولداً لباشا فريق في البحرية ولا ينبغي ان يعتقدانه ارتقى بنسبه بل كان أنجب التلامذة في المدرسة والمقدم في فرقته ومحبوباً بالكل اساتذة ولما نال الشهادة من المدرسة البحرية التي كانت وقتئذ حديثة النشأة عين ملازماً في السفينة المسماة (خداداد) وقام بخدمة الحكومة في البحر المتوسط على سواحل افريقيه وسواحل الجبل الاسود وجزيرة كريد والبحر الاحمر وشهد حرب القريم وأبلى بلاء حسناً في حرب سيباستبول وكان يومئذ أمير عمارة البحر الاسود في الحرب الروسية العثمانية الاخيرة وقد أعجب الناس بنجاحه ومهارته يومئذ في إنزال الجنود العثمانية في باطوم

ترك حسن باشا اثني عشر ولداً أكثرهم مستخدمون في دار الصناعة (الترسانه) العثمانية. وكان يتكلم بالتركية واليونانية والانكليزية

فتنة بيروت

في بيروت رهط من الاشقياء يسفكون الدماء ويهينون الوجهاء ويسلكون في شرورهم مسلك التحمس الديني فيزعمون انهم ينصرون الدين بفسادهم فاذا سمع

المسلم منهم ان نصرانيا أهان مسلما أو قتله يفعل كما يفعل النصراني اذا سمع بمثل ذلك ينتقم كل منهما للمنتسب الى دينه وان كان مجهولا من أي مخالف له وان كان بريئا ولم توجد شريعة وضعية فضلا عن شريعة الهية تأمر بأخذ البريء بجريرة الاثيم لأنه يشاركه في الانتساب الى الدين . وأشهر هؤلاء الاشقياء جان اسمه الياس الحلبي فقد بلغنا عنه انه اذا عزم على الفتك بمسلم مايذهب أولا الى الكنيسة فيسجد للسيدة العذراء عليها السلام ويمس صورتها بسلاحه ويطلب منها الاعانة على الفتك باعدائه واعدائها — وما كان المسلمون من اعدائها فانهم يبرئونها من الدنس ويحكمون بكفر قاذفها — ثم ينطلق الى جنايته قرير العين معتقدا أنه مؤيد بتلك الروح الطاهرة التي هي أبعد الارواح عن الرضى بهذا العدوان والشر الكبير . ويجهل هـذا الشرير وصايا الانجيل بمحبة الاعداء ولايجد من يذكره هو وأمثاله بها كما لايجد أشرار المسلمين من يذكرهم بوصايا الكتاب والسنة ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا ظلم أهل الذمة أديل للعدو » رواه الطبراني عن جابر بلفظ « كانت الدولة دولة العدو » وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة » الخ رواه احمد والنسائي وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية »: رواه ابو داود عن جبير بن مطعم . وقوله عليـه السلام « العصبية ان تعين قومك على الظلم » رواه البيهقي عن واثلة ونحو هذه الاحاديث

بل اننا نسمع ان من وجهاء الطائفتين من يساعد أشقياءها حتى ان إلياس الحلبي قد رتب له بعض الاغنياء في بيروت وكبار الموظفين في لبنان الرواتب الكافيـة ولا أحب أن أذكر أسماءهم . وأعجب من هذا وذاك ان الوالي رشيد بك الذي عهد اليه السلطان حفظ الامن كان هو الذي يغري بعض الاشقياء ببعض لينتفع من الفريقين وكل أهل بيروت ولبنان يعرفون هذا وقد نوهنا بسوء سيرته في السنة الأولى والسنة الثانية من المنار وقلنـا ان السماء والارض تستجيران من ظلمه ولكن من يسمع لنا اذا كانت الاستانة لم تسمع من المتظلمين من رعيته شكواهم عليه فقد علمنا ان طائفة من أهل بيروت شكوه بالبرق الى السلطان وقد كان علم فسبقهم وأرسل اليه يقول ان طائفة من من شيعة الترك الاحرار قـد أعيتهم الحيل في تتبع حركاتهم وسكناتهم فارادوا ان

يتظاموا مني الى مولاي بأمور يتجرمون بها : فقبل السلطان قوله ولم يسمع لهم شكوى.

هـذا الاهمال جرّ الى تفاقم الشرور ، وتغلغل الاحقاد في الصدور ، فكانت توري كلما قدحت الحوادث بزندها حتى اذا قتل في آخر الاسبوع الاسبق بعض الابرياء من المسلمين انفجر البركان ، وتلاحم الفريقان ، وكان في أول الاسبوع الماضي ما كان. كانت في بيروت فتنة عامة قتل فيها كثيرون من الطائفتين وجرح الكثيرون وتعب الجند في إخماد الثار وقتل منهم أفراد وهو أمر لم يسبق له نظير ونزح عشرات الالوف من النصارى الى جبل لبنان ، فعوملوا معاملة الاخوان للاخوان ، ودخل وكلاء الدول في الامر وطلبوا من الوالي الغوي رشيد بك ان يتعهد بحفظ الامن فأبى لعلمه بأنه هو المجرّئ بسوء سيرته لجميع الاشقياء بالعدوان ، حتى لم يبق له عليهم سلطان، وقد ثبت هذا للقناصل بالبحث والاختبار فكتبوا بذلك الى دولهم وكان ذلك سببا في عزل الوالي الغوي وصدور الامر لوالي سوريا ناظم باشا بالقدوم الى بيروت واعادة الامن ومعاقبة الجناة الى ان يعين لها وال جديد فصدع بالامر وأعاد الامن وأمر الناس بالعود الى أشغالهم بعد ما أقفلت المخازن والدكاكين وبطلت الاعمال كلها فابى النصارى الامتثال وقال مطران الروم للوالي ان أبناء طائفته لا ثقة لهم بالامن الا أن يكون بعهد من الدول الاجنبية . والحق أنهم يثقون به في قلوبهم ولكنهم افترصوا الحادثة لطلب ما ذكر

هذا ما يطمع فيه قوم منهم وبعضهم يطمع في جعل بيروت تابعة للجبل وظنوا ان هذه الحادثة فرصة تغتنم ويرجى فيها أن تساعد الدول على الالحاق فتكون حكومة عروس سوريا أو عروس المملكة العثمانية (بيروت) مسيحية كما ان انقواها المالية والادبية مسيحية وهم معذورون في هـذا الطلب وذلك من حيث هم مسيحيون إذ لو كنت في موقع كموقعهم لتمنيت ان يكون حاكمي مسلما، ولكن لا عذر لمن يمهدون لهم السبل لذلك من المسلمين بل الواجب عليهم ان لا يدعوا لهم منفذا للشكوى ان استطاعوا. ولعمري ان الحكومة قادرة على ذلك اذا كان الوالي مثل ناظم باشا وانني سمعت الناس في سوريا يلهجون بأن مدحت باشا كان ألف بين الفريقين في بيروت كسائر سوريا حتى صاروا كالاخوة في التعامل ويعتقدون ان ناظم باشا قادر على مثل هذا التأليف لا سيما اذا علم انه يرضي السلطان لما وقعت الحادثة وردت الرسائل من النصارى الى الجرائد السورية ومن المسلمين

الى الجريدة الاسلامية (المؤيد) في شرح الحادثة وكل فريق يلقي التبعة على الآخر ويعد نفسه مظلوما وقد انتصرت كل جريدة لقومها معتمدة على ما كتب اليها وطفقت جرائد السوريين تلوم المؤيد بأنه انتصر للمسلمين تعصبا لهم وتدى نفسها مع ان السوريين أعلم من المؤيد بخبث الفريقين ولهم علم بميز ما في الرسائل من المبالغة دونه وكانوا يقولون ذلك أحيانا مع الإنحاء على المسلمين خاصة الاان جريدة الاهرام كتبت كتابة العثماني المعتدل الذي يريد المصالحة وان نشرت رسائل لغير المعتدلين. ولو كان لي سلطان على الجرائد لالزمتها بأن تكتب فى تأنيب الطائفتين كما كتبت جرائد بيروت الاسلامية والمسيحية (لاجرائد لبنان) بل لألزمت المسلم بشدة لوم المسلمين والنصراني بشدة لوم النصارى لان هذا هو الانفع في رأيي

سعاية خائبة

لما علم بعض الاشرار بالطبع ان الاستاذ الامام يقصد في صيف هذا العام زيارة بلاد الجزائر وبلاد تونس افترصوا ذلك فكتبوا فى السعاية به الى حكومة الجزائر رسالتين إحداهما أرسلت من مصر والاخرى من الاسكندرية باسم الحاكم الفرنسي العام وفيهما ما فيهما من قول الزور والاغراء بالامام بزعم انه لايقصد بالسفر الى الجزائر الا تحريض المسلمين على الثورة والخروج على الحكومة ونبذ طاعتها وانه قادر على ذلك . . . كما كتبوا بمثل ذلك الى الاستانة عند ما توجه الى زيارتها مندغامين

كتبوا هذا لاعتقادهم ان الحكومة الفرنسية هناك حكومة خرقاء تأخذ بالشبهة وتنقم من البريء لادنى وهم يوسوس به شيطان من شياطين الانس ، أو يهجس به في الخاطر عفريت من الجن ، ولظنهم ان الحكومة الفرنسية تجهل قدر الاستاذ الامام ومقامه الديني. ولكن الحكومة الفرنسية فوق أوهامهم وأحلامهم فقد بلغنا انها قد تلقت الرجل العظيم بالحفاوة والاجلال اللائقين بشخصه وبمقامه الديني والعلمي كما تلقاه فى انكلترا كبراء الانكليز وعلماؤهم ، فسر بهذه المعاملة الحسنة لاشهر ائمة المسلمين في هذا العصر مسلمو الجزائر ورأوا ذلك دليلا على حسن قصد حكومتهم وحسن سياستها

فليعتبر فضلاء المصريين بهؤلاء الابالسة الذين يعز عليهم ان يوجد في الامة رجل جليل عالي القدر محترم المقام حتى انهم يبذلون جهدهم فى تمزيق الكذب ليحملوا الاجانب على اهانة ساداتهم وائمة الدين الذي ينتسبون اليه وان كان يتبرأ منهم . ولو شاء الفضلاء الانتقام الادبي من هؤلاء الاشرار لفعلوا ولكنهم لايتفقون

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاربعاء ١٦ رجب سنة ١٣٢١ — ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ، وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ *

قال ائمة اللغة ان أصل النسخ النقل سواء كان نقل الشيء بذاته كما يقال: نسخت الشمس الظل: أي نقلته من مكان الى مكان او نقل صورته كما يقال: نسخت الكتاب: اذا نقلت عنه صورة مثل الاولى وورد: نسخت الريح الأثر: أي أزالته. وأصل النسيان الترك او هو غايته اللازمة ومنه

قوله تعالى «أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى» أي تركتها بترك العمل بها فجزاؤك أن تترك في العذاب فاحفظ المعنى اللغوي

﴿ الاستاذ الامام ﴾ للمفسرين فى تفسير هذه الآية طريقان احدهما انها على حد قوله تعالى « وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ » فالنسخ هنا بمعنى التبديل أي اذا جعلنا آية بدلا من آية فاننا نجعل هذا البدل خيرا من المبدل منه أو مثله على الأقل فالآية عندهؤلاء فى نسخ التلاوة ، وقالوا ان المراد بالنسيان هو ان يأمر الله تعالى بعدم تلاوة الآية فتنسى بالمرة . (قال) وهذا بمعنى التبديل فما هي الفائدة في عطفه عليه بأو ؟ وهل هو الا تكرار يجل كلام الله عنه ؟

وثانيهما ان المراد نسخ حكم الآية وهو عام يشمل نسخ الحكم وحده ونسخه مع التلاوة وهذا هو القول المختار للجمهور وقالوا فى توجيهه انه لامعنى لنسخ الآية فى ذاتها ولا حاجة اليه وانما الاحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال فاذا شرع حكم في وقت لشدة الحاجة اليه ثم زالت الحاجة فى وقت آخر فمن الحكمة ان ينسخ الحكم ويبدل بما يوافق الوقت الآخر فيكون خيرا من الاول أو مثله في فائدته من حيث قيام المصلحة به . وقالوا ان المراد بالانساء إزالة الآية من ذاكرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اختلف فى هذا أيكون بعد التبليغ أم قبله فقيل بعده كما ورد فى أصحاب بئرمعونة «*» وقيل قبله حتى انّ السيوطي روى

(*) المنار: بئرمعونة موضع بين الحرمين قيل لهذيل وقيل لسليم وهناك اغتيل جماعة من الصحابة اكثرهم قراء فحزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه عليهم وروى البخاري وغيره انه نزل فيهم وحي منه عن لسانهم « بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضينا

فى أسباب النزول ان الآية كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلا فينساها نهارا فحزن لذلك فنزلت الآية. قال الاستاذ الامام: ولا شك عندي فى ان هذه الرواية مكذوبة وان مثل هذا النسيان محال على الانبياء عليهم السلام لانهم معصومون فى التبليغ والآيات الكريمة ناطقة بذلك كقوله تعالى «انَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ» وقوله «انَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»: وقد قال المحدثون والاصوليون ان من علامة وضع الحديث مخالفته للدليل القاطع عقليا كان أو نقليا كأصول الاعتقاد وهذه المسألة منها فان هذا النسيان ينافي العصمة المجمع عليها

وقالوا فى تفسير قوله تعالى بعد ما ذكر «ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير» انه ورد مورد الاستدلال على القدرة على النسخ بالمعنى الذي قالوه أي انه لا يستنكر على الله تعالى كما زعم اليهود لأنه مما تناله قدرته ثم استدل على ذلك بقوله «ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض» الآية. والخطاب فى «تعلم» للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به غيره من المؤمنين الذين ربما كانوا يتمضون من كلام اليهود وغيرهم من المعترضين على النسخ، وضعيف الايمان يؤثر فى نفسه أن يعاب ما يأخذ به فيخشى عليه من الركون الى الشبهة أو الحيرة فيها ففي الكلام تثبيت لمن كان كذلك من الضعفاء ودعم لايمانهم، وتوجيه الكلام الى شخص يراد غيره شائع فى كلام العرب

عنه» وليس كل وحي قرآنا فان للقرآن احكاما ومزايا مخصوصة وقد ورد فى السنة كثير من الاحكام مسندة الى الوحي ولم يكن النبي ولا اصحابه يعدونها قرآنا. بل جميع ما قاله عليه السلام على انه دين فهو وحي «وما ينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى» وأكثر الاحاديث كذلك ومنها القدسية. ومن لم يفقه هذا من العلماء وقعت لهم أوهام فى بعض الاحاديث رواية ودراية وزعموا انها كانت قرآنا ونسخت

والمولدين ولذلك قال بعض العلماء : نزل القرآن على طريق قولهم « اياك أعني واسمعي ياجاره » : واذا كان هذا الملك العظيم لله وحده فلا شك انه لا يعجزه ان ينسخ حكماً من الاحكام . ومن آية ارادة الامة بالخطاب الالتفات عن الافراد الى الجمع بقوله « وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » أي ان وليكم وناصركم هو الله تعالى وحده فلا تبالوا بمن ينكر النسخ أو يعيبكم به ولا ينبغي ان يستهويكم انكارهم فيميلكم عن دينكم فانه لا قيمة له ولا للمنكرين اذ ليس في استطاعتهم ان يضروكم أو ينفعوكم اذا كان الله هو مولاكم وناصركم . واذا أراد الله بكم سوءا فلا يملكون ان يدفعوه عنكم

ثم قال تعالى « أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل » وهذا كلام جديد منقطع عما قبله وقالوا ان (أم) هنا للاستفهام لا للاضراب لان أم التي تستعمل بمعنى (بل) يقصد بها الاضراب عن الكلام السابق ولا يظهر الاضراب هنا . هذا مااختاره الاستاذ الامام من قولهم (قال) واستشهدوا لأم الاستفهامية بقول الشاعر :

فوالله لا أدري أهند تقولت ‏ ‏ ‏ أم القوم أم كل اليّ حبيب

وبعض المفسرين يقولون ان أم هذه منقطعة للاضراب عن عدم علمهم بالسابق الى الاستفهام عن اقتراحهم فهي تتضمن الاضراب والاستفهام معاً وتجد الجلالين يقدر ان ذلك في تفسيرها وقد قدرا فيه هنا « بل أتريدون » والحاصل ان المعنى هنا : أتريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى قومه تبرما واعناتا ؟ يحذر المسلمين مافعل أولئك وقد أتبع التحذير بالوعيد فقال « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضلّ سواء السبيل » أي ان ترك الآيات

الموجودة والاعراض عنها لاعنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال غيرها هو من اختيار الكفر على الايمان واستحباب العمى على الهدى

﴿ الاستاذ الامام ﴾ هذا تقرير ماجرى عليه المفسرون فى الآيات واذا وازنّا بين سياق آية «ماننسخ» وآية «واذا بدلنا آية مكان آية» نجد ان الاولى ختمت بقوله تعالى « ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » والثانية بقوله «والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مُفتَر» ونحن نعلم شدة العناية في أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات . فذكر العلم والتنزيل ودعوى الافتراء فى الآية الثانية يقتضي ان يراد بالآيات فيها آيات الاحكام . وأما ذكر القدرة والتقرير بها في الآية الاولى فلا يناسب موضوع الاحكام ونسخها وانما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة فلو قال : ألم تعلم ان الله عليم حكيم : لكان لنا ان نقول انه أراد نسخ آيات الاحكام لما اقتضته الحكمة من انتهاء الزمن أو الحال التي كانت فيها تلك الاحكام موافقة للمصلحة . وقد تحير العلماء فى فهم الانساء على الوجه الذي ذكروه حتى قال بعضهم ان معنى (نُنْسِهَا) نتركها على ما هي عليه من غير نسخ وأنت ترى ان هذا وان صح لغة لايلتئم مع تفسيرهم اذلا معنى للاتيان بخير منها مع تركها على حالها غير منسوخة (قال) والمعنى الصحيح الذي يلتئم مع السياق الى آخره أن الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم اي : ماننسخ من آية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء اي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بمالنا من القدرة الكاملة والتصرف فى الملك نأتي بخير منها فى قوة الاقناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه فى قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع

انبيائه . والآية فى أصل اللغة هي الدليل والحجة والعلامة على صحة الشيء وسميت جمل القرآن آيات لانها بإعجازها حجج على صدق النبي ودلائل على انه مؤيد فيها بالوحي من الله عز وجل من قبيل تسمية الخاص باسم العام . ولقد كان من يهود من يشكك في رسالته عليه السلام فقالوا ان النبوة محتكرة لشعب اسرائيل وقد تقدمت الآيات فى تفنيد زعمهم هذا، وقالوا «لولا أوتي مثلما أوتي موسى» من الآيات فرد الله تعالى عليهم في مواضع منها قوله عز وجل بعد حكاية قولهم هذا «أولَمْ يَكفُرُوا بِمَا أوتِيَ مُوسَى من قَبلُ» الخ ومنها هذه الآيات والخطاب فيها للمؤمنين الذين كان اليهود يريدون تشكيكهم كأنه يقول ان قدرة الله تعالى ليست محدودة ولا مقيدة بنوع مخصوص من الآيات أو بآحاد منها لا تتناول غيرها وليست الحجة محصورة في الآيات السابقة لا تتعداها بل الله قادر على ان يأتي بخير من الآيات التي أعطاها موسى وبمثلها فانه لا يعجز قدرته شي ولا يخرج عن ملكه شيء كما ان رحمته ليست محصورة في شعب واحد فيخصه بالنبوة، ويحصر فيه هداية الرسالة ، كلا ان رحمته وسعت كل شيء كما ان قدرته تتصرف بكل شيء من ملك السموات والارض الذي لا يشاركه فيه مشارك ، ولا ينازعه فيه منازع ، فيكونَ وليا ونصيرا لمن كفر بنعمه ، وانحرف عن سننه ،

أنظر كيف اسفرت البلاغة عن وجهها فى هذا المقام فظهر ان ذكر القدرة وسعة الملك انما يناسب الآيات بمعنى الدلائل دون معنى الاحكام الشرعية والاقوال الدالة عليها من حيث هي دالة عليها لا من حيث هي دالة على النبوة. ويزيد هذا سفورا ووضوحا قوله عقيبه «أم تريدون ان

تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل» فقد كان بنو اسرائيل لم يكتفوا بما أعطي موسى من الآيات وتجرءوا على طلب غيرها «وقالوا ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» وكذلك كان فرعون وقومه كلما رأوا آية طلبوا غيرها حتى رأوا تسع آيات بينات ولم يؤمنوا. وقوله تعالى «كما سئل موسى» يشمل كل ذلك

قد أرشدنا الله تعالى بهذا الى أن التفنن فى طلب الآيات وعدم الرضوخ لما يجيء به النبي منها والاكتفاء به بعد العجز عن معارضته هو دأب المطبوعين على الكفر الجامدين على المعاندة والجاحدة فانه قال بعد انكار هذا الطلب «ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل» ويوضح هذا قوله تعالى فى آية أخرى «وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرسِلَ بالآياتِ الا أَنْ كَذَّبَ بها الأَوَّلُونَ» والمراد الآيات المقترحة بدليل السياق وهو اتفاق بين المفسرين. ولو كان الموضوع موضوع طلب استبدال أحكام بأحكام تنسخها لما كان للتوعد بالكفر وجه وجيه. وقوله تعالى «فقد ضل سواء السبيل» معناه انه أخطأ وسط الجادة ومال الى أحد الجانبين ومتى انحرف السائر فى سيره عن الوسط يخرج عن المنهج ويبعد عنه كلما أوغل فى السير فيهلك دون الوصول الى المقصد. والمراد بسواء السبيل الحق والخير اللذان تكمل الفطرة بالاستقامة على السير فى طريقها. ومن مال عن الحق وقع فى الباطل لامحالة «فماذا بعد الحق الا الضلال»

هذا هو التفسير الذي تتصل به الآيات ويلتئم بعضها مع بعض على وجه يتدفق بالبلاغة وهو الذي يتقبله العقل ويستحليه الذوق اذ لايحتاج الى شيء من التكلف في فهم نظمه ولا فى توجيه مفرداته كالانساء والقدرة

والملك. وقد اضطرب القائلون بان المراد بالنسخ نسخ الاحكام مع ماعامت من التكلف الى القول بجواز النسيان الوحي وطفقوا يلتمسون الدلائل على ذلك حتى اوردوا قوله عزوجل (وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) وليس في الموضوع ولا المخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام وانما جاء على طريق الحكاية وأما قوله تعالى (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ) فهو يؤكد عدم النسيان لان الاستثناء بالمشيئة قد استعمل فى أسلوب القرآن للدلال على الثبوت والاستمرار كما فى قوله تعالى (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) أي غير مقطوع وقوله (قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ) والنكتة في الاستثناء بيان ان هذه الامور الثابتة الدائمة انما كانت كذلك بمشيئة الله تعالى لا بطبيعتها فى نفسها ولو شاء الله تعالى ان يغيرها لفعل. وهذا الاعتقاد من مهمات الدين فلا غرو ان تزاح عنه الاوهام في كل مقام يمكن ان تعرض فيه. فليس امتناع نسيان الوحي طبيعة لازمة للنبي وانما هو تأييد ومنحة من الله تعالى وليس خلود أهل الجنة في الجنة واجب عقلي أوطبيعي وانما هو بارادة الله تعالى ومشيئته

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «أَوْ نَنسَأْهَا» أي نؤخرها ولا يظهر هذا المعنى فى مقام نسخ الاحكام كما يظهر في نسخ الآيات والمعجزات المقترحة على الانبياء فان الآية التي تقترح على نبي لانها كانت لنبي قبله قد تنسخ بآية جديدة خير منها أومثلها وقد تؤخر بالآية الجديدة ثم تعطى فى وقت آخر بعد الاقتراح ولكن تأخير آيات الاحكام ليس له معنى ظاهر

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(تابع لما في الجزء الثالث عشر)

ويقال (سادس عشر) كل طائفة منكم معاشر المقلدين قد أنزلت جميع الصحابة من أولهم الى آخرهم وجميع التابعين من أولهم الى آخرهم وجميع علماء الأمة من أولهم الى آخرهم الا من قلدتموه في مكان من لا يعتد بقوله، ولا ينظر في فتواه، ولا يشتغل بها، ولا يعتد بها ولا وجه للنظر فيها الا للتمحل وإعمال الفكر وكده في الرد عليهم، اذا خالف قولهم قول متبوعه وهذا هو المسوغ للرد عليهم عندهم فاذا خالف قول متبوعهم نصا من الله ورسوله فالواجب التمحل والتكلف في اخراج ذلك النص عن دلالته، والتحيل لدفعه بكل طريق حتى يصح قول متبوعهم، فيالله لدينه وكتابه وسنة رسوله ولبدعة كادت تثل عرش الإيمان وتهد ركنه لولا أن الله ضمن لهذا الدين انلايزال فيه من يتكلم باعلامه ويذب عنه، فمن أسوأ ثناء على الصحابة والتابعين، وسائر علماء المسلمين، وأشد استخفافا بحقوقهم، وأقل رعاية لواجبها، وأعظم استهانة بهم، ممن لايلتفت الى قول رجل واحد منهم ولا الى فتواه غير صاحبه الذي اتخذه وليجة من دون الله ورسوله.

ويقال (سابع عشر) من أعجب أمركم أيها المقلدون انكم اعترفتم وأقررتم على أنفسكم بالعجز عن معرفة الحق بدليله من كلام الله وكلام رسوله مع سهولته وقرب مأخذه واستيلائه على أقصى غايات البيان، واستحالة التناقض والاختلاف عليه، فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وقد نصب الله سبحانه الادلة الظاهرة على الحق، وبين لعباده مايتقون، فادعيتم العجز عن معرفة مانصب عليه الادلة وتولى بيانه ثم زعمتم انكم قد عرفتم بالدليل ان صاحبكم أولى بالتقليد من غيره وانه أعلم الامة وأفضلها في زمانه وهلم جرا وغلاة كل طائفة منكم توجب اتباعه وتحرم اتباع غيره كما هو في كتب أصولهم. فعجبا كل العجب لمن خفي عليه الترجيح فيما نصب الله عليه الادلة من الحق ولم يهتد اليها واهتدى إلى أن متبوعه أحق وأولى بالصواب ممن عداه ولم ينصب الله على ذلك دليلا واحداً.

ويقال (ثامن عشر) أعجب من هذا كله من شأنكم معاشر المقلدين انكم اذا

وجدتم آية من كتاب الله توافق رأي صاحبكم أظهرتم أنكم تأخذون بها والعمدة فى نفس الامر على ماقاله لاعلى الآية واذا وجدتم آية نظيرها تخالف قوله لم تأخذوا بها وتطلبتم لها وجوه التأويل واخراجها عن ظاهرها حيث لم توافق رأيه وهكذا تفعلون فى نصوص السنة سواء ـ اذا وجدتم حديثا صحيحا يوافق قوله أخذتم به وقلتم لنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم كيت وكيت واذا وجدتم مئة حديث صحيح بل أكثر تخالف قوله لم تلتفتوا الى حديث منها ولم يكن لكم منها حديث واحد فتقولوا لنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا. واذا وجدتم مرسلا قد وافق رأيه أخذتم به وجعلتموه حجة هناك واذا وجدتم مئة مرسل تخالف رأيه اطرحتموها كلها من أولها الى آخرها وقلتم لا نأخذ بالمرسل .

ويقال (تاسع عشر) أعجب من هذا انكم اذا أخذتم بالحديث مرسلا كان أو مسندا لموافقته رأي صاحبكم ثم وجدتم فيه حكما يخالف رأيه لم تأخذوا به فى ذلك الحكم وهو حديث واحد وكان الحديث حجة فيما وافق رأي من قلدتموه وليس بحجة فيما خالف رأيه ولنذكر من هذا طرفا فإنه من عجيب أمرهم .

(١) فاحتج طائفة منهم فى سلب طهورية الماء المستعمل فى رفع الحدث بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى ان يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة والمرأة بفضل وضوء الرجل وقالوا الماء المنفصل عن أعضائها هو فضل وضوءها . وخالفوا نفس الحديث فجوزوا لكل منهما ان يتوضأ بفضل طهور الآخر وهو المقصود بالحديث فانه نهى ان يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة اذا خلت وليس عندهم للخلوة أثر ولا لكون الفضلة فضلة امرأة أثر فخالفوا نفس الحديث الذي احتجوا به وحملوا الحديث على غير محمله اذ فضل الوضوء بيقين هو الماء الذي فضل منه ليس هو الماء المتوضأ به فان ذلك لا يقال له فضل الوضوء . فاحتجوا به فيما لم يرد به وأبطلوا الاحتجاج به فيما أريد به .

(٢) ومن ذلك احتجاجهم على نجاسة الماء بالملاقاة وان لم يتغير بنهيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يبال في الماء الدائم ثم قالوا لو بال في الماء الدائم لم ينجسه حتى ينقص عن قلتين

(٣) واحتجوا على نجاسته أيضا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا » ثم قالوا لو غمسها قبل

غسلها لم ينجس الماء ولا يجب عليه غسلها وإن شاء ان يغمسها قبل الغسل فعل .

(٤) واحتجوا في هذه المسئلة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بحفر الارض التي بال فيها البائل واخراج ترابها ثم قالوا لايجب حفرها بل لو تركت حتى يبست بالشمس والريح طهرت

(٥) واحتجوا على منع الوضوء بالماء المستعمل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «يابني عبد المطلب ان الله كره لكم غسالة أيدي الناس» يعني الزكاة ثم قالوا لاتحرم الزكاة على بني عبد المطلب .(لعل الصواب بني المطلب)

(٦) واحتجوا على ان السمك الطافي اذا وقع في الماء لاينجسه بخلاف غيره من ميتة البر فانه ينجس الماء بقوله صلى الله عليه وآله وسلم في البحر «هو الطهور ماؤه الحل ميتته » ثم خالفوا هذا الخبر بعينه وقالوا لايحل مامات في البحر من السمك ولا يحل شيء مما فيه أصلاً غير السمك

(٧) واحتج أهل الرأي على نجاسة الكلب وولوغه بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبع مرات » ثم قالوا لايجب غسله سبعاً بل يغسل مرة ومنهم من قال ثلاثاً

(٨) واحتجوا على تفريقهم في النجاسة المغلظة بين قدر الدرهم وغيره بحديث لايصح من طريق غطيف عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة يرفعه « تعاد الصلاة من قدر الدرهم » ثم قالوا لا تعاد الصلاة من قدر الدرهم

(٩) واحتجوا بحديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجذعة(١) في الزكاة في زيادة الابل على عشرين ومئة انها ترد الى أول الفريضة فيكون في كل خمس شاة وخالفوه في اثني عشر موضعا منه

ثم (١٠) احتجوا بحديث عمرو بن حزم ان مازاد على مئتي درهم فلا شيء فيه حتى يبلغ أربعين فيكون فيها درهم وخالفوا الحديث بعينه في نص مافيه في أكثر من خمسة عشر موضعا (٢)

(١١) واحتجوا على أن الخيار لايكون أكثر من ثلاثة أيام بحديث المصرّاة وهذا من احدى العجائب فانهم من أشد الناس انكاراً له ولا يقولون به فان كان

(١) المنار : لعل الصواب (في الحقة) فانه يقول في الزيادة في كل خمسين حقة (٢) الحديث عند النسائي وغيره وهو طويل وفيه « وفي كل خمس أواق من الورق خمسة دراهم فمازاد ففي كل أربعين درهما درهم »

حتما وجب اتباعه وان لم يكن صحيحا لم يجز الاحتجاج به في تقدير الثلث مع انه ليس في الحديث تعرض لخيار الشرط فالذى أريد بالحديث ودل عليه خالفوه والذي احتجوا عليه به لم يدل عليه .

(١٢) واحتجوا لهذه المسئلة أيضا بخبر حبان بن منقذ الذي كان يغبن في البيع فجعل له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخيار ثلاثة أيام . وخالفوا الخبر كله فلم يثبتوا الخيار بالغبن ولو كان يساوي عشر معشار مابذله فيه وسواء قال المشتري: لاخلابة: أولم يقل وسواء غبن قليلا أو كثيرا لاخيار له في ذلك كله

(١٣) واحتجوا في ايجاب الكفارة على من أفطر في نهار رمضان بأن في بعض ألفاظ الحديث ان رجلا أفطر فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يكفر ثم خالفوا هذا اللفظ بعينه فقالوا ان استف دقيقا أو بلع عجينا أو أهليلجا أو طينا أفطر ولا كفارة عليه.

(١٤) واحتجوا على وجوب القضاء على من تعمد القيء بحديث أبي هريرة ثم خالفوا الحديث بعينه فقالوا ان تقيأ بأقل من ملء فيه فلا قضاء عليه

(١٥) واحتجوا على تحديد مسافة الفطر والقصر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر مسافة ثلاثة أيام الا مع زوج أو ذي محرم» وهذا مع أنه لادليل فيه البتة على مادعوه فقد خالفوه نفسه فقالوا يجوز للمملوكة والمكاتبة وأم الولد السفر مع غير زوج ومحرم

(١٦) واحتجوا على منع المحرم من تغطية وجهه بحديث ابن عباس في الذي وقصته ناقته وهو محرم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لاتخمروا رأسه ولا وجهه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا» وهذا من العجب فإنهم يقولون اذا مات المحرم جاز تغطية رأسه ووجهه وقد بطل احرامه .

(١٧) واحتجوا على ايجاب الجزاء على من قتل صيداً في الاحرام بحديث جابر انه أفتى بأكلها وبالجزاء على قاتلها واسند ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خالفوا الحديث بعينه فقالوا لايحل أكلها .

(١٨) واحتجوا فيمن وجبت عليه ابنة مخاض فأعطى ثاني ابنة لبون فساوى ابنة مخاض أو حمارا يساويها انه يجزئه بحديث أنس الصحيح وفيه من وجبت عليه

ابنة مخاض ليست عنده وعنده ابنة لبون فانها تؤخذ منه ويرد عليه الساعي شاتين أوعشرين درهما وهذا من العجب فانهم لايقولون بما دل عليه الحديث من تعيين ذلك ويستدلون على مالم يدل عليه بوجه ولا أريد به .

(١٩) واحتجوا على إسقاط الحدود في دار الحرب اذا فعل المسلم أسبابها بحديث « لاتقطع الأيدي في الغزو » وفي لفظ « في السفر » ولم يقولوا بالحديث فان عندهم لا أثر للسفر ولا للغزو في ذلك .

(٢٠) واحتجوا في ايجاب الاضحية بحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالاضحية وان يطعم منها الجار والسائل فقالوا لايجب ان يطعم منها جار ولا سائل .

(٢١) واحتجوا في إباحة ماذبحه غاصب أوسارق بالخبر الذي فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعي الى طعام مع رهط من أصحابه فلما أخذ لقمة قال « اني أجد لحم شاة أخذت بغير حق » فقالت المرأة : يارسول الله إني أخذتها من امرأة فلان بغير علم زوجها: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تطعم الأسارى وقد خالفوا هذا الحديث فقالوا ذبيحة الغاصب حلال ولم يحرم على المسلمين .

(٢٢) واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « جرح العجماء جبار » في إسقاط الضمان بجناية المواشي ثم خالفوه فيما دل عليه وأريد به فقالوا من ركب دابة أوقادها أوسقاها فهو ضامن لما عضت بفمها ولا ضمان عليه فيما أتلفت برجلها .

(٢٣) واحتجوا على تأخير القوَد الى حين البرء بالحديث المشهور ان رجلا طعن آخر في ركبته بقرن فطلب القوَد فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حتى يبرأ » فأبى فأقاده قبل أن يبرأ الحديث وخالفوه في القصاص من الطعنة فقالوا لا يقتص منها .

(٢٤) واحتجوا على إسقاط الحد عن الزاني بأمة ابنه أو أم ولده بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أنت ومالك لأبيك » وخالفوه فيما دل عليه فقالوا ليس للأب من مال ابنه شيء البتة ولم يبيحوا له من مال ابنه عود أراك فما فوقه واوجبوا حبسه في دينه وضمان ما اتلفه عليه

(٢٥) واحتجوا على أن الامام يكبر اذا قال المقيم: قدقامت الصلاة: بحديث بلال أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاتسبقني بآمين: وبقول أبي هريرة لمروان: ان

لا تسبقني بآمين: ثم خالفوا الخبر جهارا فقالوا لا يؤمن من الامام ولا المأموم.

(٢٦) واحتجوا على وجوب مسح ربع الرأس بحديث المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح بناصيته وعمامته ثم خالفوه فيما دل عليه فقالوا لا يجوز المسح على العمامة ولا أثر للمسح عليها البتة فان الفرض سقط بالناصية والمسح على العمامة غير واجب ولا مستحب عندهم. (لها بقية)

باب الاسئلة والاجوبة

(الدليل على اشتراط الاسلام في القاضي)

(س ١) رضاء الدين أفندي قاضي القضاة ببلدة (اوفا) في الروسيه: انه يستفاد من كتب الفقهاء متأخريهم ومتقدميهم اشتراط الاسلام في القاضي الذي يقضي فيما بينهم ولا سيما في الدعاوي التي تخص العائلات مثل النكاح والطلاق وثبوت النسب والرضاع بمعنى ان قضاء غير المسلم في هذه الامور فيما بين المسلمين لا يصح ولا ينفذ اذا قضى فيه لا ظاهرا ولا باطنا. ولكن هل يوجد لهذا الاشتراط دليل صريح من القرآن الشريف أو السنة المباركة. فنرجو من حضرة الاستاذ الاحسان بالجواب في المنار بحيث يقنع المشتبه المنصف. والفقير يظن وان لم يتيسر له الاطلاع الى دليله القاطع ان القضاء فيما بين أهل الاسلام خصوصا في الدعاوي التي تتعلق بالزوجية وعدمها وثبوت الانساب من المناصب الدينية لا يجوز من غير المسلم أصلا ولو كان عالما حق العلم قواعد الشريعة الاسلامية. كما أن غير المسلم لا تجوز امامته في الصلاة وان كان عارفا أحكامها باسرها والعجب من صاحب الهداية مع التزامه ذكر طريق الاستدلال في كل مسئلة وابن الهمام في الفتح مع تبحره في علم السنة وأصول الاستدلال لم يذكرا في هذه المادة ما يشفي العليل والله أعلم.

(ج) القضاء ولاية وسلطة مدنية دينية أهم شروطها العلم بالكتاب والسنة والقدرة على الاستنباط وكون المستنبط الذي ينفذ حكمه وتجب طاعته مسلما والاصل في ذلك قوله تعالى «وأولي الامر منكم» وقوله تعالى في الامر المتنازع فيه «وَلَو رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم» فقوله منكم ومنهم يعني به المسلمين. وقوله تعالى «وَلَن يَجعَلَ اللهُ لِلكَافِرِينَ عَلَى المُؤمِنِينَ سَبِيلاً»

٥٤٥

فهذه الآيات أدلة واضحة في المقصود • وقد استدل بالآية الاخيرة صاحب كتاب (الاحكام السلطانية) على اشتراط الاسلام فى القاضي • ويصح ان يستدل على ذلك أيضا بمثل قوله تعالى « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » فهذا يشمل جميع أنواع الولاية العامة والخاصة ومن ثم كان اشتراط الاسلام فى القاضي مجمعا عليه عند المسلمين والاحاديث الواردة فى القضاء مبنية على شيء معروف فى الاسلام وهو كون القاضي مسلما وقد جرى على ذلك الصحابة ومن بعدهم من المسلمين فقد قلدوا الذميين ضروبا من الاعمال ولكن لم يقلدوهم القضاء وقد قال الماوردي فى (الاحكام السلطانية) بجواز كون وزير التنفيذ ذميا دون وزير التفويض لان هذا الثاني يحكم ويولي ويجب أن يكون مجتهدا فى الدين

واذا نظرنا في المسألة بعين القياس نجد العلة ظاهرة فالقاضي عند المسلمين هو ولي من لاولي له في كثير من الاحكام الدينية فهو يزوج المسلمة اذا غاب الولي أو فقد أو عضل وهو يطلق على الزوج ويفسخ العقود الزوجية عند ماتقتضي المصلحة ذلك • وامثال هذه الاحكام خاصة برجال الدين فى عرف جميع الامم ، وتقاليد جميع الملل والنحل ، ولعل صاحب الهداية وشارحها لم يريا حاجة للتوسع فى الاستدلال على مسألة إجماعية لانزاع فيها على ان طريقتهما فى الاستدلال هي كما ذكرتم بالنسبة الى كتب الحنفية التي نرى أكثرها غفلا من الاستدلال ولكن لو تعقبهما المحدث الفقيه في السنة لبين تقصيرهما في مواضع كثيرة جدا ولا أقول في أكثر المواضع

تحريم تحليل المطلقة ثلاثا وبدع المحللين

(س ٢) عوض افندي محمد الكفراوي بزفتى : لما كنت الرجل الوحيد الذي يذب عن الدين جئتك راجيا الاجابة عن السؤال الذي تجده بهذه الصحيفة وهو : هل يجوز فى أعمال المحلل للمطلقة ثلاثا ان يكون عالما بذلك ؟ وان كان يجوز فهل العادة التي اتخذها المأذونون فى صيغة العقد صحيحة وهي ان يقول الرجل « بالتقاء الختانين تكون الزوجة مطلقة » فهل يجوز العقد بذلك أم لا ؟ ثم انه يوجد فى أكثر البنادر رجال مخصوصون للتحليل لاكسب لهم الا منه فتجد الرجل يتزوج المرأة للتحليل ثم يتزوج بعد أختها أو خالتها أو عمتها لهذه الغاية، فما قولكم فى ذلك وفى سكوت المحكمة عليه

أفيدونا مأجورين ...:

(ج) اعلم ان المطلقة ثلاث مرات لاتحل لمن طلقها الا اذا تزوجت غيره زواجا صحيحا شرعيا ثم اتفق ان مات زوجها الثاني أو طلقها وهذا التحليل المعروف ليس بزواج شرعي لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعن فاعله واللعنة لاتكون على سنة من سنن الدين والفطرة وإنما تكون على الكبائر من المعاصي وليس بزواج عرفي اذ لايقول الناس في المحالل انه متزوج. وقد روي عن كثير من أئمة السلف القول بأن العقد المقصود به التحليل غير صحيح وجوزه بعض الفقهاء بالرأي مع الكراهة الشديدة اذا لم يشترط في العقد ان يطلق أو نحو ذلك من الشروط الفاسدة والقول بالجواز غير سديد، وما أمر فاعله برشيد، ولا يليق بمحاسن الشريعة الآلهية. ان تنسب اليها هذه الفضيحة الشيطانية، واننا نبدأ أولا بما جاء في «الزواجر» من حكاية الجواز وعدمه ثم نبين مفاسد هذه البدعة الذميمة فنقول: قال الفقيه ابن حجر الهيتمي في الجزء الثاني من الزواجر مانصه:

﴿ الكبيرة الستون والحادية والستون والثانية والستون بعد المائتين ﴾

(رضاء المطلق بالتحليل وطواعية المرأة المطلقة عليه ورضاء الزوج المحلل به)

أخرج أحمد والنسائي وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا أخبركم بالتيس المستعار» قالوا بلى يارسول الله قال «هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له» قال الترمذي والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر وابنه وعثمان رضي الله عنهم وهو قول الفقهاء من التابعين. وأبو اسحق الجوزجاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال «لا الا نكاح رغبة لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق العسيلة» وروى ابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والأثرم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لاأوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما: فسئل ابنه عن ذلك فقال: كلاهما زان: وسأل رجل ابن عمر فقال: ماتقول في امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم؟ فقال له ابن عمر: لا الا نكاح رغبة ان أعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقتها وإنا كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: وسئل عن تحليل

المرأة لزوجها فقال: ذلك هو السفاح: وعن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورغب فيها فأراد أن يتزوجها رجل ليحلها له فقال: كلاهما زان وان مكثا عشرين سنة أونحوها اذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها: وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عمن طلق امرأته ثلاثا ثم ندم فقال: هو عصى الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا: قيل له: فكيف ترى في رجل يحلها؟ فقال: من يخادع الله يخدعه: (تنبيه) عد هذا كبيرة هو صريح مافي الحديثين الاولين من اللعن وهما محمولان عند الشافعي رضي الله عنه على ما اذا شرط في صلب نكاح المحلل أنه يطلق بعد أن يطأ أو نحو ذلك من الشروط المفسدة للنكاح وحينئذ التحليل كبيرة فيكون كل من المطلق والمحلل والمرأة فاسقا لاقدامهم على هذه الفاحشة وعلى ذلك يحمل اطلاق غير واحد من الشافعية أن التحليل كبيرة اذ هو بدون ذلك مكروه لا حرام فضلا عن كونه كبيرة ولا عبرة بما أضمروه ولا بالشروط السابقة على العقد. وأخذ جماعة من الائمة باطلاق الحديثين فحرموا التحليل مطلقا منهم من ذكرناه من الصحابة والتابعين والحسن البصري فقال: اذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد: والنخعي فقال: اذا كانت نية أحد الثلاثة الزوج الاول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للاول: وابن المسيب فقال: من تزوج امرأة ليحلها لزوجها الاول لم تحل له: وتبعهم مالك والليث وسفيان الثوري وأحمد وقد سئل عمن تزوج امرأة وفي نفسه أن يحلها للاول ولم تعلم هي بذلك فقال: هو محلل واذا أراد بذلك التحليل فهو ملعون اه كلام الزواجر

أما مفاسد هذه البدعة الذميمة وفضائحها فهي كثيرة وقد فصل القول فيها ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) أحسن تفصيل في سياق الكلام على تغير الفتوى واختلافها باختلاف الزمان والمكان والاحوال عقيب المثال السابع من أمثلة ذلك التغير والاختلاف وهو ماورد في صحيح مسلم وغيره من ان الطلاق الثلاث باللفظ الواحد كان يجعل طلقة واحدة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومدة خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر ثم لما رأى عمر رضي الله عنه اختلاف الحال بكثرة هذا الطلاق المخالف للسنة رأى من المصلحة ان يمضيه على الناس ليرجعوا عنه فأمضاه. ويقول المصنف وسبقه الى ذلك شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ان الزمان قد اختلف الآن

وصار من المصلحة جعل الثلاث باللفظ الواحد واحدة كما كان فى الصدر الاول وقد بينوا ذلك وأوضحوه بما ليس من غرضنا ذكره الا ما كتبه ابن القيم في مفسدة واحدة من مفاسد الطلاق الثلاث فى عصره وهذه العصور وهي مفسدة التحليل. قال بعد ماتقدمت الاشارة اليه فى المثال :

(فصل) اذا عرف هذا فهذه المسألة مما تغيرت الفتوى بها بحسب الازمنة كما عرفت لما رآه الصحابة من المصلحة لأنهم رأوا مفسدة تتابع الناس فى إيقاع الثلاث لاتندفع الا بامضائها عليهم فرأوا مصلحة الامضاء اقوى من مفسدة الوقوع ولم يكن باب التحليل الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعله مفتوحا بوجه ما بل كانوا أشد خلق الله فى المنع منه وتوعد عمر فاعله بالرجم وكانوا عالمين بالطلاق المأذون فيه وغيره. واما في هذه الازمان التي قد شكت الفروج فيها الى ربها من مفسدة التحليل وقبح مايرتكبه المحللون مما هو رمد بل عمى فى عين الدين، وشجى فى حلوق المؤمنين، من قبائح تشمت اعداء الدين به، وتمنع كثيرا ممن يريد الدخول فيه بسببه، (١) بحيث لا يحيط بتفاصيلها خطاب، ولا يحصرها كتاب؛ يراها المؤمنون كلهم من أقبح القبائح، ويعدونها من أعظم الفضائح، قد قلبت من الدين رسمه، وغيرت منه اسمه، وضمخ التيس المستعار فيها المطلقة بنجاسة التحليل، وزعم انه قد طيبها للحليل، فيالله العجب أيّ طيب أعادها هذا التيس الملعون، وأيّ مصلحة حصلت لها ولمطلقها بهذا الفعل الدون، أترى وقوف الزوج المطلق أو الوليّ على الباب، والتيس الملعون قد حل إزارها وكشف النقاب. وأخذ في ذلك المرتع، والزوج أو الولي يناديه لم يقدم اليك هذا الطعام لتشبع، فقد علمت انت والزوجة، ونحن والشهود الحاضرون، والملائكة الكاتبون، ورب العالمين، انك لست معدودا من الازواج، ولا للمرأة وأوليائها بك رضى ولا فرح ولا ابتهاج. وانما انت بمنزلة التيس المستعار للضراب، الذي لولا هذه البلوى

(١) المنار - هذا الكلام صحيح مجرب فى كل زمن وقد رأيت رجلا شيخا نصرانيا ولع بالكتب العربية الخطية فجمع منها كثيرا وكان يطالع فى عامة أوقاته فاعتقد بحقية الاسلام وتفضيله واختار مذهب الصوفية وقد لقيته مرة فقال لي لولا ثلاث مسائل لقلت ان الاسلام كله حق اولها مسألة (التجحيش) أي التحليل فأزلت شبهته حتى رجع

٥٢٩

لما رضينا وقوفك على الباب، فالناس يظهرون النكاح ويعلنونه فرحا وسروراً ، ونحن نتواصى بكتمان هذا الداء العضال ونجعله أمراً مستوراً، بلا نثار ولا دف ولا خوان ولا اعلان ؛ بل بالتواصي «بهس» و«مس» والاخفاء والكتمان . فالمرأة تنكح لدينها وحسبها ومالها وجمالها ، والتيس المستعار لا يسأل عن شيء من ذلك فانه لا مسك بعصمتها بل قد دخل على زوالها ، والله تعالى جعل كل واحد من الزوجين سكنا لصاحبه وجعل بينهما مودة ورحمة ليحصل بذلك مقصود هذا العقد العظيم ؛ وتتم بذلك المصلحة التي شرعه لاجلها العزيز الحكيم ،

« فسل التيس المستعار هل له من ذلك نصيب ؛ أو هو من حكمة هذا العقد ومقصوده ومصلحته أجنبي غريب ، وسله هل اتخذ هذه المصابة حليلة وفراشا يهوي اليه ، ثم سلها هل رضيت به قط زوجا وبعلا تعول في نوائبها عليه ، وسل أولي التمييز والعقول هل تزوجت فلانة بفلان ؛ وهل يعد هذا نكاحا في شرع أو عقل أو فطرة انسان ؛ وكيف يلعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من أمته نكح نكاحا شرعيا صحيحا ، ولم يرتكب في عقده محرما ولا قبيحا ؛ وكيف يشبهه بالتيس المستعار ؛ وهو من جملة المحسنين الأبرار، وكيف تعير المرأة به طول دهرها بين أهلها والجيران، وتظل ناكسة رأسها اذا ذكر ذلك التيس بين النسوان،

« وسل التيس المستعار هل حدث نفسه وقت هذا العقد الذي هو شقيق النفاق ، بنفقة أو كسوة أو وزن صداق ، وهل طمعت المصابة منه في شيء من ذلك، أو حدثت نفسها به هنالك، وهل طلبت منها ولدا نجيبا ، واتخذته عشيرا وحبيبا ، وسل عقول العالمين وفطرهم هل كان خير هذه الامة أكثرهم تحليلا ، او كان المحلل الذي لعنه الله ورسوله أهداهم سبيلا ،

«وسل التيس المستعار ومن ابتليت به، هل تجمل أحد منهما بصاحبه، كما يتجمل الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، أو كان لاحدهما رغبة في صاحبه بحسب أو مال أو جمال، وسل المرأة هل تكره أن يتزوج عليها هذا التيس المستعار أو يتسرى . أو تكره ان تكون تحته امرأة غيرها أخرى ، أو تسأل عن ماله وصنعته ، أو حسن عشرته وسعة نفقته ، وسل التيس المستعار هل سأل قط عما يسأل عنه من قصد حقيقة النكاح،

أو توسل الى بيت أحمائه بالهدية والحمولة والنقد الذي يتوسل به خاطب الملاح ، وسله هل هو أبو يأخذ أو أبو يعطي ، وهل قوله عند قراءة (أبي جاد) هذا العقد خذي نفقة هذا العرس او (حطي) ، (١) وسله هل تحمل من كلفة هذا العقد خذي نفقة هذا العقد أو حطي ، وسله عن وليمة عرسه هل أولم ولو بشاه ، وهل دعا اليها أحدا من أصحابه فقضى حقه وأتاه ، وسله هل تحمل من نفقة هذا العقد ما يتحمله المتزوجون ، أم جاءه كما جرت به عادة الناس الاصحاب والمهنئون ، وهل قيل له بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في خير وعافية ، أم لعن الله المحلل والمحلل له لعنة تامة وافية ؛

﴿ فصل ﴾ ثم سل من له أدنى اطلاع على أحوال الناس كم من حرة مصونة أنشب فيها المحلل مخالب ارادته فصارت له بعد الطلاق من الاخدان ، وكان بعلها منفردا بوطئها فاذا هو والمحلل فيها ببركة التحليل شريكان ، فلعمر الله كم أخرج التحليل مخدرة من سترها الى البغاء ، وألقاها بين براثن العشراء والحرفاء ، ولولا التحليل لكان منال الثريا دون منالها ، والتدرع بالاكفان دون التدرع بجمالها ، وعناق القنا دون عناقها ، والأخذ بذراع الاسد دون الأخذ بساقها ، وسل أهل الخبرة كم عقد المحلل على أم وابنتها ، وكم جمع ماؤه فى ارحام مازاد على الاربع وفي رحم الاختين ، وذلك محرم باطل في المذهبين ، وهذه المفسدة في كتب مفاسد التحليل لا ينبغي أن تفرد بالذكر ، وهي كموجة واحدة من الامواج ومن يستطيع عد أمواج البحر ، وكم من امرأة كانت قاصرة الطرف على بعلها ، فلما ذاقت عسيلة المحلل خرجت على وجهها فلم يجتمع شمل الاحسان والعفة بعد ذلك بشملها ، وما كان هذا سبيله ، فكيف يحتمل أكمل الشرائع وأحكمها تحليله ، فصلوات الله وسلامه على من صرح بلعنته ، وسماه بالتيس المستعار من بين فساق أمته ، كما شهد به على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر وعبد الله بن عباس وأخبر عبد الله بن عمر انهم كانوا يعدونه على عهد رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم سفاحا .

(المنار : وهنا أورد المصنف الاحاديث التي رواها هؤلاء الصحابة الكرام في لعن المحلل وفي تسميته بالتيس المستعار وبحث في اسناد واحد منها قد أعله بعضهم وبين

---

(١) لعل هذه السجعة نسخة ثانية وما أرى المصنف جمع بينهما

هو حسنه ومنها مارواه الحاكم في صحيحه من حديث ابن أبي مريم حدثنا ابو غسان عن عمر بن نافع عن أبيه قال جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فتزوجها أخ له من غير مؤامرة بينه ليحلها لاخيه هل تحل للاول ؟ قال : «لا ، الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه : والسفاح هو الزنا جهرا . ثم قال المصنف (

﴿ فصل ﴾ فسل هذا التيس هل دخل في قوله تعالى «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً »وهل دخل فى قوله تعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم » من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة » وهل دخل في قوله « أربع من سنن المرسلين النكاح والتعطر والختان » وذكر الرابعة وهل دخل فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني »وهل له نصيب من قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء» وذكر الثالث ؛ أم حق على على الله لعنته تصديقا لرسوله فيما أخبر عنه ؟ وسله هل يلعن الله ورسوله من فعل مستحبا أو جائزا أو مكروها أو صغيرا أم لعنته مختصة بمن ارتكب كبيرة أوما هو أعظم منها كما قال ابن عباس : كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أوعذاب أو نار فهو كبيرة

« وسله هل كان في الصحابة محلل واحد او اقر رجل منهم على التحليل؟وسله لأي شيء قال عمر بن الخطاب : لاأوتى بمحل ولا محلل له الا رجمتهما؟:وسله كيف تكون المتعة حراما نصا مع أن المستمتع له غرض فى نكاح الزوجة الى وقت لكن لما كان غير داخل على النكاح المؤبد كان مرتكبا للمحرم فكيف يكون نكاح المحلل الذي انما قصده ان يمسكها ساعة من زمان اودونها ولا غرض له في النكاح ألبتة بل قد شرط انقطاعه

وزواله اذا أخبثها بالتحليل ، فكيف يجتمع في عقل او شرع تحليل هذا وتحريم المتعة – هذا مع ان المتعة ابيحت في أول الاسلام وفعلها الصحابة وافتى بها بعضهم بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونكاح المحلل لم يبح في ملة من الملل قط ولم يفعله أحد من الصحابة ولا أفتى به واحد منهم .؟

(ثم قال المصنف) «وليس الغرض بيان تحريم هذا العقد وبطلانه وذكر مفاسده وشره فانه يستدعي سفرا ضخما نختصر فيه الكلام وانما المقصود ان هذا شأن التحليل عند الله ورسوله واصحاب رسوله فألزمهم عمر بالطلاق الثلاث اذا جمعوها ليكفوا عنه اذا علموا ان المرأة تحرم به وأنه لا سبيل الى عودها بالتحليل . فانه لما تغير الزمان وبعد عهد الناس بالسنة وآثار القوم وقامت سوق التحليل ونفقت في الناس فالواجب ان يرد الامر الى ماكان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته من الإفتاء بما يعطل سوق التحليل او يقللها ويخفف شرها . واذا عرض الى من وفقه الله وبصره بالهدى وفقهه في دينه مسألة كون الثلاث واحدة ومسألة التحليل ووازن بينهما تبين له التفاوت وعلم أي المسألتين أولى بالدين ، وأصلح للمسلمين .

«فهذه حجج المسألتين قد عرضت عليك، وقد أهديت ان قبلتها اليك، وما اظن عمى التقليد الا يزيد الامر على ماهو عليه، ولا يدع التوفيق يقودك اختيارا اليه، وانما اشرنا الى المسألتين اشارة يطلع العالم على ماوراءها وبالله التوفيق » اه

(القسم العمومي)

نظام الحب والبغض (تابع ويتبع)

(٢) ماهو الحُسْنُ ؟— قد عرفتم بالذي قلناه في تعريف الحَسَنِ ماهو الحُسْنُ . وبقي ان أقول لاجل تذكير القارئ بأصل الموضوع انه هو الزينة من غير نظر منا الى الفرق بين الحسن الذاتي والحسن الصناعي .

(٣) ماهو الاستحسان ؟ — هو انبساط النفس لذلك الشيء الذى وجدت فيه ماينا سبها . ليست الصعوبة في تعريفه بهذا الرسم وانما الصعوبة في معرفة ان الاستحسان يحصل للمرء بالبداهة أو بالنظر والتأمل وقد سبق شيء من الاشارة الى هذا الامر

ولكني لأاراه مستغنياً عن زيادة الشرح . أما استحسان بعض المحسوسات فيحصل للبعض بالبداهة وتعقبه محبة . ولهذا السرّ ظن البعض ان الحب يكون اضطراريا على ان هذا السر وان بقي غامضاً لايثبت هذه النظرية بمثل هذه الحوادث الفذة لثبوت ضد هذه النظرية ببراهين حسية وعقلية معاً . وأما استحسان كل المعقولات فمن أهل التفكر نتيجة نظر وتأمل ومن اهل التقليد نتيجة ثقة بالمقلدين . والاولى ان لايعد استحسان هؤلاء استحساناً لاننا اذا أدخلناهم فى صف من لافكر لهم من المخلوقات لم نكن عملنا غير الصواب لأنه هو المطابق لروح الواقع ونفس الامر .

(٤) ماهو حب المستحسن ؟ — تقدّم تعريف الحب وليس سؤالنا عن تعريفه بل عن ذلك السر المودع فى طبيعة النفس من محبة أشياء تعتبرها جميلة . ولعلّ ذلك السر هو شوقها الطبيعي الى ماوراء جسمانية المادة وما يلحقها من الجمادية المحضة .

(٥) لماذا نستحسن ؟ — هذا السرّ مودوع في نفوس الخاصة والعامة من بني النوع . ولما اوتينا المزية العظيمة التي تسمى « الارادة » اراد الفاطر ان تجلى فينا ظاهرة باهرة فانقسمت الاشياء في نظرنا كافة الى ماتتوجه نحوه ارادتنا وهو مانستحسن والى ماتنصرف عنه وهو ضده . فهذا هو السرّ فى كوننا نستحسن .

(٦) لماذا نحب الحَسَنَ ؟ — يظهر بالذي قلناه سر حبنا الجميل ونزيد عليه علة لايتوقف فى فهمها انسان وهو اننا نحب الحسن لنعمل . فلولا ذلك لقنعنا بما تنبت الارض من كلأ ، وما تفيض به من ماء . ويظهر من ملاحظة سير الماضين والغابرين ، وسنن الوجود في الاوّلين والآخرين . اننا لم نخلق لمثل هذا بل خلقنا لاسرار عظيمة لا تظهر فينا الا بحبنا الحُسنَ والحَسَنَ .

(٧) لماذا نختلف بالاستحسان ؟ — اذا كنا نحب الجميل لنعمل فنحن نختلف بالاستحسان لتختلف اعمالنا . على ان لاختلافنا فى الاستحسان عللاً أخرى منها اختلاف الامزجة . وبيان السر في اختلاف الامزجة لايبعد عن صدد علمنا هذا ولكنه قد يبعد عن صدد هذا الفصل او قد يبعد بنا عن الغاية التي أشرفنا عليها . وكذلك لاختلافنا في الأعمال علل أخرى ولكن الذي ذكرناه هو من أقدم الاسباب .

(٧) ماهو عشق المستحسنات الذي يميل بكل نحو مستحسن فيغرم به ؟ — يبقى علينا

سؤال عن أمر آخر غير الحب المعتاد وهو العشق الذي مبلغ العلم فيه انه أعظم درجات الحب ومنتهاه. والجواب على ذلك في غاية السهولة وهي ان النفوس قوابل، والواردات عليها فواعل، وبعض النفوس أشد قبولا وانفعالا لما تعرضت له من الواردات فيصيبها العشق الذى هو أعظم الحب في حين ان كثيرا من اخواتها اللاتي يتعرضن لمثل ماتعرضت هي له لا يصيبهن الا الحب البسيط وكثيرا من غير أولئك لا يصيبهن شيء ما.

هذا وان فيه لبلاغا في بيان الموضوع، وكشفا لبعض السر المودوع، ويحار فيه من لم يرد من البيان مشارعه، ولم يذق من التقرير مشاربه، واولئكم ليسوا من أهل المنار، ولا تلهيهم فى مثل هذا الكلام المدار، وحسب اولئكم مما تقدم ان يسمعوا هذه الخلاصة:

« لولا حب الزينة لما كان من حاجة الى أكثر الصنائع. ولولا كثرة الصنائع لما توفرت أسباب الاجتماع. ولولا الاجتماع لما تبودلت الافكار. ولولا تبادل الافكار لما حصلت المعارف الإنسانية. ولولا المعارف الانسانية لكانت حياة الانسان كحياة البهائم.»

ولو شئنا لشرحنا هذا الكلام بفصول كثيرة ولكننا تقللنا منه بما سبق، وفي هذا الترتيب الذي وضعنا وضوح تام، وللعمرانيين ههنا شركة في البحث والبيان، وتركنا لهم وظيفتهم التي هي البناء بعد اداء وظيفتنا التي هي الاساس،

ولكيلا يفوتنا النصيب من تصحيح افكار اولئك الذين نعلمهم ناقمين على حب الزينة ونعلم انهم سينقمون منا تمثيلنا حب الزينة هذا التمثال الذى ستراه البصائر فخيماً، وكأني بهم رافعين عقيرتهم يقولون هل يجنى الناس منه الا الدأب والكد العمر كله في طلب الفواني، وهل فى سبيل هذه المحبوبات التي لاتنتهي الا الوقوع في أنواع الرزايا المعروفة؟

لكيلا يبقى هذا الاعتراض بلا جواب نقول: ان الذي قلناه هو وصف لامر واقع على سبيل العموم والشمول لاحثّ وحضّ على حب الزينة، وان الذي نعلمه ان ذلك الامر الذي وصفناه طبيعي لا يصده عن النفوس ان ينقم الناس عليه كما ان الاكل مهما سبناه لا نستغني عنه، ثم اننا نعلم انه لايقول ذلك القول الا واحد من ذينك الاثنين الضدين المتسفل في دركات العواجز من الحيوانات التي تكره الحركة وتهوى السكون، والمتسامي بعقله الى مافوق الفواني المتجافي عن الزوائد من مقومات الحياة المادية تشوقاً الى المعقولات العالية. ومن عجب ان تجدا في قولهما مع اختلافهما في نيتهما، ولم يكن

ذلك الا لأن الثاني فاته حكمة الاعتبار بأصل الفطرة وسرها، وفاته النظر الى الواقع ونفس الامر، ولم يبق علينا الآن تنظر هل يجوز لنا ان ننهى عن حب الزينة والجمال ؟ والجواب: لايجوز لنا ذلك لانه لايجوز لنا ان نحاول العبث . وهذا هو وجه الحقيقة الذي لاح لاهل علمنا فشهدوا كما رأوا. وعلماء العمران ستراهم يقيمون اشد النكير على رجل يقول بجواز النهي عن حب الزينة . ونحن في امن من هذا لوغى لاننا لانزيد على قولنا: «انه لايفيد» وليس في هذا القول مصادمة لقاعدة ان الحب يدخل تحت «نظام» لاننا لم نخرجه عن النظام بهذه الكلمة ولكن الآخرين يريدون ان يخرجوه عن الوجود لاعن النظام فقط . ويوضح هذا مثال : « اذا قلنا لايجوز النهي عن الأكل مطلقا لانه لايفيد اذ هو امر بتغيير الفطرة » فلا يفهم احد قط من هذا الكلام انه لايدخل الأكل تحت نظام ، فلينظر ذو فكر مايقول :

وقد يذهب ظن القاريء الى ان محرر هذه الكلمات رجل من غلاة المفتونين بهذه الصور المتحولة الفانية او تلك المادة الجماد الخامدة واني لا احاسب الناس على ظنونهم ولكن من يحاول التعريف بشيء عن نية صافية يحرص على مقصوده اكثر من ذي اجر واني حريص ان يأخذ قاريء كلامي بالنصيب الاوفى من علم طبيعة النفوس من حيث المجموع مع مراعاة حالاتها في الاجتماع وحالاتها الشخصية فاني على يقين ان هذا العلم يورث صاحبه سلامة ذوق وسلامة صدر وسلامة فكر ويؤديه الى الاعتدال الذي هو محور نظام الاصلاح،

ومن أجل ذلك اذكر القاريء بما استحفظته اياه في صدر الكلام ومنه يعلم أن قليلا من التدبر يكشف عوار كثيرين من الذين كتبوا في الاخلاق والشرائع ويجلي محاسن المحسنين . ومن ههنا اخالف الذين ينهون عن صرف شيء من المال في سبيل حب الزينة ولا أجد في مذهبهم ذلك رائحة من الحكمة قط بل هو جهل بطبائع الاجتماع فانه لن يعدم الخاسر مايستعيض به من الرابح، والاالعدم البائع من يبتاع .

ومن المؤمنين بما قررناه قائل يقول : قد يحتاج الفرد وهو سابح في الاوهام بحب الزينة الى من ينبهه الى الاخطار وهو حق ولكن عندي ان يكون المنبه من نفسه في مثل هذه الحالة خيراً من ان يكون من آخر. لنربح في هذا التعود أمرا هو أعز وأغلا من المال الذي نخسره . ذلك هو التفكر وصدق الارادة في مباشرة الاشياء . ولا

شك بأنا سنلقى أسارى كثيرين في هذه المعارك قد قيدتهم الشهوات الكاذبة بأغلال الخسار، وقذفت بهم الارادات المريضة في مهاوي الدمار، ولكن أن نعدم امثال هؤلاء الاسرى وان كثروا خير من ان نعدهم من ابطال الجهاد في هذه الحياة . وخير من ان لا نعدهم وكثيراً ما يختلف طب النفوس عن طب الابدان لان أحدهما يعالج مرضاً محسوساً بعلاج محسوس. والآخر يداوي مرضاً معقولا بدواء معقول ولاطباء النفوس في هذا الباب أدوية لو استعملت شافية ولكن الناس اعاروها آذاناً صما ونريد ان يكون لهم علاج من المحسوسات ذلك ما تعطيه مجاري الاحوال وينتج صحة التفكر وسلامة الارادة.

وآخرون سيقولون لقد أسرف هذا وكاد ان لا يرى في الاسراف شيئاً مذموما. كلا ان الاسراف مذموم عندي كما هو عند الناس كافة ولكن الذين ينهون عنه هو ما دون الاسراف وهو الذي لا انهى عنه. ولا أريد من هؤلاء أكثر من ان يعلموا انه لولا ان نصرف المال فيما زين لنا لما وجد المال. ولكن علم هذا صعب عليهم ونهون نهونه بأن نعلمهم ان المال ليس شيئاً غير قيمة جملة الاعمال التي يعملها النوع واذا علموا ذلك فليتذكروا انه لولا حب الزينة لما كان من حاجة إلى اكثر الصنائع ، لولاه لاقفلت أسواق ومصانع يعمل فيها حاج للناس من غير اللوازم الضرورية التي لا تتجاوز ما مثلنا به آنفا من الغذاء والكساء والاواء .

ماذا زين لهؤلاء بعض هذه الاسواق والمصانع ودوران فلك الاعمال على هذه الاقطاب الحالية وما دانا ها في الماضي وما سيفوتها في الآتي فما البأس علي" اذا دار الفلك على حسب احلامهم وانما البأس على قوم يبلغ بهم الهوس ان يروا الخير والسعادة في أولي السير من الحياة وهي سيرة الانس بالاوجار والاحجار، والفزع من خطور الاشباح وهبوب الارواح(*)

﴿ نتيجة عظيمة ﴾

وما قررناه أساس متين لبناء نظامي الاخلاق والشريعة . يبنى عليه في الاخلاق ذم جمود النفس الذي من لوازمه نسيان الحظ من الحياة النوعية الا" ما وجدت عليه الآباء . وذم غليانها الذي من لوازمه تجاوز الحدود التي وضعت لحفظ الحقوق . ومدح الاعتدال . وفي التمهيد نحوت المنحى الذي يفهم منه ذم جمود النفس لانه الغالب في مشرقنا. ويبنى عليه في الشريعة الحرية في المطاعم وموائدها ، والملابس وازيائها ،

(*) جمع ريح وهو يأتي هكذا كما يأتي جمعا للروح

والمباني واشكالها ، وغير ذلك من الحاجات اللوازم والتوابع وكل شريعة لم تُبنَ في هذه الابواب على مثل هذا الاساس لايقوم لها بنيان . ولا يوفق الناس أعمالهم على احكامها وان تلوا حروفها . واذ كانت كل شريعة تنسخ ماقبلها كانت تتقرب من هذا المعنى بحسب ترقي النوع ولذا كانت الشريعة الاخيرة حائزة هذا المعنى تماماً .

وحرم منها مايضر بصحة العموم . ومايصادم نفعاً عاماً أوحقا خاصا . وما يجمع علماء الاخلاق على مضرته بجوهر النفس . وهـذا التحريم في الحقيقة معين على صيانتها وحسن التصرف فيها والمطلعون سيدركون ماوراء هذه الجمل من التفاصيل . ومن عداهم سيأتيهم التفصيل في مواضع متعددة وحسبهم الآن ان يتدبروا هذه النتيجة ويفكروا فيها بفكر نقي .

﴿حب التميز﴾

في الفطرة زيادة على حب الزينة حب التميز فلولا هذا الثاني لبلغنا نهاية فيما نحب من الزينة أو غيرها ولكن هو الذي أبعد الغاية على الطالبين .

والذين هم أشد حبا للزينة هم اشد حبا للتميز ، وعند التأمل في آثار هـذه الطبيعة نجدها ينبوعاً للخيرات والشرور معاً . وهكذا نجد الشر موجودا دائماً في منابت الخير ولذلك كان تحصل الخير في هـذه الحياة عناءاً كبيراً كالعناء في تحصيل الحنطة من بين الشوك ثم تميزها من الزؤان بل هو أكبر . ولكن أجر هذا العناء عظيم وهو بلوغ الانسان كماله المعـدله . وقد يقصر حجانا الآن عن تصور ذلك الكمال وما من يتقدم الا معاوناً لمن يتأخر .

وفي خلق الانسان آيات للمتدبرين ، واسرار للمعتبرين ، منها تكريم هذه الصوامت النواطق بلسان الحال عن ان تكون عبثاً اذ عـلى يده تظهر خواصـها وفي فكره وبصره يتجلى جمالها المعقول والمحسوس تحقيقاً أو اعتباراً أو تخيلا . ولحب التميز الحظ الاوفر في استخدام الفكر في هذه الشؤون . فهو الذي يبعث الفكر في عالم المحسوسات والمتخيلات رائدا يرتاد للنفس ماهو غريب عزيز الوجود ممايود كل أحد ان يقتنيه أو ينتحله . وهكذا كانت زيادة الاول على الآخر وسيكون مالا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب الاولين .

والحاصل ان حب التميز ميزان في كفته الواحدة أمر نسميه حسنة وهو ارتقاء الحياة النوعية . وفى كفته الاخرى أمر نسميه سيئة وهو حرص النفوس على الاستبداد. والناس يفهمون من هذه الكلمة — الاستبداد — ان المقصود به عدم المشاورة وهذا المعنى جزء مما تدل عليه هذه الكلمة التي معناها الحقيقي نزوع النفس للحرية المطلقة التي من جملتها تقييد حرية الغير وغصبها وهذا هو وجه شناعته ومن أجل هذا كان عنصر الشرور المادية والادبية .

وقد كدنا ان نيأس لما علمنا ان هذا العرق الضارب فى اعماق الطبيعة البشرية لايمكن استئصاله بالقلع لولا ان تبين لنا أنّ فى ازاء هذا الشوك زهراً ولولا ان ثبت لنا انه يمكن تخفيف ماينجم عنه بتتبع الفروع وقطع ماأمكن قطعه منها والربانيون من الحكماء أشد الناس عداوة للذين يستبدون ذلك بما عرفوا من الحق ، وبما عطفوا على الخلق ، وبما تدفعهم اليه قوة العلم ، ومُنّة العزم ،

والاخلاقي حسبه ان يذكر المستبد بثلاثة أمور لاتفارقه ولا غيره : العجز بالذات ، والاحتياج للغير ، واستحالة بلوغ الغاية ، وان يذكر المستبدّ عليهم بثلاثة أمور أيضا الضعف بانحلال الرابطة ، والقوة بالتعاون ، والفوز بالثبات والصبر.

والسياسي وهو البحاث عن كل روابط الاجتماع لاأستكثر منه ان يحمل أوزار الوغى ان استطاع فى ردّ كيد المستبدين الذين وضعوا أعمالهم فى كفة السيئة من حب التميز وبئس مااكتسبوا لانفسهم من البغضاء . وللمذعنون لهم شر مكاناً وأضل عن سبيل الحياة النوعية . وأقرب الى الهوان من الانعام وفى هذا بلاغ لعلهم يتذكرون،

(ثمة بقية) ع.ز

باب التربية والتعليم

﴿ الشذرة الثالثة عشرة من جريدة الدكتور اراسم (*) ﴾

السفر من أركان التربية

لا يخفى على أحد مالما تتأثر به النفس وتحفظه الذاكرة فى الصغر من اللصوق والتمكن. هـذا شكسبير (١) يدعو حاله الى اعتقاد ان معظم الفضل في بلوغه تلك المكانة العالية فى الشعر يرجع الى نشأته بالقرب من نهر الآون (٢) الانيق الذي تفيض مياهه على مدينة استراتفورد (٣) وما تحيط به من الاودية الخصبة الغنية بالشجر والنبات ومجاورته لغابة اردان (٤) التي كانت متنزها له في سنيه الاولى من حياته . يدلك على ذلك انه لما كتب فيما بعد القصة الهزلية التي عنوانها «كما تحب وترضى» اتخذ هـذه الغابة نفسها محلا لاهم منظر من مناظرها ومثل اماكنها للنفوس وجلى مواقعها للاذهان بأوجز العبارات، واوضح الاشارات. لم يكن هذا الا لكونه مع نزوحه عن مركز استراتفورد الذي هو مسقط رأسه لم ينس منظر هذا الريف بل حفظه فى مطوى من مطاوي نفسه وهذا أو لفيار جولد سميث (٥) ذو العقل الثاقب والذكاء المتوقد لم يذهله حين اقام في لوندرة ماشاهده فيها من الاختلاط والتشوش عن ذكر قرية لشوى التي نشأ فيها ولم ينسه ماكان يراه هناك من جدول الماء والطاحون والكنيسة وفندق الحمائم الثلاث وسياج العضاة وغير ذلك من خصوصياتها بل انه مدحها فى القصة التي كتبها فيما بعد وسماها الكميت (الأوزن)

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر فى التربية — تابع لما نشر في ص ٧٧٨ من المجلد الخامس

(١) شكسبير هو أشعر شعراء الانكليز كما مر (٢) نهر الاون هو احد انهار انكلترا المشهورة وهو قريب من مدينة استراتفورد (٣) استراتفورد هي أهم مدينة في مركز استرافورد (٤) غابة اردان هي في هذا المركز أيضا (٥) أولفيار جولد سميث هو شاعر وقصصي انكليزي شهير ولد سنة ١٧٢٨ ومات ١٧٧٤

وكان واشنجتون ارفنج (١) الكاتب الجوني الرحالة الذي استهوى النفوس ببدائع ظرفه، وخلب الالباب بدقائق وصفه، يحمد الله تعالى أن انشأه على ضفاف بحر أوتسون (٢) ويقول: ان ما كسبه طبعي المختلف العناصر من الخير والتهذب يصح ان أرجعه الى محبتي لهذا النهر فى صغري فقد كنت في حدة الحمية الصبيانية اكسوه بعض الخصائص النفسية واعتقد أن له روحا يقوم بها وأعجب بما في طبعه من الحرية والشجاعة والصدق والاستقامة ذلك لانه ليس من الانهار التي تبسم صفحاتها عن خداع وتضمر السوء بما تحتها من الشعاب المهلكة والصخور الغدارة بل هو طريق مائي بهيج جمع الى عظم عمقه كثرة اتساعه، يحمل السفن التي توكل الى أمواجه بقلب سليم ونية شريفة وكنت أتخيل نوعا من المجد والعجب فى استقامة مجراه وسكينته وسلامته الباهرة :

انما مثلت ببعض الشعراء لانهم هم الذين نعرف شيئاً من احوالهم النفسية فى حياتهم غير اني لاأرتاب أبداً فى أن مايحتف بالناس من الاصول والامور الخارجية لايحدث في نفوس جميعهم أثرا واحـدا وانهم يختلفون أيضا في درجة التأثر بها وان ماشاهده الانسان في صغره يلازمه في كبره ويصير جزءاً من نفسه وما صحبه من الاشياء وهو يافع لايجانبه في كبره بل يظهر أثره في صورة خلقه وفي مجرى أفكاره

ليس كل مايحيط بالانسان مما تتناوله مشاعره يصلح على السواء لحفظ صحة عقله فقد روي أن ملتون (٣) كان يتألم ويشكو مر الشكوى وهو يتلقى دروسه في مدرسة كمبردج الكلية من ضواحي هذه المدينة معللا شكواه بانها خلو من الظلال الوارفة التي تجذب إلهات الشعر وتؤويها

وكان روبرت هول الكاتب الانكليزى الذائع الصيت الذي كان يتعلم في تلك المدرسة بعد ملتون بقرن ونصف ينسب أول نوبة اصابته من نوبات الجنون الى استواء الارض بمركز كمبردج وخلوها من الربى والهضاب الشجراء

الناس وان اختلفوا فى درجات تأثرهم بفقد ماهم محتاجون اليه لااظن انه يوجد

(١) واشنجتون أرفنج هو أديب وقصصي أمريكي ولد سنة ١٧٨٠ ومات سنة ١٨٥٩

(٢) بحر اوتسون هو خليج متسع على السواحل الشماليه للقسم الانكليزي من أمريكا

(٣) ملتون شاعر انكليزى شهير ولد سنة ١٦٠٨ ومات ١٦٧٤

منهم من لايتأثر ألبتة بما يكون من العيوب والمناقص في المناظر الريفية التي يراها على الدوام اللهم الا قليلا لايعتد بهم واذا صح ذلك فلشد مايبلغ هـذا التأثر السيء من اذهان الاطفال فان الرجل البالغ قد حصل له من قوه النفس والخيال ما يكفي لمقاعلة مايحف به من الاشياء فحسبه فى معظم الاحيان ان يخترق قلبه شعاع من اشعة الحب اويكون فى نفسه وجدان قوي او تجتمع في ذهنه بعض المعاني حتى يرتقي بالريف المبتذل الذي لاقيمة له فى ذاته من شيوع الابتذال ، الى الاختصاص بشرف الخيال ، وليس هكذا حال الحدث الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره فانه في هذا السن لاعمل له في فطرة ماحوله من المخلوقات اذ ليس فى استعداده اذ ذاك مايكسوها بهاءً ، ويزيدها رونقا ورواء ، بل انه يتأثر بها كما هي فمن الفوائد الكبرى له انه يولد او يتربى بالقرب من بعض المناظر الكونية العظمى كمنظر نهر جميل او بحيرة اوجبل اوغابة

منظر الريف في كورنواي منظر مهيب غيرانه واحد لاتغير فيه وليت هذه البلاد كانت اكثر اشجارا مماهي الآن فان مثل اليافع الذي لايرى قط الا ناحية من نواحي الكون كالصخور اوالبحر كمثل من لم يقرأ الا كتابا واحدا

لابد في تربية الانسان خصوصا فى صغره من تنوع الفواعل لتنوع آثار انفعاله بها ذلك لان كل فرد من افراده يميل الى بعض المناظر دون بعض حتى يكون من هذا البعض الذي يميل اليه كطبعه فى الاختصاص به . ومعنى هذا ان ضروب الحسن في الطبيعة تقابلها فى نفوس الناس مناسبات ذاتية وليس المنظر الذى يختبره الانسان ويرتاح اليه يأتيه على الدوام عفوا بل لابد من السعي وراء تحصيله فمن الناس من ينشأ اتفاقا في سهل من السهول ويكون ميله للمناظر الجبليـة ويوافق هذا قول أحد الكتاب فى وصف رجل لااذكر الآن من هو : انه عربي والد في ظل شجرة تفاح بنور منديا (١)

قد بلغ « أميل » السن الذى تبدو فيه حاجة الناشئ الى الاختلاط بما حوله والمربون يخدعون هذه الحاجة فى معظم المراهقين باينائهم قصصا في الاسفار هي ولاريب أدعى الكتب الى التفاتهم اليها واشتغالهم بها غير انه مما لانزاع فيه أن وصف البلاد بالغا مابلغ من قوة البيان وضبط التحرير لايرتقي في تأدية العلم بها الى درجة المعاينة بل انه أدنى

(١) نور منديا أقليم من الأقاليم الفرنسية القديمة التي دخلها العرب الفاتحون

منها كثيرا فلا يمكن ان يستغني به عنها من أجل ذلك كان سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة هو السن الذى يظهر فيه هوس الملاحة في رءوس الصغار من سكان البلاد المجاورة للبحر كانجلترا فكم من هؤلاء الصغار البلاء من يصيبهم من ولوعهم بالتجوال فى الاقطار السحيقة مرض لايحد ولا يوصف كما يصيب العصفور الخطاف في الفصل الذي يهاجر فيه رفاقه، فيتسللون من بيوت أهليهم فلا يعودون اليها فى حياتهم. وأما سكان البلاد الاخرى فان حب السفر لايكون فى الكثير منهم الا حاجة وقتية لانهم بعد أن يقضوا بضع سنين على سفر يركبون فيه متن المهالك يرجعون الى أوطانهم فيعيشون معيشة الاستقرار

الذي يدهشني من المربين هو قعودهم حتى الآن عن البحث فى الانتفاع بالاسفار فى التربية وجعلها ركنا من أركانها. ان قيل: انما يمنعهم من ذلك حاجتهم الى الزمن: قلت ان السفر الى أمريكا مثلا لايقتضي الآن منه أكثر مما يلزم لتعليم التلميذ شكل الكرة الارضية تعليما فيه شئ من الحق على مافى السفر ومعاينة الاشياء من الفوائد الكثيرة التى لايستفيدها المتعلم من أي درس من دروس تقويم البلدان كتابية كانت أو شفاهية وان قيل: ان مايقتضيه السفر من النفقات هو الذى يخيف المربين منه ويصدهم عنه: قلت قد فهمت هذا الاعتراض الا انه يوجد من الطرق غير واحدة للسفر بدون كبير نفقة وانما أكبر العوائق فى هذا السبيل هو حذر الآباء والامهات وخوفهم على أولادهم فان فكرة غياب الغلام الغرعن نظر اه ووكله لأمواج البحار ومخاوف الاسفار وتخليته ونفسه مما يهيج نفوس الامهات وتثور له قلوبهن. لاجرم ان اهتمامهن باولادهن حقيق بالاحترام والاجلال ولكن ينبغي أن يفهمهن القائمون على التربية ان ليس فى الغياب شئ يقطع أواصر الرحم وان عرى المحبة والوداد تجمع بين القلوب الشريفة والنفوس الكريمة مهما اتسعت مسافة البعد بينها وانه لاخوف من الحرية الاعلى الابناء الذين لم يبكر بتعليمهم الاستقلال بالسير في هذه الحياة على انه لايصح ان تكون محبة الوالدين لاولادها الاعزاء مقصودا بها لذتهما بل لابد أن تكون غايتها الحرص على مصلحتهم فان رحمتهما بهم تدب اليها شبهة الاثرة اذا انحصرت فى ابقائهم فى كنفهما وان أخل ذلك بتلك المصلحة

وفوق ذلك فانه لم يكن من العبث ان استعملت في ايامنا هذه قوة البخار في طي المسافات السابقة، وتقريب الاقطار المتنائية، وأبعدت الملاحة في فتوحاتها، ورخصت

للناس أسعارها ، فأصبح السفر الى البلاد المسامتة لنا من أسفل معتبرا عند شبان الانكليز من قبيل التنزه وتمضية وقت الفراغ في البحر وقد شعر النوع الانساني بنمو اجنحته للرقي فلا محيص من التسليم واني لاخشى ان لاتغني حكمة الشيوخ الزاجرة عن السفر ولا الجدول الاطلانطيقي شيئاً مما يجده خلفنا في نفوسهم من الحمية والحاجة الى رؤية العالم

جميع الامم الحرة أمم رحالة لايعوقها بعد المسافات ولا اختلاف الاقاليم ولا العقبات المادية بل ولا تعلقها المتين الاعمى بالزاوية التي تعيش فيها من الارض

ان القوانين التي جرى عليها توزيع أجيال النوع الانساني على البلدان قد تحدد بعضها بالفطرة وبعضها بالتاريخ وكثير منها بسياسة الحكومات وما زال الحاكمون في كل عصر يعنون أشد العنايه بان يعيش المحكومون ويموتون فى الارض التي ينبسط عليها سلطانهم سواء في ذلك الاغنياء منهم والفقراء وقد استنتجوا من كون هذا الامر مفيداً لمصالح ملكهم انه من الفروض التي لهم على رعاياهم ونجحوا في اقناعهم بذلك وكان من أوهام المربين وخيالات الشعراء وأفكار رجال الدين ما تضافر في قرون طويلة على أن يغرس في القلوب غريزة يشترك فيها الانسان مع العجموات وهي حبه للمكان الذي ولد فيه. نعم انها من الغرائز الحسنة ولا ننس انها هي السبب في تألف الجماعات ولكن لايعزب عن ذكرك أيضا انه يسهل ان يساء استعمالها ليبقى المستضعفون من الناس عبيداً للاقوياء الغاشمين

لما كانت جماعات الانسان فى بداية نشأته قد انحصرت كل واحدة منها في بقعة من بقاع الارض كانوا معتادين من صغرهم على المعيشة في الاماكن التي يجدون فيها ما يقتاتون به ووصلت بهم هذه الحالة الى حد انهم قد عدوا هذه العادات الانحصارية من الفضائل وأما انا فلا أعدها الا معيبة ولا أقدرها بما لاتستحق فما زال الفلاح اللاصق بأرضه يقلبها ويزرعها أدنى منزلة في الجملة من المدني والمدني نفسه يستفيد ويرتقي كثيرا اذا اتسع نطاق معاملاته مع العالم

الامم التي تكون عالة على أرضها أجنبية عن لغات غيرها فى وسعها ولا شك ان تقوم بعظائم الامور وجلائل الاعمال لكنها تكون أكثر من غيرها استهدافا لقوارع البغي السياسي فانها لاتتأثر من تعطيل القوانين ولا من ابطال كفالات الحرية ولا من دوس حقوق الافراد واهتضامها ذلك لان ابناءها يلتصقون وهم كالمستميتين بقطعة الارض التي تؤويهم وقد دنسها الدم الذي سفكه عدوها الظافر وجعل منه قرباناً

لسيفه فالاغتراب أشد رهبة فى صدورهم من جميع المصائب ولو أحاطت بهم فوادح الخطوب القومية من كل ناحية فاذا نفي بعض ذوي الوجاهة والنفوذ من الاحزاب المستضعفة إما بحكم الضرورة أو بما يتخذ من طرق القهر فى زمن الفتنة كان النفي ابلغ المحن فى نفوسهم ألما فتراهم حيارى لايدرون أين يذهبون ولا ماذا يصنعون وقد صارت الدنيا فى أعينهم وهم خارجون من ديارهم صحراء يعوزهم فيها الدليل ،وموحشة لايجدون فيها الانيس

وأما الامة التي يعتاد افرادها من نعومة أظفارهم على قطع أجواز البحار ولا يكونون بمعزل عن لغات الامم الاخرى وعوائدها ويدرسون أبعد ضروب الحضارة عنهم وأشدها اختلافا فانه لايكون لصروف الدهر عليها سبيل ولا يخشى بنوها بطش القوانين الخاصة ولا التغريب بل انهم يكونون أصدق من فليبس الثاني (١) اذا قالوا متشبهين به «ماكانت الشمس لتغرب عن حكوماتنا»

ولقائل ان يقول :ان عادة السفر قد تضعف في الاحداث العاطفة الوطنية: فاجيبه اني لاأميل قطعا الى عموم معنى الوطنية واتساعه فما اتعس من تكون الدنيا كلها وطنا له إذ لا يكون الانسان انسانا الا بشرط أن ينتسب الى طائفة معينة من البيت الانساني وان يكون له لغة وأمة خاصتان به غير انه لاينبغي ان يتوهم ان حب الوطن الحقيقي يضيع كثير من معناه اذا تجرد عن روابط الوثنية المادية التي كثيرا ماتشوهه وتبخس قيمته فليس الوطن مطلقا عبارة عن الجبل أو السهل أو الغدير الذي يولد الانسان بجواره اتفاقا وليس هذا من القرميد أو الحجر ولا هو بالمكان الذي يحصره سطح يقدر بالفراسخ المربعة كلا ليس الوطن شيئاً من ذلك ولكنه معنى يقوم بالذهن بل تاريخ الامة بل آثار سلفها وان شئت فقل انه وجود كلي تشعر جزئياته بالمعيشة فيه، ولا شيء من ذلك كله يضيع في ركوب متن البحار، ولافى اجتياز المفاوز والقفار. اذا نقش على لوح القلب ، وتحققت به النفس ،

جاءتنا أخبار من بلاد ابير و بواسطة بعض معارفنا تحمل على الاعتقاد بان رولو ريس قد سلبت أموالها بتواطىء حصل بين أقاربها وقد استفتينا العارفين بالقانون فكادوا يجمعون على ان هذه القضية الغامضة لايجلي غموضها ولاينكشف سرها الا في ابير و وانها تقتضي

(١) فليبس الثاني هو ابن امنتاس أحد ملوك مكدونيه الخمسة الذي تسموا بهذا الاسم حكم من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٦ ق م وفتح بلادا كثيرة

ان نوسط فيها صديقا يعهد اليه بمصلحة الفتاة المهضومة فنقبنا عن هذا الصديق فلم نقع عليه صنائع البر يستلزم بعضها بعضا فاننا وان لم نتبين" هذه الفتاة الاجنبية فقد التقطناها وآويناها الى بيتنا وصار من الحق علينا انصافها فى بلدها

فكرت في أن اسافر بنفسي للقيام بهذه المصلحة فرأيت غير واحدة من العقبات تدافعني عن تنفيذ هـذا العقد من ذلك مايقتضيه قطع تلك الشقة البعيدة من النفقات وعدم احتمال الفوز بالحق في الدعوى والروابط التي تربطني بالبقاء في أورباو بالجملة فان سبعين اعتراضا قويا قد وقفت بي موقف المتردد بين الاقدام والاحجام فقد تعاهدت انا وهيلانة بعد الذي ذقناه من ألم الفراق ان لانفترق ولا أدري ان كان فى مكنتها احتمال سفر شاق كهذا ولو انه اقتضى ان تحتمل مضض الفرقة مرة ثانية لماتريثت فى اطراح خاطره على ان هذا الخاطر لايزال يساورني والحالة التي أصبحنا فيها بسبب كفالتنا تلك الفتاة العزيزة علينا وما يلحقنا من تبعات التقصير فى شؤنها لم تكد تترك لي حرية الاختيار فى السفر بل قد شعرت بوارد يأمرني به أمرا

وأقول على أي حال: افلا يجوز ان يكون الانسان منافقا يتخذ المقدور من حيث لايشعر ستارا لإخفاء نفاقه؟ أفلا يصح اننا مع اعتقاد امتثالنا فى العمل لحكم الضرورات نتبع فى اغلب اعمالنا ماتوحيه الينا شهواتنا او نمزج المصلحة التي نخيل اننا نقوم بها لغيرنا بشيء من الأثرة او يكون ميلي الغريزي الى التجوال هو الذي قد تنبه فى نفسي واجتهدت فى مواراته بحجاب صنيعة المعروف او ان تكون لي غاية خاصة او سبب خفي يدفعني الى تغيير الهواء الذي انا فيه

لست أقطع بشيء من ذلك ولكني كلما تساءلت خيل لي ان قصدي الاول انما هو نفع الولدين اللذين اخذت على نفسي تربيتهما

لو كان في وسعي ان لااستفتي الاميلي وذوقي لجاز ان لاتكون البيرو هي المكان الذي اتخذه من الارض موضوعا للدرس والتعليم وذلك لفرط بعدها ولكن ماأوسع السفر اليها من ملعب يتجلى فيه كثير من الوقائع والمرائي اذ يرى المسافر سموات مجهولة له يعمرها من الكواكب مالاينير أقطارنا الكامدة ليلا. وبحارا مشحونة بالغرائب، وسواحل قاصية ابرزها للعيان فعل الجبال النارية، وخليطا من الاجيال الآدمية التي لما يتم امتزاجها وتسفر اخلاقها عن تاريخ تام.

سن المراهقة هو السن الذي يكون فيه التأثر قويا فهو الذي تنتقش فيه على المخ صورة العالم الخارجي أتم انتقاش وأدقه ولقد حصل «أميل» من العلوم الصحيحة ـ ان لم أكن واهما ـ ما يكفي لاشتغاله بالكون وسيؤهله درس الوقائع الكونية المحسوسة لدرس المعقولات فان تعليم فن الالفاظ ومحسنات اللغة لحدث لما يشاهد شيئاً بنفسه ويراقبه ويحس به كنثر الزهر في كهف اه

المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت

التعليم الابتدائي لابد منه لكل فرد من أفراد الامة صناعها وزراعها وأجرائها والتعليم العالي لابد منه لطائفة من خواص الامة الذين يعملون الاعمال الكبيرة كالمعلمين والمؤلفين والساسة والقضاة والاطباء ومديري الشركات المالية وكبار التجار فاذا لم تتعلم الطبقات الدنيا التعليم الابتدائي كان أفرادها كالبهائم لاصلة بينهم وبين المتعلمين ويسهل على كل دجال ومحتال ان يقودهم الى ماشاء من الشرور ، واذا اكتفى الخواص بالتعليم الابتدائي كان ضررهم في الامة أشد من ضرر العوام الاميين لانهم يعجزون عن الرقي بها والقيام بشؤنها الكلية فيختل النظام ، ويعتل مزاج المصالح ، وينصرف هؤلاء الزعماء الى الافساد في الارض بجهالاتهم وشهواتهم ، ولا يكون لهم حظ من التعليم الناقص الا تقليد الامم الراقية في الازياء والماعون والاثاث وذلك يذهب بثروة الامة ، ويغنيها بسوء الاسوة ، ويجعلها لعوبة بأيدي الفاتحين، وحلبانة ركبانة للمستعمرين،

ومن العار على مصر أن تكون على سبقها البلاد العربية كلها الى التعليم العصري خالية من مدرسة كلية للعلوم العالية بجميع فروعها فان المصريين يشتغلون منذ قرن كامل بالتعليم ومنهم من تخرج في مدارس أوربا العالية ومع هذا لم تسم همتهم الى انشاء مدرسة كلية تغنيهم عن المدارس الاجنبية الخالية من لغتهم ، ومن التربية الملية التي تليق بهم ؛ على ان مصر أغنى البلاد العربية وأحوجها الى العلوم العالية وخواصها أعرف بهذه الحاجة من خواص مسلمي سوريا وتونس بله الجزائر ومراكش فان الكثيرين منهم يرسلون أبناءهم الى أوربا والى سوريا لتكميل دراستهم في مدارسهما العالية في بيروت عدة مدارس كلية وليس في القاهرة مدرسة واحدة وفي تلك المدارس مئات من أبناء المصريين وقليل من أبناء مسلمي سوريا وانما كان هؤلاء قليلين لان الآباء يخافون على عقائد أبنائهم من هذه المدارس فانها كلها دينية ومديروها ونظارها من القسيسين وهم يلزمون التلميذ المسلم بدخول الكنيسة وصلاة النصارى فيها، وفي مدارس

الجزويت يحولون بينه وبين كل مايذكره بدينه حتى أنهم يحرفون مايطبعونه من كتب المسلمين فينسبون كلام الله فيه الى الناس المجهولين وكذلك كلام رسوله عليه السلام ويكذبون على الاسلام والمسلمين في التاريخ لينفروا تلامذتهم عنه. وأمثل مدارس سوريا وأوربا للمسلم المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فأنها أحسن تربية لما فيها من روح الحرية والاستقلال. واللغة العربية فيها معتنى بها لاسيما في هذا العهد اذ الاستاذ الاول لعلومها جبر أفندي ضومط صاحب كتاب (الخواطر الحسان، في المعاني والبيان) وكتاب (فلسفة البلاغة)، الواسع الاطلاع على الآداب الاسلامية، المجبولة طينته بفضيلة الانصاف، المغرم بتربية النفوس على الفضائل، غرامه بتربية العقول على الاستقلال في طلب الحقائق، الذي يعتمد في علم الاخلاق على كتاب الاحياء للغزالي أكثر مما يعتمد على سواه

وقد وجد هذا المعلم المربي مجالا فسيحا للعمل بمذهبه في التعليم والتربية على عهد رئيس المدرسة الكلية الحاضر الدكتور (هوورد بلس) الذي يقول ان حياة المدرسة في ثلاث كلمة «لا إله الا الله» وطلب الحقيقة بالاخلاص والنظر الى المخالفين في الدين من جهة الاتفاق لامن جهة الاختلاف. هكذا حدثنا عنه صديقنا جبر افندي عند زيارته القاهرة في أوائل هذا الشهر وخطبته في كنيسة المدرسة يوم المولد النبوي تؤيد ذلك وقد نشرت «ثمرات الفنون» يومئذ ماخصها فدل ذلك على ان هذا الرجل اشبه بفيلسوف إلهي منه بقسيس نصراني. فأين منه الامريكان المتعصبون في مصر

وجملة القول ان المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت أمثل للمسلم من مدارس مصر وسوريا والاستانة وأوروبا فهي مدرسة ربت ولاتزال تربي رجالا بل هي الآن للمسلم خير منها قبل الآن. اما المدارس الابتدائية فخيرها للمسلمين المدرسة العثمانية الاهلية في بيروت

باب الأخبار والآراء

﴿ الاستاذ الامام - عودته ﴾

عاد الاستاذ من سياحته في اوربا والجزائر وتونس فتلقاه في محطة القاهرة الجماهير من العلماء والوجهاء وهي حفاوة داعيتها المحبة والاجلال، ولم تعهد لغيره في هذه الديار وقد اثنى على حفاوة أهل الجزائر وتونس وحكومتيهما به وقال انه رأى روحا جديدا في العلماء وتوجها جديدا من فرنسا للمسلمين وانه يرجو بذلك للبلادين حياة علمية سعيدة، ونهضة إسلامية قريبة، فيأتلف الحاكم والمحكوم، ويوجه العلم الى المعلوم، وسننشر بعض فوائد رحلته فيما بعد

كلمة للمشتركين أو كلمتان

لا يكاد يمضي يوم الا ويجيئنا فيه مع البريد كتاب أو كتب من المشتركين يطلبون فيها أجزاء ناقصة من المنار وقلما يرسل أحد منهم ثمنها الذي عيناه وتنشر اعلانه على الغلاف دائما ومنهم من يلح في ذلك ويكرر الطلب ولنا العذر في عدم المجاوبة (يراجع الاعلان فى الصفحة الرابعة من الغلاف)

هذه هي الكلمة الأولى واما الثانية فنرجو من المشتركين الكرام حيث لا وكلاء للمنار التفضل بارسال قيمة الاشتراك حوالة على البريد فى مصر وان لا يحوجونا الى المكاتبة ونفقة التحويل كما فعل ذلك الغني العظيم في بني سويف اذ طالبناه بثمن المجلدات التي اشتراها من المنار وبقيمة الاشتراك فما أغنى عنه الطلب وحولنا عليه فلم يغن التحويل فلو استن الناس بسنة هذا الغني لبطلت الاعمال وفسد العمران وهلك الانسان ولعله يرجع الينا المجلدات والاجزاء اذا شق عليه ارسال ثمنها ولا يحوجنا الى التصريح باسمه خلافا لعادتنا

العبرة فى ثورة مكدونية

كل يوم تأتينا البرقيات والصحف الاوربية بضروب من أخبار الثورة وآراء أهل أوربا فيها وكلها عبر للمسلم ولكن نقلتها في صحفنا لا يوجهون النفوس الى طرق الاعتبار بها. قامت قيامة اساقفة الانكليز على حكومتهم وكتبوا يحرضون الامة على الحكومة لتحملها معهم على الانتصار لنصارى مكدونية والسعي في إنقاذهم من حكم المسلمين وقد اضطرت الحكومة أن تدافع عن نفسها وتبرئها من تهمة مساعدة الدولة العثمانية في الربع الاخير من القرن الماضي وتفتخر بأنه تيسر بمساعدتها وضع قبرص والبلغار ورومانيا والبوسنه ومصر وكريت تحت لواء أوربا كما اعتذرت عن عدم السعي في استقلال مكدونية بأن العنصر الاقوى فيها مسلمون متعصبون لدينهم ولسلطانهم

هذا وانك ترى أكثر الجرائد الاوربية والمقلدة لها فى الوسائل والمقاصد تندد بذبح الاتراك وتنكيلهم بالنصارى فى البلاد الثائرة أي بالثائرين ومساعديهم ولكنها تمدح الثائرين وتطلب مساعدتهم على احراق بيوت الناس وبيوت الله والفتك بحكامهم الترك وسائر المسلمين

ولو أن الدولة العلية قصرت أو عجزت عن تأديب هؤلاء الثوار الأشرار لكانت في نظرهم أحق بالتأنيب، وأحوج الى التأديب ، وقد كتبت جريدة فرنسية مقالة في هجو اليونان لأنهم لم يساعدوا الثائرين عملا بمصلحتهم وقالت الجريدة ان المسألة ملية يجب فيها العمل بالغيرة الدينية ، دون المصلحة السياسية ، وقد عربت هذه المقالة جريدة الجوائب المصرية ،

فليعتبر بهذا المتفرنجون الذين يزعمون ان أوربا فقدت الغيرة الدينية ويجهلون انه لولا هذه الغيرة لما ثار ثائر نصراني في كريت ولا مكدونية ولا غيرهما وان هؤلاء الثوار يعلمون أنهم يعجزون عن الخروج من سلطة الدولة العثمانية بالقوة ولكنهم يعتمدون على انتصار الشعوب الاوربية لهم والزامها حكوماتها بمساعدتهم . وان كانت الحكومات تقدم مصالحها على مصلحة الدين فان من مصالحها أيضا إرضاء رعاياها ومراعاة احساسهم الديني

اما هذه الثورة فقد استعد لها المقدونيون في بلاد الدولة وفي بلاد البلغار استعدادا عظيما مبنيا على العلوم والصنائع فمدارس النصارى في تلك البلاد تعلمهم عمل الديناميت لأجل الاستقلال ، وغير ذلك من العلوم والاعمال ، والمسلمون لا يتعلمون الا ماينكث فتلهم ، ويقطع روابطهم ؛ فلو صبر الثوار لاستولوا عليهم بالعلم ، ولكنهم عجلوا الى امتشاق السيف ، والدولة لم تكن غافلة عما يعملون ولكن السلطان الاعظم يحب مداواة الادواء باللين ماوجد الى ذلك سبيلا ولذلك كان يمنح الرتب والوسامات لكل من توسم منه الشر فلما جاء الميقات ، لم تغن الرتب ولا الوسامات ، وكل ماهو آت آت ،

فتك الهيضة في حمص وطرابلس

كان فتك الهيضة في هذين البلدين أشد منه في سائر البلاد السورية وقد قلنا في جزء مضى ان أكثر من يصاب ويموت به في طرابلس الفقراء الذين لا يبالون بالنظافة ومداراة الصحة ولكن قدمات به في حمص جماعة من خيار أهل العلم والدين وهم

(١) الشيخ محمد المحمود الاتاسي — كان هذا الرجل شيخ العلماء وكبيرهم في حمص مات عن ثمانين سنة لم يسأم التدريس والتعليم في أواخرها كما سئم لبيد الحياة في مثل سنه لان الانسان لا تطيب له الحياة بعد ذهاب الاطيبين الا اذا كان له حياة عقلية روحانية ينعم بها وكان رحمه الله تعالى ورعا قنوعا لم يأكل قط بعلمه ودينه على انه كان أكبر العلماء جاها ولم يأخذ من مال الاوقاف شيئا على انه كان المدرس الاول في الجامع الكبير . وكان عالي الهمة سليم القلب رقيق الطبع حسن الفكاهة حافظا للناس في غيبهم كحضورهم ويعتقد العارفون بحال البلاد أنه أحد الافراد الذين حفظ بهم العلم

الاسلامي منذ ستين سنة اذ بلغ النهاية من التلاشي

(٢) الشيخ انيس الملوحي — وهو من فقهاء الحنفية المهرة وكان مرجعاً للخاص والعام في أحكام في المعاملات لاسيما مسائل الازواج قضى في سن الخمسين ، ولم يكن من الفقهاء الجامدين ،

(٣) محمد سعيد افندي الحكيم — كان من الشبان الاذكياء المشتغلين بالعلم المحبين للإصلاح وتعلم الطب من والده وغيره وعمل به ولكن الاجل اذا جاء لا ينفع معه طب ولا ينجو منه طبيب على أنه يقع بسببه ولكن الانسان لا يهتدي دائماً للوقوف على الأسباب والعمل بها

(٤) الشيخ علي العمري — أما طرابلس الشام فلم يمت فيها من الرجال المشهورين بالعلم أو غيره أحد الا الشيخ عليا العمري وهو لم يمت بالهيضة الوبائية بل بمرض آخر كما يفهم من ترجمته في جرائد بيروت مات عن تسعين سنة وكان أكثر الناس يعتقدون صلاحه وكرامته ويتناقلون عنه من الخوارق والغرائب مالا يحصى وأشهرها انه كان ينفث في فنجانة القهوة وقدح الشاي أو يشرب منهما قليلا فتكون لهما رائحة مسكية ويأخذ عوداً أو قطعة من الحصير أو غيره فيضعها في النار فتكون رائحة دخانها كرائحة العود الهندي ويأخذ عودا من الكبريت أو خلالا فيبله بريقه ويكتب به تميمة لطالبها على انه كان أميا . ومن الناس من يأوّل أمثال هذه الغرائب وينقلون عنه ماهو أغرب منها . ومما امتاز به على منتحلي الكرامات من شيوخ الطريق انه كان يأتي بأغرب خوارقه في ملأ الامراء والوزراء ، على أن القوم يخصون بها العامة والاغبياء ، وان مختار باشا الغازي يروي عنه من الخوارق مثلما يروي عنه الدهماء في طرابلس الشام . وقد عرفناه وكان بيننا وبينه مودة ولكن كاتب هذه السطور لم ير منه شيئا يتعاصى على التأويل

أما أخلاقه فأخصها التواضع والمروءة وحفظ اللسان والسعي في مصالح الناس وكان محترما عند العظماء مقبول الشفاعة عند الولاة والحكام وقد كان يتهمه بعض الناس بترك الصلاة ولكنني مارأيته ترك صلاة واذكر انه كان نائما عندنا في الحجرة التي أنام فيها فاستيقظت في جوف الليل على تهجده ولم أشعره بذلك . ولم يكن يعاهد الناس على الطريق ولا يجمعهم على الذكر ولا يتكلم بالتصوف ولا الوعظ تغمده الله تعالى برحمته الواسعة وأحسن عزاء انجاله ومحبيه

الجزء الخامس عشر — المجلد السادس

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

(مصر — الخميس غرة شعبان سنة ١٣٢١ — ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ سورة العصر ﴾

اقترح بعض العلماء في الجزائر على الاستاذ الامام ايام كان عندهم ان يقرأ لهم درسا عاما يستفيدون منه ، ويتحقق به تلقيهم عنه . ففسر لهم سورة العصر وقد كتب بعض من حضر الدرس ملخص ماقاله الامام وكتب بعضهم يقول ان بعض الكاتبين اخطأوا فيما كتبوا واقترح ان يكتب الاستاذ الامام نفسه تفسير السورة وينشر في المنار ليصحح عليه الكاتبون ما كتبوا فعرضنا ذلك عليه فكتب أيده الله بروحه ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ *

المرجح ان هذه السورة من المكيات . وقد ورد عن الشافعي فيها أنه قال : لو لم ينزل الا هذه السورة لكفت الناس : وفي رواية عنه : لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم : وصح ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اذا

اجتمع اثنان منهم لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة الى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر . وقد ظن الناس أن ذلك كان للتبرك وهو خطأ وانما كان ليذكر كل واحد منهما صاحبه بما ورد فيها خصوصا من التواصي بالحق والتواصي بالصبر حتى يجتنب منه قبل التفرق وصية خير لو كانت عنده

جرت سنة الله فى كتابه ان يقسم أحيانا بشيء من خلقه أو بشأن من شئونه لينبه الناس الى ما أودع فيه من الحكمة وانهم ان كانوا قد نسبوا اليه شيئاً من الشر اوظنوا فيه ضربا من السوء فهم مخطئون فان السوء والشر ليسا فى هذه الاشياء وانما هذا فى نفوس المستعملين أو المعتقدين وقد كانت أديان يظن أهلها ان هذا الكون الزماني وما فيه كون شر وفساد ومن الواجب على طلاب السعادة ان يحقروه وان يفروا من طيباته ويجردوا نفوسهم الى عالم آخر فوق عالم الكون والفساد. فجاء الكتاب المبين يبين لهم سوء فهمهم عن الله . ومن طرق تنبيههم الى خطأهم تلك الاساليب التي جاءت فى القسم ووردت فى الكتاب. أراد ان يكشف لهم ان هذه الاشياء من حكمة الله بالمنزلة التي تبلغ ان يقسم الله بها كأنها مما يعظمه الله وناهيك بذلك الذي يعظمه خالق كل شيء ووجود كل موجود الذي لاوجود لشيء الا منه

العصر إما القطعة المعروفة من الدهر وهو الزمن الذي يعيش فيه المتكلم مع غيره سواء قدر بعدد من السنين كمئة سنة مثلا أم لم يقدر، وإما الوقت المعروف من النهار مابين الظهر والمغرب وكل منهما تصح إرادته. وقد اعتاد الناس سب الاول فكل يشتكي من عصره ويقول :

هو عصر جهالة ونذالة ، ونقص مروءة ، وخبث طوية ، ورداءة عمل ، وينسبون ماشاءوا من الخير الى ما كان قبل عصرهم من العصور فاراد الله ان يزعج نفوسهم عن مثل هـذا الاعتقاد بأن أقسم به ليدهش عقولهم بتعظيم ماألفوا تصغيره ، ورفع قدر ماعتادوا تحقيره ، والعصر بالمعنى الثاني كان الوقت الذي يجتمع فيـه الاعطال من العرب قريش وغيرها اما عند الحرم أوفى مواضع أخر من منتديات الاحياء ويخوضون فيما لاخير فيه من غيبة أو هزء وسخرية او لغو من الحديث مله عن جد العمل فوقر فى نفوسهم ان ذلك الوقت نفسـه هو قرارة السوء ومجتمع الشر فدفع الله ذلك عن الزمان اليهم وعلمهم ان الوقت نفسـه بمنزلة من الشرف يصلح معها لان يقسم به خالق السموات والارض فكان عليهم ان يستعملوه فيما يناسب هذه المنزلة ويشغلوه بطيبات الاعمال فيخلصوا بذلك من الخسران الذي لم يلحق بهم الابسيئات أعمالهم

إنما ورد هذا القسم ــ على أي المعنيين ــ تأكيداللخبر الذي أراد الله أن يسوقه الينا وهوان الإنسان في خسر الخ وإنما احتاج هـذا الخبر الى التأكيد لأن كثيرا من الناس يظنون ان من الأحوال والاعمال وراء ماذكر فى هذه السورة مالاخسار فيه بل يعتقدون ان السعادة فى التلخص من عقد الايمان، والعتق من قيود الفضائل، وانطلاق النفس فيما يسمونه متسع الفكر ، وحرية العمل ، بدون تحرج من رذيلة ، ولا إحجام عن فاحشة ، متى كانت تلذ للنفس فى العاجل ، وان أدت بها الى الهلكة فى الآجل ، وأن من الامم من يسعد وان اتبع أفرادها أهواءهم، وملكتهم شهواتهم، ماداموا يكسبون المال ويوفرون على أنفسهم وسائل القوة فى زعمهم سواء

آمنوا أم لم يؤمنوا ، عملوا الصالحات ام لم يعملوا ، تواصوا بالحق والصبر ام لم يتواصوا ، وأمثال هؤلاء الظانين يفوق عددهم الحصر فى كل زمان ومكان

« أل » فى الانسان للاستغراق كما يدل عليه الاستثناء في قوله « الا الذين آمنوا » والاستغراق بأل فى لسان العرب ليس كالاستغراق بلفظ « كل » الذي يسوّر بها المناطقة قضاياهم الكلية وليست « أل » مساوية لكل التي تضاف الى النكرة ويريد بها العربي تعميم الحكم فى جميع أفراد الجنس وانما يراعى فى « أل » استغراق المعهود عند المخاطبين لأنها فى لسانهم للعهد وتعريف الجنس إما فى فرد أو أفراد ولن تفارق العهد فى حال من الاحوال . وكذلك التي يسميها النحاة للعهد الذهني ويتحيرون في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول من لا يعرف خصائص اللسان منهم : ان الفرق فى اللفظ واجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه : وهو وهم فاسد فان قول الرجل لعبده : اشتر اللحم من السوق : لا يفهم منه أي لحم فى الكون بأسره ولا أيّ سوق فى العالم بأجمعه ولكن قد عهد السيد نوعا خاصا تعود العبد شراءه وأسواقا خاصة هي أسواق المدينة التي يقيم فيها وان لم يتعين أحدها فالعهد والتعريف به لم يفارقها . والفرق بين المعنى معها والمعنى فى النكرة واضح لمن يعرف خصائص اللسان

والانسان الذي تجري عليه أحكام الانسانية ويحدَّث عنه فى مثل هذه الشئون هو من بلغ سن الرشد عاقلا يميز بين الخير والشر وليس يخطر بالبال عند التخاطب فى مثل هذا المقام الصبيان غير المكلفين ولا المجانين . ولو أتى بلفظ « كل إنسان » لشمل ذلك . ولا تؤدي « أل » مؤدى « كل » الا بقرينة . فالاستغراق فى الآية على حقيقته وهو شامل لجميع أفراد المكلفين من

الناس سواء كانوا ممن بلغتهم رسالات الانبياء ام ممن لم تبلغهم كما سيأتي بيانه

والخسر فى اللغة يطلق على الضلال وعلى الهلاك وعلى النقص وكل ماجر عليك عملك من شر فهو خسر لك وخسران وخسارة لانك كنت تبتغي بعملك الفائدة والثمرة الطيبة تجنيها منه فاذا جر عليك ما كنت تتوقاه، وحرمك ما كنت تتوخاه، فقد خسرت لانك ضللت فى القصد، ودخل النقص عليك فى بغية نفسك، وأتاك التعب من حيث تطلب الراحة، وكل ماآلمك وأشقاك وأقلق نفسك، واضطرب له قلبك، فهو نقص في لذتك. واذا عملت عملا وانت تقصد به سكون القلب، وهناء العيش، فحدث انزعاج النفس، ونقص الطمأنينة، فقد ضللت به فى القصد، وخسرت فى السعي، والخسر فى الآية مطلق لايتقيد بدنيوي أو أخروي فكل مكلف ممن لم يتصف بالاوصاف الآتية (فى السورة) يصيبه حظ من الخسران فى هذه الحياة أوفي التي بعدها، لأن السورة مكية كما قلنا والخطاب فى المكيات، كانت تراعي فيه العمومات فى كثير من الآيات، كما تراه في سورة «والليل اذا يغشى» مثلا والخسر بفقد الراحة وطمأنينة النفس

الايمان فى هذه السورة مطلق كذلك لم يتقيد بشيء كما ترى ولكنه محمول على ماهو معروف عند المخاطبين والامس بعموم الخطاب انه اذعان النفس لليقين بالفرق بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة وبأن على الوجود مسيطرا يرضى الخير ولا يرضى الشر ويحب الفضيلة ويكره الرذيلة وأن من رحمته ان يخص من شاء من خلقه باطلاعهم على شيء من سره وأمرهم بأن يبينوا للناس ماالتبس عليهم من مذاهب أعمالهم، ويعرفوهم مداخل الاهواء الفاسدة الى قلوبهم، ومسالك الدلائل الصحيحة الى عقولهم،

فيقبلوا على هذه ويتلقوا مايساق اليهم منها ، ويسدّوا على أنفسهم تلك ويقيموا من العزم حارساً على نوافذها يمنع ما عساه يهوي اليها ، وهذا الايمان هو المدلول عليه بقوله تعالى فى سورة (والليل اذا يغشى) : «وصدق بالحسنى» : وليس الايمان هاهنا هو التصديق المقرون بالاذعان لتفصيل الاحكام الواردة فى شرعنا خاصة فان الحكم انما هو على الانسان في جميع أمكنته وأزمنته لايختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل يعم الامم جميعها ماضيها وحاضرها ومستقبلها فالكلام في السورة لتقرير حكم عام من أحكام الانسان فى نفسه وانما تدخل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فى حكم هذا العام ويكون من بلغته تلك الرسالة ولم يصدق بجميع ماورد به القطعي سندا ودلالة من نصوصها خاسرا فى الدنيا والآخرة بحكم هذا النص من جهة عمومه وبالنصوص التفصيلية الاخرى التي وردت فى كثير فى سور القرآن

وليس الايمان كذلك مجرد مايسميه الناس اعتقادا وان كان بمحض التقليد لاعمل لعقل ولا لوجدان فيه فان مثل هذا الايمان قد خسرت معه أمم كثيرة ممن صدقت بمرسلين صادقين ، وأنبياء هادين، وإنما المراد منه ذلك التصديق المقرون بطمأنينة النفس وخضوع القوى لحكم ما آمن به «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ» ذلك الايمان هو الذي كان الله ولا يزال ينوط به النجاة من الخسران فى الدنيا والآخرة. وسيأتي إيضاح ذلك أيضا

أما هذا الذي يتلقاه الناس من أفواه آبائهم فينشأ ابن المسلم لايفهم

معنى لما يعتقد أو لما يقول أبوه وإنما ينطق كما ينطق وتأخذه الحمية لما يراه يحمى له لا يفهم لذلك معنى ولا يجد لنفسه فيه بصيرة كما ينشأ ابن النصراني أو ابن اليهودي أو ابن المجوسي على مثل ذلك - فهو مما لا يعتد الله به وإنما يعتد الله بتلك السكينة الروحية التي تشعر النفس بهبطها اليها وذلك العقد القلبي الذي يعرف القلب مكانه منه. هذا هو الايمان الذي يليق ان يسمّى حياة للنفس يعدّها للشعور بجميع ما يلزم له وما يصح ان يحمل عليه. أما ذلك الذي سموه إيمانا وهو ليس به فهو مما يقتل النفوس ويهلك الأرواح ويسلك بها مسالك الجهل وينتهي بها الى مهاوي الهلكة

أما الصالحات فى هذه السورة فهي تلك الاعمال التي عرفت عند الناس بأنها من أعمال الخير النافعة لخاصتهم وعامتهم المتفقة مع مصالحهم التي لا تنكرها الأذواق السليمة، ولا تجافيها الطباع المستقيمة، ومنها ما هو من ضروب الشكر لمفيض الخير والاحسان على الخلائق أجمعين كالعبادات الصحيحة التي جاء بها كل دين صحيح فى أيّ أمة من الامم التي دعيت الى الأخذ بذلك الدين زمن العمل بشريعتها. ومنها ما هو من ضروب البر كبذل الاموال فى طرق الخير والسعي في اغاثة المنكوبين، واقالة العثار، والعدل فى الحكم، وانقاذ المظلوم من الظلم، ونحو ذلك مما يطول تفصيله. ومنها فضائل الملكات التي تصدر عنها الصالحات كالامانة والعفة والانصاف والمحبة والاخلاص وأمثال ذلك. كل هذا يسمى صالحات وان كان منه ما هو بدني يتعلق به العمل الظاهر، ومنه ما هو نفسي يتعلق به العمل الباطن، والعمل يتعلق بالملكات لانها انما تحصل عادة بترويض النفس عليها، ومجاهدتها في سبيل تحصيلها، ويدخل في هذه الاعمال عند كل أمة

ماوردت به شريعة رسولها ويدخل فيها ماهدى اليه العقل عند الامم التي لم تبلغها رسالة . وان من أصول الصالحات ماهو معروف عند البشر عامة لاتختلف فيه أمة كالاصول التي ذكرناها قبل أسطر ولذلك سميت فى الكتاب بالمعروف وسميت أضدادها بالمنكر أي ما تعرفه النفوس السليمة ، وماتنكره العقول الصحيحة

التواصي ان يوصي كل من الشخصين صاحبه بشيء . والحق مايقابل الباطل وهو يكاد يكون معروف المعنى عند كل الناس وانما يخطيء أغلبهم فى حمل هذا المعنى على جزئياته فيأتي الواحد منهم الى أشد الباطل بطلانا ويقول انه الحق . فلو حمل الحق هاهنا على مايراه الموصي حقا لكان المعنى : وأوصى كل منهم صاحبه بما يعتقده حقا وطالبه بالاخذ به : وربما كان الآخر لايعتقد أن الحق مع موصيه فيكون التواصي ضربا من التنازع لأن كلا يدعو الآخر الى مالايرضاه وهو النزاع بعينه فلا يصح حمل المعنى عليه وإنما الذي يصح ان يقصد هو ان يوصي كل واحد صاحبه بتحري الحق فيما يعتقد بأن ينبهه الى الحرص على البحث فى الادلة والتلطف فى النظر للوقوف على الحق الذي هو الواقع لايختلف فيه بعدمعرفةوجهه فاذا رأى منه ضلة هداه باقامة الدليل على ماهو الهدى ، واذا رأى منه تقصيرا فى النظر نهض به اليه ، واذا وجد منه رعونة فى الاخذبظواهر الامور دون النفوذ الى بواطنها نصح له باستعمال الروية وامعان الفكرة . وهكذا يكون على الآخر ان يعمل مع صاحبه مثل مايجب عليه ان يعمل معه . وفرض التواصي على كل واحد يبيح للصغير او يوجب عليه مايبيح للكبير أو يوجب عليه من ذلك الا انه لايمنع من رعاية كل قائم بواجب عليه حق

الآخر فلوصية الصغير وعرضها على الكبير طريقة غير طريقة سوق الوصية من الكبير الى الصغير يعرف ذلك القوم على حسب آدابهم وما ألفوا في تخاطبهم . والتواصي بالحق يدخل في الصالحات وإنما ذكره بلفظه لينوه بفضله ويشير الى انه أصل بنفسه تناط النجاة به استقلالا .

ولا يصح ان يظن ظان ان النجاة منوطة بالتواصي بالحق وان لم يكن الموصي آخذا به فلو كان مبطلا وأوصى بالحق فقد نجا، هذا مالا يعقل وإنما جاءت الآية الكريمة على طريقة الايجاز التي فضل بها القرآن جميع الكلام فان المراد من كان على الحق وأوصى به . ومن المعروف عند العقلاء أنه لا يوصي بالشيء ولا يدعو اليه الا من أصاب منه الحظ الاوفر وكيف يدعو الى أمر ويحسن الدعوة اليه من لا تكون له من ذلك الأمر حلية يعرف بها . وما تراه من قوم يدعون الى المعروف وهم يقيمون على المنكر فذلك لا يعد دعوة صحيحة لانهم لا يعرفون كيف يدعون وهم في دعوتهم الى ما يدعون اليه ينفرون الناس منه ولا يميلونهم الى ناحيته، وخطاب الكتاب إنما جاء على المعروف المألوف عند العقلاء . وإنما قال «وتواصوا» ولم يقل : وأوصوا : ليبين ان النجاة من الخسران إنما تناط بحرص كل من أفراد الأمة على الحق ونزوع كل منهم الى أن يوصي به قومه . ومن يهمه أمر الحق ليوصي صاحبه بطلبه يهمه ان يرى الحق فيقبله فكأنه في هذه العبارة الجزلة قد نص على تواصيهم بالحق وقبولهم للوصية به اذا وجهت اليهم

والصبر خلق من أمهات الأخلاق بل مساك كل خلق . قالوا في فضل الصبر إنه ذكر في القرآن نحو سبعين مرة وليس لنا فائدة كبرى في تحديد العدد ولكن جاء في الكتاب العزيز ذكر الصبر ومدح أهله وتبشيرهم

بالفوز والفلاح . والصبر ملكة فى النفس يتيسر معها احتمال مايشق احتماله والرضى بما يكره فى سبيل الحق وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق وما أتي الناس من شيء مثل ما أتوا من فقد الصبر أو ضعفه .

كل أمة ضعف الصبر فى نفوس أفرادها ضعف فيها كل شيء وذهبت منها كل قوة ، ولنضرب لذلك مثلا نقص العلم عند أمة من الامم كالمسلمين اليوم ، اذا دققت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر فان من عرف بابا من أبواب العلم لايجد من نفسه صبرا على التوسع فيه والتعب فى تحقيق مسائله وينام على فراش من التقليد هين لين لايكلفه مشقة ولا يجشمه تعبا ويسلي نفسه عن كسله بتعظيم من سبقه ولو كان عنده احترام حقيقي لسلفه لاتخذهم أسوة له في عمله فحذا حذوهم وسلك مسلكهم وكلف نفسه بعض ماحملوا أنفسهم عليه واعتقد كما كانوا يعتقدون أنهم ليسوا بمعصومين . ثم هو اذا تعلم لايجد صبرا على مشقة دعوة الناس الى علم مايعلم وحملهم على عرفان مايعرف ولا جلدا على تحصيل الوسائل لنشر ماعنده بل متى لاقى أول معارضة قبع فى بيته وترك الخلق للخالق كما يقولون . يجلس الطالب للدرس سنة أو سنتين ثم تعترضه مشقة التحصيل فيترك الدرس أو يتساهل فى فهمه أو يكل والده من الانفاق عليه فيصرفه الى حرفة أخرى يظنها أربح له فينقطع عن الطلب ، ويذهب فى الجهل كل مذهب ، وكل هذا من ضعف الصبر

يبخل البخيل بماله ويجهد نفسه فى جمعه وكنزه وتعرض له وجوه البر فيعرض عنها ، ولا ينفق درهما فى شيء منها ، فيؤذي بذلك وطنه وملته ، ويترك الشر والفقر يأكل قومه وأمته ، ولو نظرنا الى ماقبض يده لوجدناه ضعف الصبر ولو صبر على محاربة خيال الفقر اللائح فى ذهنه

يهدده بالنزول به، لما أصيب بذلك المرض القاتل له ولاهله،

يسرف المسرف فى الشهوات، ويتهتك المتهتك فى المنكرات، حتى ينفد المال، وتسوء الحال، ويستبدل الذل بالعز، والفقر بالغنى، ولا سبب لذلك الاضياع صبره فى مقاومة الهوى، وضبط نفسه عن مواقع الردى، ولو صبر فى مجاهدة تلك النزغات لما كان قد خسر ماله، وأفسد حاله

وهكذا لو أردت أن أعد جميع الرذائل وأبحث عن عللها الاولى لوجدتموها تنتهي الى ضعف الصبر أو فقده، ولو سردت جميع الفضائل وطلبت ينبوعها الذي تستمد منه حياتها ما وجدت لها ينبوعاً سوى الصبر، أفلا يكون جديرا بعد هذا بأن يخص بالذكر؟ فالحق حياة العلم، ومستنام السكينة، ومطمأن العقل، ومستقر الراحة للنفس، والصبر مستمد الفضائل، ومدحرة الرذائل، ومساك الصالحات، وملاك الحسنات، فجدير بهذين الاصلين الجليلين ان يخصا من بين أعمال الانسان بالإشادة بذكرهما، والتنويه بفضلهما، ولفت النفوس اليهما خاصة، لتبدأ باحرازهما فتصلح بهما أعمالها كافة،

ربما تبين الناظر فيما ذكرنا وجه الحق فى هذا الخبر الكريم وهو أن الانسان فى خسر الا من استكمل لنفسه هذه الصفات التي ذكرت ولكنا مع ذلك نزيده توضيحاً

الايمان بالمعنى الذي بيناه طور من أطوار النفوس البشرية ارتقت اليه، لتتخلص من سوء حال كانت عليه، النفوس البشرية فى طموحها الى الشهوات هي على نحو ما عليه العجماوات مع امتياز فى قوة استحضار الفائت وتمثيل الآتي ففاقت سائر نفوس الحيوان فى الحرص على نيل ما يلذ لها مما

ألفته، وادخار مايوفر لها أضعافه فيما يستقبل من الزمن، فكل نفس تستعمل قواها، في تحصيل مايرمي اليه هواها، فما أعظم الشر تتصوره فى أشخاص من البشر لاهمَّ لواحد منهم الا فى تحصيل مايتخيله لذيذا او نافعا، واتلاف مايتمثله مؤلما أو ضارا، ثم ينظر الى ذلك فى يد غيره فيثب عليه ليستخلصه منه لنفسه او يتلفه لزعمه انه ضارٌّ به ولا رادع للمعتدي الا ما يكون من المعتدى عليه ولا يصدق أحد منهم بأصل للخير أو للشر أو للفضيلة أو للرذيلة وإنما الخير عند كل واحد مايلذه أو ينفعه سواء آلم غيره أو أضره أم لم يكن كذلك

أي شقاء يصيب النفوس البشرية اذا خلت من الشعور بذلك الاصل العظيم أصل التمييز بين الخير والشر؟ فمن لم يكن مؤمنا بهذا الأصل ولم يصدق بالحسنى كما ورد في سورة الليل فقد خسر خسرانا مبينا. الفرد الواحد فى ذلك ينال نصيبه من الضلال، وسوء الحال، اذا خلا قلبه من ذلك الشعور فانه يخبط فى معاملاته لمن معه على غير هدى، فيصيبه منهم مايصيبه من الاذى، ثم هو لا يزال قلق البال، حليف البلبال، كما لا يخفى. ونصيب الامة من ذلك أعظم من نصيب الفرد بما لا حد له

من لم يؤمن بالقوة العظمى، والقدرة العليا، والحكمة السامية، والسيطرة القاهرة، التي ينتهي اليها كل عمل فى الوجود، وبأن جميع ماعداها فهو فى قبضتها، فقد قصر نظره، وضعف بصره، وعظم وهمه، ووهى معتمده، يرى كل قوة من القوى التي بين يديه كأنها مصدر وجوده، ومصرفة أموره، واذا أصابه شيء من الشر لا يعرف له سببا تخيل السبب شيئا من تلك القوى كما يخطر بباله، أو أصاب شيئا من الخير بدون كسب منه اخترع

له وهمه مصدرا كما يتفق له ، فتكثر عليه الارباب،وتتسد فى وجهه طرق الاسباب ، ويعتمد فى شئونه على مالايصح الاعتماد عليه،وهذا هو منشأ ضروب الوثنية ، التي كانت سببا فى فساد العقول البشرية،والخسران الذي نزل بأهلها أفرادا او أمما لايخفى خبره على أحد ولا يزال ينزل بها من الخسران مايسوء أثره الى اليوم

أمامن آمن بأن جميع القوى التي نراها إنماتصدر من قوة واحدة وهي تحت نظام تديره إرادة واحدة وأن من الواجب على العاقل اذاجاءه شيء من الخير أو الشر لايظهر له سببه ان يبحث بعقله حتى يقف على السبب او ينتهي الى مقدر الاسباب فلا ريب انه ينجو من شر ذلك الخبط ، ويخلص من ورطة ذلك الخلط ، ويستوي في نظره جميع ماهو فى الكون وتتساوى جميع أفراده عنده فى أنها مربوبة لايمتاز شيء منها على آخر إلا بما ميز به من الخصائص،ومايكون له من الآثار ، فيسكن قلبه من كل ناحية ،ويعظم اعتماده على تلك القوة الواحدة ، ولا يأخذ فى أعماله الابما سنته له،فيعتبر ماوضعته من نظام الاسباب والمسببات،فيجري عليه ثابت الجاش مطمئن القلب ، غير خائف من شيء بعد ماعرف من القدرة الالهية ماعرف

من لم يؤمن بأن الحكمة السامية تقضي بأن يكون فى البشر مبشرون ومنذرون يوضحون السبل ، ويكشفون الحجب، ويغمض عينيه عن النظر في الادلة التي تؤيد دعواهم ، يحرم حظا وافرا من المعارف التي يصعب على عقله أو يستحيل عليه ان يصل اليها بدون واسطة هؤلاء المرشدين،ويلتبس عليه كثير من أمره ، وتخفى عليه طرق الصواب فى كثير من عمله ، فيقع فى الشر وهو يسعى الى الخير، ويصيبه الضر ، من حيث كان يطلب المنفعة ،

وأي خسران أعظم من هذا

من فقد الايمان بالله على الوجه الذي بيناه فأقل مايخسره قوة العزيمة بالاعتماد على من تحيط قوته بالاكوان ، وأدنى مايفقده ركون النفس الى سندها الاكبر عند نزول الشدائد ، (١) وأخف ما يصيبه من الخسران تشتت الاهواء عليه واضطرابه بين دواعيها ، وحرمانه من الهادي الذي يرشده الى الوجهة التي ينبغي ان يولي وجهه نحوها ، فيظل فى حيرة لاخلاص له منها ، وأي شقاء أعظم منها ، والامم فى هذا الشقاء كالافراد

الاعمال الصالحة تتبع الايمان الصحيح فى الاغلب غير ان من الناس من يظن ان الايمان قول يعبر عن خيال في النفس لا أثر له فى العمل أو انه اعتقاد يتخذه الشخص مميزا له عن غيره فى جامعة من الجوامع كاعتقاد المسلم بأنه من أهل التوحيد وانه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليتميز بذلك عن غيره من الملل وكاعتقاد كل ذي دين بما يظنه من دينه ومع ذلك لا يأخذ نفسه بالعمل على سنن ذلك الدين . وهذا الايمان لا ينجي صاحبه من الخسران بل لابد في النجاة من العمل الصالح وقد بينا الاعمال الصالحة فيما سبق إجمالا ولا خسار أعظم من خسار يحل بمن لم يأت تلك الاعمال سواء كان ذلك في الدنيا أو الآخرة

وبيان الخسران بذلك المعنى الذي فهمته تعلم أنه عام في كل من

(١) يؤيد هذا ماثبت من ان الجنود المتدينة اشجع واثبت من الملاحدة أو ضعيفة الدين وقد كتبت الجرائد الاوربية هذه الملاحظة فى أثناء حرب انكلترا والترانسفال ومن ذلك اتفاق العارفين على أن جيش الدولة العلية فى مقدمة جيوش العالم شجاعة وصبرا على المكاره « هذا وما ... فكيف لو » رجعت الى ذكر الصحابة والتابعين

فقد الايمان وترك العمل الصالح سواء كان ممن بلغته دعوة الانبياء وحاد عن سننهم أم كان ممن يسمونه (أهل الفترة) أم ممن لم تبلغهم الى اليوم دعوة سواء قلنا بنجاة هؤلاء في الآخرة أم لم نقل فان الخسر فى الآية الكريمة ليس محدودا بخسر الآخرة وخسر الآخرة ليس محدودا بالابدي منه فصريح الآيات ان من لم يكن من المؤمنين أولم يعمل الصالحات فهو خاسر أي ضال أو واقع فى شقاء على ماسبق بيانه. ولا ريب فى عموم ذلك لجميع أصناف البشر فى أي زمان وفى أي مكان وعلى أي حال

بعد ان ذكر ركنين من أركان النجاة من الخسران فى الامم والافراد جاء بركنين آخرين لايتم كل منهما الا بتعاون الافراد ولا يمكن لفرد واحد ان يستقل به وهما ركنا التواصي بالحق والتواصي بالصبر على النحو الذي بيناه. فان التواصي لايكون الا من متعدد فلا نجاة من الخسران الا بأن يقوم الافراد من الامة مهما عظم عددهم بأن يوصي كل واحد منهم من يعرفه من الباقين بأن يطلب الحق ويلتزمه وأن يأخذ بالصبر فى جميع شئونه فلو ان شخصا واحدا قام بذلك وأوصى غيره ولكن الباقين لم يقوموا بمثل ماقام به لحل الخسر بالجميع فى الدنيا لامحالة فان الامة اذا غفل معظمها عن الحق والدعوة اليه ووهن الصبر فى نفوسهم فلا محالة يستولي عليها الباطل وتضعف منها العزائم فيسوء حالها وترمي بنفسها في الهلكة «وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً» واما في الآخرة فالخسار إنما يحيق بمن لم يوص أو من لم يسمع الوصية ولم يقبلها. فان كان الموصي لم يحصل من وسائل التقريب مايحتاج اليه وكان نفور صاحبه من طريقة نصحه ولو سلك غيرها لقبل منه كان الخسار فى الآخرة عليه كذلك، وأي

نجاة لامة يسكت أبناؤها على المنكر يفشو بينهم ولا تتحرك نفوسهم الى التناهي عنه والمنكر مفسدة الافراد ومقراض الامم؟؟

التواصي بالحق والتواصي بالصبر يدخل فيهما الامران ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان من أوصى بالحق ودعا اليه لا يتم له ذلك حتى ينهي عن الباطل ويصد عنه ، ومن أوصى بالصبر على مشاق الاعمال الصالحة لا يكمل له ذلك حتى يبين مساوي الاعمال الخبيثه وعواقب التفريط بترك تلك الصالحات فقد أودع الله في هذين الركنين ركني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فى جميع الاعمال والاحوال وقرر لنا ان لا نجاة لقوم من الخسران فى الدنيا والآخرة الا بأن يقوم كل واحد منهم بما يجب عليه من ذلك فى القدر الذي يمكنه وعلى الوجه الذي يمكنه ، وقد أكد لنا الخبر بما أورده من القسم فليس فى الخبر تجوز ، ولا فيما تضمنه من الامر هوادة ، فمن الواجب على كل أمة تريد ان تنجو من الخسران ان تقوم بهذا الفرض وهو التواصي بالخير والتناهي عن الشر أو التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فاذا طرأ على عوائد الامة أو نزل بها من الحوادث ما ينهض اليها التناصح أوجب اليها التساهل فى فريضة التواصي كان ذلك انذارا بحلول الخسار ، وتعرضا فى الدنيا للعار والدمار ، وفى الآخرة لعذاب النار ،

ولا يجوز لاحد ان يتعلل بذلك التساهل اذا وقع من الامة ويقنع نفسه بأنه عاجز عن النجاح فى نصيحته ولهذا يكفيه ان ينكر المنكر بقلبه وبذلك ينجو من الخسران الاخروي ان لم ينج من الخسران الدنيوي كما يتوهمه بعض المسلمين اليوم خصوصا أولئك الذين عرفوا بينهم بالعلماء فقد أخطأوا الخطأ العظيم في زعمهم أن إعراض العامة عنهم ينجيهم من العقوبة الالهية

اذا لم يبذلوا النصح لهم ولم يبينوا لهم وجه الحق وان أنكروه وصكوا وجه الداعي اليه فقد صدق الله وعده ، وأكد خبره ، ولا سبيل الى التأويل في أمره ، ولا الى جحد مايتلوه من أثره ،

يحتج كثير من عامة اولئك العلماء بحديث « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه » (*) ولكنا نقول انه لا يصح الاحتجاج به في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان تغيير المنكر عند رؤيته شيء يتعلق بأمر خاص وهو المنكر المعين الواقع من الشخص المعين وقد يتسامح في معاملة الشخص المعين في حالة مخصوصة لشأن مخصوص فان ملكا من الملوك أو أميرا من الامراء الظالمين لا يحتمل ان يقال له : ان الأولى بك ان لا تفعل ماتفعل أو ليتك لم تفعل هذا أو ليتك فعلت هذا : فضلا عن ان يقال له : أترك هذا فانه منكر أو افعل هذا فأنه من المعروف : وربما كانت كلمة من هذا القبيل سببا في اتلاف نفس القائل ، بسطوة ذلك الظالم ، ولكن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لم ينحصر في طلب تغيير المنكر في هذه الحالة المحدودة بل ذلك شامل للوعظ العام في المساجد والطرق والاسواق والمنتديات وفي أوقات الاجتماع الخاصة وفي الحديث مع الاصحاب والاحبة وفي كل حال من أحوال الاجتماع خاصة وعامة . ومثل هذا يستطيعه كل واحد من الناس على حسبه فلا يمكن

(*) المنار — تتمته « وذلك أضعف الإيمان » رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وهو حجة على تاركي فريضة الامر والنهي كسلا وتملالا لانه يأمر ببذل الاستطاعة واستنفاد الطاقة في هذه السبيل على خصوصية الموضوع كما قال الاستاذ الامام

لأحد ان يزعم انه عاجز عن القيام بفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الاطلاق لأنه لايوجد أحد يزعم العجز من جميع الوجوه عن هذا الذي بينا الا أن يكون قد بلغ من العجز غاية لايبلغها الحيوان الاعجم

غير انه يجب على العلماء ومن يتشبه بهم ان يتعلموا من وسائل القيام بالواجب ما تدعو اليه الحال على حسب الازمان واختلاف أحوال الامم وأول مايجب عليهم فى ذلك ان يتعلموا التاريخ الصحيح وعلم تكوين الامم وارتقاءها وانحطاطها وعلم الاخلاق وأحوال النفس وعلم الحس والوجدان ونحو ذلك مما لابد منه فى معرفة مداخل الباطل الى القلوب ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والاخروية ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر الى جانب الخير. فان لم يحصلوا علم ذلك كله فوزر العامة عليهم ولا تنفعهم دعوى العجز فانهم ينفقون من أزمانهم فى القيل والقال ، والبحث في الألفاظ والاقوال ، ماكان يكفيهم ان يكونوا بحار علم ، وأعلام هدي ورشد ، فليطلبوا العلم من سبله التي قام عليها السلف الصالح والله كفيل ان يمدهم بعونته. اما وقد انقطعوا الى مايعجزهم عن القيام بأمره فلن يقبل الله لهم عذرا بل فليتربصوا حتى يأتي الله بأمره

لو قضى الزمان بأن يكون من وسائل التمكن من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واشغال الناس بالحق عن الباطل وبالطيب عن الخبيث أن يضرب الانسان فى الارض ، ويمسحها في الطول والعرض ، وأن يتعلم اللغات الاجنبية ليقف على مافيها ممالينفعه فيستعمله ، ومايخشى ضرره على قومه فيدفعه ، لوجب على أهل العلم ان يأخذوا من ذلك بما يستطيعون،

ولهم فى سلف الامة من القرن الاول الى نهاية القرن الرابع من الهجرة أحسن أسوة ، وأفضل قدوة ، وكل ما يهونون به على أنفسهم مما يخالف ذلك فانما هي وساوس الشيطان ، يشغلهم بها عن النظر فى معاني القرآن ، ويحرمهم من التعرض لرحمة الرحمن ،

بقيت مسألة كثر السؤال عنها، والإلحاح عليّ فى التعرض لها، كلما ذهبت الى مكان وجدت لها حاملا ، لا يلبث أن يتوجه اليّ سائلا ، وهي مسألة الاختيار والكسب، ونسبة الافعال الاختيارية الى العبد أو الى خالق العبد، ولا أنكر ان هذه المسألة كانت من أعظم المسائل خطرا على الاسلام والمسلمين ولكن كان فى مرور الزمان وتتابع الحوادث ما يهدي الناس الى وجه الحق فيها ويرشدهم الى ان يرجعوا الى كتاب ربهم وهدي نبيهم

نزوع النفوس الى الخوض في هذه المسألة ضرب من ضعف الصبر أو فقده . الوجدان يشهد والحس يشاهد أن الذي يرفع يده بالسيف ويضرب آخر فيقتله هو الذي ضربه ويقول الرائي والمخبر : إن فلانا قتل فلانا أو ضربه أو اعتدى عليه :فنسبة الافعال الى من صدرت عنه من العباد مما لا يحتاج الى بحث ولا نظر .ثم جاء القرآن يقول «بما كنتم تعملون» «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» وغير ذلك من الآيات حتى قال فى الآية التي يحتجون بها «وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» فلو سلم ان المراد مما تعملون العمل نفسه فقد نسب العمل اليهم وقامت أحكام الشريعة جميعا على هذا الاصل . ولو كان فعل العبد ليس له لبطل تكليفه به إذ لا يعقل ان يدعى شخص الى ما لا يقدر عليه، وان يكلف بما لا أثر لارادته فيه، ولو كان فعل القاتل ليس له لامتنع القصاص ولم تكن فيه لنا حياة . فالعقل والشرع

والحس والوجدان متضافرة على ان فعل العبد فعله . وكون جميع الاشياء راجعة الى الله تعالى ووجود الممكنات انما هو نسبتها اليه ولا يتصور اعتبارها موجودة الا اذا اعتبرت مستندة اليه - مما قام عليه الدليل بل كاد يصل الى البداهة كذلك . ومثل هذا يقال فى عظم قدرة الله تعالى وانه ان شاء سلبنا من القدرة والاختيار ماوهبنا فهو أمر نشاهده كل يوم ، ندبر شيئاً ثم يأتي من الموانع من تحقيقه مالم يكن فى الحسبان ، ونتناول عملا ثم تنقطع قدرتنا عن تتميمه ، كل ذلك لانزاع فيه ، شمول علم الله لما كان ولما يكون قام عليه الدليل ولا شبهة فيه عند المليين ، فوجب على المسلم ان يعتقد بأن الله خالق كل شيء على النحو الذي يعلمه وان يقر بنسبة عمله اليه كما هو بديهي عنده ، ويعمل بما أمره به ويجتنب مانهاه عنه باستعمال ذلك الاختيار الذي يجده من نفسه ، وليس عليه بعد ذلك ان يرفع بصره الى ماوراءه فقد نعى الله على المشركين قولهم « لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا من شيء » ووردت الاحاديث متواترة المعنى فى النهي عن الخوض فى القدر وسره

فلو صبر العبد حق الصبر لوقف عند ماحدّ الله له ولم ينزع بنفسه الى تعدي حدود الله التي ضربها لعباده . ولست أحب التكلم في هذه المسألة بأكثر من هذا والاخرجت من الصابرين، وخضت فى القدر مع الخائضين، ومن ثار به الهوس فتوهم ان علينا ان نعتقد ان العبد لافعل له فقد خالف كتاب الله ، وعصى رسول الله ، وقد أقول - واعتمادي على الله فيما أقول - : ان من يقول ذلك يخرج عن دين الله، ويعطل شرع الله، فليحذر مؤمن بالله ان يقول ذلك ، واسأل الله ان يرشدنا جميعاً الى ما فيه صلاح

أنفسنا وان يوفقنا للتواصي بالحق والتواصي بالصبر بفضله وكرمه

قد يمر بخاطر سائل ان يسأل : اذا كان هذا الذي ذكر في هذه السورة هو حكم طبيعة الانسان في كل فرد من أفراد المكلفين منه وان من لم يكن على هذه الصفات فهو خاسر ضربا من الخسران في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما وان من أخذ بالحظ الاوفر منها نجا من ذلك الخسران فما بالنا نرى من غير المؤمنين من يتمتع بالسعادة في هذه الدنيا أمما وأفرادا ، ونرى من المؤمنين من يغمره الشقاء أمما وآحادا ، وإذا شئت مثلا لذلك فانظر الى حال اليابانيين وهم وثنيون أو حال بعض الامم الاوربية التي لا يعتقد الكثير من أفرادها بالله ولا برسله وقارن بينهم وبين الأمم المؤمنة كالمسلمين مثلا :

فندفع عنه هذا الخاطر بأن ما يراه في بعض الامم من ظاهر السعادة ليس الا لمعان السراب حتى اذا جاءه وحقق أمره لم يجده شيئا . قال ماكس نوردو في كتابه المسمى (الاكاذيب العرفية لتمدننا) ما معناه : « ان الناس كانوا ولم يزالوا يطلبون الحق ولم يكونوا في زمان أبعد عنه منهم في هذا الزمان » ثم قال ما ترجمته « إنك لو طرقت أي باب تسأل : هل مرت السعادة بهذا البيت ؟ لاجابك مجيب : اذا شئت فاطرق بابا آخر فان السعادة لم تمر ببيتنا » وهو يقول ذلك بعد ان ذكر ما عليه حال الامم الاوربية جميعها ونسبته من السعادة والشقاء وبعد ان أجمل من وصف أحوالهم والمصائب التي تتوقع لهم والآلام الشاغلة لقلوبهم أجمعين ما يرحمهم لأجله المقصرون عنهم ، ويزهد الراغبين في مثل حالهم ، ويصدهم عن اقتفاء آثارهم ، ويبين سبب ذلك وانه بعدهم عن الحق ونزوع أنفسهم الى الباطل وفقدهم الصبر في طلب

المال وهرولتهم خلف داعي الشهوة لايعصون له أمراً، ولا يخالفون له إشارة، ومنشأ ذلك خلوّ نفوسهم من الركون الى الا له الواحد خالق الجميع ورازق الاحياء ومقدر الاسباب لمكاسبهم على حسب ما وهبهم من القوى والقدر. ولو اطلعت على ما أخذ اليابانيين من ذلك ومما تألم له نفوسهم من الاوهام الوثنية التي ما اتصلت بروح الا أفقدتها السكينة وأوجدتها الاضطراب صعب عليك ان تحكم بأنهم سعداء فاذا كان لهم شئ من السعادة فهو ببركة التواصي بالصبر أو عمل بعض الصالحات التي جعلها الله عمادا للسعادة في هذه الحياة الدنيا كالامانة والصدق وارتفاع الهمة والأخذ بالحق فيما يرفع الشأن ويكسب العزة.

أما حال المؤمنين ـ ان كانوا ـ فهو لايخالف الحكم الوارد فى الآيات الكريمة فانا لانعني ولا يعني عاقل بالسعادة وفرة المال ورفه العيش فى ظاهر الامر وان كانت النفوس قلقة ، والضمائر محترقة ، ولكن السعادة سكون النفوس وراحة الضمائر ، واطمئنان السرائر ، والرضى الحقيقي بما وصل الى اليد ، والسعي المقارب الى الرغيبة من سبلها المعروفة ، مع المعرفة بتلك السبل ، والاعتماد على الهادي اليها ، ولا أشك فى انك تجد هذه الطمأنينة عند المؤمن بالمعنى الذي قدمنا فى أي أرض وجد ، وفى أيّ أمة ولد ، وأما المثل الذي ضربته وهو جملة المسلمين فإني أقول لك ولا أخشى لوم لائم إن من كان مؤمنا وعمل الصالح وقام بفريضة التواصي بالحق والتواصي بالصبر فهو راض عن نفسه، راض عن ربه، سعيد وان كان بين الاشقياء ، حكيم وان وجد بين السفهاء ، لايعرف الشقاء الا بما ينعكس اليه من صوره فى نفوس غيره ، وأما البقية فان كانوا خاسرين فخسرانهم جاءهم من فقد

الاركان الاربعة . أما الايمان فلأنهم أخذوه أسماء واكتفوا به علما ورسما ، ورثوا عن الآباء والامهات ، صورا وعبارات ، وَمُثُلَ عبادات ، لايحوك بصدرهم شيء من معناها ، وأوفرهم حمية على التوحيد أملأهم من الاشراك تحت أسماء اخترعها ، وألقاب اختلقها ، كالوسيلة والواسطة ومايشبه ذلك مما لم ينزل به الله سلطانا وأما العمل الصالح فكيف يجتمع مع الحسد والعداوة والكبرياء والجهل والكسل ونحو ذلك مما تراه فى عامتهم ، والأغلب من خاصتهم ، وأما التواصي بالحق والتواصي بالصبر فلم يبق له أثر بينهم . يرون مايرون من المنكرات ، ويحسون بما يحسون من فاسد الاعتقاد ، وكل منهم ساكت عما يرى ويحس من الآخر كأنه لاصلة بينهما فى الدين ، وكأن لم يرد فى دينهم مايدعوهم الى التناصح ، ولو أن واحداً منهم نصح للآخر لقامت عليه قيامته ، وظنه محتقراً لمنزلته ، غامطا لحقه ، ولوجد من حذاقهم من يلومه ويقبح عمله ، وكيف لايخسر قوم هذا شأنهم ؟؟ فلو أنهم رجعوا الى دينهم ، وأقاموا فى أنفسهم هذه الاصول الاربعة لرأيتهم وقد وفاهم الله وعده فى قوله « وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» ولخرجوا من حكم الوعيد الذي انذرهم الله به من قبل فى قوله « وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ » . « إِنَّ اللهَ لاَيُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ » والله أعلم

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(٢٧) واحتجوا لقولهم فى استحباب مساوقة الامام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « انما جعل الامام ليؤتم به » قالوا والائتمام به يقتضي ان يفعل مثل فعله سواء ثم خالفوا الحديث فيما دل عليه فإن فيه « فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون . »

(٢٨) واحتجوا على ان الفاتحة لا تتعين في الصلاة بحديث المسيء في صلاته حيث قال له « اقرأ ماتيسر معك من القرآن » وخالفوه فيما دل عليه صريحا في قوله « ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا » وقوله «ارجع فصل فانك لم تصل» فقالوا من ترك الطمأنينة فقد صلى وليس الامر بها فرضا لازما مع ان الامر بها وبالقراءة سواء فى الحديث

(٢٩) واحتجوا على اسقاط جلسة الاستراحة بحديث أبي حميد حيث لم يذكرها فيه وخالفوه في نفس مادل عليه من رفع اليدين عند الركوع والرفع منه .

(٣٠) واحتجوا على اسقاط فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسلام في الصلاة بحديث ابن مسعود «فاذا قلت ذلك فقد تمت صلاتك» ثم خالفوه فى نفس مادل عليه فقالوا صلاته تامة قال ذلك أولم يقله .

(٣١) واحتجوا على جواز الكلام والامام على المنبر يوم الجمعة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم للداخل «أصليت يافلان قبل ان تجلس » قال لا قال «قم فاركع ركعتين» وخالفوه فى نفس مادل عليه فقالوا من دخل والامام يخطب جلس ولم يصل .

(٣٢) واحتجوا على كراهية رفع اليدين فى الصلاة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « مابالهم رافعي ايديهم كأنها أذناب خيل شمس » ثم خالفوه في نفس مادل عليه فان فيه « انما يكفي أحدكم ان يسلم على أخيه من عن يمينه وشماله السلام عليكم ورحمة الله » فقالوا لايحتاج الى ذلك ويكفيه غيره من كل مناف للصلاة

(٣٣) واحتجوا فى استخلاف الامام اذا أحدث بالخبر الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج وأبو بكر يصلي بالناس فتأخر أبو بكر وتقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلى بالناس ثم خالفوه فى نفس مادل عليه فقالوا من فعل مثل

ذلك بطلت صلاته وأبطلوا صلاة من فعل مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ومن حضر من الصحابة فاحتجوا بالحديث فيما لم يدل عليه وابطلوا العمل به في نفس مادل عليه .

(٣٤) واحتجوا لقولهم ان الامام اذا صلى جالسا لمرض صلى المأمومون خلفه قياماً بالخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خرج فوجد أبا بكر يصلي بالناس قائما فتقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجلس وصلى بالناس وتأخر أبو بكر ثم خالفوا الحديث فى نفس مادل عليه وقالوا ان تأخر الامام لغير حدث وتقدم الآخر بطلت صلاة الامامين وصلاة جميع المأمومين .

(٣٥) واحتجوا على بطلان صوم من أكل يظنه ليلا فبان نهاراً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ان بلالاً يؤذّن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذّن ابن أم مكتوم » ثم خالفوا الحديث في نفس مادل عليه فقالوا لايجوز الاذان للفجر بالليل لافى رمضان ولافى غيره ثم خالفوه من وجه آخر فإن في نفس الحديث « وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لايؤذن حتى يقال له اصبحت اصبحت » وعندهم من اكل فى ذلك الوقت بطل صومه

(٣٦) واحتجوا على المنع من استقبال القبلة واستدبارها بالغائط بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لاتستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها » وخالفوا الحديث نفسه وجوزوا استقبالها واستدبارها بالبول .

(٣٧) واحتجوا على شرط الصوم في الاعتكاف بالحديث الصحيح عن عمر انه نذر في الجاهلية ان يعتكف ليلة في المسجد الحرام فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يوفي بنذره وهم لايقولون بالحديث فان عندهم ان نذر الكافر لاينعقد ولا يلزم الوفاء به بعد الاسلام

(٣٨) واحتجوا على الرد بحديث تحوز المرأة ثلاث مواريث عتيقها ولقيطها وولدها التي لاعنت عليه ولم يقولوا بالحديث في حيازتها مال لقيطها وقد قال به عمر ابن الخطاب واسحاق بن راهويه وهو الصواب

(٣٩) واحتجوا في توريث ذوي الأرحام بالخبر الذي فيه « التمسوا له وارثا اوذا رحم » فلم يجدوا فقال « أعطوه الكبر (١) من خزاعة » فلم يقولوا به في ان من لاوارث

(١) الكبر القوم بضم فسكون اكبرهم وأقعدهم في النسب وأكبرهم

له يعطى ماله الكبر من قبيلته ،

(٤٠) واحتجوا فى منع القاتل ميراث المقتول بخبر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « لايرث قاتل ولايقتل مؤمن بكافر » فقالوا بأول الحديث دون آخره .

(٤١) واحتجوا على جواز التيمم فى الحضر مع وجود الماء للجنازة اذا خاف فوتها بحديث أبي جهيم بن الحرث في تيمم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرد السلام ثم خالفوه فيما دل عليه فى موضعين احدهما انه تيمم بوجهه وكفيه دون ذراعيه والثاني انهم لم يكرهوا رد السلام للمحدث ولم يستحبوا التيمم لرد السلام

(٤٢) واحتجوا في جواز الاقتصار في الاستنجاء على حجرين بحديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب لحاجته وقال له ائتني بأحجار فأتاه بحجرين وروثة فأخذ الحجرين والقى الروثة وقال « هذه ركس » ثم خالفوه فيما هو نص فيه فاجازوا الاستجمار بالروث واستدلوا به على مالايدل عليه من من الاكتفاء بحجرين .

(٤٣) واحتجوا على ان مس المرأة لا ينقض الوضوء بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاملا امامة بنت العاص بن الربيع اذا قام حملها واذا ركع أو سجد وضعها ثم قالوا من صلى كذا بطلت صلاته وصلاة من أتم به قال بعض أهل العلم ومن العجب ابطالهم هذه الصلاة وتصحيحهم الصلاة بقراءة مدهامتان بالفارسية ثم يركع قدر نفس ثم يرفع قدر حد السيف أو لايرفع بل يخر كما هو ساجدا ولا يضع على الارض يديه ولا رجليه وان أمكن ان لا يضع ركبتيه صح ذلك ولا جبهته بل يكفيه وضع رأس انفه كقدر نفس واحد ثم يجلس مقدار التشهد ثم يفعل فعلا ينافي الصلاة من فساء أو ضراط أو ضحك أو نحو ذلك .

(٤٤) واحتجوا على تحريم وطء المسبية والمملوكة قبل الاستبراء بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لاتوطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تستبرئ بحيضة » ثم خالفوا صريحه فقالوا ان اعتقها وزوجها وقد وطئها البارحة حل للزوج ان يطأها الليلة .

(٤٥) واحتجوا فى ثبوت الحضانة للخالة بخبر بنت حمزة وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بها لخالتها ثم خالفوه فقالوا لو تزوجت الخالة بغير محرم للبنت كابن عمها سقطت حضانتها .

(٤٦) واحتجوا على المنع من التفريق بين الأخوين بحديث علي فى نهيه عن

التفريق بينهما ثم خالفوه فقالوا لا يرد المبيع اذا وقع كذلك وفي الحديث الامر برده.

(٤٧) واحتجوا على جريان القصاص بين المسلم والذمي بخبر روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اقاد يهوديا من مسلم لطمه ثم خالفوه فقالوا لا قود في اللطمة والضربة لا بين مسلمين ولا بين مسلم وكافر.

(٤٨) واحتجوا على انه لا قصاص بين العبد وسيده بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «من لطم عبده فهو حر» ثم خالفوه فقالوا لا يعتق بذلك.

(٤٩) واحتجوا أيضا بالحديث الذي فيه «من مثل بعبده عتق عليه» فقالوا لم يوجب عليه القود ثم قالوا لا يعتق عليه.

(٥٠) واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب «في العين نصف الدية» ثم خالفوه في عدة مواضع منها قوله: وفي العين القائمة السادة لموضعها ثلث الدية: ومنها قوله: في السن السوداء ثلث الدية.

(٥١) واحتجوا على جواز تفضيل بعض الاولاد على بعض بحديث النعمان ابن بشير وفيه «أشهد على هذا غيري» ثم خالفوه صريحا فان في الحديث نفسه «ان هذا لا يصلح» وفي لفظ «أني لا أشهد على جور» فقالوا بل هذا يصلح وليس بجور ولكل احد ان يشهد عليه

(٥٢) واحتجوا على ان النجاسة تزول بغير الماء من المائعات بحديث «اذا وطأ أحدكم الاذى بنعليه فان التراب لهما طهور» ثم خالفوه فقالوا لو وطأ العذرة بخفيه لم يطهرهما التراب.

(٥٣) واحتجوا على جواز المسح على الجبيرة بحديث صاحب الشجة ثم خالفوه صريحا فقالوا لا يجمع بين الماء والتراب بل اما ان يقتصر على غسل الصحيح ان كان أكثر ولا يتيمم وأما ان يقتصر على التيمم ان كان الجرح أكثر ولا يغسل الصحيح.

(٥٤) واحتجوا على جواز تولية امراء أو حكام أو متولين مرتين واحدا بعد واحد بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أميركم زيد فان قتل فعبدالله بن رواحة فان قتل فجعفر» ثم خالفوا الحديث نفسه فقالوا لا يصح تعليق الولاية بالشرط ونحن نشهد بالله ان هذه الولاية أصح ولاية على وجه الارض وانها أصح من كل ولاياتهم من أولها الى آخرها

(٥٥) واحتجوا على تضمين المتلف ماأتلفه وبملك هو ماأتلفه بحديث القصعة التي كسرتها احدى أمهات المؤمنين فرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صاحب القصعة نظيرها ثم خالفوه جهاراً فقالوا انما يضمن بالدراهم والدنانير ولا يضمن بالمثل .

(٥٦) واحتجوا على ذلك أيضا بخبر الشاة التي ذبحت بغير اذن صاحبها وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يردها على صاحبها ثم خالفوه صريحا فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يملكها الذابح بل أمر باطعامها الاسارى .

(٥٧) واحتجوا في سقوط القطع بسرقة الفواكه وما يسرع اليه الفساد بخبر « لاقطع في ثمر ولو كثر » ثم خالفوا الحديث نفسه فى عدة مواضع احدها ان فيه «فاذا آواه الى الجرين ففيه القطع» وعندهم لاقطع فيه آواه الى الجرين أو لم يؤوه . الثاني انه قال «اذا بلغ ثمن المجن» وفي الصحيح ان ثمن المجن كان ثلاثة دراهم وعندهم لايقطع فى هذا القدر . الثالث انهم قالوا ليس الجرين حرزا فلو سرق منه تمرا يابسا ولم يكن هناك حافظ لم يقطع

باب التربية والتعليم

درس عام في التعليم الاسلامي

اوخطاب القاه الاستاذ الامام في تونس على ملأ عظيم من العلماء والفضلاء ولخصته جريدة الحاضرة التونسية الغراء ونحن ننقل عنها كما نقل المؤيد والثمرات مع شيء من التصحيح باذن الامام

ان بعض اخواننا الذين عرفناهم فى تونس قد طلبوا من الفقير مسامرة أو محاورة وربما كان ذلك اصطلاحا عندهم ثم قالوا درساً فسألني بعضهم عن ذلك فقلت نعم هو درس ولكن لاتظنوا انه درس فى تحقيق مسألة علمية فان عندكم من جلة العلماء من نعترف بفضلهم فمن أراد تحقيق مسألة علمية فليراجعهم أماهذا الفقير فرجل سائح قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر فى أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم ولذلك لما أجبت طلبهم فى اقراء الدرس ماقصدت اقراء درس حقيقي ولكن التكلم فيما يختلج بفكري من أمر التعليم والعلم والاعراب عما فى ضميري مما

أتمناه لاخواننا المسلمين من التقدم في العلم . وقد رأيت في بلاد الاسلام التي سحت فيها عدة أناس يشتغلون بالعلم ولكني وجدت عند الاغلب اشتباها في ماهو العلم الذي ينفق الوقت في تحصيله . هذا فيما يخص الامر المهم الذي أكرره لكم ولا زلت أكرره من أهمية التعليم حتى ينتج ذلك التكرار ما نتمناه من التقدم ما دام الناس في حاجة الى التكرار

ثم ان هناك مسألة مشتركة بيننا وبينكم عامة في سائر بلاد الاسلام وهي مسألة الرضاء بالموجود ولها تعلق أيضا بالتعليم . فاذا ذكرت نقصا أو عيباً في طريقة أو في حالة من الاحوال قيل لك ماذا نصنع ونحن أناس متوكلون على الله وهذا مراد الله من عباده ، وهو عذر المقصر عند تقصيره في بلاد الاسلام وعون على ما نراه من النقص في طرق تحصيل العلم . ولذلك أردت ضمه الى مبحث التعليم

(معنى العلم)

أما الكلام في معنى العلم فليس الغرض منه الخوض فيما اصطلح عليه علماء السلف الصالح أو غيرهم من المتكلمين أو الفلاسفة أو غيرهم حتى من الزنادقة . لان هذه ألفاظ اصطلاحية طالما شغلت أهل العلم بتغيرها والاخذ والرد في معانيها . مع ان واضعيها انما حددوا بها المعاني حتى تنضبط ويسهل تناولها والوصول اليها . ولكن يصح ان يقال فيناوفيهم انهم أرادوا خيراً فاستعملنا شراً . ولذلك أترك الالفاظ الاصطلاحية وأتكلم في معنى العلم من حيث هو معروف في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وعلى لسان العامة والخاصة

العلم جاء ذكره في قوله تعالى «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» الآية وهو استفهام انكاري معناه أنه لا يستوي عالم وجاهل . وقال تعالى «هل تستوي الظلمات والنور» أي ان الظلمة لا تساوي النور فبين لنا تعالى ان الظلمة مثال لحال من لا يعلم وان النور مثال لحال من يعلم . فتبين من ذلك ان عدم العلم يشبه الظلمة ونحن نعلم ما يكون من الانسان اذا اشتد به الظلام وهو سائر في طريق يقصد غاية معلومة فان الظلام يعمي عليه الطريق وربما سلك طريقاً يبعده عن مقصده . وقد يصادف مهواة فيسقط فيها فتدركه هلكته قبل الوصول الى غايته

وهذه حال الجاهل بوسائل أي غاية من الغايات التي يعرض للانسان قصدها في

حياته فكل من طلب غاية فى حياته بدون علم لايصل اليها . وحينئذ فيؤخذ من هذه الآية الكريمة ان الله تعالى بين لنا ان العلم للانسان كالنور لايمعني ان العلم سراج أو مصباح وانما ذلك مثل لحال من يعلم الطريق الموصلة له الى مطلبه والوسائل المؤدية اليه . فان حاله يشبه من يمشي وبين يديه نور يبين له السبيل ويكشف له مافيه من الموانع فيتجنبها أو يذللها حتى ينتهي الى غايته ظافرا بعافيته وسلامته . لان الآيات والاعلام المنصوبة لايراها المغمور بالظلام وانما يراها المبصر بالضياء والنور ولما كان العلم ضوءاً يهدي الى الخير فى الاعتقاد والعمل كان أول مانزل على النبي الامي الذي لايقرأ ولا يكتب قوله تعالى «اقرأ باسم ربك الذي خلق ٠ خلق الانسان من علق ٠» الآية . فافتتح الله الوحي بتعليم القراءة والقراءة تعلم . وجاء فى الحديث الشريف انه قال في أول مرة « ماأنا بقارئ » وما زال الملك به حتى قرأ الآيات .

ثم بعد أن أمر تعالى بالقراءة من لايقرأ عادة وبين له ان الذي يأمره بالقراءة هو الذي خلق الخلق كله وهو قادر على أن يقرئه بعد أن لم يكن قارئا وانه الذي خلق الانسان الحي الناطق المفصح عما في نفسه من علق أي دم متجمد لاعقل فيه ولا نطق فهو قادر على أن ينشئ فيه القراءة والعلم وان لم يسبق له تعلم بعد ان ذكر هذا قال « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ٠ علم الانسان مالم يعلم ٠ » فخص من العلم العلم بالقلم والكتابة تنويها بشأن التحرير والبيان وتنبيها على عظم فائدته وهو انما يكون بعلم اللسان والبراعة فيه . لانريد من العلم تصور القواعد وانما نريد منه ملكة الافصاح والبيان وكون المراد منه هذا أمر بديهي اذ لولا الكتابة لماوصلنا الى درجة من الدرجات التي نراها . فافتتاح الله تعالى الوحي بطلب العلم والثناء عليه سبحانه بانه هو الذي علمه ووهبه الانسان ارشاد الى فضل العلم وحث على تحصيله خصوصاً العلم بالقلم

فالعلم مايبصر الانسان فى الغاية التي يطلبها ويهديه الى الحق الذي هو معقد النجاة قال تعالى « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين » ولم يقل للجاهلين أو الغافلين . فاذا كان للعلم هذه المزية فلا يصح أن يكون العلم الممثل له بالنور الا علم ارشاد وتبيين . ثم جاء فى الاحاديث

والادعية المأثورة قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ماينفعني وزدني علما »(١) كان يقول اللهم اجعل علمي علما صحيحا ينطبق على مابينته فى كتابك ويروي انه قال « اذا أتى عليّ يوم لاأزداد فيه علما فلا بورك لي فى طلوع شمس ذلك اليوم »(٢) ثم اننا نجد فى الآثار وأقوال العلماء غير ذلك مايطول ذكره كما تجدون فيما يدور على ألسنه الناس عند ذكر العلم مايرشد الى أنهم لايفهمون من العلم الامعنى التبصر في أي أمر من الامور والاتيان به على الوجه الاكمل بقدر الاستطاعة. فتبين من ذلك اذا ان معنى العلم الحقيقي الذي أثنى الله عليه وميز به المهتدين من الضالين هو الكشف عن الامر الحقيقي بحيث اذا اراد ان يميلك عنه مميل لايقدر على ذلك كمن عرف طريقا موصلة الى غاية فلا يعدل عنها مهما حاول مضله . فلا يكون العلم حقيقيا ولاتنبعث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه. فاذا وجدنا من العلم مايوصلنا الى البصيرة بما نقصد من الغاية فى مدة قصيرة كيومين مثلا ورأينا ماسمي علما ولكنه انما يوصلنا فى مدة أطول كاربعة أيام مثلا كان لنا أن نعد الاول علما حقيقيا لانه أرشدنا الى أقرب طريق مؤدية الى الغاية وان نعد الثاني غير علم لانه عاقنا عنها وأوجد لنا العثار فيها فالعدول اليه سقوط في الضلة

وأولى بأن يسمي ضلة علم يقصد بتحصيله غاية ثم هو لايؤدي الى تلك الغاية بالمرة بعد انفاق الزمن الطويل في تحصيله . فتسميته علما من الخطأ الذي لايتفق مع ماجاء في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة واستعمال الخاصة والعامة . ولكن من الناس من يقول ان العلم يطلق باطلاقات ثلاثة ـ الادراك والقواعد والملكة. فتحصيل القواعد وان لم تحصل الملكة يسمى علما على الحقيقة فاشتغالنا بتحصيله اشتغال بتحصيل العلم . غير ان هذا القائل لم يراع ماذا قصد المسمي للقواعد علما فانه لم يضع لها هذا الاسم الا لانها توصل الى الغاية في رأيه . فاذا استعملت لغير الغاية فقدت معناها وعدت من الشواغل عن العلم المطلوب . فان شاء سمى هذه الشواغل جهلا لانها ضلت عن العلم وان شاء فليسمها علما كما يهوى لا كما يعرف الناس

(١) المنار: رواه الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة (٢) رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة وقد طعنوا فى سنده ولذلك قال الاستاذ (ويروي)

المدارس المصرية لاتربي رجالا مستقلين

﴿ رد على المقتطف ﴾

نقل المقتطف الاغر المقالة التي كتبناها في الجزء الثالث عشر تحت عنوان (شكوى الامهات . من تربية البنات) واستحسن محرره الفاضل ماكتبناه في التربية العقلية وكون العقل المستنير يقوى أخيرا ويكون من وراء قوته الاصلاح المطلوب . وأنكر قولنا « ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية لايقصد به الى اصلاح النفوس وارتقائها وجعل المصريين سعداء أعزاء »وقال ان هذا خطأ على مايعلم — وياليته قال : على مانظن : فانه يظن ظنا وماهو بمستيقن — وعلل علمه بقوله : «لان نظار المدارس ومعلميها يشغفون بالتعليم والتهذيب شغفا حتى يتفانوا في تعليم التلامذة وتهذيبهم كما يشغف كل عامل بعمله وهذا نعلمه بالخبر مدة تعلمنا في المدارس الاجنبية نحن ونساؤنا ومدة مشاركتنا لهم في التعليم . فالوصمة التي وصمهم بها جائرة جدا ولو اختبر اختبارنا لقال قولنا . ولا نقول ان ذلك يعم كل النظار وكل المدرسين ولكنه شامل لاكثرهم ، ولا شبهة عندنا ان أثر المدارس المصرية وطنية كانت أو أجنبية حسن جدا وأنه لم يظهر حتى الآن ظهورا باهراً لانها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد ولأن النجاح لايظهر جليا لمن يراقبه عن قرب ويرى تدرجه البطيء ولكن لو قابل حضرته حال هذه البلاد العلمية والادبية الآن بحالها منذ عشرين سنة لرأى بين الحالين بوناشاسعا ورآها الآن أرقى مما كانت كثيرا وسيزيد هذا الارتقاء في العشرين سنة التالية أضعاف مازاد في العشرين سنة الماضية » : هذه عبارة المقتطف بنصها

يقرأ القارىء في بعض الاحيان شيئا فيعلق بذهنه شيء مجمل منه فينكره غافلا عن التفصيل الذي لامذهب معه للانكار ثم يستدل على انكاره بما لادلالة فيه أوبما فيه الحجة عليه ويمثل هذا وقع صاحب المقتطف في تخطئة دعوى المنار على مانعهد فيه من التحري في النقد

لم يكن الكلام في مقالتنا تلك مبنيا على الطعن في معلمي المدارس المصرية ولافي نظارها فيرد علينا بدعوى تفانيهم في التعليم والتهذيب ، ولم يكن أكثر منا اختباراً لهؤلاء المعلمين والنظار فيصح له ان يقول ماقال، وليس قياسه المدرسة الكلية الامريكانية

التي تعلم فيها على المدارس المصرية قياسا صحيحا ، وليس البون الشاسع بين حال البلاد اليوم وحالها منذ عشرين سنة نتيجة حسن التربية والتعليم فى المدارس المصرية وكون الغرض منه تربية المصريين على الاستقلال والفضائل والترقي الصوري والمعنوي ، واننا نشرح هذه المسائل بعض الشرح فنقول :

تبين من امتحان الشهادة في هذا العام ان مدارس الحكومة أكثر من غيرها نجاحا ومثلها مدرسة خليل أغا ومدرسة أم عباس وأن المدارس الاجنبية أقل المدارس نجاحا ومعظم تقصيرها في اللغة العربية وعلومها لان مرسلي الامريكان والجزويت والفرير والانكليز لا يهمهم أمر هذه اللغة ولو استطاعوا محوها من بلادها لفعلوا وانما يهمهم نشر مذاهبهم الدينية ولغاتهم الاعجمية وليس فى هذا اصلاح لنفوس المصريين الذين دين اكثرهم الاسلام ولغة جميعهم العربية وانما تتم سعادة الامم بآدابها الدينية وروابطها اللغوية . وانما يعلمون اللغة العربية فى مدارسهم لاجل ان يصيدوا بها الناس ولو أبطلوها لبطلت مدارسهم . ثم ان هذه المدارس ليس فيها تعليم عال وما دون التعليم العالي لا يكوّن رجالا فاذا كان التعليم المطلوب ناقصا والتربية المطلوبة مفقودة من هذه المدارس فهل يغني عن سعادة المصريين شغف معامي هذه المدارس ونظارها وتفانيهم في نشر دينهم ولغاتهم المقصود بهما افساد دين المصريين ولغتهم ؟؟ أما المدرسة الكلية الامريكانية فى بيروت فقد كان التعليم والتربية فيها أفضل مايعدّ النصارى للسعادة ولا يقصر عن افادة المسلمين الذين ليس لهم مدارس عالية في تلك البلاد . وقد كان تعليم العلوم في هذه المدرسة على عهد منشئي المقتطف باللغة العربية ثم تحوّل الآن الى اللغة الانكليزية فقلت فائدتها لابناء اللسان العربي ومع هذا لانزال نقول انها أمثل المدارس في مصر والشام وقد كتبنا في الجزء الماضي نبذة مخصوصة في تفضيلها وما أعوزنا ذلك لخبر كخبر محرر المقتطف الذي تعلم وعلم فيها وهو عندنا في علمه وأدبه من آيات تفضيلها

أما مدارس الحكومة التي هي أحسن المدارس في مصر فقد صرح المحتلون — الذي يديرونها كما يشاءون لا كما يشاء النظار والمدرسون الذين يقيمونهم فيها — بأن الغرض منها إيجاد نفر يخدمون الحكومة ولا يخفى على ذي بصر أن من يعلم إنسانا

ليخدمه إنما يعامه مايعينه على تسخيره فى خدمته ، وتصريفه بمقتضى ارادته . لاليكون مستقلا في نفسه ، متفانيا في حب أمته وجنسه ، وهب ان المحتلين لا غرض لهم من البلاد المصرية الا ترقيتها واعانتها على كمال الاستقلال لتستغني عنهم وعن غيرهم فهل يقول عاقل ان من المصلحة ان يكون التعليم خاصا باعداد المتعلمين لخدمة الحكومه فقط ؟ ؟

تعميم التعليم واجب فلو كانت فائدة التعليم هي خدمة الحكومة كما ترضى لوجب ان نعد أفراد الامة كلهم لان يكونوا مستخدمين فى الحكومة واذا كان جميع الافراد حكاما فمن يكون المحكوم ؟ الوظائف الكبيرة تنزع من الوطنيين بأيدي المحتلين وما قضت السياسة بابقائه لهم فانما بقاؤه صورة بدون معنى ولقب بدون عمل فنظار الحكومة المصرية لايبرمون ولا ينقضون ولا يحلون ولا يعقدون الا مايوحيه اليهم المستشارون من الانكليز فصار المتعلم المصري يائسا من الاستقلال في أي عمل يعمله للحكومة وانما يكون التعليم لسعادة الامة وعزتها اذا كان الغرض منه الاستقلال الشخصي والاستقلال القومي وماأظن ان المنتقد الفاضل يقول ان المحتلين يقصدون بالتعليم الى الانعام على المصريين بهذا الاستقلال الذي حصرنا فيه السعادة والعزة القومية ولا ينكر علينا عاقل حصرنا هذا . نعم انهم قاموا ببعض الاصلاح ولكن الاجانب يصلحون فيما يستعمرون الاشياء لا الاشخاص

طلب مجلس الشورى فى السنة الماضية أن تعرض عليه قوانين التعليم في مدارس الحكومة ونظام التعليم فيها فكبر ذلك على نظارة المعارف وكابرت في إجابة الطلب مكابرة بعيدة ودافع ناظر المعارف بما أوحي اليه من أهل الحل والعقد مدافعة الابطال وقد رددنا دفاعه وبينا تهافته فى مقالات نشرناها فى المجلد الخامس انتقدنا فيها قانون التعليم وسيره وبينا تقصير النظارة بما لا ينفع معه عذر معتذر . ولو كان تعليم نظارة المعارف على الوجه الذي فيه سعادة الامة وعزتها لما كبر عليها ان يطلع مجلس الامة على قوانينها الداخلية ولا صغت الى شكوى الامة من المعارف بلسان مجلسها ولسان جرائدها

لايوجد فى مصر قارئ ولا كاتب ولا محب لسماع الجرائد والوقوف على الاخبار والحوادث الا وهو يعلم ان التعليم في مدارس الحكومة بيد المستر (دنلوب) القسيس الانكليزي ولم تبق جريدة وطنية معتبرة فى مصر الا وقد ملأت جو هذا القطر صياحا

في الشكوى من سيرة هذا الرجل وانتقاد أعماله في المعارف والمقطم شقيق المقتطف لم يرد فيما نعلم هذه الشكاوي التي ترددها جرائد المسلمين والقبط والسوريين والافرنج مع أنه أذنيء لتأييد سياسة المحتلين ذلك لعلمه بأنها في تفصيلها أو جملتها حق لاوجه لردها . واذا كان المنتقد الفاضل يعرف من نظار المدارس الاميرية ومعلميها أكثر مما نعرف كما تفيد عبارته فهو لاشك يعرف أكثر مما نعرف من تبرمهم وشكواهم وشدة انتقادهم وتبرمهم من سير النظارة ومن عيوبها وأعني النظار المصريين وأخص بالذكر منهم معلمي العربية لغة البلاد الرسمية . وكل موظف في المعارف يعرف كيف يعاقب الناظر أو المعلم الذي يثبت لدنلوب انه انتقد واعترض على شيء من سير النظارة السري أو الجهري وهم يعلمون أن هذا الرجل هو المضطلع وحده بهذه النظارة لابكفاءته ولكن بقوة دولته ثم هم يائسون من قصده الى الاصلاح الحقيقي الذي يربي الامة تربية حقيقية فهم يسكتون واجمين، ويهمسون بالشكوى مستخفين، ولئن سئلوا جهراً ليقولن إنا نحن راضون، وهم عندأنفسهم وعند أكثر الناس معذورون، وقد عيل صبر طائفة من خيارهم فاستقالوا وهم مختارون،

ان الاعمال الكبيرة لايظهر أثرها في الامم الا بعد الزمن الطويل ولكن أعمال (دنلوب) قد ظهر أثرها في نظارة المعارف في زمن أقرب مما كان ينتظر — ظهر أثرها في سقوط مدرستين عاليتين من مدارس الحكومة وهما مدرسة (المهندسخانة) ومدرسة المعلمين التوفيقية وما أحوج البلاد الى المدرستين وهذه نظارة المعارف في أشد الحاجة الى معلمين ولم تغن عنها الاوشاب الذين يجيء بهم دنلوب من بلاده في كل سنة — هذا بعد ماألغى التعليم المجاني وأدخل في التعليم الابتدائي اللغة الاجنبية خلافا لجميع الامم التي حتمت جعله باللغة الاهلية ولا تسل عن اندراس رسوم الدين في المدارس ومافي ذلك من افساد الآداب وتدنيس الارواح حتى انك ترى بيوت الفسق في الازبكية عامرة بالتلامذة وقلما ترى احدا منهم في بيوت الله تعالى. هذا حال مدارس الحكومة فمابالك بما دونها؟

يقول المقتطف الاغر ان البلاد ارتقت في العشرين سنة الاخيرة بالتعليم حتى فاقت هذه السنين ماقبلها بالرقي فوقا ظاهرا . ونحن نقول ان هذه البلاد تشتغل منذ مئة سنة بالتعليم والمدنية فان كان هنا تقدم ظاهر في شيء من الاشياء فهو نتيجة هذا السعي الطويل في مدة قرن كامل ولا نكر ان لهذه السنين الاخيرة فضلا في

الحرية والعمران واصلاح الحكومة وأن هذا من حسنات المحتلين ولكننا مع هذا لا نرى فيمن تعلم في هذه السنين الاخيرة رجالا مستقلين نفتخر بعلومهم او بأعمالهم ونستبشر بخدمتهم الامة والبلاد بل نرى خير رجال مصر علما وعملا نفرا تربوا وتعلموا قبل أن يحكم دنلوب في مدارس الحكومة

ثم إننا نرى سيرة أكثر المتعلمين ملطخة بفساد الاخلاق والاخلاد الى الشهوات، والمجاهرة بالمنكرات، والاستهانة بما ينسب الى أمتهم من الاخلاق والعادات، ولا حجة لهم في هذا الا أنه مخالف لعادات المترفين من الاوربيين، فهم بذلك يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الطامعين، وقد قامت أوربا وقعدت لاقناع انكلترا باستبدال المتر الفرنسي باليرد الانكليزي لانه خير منه ولتتوحد المقاييس في أوربا فأبت هذه الدولة التي تعتقد ان عزها وسلطانها بالمحافظة على تقاليد سلفها وعاداتهم أن تغير مقياسها محتجة بأن الامة التي يسهل عليها الخروج من العادات القومية الى عادات الاجانب لا يثبت لها استقلال، ولا يستقيم لها حال، فأين متعلمونا الذين يسارعون في تقليد سفهاء الافرنج في الشهوات، من محافظتهم على هذه الروابط المقومات، ؟؟

محرر المقتطف الاغر يعتقد اعتقادنا في نقص التعليم في مصر وكونه غير مؤد الى الغاية منه ولعله نسي اعتقاده عند تخطئتنا. ولا حاجة للاستشهاد على ذلك بأكثر من جواب سؤال له في هذا الجزء الذي انتقدنا فيه نذكره مع السؤال بنصه وهو :

(س) «كثر بيننا عدد المتخرجين من المدارس العالية ولم نسمع ان واحداً منهم قام بامتحان القضايا العلمية وانتاج النتائج والاستدلالات التي يقف عليها علماً وعملاً فهل ذلك يعزى لنقص في التعليم أو اهمال من المتخرجين

(ج) يعزى الى الاثنين والى ان الاساتذة انفسهم ليسوا من أهل الاشتغال بالعلم ولو كانوا من أهل الاشتغال به لاقتدى بهم بعض تلامذتهم كما هي الحال في أوربا وأميركا وفي بلاد اليابان أيضاً» اه

وجملة القول اننا ما أنكرنا فائدة التعليم الحاضر بالمرة وانما قلنا ولا نزال نقول بأنه ناقص وغير مقصود به الى سعادة الامة وعزتها وليس معه تربية للاخلاق والفضائل ولا نطلب إبطاله وانما نطلب تعليما كاملا تصحبه تربية صحيحة وان يكونا موجهين الى الاستقلال، وطلب الكمال،

﴿شذرة باب الآثار الادبية﴾

لما قدم الاستاذ الامام من سياحته فى هذا العام، هنأه بالقصائد الطنانة جماهير العلماء والادباء في الازهر وغيره ونذكر هذه الابيات للشاب الذى زاحم فى بدايته أهل النهاية تنشيطا له على العناية بالأدب وهو الشيخ مصطفى نجل حسن بك عبد الرازق قال :

أقبل عليك تحيـة وسـلام ... ياساهرا والمسلمون نيام
تطوى البلاد وحيث جئت لامة ... نشرت لفضلك بينهم اعلام
كالبـدر أنّى سار يشرق نوره ... والحق أنّى حل فهو امام
إن يقدروا في الغرب علمك قدره ... فلمصر اولى منهم والشام
فيك الرجاء لامة لعبت بهـا ... يلهي الصغار وجدت الايام
لازلت غيظاً للضـلال وأهله ... والله يرضى عنـك والاسلام

﴿ مسيح الهند ﴾

عثرت فى مسـيرها الايام ... أم هو الدهر هكذا والانام
أهله بين ذي هدًى وضلال ... ولياليـه ذوسـنا وظلام
وأرانا بمدة العمر نشـقى ... وعدو المسوّمات اللجام
ليس كل الذين تبصر ناساً ... ان بعضاً من الطيور الحمام
ولكل الورى رؤوس فان لم ... يكن العقل كانت الاوهام
ايه (ياهند) عن مسيحك مازا ... ت وزالت بيتك الاصنام
كان فى جسمك الوباء فقد دبّ ... الى العقل بعد ذاك السقام
ضـلة للفتى ومن تبعوه ... أشرق الصبح والقبور نيام
مسحته الجِنّان أم مسخته ... وتولاه جُلجُل أم عزام (١)
وأتته الاقوام تترى ولا غر ... و على الجرح للذباب ازدحام
واذا كان فى الرؤوس ضلال ... وقفت عندقصدها الاقدام
نسخ السـيف ذلة وربا ... وجدير بناسخيه الحسام
أيهذا المسيح ان الليـالي ... في بنيهـا من الزمان سهام

(١) جلجل وعزام اسمان من أسماء الشياطين والنكتة ظاهره

وأرى الدهر كالوغى وقديما كان بين الانام هذا الخصام
فارفع الارض فوق قرنيك وأمر يملأ الارض بعد ذاك السلام
أو فصعد للسماء ان الشياطين عليهم باب السماء حرام
وتحد الورى بسخفك أوسجعك ان الكرى له أحلام
لو سألت الحمار حين تراه في نهيق لقال ذي أحكام

مصطفى صادق الرافعي

باب الأخبار والآراء

نصيحة الاستاذ الامام

(لاهل الجزائر وتونس)

من يعرف الاستاذ الامام يعرف ان كل حديثه في جميع أوقاته نصح وتعليم فمجالسه ومسايره يستفيد علما وحكمة فى كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ولذلك نعتقد ان الذين عرفوه واجتمعوا به في رحلته الاخيرة الى الجزائر وتونس قد سمعوا منه نصائح لاتحصى ولكن النصيحة العامة الشاملة التي كان يشافه بها أهل العلم والدراية في القطرين هي

(١) الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقها القريبة التي أرشد اليها في الخطاب الذي ألقاه في تونس. و (٢) الجد في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة. و (٣) مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة. وبهذا الاخير يتم لهم كل مايريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم على ماقبله فان الحكومات في جميع الارض يضيقون على البلاد التي يستعمرونها ماداموا يعتقدون ان أهلها ساخطين عليهم أو لهم ضلع مع حكومة أخرى. وهذا الاعراض عن السياسة لاينافي مخاطبة الحكومة فيما يرونه ضاراً بهم من القوانين والمعاملات فاذا لم تكشف ظلامتهم بعد الالتجاء اليها في كشفها كانوا معذورين اذا سخطوا وتربصوا بها الدوائر

والمشهور عند العارفين بالسياسة العامة ان فرنسا تبحث دائما عن طريقة يطمئن بها أهل الجزائر لحكومتهم وتطمئن هي لرضاهم عنها ولاشك ان هي الطريقة تنفع الحاكم والمحكوم وعدم السير فيها يضر بالمحكوم أكثر مما يضر بالحاكم. ونحن نعتقد أن الطريقة الوحيده هي حسن المعاملة من فرنسا واعراض الجزائريين والتونسيين عن السياسة الى

العلم الذي ينير العقول، والعمل الذي يشغل عن الفضول، وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الاستاذ الامام انس من الحكومة الفرنسية هناك الميل الى هذه المعاملة وأنس من اهالي الجزائر الرجاء الحسن بحاكمهم الجديد (موسيو جونار) وقد ذكرنا في جزء سابق ان الموسيو (روا) يميل في تونس الى هذا المذهب حقق الله الرجاء وأصلح الاحوال بمنه وكرمه

﴿ الخطر في مراكش ﴾

استفحل أمر الخارج على الحكومة المراكشية وكانت الحرب بينه وبينها سجالا الا ان الظفر في جانبها أكثر وقد تبين ان الخارج أو القائم من بيت الملك وهو (مولاي محمد) وان اسم (أبو حمارة) كان لقبا مستعاراً. وقد توالى انتصار القائم أخيرا ويظن أملوا أنه هاجم السلطان مرة واحدة لرجي ان يظفر ويقضي الامر. ولا ريب ان كل حال تنتقل اليها تلك البلاد هي خير من حالها الحاضرة في الفتنة وقبل الفتنة بثلاث سنة ونيف فاذا ظفر مولاي محمد فلا بد أن تجدد للبلاد حكومة فيها شيء من القوة والنظام وينتظر ان تكون أمثل من حكومة عبد العزيز على كل حال فان هذا مفتون بالزينة والترف فقد كانت البلاد في النزاع او النزع والدول الاوربية في التنازع عليها وهو على إملاق حكومته يرسل ذلك الشاب التونسي الذي تقرب منه بما يعلمه الخبيرون ليشتري له من أوربا ما تصبو اليه نفسه من الات الزينة وأدواتها وماعونها وأثاثها ويشتري له من الاستانة الولدان والجواري الناعمات الحسان ليتمتع كما يتمتع غيره ممن كان ولا يزال على شاكلته

فهذا السلطان يزخرف مدنية أوربا سوياته فتن بقوتها ونظامها فسلك سبيل أبناء الوارثين المصريين في شراء المركبات الكهربائية ونحوها فجر عليه ذلك ما وقعت فيه بلاده من الويل والثبور. ولقد كنا نصحنا لحكومته منذ ست سنين كما نصح غيرنا من الكاتبين بأن تعتني قبل كل شيء بتأليف قوة عسكرية منتظمة وبنشر المعارف وان تستعين على هذا بأختها الدولة العثمانية. والمنار يرسل من أول نشأته الى وزير خارجية المغرب الاقصى وغيره من كبراء البلاد ولكن من يقرأ ومن يسمع لنا ولامثالنا والمغرور بقوته ـ وان وهمية ـ يرى انه مستغن عن جميع العالمين «ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» وكيف ترضى تلك الحكومة الجاهلة ان تستعين بدولة اسلامية أرقى منها وحكام المسلمين قد مزقوا الاسلام وأهله كل ممزق لاجل شهواتهم التي أعظمها عندهم لقب «خليفة وأمير المؤمنين» فلو ذهبت دول الاسلام والاسلام نفسه فداء هذه الالقاب لما كان ذلك الا قرة عين للمغرورين بها

كتب بعض الكاتبين مقالات في جريدة (الحاضرة) التونسية يصفون فيها أمراض تلك البلاد الراجعة الى الجهل والتمسك بخرافات الخوارق وضعف الحكومة ورأى كاتب جزائري ان تسلم تلك البلاد الى دولة أوربية لتصلحها كما أصلحت بلاده (الجزائر) ورد عليه كاتب تونسي بأن هذا انتحار لاعلاج وان الدواء الحقيقي فى التعليم والنظام والقوة وانه لايتم هذا لتلك الحكومة إلا بالاستعانة بدولة أوربية وقال ان فرنسا أحق من غيرها لقربها وجوارها . ونحن نقول انه ليس من مصلحة دولة من أوربا ان تستولي الآن على مراكش استيلاء تاما بمعنى ان تضمها الى أملاكها لان المسلمين في كل بقعة وجيل أشجع الناس وأعصاهم على الخضوع للأجنبين ولاطريق الى اذلالهم وتذليلهم إلا حكامهم وامراؤهم فهم الذين يتيسر لهم ان يفسدوا بأسهم بالظلم المقبول منهم على الرأس والعين ويبذر بذور الترف والسرف والفسق الذي يدمر البلاد، ويهلك العباد، وهذا ثابت بالاختبار والاخبار ، وقد أوردنا فى المجلد الرابع ماورد فيه من الاحاديث والآثار، أما اذا استعان سلطان مراكش على تمدين بلاده بدولة أوربية قبل الاخذ بالقوة كما كان يحاول عبد العزيز فيمكن بذلك ان يستولي الاجانب على تلك البلاد باسم حكومتها ولكن تلك البلاد لاتزال بدوية لم يذلها الضعف كما ذل البلاد المصرية لمحمد علي باشا بسطوة المماليك وظلمهم فتمكن هو وذريته من الاستعانة بالدول الاوربية على تمدينها هذا التمدين التي كان وسيلة لاحتلالهم فيها وتمكنهم منها. ولهذا لا نظن ان دولة اوربية تمد يدها الى مراكش بدون واسطة حكام منها، انه لم يوجد في هذه القرون التي طغى فيها طوفان أوربا على الشرق حاكم مسلم سلك سبيل الرشاد فى سياسة بلاده فحفظها وجعل لها شأنا عليا الا عبد الرحمن أمير الافغان الماضي (تغمده الله برحمته) فانه سلك الطريقة المثلى التي تعلمها ممن سلكها قبله وهي دولة الروس التي ربي في بلادها. تلك هي طريقة القوة العسكرية المنتظمة ومنع الاجانب من دخول البلاد الا باذن خاص الى أجل معلوم ثم السعي في نشر التعليم وكان يسهل على مراكش ان تحذو حذوه كما يسهل الآن على دولة الفرس (إيران) لاسيما اذا اتفقت معه. وبلاد مراكش أقرب شبها ببلاد الافغان فان الامتين بدويتين شديدتي البأس لايعوزهما الا العلم والنظام. على ان دخول الاوربيين فى البلاد بأي صفة دخلوا أقرب الى النظام والعمران وخير من الخلل والفوضى في الحكومة الاهلية الاستبدادية الجاهلية ولابد أن يتعلم الاهالي منهم بالتدريج فنون العمران كما نري فى مصر. وكان الافضل ان يصلحوا أنفسهم بأنفسهم ولكن حكامهم لايمكنونهم ولا يصلحونهم ولابد من عمران الارض فان لم يعمرها أهلها عمرها الآخرون. «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون» ،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿مصر — الجمعة ١٦ شعبان سنة ١٣٢١ — ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣﴾

﴿ القسم الديني ﴾

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر ﴾

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَوةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *

في قوله تعالى « ود كثير » الآية - تنبيه على ما يضمره بعض أهل الكتاب وما تكنه صدورهم للمسلمين من الحسد على نعمة الاسلام التي عرفوا انها الحق وان وراءها السعادة في الدارين ولكنهم شق عليهم ان يتبعوهم فتمنوا ان يحرموا من هذه النعمة ويرجعوا كفارا كما كانوا وذلك شأن الحاسد يتمنى ان يسلب محسوده النعمة ولو لم تكن ضارة به فكيف اذا كان يعلم ان

تلك النعمة اذا تمت وثبتت يكون من أثرها سيادة المحسود عليه وإدخاله تحت سلطانه كما كان يتوقع علماء يهود فى عصر التنزيل . وقد جاء هذا التنبيه تتمة لقوله تعالى قبل آيات « مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم » وقد سبقت آيات فى بيان محاولة أهل الكتاب وتحيلهم على تشكيك المسلمين فى دينهم كقول بعضهم لبعض بأن يؤمنوا أول النهار ويكفروا آخره لعل ضعفاء الايمان يرجعون اقتداء بهم . وفى الآية ومابعدها اشارة الى ان لذلك بعض الأثر في نفوس بعض المسلمين وفائدة هذا التنبيه أو التنبيهات ان يعلم المسلمون أن مايبدو من أهل الكتاب أحياناً من إلقاء الشبه على الاسلام وتشكيك المسلمين فيه انما هو مكر السوء يبعث عليه الحسد لا النصح الذي يبعث عليه الاعتقاد . وقال « حسدا من عند أنفسهم » ليبين ان حسدهم لم يكن عن شبهة دينية أو غيرة على حق يعتقدونه وانما هو خبث النفوس وفساد الاخلاق والجمود على الباطل وان ظهر لصاحبه الحق ولذلك قفاه بقوله « من بعد ما تبين لهم الحق » أي بالآيات التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام وبانطباق مايحفظون من بشارات كتبهم بنبي آخر الزمان عليه

ثم أمر الله تعالى المؤمنين بأن يقابلوا هذا الحسد وماينبعث عنه بما يليق بهم من محاسن الاخلاق فقال « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره » ولم يقل فاعفوا واصفحوا عنهم لإرادة العموم أي عاملوا جميع الناس بالصفح والعفو فان هذا هو اللائق بشأن المؤمنين المتقين « الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » (قال الاستاذ الامام) وفى أمره تعالى لهم بالعفو والصفح إشارة الى ان المؤمنين على قلتهم هم أصحاب

القدرة والشوكة لان الصفح انما يطلب من القادر على خلافه . كأنه يقول لا يغرنكم أيها المؤمنون كثرة أهل الكتاب مع باطلهم فانكم على قلتكم أقوى منهم بما انتم عليه من الحق فعاملوهم معاملة القويّ العادل للغويّ الجاهل (قال) وفى إنزال المؤمنين على ضعفهم منزل الاقوياء ، ووضع أهل الكتاب على كثرتهم موضع الضعفاء ، إيذان بان أهل الحق هم المؤيدون بالعناية الالهية وان العزة لهم ماثبتوا على حقهم ومهما تصارع الحق والباطل فان الحق هو الذي يصرع الباطل كما قلنا غير مرة وإنما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه . ثم قال تعالى « حتى يأتي الله بأمره » فوعدهم بأن سيمدهم بمعونته ، ويؤيدهم بنصره ، ثم أحالهم بقوله « ان الله على كل شيء قدير » على قدرته النافذة التي لا يشذ عنها شيء فى العالمين تأييداً للوعد وكشفاً لشبهة من عساه يقول : أنى لهذه الشرذمة القليلة العدد ، الضعيفة القوى ، ان تنتحل لنفسها وصف الملوك العالين ، وتقف مع الأمم القوية موقف العافين قادرين ، : فجاء الجواب يقول لمثل هذا المشتبه : ان الذي أوقفها هذا الموقف ، ومنحها هذا الوصف ، هو القادر على ان يهبها من القوة ماتتضاءل دونه جميع القوى وهو مايؤيد به سبحانه من يقوم بالحق ويثبت عليه « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز »

ثم بعد الوعد بالنصر والارشاد الى الاعتماد فيه على القدرة دلهم على بعض وسائل تحققه وهي الصلاة التي توثق عروة الايمان وتعلي الهمة وترفع النفس بمناجاة الله العلي الكبير وتؤلف بين القلوب بالاجتماع لها والتعارف في مساجدها ، والزكاة التي تصل بين الاغنياء والفقراء فتتكون باتصالهم وحدة الأمة حتى تكون كجسم واحد فقال : « وأقيموا الصلٰوة

وآتوا الزكوة » ولم تذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فى موضع من الكتاب الحكيم الا والمقام يقتضي الذكر لبيان فائدة خاصة لهذا الأمر لايمكن أن تستفاد من ذكرهما فى موضع آخر. وقد تقدم ان إقامة الصلاة ليست عبارة عن أدائها مطلقاً وإنما هي عبارة عن القيام بحقوقها الروحية في صورتها العملية وذلك بالتوجه الى الله تعالى ومناجاته والانقطاع عما عداه واشعار القلب عظمته وكبرياءه فبهذا الشعور ينمو الايمان وتقوى الثقة بالله وتتنزه النفس ان تأتي الفواحش والمنكرات، وتستنير البصيرة فتكون أقوى نفاذاً فى الحق وأشد بعداً عن الاهواء ، فنفوس المصلين جديرة بالنصر لما تعطيها الصلاة من القوة المعنوية ومن الثقة بقدرة الله تعالى فاذا كان قوله تعالى بعد الوعد بالنصر « ان الله على كل شيء قدير » دليلا أيد به الوعد فقوله « وأقيموا الصلاة » هداية الى طريق الاقتناع التام بهذا الدليل حتى يكون وجداناً للنفس لاتزلزله الشبهات ، ولا تؤثر فيه المشاغبات والمجادلات ،

وقد مضت سنة القرآن بقرن الزكاة بالصلاة لان الصلاة لإصلاح نفوس الأفراد ، والزكاة لاصلاح شئون الاجتماع ، ثم ان فيها من معنى العبادة مافى الصلاة فان المال - كما يقولون - شقيق الروح فمن جاد به ابتغاء مرضاة الله تعالى كان بذله مزيدا في إيمانه فهي إصلاح روحي أيضا.

وبعد ان أمر بالصلاة والزكاة في سياق كشف شبهة من يشتبه من ضعفاء الايمان فى نصر الله المؤمنين، وجعل السلطان لهم على الكافرين، وبيان ان اقامة هذين الركنين من وسائل النصر والسلطان فى الدنيا بيّن لهم أنهما من أسباب السعادة فى الآخرة فقال « وماتقدموا لأنفسكم

من خير تجدوه عند الله » ولكن البيان جاء فى صورة عامة وهذا من الاساليب التي لا نكاد نجد لها فى غير القرآن نظيرا - ينتقل من بيان حكم الى آخر فيكون الثاني قائما بنفسه وشاملا للأول بعمومه وتكون صلة العموم والخصوص هي الرابط فى النظم. وقوله تعالى «تجدوه» هو كقوله « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » وقالوا ان المراد انه يرى ويجد جزاءه ولكن لما كان الجزاء مبنيا على أثر العمل فى نفس العامل وارتقائها به كان الجزاء بمثابة العمل نفسه . ووصل الوعد بالجزاء على العمل بما يبعث المؤمن على الاحسان فيه ويدل على تحققه فقال «ان الله بما تعملون بصير» فلا يخفى عليه منه شيء فتخافوا ان ينقصكم من أجوركم شيئا (٦٥)

﴿ الاستاذ الامام ﴾ : هذه الآيات هي آخر ما أدب الله تعالى به المؤمنين فى هذا المقام على ما يخامر البعض منهم وما يعن له من الشبه فى مستقبل الاسلام وتأييده تعالى لنبيه وإعزازه لحزبه وكان أولها قوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا » : وكأن منشأ تلك الخواطر هو ما يرونه فى التنزيل المرة بعد المرة وما يشاهدونه من عمل النبي عليه الصلاة والسلام من الجزم بأن الاسباب مقرونة بمسبباتها وان حوادث الكون جارية على سنن مطردة وما كان هذا الفريق من المؤمنين يعلم قبل إعلام الله تعالى اياهم بأن الايمان الصحيح الذي يتوكل صاحبه بعد اتخاذ الاسباب والوسائل على القدرة الالهية والعناية الغيبية ، وعمل الصالحات الذي يصلح النفوس ويؤلف مع الاعتقاد بين القلوب ، هما أكبر أسباب القوة ، واقرب وسائل السيادة والسعادة ، وقد جاء هذا الارشاد والتأديب فى سياق الكلام على اهل الكتاب لان مكرهم السيء

كان مثارا لبعض الخواطر فى المسلمين فالكلام تأديب للؤمنين ورد على اليهود . ثم انتقل الى الكلام على أهـل الكتاب عامة وما يلام عليه الفريقان منهم - اليهود والنصارى فقال

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(٥٨) واحتجوا فى مسئله الآبق يأتي به الرجل ان له أربعين درهما بخبر فيه « ان من جاء بآبق من خارج الحرم فله عشرة دراهم أو دينار » وخالفوه جهرة فأوجبوا أربعين .

(٥٩) واحتجوا على خيار الشفعة على الفور بحديث ابن البيلماني « الشفعة كحل العقال ولا شفعة لصغير ولا لغائب ومن مثل به فهو حر » فخالفوا جميع ذلك الا قوله: الشفعة كحل العقال

(٦٠) واحتجوا على امتناع القود بين الاب والابن والسيد والعبد بحديث « لايقاد والد بولده ولا سيد بعبده » وخالفوا الحديث نفسه فان تمامه « من مثل بعبده فهو حر » .

(٦١) واحتجوا على ان الولد يلحق بصاحب الفراش دون الزاني بحديث ابن وليدة زمعة وفيه « الولد للفراش » ثم خالفوا الحديث نفسه صريحا فقالوا الامة لاتكون فراشا وانما كان هـذا القضاء فى أمة ومن العجب أنهم قالوا اذا عقد على أمه وابنته وأخته ووطئها لم يحد للشبهة وصارت فراشا بهذا العقد الباطل المحرم وام ولده، وسريته التي يطئها ليلا ونهارا ليست فراشا له

(٦٢) ومن العجائب أنهم احتجوا على جواز صوم رمضان بنية ينشئها من النهار قبل الزوال بحديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل فيقول « هل من غـداء » فتقول لا فيقول « فاني صائم » ثم قالوا لو فعل ذلك فى صوم التطوع لم يصح صومه. والحديث انما هو في التطوع نفسه .

(٦٣) واحتجوا على المنع من بيع المدبر بانه قد انعقد فيه سبب الحرية وفى

بيعه ابطال لذلك وأجابوا عن بيع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدبر بانه قد باع خدمته ثم قالوا لايجوز بيع خدمة المدبر أيضا .

(٦٤) واحتجوا على ايجاب الشفعة في الاراضي والاشجار التابعة لها بقوله « قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشفعة فى كل شرك في ربعة أو حائط » ثم خالفوا نص الحديث نفسه فان فيه « لايحل له ان يبيع حتى يؤذن شريكه فان باع ولم يؤذنه فهوأحق به » فقالوا لايحل له ان يبيع قبل اذنه ويحل له ان يتحيل لاسقاط الشفعة وان باع بعد اذن شريكه فهو أحق أيضا بالشفعة ولا أثر للاستئذان ولا لعدمه .

(٦٥) واحتجوا على المنع من بيع الزيت بالزيتون الا بعد العلم بأن مافى الزيتون من الزيت أقل من الزيت المفرد بالحديث الذي فيه النهي عن بيع اللحم بالحيوان ثم خالفوه نفسه فقالوا يجوز بيع اللحم بالحيوان من نوعه وغير نوعه .

(٦٦) واحتجوا على ان عطية المريض المنجزة كالوصية لاتنفذ الافي الثلث بحديث عمران بن حصين ان رجلا اعتق ستة مملوكين عند موته لامال له سواهم فجزأهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أجزاء وأقرع بينهم فاعتق اثنين وارق أربعة ثم خالفوه فى موضعين فقالوا لايقرع بينهم البتة ويعتق من كل واحد سدسه

وهذا كثيرجدا والمقصود ان التقليد حكم عليكم بذلك وقادكم اليه قهرا ولو حكمتم الدليل على التقليد لم تقعوا فى مثل هذا فان هذه الاحاديث ان كانت حقا وجب الانقياد لها والاخذ بما فيها وان لم تكن صحيحة لم يؤخذ بشيء مما فيها . فأما ان تصحح ويؤخذ بها فيما وافق قول المتبوع وتضعف وترد اذا خالفت قوله أوتأول فهذا من أعظم الخطأ والتناقض فان قلتم : عارض ماخالفناه منها ماهو أقوى منه ولم يعارض ماوافقناه منها مايوجب العدول عنه واطراحه : قيل لاتخلو هذه الاحاديث وأمثالها ان تكون منسوخة أومحكمة فان كانت منسوخة لم يحتج بمنسوخ البتة . وان كانت محكمة لم يجز مخالفة شيء منها البتة فان قيل : هي منسوخة فيما خالفناها فيه ومحكمة فيما وافقناها فيه : قيل : هذا مع انه ظاهر البطلان يتضمن لما لاعلم لمدعيه به قائل مالادليل عليه فاقل مافيه ان معارضا لو قلب عليه هذه الدعوى بمثلها سواء لكانت دعواه من جنس دعواه ولم يكن بينهما فرق ، ولافرق وكلاهما مدع مالايمكنه اثباته فالواجب اتباع سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحكيمها والتحاكم

اليها حتى يقوم الدليل القاطع على نسخ المنسوخ منها أو تجمع الامة على العمل بخلاف شيء منها وحال الثاني محال قطعا فان الامة ولله الحمد لم تجمع على ترك العمل بسنة واحدة الا سنة ظاهرة النسخ معلوم للامة ناسخها وحينئذ يتعين العمل بالناسخ دون المنسوخ وأما ان يترك السنن لقول أحد فلا كائنا من كان وبالله التوفيق

(الوجه العشرون): ان فرقة التقليد قد ارتكبت مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهدي أصحابه وأحوال أئمتهم وسلكوا ضد طريق أهل العلم — اما أمر الله فانه أمر برد ما تنازع فيه المسلمون اليه والى رسوله والمقلدون قالوا انما نرده إلى من قلدناه. واما أمر رسوله فانه صلى الله عليه وآله وسلم أمر عند الاختلاف بالاخذ بسنته وسنة خلفائه الراشدين المهديين وامر ان يتمسك بها ويعض عليها بالنواجذ وقال المقلدون بل عند الاختلاف تمسك بقول من قلدناه، ونقدمه على كل ماعداه ، وأما هدي الصحابة فمن المعلوم بالضرورة انه لم يكن فيهم شخص واحد يقلد رجلا واحدا في جميع أقواله ويخالف من عداه من الصحابة بحيث لا يرد من أقواله شيئاً وهذا من أعظم البدع وأقبح الحوادث . واما مخالفتهم لأئمتهم فان الأئمة نهوا عن تقليدهم وحذروا منه كما تقدم ذكر بعض ذلك عنهم . واما سلوكهم ضد طريق أهل العلم فان طريقهم طلب أقوال العلماء وضبطها والنظر فيها وعرضها على القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال خلفائه الراشدين فما وافق ذلك منها قبلوه ودانوا الله به وقضوا به وافتوا به وما خالف ذلك منها لم يلتفتوا اليه وردوه وما لم يتبين لهم كان عندهم من مسائل الاجتهاد التي غايتها ان تكون سائغة الاتباع لا واجبة الاتباع من غير ان يلزموا بها أحدا ولا يقولوا انها الحق دون ما خالفها هذه طريقة أهل العلم سلفا وخلفا. واما هؤلاء الخلف فعكسوا الطريق وقلبوا اوضاع الدين فزيفوا كتاب الله وسنة رسوله وأقوال خلفائه وأصحابه فعرضوها على أقوال من قلدوه فما وافقها منها قالوا لنا وانقادوا له مذعنين وما خالف أقوال متبوعهم منها قالوا احتج الخصم بكذا وكذا ولم يقبلوه ولم يدينوا به واحتال فضلاؤهم في ردها بكل ممكن وتطلبوا لها وجوه الحيل التي تردها حتى اذا كانت موافقة لمذاهبهم وكانت تلك الوجوه بعينها قائمة فيها شنعوا على منازعهم وانكروا عليهم ردها بتلك الوجوه بعينها وقالوا لا ترد النصوص بمثل هذا ومن له همة تسمو الى الله ومرضاته ونصر الحق الذي بعث به رسوله اين

كان ومع من كان لا يرضى لنفسه بمثل هذا المسالك الوخيم. والخلق الذميم.

(الوجه الحادي والعشرون): ان الله سبحانه ذم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون . وهؤلاء هم أهل التقليد بأعيانهم بخلاف أهل العلم فانهم وان اختلفوا لم يفرقوا دينهم ولم يكونوا شيعا بل شيعة واحدة متفقة على طلب الحق وايثاره عند ظهوره وتقديمه على كل ماسواه فهم طائفة واحدة قد اتفقت مقاصدهم وطريقهم فالطريق واحد والقصد واحد . والمقلدون بالعكس مقاصدهم شتى وطرقهم مختلفة فليسوا مع الأئمة في القصد ولا في الطريق

(الوجه الثاني والعشرون): ان الله سبحانه ذم الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون . والزبر الكتب المصنفه التي رغبوا بها عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله فقال تعالى « يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * » فأمر تعالى الرسل بما أمر به أممهم ان يأكلوا من الطيبات وان يعملوا صالحا وان يعبدوه وحده وان يطيعوا أمره وحده وان لا يتفرقوا في الدين فمضت الرسل وأتباعهم على ذلك ممتثلين لامر الله قابلين لرحمته حتى نشأت خلوف قطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فمن تدبر هذه الآيات ونزلها على الواقع تبين له حقيقه الحال وعلم من أي الحزبين هو والله المستعان .

(الوجه الثالث والعشرون) : ان الله سبحانه قال « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم والداعون الى الخير هم الداعون الى كتاب الله وسنة رسوله لا الداعون الى رأي فلان وفلان .

(الوجه الرابع والعشرون) : ان الله سبحانه ذم من اذا دعي الى الله ورسوله اعرض ورضي بالتحاكم الى غيره وهذا شأن أهل التقليد قال تعالى « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا »

فكل من أعرض عن الداعي له الى ماأنزل الله ورسوله الى غيره فله نصيب من هذا الذم فمستكثر ومستقل :

(الوجه الخامس والعشرون) : ان يقال لفرقة التقليد دين الله عندكم واحد أوهو فى القول وضده فدينه هو الاقوال المتضادة التي يناقض بعضها بعضا ويبطل بعضها بعضا كلهادين الله؟(١) فان قالوا : بل هذه الاقوال المتضادة المتعارضة التي يناقض بعضها بعضا كلها دين الله: خرجوا عن نصوص أئمتهم فان جميعهم على ان الحق في واحد من الاقوال كما ان القبلة فى جهة من الجهات وخرجوا عن نصوص القرآن والسنة والمعقول الصريح وجعلوا دين الله تابعا لآراء الرجال . وان قالوا : الصواب الذي لاصواب غيره ان دين الله واحد وهو ماأنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وارتضاه لعباده كما ان نبيه واحد وقبلته واحدة فمن وافقه فهو المصيب وله أجران ومن اخطأه فله أجر واحد على اجتهاده لاعلى خطأه : قيل لهم : فالواجب اذاً طلب الحق وبذل الاجتهاد في الوصول اليه بحسب الامكان لان الله سبحانه أوجب على الخلق تقواه بحسب الاستطاعة وتقواه فعل ماأمر به وترك مانهى عنه فلا بد ان يصرف العبد ما أمر به ليفعله ومانهي عنه ليجتنبه وما أبيح له ليأتيه ومعرفة هذا لاتكون الا بنوع اجتهاد وطلب وتحرٍّ للحق فاذا لم يأت ذلك فهو في عهدة الامر ويلقى الله ولما يقض ما أمره .

(الوجه السادس والعشرون) : ان دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عامة لمن كان في عصره ولمن يأتي بعده الى يوم القيامة والواجب على من بعد الصحابة هو الواجب عليهم بعينه وان تنوعت صفاته وكيفياته باختلاف الأحوال ومن المعلوم بالاضطرار ان الصحابة لم يكونوا يعرضون مايسمعون منه صلى الله عليه وآله وسلم على أقوال علمائهم بل لم يكن لعلمائهم قول غير قوله ولم يكن أحد منهم يتوقف في قبول ماسمعه منه على موافقة موافق أو رأي ذي رأي أصلا وكان هذا هو الواجب الذي لايتم الايمان الا به وهو بعينه الواجب علينا وعلى سائر المكلفين الى يوم القيامة ومعلوم ان هذا الواجب لم ينسخ بعد موته ولا هو مختص بالصحابة فمن خرج عن ذلك فقد خرج عن نفس ما أوجبه الله ورسوله.

(لها بقية)

(١) لعل الاصل « وكلها دين الله » أوان أول الجملة « فالاقوال المتضادة » الخ وكلمة « فدينه هو » زائدة

(القسم العمومي)

نظام الحب والبغض تابع ويتبع

(حب القوة ، والروابط التي تحدث القوة)

إذا رجعنا الى الأصل والمبدأ في تاريخ كل شيء نصف به أعيان الكائنات نجده ثمة اما العدم المحض واما ذرة لا تذكر في جنب ما صارت اليه .

والانسان واحد من هذه الكائنات الباهرة . فاذا أخذنا الآن لنظرنا ارقى فرد من أفراده ووصفناه بما هو أهله من العلم واعتدال الخلق والخلق وصحة الإرادة وقوة العزيمة وما يتبع ذلك من الفروع التي هي اجزاء التكمل فلا بد من ان نحار ونثني في دهشة . وخليق بالأفراد الكاملين ان يحيروا الأفكار . ولكن اذا راجعنا تاريخ هذه الأجزاء التي حصل بمجموعها ذلك الكمال يجب ان يزيد اندهاشنا حين لا نرى لها وجوداً في الأطوار والأدوار الأول من حياة هذا الحيوان الناطق

نجد علمه الباهر يرجع الى عدم العلم اذ « خلق الانسان جهولا ». وقوته الرائعة ترجع الى عدم القوة اذ « خلق الانسان ضعيفا » . وبالجملة يرجع اعتدال خلقه وخلقه الى لاشيء لانه كان جماداً . بل لم يكن شيئاً مذكوراً . واين النسبة بين البشر السوي ، العليم القوي ، وبين الجماد .

وأصدق شيء بموضوع نفس الانسان هو بيان تدرجه في كل جزء من الاجزاء التي يكمله اجتماعها ولذلك كان من غرضنا في هذا الفصل الكلام في أعظم جزء من تلك الاجزاء وهو القوة . وقسمنا الكلام الى ثلاثة أبواب : في الأول نعرف القوة ونقسمها ونتكلم على حب الانسان لها وسببه . وفي الثاني نبين كيف حدثت القوة للانسان ونتكلم في الروابط الثلاث : رابطة الاديان . ورابطة الاجناس . ورابطة الحكومات ، وهو اهم الابواب . وفي الثالث نذكر مايحفظ القوة ومايضيعها . وهو صفوة الكلام في هذا المقام .

—(١)— القوة —

القوة فاعل ذو اثر . وهي بأنواعها منبثة في كل الموجودات الحسية والغيبية . ويعبر عنها بحسب اختلاف الموجودات واختلاف الاصطلاحات بعبارات شتى كما يعبر

عن موجود ما بحسب اختلاف اللغات بألفاظ شتى . وأكثر مايكون الاختلاف في التعبير عن قوى الموجودات الحسية و لتعبير عن قوى الموجودات الغيبية . وقد نسمي قوة حسية روحا . وبهذا الاسم نسمي قوة غيبية . وقد نسمي فى المحسوسات ملكة. وفى الغيبيات ملكا . ولا يعلم جنود الخالق الا هو .

ـ أقسام القوى البشرية ـ

قبل معرفة قوانا وأقسامها يجمل بي وبكم ان نترنم بكلمة سواء بيننا وبين البشر اجمعين ليستقيم بها سبيلنا فى العلم . وتقرب غايتنا فى العمل،

ان القوة الحقيقية هي للخالق وحده، وهي القوة التي لم يسبقها ضعف، ولن يلحقها ضعف . وهي قوة التصرف ببدء المبروآت وتصويرها ونظم شؤونها ومنح خواصها بسائط ومركبات . وهي القوة المقدسة من كل شوب . المادّة (أي مانحة المدد) لكلّ مصوّر حتى حين .

هذه هي القوة الربانية التي تخشع لها وحدها قلوبنا وتتوجه تلقاءها وجوهنا رهبة ورغبة ، والبها تطير الجوانح شوقا وهياما ، وتحن لها الارواح الواردة من لدنها، وتتنسم من كل وجهة إقبال مددها فتحيي برجائها، وتصبر في هذه الدار حتى يأتيها أمرها،

اما نحن فليس لنا من قوة الا ودائع أودعها الباريء فى خلقتنا، لتتغلب فيها على عوالم الارض التي استخلفنا فيها ، ثم لتتغالب فيها فيما بيننا، لنكون فريقين متضادين، اعلين وأدنين، ومن قبل سبقت ارادته فى الخلق ان يكون لكل مخلوق مقابل، والخالق يفعل مايشاء وهو العليم الحكيم . ولو شاء لجعلنا أمة واحدة ، ولوشاء لهدانا أجمعين، ولا يسأل سبحانه عن مشيئته . ولكن عن الودائع تسأل كل نفس ماذا كسبت . فبشرى للذين يحسنون صنعا .

***

أودع الخالق فينا قوى كثيرة . وجعلنا متفاوتين فيها تفاوتا عظيما . فمنا من يرزق قوّة منها تمشى لها أبصارنا ونظنها من خوارق العادة وما هي من الخوارق وانما لديه منها فضل عظيم به يصبح مالدينا كأن لم يكن . وقس على الواحدة غيرها.

القوى التي فينا تنقسم الى حسية . وعقلية . وقلبية . أريد بالحسية قوي الجسد ،

وبالعقلية قوى الادرك ، وبالقلبية قوى الارادة.

فاما القوى الحسية فظاهرة كظهور الجسد. ولحفظها ماوجدت واستردادها ان فقدت علم خاص من صدد موضوعنا ان نوصي به. وأما العقلية فمعروفة بالتأمل ويعرض لها من الامراض أكثر مما يعرض للقوى الحسية فقسم من أمراضها تابع لطب القوى الحسية. وقسم منها تابع لموضوعنا. وأما القوى القلبية فخفية لا يعرفها الاقليل من الذين في أنفسهم يتفكرون. والذين لا يعرفونها يشوبون فيها الكلام بكثير من الأوهام. ويعرض لهذه القوى القلبية من الأمراض أكثر مما يعرض للحسية والعقلية. وبيانها وعلاجها هو عين موضوعنا .

ـ حب القوة وسببه ـ

حب القوة تابع من توابع حب الذات وهو أعظمها . وله سببان احدهما تابع لسبب حب الذات. والآخر مستقل وهو ان الكمال بأصل الفطرة معشوق للنفس. والقوة جزء من أجزاء الكمال ومرقاة الى أجزائه

ولعلّ القارئ لم ينس القاعدة التي ذكرناها في باب حب الذات وهي :

« متى كان وجود الشيء لازماً من اللوازم العامة كان طبيعياً. »

فاذا حفظ القارئ هذه القاعدة يبقي عليه ان يمعن النظر « هل حب القوة لازم من اللوازم العامة » ونسعفه الآن بابداء مابدا لنا بهذه المسئلة :

« ان حب القوة لازم من اللوازم العامة » والدليل عليه من الحس والعقل.

أما دليله من الحس فلأننا نجده من متممات الحياة. ولولاه لعدت علينا العوادي الكثيرة التي من أيسرها الجوع فاذا نحن هباء في هواء. ولو استقرأنا استقراء تاما لما ازددنا الا تصديقا بهذه القضية. ولنطق لنا كل حيّ معترفاً بأن هذا الأمر حليف جوانحه كل حين. ولا يريبنكم في هذه القضية فئة ترونهم يسعون في اضعاف أنفسهم من ادامة جوع ومواصلة سهر وموالاة قعود في بيت مظلم واستمرار على صمت أو تكرار حروف وكلمات وما أشبه ذلك من أنواع الاضعاف فان هؤلاء لا يقصدون بصنيعهم ذلك الا القوة. أعني انهم يضعفون القوى الظاهرة ليتوصلوا الى قوى وهمية (هي من فروع القوى القلبية) لها تأثير في مرضى العقول والقلوب.

وكم استعبد هؤلاء الموهمون الناس بهذه القوى حتى اتخذوهم آلهة بمعنى انهم يفيضون ويصرفون الخير والشر لمن أرادوا وعمن أرادوا متى أرادوا بزعمهم

وفئة اخرى يقلدون هؤلاء عن غير معرفة بالطريق ليصلوا الى تلك الغاية فبشرهم بالجنون المطبق انهم مفتونون

وأما دليله من العقل فلاننا نعرف من كون الانسان اعظم عوالم الارض كونه مخلوقا لامر عظيم. ونعرف من هذا ان القوة لازمة لهذا المخلوق العظيم. ونعرف من هذا ان حب القوة لازم له لاجل تحصيلها لانه مخلوق ذو ارادة تسبق الارادة عمله .

ويمكننا ان نأخذ الدليل العقلي فى هذه المسئلة من عين السبب الذى ذكرناه آنفا وهو « ان الكمال في أصل الفطرة معشوق للنفس » ولا نبالي بما يتراءى من شبه الدور فاننا طالما عرفنا شيئاً بآخر ثم ازدادت معرفتنا بالاول بواسطة الثاني الذى عرفناه بواسطة الاول وقد يتلازم الشيئان حتى يستدل على احدهما بالآخر . ولنا على هذا الاخير ان نستدل على كون الشيء لازماً من اللوازم العامة بكونه طبيعيا وعلى كونه طبيعيا بكونه لازما كذلك . وللمتلازمين تارة حكم المترادفين ككلمتي « الطبيعة » و « سنة الخالق » جل وعلاه

ومن كونه طبيعيا أولازماً من اللوازم العامة نعرف انه نافع لانه تقرر ان الاشياء الطبيعية (أي التي اقتضتها ارادة الخالق على سنة مطردة) جميعها نافعة نفعا عاماً . ولكن المرض في العقل قد يمنعه عن ان يرى البعض منها نافعا وقد يضله عن السبيل المستقيم في الانتفاع منها .

فمن ثمة يحكمون بمرض الفطرة على فرد لايحب القوة حبا يحمله على تحصيلها بقدر الطاقة . وعلى أمة تقصر عن غيرها فى القوة بمرض عام فى تربية أفرادها تلصق اعراضه بكل واحد منهم وان كان بعضهم اشد مرضا من بعض . ويتكون من مجموعها اعراض عامة قاتلة ان دامت .

ـ خلاصة ـ

وقد تبين لكم أمران جديران ان يقيدا في لوح الذهن ذانكم ان : (١) حب القوة (كحب الذات) لازم نافع . وان : (٢) التقصير في حب القوة مرض نفسي

واجتماعي . فان امرؤاتاكم معترفا بمرضه، مستشفيا من دائه، فانظروا ماذا ينفعه من العمل ومروه ان يأخذ من العلم مايلزم لاصلاح العمل . وان كان مهملا ولم يشأ ان يعمل عملا صالحا للنفس والمجتمع فانتظروا ان تبيده الاقوياء غير مشكور . وان أمة صدت عن النذر ، وكفرت بالسنن، فالتمسوا منها مخرجا ان كنتم فيها وقوا أنفسكم البوار الهون انهم قوم بور .

ع . ز

باب التربية والتعليم

درس عام فى العلم الاسلامي والتعليم

العلوم الاسلامية

ومن هنا يمكنني أن أتخلص الى الكلام على حالتنا في تحصيل العلم في جميع بلاد الاسلام وهو موضوعنا فنقول

عندنا علوم شتى نشتغل بتحصيلها ونسميها العلوم الاسلامية وانما سميت بهذا الاسم لان موضوعاتها لها علاقة بدين الاسلام كالفقه وأصوله وهو علم يبحث فيه عن طرق استنباط الاحكام من أدلتها وكعلم التوحيد وهو علم اسلامي يبحث فيه عن وجوده تعالى وصفاته الكمالية ثم العلوم النقلية كالتفسير والحديث واللغة والنحو والمعاني والبيان والبديع وما سمي علم الوضع

ومن هذه العلوم وسائل ومقاصد ونحن مشتغلون بجميعها وسائل ومقاصد . ولا حاجة الى الكلام فى تبيين طرق الاشتغال بها عندنا وعندكم . انما الكلام في أمر عام معروف عند الجميع وهو طرق تحصيل هذه العلوم

(علم النحو وتدريسه)

فالنحو مثلا يدرس بتونس بكتبه التي تقرأ بمصر كالقطر والاشموني والصبان وله غايتان . الاولى التمكن من فهم كتاب الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام وكلام سلف الامة . والثانية اصلاح اللسان من الخطأ . نشتغل بعلم هذه القواعد في هذه الكتب ثم نشغل أنفسنا بالبحث في عبارة المؤلف هل تدل على ماقصده . فقائل يقول نعم ، ويأتي قائل آخر يقول لا ،

وقائل ثالث يرجح قول نعم، ورابع يرجح قول لا. ونحو هذا مما تروونه في التقارير المكتوبة على الحواشي ويطول بذلك الزمان، وتضيع الفائدة. وينصرف الذهن عن القاعدة، ثم بعد الفراغ من العلم لا يجد الطالب تقويما في لسانه ولا صحة في تحريره ولا قدرة على فهم ماجاء في كلام العرب أو في كتاب الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم. ويزيد الامر صعوبة طريقة الابتداء التي اختاروها في تدريس النحو فان الاستاذ يبادئ الطالب وهو لا يعلم شيئاً من اصطلاحات العلم بتحقيق المسائل وتفتيتها كما يقولون كأنه عريق في العلم، ولا يراعي مقدار استعداده للفهم. وقد وقع لي أني مكثت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئاً من شرح الكفراوي على الآجرومية فحملني عدم الفهم على الهرب من طلب العلم لتمكن اليأس من نفسي ولكن لأمر أراده الله قهرني والدي على الرجوع الى الطالب فهربت في الطريق ولكني صادفت في مهربي من عاهني كيف أطلب العلم من أقرب وجوهه فذقت لذته واستمررت في طلبه. فعلى الاستاذ أن يكون بيده ميزان يزن به ذهن الطالب ودرجة استعداده لقبول مايقول. فيجب على المدرس أن يتنازل مع المبتدي الى درجته ثم يرتقي به شيئا فشيئا حتى يصل الى الدرجة التي يتمكن فيها من ادراك دقيق المعاني. وهذا الفن — فن معرفة درجات الاذهان وكيفية الاستفادة — فن مخصوص تستلزم قراءته ست عشرة سنة اذا كان شرح المطول يحتاج في قراءته الى ثمان سنين، ومن أنفق أوقاته في هذا الفن الذي ألفت فيه الكتب وبسطت فيه الأفكار فإني أضمن له ثوابه عند الله تعالى أضعاف ثواب من يختم اقراء المطول لما أنه يرشدنا الى الغاية التي طالبنا الله بها

﴿ علم المعاني والبيان ﴾

(والغاية منه)

علم المعاني والبيان علمان يبحث فيهما عن البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال. فما هو ذلك المقتضي؟ نجد الناظر في هذا الفن او المعلم له يقول هل تحقق البلاغة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال في الجملة ام لابد من مراعاة جميع مقتضيات الاحوال؟ فان كان الاول فكيف يعد بليغاً من لم يراع الحال كما ينبغي وهو يعلم أنه غير مراع له. وان كان الثاني فلا تختلف طبقات البلاغة ولا يكون لها أعلى وأسفل. ويطول البحث ويكثر الجدال في ذلك وينصرف الذهن عن البلاغة نفسها ولا يجد الباحث مايرده اليها،

وهكذا نجد البحث يطول في العاب الى حد يشغل الذهن عن الغرض المقصود . مع أنه لو قال الاستاذ: البلاغة صفة في الكلام تبلغ المتكلم مراده من نفس السامع على قدر طاقته ثم انها تكون بمراعاة حال المخاطب وذلك ينقسم الى قسمين مايتعلق بفهم الكلام ومايتعلق بالمعنى الذي سيق له الكلام فما يتعلق بنظم الكلام هو موضوع علم المعاني: ثم يتطاق في بيان ذلك وتقرير المعاني التي سماها الامام عبد القاهر الجرجاني واضع هذا الفن معاني النحو . أما القسم الثاني وهو حال المخاطب بالنسبة الى المعنى الذي سيق له الكلام فتوقف معرفته على أمور كثيرة ومعارف جمة يتوصل بها الى معرفة طبائع الاشخاص ومداخل المعاني الى قلوبهم فمن أراد أن يقنع مخاطبه بعقيدة مثلا فعليه أن ينظر فان كان المخاطب ممن لا يقنع الا بالبرهان فعليه أن يقيمه له وان كان ممن لا يدرك البرهان ولكنه يقنع بالمسلمات مثلا سلك معه له تلك السبيل ولا يكون بليغا الا اذا لاحظ ذلك مع ما يتعلق بالنظم :- لو سلك الاستاذ هذا المسلك لجمع المعاني الكثيرة الى ذهن الطالب ووجه نفسه الى الغاية المطلوبة منها ثم انه بعد ذلك كله لا يعد معلما للبلاغة الا اذا وجه فكر الطالب الى ممارسة كلام العرب ونسج في التحرير والتعبير على مانسجوا عليه حتى تحصل له ملكة البلاغة ويصل الى الغاية من علمه . فان غاية هذا العلم تشمل كلا أمرين الاول أن يكون الطالب فصيحاً بليغاً فيما يكتب اويخطب. والثاني أن يقيس بلاغة البلغاء ببلاغة القرآن فيدرك حقيقية الاعجاز. وهذا الأمر الثاني هو في الحقيقة ثمرة الامر الاول فان من لم يكن بليغاً بالملكة والعمل لا يمكنه أن يميز بين طبقات البلاغة

﴿ اسهل طرق تعليمه ﴾

سئل الاصمعي أي الرجلين اشعر امسلم ابن الوليد ام ابو نواس؟ فحكم لابي نواس، فقيل له ان اخاك ابا عبيد يحكم لمسلم بانه اشعر فقال: ان ابا عبيد يروي الشعر ولكنه لم يكابد مشقة العمل في صناعته فليس اهلا للحكم : وهذا قول حق فان من لم يذق لم يعرف . واما مايظن من انه يتيسر للطالب بعد معرفته اصطلاحات علم المعاني ان ينظر في كتب التفسير كالكشاف مثلا ويعرف مايقول الكشاف في وجوه بلاغة الآية وبذلك يكون ممن عرف بلاغة القرآن واعجازه فليس من كلام المحصلين لانه لو كفى ذلك لما كانت حاجة الى صرف الزمان الطويل في تحصيل علم المعاني. بل كان لنا ان نقول ان القرآن

معجزة لان صاحب الكشاف قال انه معجز ونتفع بزماننا في تحصيل ماهو انفع وذلك مما لا يعقل. ورب قائل ان المتكلم اليوم بقول ذلك من قبيل من يأمر غيره بالبر ولا يأتمر به فقد عرض بنفسه جزافا بالقاء خطبة على أناس لايدري اخلاقهم ولا يدري مايقولون بعده ولا يعرف مواضع الخطاب من أنفسهم . فالجواب نعم لم أقف على هذه الامور تفصيلا ولكن مدة اقامتي بهذه الحاضرة كانت مدة اجتماع بافاضلها وعلمائها وبذلك حصلت لي خبرة اجمالية تخطر ببالي ان آتي جملة فيما يطابق مقتضى الحال . وفي ظني ان ماأقوله إن لم يقع موقعا حسنا من نفوس جميع السامعين فلا أقل من أن يستحسنه بعضهم وذلك يكفيني في مطابقته لمقتضى الحال

اختلط علينا الامر بالنظر في المعاني الاصطلاحية وكثرة البحث فيها وانقلاب الغرض منها الى مصاب نزل بنا في علومنا وعقولنا فانصرفنا بها عما طلب منها . ولهذا يلزمنا ان نأخذ مأخذا في العلوم يسهل تحصيلها وييسرها على الطالب. وفي ظني انه اذا هذبت طرق التعلم لطالب علم البلاغة مثلا أمكنه ان يبلغ الغاية منه في ثلاث سنين . وكذلك من أراد بلوغ الغاية من النحو لايحتاج الى أكثر من ذلك بحيث يصدر الطالب بعد هذا فصيحاً بليغاً مميزا بين طبقات البلاغة شاعرا بمعنى اعجاز القرآن قادرا على فهم ماجاء في كلام السلف والانتفاع به فيما يصلح معاشه ومعاده

وجملة القول ان الغاية من هذه العلوم العربية هي ان يبلغ المرء بالتعلم مبلغا كان عليه العربي بالسليقة وهذا يحصل بما قدمناه

ومما يلزم التنبه له في التعليم انه من حق الانسان ان يفتح للطالب باب النظر بنفسه في العلوم فيبين له القاعدة مثلا ثم يطالبه بما يراه في انطباقها على جزئياتها في العمل فانه اذا عوده على ان يقول له كل شيء وان يقوده في كل أمر وقف ذهنه عند حد الاتباع وصعب عليه ان يحقق امرا بنفسه فعليه ان يطالبه بالعمل دائما ويعلمه طريقة معرفة الخطأ والرجوع الى الصواب . وهذا هو ما يطلب من الدرس بين يدي الاستاذ حتى تحصل ملكة التميز . اما الوصول الى غاية الكمال في العلم بقدر الامكان فأمره موكول لاجتهاد الطالب بعد مفارقة الدرس. ووقوف ذهن هذا المنقاد في كل شأن عن معرفة الامور بنفسه من الامور المحسوسة فمن ذلك اني لما جئت هذا البلد كنت امر من

طريق قصيرة من محطة سكة الحديد الى البيت ذهابا وايابا ولكن مصحوبا بالسيد خليل بوحاجب وقد رأيت امس اليوم ان أذهب الى المحطة راجلا فبعد ان مضيت في طريقي خطوات قيل لي ان هذا ليس هو الطريق الى المحطة فرجعت الى طريق أخرى وطال علي السير حتى صعب علي الرجوع الى المنزل لتشتت الطرق علي واضطررت الى سؤال بعض المارة عن المحطة فدلني عليها واذا بني وبينها اطول مما بيني وبين البيت الذي خرجت منه . ثم بعد عودي الى البيت خرجت ماشيا مرة اخرى بعد نحو ساعة فاهتديت الى طريق المحطة ولكن وقع لي اشتباه على مقربة منها . ولم تزل الشبهة الا بسؤال مار . اما بعد ذلك فاني لا أضل في هذه الطريق أبدا . فالعصمة من الضلال انما تأتي في الحقيقة من عمل العقل وحده مع الاستعانة بما أرشد اليه المرشدون الراشدون

﴿ الغاية من علم التوحيد ﴾

ومن العلم ما يكون العلم والعمل به واحداً كعلم الكلام فان المقصد منه انما هو تحصيل اليقين بمسائله كثبوت الوجود لله تعالى وصفاته الكمالية التي ورد النص باثباتها له ودفع شبه الملحدين الذين ينكرون ثبوت شيء منها وثبوت بعثة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين .
فهذا العلم ان جرينا في تعلمه على التقليد في الدليل كالتقليد في النتيجة واكتفينا بفهم ما جاء من الادلة على ألسنة من كتبوا فيها أعرضنا عن الغاية من وضعه لان اليقين لا يحصل بقراءة الادلة وخزنها في الاذهان وانما يحصل بالاستدلال الصحيح وإدراك العقل وجه الدلالة من نفسه بدون تقليد وانما يعد النظر في دليل المستدل السابق معينا ومهيئا للعقل الى تصحيح النظر . فالطريقة التي يجري عليها اغلب المعلمين ليست من غرض علم الكلام في شيء . ومن الناس من اذا سألته في أمر يتعلق بعقيدة من العقائد فاجأك بقوله : لا تقل ذلك فتكفر او تعتزل : أو ما أشبه ذلك وهو سلاح يتخذه المرتابون في عقائدهم ترسا يدفعون به ما يخشون من الشبه التي تزلزل عقائدهم ولكن هذا الدفاع يدل على ارتياب صاحبه في عقيدته قبل الدفاع فان صاحب اليقين يرتاح الى كل ما يسمع فان وجد عند مخاطبه شبهة أمكنه ان يزيلها من نفسه . وتلك الطريقة من طرق الدفاع عن العقائد هي التي اغلقت دون المسلمين أبواب العلم فانه كلما لاح نور إلهي في يقين الطالب يهديه الى طلب الحق وجد من هذه الكلمات كالاعتزال والفلسفة ما يخمد ذلك

النور فيه . ومن سوء الاستعمال في تعليم هذا العلم ان يعلم الطالب متن السنوسية مثلا وهو لم يحصل شيئا من مبادي العلوم . فيقال: ان الحكم العقلي ينقسم الى ثلاثة أقسام الواجب والمستحيل والجائز: ثم تقرأ له هذه الاقسام بالتعاريف الاصطلاحية وهو على جهل تام بما يعده لفهم معنى الحكم فضلا عن أقسامه فيضطر الطالب الى حفظ هذه الالفاظ بدون ان يحصل من معناها الاعلى خيالات لاتنطبق على حقيقة

وقد قال المتقدمون انه لاينبغي ان ينظر في علوم الكلام الا بعد تحصيل مقدماتها والاستعداد لفهم طرق الاستدلال حتى لايضل الطالب بالنظر فيها وهو على جهل من وسائل فهمها فاللازم الاخذ بأحد أمرين إما ان يستدل الناس بالاكوان على مكونها وبالآثار على المؤثر فيها لينالوا بذلك اليقين فيما يعتقدون كل على حسب استعداده . فالعامي مثلا يستدل بما بين يديه من نبات وحيوان على حسب ما يظهر له في نظامها والسيد علي الرضا يكتب كتاباً في التشريح يقول في آخره انه عرف بذلك وجود الله وانه المنفرد بالتصرف في هذا الكون . وإما أن يعلم علم الكلام على طريقة تكفل الانتفاع به في الوصول الى اليقين الذي لايقبل التزلزل والايمان الذي يملأ القلب خشية من الله ورجاء به وخضوعا له .وأما طلب هذا العلم بمجرد قراءة كتبه ومعرفة ما دلت عليه عبارتها فقط فهو في الحقيقة مما يصد عن اليقين ويبعد عنه خصوصاً اذا خاف الناظر من ان يقال انه فيلسوف أو معتزلي أو ما أشبه ذلك فانه لايقين مع التحرج من النظر وانما يكون اليقين باطلاق النظر في الاكوان طولها وعرضها حتى يصل الى الغاية التي يطلبها بدون تقييد كما هدانا الله الى ذلك في كتابه فانه يخاطب الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد ووقوفنا عند حد فهم العبارة مضر بنا في العلم ومناف لما كتبه أسلافنا وما تركوه لنا من جواهر المعقولات في الكتب النفيسة المستودعة بخزائننا التي أصبحت اليوم أكلة للسوس وفراشاً للاتربة لاتمد أيدينا اليها لنستلبه منها أو لنزعج السوس عن أكلها واتلافها . أنفس ما فيها فر من بين أيدينا ووصعت به خزائن أمم أخرى أصبحت الآن تنعت بأمم النور ولو طلبناها لم نجدها . وربما اعتذر الطالب عن قبول النصيحة بأنه لامناص له عن صرف الزمان في قراءة المطول ونحوه مثلا لأن غيره (ككتاب الصناعتين) ليس مما قرره القانون أو لان الاستاذ لا يريده ولانه ينبغي

ان يكون عالماً مشهوراً ولن يكون كذلك في نظر العامة الا اذا قرأ المطول بحواشيه في المدة المعلومة أو في أطول منها ولكن هذا لا يصح عذراً ولست أريد بنفي العذر ان أحمل الطالب على عصيان أستاذه أو حرمانه مما يطلب من الشهرة بين قومه بل أريد ان أنبه الى سلوك طريق وسط وهو ان يجمع بين الحضور في درس الاستاذ وتحصيل حقيقة العلم فيطالع درس الاستاذ ويضم الى ذلك مطالعة شيء من الكلام البليغ وتحرير ماينسج على منواله في تحصيل الملكة المطلوبة

ولقد عرض لي مايعرض للطلبة اليوم وكنت أتمنى ان أبلغ من الشهرة مابلغه غيري فحضرت درس تلك الكتب مع اشتغالي باستكمال ما أردت من العلم . على ان طلب الشهرة في العلم انما هو عند شعور النفس بشيء من الغرور . فاذا أدركت حقيقة العلم نسيت شهوة الشهرة وأدركت انها بمنزلة من الجهل تقضي عليها بتحصيل العلم للعلم والعمل به في سائر الاوقات وعلى أيّ الحالات

للطالب أو الاستاذ ان يستعيذ من هذه البدع التي يراها جديدة ويقول انها بدع مخالفة لسنة السلف الصالح التي لا نريد ان نغيرها لانها لو لم تكن مفيدة لما سنها أسلافنا فما لنا الا اتباعها وعليه يكون مثلي كمثل ذلك المغني على مسمع جماعة من الاعاجم بكلام مجنون ليلى الى طلوع الفجر فقيل له : بالله عليك غن لنا عن ليلى ومجنون : فقال ان الغناء كان في ذلك : قالوا ولماذا لم تعلمنا من قبل حتى نفرح ؟ ذلك ان الطريقة التي نشير بها هي طريقة أسلافنا الاقدمين فالعود اليها احياء لسنتهم وعمل بآثارهم فلما كان أسلافنا جارين في تعليمهم على تلك الطريقة القويمة كان نور العلم يضيء لهم سبلهم الى سعادتهم في معاشهم ومعادهم وكانت الأمم التي تعد نفسها اليوم حاملة مصابيح العلم تستضيء بنورهم

يقول القائلون : ان طلب تغيير الطرق اعتناء بالجديد وولوع بالبدع أو نزوع لها : وليس الامر كذلك فان الجديد والبدعة هو مانراهم عليه وقد ظهر أثره وعم ضرره فالقديم الحقيقي هو ماندعو اليه ولا نجاح لنا الا بالتعويل عليه

﴿ التوكل ﴾

بقيت مسألة نبهنا عليها في أول الامر وهي ان الواحد منا اذا لاح في ذهنه نور الهي يرشده الى طريق العلم يأتيه معارض يقول له : ان الحالة الحاضرة هي ماقدر الله لا حيلة لنا فيها فالمرء

متوكل على الله مسير بحسب القدرة فعلينا بتسليم أمورنا اليه تعالى والتوكل عليه: وبذلك ينطفي النور الذي لاح بذهنه وبعد ان كان خطر بباله داعي العمل، ينزع الى البطالة والكسل، والعجب انهم يظنون هذه الوساوس من العقائد الدينية ولكن الدين يتبرأ منها وما للدين عدو أضر من امثال هذه الاعتقادات

نرى النبي صلى الله عليه وسلم وهو امامنا وقدوتنا لما بعث في دياجير الجهل وتحكم سلطان الشرور وقبائح العادات في الامم التي ارسل اليها لم يقل ان ذلك ما أراده الله ولم يسلم امره للقدر بترك العمل وكذلك الصحابة رضي الله عنهم أصابهم من الآلام في السعي ما أصابهم مع انهم أشد الناس توكلا على الله واكملهم تمسكا بالقدر في طريق الحق فاذا كانوا قدوتنا كما هو الحق فلماذا لانقتدي بسيرتهم وننبذ وساوس المبطلين، وهذيان العمي والمغفلين، والله تعالى قد دعانا الى طريق الحق والتواصي بالحق وبالصبر وحملنا على ذلك «ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» فالذين فقدوا التواصي بالحق والصبر هم بلاشك خاسرون

الاحتجاج على ترك العمل بالقدر من عقائد الملحدين. وقد جاء الكتاب الكريم بتشنيع اعتقادهم والنعي عليهم فيه. وقد حكى لنا ما كانوا يقولون من نحو «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء» فلا يسوغ لاحد منا وهو يدعي انه مؤمن بالقرآن ان يحتج بما كان يحتج به المشركون. من يزعم انه متوكل من المتظاهرين بالصلاح فهو كاذب زنديق لانه انما يدعي التوكل اذا طولب بأمر فيه مشقة عليه او يجد في نفسه عجزا عنه لاسيما اذا كان في مصلحة عامة فهو يرضى بما يجد. فاذا رجع أولئك المتبتلون الى منافعهم الخاصة لم تجد للتوكل في نفوسهم أثرا فهم يغشون ويخادعون ويحتالون لتحصيل ما به يعيشون، او ما به على الناس يظهرون، وحينئذ لا يرجعون الى التوكل فهم كذبة لا يصح الاقتداء بهم. وكفانا قدوة وخير اسوة سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم فانه كان على شدة توكله واعتصامه بالاستعانة بالله جل شأنه لا يفتر عن العمل في الدعوة الى الحق وحمل الناس عليه.

يحتج بعض الناس على كسلهم بقوله صلى الله عليه وسلم «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا(١)» ويفسرون ذلك بأننا لو ألقينا أثقالنا على

(١) رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه وغيرهم

الله وتركنا أسباب عيشنا في كسبنا وما أكلنا وطبخنا ومرقدنا الرزقنا كما رزق الطير ولكن هذا الفهم خطأ بعيد عن المعنى المراد ولولا ذلك لقال صلى الله عليه وسلم لرزقكم كما رزق الطير تلبث في أعشاشها وتفتح أفواهها فتصبح خماصا وتمسي بطانا. يظنون أن هذا الحديث حث على البطالة وترك العمل مع انه جاء للحث على العمل. والكلام في معنى حق التوكل ظنوه ترك السعي بالمرة وهو خطأ محض فالمراد من حق التوكل ان يعتمد الانسان على الله سبحانه وتعالى مع اتباع سنته التي سنها في الطلب فيحصل الطالب من أسباب مطلوبه ماجعله الله سببا ويدقق النظر في ذلك ماشاء حسبما طالبه الله تعالى به . ثم بعد ان يستعمل الاسباب يناجي ربه بسره : ان قد أتيت بما في استطاعتي على مقدار ما وهبتني وما بقي مما لا أعلم ولا أملك فهو في يدك فاغنني بقدرتك ولا تحرمني معونتك : ثم يمضي في عمله. هذا هو حق التوكل. وقد أشار اليه صلى الله عليه وسلم في قوله . تغدو خماصا وتروح بطانا. فانه أراد بذلك ان الطير انما تسير في تحصيل معاشها على الالهام الذي أودعه الله فيها . الهمها معرفة الاماكن التي فيها أقواتها كما ألهمها الغدو" الى تلك الاماكن لتصيب أقواتها منها فهي تعمل بارادتها على ذلك الشعور الذي منحه الله اياها. فحق التوكل لا يتم لنا الا بأن نجري في أعمالنا على مايقوم عندنا مقام الالهام عند الطير. والذي يقوم عندنا مقام الالهام هو العقل. فلا نكون متوكلين حق التوكل حتى نستعمل نفوسنا في الوسائل التي توصلنا الى بلوغ الغاية من أعمالنا وان نجيد الاستعمال حتى لا يقع لنا ضلال في طرق الوصول الى المقصود. فالاعتماد على الله بهذه الطريقة كافل نجاح الاعمال

(الخاتمة) وبهذه الوسائل يسهل علينا التوفيق بين السعي والتوكل لاسيما في تحصيل العلوم وهي كثيرة واولاها بالتقدم فيما أعتقد علوم لساننا العربي فان اصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لاصلاح عقائدنا ، وجهل المسلمين بلسانهم هو الذي صدهم عن فهم ماجاء في كتب دينهم وأقوال اسلافهم في اللغة العربية الفصحى من ذخائر العلم وكنوز الادب مالا يمكن الوصول اليه الا بتحصيل ملكة اللسان ولا تحصل هذه الملكة الا بالعناية بتحصيل علومه على الوجه الذي سبق بيانه من الجمع بين معرفة القواعد من اسهل طرقها بدون التفات الى عبارات المعبرين وبين العمل بالقول والقلم حتى يملك الطالب من اللسان ما كان يملكه العربي بسليقته وبدون ذلك لا نصل الى فهم أسرار شريعتنا بل تسد في وجوهنا طرق الوصول الى الحقيقة منها

فعلى كل من له غيرة على ملته ان يبذل مافي وسعه لتسهيل طرق تعليم اللغة وتحصيل الملكة فيها

قولا وكتابة حتى يتكلم بها غالب أهلها ويكتبوا بها بالطريقة الصحيحة لان في انحطاط لغتنا انحطاطا لنا ولدينا وعقائدنا وأخلاقنا وانحطاط ذلك مفسد لجميع أمورنا

أقول قولي هذا ولا أريد به إلزام سامعه بقبوله والا خالفت ما أدعو اليه من استقلال الفكر وحرية الرأي . على أني لا أظن ان في السامعين من يلتزم به لو طلبت إلزامه . ولكنه رأي اعرضه على مسامعهم فان وجده السامع صوابا أخذ به والا فانه لم يخش شيئا سوى احتماله مشقة الحر في هـذا المجلس وهو قدر مشترك بيني وبينه والله يوفقنا الى اصلاح أحوالنا في معاشنا ومعادنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

آثار علمية أدبية

(دلائل الاعجاز)

(اللغة وقوانين اللفظ والنظم) : اللغة ملكة لسانية ، والملكات انما تكون بمزاولة العمل ، فمن زاول كلام قوم زمنا طويلا تصير لغتهم ملكة له ينطق بها بغير تكلف . والملكات تتفاوت في أفراد من تكون لهم فمنهم من يكون أملك بالشيء خلق وأملا به يدا فيكون العمل به كما تمتطي الريض الذلول ، ومنهم من لا يملكه الا كما يملك الخادم البليد ، يريده على شيء فيذهب في غير ما يريد ، وتسمى ملكة اللغة في الاول فصاحة وبلاغة ، وفي الثاني عيا وفهاهة ،

ثم ان كل شيء يتفق فيه كثيرون كاللغة لا بد أن يكون منضبطا في نفسه بطرق معروفة لهم بالسليقة المكتسبة بالمزاولة اذ لو ذهب كل واحد مذهبا في القول لا يتفق مع مذاهب الآخرين لما تيسر التفاهم بالتخاطب ، وما كان كذلك يسهل ان توضع له قواعد وقوانين تعرف بها تلك الطرق السليقية بوجه كلي يعين على فهم الجزئيات ومعرفة ما عساه يطرأ على ذلك الشيء مما ليس منه في خصائصه التي امتاز بها . ولكن ما ينضبط به الشيء في نفسه لا يشمل في العادة العامة جميع جزئيات ذلك الشيء الا اذا تواطأ قوم محصورون على وضع قوانين كلية وأخذ الجزئيات منها بالاتفاق بينهم ولم يكن وضع اللغة كذلك ولهذا كانت القوانين التي وضعوها للعربية شاملة لا كثر الكلام

العربي في أوزان مفرداته وضوابط نظمه غير محيطة بذلك تمام الاحاطة
بدأ واضعوا هذه القوانين بوضع الضوابط العامة التي يشترك فيها جميع أهل اللغة وهي قواعد ابنية الالفاظ المفردة وقواعد التركيب التي يتأدى بها المعنى المقصود من التكلم وسموا ذلك علم النحو ثم قسموا هذا العلم الى قسمين سموا الآخر منهما الصرف.
لما فتحت العرب الممالك الاعجمية ودخل أهلها في دينهم وحكمهم استعرب العجمي واستعجم العربي وصار هؤلاء الاعاجم المستعربون والعرب المستعجمون يتعلمون اللغة العربية بمعونة قواعد النحو والصرف وهي — كما قلنا — موضوعة لما يشترك فيه الجماهير وغير محيطة بما كان ينفرد به بعض أهل اللغة فضعف الناطقون والكاتبون بالعربية عن الترقي في ملكتها الى الدرجة العالية مما به التفاوت وهي مرتبة الفصاحة والبلاغة واحتاجوا الى قوانين أخرى ترشدهم الى المعراج الذي يظهرون عليه الى تلك المرتبة فكان أول من عني بوضع هذه القوانين إمام اللغة في القرن الخامس للهجرة الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز — الاول في فن البيان والثاني في فن المعاني — وقد كان اسم البيان عاما لكل مايبحث فيه عن البلاغة ثم انهم من بعد الشيخ عبد القاهر قسموه الى قسمين خصوا أحدهما باسم البيان واطلقوا على الآخر اسم «المعاني» اخذا من قول عبد القاهر ان مسائله هي معاني النحو
قوانين النحو تفيدنا معرفة التراكيب الصحيحة في العربية وكيفية ادائها على وجهها ولكنها لا تفيد متى يرجح استعمال أحد التركيبين اللذين يفيدان معنى واحدا على الآخر نحو «قام زيد» و «وزيد قام» و «عمر والمنطلق» و «المنطلق عمر» والذي يعرفنا موضع كل واحدة من هذه الجمل هو علم المعاني المنتزعة قوانينه من تتبع أساليب البلغاء وملاحظة الاحوال المختلفة التي يتغير التعبير في كلامهم بحسبها ولذلك قالوا ان البلاغة هي موافقة الكلام لمقتضى الحال. ولكن هذه الاحوال لا تنضبط لانها تختلف باختلاف معارف المخاطبين بموضوع الخطاب وأذواقهم ومقاماتهم ولذلك كان الطريق الموصل الى تحصيل ملكة البلاغة هو كثرة مزاولة الكلام البليغ لتحصيل ذوق البلاغة لان القوانين التي وضعت للمعاني أقل غناء من القوانين التي وضعت للنحو وقد علمت ان قوانين النحو غير محيطة. وكتابا عبد القاهر أبين للقوانين،

وأعون على ذوق الاساليب ، ونذكر هنا عبارة كتبناها في خاتمة طبع كتاب دلائل الاعجاز الذي تم طبعه في هذا الشهر بينا فيها مكانته من كتب هذا الفن وهي :

أما الكتاب فيعرف مكانته من يعرف معنى البلاغة وسر تسمية هذا الفن بالمعاني واما من يجهل هذا السر ويحسب ان البلاغة صناعة لفظية محضة قوامها انتقاء الالفاظ الرقيقة، أو الكلمات الضخمة الغريبة. فمثل هذا يعالج بهذا الكتاب فان اهتدى به الى كون البلاغة ملكة روحية ، وأريحية نفسية ، رجي ان يبرأ من علته. ويقف على مكانة الكتاب ورتبته ، وان بقي على ضلاله القديم ، وجهله المقيم ، فاحكم باعضال دائه ، وتعذر شفائه ،

انما وضع الكلام لافادة المعاني والبلاغة فيه هي ان تبلغ به ما تريد من نفس المخاطب من اقناع وترغيب وترهيب وتشويق وتعجيب أو ادخال سرور أو حزن وغير ذلك. وكل هذه المقاصد أمور روحانية يتوصل اليها بالكلام. فمعرفة قوانين النحو والمعاني والبيان شرط فيها، ولكنها غير كافية للوصول اليها ، بل لابد من الهداية الى أسباب كون الكلام مؤثرا وايراد الشواهد والامثلة الكثيرة في المعنى الواحد والموازنة بين الكلامين يتفقان في المعنى ويختلفان في التأثير كقول المعبر الاول لذلك الملك الذي رأى في نومه انه فقد جميع أسنانه : ان جميع أهلك وذوي قرباك يهلكون : وقوله المعبر الثاني له : الملك يكون أطول أهله عمرا : وهذا المذهب هو الذي ذهب اليه الامام عبد القاهر في كتابيه (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) وقد خلف من بعده خلف جعلوا البلاغة صناعة لفظية محضة فقالوا : المسند يعرف لكذا وكذا وينكر لكذا وكذا : الخ ولم يبينوا السر في ذلك ولم يوازنوا بين مسند منكر عرفته البلاغة وآخر أنكرته وهو مثله ويبينوا السبب في ذلك ولم يعنوا بايراد الشواهد والامثلة والبحث في الفروق. وقد اختار أهل هذه الازمنة الاخيرة هذه الكتب المجدبة القاحلة . على مثل كتب عبد القاهر الخصبة الحافلة . لكثرة الحدود والرسوم والقواعد والمشاغبات في كتب المتأخرين فكان أثرها فيهم أن حرموا من البلاغة والفصاحة حتي ان أعلمهم بهذه الكتب وأكثرهم اشتغالا بها هو أعياهم وأعجزهم عن الاتيان بالكلام البليغ (بل والصحيح) قولا وكتابة . ولا غرو فقد قال أحد كبار مؤلفي هذه الكتب المشهورة ان بعض فحول هذا

الفن (البلاغة) ليسوا بلغاء ففصل بين البلاغة وعلمها وجعله غير مؤد اليها فلم يبق الا انه ابتدع ليتعبد به. ولولا ان قيض الله تعالى للعربية فى هذا العصر ابلغ البلغاء وافصح الفصحاء الاستاذ الامام الشيخ محمدا عبده فطفق يحيي كتب السلف النافعة وعلومها لكنا في يأس من حياة هذه اللغة الشريفة بعد ماقضى عليها حفظتها وأساتها. فسأل الله تعالى ان يمد في أيامه . ويكثر من انصاره وأعوانه. آمين اه

وقد صدر الكتاب بورق جيد وثمن النسخة منه ٢٠ قرشا صحيحا واجرة البريد قرشان وهو يطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

﴿ كتاب نهج البلاغة ﴾

قد طبع هذا الكتاب الجليل ، المستغني بشهرته عن التعريف ، طبعة جديدة مضبوطة بالشكل على نفقة الشيخ محمد سعيد الرافعي الكتبي وهي الطبعة الثالثة باذن شارحه الاستاذ الامام وقد طبع فى سوريا طبعة أخرى بغير حق . وتعدد الطبع آية على معرفة الناس بقدر الكتاب . ولا نرى وسيلة لتعريف غير العارف به الا تزيين المنار بخطبة الشارح حفظه الله تعالى فانها في أسلوبها ومعناها صورة مصغرة للكتاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله سياج النعم ، والصلاة على النبي وفاء الذمم ، واستمطار الرحمة على آله الاولياء ، وأصحابه الاصفياء ، عرفان الجميل ، وتذكار الدليل ، وبعد فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة بلا تعمل اصبته على تغير حال ، وتبلبل بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال ، فحسبته تسلية ، وحيلة للتخلية ، فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملا من عباراته ، من مواضع مختلفات ، وموضوعات متفرقات ، فكان يخيل لي فى كل مقام ان حروباً شبت ، وغارات شنت ، وان للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ، وان للاوهام عرامة(١) وللريب دعارة ، وان جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، فى عقود النظام ، وصفوف الانتظام ، تنافح (٢) بالصفيح الابلج ، والقويم الاملج ، وتمتلج المهج ، برواضع

(١) العرامة الشراسة . والدعارة سوء الخلق . والجحافل الجيوش والكتائب الفرق منها والذرابة حدة اللسان في فصاحة . والكلام تخييل حرب بين البلاغة وهاأنجات الشكوك والاوهام
(٢) تنافح تضارب أشد المضاربة والصفيح السيف والابلج اللامع البياض والقويم الرمح والاملج الاسمر وهى مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القويمة المبددة للوهم وان خفي مدركها وتمتلج أي تمتص والمهج دماء القلوب والمراد لاتبقي للاوهام شيئاً من مادة البقاء

الحجج ، فتفل (٣) من دعارة الوسواس ، وتصيب مقاتل الخوانس. فما انا الاوالحق منتصر ، والباطل منكسر ، ومرج (٤) الشك في خمود، وهرج الريب في ركود، وان مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة . هو حامل لوائها الغالب، امير المؤمنين علي بن ابي طالب،

بل كنت كلما انتقلت من موضع منه الى موضع احس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية. وتدنو من القلوب الصافية. توحي اليها رشادها، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزال ، الى جواد الفضل والكمال ،

وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة، وأرواح في اشباح النمور ، ومخالب النسور ، قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب ، فخلبت القلوب عن هواها. واخذت الخواطر دون مرماها، واغتالت فاسد الاهواء، وباطل الاراء،

واحيانا كنت أشهد ان عقلا نورانيا ، لا يشبه خلقا جسدانيا ، فصل عن الموكب الالهي ، وأتصل بالروح الانساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، وسما به الى الملكوت الاعلى ، ونما به الى مشهد النور الاجلى ، وسكن به الى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس ،

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ، ينادي باعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الامة، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الارتياب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب، ويرشدهم الى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة، ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير ،

ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم (نهج البلاغة) ولا أعلم اسما أليق بالدلالة على معناه من هـذا الاسم ، وليس في وسعي ان اصف هذا الكتاب بازيد مما دل عليه اسمه ولا ان آتي بشيء في بيان مزيتـه فوق ما اتى به صاحب الاختيار كما ستراه في مقدمة الكتاب، ولولا ان غرائز الجبلة. وقواضي الذمة ، تفرض علينا عرفان الجميـل لصاحبه ، وشكر المحسن على احسانه. لما احتجنا

(٣) فل الشيء ثلمه والقوم هزمهم. والخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء (٤) المرج الاضطراب والهرج هيجان الفتنة

الى التنبيه على ماأودع نهج البلاغة من فنون الفصاحة، وماخص به من وجوه البلاغة، خصوصا وهولم يترك غرضاًمن أغراض الكلام الااصابه، ولم يدع للفكر ممرا الاجابه، الا ان عبارات الكتاب لبعد عهدها منا، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا، قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية، وجزالة تركيب في غير تعقيد، فربماوقف فهم المطالع دون الوصول الى مفهومات بعض المفردات، او مضمونات بعض الجمل، وليس ذلك ضعفا فى اللفظ أو وهنا فى المعنى، وانما هو قصور فى ذهن المتناول

ومن ثم همت بي الرغبة ان أصحب المطالعة بالمراجعة، والمشارفة بالمكاشفة، واعلق على بعض مفرداته شرحا، وبعض جمله تفسيراً، وشيء من اشاراته تعييناً، واقفاً عند حد الحاجة مماقصدت، موجزاً في البيان مااستطعت، معتمداً فى ذلك على المشهور من كتب اللغةوالمعروف من صحيح الاخبار، ولم أتعرض لتعديل ماروي عن الامام فى مسألة الامامة أو تجريحه بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات الى اصول المذاهب المعلومة فيها، والاخبار المأثورة الشاهدة عليها، غير أني لم اتحاش عن تفسير العبارة، وتوضيح الاشارة، لا أريد فى وجهي هذا الا حفظ ما أذكر، وذكر ماأحفظ، تصونا من النسيان، وتحرزا من الحيدان، ولم أطلب من وجه الكتاب الا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولمن يطلع عليه من أهل اللسان العربي

وقد عني جماعة من أجلة العلماء بشرح الكتاب، واطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الاسرار، وكل يقصد تأييد مذهب، وتعضيد مشرب، غير انه لم يتيسر لي ولا واحد من شروحهم الاشذرات وجدتها منقولة عنهم فى بطون الكتب. فان وافقت احدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق وان كنت خالفتهم فالى صواب فيما أظن. على اني لا أعد تعليقي هذا شرحا في عداد الشروح. ولا أذكره كتابا بين الكتب، وانما هو طراز لنهج البلاغة وَعَلَمٌ تُوشّى به اطرافه.

وارجو ان يكون فيما وضعت من وجيز البيان. فائدة للشبان من أهل هذا الزمان، فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب، يتدافعون الى نيل الارب من لسان العرب، يبتغون لانفسهم سلائق عربية، وملكات لغوية، وكل يطاب لساناً خاطباً، وقلما كاتبا. لكنهم

يتوخون وسائل مايطلبون فى مطالعة المقامات، وكتب المراسلات . مما كتبه المولدون، او قلدهم فيه المتأخرون ، ولم يراعوا في تحريره الارقة الكلمات . وتوافق الجناسات، وانسجام السجعات، ومايشبه ذلك من المحسنات اللفظية، التي وسموها بالفنون البديعية؛ وان كانت العبارات خلواً من المعاني الجليلة ، او فاقدة الاساليب الرفيعة ،

على ان هذا النوع من الكلام بعض مافي اللسان العربي وليس كل مافيه. بل هذا النوع اذا انفرد يعد من أدنى طبقات القول وليس فى حلاه المنوطة بأواخر ألفاظه ما يرفعه الى درجة الوسط . فلو انهم عدلوا الى مدارسة ماجاء عن أهل اللسان خصوصا أهل الطبقة العليا منهم لاحرزوا من بغيتهم ما امتدت اليه أعناقهم ، واستعدت لقبوله اعراقهم ، وليس فى أهل هذه اللغة الا قائل بان كلام الامام عليّ بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه وأغزره مادة وارفعه أسلوبا وأجمعه لجلائل المعاني فاجدر بالطالبين لنفائس اللغة والطامعين في التدرج لمراقيها إن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم، وأفضل مأثورهم، مع تفهم معانيه في الاغراض التي جاءت لاجلها، وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها. ليصيبوا بذلك أفضل غاية، وينتهوا الى خير نهاية. وأسأل الله نجاح عملي وأعمالهم، وتحقيق أملي وآمالهم، اه

هذا وقد جعل ثمن النسخة من هذا طبعة المشكولة ١٥ قرشا وهو يطلب من طابعه

﴿ ثمرات الافكار ﴾

لمحمد افندى حمدي النشار الدمياطي احد كتاب محكمة الاسكندرية الاهليه شعر منسجم هام به فى كل واد، وارتقى به كل نجاد ، فاستغاث وناجى ، ومدح ورثى ، وتغزل ونسب ، ولم ينس باب الوعظ والادب ، فقد امتاز على أكثر شعراء العصر بانتقاد مافشا فيه من المفاسد والمثالب ، وما للمدنية الحاضرة من الفضائح والمعايب ، وقد طبع الجزء الثاني من ديوانه (ثمرات الافكار) فى هذا العام بمطبعة « المنار » وكان طبع الجزء الاول منه منذ عشرة أعوام واننا نورد نموذجا منه للقراء حتى اذا ما احب احد ان يطلع على باقيه طلب الديوان من صاحبه . قال فى بيان حالة أكثر الشبان والكهول فى هذه البلاد التي باعها الترف والسرف والفسق للاجانب بثمن بخس بل بثمن موهوم يسمونه كما قال (التمدن الجديد) :

﴿ التمدن الجديد ﴾

بين الندامى والمدامه | ضاع الحياء والاستقامه
وعلى الغواني والظبى | بعنا المروءة والكرامه
وعلى الجميلة والجميـ | ـل قد انقضى عهد الشهامه
وتسربت منا الدرا | هم في الفجور ولا ندامه
والدار بعناها لندر | ك وصل هند أو امامه
ونفائس الميراث قد | رهنت على ثمن المدامه
والدين ان كتب السدا | د له ففي يوم القيامه
(سبحان من قسم الحظو | ظ فلا عتاب ولا ملامه)
غيري بي استغنى وما | أبقيت من مالي قلامه
فسد الزمان وأهله | يارب نسألك السلامه
هذا تمدن معشر | جعلوا الفسوق له علامه
من كل مياس القوا | م له على الخدين شامه
يهتز أعجابا كما | هزت معاطفها الحمامه
واذا رأى أهل المعا | رف ظل يهزأ بالعمامه
يأتي الصباح ولم يدع | في غير زينته اهتمامه
ويطل في المرآة هل | في الحسن قد وفى نظامه
ويظل ينظر خلفه | حينا وآونة أمامه
وكأنما بلغ الوزا | رة والامارة والامامه
حتى اذا جاء المسا | والليل قد أرخى ظلامه
هجر الرقاد فعينه | بالغمض لم تعرف منامه
متناولا كأس الحميا جامة من بعد جامه
فاذا أضاع رشاده | وغدا ولم يحسن كلامه
ألوى العنان الى ذوا | ت الحسن كي يشفي هيامه
وأعاد كرة سكره الـ | أولى وسماها (انسجامه)

فسحرنه وسابن ما أبقت يداه بابتسامه
ودعون مركبة لتحـ ـمله وقلن (مع السلامه)
فأتى الى الدار التي وأبيك ماذاقت طعامه
هو يبذل العشرات كي يرضى هواه أو غرامه
وهي التي تبكي لفا قتها بدمع كالغمامه
فاستقبلته بما يليـ ـق من التحية والكرامه
صفعت قفاه وأتبعت بالصفع خديه وهامه
ولربما طرحته خلـ ـف الباب لاترعي ذمامه
فاذا استفاق معاتبا وعلى الهوان رأى مقامه
قالت له اعذرني فمن غرس القبيح جنى الندامه
يستوجب الاذلال من لم يتبع طرق السلامه

﴿ قلائد الذهب ، في شرح أطواق الذهب ﴾

كتب الشيخ محمود بن عمر الزمخشري الشهير مئة مقالة في الحكم والمواعظ سماها (أطواق الذهب) وقد تنكب فى كتابتها طريقته المثلي فى الكتابة ونحا فيها منحى الحريري فى مقاماته فى التسجيع والتجنيس . ولا زراية على الزمخشري بهذا النحو من القول فانه كان فى عصره فنا من فنون الأدب وصنعة من صناعات القول يتقنها مثله ومثل الحريري من أئمة اللغة . ولم يرد الزمخشري بهذه الحكم المنثورة ، ولا الحريري بتلك المقامات المأثورة ، ان يسنا لكتاب العربية سنة جديدة يتبعونها ، ويرغبون عن الكلام المرسل العفو اليها . وانما كان لهما فيما يظهر لي غرضان أحدها الاحتيال بهذا الوضع الطريف على توجيه النفوس الى مافيه من الحكم والمثلات ، وثانيهما جمع طائفة من فرائد اللغة فى المفردات ، ومحاسن الجمل فى المجاز والكنايات ، تزيد الناظر سعة في العربية ، وقدرة على صوغ الجمل المجازية ،

وقد شرح أطواق الذهب وفسر مفرداته غير واحد وطبع في هذا العام شرح منها للميرزا يوسف خان ابن اعتصام الملك الأشتياني ، قال فيه انه « أجمع واكفى من الشروح والتعاليق التي علقت على تلك المقالات الى الآن » وقد أضاف الى تفسير

الكلمات ما يضاهي المقالة من رسالة (أطباق الذهب) للشيخ عبدالمؤمن الاصفهاني فانه تلا فيها تلو الزمخشري واحتذاه كما ترى فى هذا المثال. قال الزمخشري في (المقالة ٥٨) « موسر يشح بالنوال ، ومعسر يلح فى السؤال ، اذا التقيا فجندلتان تصطكان، وجدلتان من الضرائر تحتكان ، هذا كز شحيح غير معوان ، وله في وجه الصعلوك فحيح أفعوان ، وذاك ملح ملحف ، محف مجحف ، وهذا يقول هات ، وهو يجيبه هيهات ، له دق بالوجنتين ، دق القصار بالمجيدين (الميجنة مدقة القصار) إن منح تبشبش وتطلق ، وتبصبص وتملق ، وان منع أخذ بالخانيق ، ورمى بالمجانيق ، »

وقال صاحب أطباق الذهب : « من شدائد الدنيا غني عابس ، يلقاه فقير بائس ، يطرقه حافيا ، ويسأله محفيا ، يستميح شحيحا لا يفتح الباب لضيفانه ، ولا يكسر حواشي رغفانه ، فيرجع خاسراً ، وينقلب باسرا ، حتى اذا فجأه فى طريق ، ولقيه في مضيق ، فيأخذ بعنانه ، طمعا في احسانه ، والبخيل يحمر ويصفر ، ويفر وأين المفر ، هناك يصدم الاشدان، ويزدحم الضدان ، فهما كصخر قرعه حديد ، وقيح كدره الصديد ، ونفس يعلوه زاج ، وحميم يشوبه أجاج ، ودخان يتلوه عجاج » اه وفي المقالات ما هو أظهر في السرقة من هذه

أهدي الينا الكتاب المطبوع منذ أشهر ولم نفرغ لتصفح شيء من الشرح ولكننا في النظرة السطحية انتقدنا عدم ضبط الكلمات عند تفسيرها وان كانت قد ضبطت مقالات الزمخشري بالشكل الكامل. وقد طبع فى (مطبعة التمدن) على ورق جيد وهو يطلب منها

﴿ الطرائف ﴾

جريدة أسبوعية جديدة انشأها فى القاهرة رشيد أفندي المصوبع الشاعر السوري الذي سبق لنا تقريظ ديوانه وقد عرفنا هذا الشاب مغرما بالادبيات هائما في أودية الشعر فلا شك في ان سيكون لجريدته الحظ الوافر من المباحث الادبية التي هي أنفع من خوض أكثر الجرائد فى هذر السياسة التي لا نكاد نجد في القنطار منها درهما من الفائدة . وقد افتتح الكاتب جريدته بمقدمة قال فيها : « أقدمت على انشاء هذه الجريدة وأنا عالم كل العلم بما صارت اليه بضاعة الأدب من الكساد ، وما زاد من الجرائد على حاجة البلاد ، » وهذه الدعوى قديمة وكم قالها الذين من قبله في عصور كانت خيرا

فسحرنه وسابن ما أبقت يداه بابتسامه
ودعون مركبة لتحمله وقلن (مع السلامه)
فأتى الى الدار التي وأبيك ماذاقت طعامه
هو يبذل العشرات كي يرضى هواه أو غرامه
وهي التي تبكي لفاقتها بدمع كالغمامه
فاستقبلته بما يليق من التحية والكرامه
صفعت قفاه وأتبعت بالصفع خديه وهامه
ولربما طرحته خلف الباب لاترعي ذمامه
فاذا استفاق معاتبا وعلى الهوان رأى مقامه
قالت له اعذرني فمن غرس القبيح جنى الندامه
يستوجب الاذلال من لم يتبع طرق السلامه

﴿ قلائد الذهب ، في شرح أطواق الذهب ﴾

كتب الشيخ محمود بن عمر الزمخشري الشهير مئة مقالة في الحكم والمواعظ سماها (أطواق الذهب) وقد تنكب في كتابتها طريقته المثلى في الكتابة وتحافيها منحى الحريري في مقاماته في التسجيع والتجنيس . ولا زراية على الزمخشري بهذا النحو من القول فانه كان في عصره فنا من فنون الأدب وصنعة من صناعات القول يتقنها مثله ومثل الحريري من أئمة اللغة . ولم يرد الزمخشري بهذه الحكم المنثورة ، ولا الحريري بتلك المقامات المأثورة ، ان يسنا لكتاب العربية سنة جديدة يتبعونها ، ويرغبون عن الكلام المرسل العفو اليها . وانما كان لهما فيما يظهر لي غرضان أحدهما الاحتيال بهذا الوضع الطريف على توجيه النفوس الى مافيه من الحكم والمثلات ، وثانيهما جمع طائفة من فرائد اللغه في المفردات ، ومحاسن الجمل في المجاز والكنايات ، تزيد الناظر سعة في العربية ، وقدرة على صوغ الجمل المجازية .

وقد شرح أطواق الذهب وفسر مفرداته غير واحد وطبع في هذا العام شرح منها لميرزا يوسف خان ابن اعتصام الملك الأشتياني ، قال فيه انه « أجمع وأكفى من الشروح والتعاليق التي علقت على تلك المقالات الى الآن » وقد أضاف الى تفسير

الكلمات ما يضاهي المقالة من رسالة (أطباق الذهب) للشيخ عبد المؤمن الاصفهاني فانه تلا فيها تلو الزمخشري واحتذاه كما ترى فى هذا المثال . قال الزمخشري في (المقالة ٥٨)

« موسر يشح بالنوال ، ومعسر يلح فى السؤال ، اذا التقيا فجندلتان تصطكان، وجدلتان من الضرائر تحتكان ، هذا كزّ شحيح غير معوان ، له في وجه الصعلوك فحيح أفعوان ، وذاك ملح ملحف ، مخف مجحف ، وهذا يقول هات ، وهو يجيبه هيهات ، له دق بالوجنتين ، دق القصار بالمجنتين (الميجنة مدقة القصار) إن منح تبشبش وتطلق ، وتبصبص وتملق ، وان منع أخذ بالمخانيق ، ورمى بالمجانيق . »

وقال صاحب أطباق الذهب : « من شدائد الدنيا غني عابس ، يلقاه فقير بائس ، يطرقه حافيا ، ويسأله محفيا ، يستميح شحيحا لايفتح الباب لضيفانه ، ولا يكسر حواشي رغفانه ، فيرجع خاسراً ، وينقلب باسرا ، حتى اذا فجأه فى طريق ، ولقيه في مضيق ، فيأخذ بعنانه ، طمعا في احسانه ، والبخيل يحمر ويصفر ، ويفر وأين المفر ، هناك يصدم الاشدان، ويزدحم الضدان ، فهما كصخر قرعه حديد ، وقبيح كدره الصديد ، ونفس يعلوه زاج ، وحميم يشوبه أجاج ، ودخان يتلوه عجاج » اهـ وفي المقالات ما هو أظهر في السرقة من هذه

أهدي الينا الكتاب المطبوع منذ أشهر ولم نفرغ لتصفح شيء من الشرح ولكننا في النظرة السطحية انتقدنا عدم ضبط الكلمات عند تفسيرها وان كانت قد ضبطت مقالات الزمخشري بالشكل الكامل . وقد طبع فى (مطبعة التمدن) على ورق جيد وهو يطلب منها

﴿ الطرائف ﴾

جريدة أسبوعية جديدة انشأها في القاهرة رشيد أفندي المصوبع الشاعر السوري الذي سبق لنا تقريظ ديوانه وقد عرفنا هذا الشاب مغرما بالادبيات هائما في أودية الشعر فلا شك في ان سيكون لجريدته الحظ الوافر من المباحث الادبية التي هي أنفع من خوض أكثر الجرائد فى هذر السياسة التي لا نكاد نجد في القنطار منه درهما من الفائدة . وقد افتتح الكاتب جريدته بمقدمة قال فيها : « أقدمت على انشاء هذه الجريدة وأنا عالم كل العلم بما صارت اليه بضاعة الأدب من الكساد ، وما زاد من الجرائد على حاجة البلاد ، » وهذه الدعوى قديمة وكم قالها الذين من قبله في عصور كانت خيرا

من العصور التي قبلها كان هذا العصر خيرمما قبله في رواج الادب وانتشار الجرائد والاقبال عليها وان كان دون ماينبغي ويطلب . أما قيمة الاشتراك في الطرائف فثمانون قرشا في القطر المصري وجنيه انكليزي في سائر الاقطار . فنتمنى لرصيفنا الجديد النجاح ولجريدته حسن الانتشار.

باب الأخبار والآراء

﴿ الاسلام والمسلمون ﴾

نشر في جريدة (ناسيونال زيتونغ) الألمانية مقالة في الانتقاد على الاسلام والمسلمين دلت على جهل من كاتبها بالأديان والتاريخ أو تجاهل حمل عليه التعصب الشديد وقد عربت جريدة مصرية هذه المقالة وردت عليها ردا لم يفند جميع المسائل والتهم الباطلة التي افتجرها الألماني فرأينا ان نخلص هذه المسائل ونفندها واحدة واحدة لاسيما بعد انتشارها باللغة العربية. وانا نشكر لهذه الجريدة تعريبها على ضعف شبهات كاتبها والرد عليها على مافيه من التقصير، لانها قامت بمافي وسعها، وعملت بنصيحة كنا نصحنا لها بها في أول ظهورها وهاك ملخص مطاعن الالماني مع الرد السديد :

(١) افتتح الالماني كلامه بذكر الثورة المكدونية واهتمام أوربا بها واعترف بأن الدولة العثمانية راغبة في إخمادها وتحسين حال المسيحيين بحسن نية. واعترف بأن الثوار المسيحيين هم الذين يحولون دون الاصلاح. وهذا الاعتراف اثبات لسوء قصدهم ولبعد المسيحي عن الخضوع لحاكمه والامتزاج بغيره وبأن حكومة الترك الاسلامية التي تصفها أوربا بالجور والظلم والتي هي في الواقع ونفس الامر دون حكومة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم لاسيما في هذا العصر تحب رعاياها الذين من غير دينها وترغب في اصلاح حالهم وهذا يتضمن ان تأثير الاسلام في أهله أحسن تأثير فما كان ينبغي لصاحب الجريدة المصرية ان يعجب من ألماني يكتب هذه الكتابة ويبني عجبه على مااشتهر من صداقة عاهل ألمانيا لسلطان تركيا فان هذا الكلام لاينافي الصداقة. ولا يطالب الكاتب بأن لايكتب الا مايوافق هوى أميره وسلطانه

(٢) وصل الالماني اعترافه المذكور بقوله: ان المكدونيين والبلغاريين يحولون دون إجراء أي إصلاح كما ان الاسلام ظهر فى كل زمان بمظهر المعادي للمدنية المسيحية الأوربية وسيبقى كذلك على الدوام: ونقول ان الاسلام ظهر في زمان كانت المسيحية فيه قد دمرت مدنية المصريين واليونانيين فشيد الاسلام ماهدمته المسيحية وأحيا المدنية بعد موتها كما شرحنا ذلك فى مقالات سابقة وبعد أن أدخل المدنية في أوربا عن طريق الأندلس كافأته على فضله بمحاربتها إياه واجتهادها في إبادته. ان الاسلام قاوم همجية المسيحيين فى القرون المتوسطة التي يسمونها القرون المظلمة ولكنه أوغل فيها برفق فانه دخل بلاد الأندلس وقد تمزق شملها بالظلم واستعباد الأحرار، فجعلها بالعلم والعدل جنات تجري من تحتها الانهار، ولما قوي ساعد أهلها بما منحهم الاسلام من الحرية لم يرضوا من مكافأة المسلمين الا بإبادتهم من تلك البلاد. فأين المدنية المسيحية التي قامت هناك مقام مدنية الاسلام؟ أليست حال تلك البلاد الى اليوم شرا مما كانت عليه مع ان الرقي طبيعي فى الانسان؟

(٣) زعم الالماني ان دين محمد لايقصد ادخال الناس في عقيدته كدين بوذا وموسى وعيسى ولكنه يحاول إخضاع الشعوب وابادتها. وهذا غلو منه في الجهل أو التجاهل الذي هو افضح من الجهل فان البوذيين لايدعون الى دينهم ولا يحاولون تعميمه وكذلك اليهود دينهم خاص بشعب إسرائيل لايتعداه ولذلك لم ينم عدد هذه الامة القديمة. وأما النصارى فان نبيهم عيسى لم يكن الا مصلحاً في الديانة الموسوية وقد أكد ذلك بصيغة الحصر إذ قال « لم أرسل الا الى خراف إسرائيل الضالة »، واما ماينقلونه عنه من انه قال لتلامذته « اكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها » فيجب تخصيص الخليقة فيه بشعب إسرائيل ليتفق القولان. فلم يبق دين تدل نصوص كتابه على كونه عاما للناس كلهم الا دين محمد عليه الصلاة والسلام فان كتابه يقول « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وقد بعث وحده فقام دينه بالدعوة وانتشر بالدعوة ولم يكن ما كان من الجهاد في آخر عهده الا لحماية الدعوة من المعتدين. طالب الناس بالدخول فى دينه ليصلح فسادهم. والشعوب التي خضعت لاصحاب هذا الدين لم تر أرفق من حكامه، ولا أعدل من أحكامه، كما اعترف بهذا بعض علماء أوربا. وانه ليوجد في بلاد الاسلام

من الملل والنحل ما لا يوجد في بلاد اخرى وكلهم حافظون لعقائدهم وتقاليدهم ومعابدهم ومعاهدهم . ولم توجد في الارض أمة عملت ولا تزال تعمل لابادة من يخالفها الا الذين قالوا انا نصارى من أهل أوربا فقد أبادوا الوثنيين من أوربا كلها ثم أبادوا المسلمين واليهود من غربي أوربا وهم الآن يحاولون أبادتهم من شرقيها ولذلك لايقبلون من الترك إصلاحا مهما حسنت النية فيه لان الترك مسلمون تجب في رأيهم ابادتهم من أرض سبقهم اليها المسيحيون فهم يتعاهدون على ما بينهم من الضغائن والأحقاد على نزع سلطة المسلمين من بلاد أوربا كما اعتدوا عليهم في آسية وأفريقية بل كان كل أهل مذهب من مذاهب النصرانية يسعى في إبادة أهل المذهب الآخر وهذا لم يعرف في غير نصارى تلك البلاد

(٤) قال الالماني : ان الاسلام سلاح بيد أمة حربية لفتح بلاد العالم : ونقول نعم ان الاسلام أقوى سلاح للفتح وهل يعد هذا الالماني وقومه القوة الحربية ضعة ورذيلة؟ أنى وتلك شهادة على أمته بأنها في الدرك الاسفل من المهانة والضعة لانها في الدرج الاعلى من القوة الحربية . نعم ان بين قوة الاسلام وفتوحاته وقوة الألمان في فتوحاتهم فصلا واسعا وهو ان الاسلام كان يقصد بالفتح هداية الامم الى الحق الذي تسعد به في الدنيا والآخرة وذلك بأن يريها عدله في الاحكام وفضل متبعيه في الاخلاق وقوة يقينهم في الايمان فيرغب فيه عقلاؤها ويدخلون فيه بالاقناع والاذعان . لا كما دخل وثنيو أوربا في النصرانية بالسيوف والنيران ، وأما قصد ألمانيا وسائر أمم أوربا من الفتح فهو التمتع الحيواني بخيرات البلاد التي يفتحونها وتسخير أهلها في خدمة شهواتهم وجمع المال لهم ولم توجد بلاد في آسية ولا أفريقية فتحها الأوربيون ثم كانت في ظل سلطهم متمتعة بالعدل والحرية في الدين والدنيا كما كانت في عهد فاتحي العرب الأولين . فهذه انكلترا أقرب أوربا الى العدل والحرية تفضل الصعلوك من الانكليز في الهند على الأمير المسلم أو الوثني الهندي وقد ساوى عمر بن الخطاب بين صعلوك قبطي وبين ابن عمرو بن العاصي فاتح مصر وحاكمها في عهده وأقاده منه . . . نعم ان الاسلام قد تحولت سلطته الديمقراطية المعتدلة المقيدة بالشورى ورأي أهل الرأي من الأمة الى سلطة فردية مطلقة بما صار لأمرائه من العصبية التي مكنتهم من جعل السلطة وراثة في

عقبهم فافسدوا فيه وجعلوا الفتح من متممات شهواتهم ولكن هذا مرض عرض للمسلمين لا الاسلام وقد انتقم الله تعالى منهم بتسليط أوربا عليهم تسومهم سوء العذاب ومتى بلغ الانتقام حده يرجع المسلمون الى أصول دينهم ويقيمون لانفسهم سلطة إسلامية صحيحة تتكون بها المدنية الفاضلة الصحيحة التي يسعد بها العالم الانساني . ولا يخفى على من استيقظ من المسلمين ان أوربا تجتهد في محو السلطة المنسوبة للاسلام من الأرض وانها تتوهم أن هذا المحو لا يعقبه اثبات ولكنهم يعتقدون ان هذا المحو هو الذي يكون سبب الاثبات فان السلطة الحقة المنتظرة لا تكون الا اذا استيقظ أكثر المسلمين من هذا النوم المستغرق ولا يقاظهم هذا صوتان أحدهما صوت العلم وهذا لا يمتد الا بالتدريج الطويل وثانيهما صوت انقضاض آخر ركن من أركان سلطتهم المدعثرة وما هو الاصيحة واحدة فاذا هم قيام ينظرون . فلتعلم أوربا ان محافظتها على السلطة العثمانية وإبقائها واهنة هو الذي يسهل لها التمتع بخيرات بلاد المسلمين دون سواه لان حكام المسلمين عودوا المسلمين منذ قرون طويلة على الاعتماد عليهم وإلقاء المقاليد لهم فاذا رجعوا بعد اليأس من حكامهم أو زوالهم الى قوة الاسلام نفسه فان بأس ثلاث مئة مليون من الاسود الباسلة يعتمدون على الله وعلى ما وهبهم من القوة على دفع الضيم لا يكون أثره في الارض قليلا

(٥) قال الالماني بعد ما ذكر من قوة الاسلام ما ذكر : ان القوة التي ساد بها في آسية وافريقية ستكون مصدر مصائبه فانه ينقصه ما في الديانات الاخرى من قبول الاصول والقواعد (وفي الاصل المبادئ) التي عند غير أهله وعدم الاعتداء على الامم التي لا تدين به : ونقول ان القوة التي ساد بها الاسلام أيام كان إسلاما هي قوة الحق والعدل وما جاءته المصائب وأحاطت به النوائب الا بعد ان حولت سلطته التي تقيم هذين الركنين الى سلطة استبدادية تعبث بها كما قلنا آنفا فالقوة الفاتحة قد زالت من زمن طويل والسلطة السائدة الى هذا العصر انما بقيت سيادتها بقاعدة الاستمرار فانها لم يكن لها مقاوم يزيل استبدادها اللهم الا ما كان من المبادلة بين المستبدين في بعض الاحيان . ونحن على علم بأن هذا الاستبداد لا يدوم واذ لم يزله المسلمون لاستعباد الملوك والامراء لهم فهذه اوربا تزيله بالتدريج .

أما زعمه بأن مصدر مصائب الاسلام ستكون من أصلين فيه أحدهما ان المسلمين لايقبلون اقتباس ماعند الامم الاخرى وثانيهما انهم لايكفون عن الاعتداء عليها فهو زعم باطل مبني على الجهل الفاضح ، أو التعصب الواضح ، ذلك ان الإسلام يرشد المسلمين الى أن يأخذوا الحكمة أنى وجدوها وينهاهم عن الاعتداء على من لم يعتد عليهم قال الله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » وقال عز وجل « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم واتقوا الله » أي لاتزيدوا على مقابلته بمثل اعتدائه . فان أراد بعدم قبول الاسلام أصولا زائدة عليه الاصول الدينية لاالمعاشية فهذا صحيح وهو مصدر قوته ولكن المسلمين لم يقصروا فى مخالفته في هذا الحكم فأخذوا عن النصارى والوثنيين كثيراً من البدع والتقاليد وصبغوها بصبغة إسلامية وهي التي كانت سبب ضعفهم في دينهم الذي هو أمضى سلاح بأيديهم كما قال وحكمت غيرهم فيهم فالامر على ضد مازعم

(٦) قال الألماني: امتاز الاسلام بفتوحات سريعة قاسية تدل على شهامة العرب والترك وتعصبهما وخضوعهما للأقدار وكان لهذه الفتوحات تأثير فى أوربا فقد استمر حكم العرب فى الجنوب الغربي منها (اسبانيا أو الاندلس) سبعة قرون وحكم الترك فى الجنوب الشرقي ستة قرون ولم يستطع الترك ولا العرب إيجاد رابطة بينهم وبين الامم التي أخضعوها :

ونقول ان التاريخ لم يعرف أرفق وألين من فاتحي المسلمين حتى قال أحد فلاسفة الافرنج فيهم وفي دينهم: « ان شعوب الارض لم ترقط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد » : (راجع ص ١٠٥ من كتاب الاسلام والنصرانية) . اخطأ فى نسبة القسوة الى المسلمين في فتوحاتهم وأصاب فى وصفها بالسرعة ووصفهم بالشهامة والخضوع للاقدار ولكن مع العمل والاخذ بالاسباب التي لايجوز التوكل والاعتماد على القدر عندنا الا بعد استيفائها . ومن البلاء ان هذه المزية العظيمة قد ضعفت بعض الضعف فى المسلمين ببدعة الجبر التي فشت فيهم وروجها لابسو مرقعات الصوف من مدعي الصلاح ومن الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ومع هذا كله لا يزال المسلمون فى مجموعهم أشجع الشعوب وأشدها شهامة وسيهتدون الى أن التوكل يشترط فيه الاستعداد فاذا استعدوا كما يجب يعود اليهم بفضل الله تعالى مافقد منهم

وأما زعمه : انه لم يستطع العرب ولا الترك إيجاد رابطة بينهم وبين الامم التي أخضعوها : فهو زعم باطل على إطلاقه فان العرب قد حولوا لغات الامم التي فتحوا بلادها الى لغتهم بدون إلزام ولا قهر ولا مدارس سياسية كما يفعل الافرنج وهذه قدرة على عمل عجزت عنه الدول الاوربية والرومانية قبلها ورابطة اللغة من أقوى الروابط بين الامم . هذا هو أثرهم فيمن بقي محافظا على دينه في البلاد التي فتحوها والكاتب يعلم ان أكثر الشعوب التي استولت عليها العرب قد دخلت في دينهم فالمجوسية نسخت من بلاد الفرس والنصرانية قل أتباعها في مصر وسوريا ولم يكن ذلك بقهر ولا اكراه بل كان المسلمون يدخلون البلد ثم يتركونها لأهلها ويقيمون فيها حامية قليلة تدافع عنها من يعتدي على أهلها ان كان هناك خوف وتقر الناس على دينهم وعاداتهم وتجعل أكثر العمال منهم ولكنهم كانوا يجذبون الشرذمة التي تكون عندهم بجاذبية الحق والعدل والفضيلة فيها فيتبعونها في الدين واللغة عن رغبة واختيار . اما الترك فقد عجزوا عن مثل ذلك لان سهمهم من الاسلام وأركانه الثلاث كان دون سهم العرب ، وما كان للأعجمي المقلد ان يفهم من الكتاب والسنة مايفهمه العربي المجتهد لاسيما بعد ظهور البدع . ومع هذا كله كان الترك أكثر رفقا بالشعوب التي يفتحون بلادها من سائر الفاتحين وقول الفيلسوف السابق يشملهم (للردبقية)

﴿الامر الصغير الكبير﴾

لقد ضقت ذرعا من أمر صغير ، ولكنه على صغره كبير ، فهو كالبعوض او كالبق يضجر منه الكمي الباسل ، ويضيق عنه حلم الحكيم الفاضل ، ذلك الامر الذي أعياني علاجه ، وعمي على طريقه ومنهاجه ، هو إفهام الكثيرين من قراء المنار ان إدارة المجلة لاترسل لاحد مايطلبه من الاجزاء المفقودة الا اذا أرسل مع الطلب قيمة كل جزء قرشان ونصف قرش (٢٥ مليما) لايستثنى هذا الحكم أحد ولايقبل تأجيل الثمن ليرسل مع قيمة الاشتراك وانما يستثنى طلب آخر جزء اذا علم بصدوره المشترك ولم يصل اليه وكذلك الجزء الذي قبل الاخير بهذا الشرط

كتبنا هذا غير مرة وجعلنا له (اعلانا) ثابتا في غلاف المجلة وكل هذا لم يغن شيئا فان الرسائل تتبع الرسائل من المشتركين في كل بلد هذا يطلب جزءاً وهذا يطلب أجزاء وهذا يقول ان المجلة لم ترسل اليه منذ شهر أو شهور وذلك يعترف بأن العدد قد فقد بعد وصوله ويطلب ان يرسل اليه مرة ثانية من باب الكرم والتفضل وذاك يعد بأنه سيرسل ثمن مايطلبه أو سوف يرسله مع قيمة الاشتراك « ان شئنا »

ولكن الذي نشاءه ونكرر طلبه وهو ان ترسل قيمة الجزء أو الاجزاء المطلوبة سلفا فلا يكاد يوجد واحد في المئة يقوم به

إننا لم نفرض هذا الثمن طمعاً بالكسب فان مئة جزء ثمنها مئتان وخمسون قرشاً ليست من مواضع الطمع في الكسب بل هي لاتنافي الخسارة فان الجزء الواحد يرسل الى المشترك مرة ثانية قد نخسر به مجموعة سنة كاملة فهل السماح بخمسين قرشا في مقابلة قرشين ونصف قرش يعد من الطمع وحب الكسب ؟ كلا إن الحرص على الكسب كان يجب ان يقضي علينا بأن لانسمح لاحد بشيء من الاجزاء التي يفقدها وله ان يرضى بتجليد مجموعة السنة ناقصة وان يشتري مجموعة كاملة بخمسين قرشا

انما فرضنا للأجزاء المفقودة ثمنا لعلمنا بأن الاكثرين يستثقلونه على قلته فيحملهم ذلك على الحرص على الاجزاء ان تضيع . ولا أقول ان استثقال الاكثرين له من البخل والشح بل أقول ان منهم من يعده مخالفا للذوق ومنهم من يستثقله لغير ذلك من الاسباب وقليل في المصريين من يحرص عن القرش أو القروش فيما يوافق ذوقه ومشربه

اننا لانشك في أن أكثر طلاب الاجزاء يطلبون ثانيا ما أرسل اليهم أولا وفقد من عندهم بعد رؤيته أو قبلها فاننا قد علمنا بالبحث والاختبار ان بعض المشتركين لهم أصحاب حريصون على قراءة المنار يتناولون الجزء قبل ان يصل الى يد صاحبه ولذلك نرى الاكثرين تمر عليهم السنون ولا يدعي أحد منهم انه فقد جزءا واحدا. وقد يكون سبب فقد الاجزاء انتقال المشترك من بلد الى آخر من غير ان يخبر ادارة المجلة بذلك لتغير عنوانه. ومما لاحظناه بالتجربة أن أكثر المماطلين بدفع قيمة الاشتراك يدعون ان المجلة لا تصل اليهم بالاطراد وأنه ينقصهم أجزاء منها وقلما نجد أحدا من الذين عرفناهم بحسن المعاملة يدعي هذه الدعوى. هذا واننا لانبرئ ادارة البريد من بعض الاهمال ولا نبرئ ادارة المجلة من السهو في بعض الاحيان ولكن السبب الحقيقي في كثرة الطلب هي ما قدمنا. واذا طالت الحال بعد كتابة هذه الجملة التي كتبناها كارهين كما كانت قبلها فاننا نضطر الى منع بيع الأجزاء للمشتركين كما اننا لا نبيعها من سواهم ونعرفهم بأننا لانقبل طلبا الا ممن يدعي ان الجزء الاخير لم يصل اليه أو ما قبل الاخير بشرطه السابق

ومن العجائب ان الذي كان يتولى تجهيز المنار وإرساله الى البريد في العام الماضي وأوائل هذا العام كان يرسل الى نحو خمسين مشتركا نسختين من كل جزء ولم يسمح احد منهم بارجاع الزائد الى الادارة الا اثنان منهم وأكثرهم لم يدفعوا قيمة الاشتراك فنسألهم بالذمة والامانة ان يردوا الزائد عن حقهم الينا ولهم الشكر منا والسلام

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الجمعة غرة رمضان سنة ١٣٢١ — ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ ، كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ *

قوله تعالى «وقالوا» عطف على قوله «ودّ كثير من أهل الكتاب» أي قالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان هودا : وقالت النصارى كذلك في أنفسهم وهو اختصار بديع غير مخل . وهذه عقيدة الفريقين الى

اليوم ولا ينافي انسحاب حكمها على الآخرين أن نفرا من الاولين قالوا ذلك بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام كما يروى . والأماني جمع أمنية وهي يتمناه المرء ولا يدركه . وهذا القول ناطق بأمنية واحدة ولكنها تتضمن أماني متعددة هي لوازم لها كنجاتهم من العذاب وكوقوع أعدائهم فيه وحرمانهم من النعيم ولهذا ذكر الاماني بالجمع ولم يقل تلك أمنيتهم . وقد انفرد بهذا الوجه الاستاذ الامام وهناك وجوه أخرى وهي أن الاشارة بتلك أمانيهم لقوله «ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب» الآية وقوله «ود كثير» وقوله « وقالوا لن يدخل الجنة » وقيل ان فى الكلام مضافا محذوفا أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم.

ثم طالبهم تعالى بالبرهان على دعواهم فقرر لنا قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية وهي أنه لا يقبل من أحد قول لا دليل عليه، ولا يحكم لاحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها ، ذلك أن الامم التي خوطبت بالكتب السالفة لم تكن مستعدة لاستقلال الفكر ومعرفة الأمور بأدلتها وبراهينها ولذلك اكتفي منها بتقليد الانبياء فيما يبلغونه وان لم يعرفوا برهانه فهم مكلفون بأن يفعلوا ما يؤمرون سواء عرفوا لماذا أمروا أم لم يعرفوا ولكن القرآن يخاطب من أنزل عليه بمثل قوله « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » وقد فسروا البصيرة بالحجة الواضحة ويستدل على قدرة الله وارادته وعلمه وحكمته ووحدانيته بالآيات الكونية وهي كثيرة جدا فى القرآن وبالادلة النظرية والعقلية كقوله « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وغير ذلك ويستدل على الاحكام بما يترتب عليها من نفي المضرات والافضاء الى المنافع

علم القرآن أهله بأن يطالبوا الناس بالحجة ، لانه أقامهم على سواء

الحجة ، وجدير بصاحب اليقين ان يطالب خصمه به ويدعوه اليه . وعلى هذا درج سلف هذه الأمة الصالح قالوا بالدليل وطالبوا بالدليل ونهوا عن الاخذ بشيء من غير دليل ، ثم جاء الخلف الطالح فحكم بالتقليد، وأمر بالتقليد ، ونهي عن الاستدلال على غير صحة التقليد ، حتى كأن الاسلام خرج عن حده ، أو انقلب الى ضده ، فقد صار الذين يقولون ان الاسلام امتاز عن سائر الاديان بابطال التقليد ، وبالمطالبة بالبرهان والدليل ، وعلم الناس استقلال الفكر ، مع المشاورة في الأمر، يطالبون المسلمين بالرجوع الى الدليل ، ويعيبون عليهم الأخذ بقال وقيل ، وياليته كان الأخذ بقال الله ، وقيل فيما يروى عن رسول الله ، ولكنه الاخذ بقال فلان ، وقيل عن علان ، « إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله من سلطان »

قال تعالى ردّاً عليهم «بلى» وهي كلمة تذكر في الجواب لاثبات نفي سابق فهي مبطلة لقولهم «لن يدخل الجنة» الخ أي بلى انه يدخلها من لم يكن هودا ولا نصارى لأن رحمة الله ليست خاصة بشعب دون شعب وانما هي مبذولة لكل من يطلبها ويعمل لها عملها وهو ما بينه سبحانه وتعالى بقوله « من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه » وإسلام الوجه لله هو التوجه اليه وحده وتخصيصه بالعبادة دون سواه كما أشار الى ذلك فى قوله «إياك نعبد وإياك نستعين» وغيرها من الآيات . وقد عبر هنا عن إسلام القلب وصحة القصد الى الشيء باسلام الوجه كما عبر عنه بتوجيه الوجه فى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض» لأن قاصد الشيء يقبل عليه بوجهه لا يوليه دبره فلما كان توجيه الوجه الى

الشيء له جهة تابعاً لقصده واشتغال القلب به عبر عنه به وجعل التوجه بالوجه الى جهة مخصوصة (القبلة) بأمر الله مذكرا باقبال القلب على الله الذي لاتحدده الجهات فالانسان يتضرع ويسجد لله تعالى بوجهه وعلى الوجه يظهر أثر الخشوع. وظاهر ان المراد من اسلام الوجه لله توحيده بالعبادة والاخلاص له فى العمل بأن لايجعل العبد بينه وبينه وسطاء يقربونه اليه زلفى فانه أقرب اليه من حبل الوريد. ومن هنا يفهم معنى الاسلام الذي يكون به المرء مسلما

ذكر التوحيد والايمان الخالص ولم يحمل عليه الوعد بالاجر عند الله تعالى واستحقاق الكرامة في دار المقامة الا بعد أن تيده باحسان العمل فقال « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه » وتلك سنة القرآن تقرن الايمان بعمل الصالحات كقوله « لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ من الصالحات من ذكر أو أنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ولا يظلمون نقيرا * » وهذا فى معنى الآيات التي تفسرها نفى أماني المسلمين كما نفى أماني أهل الكتاب وجعل أمر سعادة الآخرة منوطاً بالايمان والعمل الصالح معا . وكقوله « فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ » الآية. ثم بعد أن أثبت للمسلم وجهه الى الله والمحسن فى عمله الأجر عند الله نفى عنه الخوف الذي يرهق الكافرين والمسيئين فى هذه الدنيا وفى تلك الدار الآخرة والحزن الذي يصيبهم فقال « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ولا شك أن المخاوف والاحزان تساور الذين لبسوا إيمانهم بظلم الوثنية ، وأساؤا أعمالهم بالاعراض عن

الهداية الدينية ،

ترى أصحاب النزغات الوثنية في خوف دائم مما لا يخيف لأنهم يعتقدون بثبوت السلطة الغيبية القاهرة لكل ما يظهر لهم منه مما لا يهتدون الى سببه ولا يعرفون تأويله ، يستخذون للدجالين والمشعوذين : ويرتعدون من حوادث الطبيعة الغريبة ، اذا لاح لهم نجم مذنَّب تخيلوا انه منذر يهددهم بالهلاك ، واذا أصابتهم مصيبة بما كسبت أيديهم من الفساد توهموا انها من تصرف بعض النساك ، وتراهم في جزع وهلع من حدوث الحوادث ، ونزول الكوارث ، لا يصبرون فى البأساء والضراء ، ولا ينفقون في الرخاء والسراء ، « إن الانسان خلق هلوعاً ، اذا مسه الشر جزوعاً ، واذا مسه الخير منوعاً ، الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، » ـ هذه حال من فقد التوحيد الخالص وحرم من العمل الصالح فى هذه الحياة الدنيا « ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » وإنما كان صاحب النزغات الوثنية فى خوف مما يستقبله ، وحزن مما ينزل به ، لان مااخترعه له وهمه من السلطة الغيبية لغير الله التي يحكمها فى نفسه ، ويجعلها حجابا بينه وبين ربه ، لا يمكنه ان يعتمد في الشدائد عليها ، ولا يجد عندها غناء اذا هو لجأ اليها ، وما هو من سلطتها على يقين ، وانما هو من الظانين أو الواهمين ، وأما ذو التوحيد الخالص فهو يعلم انه لا فاعل الا الله تعالى وانه من رحمته قد هدى الانسان الى السنن الحكيمة التي يجري عليها أفعاله فاذا أصابه ما يكره بحث فى سببه واجتهد فى تلافيه من السنة التي سنها الله تعالى لذلك فان كان أمرا لا مرد له سلم أمره فيه الي الفاعل الحكيم فلا يحار ولا يضطرب لان سنده قوي عزيز ، والقوة التي يلجأ اليها

كبيرة لا يعجزها شيء، فاذا نزل به سبب الحزون اوعرض له مقتضي الخوف لا يكون أثرهما الا كما يطيف الخاطر بالبال ، ولا يلبث ان يعرض له الزوال ، «الذين آمنوا وتَطْمَئِنُّ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب» فكأنه تعالى يقول لأهل الكتاب لا تغرنكم الاماني ولا يخدعنكم الانتساب الباطل الى الانبياء فهذه هي طريق الجنة اسلموا وجوهكم لله تسلموا ، واعملوا الصالحات تؤجروا ، وقد أفرد الضمير في قوله «فله أجره» مراعاة للفظ (من) وجمعه في قوله « ولا خوف عليهم » الخ مراعاة لمعناها

بعد ان ذكر تزكية كل فريق من أهل الكتاب نفسه وحكمه بحرمان غيره من رحمة الله كيفما كانت حاله ذكر طعن كل فريق منهما بالآخر خاصة فقال « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » من الدين حقيقي يعتد به فالشيء في اللغة هو الموجود المتحقق والاعتقادات الخيالية التي لا تنطق على موجود في الخارج لا تسمى شيئاً فكفروا بعيسى وهم يتلون التوراة التي تبشر به وتذكر من العلامات ماينطبق عليه ولا تزال اليهود الى اليوم تدعي ان المسيح المبشر به في التوراة لم يأت الى الآن وتنتظر ظهوره وإعادته الملك الى شعب إسرائيل . «وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» من الدين حقيقي يعتد به لانكارهم المسيح المتمم لشريعتهم . يقول كل فريق منهم مايقول «وهم يتلون الكتاب» اي يتلو كل منهم كتابه فكتاب الاولين (التوراة) يبشر برسول منهم ظهر ولم يؤمنوا به فهم مخالفون لكتابهم ، وكتاب الآخرين (الانجيل) يقول بلسان المسيح انه جاء متمما لناموس موسى لا ناقضا له وهم قد نقضوه ، فدينهم واحد ترك بعضهم أوله وبعضهم آخره فلم يؤمن به كله أحد منهم والكتاب الذي يقرأون حجة عليهم

ثم قال تعالى « كذلك » قال اي نحو ذلك السخف والجزاف « قال الذين لا يعلمون » من مشركي العرب وغيرهم من أهل الملل « مثل قولهم » تعصب كل لملته التي جعلها جنسية وزعم أنها هي المنجية لكل من وسم بها ورضي باسمها ولقبها والحق وراء جميع المزاعم لا يتقيد بأسماء ولا ألقاب وإنما هو إيمان خالص وعمل صالح ولو اهتدى الناس الى هذا لما تفرقوا في الدين واختلفوا فى أصوله ولكنهم تعصبوا وتحزبوا لاهوائهم، فتفرقوا واختلفوا فى آرائهم، « فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون » فانه هو العليم بما عليه كل فريق من حق وباطل . ولم يبين لنا تعالى هنا بماذا يحكم وقال بعض المفسرين انه يكذبهم جميعا ثم يلقيهم فى النار ولكن الذي يدل عليه القرآن انه يحق الحق ويجعل أهله فى النعيم ، ويبطل الباطل ويلقي بأهله فى الجحيم ،

هذا هو معنى الآية ويروى فى سبب نزولها ان يهود المدنية تماروا مع وفد نصارى نجران عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كل فريق منهم ما قال فى انكار حقية دين الآخر . قال الاستاذ الامام : ان فهم الاية لا يتوقف على هذه الرواية فالآية تحكي لنا اعتقاد كل طائفة بالاخرى سواء قال ذلك من ذكر أولم يقله . على ان ما يروى فى أسباب النزول من مثل ذلك هو من تاريخ الآيات وما فيها من الوقائع وما روي فى أسباب النزول عندنا غير كاف فى ذلك فلا بد لنا من البحث والاطلاع على تاريخ الملل والامم التي تكلم عنها القرآن لأجل أن نفهمه تمام الفهم ونعرف ما يحكيه عنهم من العقائد والشئون والاعمال هل كان عاماً فيهم أو كان فى طائفة منهم وأسند الى الأمة لما نبهنا عليه مرارا من ارادة تكافلها ومؤاخذة الجميع بما يصدر عن بعض الافراد لانهم مكلفون بازالة المنكر

والعبرة فى الآية ان أهل الكتاب فى تضليل بعضهم بعضا واعتقاد كل واحد فى الآخر انه ليس على شيء حقيقي من أمر الدين مع ان كتاب اليهود أصل لكتاب النصارى وكتاب النصارى متمم لكتاب اليهود قد صاروا الى حال من التهافت واتباع الاهواء لايعتد معها بقول أحد منهم فى نفسه ولا فى غيره فطعنهم فى النبي عليه الصلاة والسلام وإعراضهم عن الايمان به لاينهض حجة على كونهم علموا بأنه مخالف للحق بل لا يصلح شبهة على ذلك لانهم أهل أهواء ، وتعصب للمذاهب المبتدعة والآراء ، فاذا كانت اليهود كفرت بعيسى وأنكرته وهو منهم وهم ينتظرونه لاعادة مجدهم وتجديد عزهم ، واذا كانت النصارى قد رفضت التوراة وكفرت أهلها وهي حجتهم على دينهم ،فكيف يعتد بكفر هؤلاء وهؤلاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو من شعب غير شعبهم وقد جاء بشريعة ناسخة لشرائعهم ؟؟

وفى الآية إرشاد الى بطلان التقليد مؤيد لما فى الآية التي تطالب المدعي بالبرهان ، والى النعي على المقلدين المتعصبين لآرائهم ، المتبعين لاهوائهم ، والى التحري فى الحكم على الشيء يعتقد الحاكم بطلانه لانه مخالف لما يعتقده ، فلا ينبغي للعاقل ان يحكم على شيء الا بعد البحث والتحري ومعرفة مكان الخطأ والتزييل بينه وبين ما عساه يكون معه صوابا.ألم تر أن سياق الآيات ناطق بانكار حكم كل من الفريقين علي الآخر من غير بينة ولا برهان ، ولا فصل ولا فرقان ، مع ان كل واحد منهم علي شيء من الحق وشيء من الباطل لان أصل دينه حق ثم طرأت عليه نزغات الوثنية وعرض له التحريف والتأويل فتجريده من كل حق لم يكن الا تعصبا للتقاليد من غير بينة ولا تمحيص ، وأنى للمقلدين بذلك

وانظر كيف ألحق التقليد أهل الكتاب الذين كانوا على علم بالدين الالهي بالمشركين الذين لايعلمون منه شيئاً . هذا مافعله التقليد بهم وبمن بعدهم لانه عدوّ للعلم في كل زمان ومكان

باب الاخبار النبوية

(حكمةالصيام وفضل رمضان)

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم « الصيام جُنَّة » أي وقاية رواه الامام أحمد والنسائي عن أبي هريرة والترمذي عن معاذ وروياه مع ابن ماجه عن عثمان بن أبي العاص بلفظ « الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال » وفي رواية للنسائي والبيهقي عن أبي عبيدة « الصيام جنة مالم يخرقها » وزاد الطبراني في الاوسط « بكذب أوغيبة » وقد روى الحديث غيرهم من طرق أخرى . والمعنى ان الصوم سبب للوقاية من النار كالجنة تكون سببا للوقاية من الطعن والضرب مالم تخرق . وانما كان الكذب والغيبة وهي ذكر الناس بما يكرهون ان يذكروا به خارقين لجنة الصيام لأن الغرض من الصيام تعويد النفس على ترك المعاصي والشهوات المحرمة فان من يترك المباح له في الاصل كالأكل والشرب والملامسة الخاصة بينه وبين امرأته وهو متمكن من فعل ذلك في كل وقت يعن له وانما يتركه امتثالا لأمر ربه وعملا بما فرضه من وسائل تأديبه كان جديرا بأن يتمكن من ترك المحرم عليه في الاصل اذا اشتهى ان يصيب منه . فالصيام يزيد في الايمان بالله تعالى لان هذه المباحات التي يجب تركها فيه هي التي يحتاجها الانسان دائما وتعرض له في كل وقت فهو لايتركها الا امتثالا وهي تذكره في كل وقت بالله تعالى فيزداد مراقبة له واتقاء لمخالفته حتى يملك نفسه ويضبط نزعاته الشهوية بالتكرار الذي يطبع الملكات في النفوس كما شرحنا ذلك في بعض المجلدات السابقة من المنار

سألني أحد الافرنج : هل تصوم رمضان كله فلا تفطر فيه جهرا ولا سرا ؟ فقلت نعم انني أصومه وكم زدت عليه من صيام التطوع . قال : وهل تظن ان الله يكون مسرورا ومبسوطاً من تركك الاكل والشرب ويغتاظ اذا أكلت ؟ فقلت ان ديننا ليس كالاديان التي تعرفها

يجعل العبادة تعذيباللنفس بزعم أن الله يحب ان يحرج نفوس الناس ويعنتهم كما يفعل الملوك الظالمون وانما يعلمنا ديننا بأن الله تعالى لم يجعل علينا في الدين من حرج ويمن علينا بأنه لو شاء لاعنتنا ولكنه لم يفعل لانه أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا ويرشدنا الى انه مافرض علينا شيئا الا لمنفعتنا وماحرم علينا شيئا الا لانه يضرنا وقد ورد في الحديث القدسي « ياعبادي لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني » الخ فهذا الصيام نافع لنا لانه يربي لنا ملكة الحكم على اهوائنا وشهواتنا فلا يصعب علينا مع هذا الملكة ان نترك المعاصي المضرة ...

قال : انا نعهد ان الذي يمنع من شيء يكون بعد زوال المنع اشد ولوعا وأكثر ضراوة به وإنني أعرف في بلادنا كثيرا من الناس ربوا أولادهم على المنع من القبائح كالسكر والزنا والقمار وما هو أهون من ذلك فلما زالت عنهم سلطة المنع كانوا أشد الناس انغماسا في الشهوات ، وأكثرهم ارتكابا للموبقات ، : فقلت نعم ان هذا أمر طبيعي فان الذى يمنع بالقهر والالزام عما يحبه ويشتهيه ، يزدا دميلا اليه وحبا فيه ، وقد قال الشاعر العربي :

منعت شيئاً فاكثرت الولوع به أحب شيء الى الانسان مامنعا

ولكن المنع من الاكل ونحوه فى الصيام ليس منع قهر وتحكم وانما هو إمتناع احتياري عن اقتناع واعتقاد بأنه خير ونافع وسبب من أسباب السعادة ولولا ذلك لما صام الصائم اذ يتمكن كل أحد من الافطار سرا اذا كان يستحي من الناس ان يفطر جهرا. ولهذا المعنى كانت تربية القسوة والقهر ضارة ومفضية الى الافساد وكانت التربية الدينية الاسلامية المبنية على الاعتقاد والاقتناع هي التربية النافعة التي لاضرر فيها . وانا نرى الاولاد الذين يربون بالقسوة والحكم القاهر أذل الناس نفوسا وأفسدهم أخلاقا وكذلك نرى تأثير الحكومات المستبدة القاسية فى الرعية تفسد بأس الامة وتهبط بأخلاقها وآدابها الى أسفل سافلين . وقد لاحظ الفيلسوف العربي ابن خلدون هذا المعنى فعقد له فصلا فى مقدمته واستشهد له بانكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه علي سعد ابن أبي وقاص قائد جنده في حرب الفرس معاملة أحد الشجعان بالقهر حين أخذ سلب قتيل قتله بدون اذنه. واحتج عمر على سعد(رضي الله عنهما) بأن ذلك يفسد بأس ذلك

الشجاع ... قال محدثي بعد تمام الحوار ان كل ماذكرته صحيح

وأزيد الآن وان أطلت في شرح الحديث بما ليس من موضوع الصوم عبارة ابن خلدون في المثال الذي أوردته قال بعد ذكر عزة الذين يساسون بالرفق والعدل : وأما اذا كانت الملكة وأحكامها بالقهر والسطوة والاخافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة كما نبينه . وقد نهى عمر سعدا رضي الله عنهما عن مثلها لما أخذ زهرة بن حوية سلب الجالنوس (سلب القتيل بالتحريك مامعه من سلاح وغيره) وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفا من الذهب وكان اتبع الجالنوس يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه فانتزعه منه سعد وقال له : هلا انتظرت في اتباعه اذني: وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه عمر : « تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه (*) وتفسد قلبه » ، وأمضى له عمر سلبه ثم انتقل ابن خلدون الى بيان كون الاحكام الشرعية لاتذهب بالبأس والمنعة لان الوازع فيها نفسي ونقل عن عمر أنه قال ، « من لم يؤد به الشرع لاأدبه الله» ، حرصا على ان يكون الوازع لكل أحد من نفسه .

(٢) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم ، يقال اين الصائمون فيقومون فيدخلون منه فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه أحد » : رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن سهل ابن سعد . وقد فسر بعض أهل البصيرة الحديث وأمثاله بأن المراد بأبواب الجنة أصول الطاعات ومجامع الخير وكأنهم أخذوا هذا من حديث الطبراني عن سهل أيضا : لكل باب من أبواب البر باب من أبواب الجنـة وان باب الصيام يدعى الريان : وتسميته بالريان يشير الى ذلك . واستدل عليه الشيخ محي الدين بن عربي في فتوحاته بحديث ورد في أن أبا بكر يدخل الجنة من أبوابها كلها وهو لايعقل الا بهذا التفسير

(٣) وقال (ص) قال الله تبارك وتعالى : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به : والصيام جنة ، واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وان

(*) الفوق بالضم مشق رأس السهم حيث يقع الوتر وهو اذا انكسر تعذر الرمي به والمراد بكسر الفوق إفساد البأس وإضعاف النفس ، والفوق أيضا الحظ الكامل من الذي

سابه أحد أو قاتله فليقل اني امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . وللصائم فرحتان يفرحهما – اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقي ربه فرح بصومه» رواه الشيخان والترمذي من حديث أبي هريرة . ومعنى «كل عمل ابن آدم له » ان لكل طاعة من الطاعات لذة يجدها من أقام تلك الطاعة فللصلاة من لذة المناجاة لله تعالى ماليس لغيرها ، ووالله ان البكاء فيها ، لهو ألذ عند الخاشعين من الضحك فى سواها ، فياحسرة على من حرم منها، وللزكاة لذة التفضل وعزة الغنى والسيادة ، ولمناسك الحج عمل فى تحريك الشعور الديني ، والتوجه الى العالم الروحاني ، يشترك فيه الجاهل بأسراره مع العالم بها ، ولذلك ترى العوام يجذبون اليه كالخواص ،ولايوجد مسلم الا وهو يحن الى تلك المعاهد حنين الطير الى أوكارها، وهذه اللذة مطردة فيما عدا الاركان من أعمال البر الاالصوم فانه ترك لالذة ولاحظ للنفس فيه لانه أمر عدمي وأثره الوجودي هو الألم ، فهو جدير بأن يتولى الله تعالى مثوبة صاحبه بترقية نفسه في الكمال والتهذيب حتى يلقاه بقلب سليم ، ويستحق جنات النعيم ، وقد مر تفسير كون الصيام جنة فى شرح الحديث الاول

والرفث المنهي عنه هو الافضاء الى النساء الذى يكون بين الزوجين وقيل هو الكلام الفاحش لان ترك الاول مما لايتحقق الصيام الا به . والصخب (بالتحريك) الصوت الشديد واختلاط الاصوات . وكيف لايكون ترك الفحش والصخب والتساب وسائر المعاصي من مهمات آداب الصوم او شروطه مع أنه لايتحقق الا بترك المباح الذى لاقبح فيه وهذه الاشياء من أقبح القبائح ،ولقد أحسن حجة الاسلام في تمثيل من يترك الاكل والشرب المباحين ويفعل المحرمات بمن يبني قصرا ويهدم مصرا ،وخلوف الفم تغير رائحته من الصيام والكلام كناية عن كون هذا التغير الذى يعرض للصائم ومن شأنه أن يكون مكروها عند الانسان هو محمودا في حكم الله تعالى مرضيا عنده من عبده لان أثره نافع له فى تهذيب نفسه الذى هو أساس سعادته . وقيل ان ذلك يكون في الآخرة حقيقة وورد فيه حديث . وأما الفرحتان فأمرهما ظاهر فالفرحة عند الافطار معروفة لجميع الصائمين وهي ليست جثمانية محضة بل هي روحانية جثمانية فان الاصابة من الطعام المباح المستلذ بعد الجوع يصحبها الشعور الروحاني بلذة اتمام العبادة ورجاء الرضوان الالهي ولذلك نرى لطعام

رمضان شأنا لانجده لغيره في أوقات الجوع التي تعرض لنا في غير الصيام مما ربما يزيد عن الجوع بالصيام . وأما الفرحة الاخرى فلا تعرف حقيقتها الا بالوصول اليها والله نسأل ان يسهل لنا سبيلها بالقيام بحقوق الصيام بحيث تهذب به نفوسنا وترتقي به أخلاقنا، وأن يهب لنا من فضله فوق ما نستحقه بأعمالنا ،

(٤) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه أحمد والبخاري وابو داود والترمذي وابن ماجه وهو يؤيد ما قلناه في شرح الحديث السابق

(٥) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة عن أبي هريرة وفي حديث آخر « من قام » . وقد اتفق العلماء على ان المراد بالذنوب الصغائر أو الكبائر باعتبار قيد التوبة ورد الحقوق الى أهلها لان هذا القيد معروف من أصل الشريعة المتفق عليه . ونقول ان الفقه في الحديث هو أن من صام شهرا بباعث الايمان واحتساب الاجر على الله تعالى — لا بمقتضى العادة وموافقة الناس في تغيير مواعيد الاكل بجعلها في الليل بدلا من النهار — فلا شك ان ايمانه يقوى ويزداد ونفسه تتزكى من آثار الذنوب التي يلم بها المؤمن بسبب الغفلة عن الله تعالى . فتحل بالصيام الذكرى محل الغفلة . ويشرق النور في مكان الظلمة ، وتمحو الحسنات ، ما كان في النفس من أثر السيئات ، فتحسن الحال ، وتصلح الاعمال ، فهذا هو معنى المغفرة لان الغفر في اللغة هو الستر والتغطية ولا أبلغ في ستر الشيء من ازالة أثره كازيل الحسنات السيئات . ورواية «ما تقدم من ذنبه وما تأخر» ضعيفة

(٦) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة . وأبواب الجنة هي الطاعات وأبواب النار هي المعاصي كما تقدم ولا شك ان هذه تغلق دون الصائمين وتلك تفتح أمامهم فيدخلون فيها أفواجا ، ومعنى « تصعد الشياطين » انه لا يكون لها سبيل للوسوسة والاغواء لان أبواب المعصية والشهوات مقفلة لا سبيل الى الدخول فيها . وفي رواية زيادة « وينادي مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر » وفي رواية أمسك . باغي الشيء مريده والكلام كناية عن كون حال الصيام تقتضي المزيد في الخير والامساك عن

الشر. وسمعت الاستاذ الامام يقول: ان شهر رمضان لا يصلح فيه عمل الدنيا فينبغي للعبد ان يخلي فيه لعمل البر ما استطاع: اوما هذا معناه. وقد روي في فضل رمضان أحاديث كثيرة أكثرها بين موضوع وضعيف وحسبك من الصحيح ما ذكرناه

﴿ فصل فيما يثبت به الصوم والفطر ﴾

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اني رأيت الهلال يعني رمضان فقال: «أتشهد ان لا اله الا الله»؟ قال نعم قال «أتشهد ان محمداً رسول الله»؟ قال نعم. قال «يابلال أذن فى الناس فليصوموا غدا» رواه الشيخان وأصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس. وفي رواية لأبي داود فأمر بلالا فنادى فى الناس ان يصوموا وأن يقوموا. وفي حديث آخر عند أبي داود أن النبي عليه السلام اكتفى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام. وهو حجة على ثبوت الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربعي بن خراش عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله لأهلّا الهلال أمس عشية فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ان يفطروا. رواه أحمد وأبو داود وزاد فى رواية: وأن يغدوا الى مصلاهم:

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غمّ عليكم فاقدروا له» رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر. وفى رواية للبخاري وغيره «الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين» وفى رواية لمسلم وغيره «الشهر هكذا وهكذا» وأشار بالعقد الى ٢٩ و٣٠ وفي لفظ للشيخين «صوموا لرؤيته فان غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» وظاهر ان الكلام فى رؤية الهلال وعدمها. ومعنى اقدروا له احسبوا وقدروا يقال قدره (من بابي ضرب ونصر) وأقدره وقدر له. وغبي هنا بمعنى غمّ فى الروايات الاخرى أي لم يظهر. والاحاديث نص في ان العبرة برؤية الهلال لا بحساب الحاسبين وتقاويم المنجمين وذلك ان هذا الدين عام للبدو والحضر فوجب ان تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة المكلفين، غير مخصوصة بطائفة الحاسبين،

وجاء في بعض الروايات «وانسكوا له» فمواقيت الحج تعرف برؤية الهلال أيضا

(١٠) عن كريب ان أم الفضل بعثته الى معاوية بالشام (قال) فقدمت فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال: أنت رأيته؟ فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال: ولكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه: فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ قال: لا- هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة. الاظهر ان المشار اليه بقوله «هكذا أمرنا رسول الله» هو قوله «لكنا رأيناه ليلة السبت» الخ فانه هو المنطوق الموافق للمروي وقيل انه أشار الى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد برؤية أهل بلد آخر وهو غير مروي في المرفوع ولا هو صرح به فنكتفي بروايته فالراجح اذاً حمل قوله على المروي المعروف. وقد اختلف علماء السلف في المسألة فقيل يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بعدت البلاد أو قربت وقيل لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الامام الاعظم فتلزمه لان حكمه نافذ في جميع البلاد وقيل ان تقاربت البلاد كان حكمها واحدا وان تباعدت عمل كل برؤيته واختلفوا في حد البعد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه العلمي وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي وقد رجح النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء

ونقول اذا اختلفت الرؤية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجح شهادة وبلغها الناس وجب ان يعتمدوا عليها ولا يلتفتوا لرؤية الآخرين لينضبط الامر ولا يكونوا فوضى في اقامة ركن من أركان دينهم هذا صائم وهذا مفطر، وان اختلفت في البلاد المتباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف مطالع القمر وبعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان غرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاما يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن أن يتجه لو ورد حديث يذكر فيه اختلاف الحكم ببعد البلاد فيقال حينئذ ان مسافة القصر هي البعد الشرعي الذي تختلف

به الاحكام . وهناك وجه آخر في البعد والقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو ان البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها تعد بلاداً متقاربة ولا ينبغي ان يكون بعض أهلها مفطر وبعضهم صائم بحجة اختلاف الرؤية فاذا ثبتت الرؤية في بعضها يصوم الجميع والأ كملوا عدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين ومايفعلونه الآن في الاقطار الاسلامية من الاثبات في مكان واعلام الآخرين به حسن في ذاته وغير حسن مايحتف به من البدع . واما البلاد التي لاصلة بينها قوية سهلة ولا تعامل بينها الا بمهاجرة بعض أهلها من احداها الى الاخرى فلا بأس باعتبار كل ماثبت عنده وان تيسر اعلام كل قطر الآخر بنبأ البرق الذي يؤمن تزويره ، ولو كان للمسلمين امام أعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع بلادهم وتيسر له اعلامهم بما ثبت عنده من الرؤية وصاموا بذلك لكان له وجه من الحسن واتجه قال ابن الماجشون

أحاديث في الوقف

نشر المقطم في الشهر الماضي مقالة بامضاء (عزيز خانكي) بحث فيها كاتبها في الوقف والمحاكم الشرعية وزعم ان الوقف ليس من الدين الاسلامي في شيء واستدل على ذلك بعدم ورود شيء في مشرعيته في القرآن الشريف او في السنة قال «الا حديثا واحدا في كتاب ابن ماجه» وقد كتبت نبذة في بيان نقض زعمه هذا نشرت في المقطم أيضا ذكرت فيها أنه ورد في الوقف عدة أحاديث رواها الامام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه الذي اعترف به الكاتب دون غيره لعدم اطلاعه على كتب الحديث لان الصحيحين أولى منه بالذكر الا أن يكون اراد إيهام الناس ان الحديث محتمل للطعن فيه فان في سنن ابن ماجه ماطعن المحدثون في اسناده وعند ذلك يكون غير طالب للحق ولا مقرر له فأحسن مايحمل عليه زعمه انه لم ير في الوقف إلا حديث واحد لابن ماجه هو عدم الاطلاع وليس هذا طعنا في الكاتب فانه ليس عالما مسلما فيعاب بعدم الاطلاع على السنة لاسيما في هذا الزمن وهذه البلاد التي قلما ترى في علمائها من يشتغل بالحديث. وذكرت فيها غير الصحيحين وأصحاب السنن ممن روى أحاديث الوقف كابن ابي شيبة وعبد الرزاق والطبراني والطحاوي وابن جرير وابن عساكر

وقد بلغنا ان عزيز افندي خانكي قد اعتمد في نفي ماعدا حديث ابن من احاديث الوقف على شيخ مسلم له هوى فى ذلك وانه عاد اليه بعد مارددنا قوله وكلمه فى ذلك فأجابه بأن الحديث واحد وهو مروي فى جميع تلك الكتب . ثم رأيت بعد ذلك مقالة أخرى في المقطم لداود بك عمون المحامي الشهير ذكر فيها مقالة عزيز أفندي وزعمه انه لم يرد في الوقف الا حديث واحد وذكر ردنا عليه وزعمنا انه ورد عدة أحاديث وكتب هنا هذه الكلمة (وان لم يذكرها) فيظهر ان القوم يظنون ان الحجة تنهض له في عدم مشروعية الوقف اذا ثبت انه لم يرد فيها الا حديث واحد . والصواب أن المشروعية تثبت بحديث واحد اذا كان ثابتا يحتج به وزيادة عدد الاحاديث لا يزيد الحكم مشروعية . وإنما ذكرت في الرد على عزيز أفندي خانكي أسماء المحدثين الذين رووا أحاديث الوقف وذكرت ان حديث عمر قد رواه أحمد والبخاري ومسلم لبيان ان الحديث صحيح وإزالة توهم ضعفه بانفراد ابن ماجه به . ثم ان كون الشيء من أمور الدين لا يتوقف على ورود شيء فيه بخصوصه بل يكفي دخوله في بعض النصوص العامة ولذلك كان وقف أبي طلحة رضي الله تعالى عنه عملا بعموم قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وكل عمل يعمل لاجل التقرب الى الله تعالى بكونه براً ويدخل فى عموم النصوص التي لامعارض لها فهو من أمر الدين . ونذكر هنا بعض ماورد في وقف اشهر الصحابة ومشروعية الوقف

(وقف عمر) عن ابن عمر أن عمر أصاب أرضا من أرض خيبر فقال يارسول الله اصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمرني فقال « ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها » فتصدق بها عمر على ان لاتباع ولا توهب ولا تورث في الفقراء وذوي القربى والرقاب والضيف وابن السبيل لاجناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متموّل — وفي لفظ غير متأثل مالا — رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة . وفي حديث عمرو بن دينار قال في صدقة عمر : ليس على الولي جناح أن يأكل ويؤكل صديقا له غير متأثل : قال : وكان ابن عمر هو يلي صدقة عمر ويهدي لناس من أهل مكة كان ينزل عليهم: أخرجه البخاري . وفي رواية له « تصدق بأصلها لايباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره » فما شرط عمر ماشرط الايامى

صريح . وجاء هذا ايضا مرفوعا في رواية البيهقي . وفى رواية الدارقطني زيادة «حبيس مادامت السموات والارض » فاشتراط هذه الشروط بأمر الشارع وإجازته دليل على أنها مشروعة وانها من أعمال الدين . قال فى منتقى الاخبار وفي الحديث من الفقه ان من وقف شيئا على صنف من الناس وولده منهم دخل فيـه . يريد أن ابن عمر من ذوي القربى على ان المراد بهم قرابة عمر الواقف وهو ماجزم به القرطبي وقيل ان المراد بهم من له الحق في الخمس . والولي على الوقف هو مايسمونه اليوم ناظر الوقف، وفى رواية ابن أبي شيبة والعدني ان عمر أوصى به الى حفصة أم المؤمنين ثم الى الاكابر من ولد عمر . أي الاكبر فالاكبر وفيه ان الولاية على الوقف تكون بعهد من الواقف ولعل عبد الله وليه بإذن حفصة أو بعدها

(وقف عثمان) عن عثمان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة (بالضم) فقال «من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة » فاشتريتها من صلب مالي : ذكره البخاري تعليقا ورواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وفيـه جواز انتفاع الواقف بوقفه العام. أخذ الترمذي ذلك من قوله « فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين »

(وقف عليّ) عن عمرو ابن دينار ان عليا تصدق ببعض ارضه جعله صدقة بعد موته واعتق رقيقا من رقيقه وشرط عليهم انكم تعملون فى هذا المال خمس سنين. رواه عبد الرزاق فى الجامع. وعن أبي جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج في جيش فأدركته القائلة وهو مايلي الينبع فاشتد عليه حر النهار فانتهوا الى سمرة (شجرة السمر) فعلقوا أسلحتهم عليها وفتح الله عليهم فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع السمرة لعلي فى نصيبه قال فاشترى اليها بعـد ذلك فأمر مملوكيه ان يفجروا لها عيناً فخرج لها مثـل عين الجزور فجاء البشير يسعى الى علي يخبره بالذي كان فجعلها علي صدقة فكتبها صدقة لله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله بها وجهي عن النار صدقة بتة بتلة في سبيل الله للقريب والبعيد فى السلم والحرب واليتامى والمساكين وفي الرقاب . رواه ابن جرير . وروى ابن عساكر عن أبي معشر قال كان علي بن أبي طالب اشترط في صدقته انها لذوي الدين والفضل من

أكابر ولده . ولعله يعني الولاية عليها

(وقف أبي طلحة) عن أنس أن أبا طلحة قال يارسول الله ان الله يقول «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» وان أحب أموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله : فقال «بخ بخ ذلك مال رابح مرتين، وقد سمعت ،أري ان تجعلها فى الاقربين» فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله ،فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه ،رواه أحمد والشيخان . وفي رواية لما نزلت هذه الآية «لن تنالوا البر» الخ قال أبو طلحة يارسول الله أرى ربنا يسألنا من أموالنا فأشهدك اني جعلت أرضي بيرحاء لله : الخ وفيه انه جعلها في حسان وأبي بن كعب . وفي رواية انه قال له «اجعلها في فقراء أقاربك» . وبيرحاء بفتح الموحدة وسكون التحتية وفتح الراء تمد وتقصر ومعناها الارض المنكشفة

(وقف جماعة آخرين من أكابر الصحابة) روى ابن جرير عن محمد بن عبدالله القرشي قال : حبس عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبدالله دورهم : وهناك روايات أخرى للبيهقي في وقف أبي بكر وسعيد وعمرو ابن العاص وحكيم بن حزام وأنس وزيد بن ثابت . وصح فى وقف المنقول مرفوعاً أن خالداً احتبس ادراعه وأعتاده في سبيل الله

أما الاصل في الحث والترغيب الصريح من الشارع على الوقف فقد ورد فيه حديث أبي هريرة المشهور وهو قوله عليه الصلاة والسلام «اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة أشياء صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ،قال العلماء : ولو جاز بيع الوقف لما كانت الصدقة جارية بل لكانت منقطعة . وحديثه أيضا «من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا فان شبعه وبوله وروثه فى ميزانه يوم القيامة حسنات» رواه أحمد والبخاري وهو دليل على جواز وقف المنقول وقد فعله بعض الصحابة كما تقدم

هذا ما أردنا ان نذكره فى توضيح الرد على من زعم انه لم يرد في الوقف شيء من الاحاديث الا حديث ابن ماجه في وقف عمر وقد ذكره مختصراً . ولو أردنا ان نذكر مذاهب العلماء وما استنبط من هذه الاحاديث من الاحكام ، لضاق دون ذلك المقام ،

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

﴿ الوجه السابع والعشرون ﴾ : ان أقوال العلماء وآرائهم لاتنضبط ولا تحصر ولم تضمن لها العصمة الا اذا اتفقوا ولم يختلفوا فلا يكون اتفاقهم الاحقا . ومن المحال ان يحيلنا الله ورسوله على مالا ينضبط ولا يحصر ولم يضمن لنا عصمته من الخطأ ولم يقم لنا دليلا على ان أحد القائلين أولى بأن نأخذ قوله كله من الآخر بل يترك قول هذا كله ويؤخذ قول هذا كله محال ان يشرعه الله أو يرضى به الا اذا كان أحد القائلين رسولا والآخر كاذبا على الله فالغرض حينئذ مايعتمده هؤلاء المقلدون مع متبوعهم ومخالفيهم .

﴿ الوجه الثامن والعشرون ﴾ : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » وأخبر ان العلم يقل فلا بد من وقوع ماأخبر به الصادق ومعلوم ان كتب المقلدين قد طبقت شرق الأرض وغربها ولم تكن في وقت قط اكثر منها في هذا الوقت ونحن نراها كل عام في ازدياد وكثرة والمقلدون يحفظون منها مايمكن حفظه بحروفه وشهرتها فى الناس خلاف الغربة بل هي المعروف الذي لايعرفون غيره فلو كانت هي العلم الذي بعث الله به رسوله لكان الدين كل وقت في ظهور وزيادة والعلم فى شهرة وظهور وهو خلاف ماأخبر به الصادق .

﴿الوجه التاسع والعشرون﴾ : ان الاختلاف كثير فى كتب المقلدين وأقوالهم وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه بل هو حق يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض وقد قال تعالى «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » .

﴿الوجه الثلاثون ﴾ : انه لايجب على العبد ان يقلد زيدا دون عمرو بل يجوز له الانتقال من تقليد هذا الى تقليد الآخر عند المقلدين . فان كان قول من قلده أولاً هو الحق لاسواه فقد جوزتم له الانتقال عن الحق الى خلافه . — وهذا محال — وان كان الثاني هو الحق وحده فقد جوزتم الاقامة على خلاف الحق وان قلتم القولان المتضادان المتناقضان حق فهو أشد إحالة ولا بد لكم من قسم من هذه الأقسام الثلاثة .

(الوجه الحادي والثلاثون) : ان يقال للمقلد بأي شيء عرفت ان الصواب مع من تلدته دون من لا تقلده فان قال عرفته بالدليل فليس بمقلد . وان قال عرفته تقليدا له فانه أفتى بهذا القول ودان به وعلمه ودينه وحسن ثناء الأئمة عليه يمنعه ان يقول غير الحق . قيل له : أفمعصوم هو عندك أم يجوز عليه الخطأ ؟ فان قال بعصمته أبطل وان جوز عليه الخطأ قيل له فما يؤمنك ان يكون قد أخطأ فيما قلدته فيه وخالف فيه غيره . فان قال : وان أخطأ فهو مأجور . قيل : أجل هو مأجور لاجتهاده وأنت غير مأجور لانك لم تأت بموجب الأجر بل قد فرطت في الاتباع الواجب فأنت اذاً مأزور . فان قال : كيف يأجره الله على ما أفتى به ويمدحه عليه ويذم المستفتي على قبوله منه وهل يعقل هذا ؟ قيل : المستفتي ان قصر وفرط في معرفة الحق مع قدرته عليه لحقه الذم والوعيد وان بذل جهده ولم يقصر فيما أمر به واتقى الله ما استطاع فهو مأجور أيضا . وأما المتعصب الذي جعل قول متبوعه عيارا على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة يزنها بها فما وافق قول متبوعه منها قبله وما خالفه رده فهذا الى الذم والعقاب ؛ أقرب منه الى الأجر والصواب ، وان قال : ــ وهو الواقع ــ اتبعته وقلدته ولا أدري أعلى صواب هو أم لا فالعهدة على القائل وأنا حاك لاقواله . قيل له : فهل تخلص بهذا من الله عند السؤال لك عما حكمت به بين عباد الله وأفتيتهم به ؟ فوالله ان للحكام والمفتين لموقفا للسؤال لا يتخلص فيه الا من عرف الحق وحكم به وعرفه وأفتى به وأما من عداهما فسيعلم عند انكشاف الحال انه لم يكن على شيء .

(الوجه الثاني والثلاثون) : ان تقول أخذتم بقول فلان لان فلانا قاله أو لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله . فان قلتم : لان فلانا قاله : جعلتم قول فلان حجة وهذا عين الباطل . وان قلتم : لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله : كان هذا أعظم وأقبح فانه مع تضمنه للكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولكم عليه مالم يقله وهو أيضا كذب على المتبوع فانه لم يقل هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد دار قولكم بين أمرين لا ثالث لهما . اما جعل قول غير المعصوم حجة . واما تقويل المعصوم مالم يقله . ــ ولابد من واحد من الأمرين ــ فان قلتم : بل منهما بد وبقي قسم ثالث وهو انا قلنا كذا لان رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم أمرنا ان نتبع من هو أعلم منا ونسأل أهل الذكر ان كنا لا نعلم ونرد مالم نعلمه الى استنباط أولي العلم فنحن فى ذلك متبعون ما أمرنا به نبينا . قيل : وهل نُدَنْدِنُ الاحول اتباع أمره صلى الله عليه وآله وسلم فحيهلاً بالموافقة على هذا الاصل الذي لا يتم الايمان والاسلام الابه فنناشدكم بالذى أرسله اذا جاء أمره وجاء قول من قلدتموه هل تتركون قوله لامره صلى الله عليه وآله وسلم وتضربون به الحائط وتحرمون الاخذ به والحالة هذه حتى تتحقق المتابعة كما زعمتم أم تأخذون بقوله وتفوضون أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الله وتقولون هو أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منا ولم يخالف هذا الحديث الا وهو عنده منسوخ أو معارض بما هو أقوى منه أو غير صحيح عنده : فتجعلون قول المتبوع محكما وقول الرسول متشابهاً فلو كنتم قائلين بقوله لكون الرسول أمركم بالاخذ بقوله لقدمتم قول الرسول أين كان . ثم نقول فى

﴿ الوجه الثالث والثلاثون ﴾ وأين أمركم الرسول بأخذ قول واحد من الامة بعينه وترك قول نظيره ومن هو أعلم منه وأقرب الى الرسول وهل هذا الا نسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى انه أمر بما لم يأمر به قط . يوضحه

(الوجه الرابع والثلاثون) . ان ما ذكرتم بعينه حجة عليكم فان الله سبحانه أمر بسؤال أهل الذكر والذكر هو القرآن والحديث الذي أمر الله نساء نبيه ان يذكرنه بقوله «واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة» فهذا هو الذكر الذي أمرنا باتباعه وأمر من لا علم عنده ان يسأل أهله وهذا هو الواجب على كل أحد ان يسأل أهل العلم بالذكر الذي أنزل على رسوله ليخبروه به فاذا أخبروه به لم يسعه غير اتباعه وهذا كان شأن أئمة أهل العلم لم يكن لهم مقلد معين يتبعونه فى كل ما قال فكان عبد الله بن عباس يسأل الصحابة عما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو فعله أو سنه لا يسألهم عن غير ذلك وكذلك الصحابة كانوا يسألون أمهات المؤمنين خصوصا عائشة عن فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بيته وكذلك التابعون كانوا يسألون الصحابة عن شأن نبيهم فقط وكذلك أئمة الفقه كما قال الشافعي لاحمد يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث مني فاذا صح الحديث فاعلمني حتى أذهب اليه شاميا كان أو كوفيا أو بصريا ولم يكن أحد من أهل العلم قط يسأل عن رأي رجل بعينه ومذهبه فيأخذ به وحده ويخالف له ما سواه .

﴿ خطبة منبرية ﴾

نموذج من خطب الشيخ عبد الحق البغدادي الازهري امام وخطيب المسجد ذى المنارات في بمبي (الهند)

الحمد لله الذى أعز من أطاعه وأذل من عصاه ، الحكيم الذى أنزل على النبي الكريم كتابا من تمسك به فاز بالسعادة في دنياه وأخراه ، ومن أعرض عنه أخزاه وأرداه ، وبثوب الهوان كساه ، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره ، وأتوب اليه وأستغفره ، وأسأله التوفيق للسعي والعمل ، والابتعاد عن الخمول والكسل ، وأشهد أن لا اله الا الله الواحد الاحد ، المنزه عن الشريك والصاحبة والولد . وأشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله قام بأمر ربه خير قيام ، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الذين أزالوا ظلمات الكفر بنور الاسلام ، وسلم تسليما كثيرا (أما بعد فيأيها الناس)

اعلموا ان السبق فى مضمار الحياة الدنيوية لاينال الا بالمثابرة على العمل ، والسعي الحثيث وتقوية الأمل ، والاتحاد والاتفاق ، والمحبة والوفاق ، والتكافل والتضامن ، والتناصر والتعاون ، كما لا يأتي التقصير والفشل ، الا من الضجر والكسل ، وترك الاسباب والتمسك بثمرات الاتكال . وفتور العزائم فى الاعمال ، والتباغض والتخاذل والتحاسد . والتفرق والاختلاف وعدم التعاضد . الا وان الديانة الاسلامية ، والشريعة المحمدية ، أمرت بالاشتغال للمعاش والمعاد . وحثت على ترقية النفوس وتقوية الاجساد ، وبينت مطالب الحياتين الدنيوية والاخروية ، ووضعت قوانين للعمل لها واضحة جلية ، وقد رتبت حصول الدنيا على اقامة الدين ، والتمسك بحبله المتين ، كما جعلت أكثر أسباب الفوز بالسعادة الاخروية ، موقوفا على إصلاح الحالة الدنيوية ، فلا ينال المسلمون فى الدنيا فلاحا وعزة ونجاحا الا بالدين ، ولا يحصدون في الآخرة خيرا ورضوانا الا بإصلاح مزرعتها ورب العالمين ، فقد دلت الآثار ، وافادت الاخبار ، ان المسلمين لما كانوا متمسكين بالدين ، عاملين بالقرآن العظيم وسنة خاتم النبيين ، انقادت لهم الدنيا باسرها ، وأطاعتهم أمم المعمورة من عربها وعجمها ، فدوخوا الممالك ، ووطأوا بسنابك خيولهم معظم عواصم المعمور . وما استقروا في مكان الا مصروا الامصار ، وشيدوا للعلوم خير دار ، وأقاموا للمجد والسيادة دعائم ، وأحيوا للسياسة معالم ، ورفعوا للدين المنار ، فأضاؤا للاسلام طريق الانتشار ، فانتشر شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ،

ينصب أعمدة المدنية الاسلامية ، على أساس المحبة القومية ، والمساواة بين أفراد الأمم بلا استثناء ، ويفهمهم ان الأمة كجسم واحد لاتستقيم أمورها الا بانتظام سائر الاعضاء ، على تلك الحال قضت تلك العصابة المؤمنة حياتها النشيطة ، وهاهي آثارها نصب أعيننا منتشرة فى أطراف البسيطة ، تخبرنا بانها فازت من قداح العز والعظمة والجاه فى الدنيا بالمعلى والرقيب ، وستنال في العقبى من الرضاء والخير اوفر نصيب ، أما نحن الخلف الطالح لذلك السلف الصالح .فقد هدمنا كل ماشادوه . وأتلفنا جميع ماأوجدوه .وضيعنا سائر ماتركوه ، وطمسنا معالم ماأوضحوه ، وشوهنا وجه مازينوه ، وتسربلنا بثياب الرضوخ للمهانة والضعة ، وفقدنا أخلاق الشهامة والشمم والشجاعـة ، فلم نفز من الدنيا بغير الخسران ، والعوز والهون ، ولجزاء الآخرة أشد وأخزى « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وما كان تغير حال المسلمين من ذلك العز والرفعة ، الى هذا الذل والضعة ، الا بعد ان أعرضوا عن الدين ولم يأتمروا بأوامر ربهم، «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » ، أفليس من الفضيحة والعار . ان تصيروا معاشر المسلمين الى هذا الصغار ، والاسلام أمامكم ، والقرآن مرشدكم ، وكذلك كان بين الامم شأنكم ، ألم يأن لكم ان تتركوا الاباطيـل والاوهام ، وتجتنبوا الخرافات التي لحقت بكم الاضرار الجسام ، وتقيموا الدين الصحيح غير مشوب ببدعة . لتنالوا رضوان الله والغنى والرفعة ، فاتقوا الله عباد الله وعودوا الى التمسك بالدين ، يعد لكم عز آبائكم الاولين ، وارجعوا الى العمل بالقرآن العظيم ، يرجع لكم بين الامم مقامكم القديم ، وحافظوا على اقامة السنة ، يحفظكم الله من كل محنة ، وأنيبوا الى الله فإنه يقبل من اليه اناب ، وتضرعوا اليه قائلين « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد ان هـديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب »

(الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تعلم كتاب الله ثم اتبع مافيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيمة سوء الحساب » وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال « من اقتدى بكتاب الله لايضل فى الدنيا ولا يشقى في الآخرة » وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك)

(التلاوة) « قال اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى » الآيات

باب السؤال والفتوى

(س ١) هل الدراسة عذر في ترك الصوم — من تلميذ بمدرسة مسيحية في مصر :

أرجوكم ان تتكرموا باجابة سؤالي هذا لازال ناركم ضياء المسلمين، وكعبة السائلين:

كنت السنة الماضية باحدى المدارس الاميرية وكنت أستيقظ (في رمضان) الساعة ٨ ونصف واحضر من المدرسة وأنام توا الى المغرب ثم أفطر واذاكر دروسي الى الساعة ١٠ وأنام واستيقظ للسحور الساعة ٣ وانام ثانية الساعة ٥ واستيقظ صباحا الساعة ٨ ونصف وهلم جرا

وأما في هذه السنة فاصبحت في مدرسة أهلية مسيحية وأريد ان اشتغل في دروسي زيادة عن المطلوب ولا يمكنني ان أنقطع عن الحصص او بعضها لانني اذا فعلت ذلك لايمكنني الان أنقطع النهار كله فاذا لازمت الطريقة التي كنت أفعلها وأنا في المدرسة الاميرية تعطلت عن المدرسة مدة شهر رمضان وناهيك بعطلة شهر للتلميذ فانا إذن ملزم بأن استيقظ الساعة ٧ واحضر من المدرسة الساعه ٥ تقريبا ولكنني لاأقدر أن أصوم مع الشغل طول النهار فهل يجوز لي أن افطر املا يامولاي

(ج) ان أكثر المسلمين يعملون في رمضان من أول النهار أي قبل اشتغال المدارس بدروسها الى قبيل المغرب فلا أرى ان السائل وقع في عمل شاق لايستطيعه الشاب في هذه الأيام القصيرة المعتدلة التي لاحر فيها ولا زمهرير وما هو الا أن عادته تغيرت بعض التغيير ولو كان رمضان في الصيف لكان تلامذة المدارس الأميرية يشتغلون بالمدارسة مع مكابدة مشقة الحر في الصيام أكثر مما يشتغل غيرهم في المدارس النصرانية الآن ولا شك ان المسلمين منهم يصومون في الصيف كما يصومون في الشتاء . وأعني بالمسلمين الذين عرفوا الاسلام وتربوا عليه لا المسلمين الجغرافيين ، الذين يعدون في إحصاء الحكومة المصرية بتسع ملايين ، وأرى انه عرض للسائل وهم من زيادة الدراسة عليه في هذه السنة ساعتين وتوهم ان سيصيبه من ذلك الجهد والمشقة وأن هذا عذر يبيح الافطار ولا مشقة هناك تبيح الفطر في هذا العمل الاختياري الا أن يكون هناك ضعف أو مرض . وانني أرجو الله تعالى ان يعينه اذا غلب دينه وعقله على وهمه وجرب وصام ، فلا يجد من الجهد مايتوهمه الآن ،

(س ٢) سؤال الملكين_ محمد افندي حلمي كاتب سجون حلفا : هل يوجد حقيقة ملكان يسألان فى القبر وما هي كيفية سؤالهم ؟

ورد فى أخبار صحيحة ان هناك ملكين يسألان الميت بعد موته عن "الايمان بالله ورسوله وان السؤال يكون بصيغة التشكيك مثل « ماتقول فى هذا الرجل الذي بعث فيكم » ويسمى هـذا السؤال فتنة القبر ويسمى الملكان السائلان فتانا القبر . والفتنة معناها الاختبار . وقد حمل أكثر المسلمين القول على ظاهره وأوله بعضهم كالمعتزلة. اما كيفية السؤال فلا يعرفها الامن عـرف حقيقة الملائكة والارواح المجردة ونكتفي بأن نقول انها أمور غيبية تبنى على التسليم كسائر أمور الآخرة التي يصح النقل عندنا بها ولاحاجة الى تأويل مالم يكن ظاهره مستحيلا عقلا ولا نكفر من أول الخبر وأخرجه عن ظاهره ولا من أنكر صحته اذا لم يكن متواترا معلوما من الدين بالضرورة. وليراجع ماكتبناه فى مسألة عذاب القبر في المجلد الخامس

(٣) كروية الارض — ومنه : هـل يوجد دليـل في القرآن الحكيم على ان الأرض كروية ؟

(ج) ان الله تعالى أنزل القرآن هاديا للناس ومصلحا لارواحهم ومبناهم مايتعذر عليهـم الوصول اليه بغير الوحي ولو انزله لبيان احوال المخلوقات لكان الوفامن المجلدات ولكن فيما يذكره تعالى في الاستدلال على قدرته وحكمته مايفهم منه أن الارض كروية كقوله تعالى « يُكَوِّرُ اللَّيلَ على النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النهارَ على اللَّيلِ » وقوله تعالى « يُغْشِي اللَّيلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا »

(س ٤) ليلة نصف شعبان — ومنه : هل ورد فى ليلة النصف من شعبان والدعاء المختص بها أحاديث صحيحة يعمل بها

(ج) ان اتخاذ هذه الليلة موسما من مواسم الدين من البدع الحادثة في القرون المتوسطة وهذا الدعاء ابتدعه أحد الجهال وما يقولونه فى فضائل الليلة غير صحيح وقد رأيتم فى النبذة السادسة من رد شبهات النصارى على القرآن العزيز (فى الجزء الثاني عشر) بيان خطأ القائلين ان ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي فيها قال الله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » وإثبات ان هذه هي ليلة القدر المجهولة وان الامر الحكيم

هو أمر الوحي والشريعة لانها الليلة التي نزل فيها الكتاب المبين . وقد ذكرنا في الجزء الذي صدر في ١٦ شعبان سنة ١٣١٨ من (السنة الثالثة) بدع ليلة النصف من شعبان ومنكراتها وهي ١٥ بدعة وسادس عشرها الدعاء المعروف الذي لم ينزل الله به من سلطان . وذكرنا في موضع آخر من المنار ان الصلاة التي يروون استحبابها فيها من البدع باتفاق المحدثين والفقهاء ولا عبرة بذكر الغزالي إياها في الاحياء بصيغة الضعف فانها مكذوبة لاضعيفة .

وأمثل ماورد في ليلة النصف من شعبان حديث ابن ماجه عن علي « إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها » وهو حديث ضعيف الا ان العباد عملوا به من زمن طويل وأكثر الفقهاء على ن الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال المشروعة في جنسها لانه اذا لم يصح لم يكن العامل قد جاء بمنكر . وقد زاد فيه عبد الرزاق في مصنفه « فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الي السماء فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه : حتى يطلع الفجر . قالوا : أي ينزل أمره أو ملك باذنه

أورد في شرح الاحياء ماورد في شعبان من الاحاديث وقول المحدثين في وضعها واختلاقها ثم قال مانصه « وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في (العلم المشهور) : حديث ليلة النصف من شعبان موضوع . قال أبو حاتم محمد بن حبان بن مهاجر يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث أنس فيها موضوع أيضا لأن فيه ابراهيم ابن اسحق . قال أبو حاتم كان يقلب الاخبار ويسرق الحديث وفيه وهب بن وهب القاضي اكذب الناس : اه وقال التقي السبكي في (تقييد التراجيح) الاجتماع لصلاة ليلة النصف من شعبان ولصلاة الرغائب بدعة مذمومة : اه

وقال النووي : هاتان الصلاتان بدعتان موضوعتان منكرتان قبيحتان ولا تغتر بذكرهما في كتاب القوت والاحياء وليس لاحد ان يستدل على شرعيتهما بقوله صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضوع » فان ذلك يختص بصلاة لاتخالف الشرع بوجه من الوجوه وقد صح النهي عن الصلاة في الاوقات المكروهة . اه قلت وقد ذكر التقي السبكي في تفسيره ان إحياء ليلة النصف من شعبان يكفر ذنوب السنة وليلة الجمعة تكفر

ذنوب الاسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العمر . اه

وقد توارث الخلف عن السلف في إحياء هذه الليلة بصلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة منها بالفاتحة مرة والاخلاص ست مرات وبعد الفراغ من كل ركعتين يقرأ سورة (يس) مرة ويدعو بالدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف ويسأل الله تعالى البركة في العمر ثم في الثانية البركة في الرزق ثم في الثالثة حسن الخاتمة وذكروا ان من صلى هكذا بهذه الكيفية أعطي جميع ماطلب وهذه الصلاة مشهورة في كتب المتأخرين من السادة الصوفية ولم أرلها ولا لدعائها مستندا صحيحا في السنة الا انه من عمل المشائخ وقد قال أصحابنا انه يكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي المذكورة في المساجد وغيرها . وقال النجم الغيطي في صفة إحياء ليلة النصف من شعبان بجماعة إنه قد أنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز . منهم عطاء وابن أبي مليكة وفقهاء أهل المدينة وأصحاب مالك وقالوا ذلك كله بدعة ولم يثبت في قيامها جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه شيء واختلف علماء الشام على قولين . أحدهما : استحباب احيائها بجماعة في المسجد وممن قال بذلك من أعيان التابعين خالد بن معدان وعثمان بن عامر ووافقهم اسحق بن راهويه . والثاني : كراهة الاجتماع لها في المساجد للصلاة واليه ذهب الاوزاعي فقيه الشام ومفتيهم . اه »

يعني بقوله (أصحابنا) الحنفية . واذا اتفق لبعض عباد التابعين إحياؤها وزاد عليهم المتأخرون دعاءها وسائر البدع التي ذكرها ابن الحاج في المدخل فهل ذلك ينافي كون صلاتها وكل مايعملونه فيها بدعة مذمومة ؟ كلا انها بدعة زاد في قبحها جعلها شعارا دينيا

(س ٥) صيام رجب — ومنه : هل ورد في صوم ثلاثة أيام من رجب أو اقل قول

(ج) ورد في ذلك أحاديث موضوعة وواهية وقد بينا ذلك في المجلدين الثاني والثالث فلتراجع فيهما وربما سقنا تلك الاحاديث كلها في فرصة اخرى بالتفصيل

(س ٦) التداوي بالخمر — ومنه : اذا أمر أحد الاطباء المسلمين مريضا مسلما بشرب مقدار من الخمر لاجل التداوي فهل يوجد مانع شرعي من ذلك ؟

(ج) اختلف العلماء في التداوي بالخمر فمنعه بعضهم مطلقا وأجازه بعضهم بشرط ان لا يقوم مقام الخمر غيره في ذلك ومن عرف حكمة تحريم الخمر وأسبابه عن التداوي

الحقيقي لايتحقق فيه التحريم لانه لايسكر ولا يضر ولا يكون سببا للعداوة والبغضاء ولا يصد عن ذكر الله ولا عن الصلاة . ولكن المؤمن المتقي يبعد عن المحرم بقدر الاستطاعة لئلا يأنس به وكم من متدين سوّلت له نفسه شرب الخمر بحجة التداوي مكابرة لشعورها الخفي بالشهوة ولم يكن هناك حاجة حقيقية الى التداوي بالخمر الا أن تكون كلمة يرمي بها فساق الاطباء : اشرب كذا لاجل تقوية المعدة : فيشرب المغرور فينتعش فيعتاد فيدمن فيكون من الفاسقين ، ويضيع الدنيا والدين ،

(س ٧) المرور بين يدي المصلي — ومنه : هل المرور من أمام المصلي يبطل صلاته ويوجب عليه إعادتها وهل هو حرام أو مكروه كما شاع عند أغلب الناس ؟

(ج) ورد في الاحاديث الصحيحة الامر بأن يصلي المصلي الى جدار أوسارية أو سترة ولو عصا يغرزها أمامه ليعلم أنه يصلي . وورد فى أحاديث صحيحة النهي عن المرور بين يدي المصلي والامر بمدافعة المار لارجاعه حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم « لو يعلم المارّ بين يدي المصلي ماذا عليه لكان ان يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم وظاهر النهي والوعيد ان ذلك حرام . وفي رواية للبخاري زيادة : ماذا عليه من الاثم : وقيد أكثر العلماء ذلك بالمرور بين يدي المصلي الى سترة وان من قصر في ذلك لايحترم بترك المرور بين يديه وجوبا والظاهر ان ذلك ممنوع على كل حال قصر المصلي أم لم يقصر . وما بين يدي المصلي هو ما بين موقفه وسجوده وهو نحو ثلاثة أذرع وقد أخذوا هذا القيد من أحاديث وردت فيه لامحل هنا لذكرها

وأما قطع الصلاة وبطلانها اذا مر بين يدي المصلي مار فقد وردت فيها روايات في أشياء مخصوصة لم يأخذ بها الجمهور وورد انه يتقي من بطلانها ان يكون بين يدي المصلي سترة مثل آخرة الرحل . فينبغي للمسلم أن يصلي الى سترة وان لايمر بين يدي مصل مطلقا

(س ١٠) الصلاة بالنعلين — اسماعيل أفندي لبيب بمصر : نرجوكم الاجابة عما اذا كان يجوز للمصلي الصلاة بنعله (جزمته) أم لا وهل ثبت في السنة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محتذ النعل واذا ثبت فهل كان ذلك للضرورة أو للتشريع ؟ هذا ما نرجوكم التفصيل بالاجابة عنه ليكون قولكم فصلا بيني وبين مناظر آخر ..

(ج) الصلاة في النعلين جائزة بالاجماع وقال المحدثون وكثير من الفقهاء بأنها السنة فقد روى أحمد والشيخان (البخاري ومسلم) وغيرهم عن أبي مسلمة سعيد ابن يزيد قال: سألت أنسا أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فى نعليه؟ فقال نعم. وروى أبو داود فى سننه وابن حبان فى صحيحه عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خالفوا اليهود فانهم لايصلون في نعالهم ولاخفافهم» وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا جاء أحدكم الى المسجد فلينظر فان رأى فى نعليه قذرا أوأذى فليمسحه وليصل فيهما» وروى أيضا من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «اذا صلى أحدكم فخلع نعليه فلا يؤذ بهما أحدا ليجعلهما بين رجليه أوليصل فيهما» وروى أبو داود وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حافيا ومنتعلا» وروى ابن أبي شيبة باسناده الى أبي عبد الرحمن الى ابن أبي ليلى أنه قال «صلى رسول الله عليه وسلم فى نعليه فصلى الناس في نعالهم فخلع نعليه فخلعوا فلما صلى قال «من شاء ان يصلي فى نعليه فليفعل ومن شاء ان يخلع فليخلع» قال الحافظ العراقي: وهذا مرسل صحيح الاسناد. وكان الصحابة عليهم الرضوان يصلون في نعالهم ولكنهم كانوا ينظرون قبل الصلاة فان رأوا فيها نجاسة مسحوا بها الارض حتى تزول عين النجاسة. قال ابن القيم قيل للامام أحمد أيصلي الناس بنعالهم. وقال «إي والله» وترى أهل الوسواس اذا صلى أحدهم صلاة الجنازة في نعليه قام على عقبهما كأنه واقف على الجمر: فعلم من هذا ان كلا من الامرين جائز فليفعل المسلم في كل وقت ما يكون أيسر له

(س ١١) **قضاء الفرض مع نية السنة** — ح.ح في قره طاغ (الجبل الاسود)

قد شاع أجلكم الله في بلدنا هذا كتاب (نجاة المؤمنين) بلسان التركية وهو من تصنيفات الحاج محمد أمين من علماء اسلامبول ونحن نجد فيه مسئلة ماسمعناها من علمائنا السابقين، ولا رأيناها في غير كتابه المسمى بنجاة المؤمنين، فلهذا حصل لنا شبهة في صحة هذه المسئلة وهذه صورتها بالتركية

مسئله سنتلري قضا نيتله قيلمق

جمله‌نك معلوميدر كه فرض نمازلري ترك ووقتندن چيقارمق بيوك عصيان وقضايه قالمش نمازلري قيلمق فرضدر قيلمه ماس وتأخيري بيوك عصيان ونافله عملري ترك ايتمك عصيان دكلدر وبو بيان اتفاقلدر

خصوصيله أوزرنده فرض قضاسى أولو بده قضايي ايتمزدن نافله نماز قيلسه قبول أولميوب ثوابي أولماز رسولمزك قول شريفي مجمع الفتاوى دن معلوم أولمشدر كنارى أوقويه‌لر ديمشدر وكناره هكذاي: رجل عليه صلوة مفروضة لايجوز له التطوع لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لايقبل الله تعالى نافلة حتى يؤدى الفرائض » مجمع الفتوى: وفي المضمرات: سئل ابن نجيم عمن عليه قضاء الصلاة فنوى سنة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء عند قضاء فرض كل منهن هل يكون تاركا للسنة أم لا ؟ فأجاب لايكون تاركا للسنة لان المقصود منها ان تجد صلاة في ذلك الوقت غير فرضه رغماً للشيطان وقد حصل: وفي النوادر قال هذا أولى بعد ماحصل هذا لانه رب رجل لايقضي مافاته من الفرائض ويصلي السنة فيستحق العذاب ولا يستحق العذاب لو ترك السنة انتهى من (عيون البصائر شرح الاشباه والنظائر) انتهى كناره زيد بش وقت نمازى أزى اداي ايدركن أوقات خمسه نك سنتلريني قضاى قلان نمازلرينه تعيين ايدوب قيلسه قضايه قالمش نمازى اداى ايتمش أولورمي؟ الجواب أولور. بوصورة مزبوره‌ده زيد قضا وسنت نمازلرى ثوابنه نائل أولورمي؟ الجواب أولور. مضمراتك فتواى‌ي بودر (ديمشدر) زيد أوزرنده فرض قضاسي أولو بده قضائي قيلمزدن سنتلرى قيلرسه عذابه مستحق أولورمي؟ الجواب أولور. بوصورتده سنتلرى ترك ايلسه عذابه مستحق أولورمي ؟ الجواب أولماز (نوادرك) فتواى‌ى (عيون بصائر) دن. بوصورتلرده زيد سنتلرى قضاى قيلمق مراد ايتدكده نه شكل نيت ايده چكدر؟ الجواب نيت ايلدم أولكى أوزريمه قالمش صباح نمازينه بو وقتك سنتي مقامنه تكبير آله وسائر نمازلرى دخي بويله نيت ايده. انتهى كلام الحاج محمد أمين فى كتابه المسمى بنجاة المؤمنين.

نتعجب كيف يمكن قضاء الفوائت وأداء السنة بصلاة واحدة فينال الرجل

قضاء الفرض الذى فاته ولا يكون تاركا للسنة وكل ذلك بعمل واحد نعم ان الله على كل شيء قدير ولكن ماتقولون أنتم رحمكم الله فى هذه المسئلة لان منا من ذهب الى العمل بقوله ومنا من لم يذهب وليس فينا عالم ليستيقظنا بحل المسئلة ولا كتاب كمجمع الفتوى والنوادر وغيرهما مما ذكره الحاج محمد أمين أفندى فالآن كما هو فرض عليكم في كل حين وآن ان تنبهوا الغافلين من اخوانكم المسلمين بتحليل المسائل الشرعية اينما كانوا أرجو توضيح هذه المسئلة في مناركم فى أسرع وقت لاننا ننتظرون جوابكم كالمبر ودينتظر الشمس والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أفيدوا تؤجروا ثوابا من عند الله الملك الديان

(ج) ماذكره مؤلف كتاب نجاة المؤمنين هو المعروف في كتب الحنفية وقد ثبت ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نام مع أصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وأيقظهم حرها فصلاها بهم كما يصليها في وقتها — أذن بلال وصلوا ركعتي السنة ثم صلوا الفريضة . والحديث في مسند الامام أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وغيرها وهو يدل على ان السنن الراتبة تقضى وأنها تقدم على الفريضة . وهنا مسألة أخرى وهي ان من فاتته فريضة بعذر كنوم ونسيان وجب عليه قضاؤها قيل فورا وقيل على التراخي وقيل انها تصلى اداء ومن فاته بغير عذر وجب عليه قضاؤها على الفور لاأذكر في ذلك خلافا . فاذا كانت هذه الفوائت كثيرة فلا معنى لصرف الوقت بالنفل الذي معناه الزيادة على الفرض وكيف تحقق الزيادة بدون تحقق الشيء المزيد عليه . وكيف يصرف المكلف وقته فى عمل لا يطالبه الله به بعد الموت ويترك فيه العمل الذي يطالب به ويعاقب على تركه ؟ هذا هو فقههم في الاقتصار على الفرض ولكننا قيدناه بترك الصلاة لغير عذر . واما الفقه فى كونه يثاب على الفرض ثواب السنة والفرض جميعا فهو من حيث النية فقط كأن العبد يخاطب ربه : يارب إنني أصرف وقتي هذا كله في الإنابة اليك وقضاء مافاتني مما افترضت عليّ وان نفسي متوجهة الى الزيادة والنفل ولكنني بدأت بالأهم فأثبني على نيتي هذه بمضاعفة الأجر : واذاكان الاصل في الثواب هو تأثير العمل الصالح فى إصلاح النفس وترقية الروح فلا شك ان الزيادة بالفعل وهي صلاة السنة يكون لها أثر زائد على أثر الفرض فلا يكون ثواب من يصلي السنة كثواب من يتركها

وينويها مع الفرض. وقد توسط علماء الشافعية فقالوا ان السنن التي تتداخل ويستغنى بعضها عن الآخر هي التي لا تقصد لذاتها كسنة الوضوء وتحية المسجد فاذا توضأ الانسان ودخل المسجد ووجد الامام منتصبا ونوى الفريضة مع سنة الوضوء وتحية المسجد كان له ثواب الجميع لانه أدى الغرض من السنتين فان المراد ان يصلي الانسان بعد كل وضوء وعند دخول كل مسجد وقد فعل . واما الرواتب ونحوها فلا بد عندهم من فعلها لتحصيل ثوابها لانها مقصودة بذاتها والحكمة فيها تكميل ما يكون من التقصير في الفريضة فاذا غفل القلب في الفريضة عن الله تعالى دقيقة أو دقيقتين وحضر مثل هذه المدة في السنة كان ذلك جبرا للنقص وتكميلا للفرض والله أعلم

آثار علمية أدبية

﴿ الهدايا والتقريظ ﴾

(النظام والاسلام) للشيخ طنطاوي الجوهري استاذ العربية في المدرسة الخديوية ولوع بمزج العظاة والحكم الدينية ، بالكلام في محاسن الكون الطبيعية ، وقد ألف في هذا كتابيه (ميزان الجواهر) و (جواهر العلوم) اللذين سبق لنا تقريظهما وبيان مزية هذه الطريقة ثم كتب بعدها مقالات في ذلك جمعها محمد أفندي مسعود المحرر بالمؤيد وطبعها بمطبعة الجمهور فكانت كتابا صفحاته نحو ٣٢٠ من القطع اللطيف . وقد قال المؤلف في مقدمة الكتاب ما نصه :

ولقد حدابي شدة ولوعي وشوقي لمعرفة الكون ان جعلت أوقات الرياضة لصرف عنان الفكر للتأمل في مصنوعات الله جل وعلا مؤثرا تلك اللذة على ما سواها بالطبع والغريزة فكنت اذا هبت النسمات في الخلوات أو بين أغصان الاشجار ، أو غردت الاطيار وسمعت خرير ماء الانهار ، تمثل لي من تلك الاصوات ، تجلى من مباهج تلك الالوان ، بهجة العلم وحكمة المبدع باظهر مجلى ، وأبدع معنى ، ومن هذا كانت هذه الخواطر المودعة في هذا الكتيب الذي سميته (النظام والاسلام) ورتبته على مقدمة وثلاثة أقسام (القسم الاول) في جمال الكون ونظامه وميزانه اذ يتجلى لقارئه كيف انتظم

النبات ووزن بميزان حقيقي ويفهم السر المكنون المعبر عنه بالميزان في آيات كثيرة كقوله « ووضع الميزان » ونحوه وبهذا قرنت الاسلام بالنظام تذكيرا بانه هو الذي أيقظني الى النظر في هذه العلوم النظامية في الكون و (القسم الثاني) نموذج في كيفية فهم قصص القرآن الشريف وما المقصود منها كسورة يوسف وسورة سليمان عليهما السلام مما يتساءل عنه الدارسون للعلوم المتشوقون للاطلاع وكيف تدعو تلك القصص الى الملائكة والنظام كحكمة سليمان وآداب يوسف الخلقية ليزداد المؤمن يقينا ويوقن الشاكون من اخواننا الشبان المسلمين (القسم الثالث) فيما يجب على الملوك والرؤساء والعلماء والحكام ودعاة الامة والخطباء من الآداب العامة الكافلة لنظامها كما انتظم الكون أجمعه بالنواميس العالية والملائكة الصافين

والكتاب يطلب من طابعه وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة

﴿ واقعة السلطان عبد العزيز ﴾

سبق لنا القول فى مقالات (الترك والعرب) بأن اخواننا الترك قد سبقونا في هذه الايام بالاشتغال وتحصيل العلم ومن جملة مزاياهم العلمية تدوين تاريخهم على الطريقة الحديثة فى تأليف التاريخ وهي بيان الحوادث بعللها ونتائجها وبيان العبرة فيها . ومن الكتب الحديثة فى ذلك كتاب (واقعة السلطان عبد العزيز) وضعه باللغة التركية أحمد صائب بك الكاتب التركي المشهور في مصر وبعد ان طبع بالتركية عربه محمد توفيق أفندي جانا وطبع بالعربية . وقد مهد المؤلف للكلام فى السلطان عبد العزيز تمهيدا بين فيه ماتوجه إليه السلطان سليم الثالث من إصلاح الخلل الذي طرأ على الدولة العثمانية من أول القرن الحادي عشر (الهجري) وما وضعه لذلك من القوانين والقواعد الوافية بذلك ثم ماقام به بعده السلطان محمود من اصلاح الجيش وزلزلة التقاليد الزمنية بتغيير زي رجال الدولة في اللبوس ثم ماوضع على عهد السلطان عبد المجيد من قواعد المساواة بين الرعية . ثم بين أن كل ذلك لم يؤثر فى نهوض الدولة تحت أثقالها لسببين احدهما معارضة الروسية للدولة وثانيهما إهمال المعارف . ثم تكلم عن أحوال الباب العالي فى عهد السلطان عبد العزيز وعن الصدور العظام في زمنه والاسراف والثورات الداخلية في عهده وبين بعض فضائل فؤاد باشا وعالي باشا أعظم صدور الترك فى هذا العصر

(رحمهما الله تعالى) وماتشبثا به من أمور الاصلاح . ثم ماقام به محمود نديم باشا الداماد من التخريب والهدم لكل جدار أقيم وركن بني خدمة للروسية . ثم بين في فصل آخر سوء حال الادارة في أواخر مدة السلطان عبد العزيز أي بعد موت عالي وفؤاد وفيه الكلام عن تربية أولاد الاسرة المالكة وعن صدارة مدحت باشا وخدمة حسين عوني باشا العسكرية وعن أحوال المالية ومن ذلك ان الدولة اقترضت في مدة احدى عشرة سنة ٤ مليارات و٥٧١ مليونا و٨٠٠ ألف فرنك . ثم تكلم عن سعي اغناتيف سفير الروسية في الاستانة باستمالة السلطان بمساعدة محمود نديم باشا ونجاحه في ذلك وعن الخلل الذي سرى في الدولة بدسائس هذا السفير البارع الصادق في خدمة دولته وعن تألب عقلاء العثمانيين لذلك وعن المطبوعات والجرائد والمطابع وتألف حزب العثمانيين الاحرار وأولهم الامير مصطفى فاضل باشا المصري وعن القصر السلطاني وحال النساء فيه وعن تكبر السلطان عبد العزيز وتعاظمه وعن سوء استعمال الامتيازات التي منحت لمصر وغير ذلك . وبعد ذلك كله انتقل الى سعي مدحت باشا في مقاومة هذا الاستبداد وظفره أخيراً بخلع السلطان وتولية السلطان مراد

من قرأ الكتاب لايشك في ان الكاتب متحر للصدق محب مخلص لدولته وجنسه وقد انتقدنا اختصاره الذي قضى بان يكون سرد الحوادث والوقائع فيه قليلا اما التعريب فسهل منسجم ولكن فيه غلطاً كثيرا لايخفى على العارف وثمن النسخة منه عشرة قروش وهو يطلب من ادارة جريدة (شوراي امت بمصر)

﴿ مرائي الامة القبطية ﴾

انتقد شاب قبطي رؤساء الدين في ملته بمقالات نشرها في بعض الجرائد اليومية ثم رأى ان يجمعها ويزيد عليها ويطبع ذلك كله ويوزعه رسائل متتابعة يطلق عليها (النبذات) وقد صدرت النبذة الاولى منها فعلم مما كتب على غلافها أن سيكون مجموعها ١٢ نبذة وقد قرأناها فعلمنا أن هناك شيئا حقيقا بأن يشكى منه وليس لأمثالنا الحكم في جزئيات هذه الشكوى وانما ننظر في هذه المسائل نظراً عاما فنقول ان انتقاد نابتة الأمة لتقاليد الرؤساء وتصرفهم هو من علامات الحياة فيها وان تاقي الجماهير لهذا الانتقاد بالاستحسان والقبول دليل على ان الحياة

متمكنة ومقابلتهم إياه بالسخط والاستهجان من أمارات ضعف الحياة وان لنا في نهضة القبط الحديثة رأيا ننشره في فرصة أخرى ان شاء الله تعالى . وثمن النبذة من هذه النبذ نصف قرش وهي تطلب من المكتبة الشرقية ومن كاتبها توفيق أفندي حبيب

﴿ مضار الزار ﴾

الزار بدعة من أقبح البدع التي تحدثها النزعات الوثنية والاعتقادات الخرافية كاعتقاد دخول الشياطين في أجسام الناس واحداث الأمراض فيها وتعاصيها عن الخروج منها الا بأسرار الشيوخ التي تستنجد بها شيخة الزار في حفلته التي لاتعرف في غير هذه البلاد الموبوءة بالشيوخ والشيخات والبدع والخرافات

كان العقلاء يمقتون بدعة (الزار)، وأهل الدين ينكرون مافيها من الأوزار، ولم يكن الاكثرون يعرفون منها الا مجملا من قبائحها ، ورموزا خفية من فضائحها ، لأنها من أسرار النساء المكتومة ، ومكايدهن المشئومة ، التي استعبدن بها الرجال ، وأفسدن بها عليهم الدين والعرض والمال ، حتى شمر في هذه الايام عن ساعد الجد والاجتهاد الشاب النشيط محمد حلمي أفندي زين الدين مترجم ديوان الاوقاف وكشف الحجب والاستار ، عن تلك المخبآت والاسرار ، فجمع الى ما اكتشفه بعض الناس من قبله مالم يكتشفوه وأودع ذلك كله في قصة سماها (رواية مضار الزار) بين فيها كيف تستهوي شيخة الزار أفئدة النساء الى هذا العمل الذميم حتى تفتك بهن الاوهام ، فتكا بدايته الامراض ونهاية الموت الزؤام ، وذكر في آخر القصة الاناشيد التي ينشدونها في حفلة الزار وهي جديرة بأن تكون فتنة للنساء الجاهلات ومؤثرة في نفوسهن الضعيفة ، وعقولهن السخيفة ، وربما ننشرها اونموذجا منها في باب البدع والخرافات من جزء آخر وقد طبعت هذه القصة المفيدة على ورق جيد وثمن النسخة منها نصف قرش فقط

﴿ الذمار ﴾ جريدة اجتماعية اسبوعية يصدرها في الاسكندرية الشيخ شاهين الخازن والشيخ نسيم العاذار وغرضها الاول خدمة السوريين والمدافعة عن حقوقهم والمنشئان أهل لذلك فيما نعرف عنهما والسوريون أجدر بالقيام بحقوق من يخدمهم فنتمنى للرصيفة الجديدة ماتستحقه من الرواج والانتشار وقيمة الاشتراك فيها ١٣ فرنكا

باب الأخبار والآراء

الجامعة الدينية والوطنية

كتب الينا صديقنا نسيم بك خلاط من وجهاء طرابلس الشام ما يأتي (تأخر وروده ثم نشره)

مولاي المجتهد الهمام

أمسكت الكتابة عن سيدي امداً كاد يكون في نظري دهراً وأنا كما علمت يقيمني الشوق ويقعدني كل يوم اليه وذلك لاني كنت أسوّف اللقاء، وأعلل النفس بقرب الملتقى، في ربوع ظللها الصفا، وتحت سماء خلت من أكدار العاذل والرقيب، وكنت أقول للنفس المشتاقة: عنك ومشقة الكتابة مادام لك في مغامزة الارواح، ما يغني عن مراسلة الاحباب، لكن وقد طال لهذا الآن الموعد خفت ان يحسب السكوت لدى مولاي مللا او نكراناً لجميله في تقريظ رحلتي في غربي أوربا جئت الآن وأنا في أعالي لبنان بين رياض وغياض حيث الهواء بليل والماء نمير ابثه اشواقي وأنفحه من خالص التحية ما ينفحني المكان من خالص النعيم وأبدي اليه امتناني وأشهد القرطاس على شغفي به واشتياقي اليه ولي فيما عدا ذلك باعث يحملني لو سمح سيدي ان أشرح له إعجابي بما حواه مناره الاسنى من جلائل المواعظ القمين بها والمحتاج اليها أهل العصر عموماً والاسلام خصوصاً فانك يا مولاي لم تأل جهداً في تقويم ما اعوج من افنان العبادة ولم ترهب من تقريع من شطوا فيها عن سواء السبيل حتى استغابك من الفوا الترهات أو حادوا عن محجة الدين القويم فلا سد فوك، ولا عاش من يشنوك، انما لي عليك سؤال عساك لا تستنكر صدوره من عاجز مثلي يشفع به علم الجميع باني لم أبغ عمري غير تمكين الوئام وتوثيق الالفة وإعلاء منار الجامعة الوطنية لاني منذ بلوغي الرشد (اذا كنت للآن رشدت) رأيت وخبرت ان مصيبة الشرق وبلادنا على نوع أخص انما كانت وتكون أبد الدهر في ظل المذاهب والاديان فلو أريد تسويد دين على آخر أو تعميمه وجمع العالمين في كنفه ليتم هناء الناس كما زعم البعض لكان المطلب وعر الاسباب جمة أخصها ما جاء في نص «ولو شاء ربك» الخ وما علم بالاختبار الطويل العريض من ان الانسان حليف التخاذل

وولوع بالخلف وشتات الاراءوان من المستحيل اجتماعه على رأي واحد فيما سوى النظريات فما معنى القول اذن بالجامعة الدينية وتخيل اعتبارها من الممكنات والاعراض عن الجامعة الوطنية الميسورة والمشهود لها قديما وحديثا بانها داعية العمران ومصدر القوة والحضارة . . . .

فمن لي بمثل منارك المضيء في ظلمات الافهام ان يزين للقوم فضلها ومنافعها ان يجهر بالقول « ان مارام في الوطنية » بقطع النظر عن اختلاف الاديان مايقوم بما أنزل الرحمن من وجوب الالفة والنصفة بين الناس والتساوي واحكام القسط بينهم وتكليفهم للذب يداً واحدة عن أعراضهم ومرافقهم وفيها إعلاء شأن من يحسن صنعاً ولوكان من أحطهم قوماو أخسهم محتدا تكن في منارك يامولاي فعلت ماأنت أهله من الاحسان وكسرت قيوداً طالما ان منها ـ واأسفي ـ الشرق فان أشئت ادراج كتابي أو ملخصه في منارك الاغر ولعلي أظنك فاعلا رجوت الاتئاد اذالاح لك تعقيبه وكان لاتئادك بي من مكان » اه

(المنار) نشكر للصديق الفاضل وفاءه ؛ ونحمل عليه حمده وثناءه ، ثم نشكر له هذا النصح الذي تجلى بلسان السائل ، وقلب المحب المخلص ، ولوكان الصديق قرأ جميع أجزاء المنار واستقرأ ماكتبه في الجامعتين الدينية والوطنية لوجد فيه جواب سؤاله ، أوالعمل بنصحه وارشاده ، ولابد لي من كلمة وجيزة أقولها الآن

الجامعة الدينية لاتنافي عندنا الجامعة الوطنية بل تستلزمها كما أوضحنا ذلك في مقالة عنوانها (الجنسية والدين الاسلامي) ولا يقصد الداعون الى الجامعة الاسلامية ان يجعلوا جميع الناس مسلمين فيقال انهم مخطئون في نظر العقل ونص قوله تعالى « ولو شاء ربك لجعل الناس أمةواحدة ولا يزالون مختلفين » وانماهم يدعون المسلمين الى العلم والمدينة الفاضلة التي لافحش فيهاولافسوق ومجاراة غيرهم من أهل الملل في فنون العلم والعمل فانهم على كونهم العنصر الاقوى في الشرق الأدنى قد أصبحوا وراء جميع العناصر في هذه الفنون ويحتج الاكثرون منهم على عداوة العلم بالدين فوجب ان يحاجوا من طريق الدين ،وأن يدعوا باسم الدين ،فانه صاحب السلطان الأعلى على نفوس هؤلاء المتخلفين ، ولكنهم لبسوه كمايلبس الفرو مقلوبا (الكلمة لأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه) فنكروا معروفه وجعلوه سبب الجهل وداعية التفريق وآلة

الاستعلاء والايذاء بعد ان كان فى أول نشأته سبب العلم وداعية الوفاق وآلة العدل والمساواة بين جميع الناس وللاهرام كلمة حق تقولها دائما وهي : ان الشرق لا يرتقي الا بارتقاء المسلمين : وللمقتطف كلمة حق قالها وهي : ان المسلمين لا يرتقون الا بعد الاصلاح الديني : وذكر هناك ان المنار داعية لهذا الاصلاح وان صاحبه من زعمائه فالمنار مشتغل بدعوة المسلمين الى الاسلام لا بدعوة النصارى وغيرهم اليه . وانما يرد شبهات دعاة النصرانية التي ينشرونها فى كتبهم وجرائدهم المنتشرة لانه اعتداء يجب في اعتقاده رده ولانه معارض له فى دعوته ويبين في محاسن الاسلام ويرغب فيها من غير ايذاء لاحد

فاذا قال الصديق : اذا كانت الجامعة الوطنية من لوازم الجامعة الاسلامية فلماذا لا يدعو المنار اليها بالتصريح ؟ فاني أذكره أو أذكر له انني لم أقصر فى ذلك ولكنني أكثرت منه فى السنة الأولى أيام كان المنار منتشرا بين أهل الوطن الذين هم فى أشد الحاجة الى الوفق والتعاون حتى لامني بعض المسلمين المتحمسين ولم يعضدني أحد من غيرهم . وأقللت من ذلك بعد منع المنار من تلك البلاد وانتشاره فى بلاد أفرط فيها أحداث دعاة الوطنية حتى خرجوا عن الوطنية . لا خلاف ولا نزاع في هذه البلاد بين المسلمين والقبط باسم الدين ولكن بعض الاحداث يحرضون المصريين عامة على عداوة السوريين خاصة وهم من أبناء لغتهم وأتباع دولتهم والمساوين لهم في قوانين حكومتهم وذلك بعد ان استوطنوا بلادهم وخدموها خدمة علمية أدبية لم يخدموا أنفسهم بمثلها ولا حجة لهؤلاء الاحداث الا أن السوريين ليسوا بوطنيين وانما هم (دخلاء) فان كان الوطني فى عرفهم هو من ثبت اتصال نسبه بالفراعنة فالواجب عليهم ان يخرجوا منها أمراءها وأكثر أهلها . والا فليفقهوا ان الدخيل هو الاجنبي عن لغتك وحكومتك الذي لا يخضع لقانونك ولا لشريعتك والذي يمتص ثروة بلادك فيحولها الى بلاده ليغنى من حيث تفتقر ويعز من حيث تذل

المنار يدافع عن الاسلام ، ولا ينسى الوصية بالوفاق والوئام ، وانه يرى المسلمين أقرب الى معنى الوطنية الصحيحة من غيرهم فهذه جرائد المسيحيين حتى الدينية البحتة منها يشترك فيها المسلمون بالمئات والالوف وقد وجد للاسلام جريدة واحدة أو مجلة (وهي المنار) فلم تجد فى المسيحيين عشرة نفر يشتركون فيها مع

اعتراف فضلائهم بأنها نافعة ومفيدة . وهناك شواهد أخرى

المنار يدعو المسلمين الى العلم ؛ والعلم هو الذي يعرف الناس بمكانة اتفاق عناصر الوطن على ترقيته واعلاء شأنه . اما الذين ليس لهم من علوم العمران مايقرب بعضهم من بعض فاقناعهم بالوفاق والوئام باسم الوطنية غير متيسر ولكن المتيسر هو إقناعهم بذلك من طريق الدين وهو ماتحاوله : فالمنار يخدم الوطن الخدمة النافعة ولكنه لايلغو باسم الوطن والوطنية لان هذا اللغو من شنشنة الذين يقولون مالا يفعلون

﴿ مكتبه اسلامية عمومية فى روسيا ﴾

تتضافر الانباء على حسن حال اخواننا المسلمين في بلاد روسيا وعنايتهم بالعلم والتربية الاسلامية حتى ان العارفين يفضلونهم على جميع المسلمين في مكارم الاخلاق وفي الاتحاد والاتفاق. وقد كتب الينا من مدينة خاركوف ان مسلميها على قلة عددهم يشتغلون الآن بانشاء مكتبة عمومية لانظير لها فى بلاد روسيا وقد انبرى لهذا الامر وتبرع له بالمال الكثير محمد غني أفندي بن سعد الدين أحد قراء المنار الاخيار لجلب الكتب الكثيرة من البلاد فنسأل الله تعالى ان يكثر من أمثال هذا الشاب الغيور فى المسلمين . ومن هنا نستدل على حسن معاملة حكومة القيصر للمسلمين وعلى حرية العلم فيهم لولا ان مراقبي المطبوعات في موسكو وغيرها يمنعون عنهم بعض أجزاء المنار بسوء فهم مترجميهم لاشيء فيه يقتضي ذلك فانه لم يعب السياسة الروسية لهم قط

﴿ مسألة مراكش ـ رأي المنار ومكاتب التيمس ﴾

كتبنا في الجزء العاشر مقالة في الخطر المحدق ببلاد مراكش قلنا فيها ان الفتنة أقوى من سلطان تلك البلاد ويوشك ان تذهب بملكه وان مارتاه بعض الناس من وجوب استيلاء فرنسا على بلاد الغرب الاقصى لايوافق مصلحتها فان المسلمين أشداء لايتيسر تذليلهم الا بامرائهم وحكامهم الخ ثم بعد عشرين يوما من انتشار المنار نشرت جريدة الاهرام مثل هذا الرأي للمستر هاريس مراسل التيمس فى مراكش « صاحب الملانة الكبرى والزلفى العظمى لدى مولاي عبد العزيز » فاشار باستيلاء فرنسا على الادارة واستخدام سلطة السلطان الدينية لذلك ، ويفهم من كلامه ان السلطان مستعد لذلك والدول موافقة .....

الجزء الثامن عشر المجلد السادس

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق﴾

﴿مصر — السبت ١٦ رمضان سنة ١٣٢١ — ٥ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٣﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر﴾

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ * لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *

الكلام لا يزال فى أهل الكتاب ومن على شاكلتهم فقوله تعالى «ومن أظلم ممن منع مساجد الله» الآية فيه وجوه أحدها أنه يشير الى حادثة وقعت بعد المسيح بسبعين سنة وهي دخول تيطس الروماني فى بيت المقدس وتخريبها حتى صارت

المدينة تلاًّ من التراب وهدمه هيكل سليمان عليه السلام حتى لم يبق منه الا بعض الجدر المدعثرة وإحراقه ما كان عند اليهود من نسخ التوراة وكان المسيح عليه السلام قد أوعد اليهود بذلك. وقال بعض المفسرين ان أتباع المسيح هم الذين هيجوا الرومانيين وأغروهم بهذا العمل . قال الاستاذ الامام ولا أدري هل يصح هذا الخبر أم لا فان قائليه لم يأتوا عليه بادلة ولا بنقول تاريخية ولكنني أعلم ان المسيحيين على قلتهم وتشتتهم واستخفائهم من اضطهاد اليهود كانوا قد وصلوا الى رومية وكانوا يودون الايقاع باليهود الذين اضطروهم الى الخروج من بلادهم انتقاما منهم وتحقيقا لوعيد المسيح وأن الرومانيين - وان كانوا وثنيين يرون أن اليهود ليسوا على شيء - لم تكن حروبهم دينية وانما كانوا يحاربون اليهود وغيرهم لشغبهم وفتنهم أو للطمع فى بلادهم وذلك لا يقضي بهدم المعبد واحراق كتب الدين . فهذه قرائن ترجح انه كان للمسيحيين يد فى اغارة تيطس ولكن لا يجزم به الا اذا وجد نقل تاريخي صحيح يؤيد الخبر

ومن الغريب ان ابن جرير الطبري قال فى تفسيره ان الآية فى اتحاد المسيحيين مع بختنصر البابلي على تخريب بيت المقدس مع أن حادثة بختنصر كانت قبل وجود المسيح والمسيحية بست مئة وثلاث وثمانين سنة . ولو لم يكن مؤرخا من أكبر المؤرخين لالتمس له العذر بحمل قوله على حادثة أدرينال الروماني الذى جاء بعد المسيح بمئة وثلاثين سنة وبنى مدينة على اطلال أورشليم وزينها وجعل فيها الحمامات وبنى هيكلا للمشتري على أطلال هيكل سليمان وحرم على اليهود دخول هذه المدينة وجعل جزاء من يدخلها القتل فلذلك كان اليهود يسمونه بختنصر الثاني

لشدة ماقاسوا من ظلمه واضطهاده . ولكن هذا لايصح ان يكون عذرا للمؤرخ

(الثاني) ذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » نزل فى منع مشركي العرب النبي وأصحابه من دخول مكة فى قصة عمرة الحديبية وقالوا ان حادثة الرومانيين كانت قد طال عليها الامد فلا مناسبة لارادتها بالآية . واعترض هذا القول بأن مشركي العرب ماسعوا فى خراب الكعبة بل كانوا عمروها فى الجاهلية وكانوا يعظمونها ويرونها مناط عزهم ومحل شرفهم وفخرهم . وقال (الاستاذ الامام) يصح ان تكون الآية فى الامرين على التوزيع فالذين منعوا مساجد الله ان يذكر فيها اسمه هم مشركو مكة والذين سعوا فى خرابها هم مشركو الرومانيين . ويكون قرن ماعمل المشركون من منع البيت الحرام ان يذكر فيه اسم الله بزيارة النبي وأصحابه بما عمل من قبلهم من مشركي الرومانيين من التخريب من قبيل الاشارة الى تساوي الفعلين في القبح

(الثالث) ان الكلام في أهل الكتاب وان الآية ليست منبئة بأمر وقع ولكن بأمر سيقع وهو ما كان بعد ذلك من اغارة الصليبيين على بيت المقدس وغيره من بلاد المسلمين وصدهم عن المسجد الاقصى وتخريبهم كثيرا من المساجد

(الرابع) وهو مبني أيضا على ان الآية منبئة عن أمر سيقع وهو ان المراد بها حادثة القرامطة الذين هدموا الكعبة ومنعوا المسلمين منها وهدموا كثيرا من المساجد . كأنه بعد ان ذكر حال أهل الكتاب فى طعن اليهود منهم بالنصارى وقولهم فيهم إنهم ليسوا على شيء من الدين وطعن النصارى في اليهود كذلك وبعد قوله فى المشركين الذين لايعلمون

الكتاب انهم قالوا مثل قولهم لم يبق الا ماسيقع للمسلمين وفى المسلمين
فأنبأ الله تعالى بهذه الحادثة من الاخبار بالغيب فوقعت وكانت حادثتهم
من أكبر الاحداث في المسلمين فانهم استولوا على جزء كبير من ممالك
الاسلام وهدموا المساجد وعاثوا في الارض فسادا ولم يكن فى أيام
الحروب الصليبية على طولها من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة مثلما
كان على عهد القرامطة . فالآيات على هذا مبينة لاحوال جميع الملل
سواء كانت الآية في حادثة واقعة أو منتظرة أم كانت وعيدا للذين
لايحترمون المعابد على الإطلاق. هي على كل حال ناطقة بوجوب احترام
كل معبد يذكر فيه اسم الله تعالى بالصلاة والتسبيح وبتحريم السعي فى
خراب المعابد ، وبالحكم على الذين يصدون الناس عنها ويسعون فى خرابها
أي هدمها أو تعطيل شعائرها وعبادة الله فيها بكونهم أظلم الناس. وانما كانوا
أظلم الناس كما يستفاد من استفهام الإنكار لان المنع من ذكر الله تعالى وابطال
شعائر المعابد التي تذكّر به وتشعر القلوب عظمته انتهاك لحرمة الدين يفضي الى
نسيان الناس الرقيب المهيمن عليهم فيمسون كالهمل وتفشو فيهم المنكرات
والفواحش وانتهاك الحرمات وهضم الحقوق وسفك الدماء. وعبادة الله تعالى
بذكره والصلاة له تنهى بطبيعتها عن الفحشاء والمنكر ولا ينافى ذلك ماعساه
يطرأ على العبادة أو يوجد فى المساجد من الاشياء المبتدعة التي لم يأمر بها الكتاب
فمن علم بهذه البدع فعليه ان ينكرها ويسعى فى إزالتها ولا يجوز له السعي فى إزالة
المعابد من الارض لما فى ذلك من الفساد الذي أشرنا اليه. وهذا هو السر
في حكم الشريعة الاسلامية باحترام كنائس أهل الكتاب وبيعهم وصوامعهم
وعبادهم واحترام معابد الذين لهم شبهة كتاب أيضا كالمجوس والصابئين بل

الاستاذ الامام يعد الصابئين من أهل الكتاب. اما الوثنيون الخلص الذين اتخذوا من دون الله أولياء ويبنون المساجد لذكر غيره والتقرب الى سواه فهؤلاء لم يتعرض لذكرهم ولم يتوعد من يمنعهم من سخفهم

ثم قال تعالى فى شأن المعتدين على المساجد « أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الاخائفين » أي فكيف يدخلونها مفسدين ومخربين ، ولا ينبغي للعاقل ان يقدم على أمر الا بعد النظر فيه والعلم بدرجة نفعه أو ضره. وما كانت عبادة الله تعالى الا نافعة وما كان تركها الا ضاراً. وما عساه يوجد فى عبادات الامم من الخرافات الضارة فانما المكروه منه ما فيه مما يبعد عن عبادة الله تعالى ويوقع فى إشراك غيره فيها. على ان العبادة الممزوجة بنزغات الوثنية ، أهون من التعطيل القاضي بالجحود المطلق ، لذلك توعد الله تعالى أولئك المعتدين الظالمين بقوله « لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » فأما خزي الدنيا فهو ما يعقبه الظلم من فساد العمران ، المفضي الى الذل والهوان ، وناهيك بظلم يحل القيود ، ويهدم الحدود ، ويغري الناس بالفواحش والمنكرات ، ويسهل عليهم سبل الشرور والموبقات ، وهو ظلم إبطال العبادة من المساجد ، والسعي فى خراب المعابد ، اذا وقع هذا الظلم كان الحاكم الظالم مخذولا فى حكمه ، والفاتح الظالم غير أمين فى فتحه ، واذا أردت تطبيق ذلك على من نسب اليهم هذا الظلم فانظر ماذا حل بالرومانيين ، وماذا كانت عاقبة العرب المشركين ، وبماذا انتهى عدوان الصليبيين ، وكيف انقرض حزب القرامطة المجرمين ، واما عذاب الآخرة فالله أعلم به ونحن بوعده ووعيده من المؤمنين ،

ثم قال تعالى « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » ذهب

المفسر (الجلال) الى ان المراد بالمشرق والمغرب الارض كلها لانهما ناحيتاها وقال فى قوله « فأينما تولوا فثم وجه الله »أي أيّ مكان تستقبلونه فى صلاتكم فهناك وجه القبلة التي أمر الله بأن يتوجه اليها . ووجه الاستاذ الامام هذا بقوله إن من شأن العابد ان يستقبل وجه المعبود ولما كان سبحانه منزها عن المادة والجهة واستقباله بهذا المعنى مستحيلا شرع للناس مكانا مخصوصا يستقبلونه في عبادتهم إياه وجعل استقبال ذلك المكان كاستقبال وجهه تعالى . ثم قال

هذه الآية متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى «ومن أظلم ممن منع مساجد الله » الخ وأكثر المفسرين على خلاف ما قال الجلال فى تفسير المشرق والمغرب قالوا ان المراد بهما الجهتان المعلومتان لكل أحد ولذلك خصهما بالذكر فهو كقوله تعالى « رب المشرقين ورب المغربين » وهو يستلزم ما قاله الجلال فان المراد على كل حال : أية جهة استقبلت وتوجهت اليها فى صلاتك فانت متوجه الى الله تعالى لان كل الجهات له «ان الله واسع» لا يتحدد ولا يحصر فيصح ان يتوجه اليه فى كل مكان، «عليم» بالمتوجه اليه أينما كان، أي فاعبد الله حيثما كنت ، وتوجه اليه أينما حللت، ولا تتقيد بالامكنة فان معبودك غير مقيد.

ووجه المناسبة والاتصال بين هذه الآية وما قبلها ظاهر على هذا التفسير فان فيها إبطال ما كان عليه أهل الملل السابقة من اعتقاد أن العبادة لله تعالى لا يصح ان تكون الا في الهيكل والمعبد المخصوص وفى إبطال هذا إزالة ما عساه يتوهم من وعيد من منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه من أنه وعيد على ابطال العبادة فى المواضع المخصوصة لانه إبطال لها بالمرة اذ لا تصح الا في تلك المواضع فهذه

الآية تنفي ذلك التوهم من حيث تثبت لنا قاعدة من أهم قواعد الاعتقاد وهي ان الله تعالى لا تحدده الجهات ، ولا تحصره الأمكنة ، ولا يتقرب اليه بالبقاع والمعاهد ، ولا تنحصر عبادته في الهياكل والمساجد ، وانما ذلك الوعيد لانتهاك حرمات الله وإبطال نوع من أنواع عبادته وهو العبادة الاجتماعية التي يجتمع لها الناس في أشرف المعاهد على خير الأعمال التي تطهر نفوسهم وتهذب أخلاقهم

وهذا الضرب من البيان مما امتاز به القرآن على سائر الكلام فانك لترى فيه فنونا من الاستدراك والاحتراس قد جاءت في خلال القصص وسياق الأحكام ، تقرأ الآية في حكم من الاحكام أو عظة من المواعظ أو واقعة تاريخية فيها عبرة من العبر فتراها مستقلة بالبيان ولكنها باتصالها بما قبلها قد أزالت وهما ، أو تممت حكما ، وكان ينبغي لاهل العربية ان يقتبسوا هذه الضروب من البيان ، ويتوسعوا بها في أساليب الكلام ، فان القرآن قد أطلق لهم اللغة من عقالها ، وعلمهم من الاساليب الرفيعة ما كانت تستحليه أذواقهم ، وتنفعل له قلوبهم ، وتهتز له نفوسهم ، وتتحرك به أريحيتهم ، ولكنهم لم يوفقوا لاقتباس هذه الاساليب الجديدة ، على أن ملكتهم في حسن البيان ، قد ارتقت بعد نزول القرآن ، .

(قال الاستاذ الامام) وسنعطي هذا الموضوع حقه من البيان في موضع تكون مناسبته أقوى من هذه المناسبة

ثم عاد الكتاب الى النسق السابق في تعداد مخازي أهل الكتاب والمشركين بعد ماذكر من وعيد من منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ماذكر وبين انه يعبد في كل مكان فقال جل وعز «وقالوا اتخذ الله ولدا» فهذا عطف على قوله تعالى

«وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » وقوله « و قالت اليهود ليست النصارى على شيء » الخ ويصح ان ينسب هذا الى اليهود والنصارى والذين لا يعلمون جميعا والى فرقة واحدة منهم . ووجه العموم أن الله تعالى أخبرنا فى مواضع من كتابه بأن اليهود قالت : عزير ابن الله : وان النصارى قالت : المسيح ابن الله : وان المشركين قالوا : ان الملائكة بنات الله . ولا فرق فى الاحكام التي تسند الى الأمم بين كونها صدرت من جميع أفراد الامة وكونها صدرت من بعضهم فان مثل هذا الاسناد مبنيٌّ بتكافل الامم كما تقدم غير مرة . وقد نقل ان كلمة : عزير ابن الله : قالها بعض اليهود لا كلهم وكذلك اعتقاد كون الملائكة بنات الله لم يكن عاما فى مشركي العرب وانما عرف عن بعضهم . ثم رد على مدعي اتخاذ الولد بقوله « سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون » نزه تعالى نفسه بكلمة «سبحانه» التي تفيد التنزيه، مع التعجب مما ينافيه، كأن الذي يعرفه تعالى لا ينبغي ان يصدر عنه مثل هذا القول الذي يشعر بأن لله تعالى جنسا يماثله فان قائل ذلك لا يكون على علم بالله تعالى وإنما يكون زاعما فيه المزاعم وظانا فيه الظنون .

هذا الولد الذي نسبوه الى الله تعالى لا بد ان يكون من العالم العلوي وهو السماء أو من العالم السفلي وهو الارض ولا يصلح شيء منهما ان يكون مجانسا له عز وجل لان جميع ما في السموات والارض ملك له قانت لعزته وجلاله أي خاضع لقهره مسخر لمشيئته فاذا كانوا سواء في كونهم مسخرين له بفطرتهم ، منقادين لارادته بطبيعتهم واستعدادهم ، فلا معنى حينئذ لتخصيص واحد منهم بالانتساب اليه وجعله ولدا مجانساله ،

نعم ان له سبحانه ان يختص من شاء بما شاء كما اختص الانبياء بالوحي ولكن هذا التخصيص لا يرتقي بالمخلوق الى مرتبة الخالق ، ولا يعرج بالموجود الممكن الى درجة الوجود الواجب ، وإنما يودع سبحانه فى فطرة من شاء ما يؤهله لما شاء منه «أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» وليست شبهة الذين اتخذوا بعض البشر آلهة بأمثل من شبهة الذين اتخذوا بعض الكواكب آلهة اذ التفاوت بين الشمس والقمر أظهر مثلا من التفاوت بين المسيح وبين سائر الناس الذين عبدوه وقالوا هو ابن الله أو هو الله

وقد غلب فى الملكية ما لا يعقل فقال «له ما فى السموات» الخ لان المراد بتسخيرها له التسخير الطبيعي الذى لا يشترط فيه الاختيار لا التسخير الشرعي المعبر عنه بالتكليف الذى يفعله الكاسب باختياره. ويستوي فى التسخير الطبيعي العاقل وغيره ولكنه فى غير العاقل أظهر. ولما ذكر القنوت له تعالى جمعه بضمير العاقل فغلب فيه العقلاء لان من شأن القنوت ان يكون من العاقل الذى يشعر بموجبه ويفعله باختياره وان كان لغير العاقل قنوت يليق به . وجملة القول ان الآية ناطقة بأن ما في السموات والارض ملك لله تعالى ومسخر لارادته ومشيئته لا فرق بين العاقل وغيره فقد حكم على الجميع بالملكية وبالقنوت الذي يراد به التسخير وقبول تعلق الارادة والقدرة ولكنه عند ذكر الملك عبر عنه بالكلمة التي تستعمل غالبا فى غير العاقل وهي كلمة (ما) لأن المعهود فى ذوق اللغة وعرف أهلها ان الملك يتعلق بما لا يعقل وعند ذكر القنوت عبر عنه بضمير العقلاء لانه من أعمالهم ومما يعهد منهم ويسند اليهم لغة وعرفا. وهذا كما ترى من أدق التعبير وألطفه ، وأعلى البيان وأشرفه

ثم زاد هذين الحكمين بيانا وتأكيدا فقال «بديع السموات والارض»
قال المفسرون ان البديع بمعنى المبدع فهو مشتق من الرباعي واستشهدوا ببيت من كلام عمرو بن معدي كرب جاء فيه (سميع) بمعنى مسمع وقالوا قد تعاقب فعيل ومفعل في حروف كثيرة كحكيم ومحكم وقعيد ومقعد وسخين ومسخن . وقالوا ان الابداع هو إيجاد الشيء بصورة مخترعة على غير مثال سبق وهو لا يقتضي سبق المادة واما الخلق فمعناه التقدير وهو يقتضي شيئا موجودا يقع فيه التقدير . واذا كان هو المبدع للسموات والارض والمخترع لهما والموجد لجميع مافيهما فكيف يصح ان ينسب اليه شيء منهما على انه جنس له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

وكان الاصمعي ينكر فعيلا بمعنى مفعل لان القياس بناؤه من الثلاثي ويقول ان بديعا صفة مشبهة بمعنى لا نظير له وبديع السموات معناه البديعة سمواته وفي هذا ترك للقياس الذي قضى في الصفة المشبهة تضاف الى الفاعل ان تكون متضمنة ضميرا يعود على الموصوف والحق ان تحكيم القياس فيما ثبت من كلام العرب تحكيم جائر فما كان للدخيل في القوم ان يعمد الى طائفة من كلامهم فيضع لها قانونا يبطل به كلاما آخر ثبت عنهم ويعده خارجا عن لغتهم بعد ثبوت نطقهم به . فاذا كان كل واحد من الوجهين صحيح المعنى حكمنا بصحة كل منهما والأول أظهر وشواهده المسموعة أكثر

واما قوله « واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » فمعناه انه اذا أراد ايجاد أمر واحداثه فانما يأمره ان يكون موجودا فيكون موجودا فكن ويكون من كان التامة . وقد ذهب جمهور العلماء الى ان هذا ضرب من التمثيل أي ان تعلق ارادته تعالى بايجاد الشيء يعقبها وجوده كأمر يصدر

فيعقبه الامتثال فليس بعد الارادة الا حصول المراد . وقال بعضهم بل هو قول حقيقي . قال الاستاذ الامام : وقد وقع هذا الخلاف من أهل السنة وغيرهم وعجيب وقوعه منهم فإن عندهم مذهبين فى المتشابهات التي يستحيل حملها على ظاهرها وهما مذهب السلف فى التفويض ومذهب الخلف في التأويل وظاهر ان هذا من المتشابه والقاعدة في تأويل مثله معروفة ومتفق عليها وهي ارجاع النقلي الى العقلي لانه الاصل وههنا يقولون ان الأمر بمعنى تعلق الارادة وان معنى (يكون) يوجد

ذلك شأنه تعالى فى الايجاد والتكوين وهو أغمض أسرار الالوهية فمن عرف حقيقته فقد عرف حقيقة المبدع الاول وذلك مالا مطمع فيه . وقد عبر عن هذا السر بهذا التعبير الذي يقرّ به من الفهم ، بما لا يتشعب فيه الوهم ، ولا يوجد فى الكلام تعبير آخر أليق به من هذا التعبير : يقول للشيء « كن » فيكون : فالتوالد محال فى جانبه تعالى لان ما يعهد فى حدوث بعض الاشياء وتولدها من بعض فهو لا يعدو طريقين ـ الاستعداد القهري الذي لا مجال للاختيار فيه كحدوث الحرارة من النور وتولد العفونة من الماء يتحد بغيره ، والسعي الاختياري كتولد الناس بالازدواج الذي يساقون اليه مع اختياره والقصد اليه . واذا كان كل واحد من الامرين محالا على الله تعالى وكان تعالى هو المبدع لجميع الكائنات وهي بأسرها ملكه ومسخرة لارادته فلا معنى لاضافة الولد اليه . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

باب الاخبار النبوية

(زكاة الفطر)

زكاة الفطر هي أول زكاة فرضت على هذه الأمة وهي أخف الزكوات وأيسرها لانها عبارة عن قيام كل واجد زيادة عما يكفيه فى يوم عيد الفطر بكفاية واحد من المسلمين عادم ما يكفيه فى ذلك اليوم . وهي منسوبة الى الفطر لانها تجب به أي بالفطر من رمضان كله وذلك بالدخول فى ليلة العيد وقيل بطلوع فجره وقال بعض العلماء ان المراد بالفطر الفطرة والخلقة لانها تجب على الواجد الذى لم يصم لعذر أولغير عذر ويجب على المكلف ان يخرجها أيضاً عن أولاده الصغار الذين لايصومون . والصواب الاول والحكمة في وجوبها على من ذكر ظاهرة فانها شرعت لكفاية جميع الفقراء وإغنائهم عن ذل السؤال في يوم العيد الذي هو يوم ضيافة الله تعالى للمؤمنين فلما دخل فى الفقراء أطفالهم وجب على الاغنياء ان يزكوا عن أطفالهم أيضاً وكذلك السيد يخرج زكاة الفطر عن عبده وقالوا ان الصغير اذا كان ذا مال فانها تجب في ماله ويخرجها الولي وان كان أبا والا أخرج عنه من مال نفسه وقد ورد انها كفارة للصائم تكفر عنه ماعساه يقع منه مما ينافي حكمة الصيام فهي كالرواتب للصلاة تجبر مايقع من النقص فيها.ولنذكر ماورد في مشروعيتها وأحكامها من الاحاديث الشريفة

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر اوصاعا من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم .

(٢) عن أبي سعيد قال « كنا نخرج زكاة الفطر اذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام أوصاعا من تمر أوصاعا من شعير أوصاعا من زبيب أوصاعا من أقط فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة فقال : إني لأرى مدين من سمراء الشام يعدل صاعا من تمر : فأخذ الناس بذلك » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم وزاد من عداالبخاري : قال أبو سعيد

فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه :

(٣) وعن أبي سعيد انه قال « ماأخرجنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصاعا من دقيق أوصاعا من تمر أوصاعا من سلت أوصاعا من زبيب أوصاعا من شعيرأوصاعا من أقط » رواه الدارقطني عن ابن عيينة عن ابن عجلان عن عياض ابن عبد الله عنه وفيه « قال ابن المديني لسفيان ابن عيينة : ياأبا محمد ان أحدا لايذكر في هذا الدقيق : فقال بلى هو فيه . أورد الحديث صاحب منتقى الاخبار وذكر ان الامام أحمد احتج به على إجزاء الدقيق وقد ورد ذكر الدقيق في غير هذه الرواية وطعن الجمهور فى رواياتها وقد قال أبو داود فى سننه ان ذكر الدقيق وهم من ابن عيينة

(شرح الالفاظ) الطعام في الحديث الحنطة لانه الغالب فيها عرفا عن العرب كالمال فى الابل ويصرف اللفظ الى ماغلب استعماله فيه عند الإطلاق ولكن روى البخاري وغيره عن أبي سعيد انه قال « وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر » ولذلك ذهب ابن المنذر الى ان ذكر الطعام مجمل فسره مابعده من تعدد أصنافه ولكن نظم الحديث يأبى هذا وان كان لفظ الطعام يشمل ماذكر لانه في الاصل مايطعم ويذاق . وقوله حتى قدم معاوية : زاد مسلم « حاجا أومعتمرا وكلم الناس على المنبر » وسمراء الشام حنطتها . وقد بين النووي ان قول معاوية هذا ليس بحجه لانه رأي له لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولذلك لم يأخذ به أبو سعيد راوي الحديث . والأقط بتثليث الهمزة مع سكون القاف وبتثليث القاف مع فتحها هو الجبن يتخذ من اللبن الحامض غير منزوع الزبد والسلت بالضم نوع من الشعير أملس كالحنطة ولكن برودته وطبعه كالشعير

أما الصاع فهو خمسة أرطال وثلث عراقيه كما قدره الامام مالك وعليه الحجازيون وعامة أهل الحديث وقال الحنفية انه ثمانية أرطال لان الصاع الذى يتعامل به أهل العراق كذلك ولكن أبا يوسف رجع أخيرا عن قول أبي حنيفة الى قول مالك لما ناظره ووقف على حجته . روى الدارقطني والبيهقى عن اسحق بن سليمان الرازي انه قال قلت لمالك ابن أنس : أبا عبد الله كم قدر صاع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال

خمسة أرطال وثلث بالعراقي أنا حزرته : فقلت : أبا عبد الله خالفت شيخ القوم قال من هو ؟ قلت أبو حنيفة يقول ثمانية أرطال . فغضب غضباً شديدا ثم قال لجلسائنا : يافلان هات صاع جدك يافلان هات صاع عمك يافلان هات صاع جدتك . قال اسحق فاجتمعت آصع فقال : ماتحفظون فى هذا ؟ فقال هذا : حدثني أبي عن أبيه أنه كان يؤدي بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال هذا : حدثني أبي عن أخيه انه كان يؤدي بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر : حدثني أبي عن أمه انها أدت بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال مالك : أنا حزرت هذه فوجدتها خمسة أرطال وثلثا : ولعمري انه لايقدم على قول مالك قول في مثل هذه الامور التي اختبرها بنفسه فى مدينة الرسول عليه السلام مع قرب العهد وهذه الارطال تبلغ ست مئة درهم وثمانين وخمسة أسباع درهم من الحنطة وهي قدحان من أقداح مصر

(وقت اداء الفطرة)

(٤) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بزكاة الفطر أن تؤدي قبل خروج الناس الى الصلاة رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الا ابن ماجه . والمراد بالصلاة هنا صلاة العيد وذلك ان الغرض منها كفاية الفقراء في ذلك اليوم وروى ابن خزيمة انقوله تعالى «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » نزل في زكاة الفطر وصلاة العيد ورفع ذلك الى النبي عليه الصلاة والسلام وهو لاينافي عموم الآية وأن تزكية النفس وتطهيرها يكون بغير زكاة الفطر من الفضائل والاعمال النافعة كما يكون بها .

(٥) عن ابن عباس قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطرة طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات : رواه أبو داود وابن ماجه والدار قطني والحاكم وصححه . وهو يدل على عدم جواز تأخير اداء الفطرة عن صلاة العيد ولكن الجمهور على انأداءها قبل صلاة العيد هو الافضل وانه يجوز تأخيرها عنه الى آخر النهار واتفقوا على انه لايجوز تأخيرها عن يوم العيد

والحديث حجة قائمة لاينبغي ان يتهاون به لقول أحد

وقد جوز بعض العلماء تقديمها على يوم العيد وقال بعضهم انها كالصلاة لاتقدم على وقتها كما انها لاتؤخر عنه . والمروي في البخاري انهم كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين وبه قال أحمد وعده تعجيلا وروي أيضاً عن مالك وذهب الشافعية الى جواز اخراجها من أول رمضان وتوسع آخرون فقالوا بجواز اخراجها قبل دخول رمضان وذلك انهم أدخلوا فيها القياس وقد علمت ان ذلك ينافي حكمة إغناء المساكين فى يوم العيد عن السؤال فقد روى البيهقي والدار قطني عن ابن عمر انه قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر وقال « أغنوهم فى هذا اليوم » وفى رواية للبيهقى « اغنوهم عن طواف هذا اليوم » وأخرجه ابن سعد فى الطبقات من حديث عائشة وأبى سعيد . فمن وفقه الله لاتباع السنة يتحرى اخراجها بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد فان رأى فى ذلك مشقة أوفي التعجيل مصلحة فليخرجها قبل العيد بيوم أو يومين اتباعا

واختلف العلماء فى مسائل أخرى من أحكام زكاة الفطر فذهب الشافعية الى أنها تجب من القوت الغالب فى كل بلد ولذلك يتعين في مثل هذه البلاد القمح رخص ثمن أوغلا وعندهم قول ثان وهو انه يجب على كل أحد ان يخرجها من غالب قوته هو وان لم يكن غالب قوت البلد وقول ثالث وهو انه يخير في الأجناس المنصوصة وقد رأيت في النصوص أنهم كانوا يخرجونها مما يأكلون ولا أرى من يرسل الى الفقير في صبيحة العيد شيئاً من الخبز واللحم والحلوى الا عاملا بما ورد ومتبعا للسنة لاسيما مع ملاحظة ان نفوس الفقراء والمساكين تتشوف فى يوم العيد الى أكل الواجدين الموسرين ولذلك نرى الذين ترسل اليهم زكاة الفطر من الحنطة يدخرون مايعطون ثم هم يطوفون فى يوم العيد على الأبواب يسألون الموسرين الطعام . فان قال الفقهاء : اننا تعبدنا بتلك الأصناف المذكورة في الحديث فلا يحل لنا ان ننظر فى المقصود منها فنعمل به : نقول ان ظاهر الحديث التخيير بين الاصناف فعليهم ان لايقيسوا عليها غيرها من الأقوات وان لايجيزوا استبدال غيرها بها ولا دفع قيمتها

واختلفوا أيضاً فيما يملكه من تجب عليه زكاة الفطر فقاسها بعضهم كالحنفية

على الزكاة وقال انهـا لاتجب على من لايملك نصابها وهو قياس مع الفارق لأن تلك زكاة الاموال وهذه زكاة الأبدان ولهم حديث عام في الصـدقه معارض بمـا هو أقوى منه . وذهب مالك والشافعي وأحمـد الى أنها تجب على من يملك مايزيد عن حاجته وحاجة من تلزمه نفقتهم يوم العيـد وليلته عمـلا بإطلاق أحاديث الوجوب واعتبارا بمـا ورد فى تعليلها من انها « طهرة للصائم » كما تقدم في حديث ابن عباس وقد قالوا ان الحاجة تختلف باختلاف طبقات النـاس فلا تجب زكاة الفطر الا على من عنده فضل عمـا يليق بأمثاله في طعامه وشرابه ولبوسـه وما عونه وأثاثه . وهو ظاهر لاغبار عليه

هـذا ماذكره فتحا لباب النظر في السنة وتحريهـا فى العمل والاعتبار بحكم الدين والتفقه فيه . وان خطباء المساجد يبينون في خطبة العيد أقوال أهل المذاهب الأربعـة لمقلديهم . وقد أشرنا الى بعض الخلاف بينهم ومن أهمه ان الحنفيـة على اعترافهم بأن الفطرة تجب في الطعام وموافقتهم للآخرين في ان الحنطة في مثل هذه البلاد هي القوت الغالب الذي ينبغى اعتباره فى هذه الزكاة أجازوا ان يقـدر ثمن نصف الصاع من البر ويعطى للفقير نقدا وقالوا ان هذا أفضل لانه أنفع وقد أطال الغزالي فى الاحياء البيان فى رد هذا القول . والاحتياط ان يتحرى الانسان موافقة الائمة فى اتبـاع السنة ولا خلاف بينهم فى جعل زكاة الفطر من الحنطة والله أعلم

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(الوجه الخامس والثلاثون) : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنمـا أرشد المستفتين كصاحب الشجة بالسؤال عن حكمه وسنته فقال « قتلوه قتلهم الله » فدعا عليهم حين افتوا بغير علم وفى هـذا تحريم الافتاء بالتقليد فانه ليس علما باتفاق الناس فان مادعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاعله فهو حرام وذلك أحـد أدلة التحريم . فمـا احتج به المقلدون هو من أكبر الحجج عليهم والله الموفق .

وكذلك سؤال أبي العسيف الذي زنى بامرأة مستأجرة لأهل العلم فانهم لمـا أخبروه بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى البكر الزاني أقره على ذلك ولم

ينكره فلم يكن ثم سؤالهم عن رأيهم ومذاهبهم .

(الوجه السادس والثلاثون) : قولهم ان عمر قال في الكلالة :إني لأستحي من الله ان أخالف أبا بكر:وهذا تقليد منه له فجوابه من خمسة أوجه.

(أحدها) انهم اختصروا الحديث وحذفوا منه مايطل استدلالهم ونحن نذكره بتمامه .قال شعبة عن عاصم الاحول عن الشعبي ان أبا بكر قال في الكلالة :أقضي فيها برأيي فان يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بري هو مادون الولد والوالد : فقال عمر بن الخطاب « رض » اني لأستحي من الله ان أخالف أبا بكر:فاستحى عمر من مخالفة أبي بكر في اعترافه بجواز الخطأ عليه وانه ليس كلامه كله صوابا مأمونا عليه الخطأ ويدل على ذلك ان عمر بن الخطاب « رض » أقر عند موته انه لم يقض في الكلالة بشيء وقد اعترف انه لم يفهمها.

(الوجه الثاني) ان خلاف عمر لأبي بكر أشهر من ان يذكر كما خالف في سبي أهل الردة فسباهم أبو بكر وخالفه عمر وبلغ خلافه الى ان ردهن حرائر الى أهلهن الا من ولدت لسيدها منهن ونقض حكمه ومن جملتهن خولة الحنفية أم محمد ابن علي فأين هذا من فعل المقلدين بمتبوعهم • وخالفه في أرض العنوة فقسمها أبو بكر ووقفها عمر • وخالفه في المفاضلة في العطاء فرأى أبو بكر التسوية ورأى عمر المفاضلة • ومن ذلك مخالفته له في الاستخلاف وصرح بذلك فقال : إن استخلف فقد استخلف أبو بكر وان لم أستخلف فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف • قال ابن عمر : فوالله ماهو الا ان ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعلمت انه لايعدل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدا وانه غير مستخلف فهكذا يفعل أهل العلم حين تتعارض عندهم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقول غيره لايعدلون بالسنة شيأ سواها لا كما يصرح به المقلدون صراحا.وخلافه له في الجد والاخوة معلوم أيضاً •

(الثالث) انه لو قدر تقليد عمر لأبي بكر في كل ماقاله لم يكن في ذلك مستراح لمقلدي من هو بعد الصحابة والتابعين ممن لايداني الصحابة ولا يقاربهم فان كان – كما زعمتم – لكم اسوة بعمر فقلدوا أبا بكر واتركوا تقليد غيره والله ورسوله

وجميع عباده يحمدونكم على هذا التقليد مالا يحمدونكم على تقليد غير أبي بكر .

(الرابع) ان المقلدين لأئمتهم لم يستحيوا مما استحيي منه عمر لانهم يخالفون أبا بكر وعمر معه ولا يستحيون من ذلك لقول من قلدوه من الأئمة بل قد صرح بعض غلاتهم في بعض كتبه الأصولية انه لايجوز تقليد أبي بكر وعمر ويجب تقليد الشافعي فيالله العجب الذي أوجب تقليد الشافعي حرم عليكم تقليد أبي بكر وعمر ونحن نشهد الله شهادة نسأل عنها يوم نلقاه انه اذا صح عن الخليفتين الراشدين اللذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتباعهما والاقتداء بهما قول وأطبق أهل الارض على خلافه لم نلتفت الى أحد منهم ونحمد الله ان عافانا مما ابتلى به من حرم تقليدهما وأوجب تقليد متبوعه من الأئمة وبالجملة فلو صح تقليد عمر لأبي بكر لم يكن في ذلك راحة لمقلدي من لم يأمر الله ولا رسوله بتقليده ولا جعله عيارا على كتابه وسنة نبيه ولا هو جعل نفسه كذلك .

(الخامس) ان غاية هذا ان يكون عمر قد قلد أبا بكر في مسئلة واحدة فهل في هذا دليل على جواز اتخاذ رجل بعينه بمنزلة نصوص الشارع لايلتفت الى قول من سواه بل ولا الى نصوص الشارع الا اذا وافقت قوله فهذا والله هو الذي أجمعت الامة على انه محرم فى دين الله ولم يظهر فى الامة الا بعد انقراض القرون الفاضلة .

(الوجه السابع والثلاثون) : قولهم ان عمر قال لأبي بكر: رأينا لرأيك تبع: فالظاهر ان المحتج بهذا سمع الناس يقولون كلمة تكفي العاقل فاقتصر من الحديث على هذه الكلمة واكتفى بها والحديث من أعظم الاشياء ابطالا لقوله .

ففى صحيح البخاري عن طارق بن شهاب قال جاء وفد براخة من أسد وغطفان الى أبي بكر يسألون الصلح نخيرهم بين الحرب المجلية والسلم المخزية . فقالوا: هذه المجلية قد عرفناها فما المخزية قال ننزع منكم الحلقة والكراع ونغنم ما أصبنا لكم وتردون لنا ما أصبتم منا وتدون لنا قتلانا وتكون قتلاكم في النار وتتركون اقواماً تتبعون اذناب الابل حتى يري الله خليفة رسوله والمهاجرين والانصار امرا يعذرونكم به: فعرض أبو بكر ماقال على القوم . فقام عمر بن الخطاب فقال قد رأيت رأيا سنشير عليك اما ماذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية فنعم ماذكرت وما ذكرت من

ان نفهم ماأصبنا منكم وتردون ماأصبتم منا فنعم ماذكرت واما ماذكرت من ان تدون من قتلانا وتكون قتلاكم فى النار فان قتلانا قاتلت فقتلت على أمر الله اجورها على الله لها ديات، فتتابع القوم على ماقال عمر فهذاهو الحديث الذي في بعض الفاظه: قد رأيت رأينا ورأينا رأيك تبع: فاي مستراح فى هذا لفرقة التقليد

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

وردت علينا الاسئلة الثلاثة الآتية من الشيخ محمد نجيب افندي ابن الشيخ شمس الدين محمد المدرس بالمدرسة الشمسية في تونتار (الروسية) فذكرناها بنصها واختصرنا فى جوابها لماسبق لنامن القول فى موضوعاتها الا المسئلة الثانية أطلنا فيها

﴿ المسجد الاقصى وقت الاسراء ﴾

(المسئلة الاولى) ان بعضا من المخالفين اعترض على آية الاسراء فقال ماحاصله إن المسجد الاقصى كان خرابا في ذلك الوقت بشهادة التواريخ الاسلامية فكيف يصح قوله تعالى «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى» الآية انتهى. وقد خطر فى خاطري فى الجواب عنه (أولا) ان المسجد الاقصى كما يطلق على بنائه يطلق على محله والمحل باق البتة الا ان يشكله ماوقع فى حديث آحادي من ربط البراق في حلقة الباب وهو يفيد الاسراء الى البناء لا الى المحل والآية تحتمل المعنيين (وثانيا) ان أمر المعراج والاسراء ليس من الامور العادية لكونه من المعجزات فهو وان كان روحانيا وجسمانيا عندنا الا انه ليس بجسماني عادي بل هو شبيه بالروحاني وانه من أطوار النبوة ويحصل فيها مالا يحصل فى غيرها وقد روي في الخبر ان النبي عليه السلام رأى ليلة المعراج طوفان نوح عليه السلام ونار نمروذ عليه اللعنة ويونس عليه السلام في بطن الحوت

من الامور الماضية ، وأهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار من الامور الآتية، بحيث كوشف بجميع تلك الامور الحادثة وما يحدث باوقاتها لكونه صلى الله عليه وسلم منخلعا عن قيد الزمان عند هذا الحال فحضر الجميع عنده باوقاته فلا يبعد ان يكون رأى المسجد الاقصى بوقت معموريته عند هذا المكان وان لم يره المحبوس فى مطمورة الزمان ولا مانع من تصديقه من جهة العقل أيضا بعد الايقان بأنه من المعجزات لأن شأن المعجزات يكون هكذا فوق طور العقل وانما حظ العقل منه العلم بامكانه وهذا يكفى للإذعان له. واما تعقل المعجزات فهو ليس من وسع العقل بل هو بمعزل عنه ولافرق فى ذلك بين أمر المعراج وسائر الامور الخارقة. هذا ماظهرلي في الامر والمأمول من الاستاذ زيادة التحقيق والاتقان

(ج) ان هذا الاعتراض ليس بشيء فذلك المكان المعبرعنه بالمسجد الاقصى كان معروفا وقد هدم غير مرة وبني وكان يسمى فى حال هدمه وحال بنائه باسم واحد وهو (هيكل سليمان) يقولون هدم الهيكل وبني الهيكل وبقي الهيكل مدة كذا خرابا. وقد بني انيدال الروماني على أطلاله هيكلا للمشتري ولم يتغير اسمه عند اليهود لاعتبارهم ذلك شيئا عارضا لامر ثابت لايزول . ولو استشكل المعترض تسميته مسجدا لكاذله وجه فى الجملة ونقول انه أطلق عليه المسجد كما أطلقه على حرم مكة وهولم يكن يومئذ مسجدا وانما كان بيتا للاصنام وفى ذلك وجهان أحدهما انه سماه مسجدا باعتبار ما كان عليه وماوضع له فما بنى ابراهيم واسماعيل الكعبة ولا سليمان الهيكل الا للعبادة الصحيحة وثانيهما انه أطلق عليهما اسم المسجد للاشارة الى مايؤول اليه أمرهما وهو كونهما مسجدين للمسلمين. وما ذكره السائل

من كون الاسراء والمعراج من الامور الروحانية حسن وسبق لنا فيه قول ولكنه ليس الوجه في تسمية ذلك المكان بالمسجد . ثم ان ربط البراق بالحلقة في بعض الروايات ليس مشكلا اذهدم المكان لاينافي وجود حلقة في اطلاله تربط بها دابة . هذا اذا كان البراق والربط في عالم الحس والملك، فما بالك اذا كان امرا ملكوتيا، او تمثيلا روحانيا،

(تفسير « فلما آتاهما صالحا » الآيات)

(المسئلة الثانية) ان أحد المخالفين أيضا اعترض على قوله تعالى «فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون» قال ماحاصله ان قوله تعالى « جعلا له شركاء» يشعر بأن آدم وحواء عليهما السلام كانا مشركين انتهى. وماذكر في كتب التفاسير من التوجيهات من تقدير همزة الاستفهام أو المضاف أو التصرف في الشرك فلم يقبلها المعترض وقال لابد من تصحيح الآية على ظاهرها أيها المسلمون فان كان فيه وجه آخر غير ماذكر في التفاسير فعليكم بيانه أيها الاستاذ

(ج) لك أن تحل الآيه بهذا التفسير : الله « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» في جنسها وهي الروح التي تتصل بالابدان فتحيها بعدموتها « وَجَعَلَ مِنْهَا زَوجَهَا» أي جعل لها زوجا من جنسها وذلك بعد دخولها في عالم الاجسام . والى هذا التراخي أشار بقوله تعالى في سورة الزمر «خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » أي جعل تلك النفس الواحدة زوجين ذكرا وأنثى كما قال في سورة النجم « وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى » ثم بين علة جعل الزوج من جنس الزوج فقال « لِيَسْكُنَ إِلَيهَا » وسكون كل من الزوجين الى الآخر معروف بالطبع

لجميع البشر فلا حاجة للاشعار به . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» وقد علمنا من أسلوب القرآن البديع أنه ينتقل من ذكر الآيات الكلية الى ذكر الوقائع الجزئية التي لها أثر عام فى عقائد البشر وأخلاقهم كما يذكر الوقائع الجزئية أحيانا ويبني عليها الاحكام العامة . وقد انتقل هنا من ذكر خلق الزوجين وبيان الحكمة فى ذلك الى مايقع لهما ولنسلهما من الكفر بالنعمة ، والجهل بتلك الحكمة ، فقال فى ذلك الزوج المبهم مع زوجه «فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ» ظاهر ان المراد بالتغشي مايكون سبب الحمل واصله التغطية وفيه من النزاهه ماترى . ومرت به بمعنى استمرت على حالها قبل الحمل «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ» بالحمل وأصابتها الشدة ووهم الاسقاط والاجهاض «دَعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا» قائلين «لَئِنْ آتَيْتَنَا» ولدا اونسلا «صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» لنعمتك ، المؤمنين بأن الخير كله بيدك ، «فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا» بأن نسبا ذلك الى تأثير مايسمى سببا ومالا يصلح ان يكون سببا من الامور الموهومة كالاصنام ونحوها وغفلا عن المؤثر الحقيقي الذي بيده أزمة الاسباب وهو الفاعل المختار فسرى هذا الشرك فى ولدهما «فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ *» وهذه الآية كقوله تعالى «فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون»

هذا الذي قلناه فى معنى الآية ظاهر لا إشكال فيه ولا اعتراض عليه . وانما جاء الاشكال من تفسير النفس الواحدة بآدم وزوجها بحواء مع اعتقاد عصمة آدم من الشرك . وليست الآيات نصا ولا ظاهرا فى ذلك ويؤيد

قولنا تتمة السياق وهو قوله تعالى «أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١) * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ *» فهذه الآيات الناطقة بأبلغ الحجج على نفي الشرك وبطلانه وفساد آراء منتحليه من مشركي العرب الذين كانوا يعتزون بأصنامهم ويستنصرون بها على النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن ان تكون فاتحتها قد نزلت فى الاحتجاج على آدم وحواء والنعي عليهما ما كانا عليه من الشرك المجهول ـ اذ كان ـ اذ السياق صريح فى الاحتجاج على مشركي قريش ومن على شاكلتهم ولذلك حمل بعض المفسرين النفس على قصي وكانت زوجه قرشية مثله ومن الشرك فيما آتاهما الله من الولد أن سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد اللات. والا ظهر ما قلناه من التعميم

فان قيل: هل من جواب معقول عن الآية على القول بأن المراد بها آدم وحواء؟ أقول ان أمثل ما يقال اذا فيها هو ما جاء في الرواية وهو انهما سميا

(١) الوجه في حجية هذه الآية ان ما ليس له أعضاء عاملة من الممكنات لا يرتقي الى ان يكون سببا من أسباب التعاون فيدعى لذلك فكيف يدعى لفعل ما هو فوق الاسباب. أو الوجه ان هذه الاصنام هي أدنى في مرتبة الوجود من الانسان الذي له تلك الاعضاء العاملة فكيف يستعين الاعلى بالادني. ويدعو الاكمل الانقص؟

ولدهما عبد الحرث فقد روى أحمد والترمذي والحاكم من حديث سمرة ابن جندب مرفوعا: «لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لايعيش لها ولد فقال لها سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته بذلك فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» وأراد بالحارث نفسه فإنه كان يسمى به بين الملائكة. وفى الحديث مقال وان حسنه الترمذي وصححه الحاكم وكم صحح الحاكم ضعيفا وموضوعا وقد اطال الرازي فى رد كون الآية فى آدم وحواء. وإن سلمنا بالصحة نقول ان الذنب على حواء وانما أسند اليهما مع زوجها لانهما متكافلان وكان ينبغي له ان ينهاها عن هذه التسمية وليس ذلك شركا حقيقيا لانها لم تكن تعتقد بان الحارث إله ولكنه صورة للشرك فأطلق عليه اسم الشرك مبالغة في الزجر والله أعلم

﴿ تعليم النساء الكتابه ﴾

(المسئلة الثالثة) ان بعضا من علمائنا لايجوزون تعليم الكتابة للنساء وينقلون فى ذلك حديثا وهو: لاتعلموا النساء الكتابة ولا تنزلوهن الغرف» فهل له أصل يدنوه أيها الشيخ. وهذا الفقير متردد فى قبوله بل يجده مخالفا لشرعه عليه السلام فانه عليه الصلاة والسلام أمر كل مسلم ومسلمة بطلب العلم والكتابة مقدمة الطلب سيما فى هذه الاعصار فانه لايمكن فيها الطلب بدونها على انه مخالف صريحا لحديث آخر وهو انه عليه السلام قال للشفاء بنت عبد الله وهي عند حفصة «الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة» فقيه دلالة على جواز تعلم الكتابة للنساء لان حفصه تعلمت الكتابة من الشفاء ولم يمنعها النبي عليه السلام وهو دليل الجواز. ثم ان حديث النهي هل هو محمول على التنزيه أو مقصور على مورده أو بينهما تناسخ فالمرجو

من جناب الاستاذ شرح ذلك لكي يحصل التوفيق بينهما. هذا ماتذكرت وقت تحرير هذا الكتاب فلو تفضلتم بالجواب ولكم الاجر والمنة والله لايضيع أجر المحسنين

(ج) الحديث رواه الحاكم من حديث عائشة مرفوعا وصححه والصواب انه موضوع فان في إسناده عبد الوهاب بن الضحاك الحمصي قال أبو حاتم الرازي فيه: كان يكذب: وقال العقيلي والنسائي: متروك الحديث: وقال ابن حبان: كان يسرق الحديث لايحل الاحتجاج به: وقال الدارقطني: منكر الحديث: وقال أبو داود: يضع الحديث: وقال الحافظ ابن حجر فى التقريب: عبد الوهاب ابن الضحاك بن أبان العرضي بضم المهملة وسكون الراء بعدها معجمة ابو الحارث الحمصي نزيل سلمية متروك كذبه ابو حاتم. واماحديث تعليم حفصة الكتابة فرواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وأبو نعيم والطبراني ورجاله ثقات اه من مقالة فى تعليم النساء نشرناها في باب التربية والتعليم من مجلد المنار الثاني (ص٣٣٦)

(س٤) اعتبار رؤية الهلال فى الشهور العربية: من رضاء الدين افندى قاضي القضاة فى اوفا (الروسية):

حديث «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً» الذي أخرجه الشيخان وغيرهما يوجب صوم شهر رمضان عند رؤية هلاله أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما ولكن هذا الحكم هل يتعدى الى غيره من شهور السنة بأن يقال اذا لم ير هلال شعبان يكمل رجب ثلاثين يوماً واذا لم ير هلال رجب يكمل جمادى الآخرة ثلاثين يوما وهلم جرا على مايفيده قول ابن الهمام فى حاشيته على الهداية

(ج ٢ ص ٦٠ طبع بولاق بمصر) أم هـذا الحكم خاص بأول شهر رمضان فقط لايتعـداه الى سواه ؟ واما ابتـداء شـعبان وسائر الاهلة فيعرف بغير هذا مثل التقويمات المطبوعة فى عصرنا اوبعدّ السنة لقمرية ثلاث مئة وأربعة وخمسين يوماً من ابتـداء شعبان الماضي او غـير ذلك مما لايتعلق به حكم شرعي أصلا . فاننا نحن سكان القطبة الشمالية لايمكن لنا رؤية الهلال فى أول ليلته الا نادرا وخصوصا أيام الشتاء التي يقصر فيها النهار جدا . فعلى الاحتمال الاول أعنى لزوم رؤية هـلال شعبان ورجب وغيرهما ربما يتردد ابتداء رمضان وشوال بين ثلاثة أيام أوأزيد ولذلك يكثر فينا الاختلاف بين أئمة المساجد فى الصوم والافطار وقد صار هذا الاختلاف فى هذه الايام اضحوكة عند أهل سائر الملل الذين يعيشون معنا فكثيرا مايصوم أهل محلة ويفطر أهل محلة أخرى والمسافة بينهما قريبة بل ربما يختلف امامان لمسجدواحد واشخاص من أهل بيت واحد . ولما كانت هذه المسئلة من المسائل الشرعية وحرية بالاهتمام وجريدة المنار هى المجلة الوحيدة التي تذب عن الدين نرجو الاجابة عن هذا السؤال ولعلي استفيد من جوابكم عن هـذا أيضا كما استفدت من أجوبتكم المتقدمة ويستفيد أيضا سائر الاخوان وطلاب الحقيقة

(ج) قد علم مما كتبناه فى الجزء الماضي حكمة الشارع في جعل المواقيت الدينيـة مما يشترك في معرفته العامة والخاصـة وعلم أيضا أن اتفاق المسلمين في كل قطر من الاقطار على هذه المواقيت ممكن ولا أرى كثرة الخلاف فى رؤية الهلال من أهل البلاد المتجاورات الا بسبب استحلال الـكذب او الاسـتهانة فى الشهادة برؤية هلال رمضان بحيث

يشهدون بتوهم الرؤية لاسيما فى بلاد يكرمون فيها اولئك الشهود وأذكر أنني رأيت فى بعض السنين الشمس قد غربت كاسفة ثم شهد رجلان أظن فيهما العدالة بأنهما رأيا الهلال فحكم القاضي بشهادتهما في الدعوى التي جرت البدعة الذميمة بها في اثبات شهري الصيام والافطار وصام الناس . ولا شك انهما كانا كاذبين فى شهادتهما اذ لا معنى لغروب الشمس كاسفة الا غروبها مع القمر . ولا أزال ألتمس لهما العذر بأنهما لكثرة التحديق تخيلا انهما رأيا الهلال فشهدا بالتوهم . واذا كان الهلال بحيث يرى فانه يراه فى كل بلد كثيرون من المستهلين الا ان تختلف المطالع ولما كان اخواننا من الشيعة يعملون بالرؤية نراهم قليلي الاختلاف فيها وذلك انهم لا يحاولون موافقة تقاويم الحاسبين فهذه المحاولة وتلك المساهلة هما السبب عند السنيين في كثرة الخلاف التي صاروا بها سخرية الا حيث يتلافون ذلك كما يفعلون فى مصر وقد ذكرناه فى الجزء الماضي

وحاصل القول فى الجواب ان اعتبار رؤية الهلال فى المواقيت الدينية لازم متعين وهو لا يجب فى الأمور الدنيوية ، واذا دقق الحكام فانهم يمنعون الخلاف الا قليلا ، وان الاختلاف في الرؤية لا يقتضي من الخلاف فى إثبات الشهور القمرية بالرؤية أو اكمال العدة أكثر مما يقتضيه الاعتماد على التقاويم فاننا نرى التقاويم التي تطبع فى مصر كل عام تختلف فى إثبات هذه الشهور . وما ذا علينا اذا كان من مقتضى عرفنا الشرعي ان يكون أول الشهر القمري فى الشرع متأخرا يوما واحدا عن أول الشهر الفلكي ؟ ولماذا لا يعمل المسلمون فى كل قطر بما يثبت عند حاكم عاصمته والمسلمون أمة واحدة . هذا ما نراه كافيا وان استزدنا زدنا

(حديث فى جمع الجوامع ـ وصدى دعوة المنار لتعميم العربية)

(س ٥) من عبد الرحمن افندي مستقيم بقرية زويه التابعة لمركز سينبر (الروسية) قال بعد الثناء والدعاء :

أما بعد فقد قرأت فى منارکم الاغر جوابكم لسؤال عبد الحق الاعظمي فى شأن قراءة الخطبة بغير العربية فوجدت كل كلمة منه شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها كما تحب وترضى وتشاء فهذه جنات تجري من تحتها الانهار ، وهذه أشجار تنثر على المستظلين بها أحلى الثمار ، وقلت فى نفسي كيف لا وهو جواب من امتزجت العلوم بروحه امتزاج الماء بالراح ، ورسخت الفهوم فى صدره مع عظيم الانشراح ، كشفتم الحجب والاستار من بيننا، لأن هذه المسئلة كانت متنازعة من منذ زمان بيننا ، زاد الله عمركم واقبالكم ، وكثر امثالكم ،

« سترون جرا جديدا بحبل حديد » بعض العلماء يقول هو حديث نبينا صلى الله عليه وسلم مذكور فى جامع الجوامع للسيوطي . وبعضهم يقول ليس بحديث لأن ألفاظه تأبى ان يكون حديثا . والحقير رجعت الى كشف الظنون فما وجدت كتابا اسمه جامع الجوامع للسيوطي وراجعت أيضا كتاب السيوطي المسمى بحسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة وعد كتب المؤلف فيه فما وجدت فيه أيضا الكتاب المذكور فنرجو من سيادتكم أن تبين لنا القول المذكور هل هو حديث أم لا وان كان حديثا ففى أي الكتب هو مذكور فى منارکم الغراء ليقف عليه كل من يريد الاستفهام عنه ودمتم وعناية المولى ترعاكم

(ج) للسيوطي كتاب جمع فيه كتب الحديث المعروفة للحفاظ والمحدثين وجميع ماوقف عليه من الاحاديث المتفرقة فى غيرها من الكتب وسماه (جمع الجوامع) ويطلق عليه أيضا اسم الجامع الكبير. وكتابه الجامع الصغير المشهور مختصر من قسم الاقوال من ذلك الكتاب. والكتاب جامع للاحاديث الصحيحة والضعيفة وكثير من الموضوعات فوجود الحديث المسئول عنه فيه لايقتضي إثبات اسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبحث بعض العلماء فى أسلوبه وزعمهم أنه على غير الأساليب المعهودة فى الحديث له وجه

(س ٦) سكن الشيطان في بدن الانسان: محمد فؤاد أفندي بأنشاص الرمل: جاء في كتاب (الاسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية) صحيفة ٦٠ التابعة للقول فى تمهيد للاصل الاول من القسم الثاني من الكتاب فى الاسلام مايأتي:-

قال الاستاذ الامام فى ص ٥٩: معجزة القرآن جامع من القول والعلم وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم: الى ان قال ص ٦٠: فهي معجزة المعجزات كل طوق ان يأتي بمثلها، ولكنها دعت كل قدرة ان تتناول ماتشاء منها، وأما معجزة موت حي بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم: الخ. فهل يسكن الشيطان جسم الانسان؟ فان كان الامر كذلك وكما فهمته انا من هذه العبارة السابقة فيصدق قول من قالوا بالزار فانهم يعتقدون بأن العفاريت إبان هيجانها تقف عن حدها بدق الطبول. فالامل تفسير هذا المقال ولكم الشكر الجزيل منا:

(ج) يشير الامام الحكيم بعبارته تلك الى أنواع المعجزات المعزوة فى التواريخ الأربعة التي تسمى الاناجيل الى المسيح عليه السلام فهو يذكرها

على سبيل الحكاية ولا يستلزم ذلك إثباتها ولا نفيها بل ربما فهم من العبارة التعريض بأن تلك الكتب تسند الى المسيح مالا يصح اسناده اليه ونحن المسلمين لا نعتقد بمعجزة للمسيح وراء ما أثبته له القرآن العزيز . على اننا اذا سلمنا بأن بعض الشياطين دخلت في أجسام بعض الناس وأنها خرجت على يد المسيح معجزة له فلا يلزم من ذلك ان نقيس خرافات عجائز (الزار) على معجزات الانبياء المصطفين الأخيار ،

باب الأخبار والآراء

﴿ لبس القلنسوة المعروفة بالبرنيطة ﴾

أو التشبه بالنصارى

يسافر فى كل سنة عدد عظيم من أمراء المصريين وحكامهم ووجهائهم الى أوربا فيلبسون فيها لبوس الافرنج ويتزيون بزيهم لايدعون منه شيأ على ان زي هؤلاء فى الاغلب هو الزي الافرنجي لافرق الا فيما يوضع على الرأس فاكثر المصريين يتبعون حكامهم بلبس الطربوش الذي أخذه الترك عن الروم وهم فى أوربا يلبسون البرنيطة لافرق في ذلك بين الامير والمأمور الا افرادا يعدهم الجمهور شذاذا ويلومون بعضهم على محافظتهم على لبس الطربوش هناك . ويظن أكثر المسلمين ان لبس البرنيطة مخل بالدين الاسلامي حتى ان جريدة الحاضرة تجرأت منذ عامين على التعريض بعزيز مصر لما بلغها من لبسه البرنيطة فى أوربا وقالت ان هذا ممنوع فى الاسلام واجبناها يومئذ فى المنار .

ونرى الناس يلهجون فى هذه الايام بخبر فتوى من بعض العلماء بعدم إخلال لبس البرنيطة بالدين الاسلامي. قالوا ان رجلا من مسلمي الترانسفال سأل العالم عن ذلك وقال له ان المسلمين فى تلك البلاد مضطهدون ومهضومو الحقوق لأنهم مسلمون وانه لا طريق الي معاملة حكامهم وجيرانهم لهم بالمساواة الا مساواتهم لهم فى زيهم ولا يتم ذلك الا بلبس البرنيطة . فأجابه العالم بأن اللبس من أمور العادات لا من أمور الدين وأن ماقاله بعض الفقهاء من كراهة التشبه بالكافر في عاداته قد قيدوه بقصد التعظيم لدينه لا بقصد المصلحة وأهل الترنسفال على مايقول السائل لا يقصدون الى ذلك بل تحملوا كثيرا من الاذى فى تركه والضرورات تبيح المحظورات فأمر الكراهة أهون

هذا ماسمعناه فى المسألة ويقال ان بعض المتفقهة استكبروا الامر وعدوه من المشكلات الدينية وطفقوا يتهامسون ويتباحثون فيه وما ذاك الا من قلة الفقه ومن عدم النظر فى السنة وفى تاريخ الامة فقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية وهي من لبوس النصارى ولبس الطيالسة الكسروية وهي من لبوس مجوس الفرس . وكذلك الصحابة عليهم الرضوان لبسوا فى كل بلاد فتحوها من لبوس أهلها حتى قلنسوة النصارى بغير نكير الا ما كتبه عمر الى عتبة بن غرقد لما خشي على قومه الترف والسرف وفساد البأس والمنعة فقد كتب اليه يأمره بالبروز الى الشمس وبالخشونة وبترك زي الاعاجم وهو أمر للمصلحة لا للتشريع كيف وعمر يعلم ان الشارع قد لبس لبوس الاعاجم . وقد لبس المسلمون بأمر المنصور قلانس الكفار ولم ينكر ذلك أحد الا

ما كان من هزل بعض الشعراء ولكن المسلمين وجموا واستنكروا تغيير السلطان محمود العثماني زي قومه بزي الافرنج لما كانوا عليه من الجمود على العادات ولكن عقلاء الترك الآن يعدون ذلك أصلا من أصول الاصلاح لا لأن تغيير الزي كبير النفع ولكن لما فيه من زلزال ذلك الجمود لذي كان مانعا من اقتباس الدولة كثيرا من النظام النافع فى الجند والإدارة والسياسة عن أوروبا لتي سبقت وبرزت فيه وقد رأينا أثر سبقها وجمودنا باستيلائها على معظم بلاد المسلمين

نعم انني لا أنكر ان اختيار التشبه بالاجنبي هو أثر الضعف القاضي . حذاء المغلوب مثال الغالب فى زيه وعاده وأنه ينبغي للامة أن تحافظ على عادتها أشد المحافظة مالم تكن ضارة واذا أرادت استبدال عادة بأخرى فليكن ذلك بحسب المصلحة لا تقليدا محضا للاجنبي . ولا أنكر ان المصريين الذين يلبسون البرنيطة فى أوربا ملومون وان سبب لبسهم اياها ضعف العزيمة ولكنني لا أقول انهم قد عصوا الله تعالى واستحقوا عقوبته بذلك . ولو كان أمر اللبس من أمور الدين لوجب ان نتبع فيه الشارع وقد كان يلبس الازار والرداء ولم يلبس السراويل قط. بل لم يلبس هذه الجبة والفرجية ذات الاكمام الواسعة والاذيال الطويلة التي جمد عليها علماء المسلمين لهذا العهد ولكنه نهى عنها ولبس الجبة الرومية الضيقة الاكمام فكان يتعذر الوضوء بها حتى كان يخرج يديه من أسفلها عند الوضوء ليغسلهما . وقد كنت كتبت فى موضوع اللباس والتشبه فيه بالاجانب عشرات من الصحائف فى كتاب (الحكمة الشرعية ، فى محاكمة القادرية والرفاعية) ذكرت فيه حكم الملابس فى الدين وفي المنفعة

وفي الذوق وفي عرف الصوفية وفي السياسة وذكرنا حكم التقليد فيها وقد جاء في أول الفصل المعقود للبحث في (كيفية اللبوس والتقليد فيه) مانصه «قد علم مما تقدم ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبعض أصحابه عليهم الرضوان قد لبسوا القباء والفرّوج والطيالسة الكسروية واستعملوا المياثر (١) وكل ذلك من لبوس الفرس وانهم لبسوا أيضا البرانس والجبب الرومية وهي من لبوس النصارى . والجبة الرومية لم يتقدم لها ذكر وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها فكان يخرج يديه من أسفلها عند ارادة غسلهما في الوضوء لضيق أكمامها الذي لا يمكن معه التشمير . ولبسوا أيضا البرود والحبر المخططة والمعلمة وهي من لبوس اليمن . وتلك الثياب كانت كغيرها تجلب اليهم من العراق والشام ومصر واليمن لانهم كانوا يحتذون مثال هذه الشعوب في صنع لبوسها إذ لم يكونوا أصحاب صنائع . وفي ذلك دليل على ان الشرع ينيط أمر اللباس من حيث

(١) الجبة ثوب طويل مقطوع الكمين والطيالسة جمع طيلسان وهو ضرب من اكسية العجم معرب تالسان ويقال تطاس وتطيلس به اذا لبسه وكانت العرب تحامى لبسه قبل الاسلام ولذلك كانوا يقولون ياابن الطيلسان أي ياعجمي لكن الاسلام لا يأمر الا بتحامي المساوي والمستقبح الضار من عوائد الامم دون غيره ولذلك تطيلس المصطفى (عم) والميثرة من مراكب العجم أو شيء كالفراش الصغير يحشى بقطن ونحوه ويجعل على الرحل ليكون وثيرا وكانوا أكثر مايتخذون المياثر من الارجوان وهو بضم الهمزة والجيم صبغ شديد الحمرة وقال الجوهري : هو شجر له نور أحمر أحسن مايكون: وكأن ذلك الصبغ من ذلك الشجر . والفروج كتنور قباء شق من خلفه وقميص الصغير . والبرانس قلنسوة طويلة وفي البخاري ان أنسا لبس برنسا أصفر من خز قال القسطلاني في شرحه ان الناس أو النساء كانوا يلبسون هذه القلنسوة في صدر الاسلام وذكر أنها من لبوس النصاري . اه من شرح الاحاديث في الكتاب المذكور ملخصا

كيفية الأثواب وتفاصيلها باختيار اللابس ولا يحظر على شعب وقبيل استعمال جديلة شعب آخر لأنها أمور عادية لا تتعلق بحقوق الله تعالى ولا بحقوق الخلق لذاتها . نعم كان أكثر مايلبس النبي وأصحابه الرداء والازار تبعا لعادة قومه لا للوحي نزل بأولوية ذلك وأفضليته شرعا على انه مناسب لحالة القطر الحجازي الحار . وإذ لم يرد في الشرع تفضيل كيفية مخصوصة وشكل معين فى الملابس لان الشرع نزل فيما هو أهم من ذلك فينبغي ان يناط ذلك بالرأي الصحيح وهو إنما يرجح ما يوافق حالة المكان والزمان» اه المراد منه. وبعد هذا تفصيل فى تفضيل بعض الملابس على بعض لاختلاف الزمان والمكان

وقد حكم الفقهاء العادة فى أمر الملابس حتى فى الشرع فاستحبوا ما كرهته السنة لمعنى يقتضي الكراهة مع بقاء ذلك المعنى وحجتهم انه صار عادة . فقد ورد فى الحديث النهي عن إطالة الثياب ووعيد الذي يجر ثوبه خيلاء واتفق الفقهاء على ان إطالة الاذيال أو الاكمام للخيلاء حرام ولغير الخيلاء مكروه شرعا. ثم انك ترى مثل الشيخ الحفني يقول فى تفسير الحديث من حاشيته على الجامع الصغير ان كراهة زيادة طول الثوب عن الكعبين لغير المختال مخصوصة بمن لم يصر ذلك عادة لهم كأهل مصر . وقال النووي فى شرح مسلم نقلا عن القاضي عياض واقره : وبالجملة يكره كل مازاد على الحاجة والمعتاد فى اللباس من الطول والسعة والله أعلم : وذكر الشمس الرملي فى شرح المنهاج ان إفراط توسعة الثياب والاكمام بدعة وسرف وتضييع للمال ثم قال : نعم ماصار شعار اللعلماء يندب لهم لبسه ليعرفوا بذلك فيسألوا وليطاوعوا فيما عنه زجروا : فأنت ترى أنهم جعلوا المحظور بنص الشارع مندوبا شرعا وقد رأيت ضعف شبهتهم فاننا اذا سلمنا لهم بأنه ينبغي ان يكون للعلماء زي خاص

نقول انه ينبغي ان يكون ذلك الزي مما لم ينه عنه الشارع نهيا صريحا

ولئن صح مايقولون من تحكيم العادة بالشرع من غير ضرورة ولا حاجة ليكونن وزر هذا الزي المنهي عنه فى السنة على من اخترعه لهؤلاء العلماء من سلفهم الذين كانوا خيراً منهم باعترافهم ولا أعرف المخترع الاول لزي علماء مصر وهو أبعد الازياء عن أدب السنة وعن الذوق وعن المصلحة من حيث السعة والطول ولكنني أعلم ان أول من اتخذ لاهل العلم زيا مخصوصاً فقلدوه فيه بالتدريج هو القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة (رح) وما أظن انه كان من السعة والطول بالقدر الذي نشاهد ولا براءة من هذا الاجمل ابتداء العادة كاستمرارها . ولقد بلغ من سلطان العادة على علمائنا انهم صاروا ينكرون على من يخالفهم من ابناء صنفهم فى الاردان المكبرة ، والاذيال المجررة ، فلا عجب اذا حملت العادة بعضهم على انكار لبس قلنسوة النصارى ولو لضرورة دفع مفسدة أو جلب مصلحة مع العلم بأن الصحابة والتابعين لبسوا فى صدر الاسلام البرانس وهي من قلانس النصارى كما فى البخاري وشرحه .

أما حجة هؤلاء وأمثالهم التي تروج عند العامة فهي ان ذلك تشبه بالنصارى الذين يجب علينا مخالفتهم و ... وهذا الكلام غير صحيح على اطلاقه وانما هو مقيد بالمخالفة فى الامور الدينية التي لا يوجد في ديننا مايؤيدها كالاناشيد في الجنائز وحمل المباخر ونحوها امام النعش واتخاذ قبور الاولياء والصالحين مساجد وغير ذلك مما تشبهنا بهم فيه بل جعلناه من شعائر ديننا مع النهي عنه فى الاحاديث الصحيحة . واما الامور الدنيوية كالأكل والزي فليس مما تجب فيه المخالفة بل تقارب الناس في العادات يؤلف بينهم ويزيل التنافر الذي يعمي كل فريق عن فضائل الآخر

واذا زال التنافر ظهر الحق على الباطل . وقد علمت ان النبي وأصحابه لبسوا زي المشركين والمجوس بله النصارى الذين نطق القرآن الحكيم بأنهم أقرب مودة لنا . وأكثر ماقاله الفقهاء فى هذا انه يكره ان يأتي المسلم أمرا بقصد التشبه بالاجنبي عن دينه بل يأتيه أو يتركه للفائدة والمصلحة أو عدمهما . ولا أرى من مصلحة المصريين ان يلبسوا قلنسوة الافرنج (البرنيطة) لان هذا من مضعفات الرجاء باستقلالهم وأما أهل الترانسفال وأهل الرجاء الصالح فلا رجاء في استقلالهم لقلتهم وغلبة الافرنج عليهم فى كل شيء على أنه ينبغي لهم المحافظة على كل مالا تضرهم المحافظة عليه من عاداتهم التي لاتخالف الشرع . اما اتقاء الضرر فواجب شرعاً ان كان محققاً ومندوب ان كان مظنونا هذه هي القاعدة الشرعية ولكن أكثر الناس عبيد العادات الا الذين انسلخوا من التقليد الاعمى . وقد فصلنا القول فى مضار تقليد الاجانب في الاثاث والماعون والزينة في كتاب (الحكمة الشرعية) ونقلنا منه نبذة فى منار السنة الاولى فلتراجع

(احتفال الجمعية الخيرية الاسلامية)

تقيم هذه الجمعية احتفالها السنوي المعتاد فى مساء عيد الفطر المبارك وهو اليوم الذي تستحب فيه الزينة واظهار السرور ، واليوم الذي تترك فيه الاعمال لاجل تلاقي الناس وتزاورهم ، واليوم الذي تنبسط فيه الايدي بالبذل والانفاق ، واليوم الذي يجتمع فيه بالقاهرة وجهاء القطر من كل ناحية ، واحتفال الجمعية الخيرية نعم المساعد على ذلك كله فانها ستزين حديقة الازبكية زينة بديعة وتجعل فيها جميع ضروب اللهو المباح فهناك يكون ملتقى الاصدقاء والمتحابين ، وهناك تكون نزهة الوافدين

مع المقيمين ، وهناك تكون لذة البذل للأجواد والمحسنين ، وهناك تكون فرحة الفقراء والمعوزين ، وهناك ينمو الشعور بحب الوطن في نفوس جميع الوطنيين ، وهناك تكون المزية الكبرى الا وهي الجمع بين زينة الحياة الدنيا والعمل بروح الدين ، فان الله ماشرع الدين الا لمصلحة العباد وانما قوام هذه المصلحة بالتراحم بين الناس والتعاون على البر والتقوى وكل من يشتري ورقة من أوراق احتفال الجمعية الخيرية يشعر في نفسه بأنه قد بذل ثمنها فى اعانة إخوانه الفقراء والمستحقين للاعانة والمساعدة من حيث قد متع نفسه بأبهج المناظر وأشهى النغمات والاجتماع بمن يحب من الناس فى يوم مشهود تتلألأ فيه على الوجوه أنوار البهجة والسرور وشكر نعمة الله تعالى . فحيا الله تعالى أولئك الرجال رجال الجمعية الخيرية لاسيما ركنيها الركينين رئيسها الشيخ محمد عبده ووكيلها حسن باشا عاصم فهما الحاملين لها على كاهليهما وسائر الاعضاء الكرام أعوان لهما وأنصار . ونسأل الله تعالى ان يعرف المصريين بفائدة هذه الجمعية ويلهم قلوبهم مساعدتها وشد أزرها فاننا نحن المسلمين لانزال وراء الامم كلها فى التعاون على الاعمال الخيرية الاجتماعية بعدان كنا فى مقدمتها وناصيتها . وعار على أغنياء المصريين المسلمين أن لاتنتشر مدارس جمعيتهم الوحيدة ومبراتها في كل رجا من ارجاء القطر ولن تنتشر الا اذا اشترك فيها الناس من جميع بلاد القطر والله الموفق

(ربح صندوق التوفير فى ادارة البريد)

أشيع في هذه الأيام ان الحكومة استفتت مفتي الديار المصرية فى ربا صندوق التوفير الذى انشئ في ادارة البريد فأفتاها به والحق ان الحكومة لم تستفت في ذلك إذ

لا معنى للاستفتاء في شيء صدر به الأمر العالي ونفذ منذ سنين . ولكن بعض رجال الحكومة ومنهم مدير البوسطة قالوا للمفتي في حديث عادي ان اكثر من ثلاثة آلاف مسلم من مودعي النقود في صندوق التوفير لم يأخذوا الفائدة المخصوصة بذلك بمقتضى الدكريتو الخديوي تدينا فهل توجد طريقة شرعية تبيح للمسلمين أخذ ربح أموالهم من صندوق التوفير فقال: ان الربا المنصوص لا يحل بحال ولما كانت مصلحة البريد تستغل الاموال التي تأخذها من الناس لانها تقترضها للحاجة فمن الممكن تطبيق استغلال هذه الاموال على قواعد شركة المضاربة ويقال ان الحكومة كلفت المفتي ببيان هذا التطبيق لتغير قانون صندوق التوفير وتجعله مطابقا للاحكام الشرعية مع رعاية لمصلحة رعيتها المسلمين وإنه شرع في ذلك بمساعدة بعض العلماء.

ويقال أيضا انه لما علم الامير بذلك افترصه وأمر بتأليف لجنة من علماء الازهر ليبينوا كيفية هذا التطبيق على الوجه الشرعي حتى اذا عرض عليه القانون المنقح لاصدار أمره به يكون على بصيرة من المشروع . ويقال ان اللجنة التي ندبها الامير هي غير اللجنة التي تشتغل مع المفتي بالتطبيق الذي طلبته الحكومة . وفي هذا مزيد عناية ببيان الحق ولكن الناس فهموا منه ان الامير على خلاف مع حكومته في ذلك فعسى ان يزول سوء الفهم ، ويرجع الى الحق أهل الوهم ، . وان لنا في موضوع الربا والمصارف قول مبين نرجئه لفرصة أخرى

(تنبيه) تأخر باقي الرد على مقالة الالماني لكثرة المواد

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

(الاحاديث الموضوعة في الصيام ورمضان)

حديث : اذا غاب الهلال قبل الشفق فهو لليلة واذا غاب بعد الشفق فهو لليلتين قال ابن حبان لا أصل له

حديث : اذا كان أول ليلة من رمضان نادى الجليل رضوان خازن الجنة فيقول لبيك وسعديك فيقول هيئ جنتي وزينها للصائمين من أمة أحمد ولا تغلقها عنهم حتى ينقضي شهرهم . ثم ينادي جبريل ياجبريل فيقول لبيك ربي وسعديك فيقول انزل الى الارض فغل مردة الشياطين عن أمة أحمد لا يفسدوا عليهم صيامهم ولله

في كل ليلة من رمضان عند طلوع الشمس وعند وقت الافطار عتقاء يعتقهم من النار عبيد واماء وله في كل سماء ملك ينادي الخ. الحديث بطوله لا يصح لان أصرم روايه كذاب.

حديث: لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي ان يكون رمضان السنة كلها: فقال رجل من خزاعة حدثنا به. قال: ان الجنة تزين لرمضان من رأس الحول الى الحول حتى اذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق الجنة فينظر الحور العين الى ذلك فيقلن يارب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجا تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا .. الخ موضوع آفته جرير بن آيوب.

قال الشوكاني بعد الاشارة الى الحديث وما قبله في فوائده: وسياقه (أي الاخير) وسياق الذي قبله مما يشهد العقل بأنهما موضوعان فلا معنى لاستدراك السيوطي لهما على ابن الجوزي بأنه قد رواهما غير من رواهما عنه ابن الجوزي فان الموضوع لا يخرج عن كونه موضوعا برواية الرواة

حديث: ان الله يعتق في كل ليلة رمضان ست مئة ألف عتيق من النار: الخ موضوع وله روايات بألفاظ أخرى مازادته الا نكارة وتوغلا في الوضع والبعد من العقل والدين. وقد كنا ذكرنا هذه الاحاديث وغيرها من موضوعات رمضان في المجلد الرابع وانما أعدنا التذكير ببعضها الآن لكثرة تداولها وغرور الناس بها

الولدان في الحمامات

من العادات السيئة في مصر غشيان الولدان الحمامات في ليالي رمضان فانك لتراهم عامة الليل يلعبون ويمرحون فيها وكثير منهم ينامون فيها حتى اذا كانت ليلة العيد كثروا فيها كثرة فاحشة وزاحموا الرجال في المغطس وغيره والاكثرون من الفريقين مكشوفو العورات كما هي عادتهم السوءى. ومن العجيب ان كثيرا من هؤلاء الولدان يحضرون الى الحمام مع آبائهم وقرابتهم او بأذنهم فأولياؤهم هم في الحقيقة أعداؤهم لانهم يفسدون آدابهم ويعودونهم على القحة وقلة الحياء. وانه ليتعذر تربية الاولاد بغير الاستعانة بالحياء الذي هو أصل الفضائل كلها. وقد ورد في الحديث المتفق عليه «اذا لم تستح فاصنع ماشئت» وورد «ان لكل دين خلقا وخلق الاسلام الحياء» رواه ابن ماجه عن أنس وابن عباس بسند صحيح

اعلان الفسق فى موسم العبادة

بلغ من استهانة قادة الفسق ودعاة الفحش بمسلمي مصر ان ينشروا لهم فى رمضان شهر الطاعة وموسم العبادة هذا (الاعلان) الذي ننشره بنصه الفاسد ما عدا اسم المحل وأسماء الفواسق فيه وهو :

« نعلن حضرات العموم انه قد حضر حديثا لهذا الطرف حضرات الرقاصات والمشخصات الشهيرات اللتين حازا قصب السبق في ميادين هذا الفن وهن ٠٠٠٠٠ وبالنسبة لشهر رمضان المعظم و إرضاء لخاطر زبايننا الكرام قد اتفقنا معهن بتعاطي صناعتهم التي تأخذ بمجامع القلوب في محلنا المذكور أعلاه ابتداء من هذه الليلة ، فالامل من العموم التشريف كي يشنفوا أسماعهم من الانغام الشجية النادره في الوجود ومن تأخر ندم حيث لا ينفعه الندم وليس الخبر كالعيان والاعتماد على الله » اه

(المنار) لو بقي لفساق مسلمي مصر بقية من الغيرة الملية أو الحياء الاسلامي أو الشرف الإنساني لتجنبوا هذه المواضع النجسة المعدة لإعلان الفسق ولو فى شهر رمضان ونحوه من الايام التي يعدونها مواسم دينية كليلة المولد النبوي فاننا نتذكر اننا فى السنة التي قدمنا فيها الى مصر رأينا اعلانا مثل هذا (الاعلان) فيه ان فلانة قد استحضرت من الراقصات من استحضرت « لاحياء ليالي المولد النبوي الشريف » وإنها لسخرية من أئمة الفسق بالاسلام والمسلمين وما جرأهم عليها الافساق المسلمين . وان الاسلام ليتبرأ من هؤلاء الفاقدي النخوة والشرف ولو أظهروا التبرؤ منه لكان اللوم أخف عليهم من انتسابهم الى دين جعلوه هزؤا ولعبا .

« بتخسي »

كلمة شيطانية هدمت ركنا من أركان الدين في نفوس نساء مصر هو أقوى الاركان عندهن وهو ركن الصوم الذى عهدنا النساء أشد تمسكا به من الرجال . تلك الكلمة هي كلمة « بتخسي » يقول الشيطان للمرأة : لا تصومي « بتخسي » : اي تذبلي وتهزلي ويقول ذلك بعضهن لبعض . والحق ان الصيام من أسباب الصحة واذا فشا ترك الصوم فى النساء فهناك الطامة الكبرى فى الفساد العام فليتنبه الرجال لتلافى هذا الامر ان كانوا يعقلون

الجزء التاسع عشر — المجلد السادس

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاحد غرة شوال سنة ١٣٢١ — ٢٠ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر)

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ، كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ ٱلْجَحِيمِ * وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ *

الكلام لا يزال في القرآن وما كان من أمر الناس فى الايمان به وعدم الايمان. ذكر فى الآيات المتقدمة آنفا من شأن أهل الكتاب ما تبين به ان عدم ايمانهم بالنبي وما جاء به غير قادح فيه، ولا ينهض شبهة عليه، وان مطاعنهم فيه متهافتة منقوضة بطعنهم في أنفسهم، وتخبطهم في أمر كتبهم،

ثم انتقل الى ذكر شبهة مشركي العرب وبين أنهم جروا فيها على الاصل المعهود من أمثالهم المشركين الذين سبقوهم بالضلال فقال « وقال الذين لا يعلمون » أي الجاهلون بالكتاب والشرائع من مشركي العرب. وقال الجلال ان المراد بالذين لا يعلمون كفار مكة خاصة. ولا دليل على التخصيص ويرجح العموم كون الآية مدنية « لولا يكلمنا الله » كما كلم هذا الرسول مع انه بشر مثلنا «أو تأتينا آية» من الآيات التي اقترحناها، يعنون ماحكاه الله تعالى عنهم بمثل قوله « وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفجُرَ لنا من الارض ينبوعا » الآيات. «كذلك قال» المشركون «الذين» خلوا «من قبلهم مثل قولهم » فى معناه وهو أنهم أنكروا على الرسل الاختصاص بالوحي من دونهم واقترحوا عليهم الآيات تعنتا وعنادا « تشابهت قلوبهم » لان الطغيان قد ساوى بينهم حتى كأنهم تواصوا بما يقولون كما قال فى سورة الطور «أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» ويشبه هذا ماورد من ان الكفر ملة واحدة وذلك ان الحق واحد ومخالفته هي الباطل أو الضلال وهو واحد وان تعددت طرقه واختلفت وجوهه. وآثار الشيء الواحد الكلي تتشابه فيمن تصدر عنهم وان اختلفت الجزئيات. والتشابه هنا انما هو في مكابرة الحق واستبعاد كون واحد من البشر رسولا يوحى اليه واقتراح الآيات تعنتا وعنادا. ومثال الاختلاف فى الجزئيات طلب قوم موسى رؤية الله جهرة وطلب قوم محمد ان يرقى في السماء أمامهم فيأتيهم بكتاب يقرأونه. والطلب الذي مصدره العناد والتعنت لا تفيد إجابته لأن صاحبه لا يقصد به معرفة الحق ولذلك قال تعالى « وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ » والدليل المعقول على هذا أنه مامن نبي الا وقد

جاء بآية أو آيات كونية أو عقلية وكانوا مع ذلك يصفونهم بالسحر ثم يقترحون عليهم الآيات ولذلك قال تعالى بعد حكاية شبهة هؤلاء الجاهلين «قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» أي اننا لم ندعك يامحمد بغير آية بل بينا الآيات على يديك بيانا لايدع للريب طريقا الى نفس من يعقلها. وقد قال : بينا الآيات : ولم يقل : أعطيناك الآيات: للتفرقة والفصل بين آيات القرآن التى هى من علم الله وكلامه يظهر بها الحق بطريق معقول بين لا يشتبه فيه الفهم ، ولا يحار فيه الذهن ، وبين الآيات الكونية التى هي من صنعه يستخذي لها العقل ويخضع لها لشعوره بأنها من قوة فوق قوته. وللناس فيما يرونه فوق مايعقلون طريقان معهودان - منهم من يسنده الى القوة الغيبية العليا سواء كان له سبب خفي فى الواقع أم لا ومنهم من يسنده الى الاسباب الخفية التى يسمونها السحر وان كان فوق قدرة البشر ولذلك ضلت الامم في آيات الانبياء السابقين وليس لاحد ان يضل فى آيات القرآن لأنها بينة معقوله ولذلك قال «ذلك الكتاب لاريب فيه»

نعم ان الآيات العلمية لايعقلها الا أهل الاستعداد للعلم واليقين. ولذلك قال «لقوم يوقنون» قال الاستاذ الامام : الذين يوقنون هم الذين خلصت نفوسهم من كل رأي وتقليد وتوجهوا الى طلب الحق فى الامور الاعتقادية وأخذوا على أنفسهم العهد ان يطلبوه بدليله وبرهانه فهم اذا قام عندهم البرهان اعتقدوا وأيقنوا ايقانا، وانما يتوقع اليقين من مثلهم لا من قوم يعتقدون الشيء أولا بلا دليل ولا برهان ثم يتلمسون له الدليل لان مقلديهم قالوا بوجوب معرفة الدليل فاذا أصابوه موافقا لما اعتقدوا رضوا به وان كان ظنيا واذا نهض لهم مخالفا لتقاليدهم رفضوه وتعللوا بالتعلات المنتحلة

وهؤلاء هم الجماهير من الناس الذين وصفوا في الأثر بأنهم أتباع كل ناعق : والعبرة في خطاب الشرع بأهل اليقين الذين صفت نفوسهم ومحصت أفكارهم فسلموا من علة العناد والمكابرة المانعين لشعاع الحق ان ينفذ الى العقول ، ولحرارته ان تخترق الصدور الى القلوب ، هؤلاء هم أنصار الحق لانهم بيقينهم لايستطيعون المروق منه ، ولا السكوت عن الانتصار له ، ألم تر ان كبار الصحابة كانوا يراجعون النبي عليه الصلاة والسلام فيما لم يظهر لهم دليله لأنهم طبعوا على معرفة الحق بالدليل . هؤلاء هم الناس الذين تنزل الشرائع لاجلهم ولولا استعدادهم لها لما شرعت اولما نجحت (١) واما سائر الناس فتبع لهم وعيال عليهم

ثم قال تعالى « انا أرسلناك بالحق » أي بالشيء الثابت المتحقق الذي لا يضل من يأخذ به ولا تعبث به رياح الاباطيل والاوهام بل يكون الآخذ به سعيدا بالطمأنينة واليقين ، قال الاستاذ الامام ان (الحق) فى هذا المقام يشمل العلوم الاعتقادية وغيرها فهو يقول : انا أرسلناك بالعقائد الحقة المطابقة للواقع والشرائع الصحيحة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة « بشيرا » لمن يأخذ بالحق بالسعادتين « ونذيرا » لمن لا يأخذ به بشقاء الدنيا وخزي الآخرة . « ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » أي فلا يضرك تكذيب المكذبين الذين يساقون بجحودهم الى الجحيم لانك لم تبعث ملزما لهم ولا جبارا عليهم فيعدّ عدم ايمانهم تقصيرا منك تسأل عنه . بل بعثت معلما وهاديا بالقول لا هاديا بالفعل ولا ملزما « لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » وفى الآية تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام

(١) راجع مقالة « الاصلاح والاسعاد على قدر الاستعداد » في مجلد المنار الرابع

لئلا يضيق صدره كما تدل على ذلك آيات أخرى . وفى الآية من العبرة ان الانبياء بعثوا معلمين لا مسيطرين ولا مؤثرين ولا مكرهين فاذا جاهدوا فانما يجاهدون دفاعا عن الحق لا إلزاما به . وفيها ان الله تعالى لا يطالب الناس بأن يأخذوا عنهم الا العلم الذي يهديهم الى معرفة حقوق الله وحقوق العباد . وفى قراءة نافع ويعقوب « ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم » أي لاتسأل عما سيلاقون من الانتقام فانه عظيم فمثل هذا النهي مستعمل فى التهويل لا في حقيقته وهو استعمال معروف بين الناس حتى اليوم

وزعم بعض المفسرين ان النهي على حقيقته وانه خاص بنهي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن السؤال عن أبويه ورووا فى ذلك انه سأل جبريل عن قبريهما فدله عليهما فزارهما ودعا لهما وتمنى ان يعرف حالهما في الآخرة وقال « ليت شعري مافعل أبواي » فنزلت الآية فى ذلك . والحديث قال الحافظ العراقي انه لم يقف عليه وقال السيوطي لم يرد فى ذلك الا أثر معضل ضعيف الاسناد . قال الاستاذ الامام وقد فشا هذا القول ولولا ذلك لم نذكره وانما نريد بذكره التنبيه على ان الباطل صار يفشو في المسلمين بضعف العلم والصحيح يهجر وينسى . ولا شك ان مقام النبي عليه الصلاة والسلام فى معرفة أسرار الدين، وحكم الله في الاولين والآخرين ، ينافي صدور مثل هذا السؤال عنه ، كما ان أسلوب القرآن يأبى ان يكون هو المراد منه،

ثم قال عز وجل « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » فعاد الى ذكر أهل الكتاب على ما عهدنا فى أساليب القرآن من ضروب الانتقال بالمناسبات الدقيقة . وقد قال الاستاذ الامام غير مرة

ان القرآن لم يأت على طريقة المنشئين والمؤلفين الذين يخصون كل طائفة من الكلام بموضوع معين ويسمونها فصلا أو بابا ولكن للقرآن أغراضا يبرزها بصور مختلفة فكلما لاحت المناسبة لذكر شيء منها أو الاحتجاج عليه أو الدفاع عنه جاء به يجذب اليه الاذهان ، ويسارق به خطرات القلوب، مع مراعاة التناسق ، وحفظ الاسلوب البليغ ، لهذا يتكرر فيه المعنى الواحد بعبارات متعددة ، ويتجلى الروح الواحد فى أشكال متنوعة، فلم يذكر ههنا المشركين الا لما بينهم وبين أهل الكتاب من التناسب والتقارب فى المجاحدة والمعاندة فكان ذكرهم من متممات الحجة على أهل الكتاب من حيث أدى غرضا مقصودا فى ذاته. ولما كان ذكرهم فى عرض الكلام كالجملة الاعتراضية كان الرجوع الى سرد شؤن أهل الكتاب مع النبي عليه السلام رجوعا الي أصل الموضوع

قال الاستاذ الامام في معنى الآية : من شأن الانسان ان يتألم من القبيح أشد التألم اذا وقع ممن لا يتوقع منه فكان النبي عليه الصلاة والسلام يرجو ان يبادر أهل الكتاب الى الايمان به وان لا يرى منهم المكابرة والمجاحدة والعناد ولهذا كبر عليه أن رأى من إعراض اليهود والنصارى عن اجابة دعوته، واسرافهم في مجاهدته، أشد مما رأى من مشركي العرب الذين جاء دينهم من الارض مع موافقته لاهل الكتاب فى أصل دينهم ومقصده من توحيد الله تعالى والاخلاص له وتقويم عوج الفطرة الانسانية الذي طرأ عليها بسبب التقاليد، وترقية المعارف الدينية الى أعلا ما استعدله الانسان من الارتقاء العقلي والادبي، ولذلك كان يخاطبهم بمثل قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » الآية وغيرها

من الآيات . ولقد كان من الصعب لولا إعلام الله تعالى أن تُعرفَ درجة فتك التقليد بعقول أهل الكتاب وافساد الاهواء لقلوبهم لذلك سلى الله تعالى نبيه عما كان يجده من عنادهم وايذائهم بآيات كثيرة عرفه فيها حقيقة حالهم منها هذه الآية الناطقة بأن كلا من اليهود والنصارى على اتحادهم فى أصل الدين قد تعصب لتقاليده واتخذ الدين جنسية لا يرضيه من أحد شيء الا الدخول فيها وقبول لقبها فقوله تعالى « حتى تتبع ملتهم » مراد به ماهم عليه من التقاليد والاهواء التي غيروا بها وجه الدين الواحد حتى صار بعضهم يحكم بكفر بعض كما تقدم فى الآيات السابقة

ثم أمره تعالى فى مقابلة ذلك بقوله « قل ان هدى الله هو الهدى » أي اجهر بقول الحق وهو ان الهدى الصحيح هو هدى الله الذي أنزله على أنبيائه دون ما أضافه اليه اليهود والنصارى بآرائهم وأهوائهم ففرقوا دينهم وكانوا شيعا كل شيعة تكفر الاخرى وتقول انها ليست على شيء، أي فان أردت استرضاءهم ، فلن يرضوا عنك الا ان تتبع أهواءهم ، « ولئن اتبعت أهواءهم » التي أضافوها على كتبهم ، وجعلوها أصولا وفروعا لدينهم، « بعد الذي جاءك من العلم » اليقين، بالوحي الإلهي المبين، الذي بين ما كان منهم من تحويل القول عن معناه بالتأويل وتحريفهم الكلم عن مواضعه ، ونسيانهم حظاً مما ذكروا به، « مالك من الله من ولي ولا نصير » أي فانك لن تنجح ولن تصل الى حقك بمجاراتهم على باطلهم لان الله لا ينصرك على ذلك اذ لا يرضيه ان يكون اتباع الهوى ، طريقا الى الهدى ، والضال لا يرضيه الا موافقته على ضلاله، ومجاراته على فساده، واذا لم يكن الله هو الذي يتولى شئونك وينصرك بمعونته فمن ذا الذي ينصرك ويتولاك من بعده ؟

﴿ الاستاذ الامام ﴾ من تدبر هذا الانذار الشديد الموجه من الله تعالى الى نبيّ الرحمة ، المؤيد منه بالكرامة والعصمة ، علم ان المراد به الوعيد والتشديد على الامة ، على حد « اياكِ أعني واسمعي ياجاره » فان الله تعالى يخاطب الناس كافة فى شخص النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما جرى عرف التخاطب مع الرؤساء والزعماء فقد يقال للملك : اذا فعلت هذا كانت عاقبته كذا : والمراد اذا فعلته دولتك او امتك وقد تقدم غير مرة إسناد عمل بعض الافراد الى الامة كلها ويؤكد ولكن قوله « ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم » وهو يعلم جل شأنه انه لا يتبع أهواءهم فى حال من الاحوال، وقد عصمه من الزيغ والضلال، وانما جاء بالمقال على هذا الاسلوب ليرشد من يأتي بعده فمن يتبع سنته ويأخذ بهديه . فهو يرشدنا بهذا التهديد العظيم الى الصدع بالحق والانتصار له وعدم المبالاة بمن يخالفه مهما قوي حزبهم، واشتد أمرهم ، وانه لتهديد ترتعد منه فرائص الذين يخشون ربهم لا سيما اذا آنسوا من أنفسهم ضعفاً في الحق كأن تركوا الجهر به اوالدفاع عنه خوفاً من انكار العامة عليهم ، ولغط الناس بهم ، فمن عرف الحق وعرف ان الله تعالى وليّ أهله وناصرهم لايخاف فى تأييده لومة لائم ، ولا يغترنّ أحد بمن يسميهم الناس علماء وعارفين لسكوتهم عن الحق ، ومجاراتهم لأهل الباطل ، فانهم ليسوا على شيء من العلم الحقيقي ، وان هي الا كلمات يتلقفونها ، وعادات يتقلدونها ، لا حجة للأحياء فيها، سوى قولهم ان الميتين درجوا عليها، (قال) « وليس هذا هو العلم الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو شيء كان يلقب بالعلم عند الضالين من أهل الكتاب والمشركين كذلك وقد نفى عنه كونه علما

على الحقيقة بقوله «إن يتبعون إلا الظن» وبقوله «لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون» فمن أخذ بقول القائلين واتبع ما وجد عليه السابقين بدون بينة يعرف بها وجه الحق من ذلك وكتاب الله بين يديه لا ينظر اليه فقد اتبع الهوى بعد الذي جاء من العلم الى النبي صلى الله عليه وسلم وباء بالخزي فى الدنيا وبالنكال فى الآخرة ولم يكن ولن يكون له من الله ولي ولا نصير، اللهم أعنا على الجهد بالحق بعدما عرفناه واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا:

﴿ الوقف من الدين ﴾

(رد ثان على عزيز أفندي خانكي)

من يكتب أو يتكلم لطلب الحقيقة أو لتقريرها يستفيد من المناقشة والمعارضة أكثر مما يستفيد من البحث والتنقيب ويرجع الى الحقيقة اذا ظهرت له على يد غيره ويأخذ الحكمة أنى وجدها، ومن يكتب أو يتكلم لغرض يرمي اليه، أو فائدة له يناضل دونها. لا يزيده بيان الحق الا اعراضاعنه، ولا يفيده تجلي الصواب الا مكابرة فيه، فهو يجادل لاخفاء الحقيقة وصرف الانظار عنها، وتلوين الباطل بلونها ليشتبه على الناظرين بها، وقد اتخذ هذا التلوين والتمويه صناعة نفر من (المحامين) الذين نصبوا أنفسهم لقبول الوكالة فى كل دعوى والخصام في كل قضية، والدعوى تكون دائما بين خصمين أحدهما محق والآخر مبطل وانك لتجد لكل خصم محاميا فنصف هؤلاء المحامين يخاصمون فى الباطل ويجاهدون فى إبطال الحق بالقول المموه والتلوين الذي يخفي ماكان ظاهراً، ويخدع من كان ناظرا، وقد أتقن هؤلاء المحامون الخلابة فى الخطابة حتى انك لتجد القضاة يشكون دائما من خلابتهم في خطابتهم ويقطعون عليهم الكلام ويطلبون منهم عدم الخوض فيما وراء موضوع الدعوى. ومنهم الذين يستعينون على تقرير مايريدون تقريره بالكتابة في الجرائد لاقناع الجمهور بما يدعون لأن لاعتقاد الجمهور أثرا فى نفوس القضاة والحاكمين، واعتبارا خاصا فى وضع

القوانين ، ولا وزر على الجرائد اذا نشرت آراء الناس فى القضايا العامة وعرضتها بذلك للبحث والنقد فكثيرا مايظهر الحق في ذلك على خلاف مايريد الباحث الاول أو على وفق مايريد

هذا الصنف أو النصف الطبيعي من المحامين يصور الحجة بشبهة داحضة، ويمثل الشبهة حجة ناهضة ، فاذا عارضته بالنقل في موضوعه قال انك من أهل التقليد ، واذا قلت هذه بيناتي هن أظهر لك يقول : لقد علمت مالنا فى بيناتك من حق وانك لتعلم مانريد ، : ذلك ماسلكه معنا عزيز أفندي خانكى المحامى – كتب مقالا في المقطم يريد به الطعن فى بعض أحكام المحكمة الشرعية في الوقف على غير مايريد ويحب فتطرف فيه الى القول بأن الوقف ليس من الدين الاسلامي فى شيء ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة – وما هو من أهل هذا الدين ولا معرفة له بالكتاب ولا بالسنة – فكتبنا في المقطم نعلمه بأن الوقف من أحكام الدين ، وقد جرى عليه أهله من الصحابة والتابعين ، وذكرنا له كتب الحديث التي أنكر ان فيها شيئا فى الوقف . ذكرنا ذلك فى المقطم بالاجمال وفصلناه في المنار (ج ١٧ ص ٨١٦) بعض التفصيل·

وكنا نظن انه كتب تلك الكلمة بغير علم وأنه اذا جاءه العلم يقنع ويرجع فاذا به وقد زاده العلم إصراراً على رأيه ، وتمويها له فى نظر غيره، فقد كتب مقالة في الرد علينا جاء فيها شيئا من الخلابة غريبا ، و«أسمعني من الشعر العجيبا» بدأها بدم التقليد تمهيدا للقول بأنه يدعو المسلمين الى مدنية جديدة بانكار كون الوقف من الدين، وجعل أوقاف المسلمين تحت أهواء المحامين وتصرف الحاكمين ، ولإيهام أنني أدعوهم الى الجمود على اتباع السنة ، وذلك تقليد يخالف (بزعمه) الحكمة ، وقد رأى قراء المنار ان النبذة التي كتبناها في أحاديث الوقف رداً عليه تتلوها نبذة من نبذ متسلسلة في ابطال التقليد مبتدأة بالوجه السابع والعشرين ومختتمة بالوجه الرابع والثلاثين من وجوه إبطال التقليد في الاسلام· ويعلمون انه سبق لنا مقالات كثيرة في السنين الماضية نحتج فيها على إبطال التقليد ، ويعلمون ان هذا مذهب المنار منذ أنشىء يقيم البرهان عليه كلما عنت له المناسبة ، ولكن المحامي البارع يريد بذم التقليد ان نترك اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنبطل ماشرعه وننبذ سيرة الخلفاء الراشدين تقليداً لرأيه

الأفين في ان ذلك من المدنية والعمران وان الوقف مناف لمبادئ الاقتصاد السياسي …

قال المحامي انه كتب ما كتب عن الوقف « مستهديا بعظات التاريخ مسترشدا بأصول علم السياسة المالية مستضيئاً بكتب أئمة الفقه محترما أصول وأحكام الدين الحنيف » ثم بعد ان ذكر كتابته عن فساد التقاضي وخلل المرافعات في المحاكم الشرعية قال « فنفر الينا شيخ رمانا بالجهل وبالجراءة على كتابة ما كتبنا ونشر ما نشرنا ويستفز رجال الشرع (على) تكذيبنا . ولو أنه قرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان لهان إلا انه اكتفى بالسباب والمهاترة ، عن الجدال والمناظرة . (سامحه الله) » اه

ونقول من قرأ ما كتبنا علم أننا لم نرمه بما قال ولم ندع أحدا الى تكذيبه في كل ما كتب ونشر كما يوهم اطلاق عبارته واننا وكلنا مناقشته في شأن المحاكم الى أهلها ولم نتعرض الا لغلطه في قوله ان الوقف ليس من الدين في شيء وانه لم يرد فيه حديث الا ما انفرد به ابن ماجه في وقف عمر وأظهرنا العجب لجراءته على هذا النفي المطلق واعتذرنا عنه بأنه لم يطلع على كتب الحديث وانه لا لوم عليه في ذلك اذ قلنا « ان هذا ليس طعنا في الكاتب فانه ليس عالما مسلما فيعاب بعدم الاطلاع على السنة » الخ فأين البراهين التي جاء بها على نفيه ما عدا حديث ابن ماجه فيطالبنا بقرع البرهان بالبرهان وكيف ساغ له أن يسمي اعتذارنا عنه سبابا ومهاترة ؟ لقد ظهر انه يريد بهذه الالفاظ إلهاء خيالات القارئين ، كما هو شأن الصنف الذي قلنا انه نصف المحامين ،

ولقد كان منه بعد تعميته وابهامه ، وتعريضه وإيهامه ، ان زعم انه عاد الى تعزيز رأيه الذي فندناه ، ونفيه الذي أثبتنا سواه ، فبدأ هذا التعزيز بكلام في تاريخ الرومانيين والفرنسيين وكلام في حرية المعاملات وسهولة التجارة ورأي له في استحسان تدريس علم الاقتصاد السياسي في المدارس الثانوية وجعل كل هذا تمهيدا لرد قولنا ان غير ابن ماجه من المحدثين رووا أحاديث في الوقف خلافا لنفيه المطلق ، فما هذه الحجج والبراهين ، عند هذا الصنف من المحامين ، اللهم أفرغ الصبر الجميل على قلوب القضاة الذين يبتلون بسماع أمثال هذه الحجج والبينات .

ثم جاء بعد هذه التمهيدات العجيبة بالحجة البالغة عنده على نفي كون الوقف من الدين وهي ان القاضي شريحا قال : « ان الوقف غير جائز شرعا » : وما قال القاضي

شريح ذلك على اطلاقه كما يجيء، ولئن قاله فلا يلتفت الى قوله لانه رأي له واجتهاد منه ولا رأي ولا اجتهاد مع النص عن الشارع وإجماع أئمة الفقه الذين يستضيء محامينا بكتبهم فتعظيمه وتبجيله بعد ذلك لشريح لا يغني عنه شيئا • وكذلك ايهامه الجاهلين بأنه من الصحابة اذ قال انه «قام بعد وفاة النبي (عليه السلام) يقول للملأ جهارا ان الوقف غير جائز شرعا» والصواب أنه من التابعين الذين لا يحتج أحد بآرائهم وما كان لمثله ان يعلم الصحابة ما يجوز شرعا وما لا يجوز • على ان الصحابي لا يحتج الجمهور برأيه أيضا

قال المحامي البارع ان القاضي شريحا بنى رأيه في عدم جواز الوقف مطلقا على ان الوقف فيه حبس عن فرائض الله المنزلة في كتابه • ونحن نرد هذا بأنه لم يصح عنه كما سيجيء، وبأن الحبس عن الفرائض المنصوصة انما يتحقق ويكون ممنوعا اذا قصد الواقف حرمان بعض الورثة من حقه في التركة كله أو بعضه لما في ذلك من الايذاء • ومن أسباب العداوة والبغضاء، فاذا انتفى هذا القصد كأن يقف على شيء من أعمال الخير كما وقف الصحابة عليهم الرضوان فأي شيء في هذا يقضي بالمنع؟ أما لو كان هذا ممنوعا لكان كل عمل خيري وكل وصية للمنافع العامة كالمدارس والملاجئ وترقية العلم من المحظورات التي لا تجوز ولا تحل لانها تحبس المال عن الورثة فهل يقول المحامي البارع بهذا لأن له الآن حظا في زلزال أوقاف المسلمين؟ واما زعم ان أوقاف الصحابة لم تجز الا لأن وراثهم أجازوها كما نقل عن العيني فهو باطل لان أحدا لم ينقل في تلك الاحاديث انهم استجازوا ورثتهم أو استشاروهم ولم يوجد في روايات الاحاديث ان النبي عليه الصلاة والسلام أمرهم بذلك او اشترطه عليهم فالقائل به مدع بلا دليل

وقد جاء المحامي البارع بشبهة على كون الوقف ليس من الدين حشاها بين دعوى القاضي شريح ودليله وانما نذكرها متأخرة رعاية للنسق ونردها على قائلها بالسند وهي ان الفقهاء بحثوا في مشروعية الوقف وعدمها قال: فدل ذلك على ان المسألة خلافية بين نحارير العلماء أنفسهم: ونقول ان العلماء النحارير قد نقلوا الاجماع على مشروعية الوقف ولزومه قال النووي في شرح صحيح مسلم ان المسلمين أجمعوا على أوقاف المساجد والسقايات • وهو يتضمن ان مطلق الوقف مجمع عليه • وأطلق القرطبي فقال: راد الوقف مخالف للاجماع فلا يلتفت اليه: ولا يخفى ان اثبات الاجماع في غير الامور

العملية متعسر أو متعذر وقد علمنا بالتواتر ان المسلمين يقفون من عهد النبي وأصحابه الى هذا اليوم الذي جاءنا فيه محام نصراني يريد ابطال الوقف في الاسلام أو اباحة التصرف بالاوقاف تمدينا للمسلمين بزعمه وقطعا لطرق الخير والبر في الواقع ونفس الامر أو تحكيما للحكام فيها، ولا حجة له الاان شريحا من التابعين لم يكن يقول بالوقف لانه حبس عن الفرائض واتان توافق القاضي والمحامي في هذه الجزئية وتقول للناس لايجوز لكم ان تقفوا أوقافا بقصد منع ورثتكم من الفرائض التي فرضها الله لهم بل افعلوا الخير للخير كما أمر الله ورسوله. ولعل هذا يرضي القاضي في الآخرة ولا يرضي المحامي في الدنيا

ثم ذكر المحامي البارع ان « أقطع برهان للدلالة على ان نظام الوقف يقبل التغيير والتعديل شرعا ماروواه العيني في شرح البخاري من أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : لولا أني ذكرت صدقتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لرددتها : فلما قال عمر هذا دل على ان نفس الايقاف للأرض لم يكن يمنعه من الرجوع فيها وانما منعه من الرجوع فيها ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمره فيها بشيء وفارقه على الوفاء به فكره ان يرجع عن ذلك » اه نقل المحامي .

ونقول ان كلمة عمر في الرجوع عن الوقف منقطعة الاسناد لان قائلها ابن شهاب لم يدرك عمر وقد أوردها بعض الحنفية حجة لقول أبي حنيفة ان قول النبي لعمر « حبس أصلها » لايستلزم التأبيد بل يحتمل أن يكون أراد مدة اختياره . قال الحافظ في الفتح: ولا يخفى ضعف هذا التأويل ، ولا يفهم من قوله « وقفت وحبست » إلا التأبيد حتى يصرح بالشرط عند من يذهب اليه ، وكأنه لم يقف على الرواية التي فيها « حبيس مادامت السموات والارض » ثم ذكر نقل القرطبي الاجماع على الوقف . فالصواب ان عمر يريد – ان صح النقل – انه لو لم يذكر ذلك للنبي فيجعله النبي شرعا مقررا لـكان رجع عنه ولكنه صار ممنوعا من الرجوع شرعا ، لانه كره الرجوع كراهة لما فيه من عدم الوفاء ولضعف تأويل أبي حنيفة (رحمه الله) هنا خالفه صاحباه ووافقا الجمهور . فظهر ان قول عمر حجة على أنه لايجوز الرجوع في الوقف بعد تأبيده. ثم ذكر ماقاله الحنفية أيضا من ان قول النبي عليه الصلاة والسلام لعمر « ان شئت حبست أصلها » لايستلزم اخراجها عن ملكه . ومن الغرائب ان يتشبث أحد بمثل هذا وليس في هذه الرواية الا ان

الوقف قربة اختيارية من قرب الدين ، وليس مفروضا على المسلمين ، وهذا مما لاخلاف فيه • وأما كون العبارة تفيد جواز الرجوع عن الوقف فمما لاوجه له ولا يذهب اليه الا المتعلل بالاوهام فانه فهم تتبرأ منه العربية

ثم انتقل المحامي البارع من هذا الى ايهام أبعد منه عن الصواب فاستدل على زعمه السابق انه لم يرد في الوقف الا حديث عمر بعدم ذكر الحديث فى الموطأ – وزعم انه أصح كتب الحديث – وعدم ذكر غيره في صحيحي البخاري ومسلم • وهو مخطيء في ذلك ولا يعدو خطأه سببين اثنين أحدهما قلة اطلاعه واطلاع شيخه الذي دله على هذه الشبه فى العيني وهو الذي اعتذرنا به عنه أول مرة وسماه شتما ، وثانيهما تعمده الكذب مع العلم به وهذا مالا نرضاه له ، فهل يمكن ان يكون لهذين السببين ثالث ؟ الموطأ ليس أصح الكتب بل أصحها جامعا البخاري ومسلم باتفاق المحدثين ولكن الموطأ ومسند الامام أحمد أقدم من الصحيحين والأحاديث الدالة على مشروعية الوقف متفق عليها ، وقد ذكرنا في النبذة الاولى التي نشرناها في الجزء السابع عشر ان حديث وقف عثمان ذكره البخاري تعليقا وان حديث وقف أبي طلحة رواه أحمد والبخاري ومسلم ولكننا قلنا هناك (الشيخان) فلعله لم يفهم ان المراد بهما البخاري ومسلم الا أن يدعي انه لم يطلع على تلك النبذة ، وذكرنا فيها حديث الترغيب فى وقف المنقول عند أحمد والبخاري وقلنا ان حديث وقف خالد لأدراعه وأعتاده صحيح ونقول الآن انه في البخاري ومسلم وهو متفق عليه • وذكرنا ان حديث الترغيب في الوقف على الاطلاق وهو الصدقة الجارية بالاتفاق قد رواه أحمد والبخاري • وحسبه هذا ان كان منصفا لاسيما مع قولنا ان الحديث اذا صح نهض دليلا سواء كانت الواقعة – ان كانت واقعة – واحدة أو تعددت • وأذكر ان مالكا روى بعض أحاديث الوقف لانه مذكور في سند بعضها وأتباعه المالكية مجمعون مع المسلمين على مشروعية الوقف فعدم ذكر أحاديثه في الموطأ لاينهض حجة على أن الامام مالكا لايقول به فان كثيرا من أحكام الدين المتفق عليها لاذكر لها فى الموطأ

ثم انتقل المحامي البارع الى معارضة الاحاديث المجمع على العمل بها تواتر بحديث اعترف هو انه شاذ وهو حديث شريح «لاحبس عن فرائض الله» وذكر له سندا الى شريح وليس فيه ان

شريحا أسنده الى أحد من الصحابة ولا رفعه. ولو رفعه بدون ذكر الصحابي لعد من مراسيله والجمهور لا يحتجون بالحديث المرسل مطلقا ومن قال بأنه حجة يشترط في ذلك شروطا ليس من السهل تحقيقها لاسيما بعد العلم بأن شريحا يقول هذا لتأييد رأيه على رأي الجمهور. ولو سلمنا بأن الحديث مسند مرفوع صحيح سالم من الشذوذ لما كان فيه من حجة لما علمت من ان المتبادر منه منع القصد الى حرمان بعض الورثة من الارث. على ان الرواية عن شريح فيها مقال وان نقل المحامي عن العيني ان رجالها ثقات فقد قال الحافظ الذهبي في الميزان ان ابن يونس قال في راويها سليمان ابن شعيب بن الليث انه يروي مناكير وان العقيلي قال فيه: حديثه غير محفوظ: وهو الواضع لحديث «أبو بكر وزيري يقوم في الناس مقامي من بعدي وعمر ينطق بالحق على لساني وانا من عثمان وعثمان مني وعلي أخي وصاحبي يوم القيامة» وان كان سليمان ابن شعيب في الرواية ليس هو حفيد الليث مع ان المتبادر انه هو لقولهم: سليمان بن شعيب غرابيه: فهو بلا شك سليمان ابن شعيب السنجري الذي يروي عن سفيان الثورى وقد قال فيه ابن عدي: ضعيف يسرق الحديث: فعلم من هذا ان الرواية عن شريح موضوعة أو واهية وانها لو صحت وسلمت من العلة والشذوذ لما كان فيها دليل على المراد. وهذا كل ما نقل عن شريح

قال المحامي البارع: ويؤيد هذا ما رواه الطحاوي أيضا من حديث عكرمة عن ابن عباس قال «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد ما أنزلت سورة النساء نهى عن الحبس» وأخرجه البيهقي أيضا فمن هذا يعلم القارىء ان رجال الدين في صدر الاسلام كانوا يتناقشون ويتناظرون في مشروعية الوقف وان منهم من رأى ان الوقف غير جائز شرعا: اه

أقول اما الحديث فضعيف لان في اسناده عبد الله بن لهيعة عن أخيه عيسى وهما ضعيفان، ولا نظر لتوثيق أحمد لعبد الله لان الجرح مقدم على التعديل وانما جرحه الحفاظ مع علمهم بقول أحمد فيه ولا لتوثيق ابن حبان لعيسى لما ذكر ولانه متساهل يعتد بجرحه ويتثبت بتعديله كما قال الحفاظ ويؤيد ضعفه استمرار المسلمين كافة على الوقف من ذلك اليوم الى هذا اليوم، وأما ما فرعه عليه أو على مجموع ما تقدم من ان رجال الدين فى صدر الاسلام كانوا يتناقشون في مشروعية الوقف فهو باطل ولم يوجد ما يدل عليه الا انه ادعاه أولا ثم أدعاه آخرا فهو يؤيد الدعوى بالدعوى

بقي اننا علمنا من عبارت المحامي البارع انه اعتمد في تموبهاته على شرح العيني على البخاري وقد نقل ما نقل عنه مبتورا ولو تصفح الجزء الذي نقل عنه أو الفهرس لعلم ان في البخاري كثيرا من الاحاديث في الوقف. وفي الورقة التي نقل عنها من شرح العيني انه لا خلاف بينهم في جواز الوقف وفصل ذلك ثم بين موضع الخلاف فقال (ص ٤٦٩ ج ٦): «واختلفوا في جوازه مزيلا لملك الرقبة اذا لم يوجد الاضافة الى ما بعد الموت ولا اتصل به حكم حاكم فقال أبو حنيفة لا يجوز حتى كان للواقف بيع الوقف وهبته واذا مات يصير ميراثا لورثته وقال أبو يوسف ومحمد والجمهور يجوز حتى لا يباع ولا يوهب ولا يورث» ثم قال «وفيه (أي الحديث) ان الوقف مشروع خلافا للقاضي شريح» فعلم انه لم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية الوقف الا ما نقل عن القاضي شريح ولعله كان لعدم علمه بالاحاديث الصحيحة فيه، وجعل عمر شريحا قاضيا واقرار الخلفاء بعده اياه على القضاء في الكوفة لا ينافي ذلك فان الرواية كانت في العراق قليلة على عهده. واما زعم المحامي ان شريحا قام ينادي في الناس بمنع الوقف ويجادل ويناضل فيه فغير صحيح وما ذكر من الحجج عنه لم يرو منه الا قوله «لا حبس عن فرائض الله» وهي شبهة وقد علمت ما فيها متنا وسندا. فظهر بما كتبناه ان الوقف مشروع في الدين، وجائز باجماع المسلمين، وان العبث بأحكام السنة ليس سهلا كالعبث بالقوانين. فلا تتطاول اليها خلابة ذلك الضعف من المحامين. لان لها أنصارا يؤيدونها الى يوم الدين. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين،

القسم العمومي

﴿ بلرم - صقلية ﴾

(ملاحظات سائح بصير)

«أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»

قضت المقادير أن أغير خطة سفري عن طريق مرسيليا الى طريق ايطاليا وكان لي في ذلك خطان من السير أحدهما يمر ببالرم ثم يصل الى نابولي ثم تكون الاقامة

في نابولي نحو أربعة أيام ويعدو المركب بنا الى ماسينا ومنها يذهب الى الاسكندرية والآخر ينتهي عند بلرم (اوبالبرم) وتكون الاقامة خمسة أيام نذهب بعدها الى ماسينا كذلك وكان بودي لو ذهبت مع الخط الاول فكنت رأيت بلدانا كثيرة وآثارا عظيمة زيد في علمي كثيرا مما لم أعلم الى اليوم غير ان بعض أصحابي قال لي ان بلرم هي عاصمة صقلية ويوجد فيها من الآثار العربية مايهم العربي أن يراه وفيها داران للكتب لاتخلو كل منهما من كتب عربية قديمة ربما يستغرق الاطلاع عليها زمنا مثل الزمن الذي تقضي الضرورة بصرفه الى يوم السفر الى مسينا : ففضلت النزول الى بلرم ولا أذكر الآن شيأ مما لاقيت من الحمالين وغيرهم من مستقبلي المسافرين ولكن أعود اليه

بعد ان أخذت مكانا في نزل سنترال بشارع رومه خرجت لايصال بعض رسائل التوصية الى من أرسلت اليهم فلاقيت منهم ماسرني وكان أحدهم موصى بأن يسهل لي طريق زيارة المكتبة العمومية ودار المحفوظات الرسمية والتمكن من رؤية مايكون فيها فوعدني بالمجيء في الغد لمرافقتي الى المكتبة • ثم بعد ذلك بدأت بزيارة قصر الملك ولا حاجة بي الى وصفه فان ذلك من شأن صاحب جريدة أو سائح يطلب اظهار البراعة في حسن الوصف وسعة العبارة • وغاية ما أقول انه قصر (أو سراي) واسع كبير البيوت باهر الزينة والاثاث كسائر قصور الملوك في أوربا أو في غيرها من البلاد الشرقية والغربية مما تنفق فيه الاموال بحساب وبغير حساب ولا شيء منها من كد الملك او الامير وانما هي من أموال الرعية وكسب الحفاة العراة الذين لايجدون مابه يستترون ويشتهون لو أنفق على جدران أبدانهم وأركان أجسادهم جزء من المليون مما انفق على حيطان تلك القصور وزواياها وسقوفها ـ ما انا بذاكر شيأ من وصف ذلك الغنى في بلد الفقر ولكن أذكر ما رأيت فيه مما يحب الشرقي ان يطلع عليه اما للعبرة واما للفكاهة. ذهب بي حارس القصر أولا الى حيث توجد كنيسة الملك ولا حاجة الى وصفها كذلك ـ الا لو كان الله يحب ان تزين له معابده، وتنقش لمجده مساجده ، كما يحب ذلك ملوك الارض ـ فوجدت في الممر الموصل اليها على الحائط المتصل بالكنيسة حجرا قد كتبت عليه هذه العبارة :

« خرج الأمر من الحضرة الملكية المعظمية الرجارية العلية أبد الله أيامها وأيد أعلامها بعمل هذه الآلة لرصد الساعات بمدينة صقلية المحمية سنة ست وثمانين وخمسمائة »

ثم في أعلى الحجر سطور بالحرف اليوناني يظهر أنها ترجمة هذه العبارة • والحضرة الرجارية هي حضرة الملك رجار أو (روجير) النُّرمَنْدي الذي دخل جزيرة صقلية وفتحها على العرب وكان لسانه الرسمي في حكومته اللسان العربي واليوناني • أما ميله في البناء والزينة فكان الى الرسم اليوناني • ولهذا الملك آثار كثيرة في بلرم ويوجد كثير من المحررات العربية والصكوك مما كتب في أيامه • ويقال ان العرب كانوا في زمن النرمنديين ممتعين بحرية تامة في اقامة شعائر دينهم وتصرفهم في شئونهم وان كان هذا الملك قد هدم مساجد كثيرة لنقل أعمدتها الجميلة الى الكنائس التي رأى تجديدها في المدينة ، ويظهر من العبارة المرقومة على الحجر أن هذا النرمندي كان عند مادخل البلاد ذهب مذهب أهلها من العرب في المدينة ولم يحتقر ماوجد من آثار العلم فكان يأمر بصنع الآلات الفنية والفلكية ويساعد القائمين بعملها

رأيت في خزينة الجواهر من قصر الملك صندوقا عربيا في طول نحو ثلثي ذراع وارتفاع ثلاثة أرباع الذراع صنع من نحو ثمان مئة سنة على مايقول الحارس وهو مغشى بالنقوش الذهبية من أجمل ماتراه عين الآن وقيمته عند الدولة خمس مئة ألف فرنك • ورأيت في أحد بيوت القصر بابا من الحديد مطليا بطلاء أصفر جميل من أجمل مايصنع من الابواب وهو من صنع أيدى العرب أيام دولتهم

رأيت بيتا من بيوت القصر فيه صور نواب الملك في عهد البربون بعد النرمنديين ومع كل نائب منهم كردينال كما كان للملوك كردالة يصحبونهم ويشركونهم في كثير من شئون الملك لذلك . كان النائب عن الملك يصحبه كردينال يرجع اليه في أمور دينه وفي أعماله السياسية أيام كانت الاحكام المدنية والسياسية ممايدخل فيه رجال الدين كما نقول عندنا « المفتي أو شيخ الاسلام » في عهد الملوك الذين لاتسمح لهم اوقاتهم بتعلم العلوم الدينية فيحتاجون الى من يرجعون اليه من علماء الدين • غير ان المفتي وشيخ الاسلام انما يجيب عما يسأل عنه أو يؤدي ما كلف به • اما الكردينال فكان يبتدئ المشورة ويقترح المطلب ، ويقيم نائب الملك على المذهب ، ويكف يده عن العمل لا يرضاه ، ويحمله على بسطها فيما يتوخاه ، فكانت السلطة الحقيقية مدنية سياسية دينية في نظام واحد لا فصل فيه بين السلطتين وهذا الضرب من النظام هو الذي يعمل البابوات وعمالهم من رجال

الكثلكة على ارجاعه لانه أصل من أصول الديانة المسيحية عندهم وان كان ينكر وحدة السلطة الدينية والمدنية من لايدين بدينهم

كان مما قيده بعض أصدقائي في جريدة الامكنة التي يرغب في رؤيتها محل يسمى بالدوم أي القبب فذهبت اليه واذا هو الكنيسة الكبرى التي تسمى كاتيدرال رئيسها هو مرجع رؤساء بقية الكنائس في المدينة أو الولاية وهي من عظمة البناء وبهجة الزينة على ما يطول شرحه وأصل هذه الكنيسة الكبرى مسجد باق على ما هو عليه حتى بابه الخشبي الجميل ، غاية ما في الامر انه زيدت فيه الصور والتماثيل . وضروب أخرى من الزينة الكنائسية ويمكن للناظر ان يتفرس ذلك بمجرد رؤيته من الظاهر لان رسم البناء على الطريقة العربية في عامة المساجد

زرت بعد ذلك ديرا يسمى دير سانت جواني وهو مما كان قد كتب في جريدة الاماكن ولم أر فيه شيئا سوى ان أسفل الدير كان مسجداً فلما جاء النرمنديون حولوه الى كنيسة بناها راجار ونقل اليها هذه الاعمدة من المساجد التي خربها لما أعجبه من أعمدتها ، ثم أخذني السادن بعد ذلك الى قبة قريبة من الكنيسة وقال لي انها على شكل عربي ولما رأيتها خالية من الزينة المعتادة رؤيتها في أماكن العبادة النصرانية سألته في ذلك فاخبرني أن الاسبانيين عندما غلبوا على سيسيليا سلبوا ما كان في هذه الكنيسة من الموزاييك (زينة من أجمل ما تزين به الاماكن والأدوات تصنع من قطع دقيقة من الحجارة على أشكال مختلفة بحيث يصور بها جميع ما يمكن تصويره من الرسوم والصور) وحملوا ذلك الى بلادهم ، وقال انهم لم يقتصروا على ذلك بل سلبوا الكنائس كل ما كان فيها من المصنوعات الفضية كذلك . فقلت لصاحب كان معي يظهر ان كل فاتح يرى من الواجب عليه ان يفسد شيئا من عمل من سبقه فكل منهم يقوم بما رآه واجبا عليه :

عرفت قسيساً حليا معلما للعربية بمدرسة دير الكبوشيين في بلرم – وسنأتي على ذكره – فمما أرشدني اليه رؤية بقية من قصر يسمى العزيزة وهو اسمه في الطليانية فذهبت معه اليه واذا هو قاعة كبيرة فيها سلسبيل ماء بنيت على نمط ما كنا نسميه عندنا (القاعات الحرميه) حيطانها مزينة بالموزاييك من أجمل ما تحب عين ان تراه ولم يبق من القصر مكان ينظر اليه السائحون الا تلك القاعة • اما أعلى القصر فيسكنه أناس من أهل المدينة وقد دخل بتمامه في ملك بعض الاغنياء • والقصر من

بناء الملك راجار النرمندي بناه لابنته عزيزة • وعلى مقربة من هذا القصر قبة يقول القسيس إنها مسجد عربي فأخذنا نحوها فاذا هي في بستان كبير قد أغلق بابه وقيل لنا ان خادم البستان فيه ، وذهب ذاهب ليناديه ، وطال بنا الوقوف ، واجتمعت علينا من الصغار والنساء صنوف اوزحوف ، جلبتهم علينا تلك العمامة وصاحبتها الجبة ، وكلما طردنا فوجا أقبل فوج ، أونجونا من موج علا علينا موج ، الى ان جاء رجل قيل انه هو حارس البستان ، وبعد قيل وقال في فتح الباب ، واحتياجه الى اذن من صاحب البستان ، رضي بالفتح ، طمعا في النفح ، فدخلنا ورأينا صعوبة جديدة في فتح القبة فذللناها • القبة من قباب المشائخ التي يقيمها المسلمون على قبور الاولياء أو الامراء على خلاف ما يأمر به الدين وأظن انها على قبر من هذه القبور وليس فيها من أثر عربي سوى شكلها هذا

﴿ كنيسة موريالي ، وتساهل العرب ، وأين هم اليوم ﴾

مما رأيته في بلرم (صقلية) كنيسة موريالي وجميع سقفها والاغلب من جدرانها مغشى بالموزاييك ألوانا وأشكالا من أبهى مايهيج الناظر ، وأجمل مايسرح فيه الخاطر ، وفي ناحية منها قبة تعرف بمعبد الصليب فيها من التماثيل وضروب الزينة مايقصر عنه الوصف • وأهم مايذكر في شأنها انها مبنية في القرن السادس من التاريخ المسيحي فيكون لها نحو ألف وثلاث مئة سنة والمصنوعات الخشبية الجميلة محفوظة من ذلك العهد لم يجرأ السوس على قرض شيء منها ببركة العناية والاهتمام بالتنظيف وأما مايقول به بعض الحذاق في معرفة طبائع هذه الهوام الدقيقة من انها تعرف الصلب وما خصص له من الادوات وتشعر باحترام تلك الصور والتماثيل التي صورت في تلك الاخشاب وانها بذلك صارت مسيحية كاثوليكية فلا يباح لها قرض الخشب المسيحي ، ثم ان اعتقادها بحرمة القرض ، حملها على العمل بخالفت شهوة الاكل قياما بالفرض ، : فلا أظنه في غاية الصحة بل ولا في أولها كذلك • ويقال ان الكنيسة من بناء الملك كيليولمو الثاني وقبره فيها صندوق من حجر فيه جثته

ومن ذلك تعرف ان العرب رحمهم الله لم يمسوا هذه الكنيسة بسوء مع عظمة سطوتهم وامتداد ملكهم في سيسيليا ، وتلمح من هذا أن العرب — وان فسق كثير

منهم عن أمر ربهم ـ فروح الدين الاسلامي كانت تدوس فى كثير من أعمالهم ، نهى الدين عن هدم الكنائس اذا لم تكن مربضاً لشر يخشى خطره على الدولة فحفظوا لرعاياهم كنائسهم ومعابدهم ولم يصنعوا بها ماصنع غيرهم ممن جاء بعدهم ، ولم يريدوا ان يقتفوا أثر خصومهم ممن كان يهدم مساجدهم ، ويخرب معابدهم ، فحيا الله أيامهم . لاجرم ان الاسلام عربي وأحق الناس برعايته والوقوف عند حدوده بعد فهم حقيقته هم العرب فأين هم ؟ يمكن ان يقول قائل : انهم في جزيرة العرب أوفى الشام أوفى العراق أوفى مصر أوفى تونس والجزائر أوفى المغرب الاقصى ، ألم يكفك كل هذا العدد ، فى أكثر من ألف بلد ، حتى تقول أين هم ؟ ولكني أقول له انما يكون القوم اولئك القوم اذا بقيت لهم اخلاقهم ، وحياة أرواحهم ، فان كان لم يبق الا أشباح تشبه أشباحهم فليسوا بهم ، فلي الحق ان أقول عن العرب فأين هم ؟

﴿ دير الكبوشيين ومدرستهم ومقبرتهم في بلرم ﴾

(وفيه بحث الدعوة الى الدين واحياء اللغة)

للكبوشيين دير في بلرم فيه معبد ومدرسة ومقبرتان . اما المعبد فهو المعبد لايحتاج الى الكلام عليه ولا يختلف عن غيره من المعابد ، واما المدرسة فهي لتعليم اللغات والفنون والعلوم التي يحتاج اليها المرسلون الذين يكلفون بالدعوة الى الدين المسيحي والتبشير بالانجيل ونشر ماتقتضي الغيرة الدينية نشره فى الاقطار النائية كبلاد العرب والترك والفرس وغيرها . ومما يعلم فيها اللغة العربية ، واستاذها الراهب جبرائيل ماريا الكبوشي وهو من حلب وتعلم العربية فى بيروت وأخبرني ان من اساتذته صديقنا الشيخ سعيد الشرتوني صاحب (أقرب الموارد) فى اللغة . لاقيت ذلك الراهب وحادثته في شأنه والزمن الذى قضاه في ايطاليا والداعي الى الاقامة فيها فقين لي انه جاء اليها ليخدم دينه هذه الخدمة ـ تعليم اللغة العربية لنشر الدين في بلاد العرب مثلا . وكان يتحرى في كلامه قواعد اللغة العربية بقدر الامكان فحمدت منه ذلك . كأنه اعتقد انه انما تعلم العربية لينتفع بها في منطقه وان كان فى بلاد ايطاليا وعمل بما اعتقد ، وماكان أسهل عليه ان يكلمني بالحلبية كما يكلمني البيروتي

بالبيروتية والتونسي بالتونسية ولا يبالي أكنت أفهم أم لا أفهم كما لا يبالي الكثير ممن ذكرناهم .

وفي هذه المدرسة تعلم العلوم اللاهوتية كذلك للغاية التي ذكرناها ولا حاجة الى ذكر ما فيها من العلوم فان ما تحتاج اليه للبراعة في نشر الدين والدعوة اليه معروف عند من يعرف ماهو الدين ويتصور معنى الدعوة اليه . أما من لا يعرف ذلك فلا نكتب له حرفا واحدا من هذا الكلام ، فان قال قائل : فلمن تكتب ماتكتب ؟ قلت ان فقد الفاهم فانني أحفظه لنفسي والسلام . هل خطر ببالنا ــ وكل منا يدعي الغيرة على دينه ويرى انه الحق الذي يجب على الناس كافة أن يخلصوا أرواحهم باعتقاده والأخذ بأصوله ــ ان ننشيء فرعا من فروع التعليم لنشر الدين وتقويم أصوله بين أهله فضلا عن نشره بين من ليسوا من أهله ؟ أريد من أهله اولئك الذين لبسوا رداءه واعترفوا ان الدين دينهم سواء عرفوه حق معرفته وهم في غنى عن الدعوة اليه ، أو جهلوه أو انحرفوا عن طريقه وهم أحوج الناس الى الارشاد وأشدهم افتقارا الى من يحول اليه نظرهم ، ويعطف عليه اختيارهم ؟ هل مر ببالنا ان نهيء لهذا الفرع من التعليم مايلزم له من فنون وأساتذة لتلك الفنون كما يهيء هؤلاء مايهيئون لتعليم من يقوم بدعوة من ليس من دينهم الى دينهم ؟ ما كان أحوجنا الى انشاء ضرب من التعليم خاص بمن يكلف بارشاد من يسيء الى الدين باسم الدين ومن يهدم شرف الدين بعمل ينسبه الى الدين ؟

ألا يحق لنا ان نطالب من أولئك الذين صعدت بهم ألقاب الرئاسة الدينية الى أسمى المنازل ان يفكروا في هذا الأمر ، ويقوموا بما يجب عليهم منه ، ان لم يكن لمصلحة الدين فلمصلحة أنفسهم ، فان في تقوية جانب الدين تقوية لمساندهم ، وفي تبصير العامة بشئون الدين تمكينا لحرمتهم في نفوس الدهماء وتسجيلا لسيادتهم عليها ؟ أليس لنا على ضعفنا ان نذكرهم بالامر الالهي القارع للقلوب المزعج للهمم في قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » الخ فهل يليق بهم ان يصموا آذانهم عن هذا الخطاب ولا يخشوا ان يكون التصام عنه بمنزلة الخروج من مدلول كاف الخطاب ومشعرا بأنهم ليسوا من أولئك الذين خوطبوا

به ؟؟ لنا بل علينا ان نطالبهم بذلك وأن نزيد عليه مطالبتهم بالنظر فى انشاء فرع لتعليم ما يلزم لنشر الدين بين بقية الامم ان كانوا يعتقدون ان دينهم هو الحق فان السكوت عن الدعوة الى الحق رضاء بالباطل • اولئك الملوك والامراء الذين لافضل لشيء عليهم فى تمتعهم بما لكهم واخضاع رعاياهم لسلطانهم مثل فضل الدين لم لا يقتطعون شيأ من مالهم وقطعا من زمانهم ينفقونها في الاشتغال باحياء روح الدين ، ولا يكتفون بغش العامة بالمحافظة على رسوم كلها اوجلها لايعرفه الدين ، ؟ أفلا يجب عليهم ان يسعوا فى زيادة تمكين قوتهم ، وتعزيز سلطتهم ، ؟ اللهم الا اذا ظن هؤلاء وأولئك ان الدين حيوان يمشي على رجلين يطلب رزقه من القلوب حيث يجد الحاجة اليه ، ويغدو الى مرعاه من النفوس متى اشتد الجوع عليه ، فاذا قصر في ذلك حتى أهلكه الجوع ومات فانما اثمه على نفسه لاعليهم ،

ربما يقول قائل : ولم تستبعد هذا الظن منهم فتعبر فى جانبه بكلمة « اللهم » وهم قد يزعمون أنهم من أهل السنة وربما طلبوا الدخول فى اثواب حماة السنة بهذا الظن الذى تستبعده وما عليهم فى ذلك الا ان يقولوا نحن سنيون لا نقول باستحالة شيء ونخرنا ان نجوز المحال ونذهب الى جواز تجسم المعاني ونعتقد ان الاعمال والعقائد وهي معان نفيسة وحركات بدنية يمكن ان تنقلب اشخاصا حيوانات تمشي وأناسي تتكلم ، أليست هذه العقيدة هي مطيتنا الى الجنة ؟ فليكن الدين رجلا عاقلا ، اوميكروبا متنقلا مفيدا لاقاتلا ، يفعل لنفسه ماكان فاعلا ، ويدعنا نتمتع بالنسبة اليه ، وان لم يكن لنا عطف عليه ، : فنجيب القائل بأنهم مغرورون ، وان السنة بريئة مما يزعمون ، وسيعلمون أى منقلب ينقلبون ،

خرج بنا الكلام عما نحن بصدده • هذا الراهب استاذ العربية فى الدير وضع طريقة سهلة لتعليم قواعد اللغة العربية من الصرف والنحو للايطاليين — يضع القاعدة العربية ثم يفسرها باللغة الايطالية بأسلوب يسهل معه تناولها بقدر الامكان ، وقد رأيت من تلامذة الراهب من يحسن قراءة العربية وان كان لايحسن التكلم بها لعدم التمرين على السماع والنطق ، وما أحوج كل عربي الى تعلم مايحتاج اليه من لغته : لكن ما أشق العمل وما أوعر الطريق وما أكثر العقبات فى طريق العربي الساعي في تحصيل

ملكة لسانه !! يفني عمره وهو لايزال يضرب برجليه في أول الطريق ، أفلا نشعر بالحاجة الى تقريب المطاب ، وتيسير المذهب ، في تحصيل ما تدعو اليه الحاجة من لغتنا حتي نستطيع فهم ما أودع فيها من النفائس ؟ والتعبير بها عما نجد في أنفسنا ، ونحبب ان نسوقه الى بني لغتنا ، على وجه صحيح ؛ وبأسلوب فصيح ، ؟ ألم يأن لنا ان نرجع الى المعروف مما كان عليه سلفنا فنحيا بما كان قد أحياهم ، ونترك ما ابتدعه أخلافهم مما أماتهم وأماتنا معهم ؟

أما المقبرتان فاحداها في بناء متسع الارجاء تحت الارض ينزل اليه بسلم وفيه نوافذ يأتي اليه منها الضياء وقد وضعت فيه الجثث على ضروب شتى ، فمن الجثث ماهو في صناديق مقفلة من الخشب أو الحجر أو البرنز ، ومن ذلك جثة موسيو كرسبي رئيس الوزارة الايطاليه السابق فانه في ذلك المحل في صندوق مغلق ، ومنها ماوضع في صناديق من البلور بحيث تظهر الجثة للرائي من داخل الصندوق على الهيأة التي كانت عليها عند الموت • وقد يوجد في الصندوق الواحد عدة أشخاص بادية هياكلهم ، ظاهرة وجوههم ، على أنهم مايحزن له قلب ، وتعتبر به نفس ؛ وهذان القسمان من الاموات انما ينالون حظوة الاستيداع في هذا المكان اذا كانوا من الاغنياء الذين يتمكنون ان يدفعوا الى الدير ما يطلبه من قيمة هذه الحظوة • وهناك قسم آخر وهو جثث محنطة قائمة في جوانب المكان عليها ثيابها في الحالة التى كانت عليها عند موتها وهي جثث الرهبان والقسيسين الذين يحبون ان يودعوا في هذا المكان ليسعدوا ببركته ، ولهم هيئات تنقبض لها النفس ، ويضيق بها الصدر ، ولا حاجة بنا الى تعداد ذلك ويكفي القارئ ان يتصور ميتا في أشد ماتكره النفس مما يصوره الموت في البدن

واما المقبرة الاخرى فهى كسائر المقابر على ظهر الارض وان كان الاموات في بطنها وهي من أجمل الاماكن وأنظفها والقبور فيها نظيفة البناء بهجة الظاهر • وقد غرس في المقبرة أشجار السرو بنظام بديع وقيل لنا ان الذين يدفنون فيها هم الامراء والاغنياء اما الفقراء فلهم مقبرة تليق بفقرهم في مكان آخر • وكأنه قضي عليهم بأن لايساووا الاغنياء حتى في الموت مع أن الموت قد سوى بين الاغنياء وبين أدنى طبقة من الاحياء بل جعلهم طعمة لاقذر الديدان كما جعل ذلك حظ أمثالهم من سائر الحيوان ،

قيل ان الحكومة بعد ان استولت على رومية منعت الدفن في المقبرة الاولى على تلك الطريقة وأمرت أن لا يدفن الميت الا في المقابر المعتادة كهذه المقبرة الثانية ونحوها وانما حفظت الحق في الاستيداع في المعابد للبابا وللملك دون سائر الناس فهما وحدهما توضع جثتهما في صندوق وتودع في الكنيسة وقد أحسنت الحكومة في ذلك فان من كان محجبا بعظمته عن الناس في حياته ، يجب ان يكون عبرة لعامتهم بعد مماته (للرحلة بقية)

(المنار) ليعتبر المصريون الذين لا يزالون على سنة أسلافهم الفراعنة في تعظيم القبور واتخاذها مواسم وأعيادا بمقابر الامم الاخرى في زينتها و نظافتها وانك لتجد طريق قرافة مصر شر طريق يمشي فيها الناس تكسو سالكيها ثوبا من التراب فوق ثيابه وانه لثوب يكسو باطن الانف والفم وربما تصل اذياله الى الصدر فلاهم أقاموا سنة الاسلام بدرس القبور واهمالها ولا سنة سائر الملل بنظافتها وزينتها

نظام الحب والبغض — تابع ويتبع

باب ٢ كيف حدثت القوة للإنسان

تلك القوى (*) تابع أصل وجودها من حيث الجملة لفطرة النوع . واما قسط كل فرد من كل قسم من أقسامها فتابع لتوزيع عام مرتب اقتضاه نظام الوجود المؤسس على وجود المتضادات .

فمن كان يرجو ان ينال نصيباً حسناً من ذلك التوزيع فليعرض عن الذين يجادلون في مثل هذا المقام في عمل الانسان كقول فريق منهم : اذا كانت قوته من صانعه قلت أو كثرت فأي فضيلة أو رذيلة له . وكقول آخرين : اذا كانت قوته منه فلم يعتذر بصانعه ان قصر

ولم نوص بهذا الاعراض تقييدا للأفكار ان تجول في المعقولات كما خولها الفاطر ، ولا استصغارا لهذه المسئلة ، بل لأننا نجدنا كيفما قلنا نجري في هذه الحياة على اثابة المحسن ومؤاخذة المسيء . فعلمنا ان البحث عقيم وان انتج فهو لا يعدو هذه النتيجة الموافقة لما في الانسان من مكنونات الاسرار :

(*) هي المشار اليها في آخر الباب الماضي

ولا نعيا ان نقول لأمثال أولئك السائلين : ان الفاطر (جلا وعلا) فطر هذا النوع على صورة يتصرف معها في عوالم الأرض ثم ينتهي الى عالم الغيب ليتم هنالك فيه أمراً لم يبتدأه عبثاً ، وكان من حكمته ان يكون أفراد هذا النوع درجات. وجعل في الافراد شوقا للترقي من درجة دنيا الى درجة عليا. واغاث هذا الشوق بايجاد استعداد عام في أصل الفطرة للترقي . فمن أزعجه الشوق حتى عرض نفسه لنيل نصيب من الاستعداد العام يوشك ان ينال المنح والتحف مما في أصل الفطرة . ومن احتج على الشوق في تسفله الخاص بأنه تابع لترتيب الدرجات العام فحجته في نفسه داحضة لان القضاء العام في تفاوت الدرجات يقابله ايجاد استعداد عام. فلئن صح حجة في وجود متسفلين يقابلون متعالين فلا يصح حجة في تسفل فرد بعينه .

هذا هو سبيلنا الذى اتفق البشر كلهم على سلوكه في قوانينهم الحقوقية والجزائية وليس بعد هذا الا هراء غاليين أحدهما ينكر إفاضة القوة الغيبية على القوة الحسية مطلقا والآخر ينكر وجود القوة الحسية مطلقاً .

فنذرهم في هرائهم يتجادلون ونأخذ لانفسنا نصيباً من بناء الحكم على الواقع لنستفيد علماً نافعاً لنا في يومنا هذا وفي اليوم الموعود .

﴿ تدرج الانسان في القوة ﴾

لكل فرد من أفراد الانسان نوعان من القوة (١) قوة طبيعية ـ وهي ما منحه الفاطر لشخصه من قوة جسد وعقل وقلب . و(٢) قوة صناعية . وهي ثمرة التعاون الذى اهتدى البشر لفوائده .

أما تدرج الانسان في القوة الطبيعية فتابع لارتقائه في القوة الصناعية(*) ولذلك نفيض الآن في بيان القوة الصناعية وشرح كيفية حدوثها ونحصر الكلام ههنا في ثلاث روابط فيها ينحصر التعاون العظم الذى ينتج القوة الصناعية . وهي (١) رابطة قرابة الاجساد بواسطة الارحام ، ونسميها رابطة القومية . و(٢) رابطة قرابة الافكار

(*) اقرؤا أول هذا الفصل الى قولنا : نجد علمه الباهر يرجع الى عدم العلم اذ « خلق الانسان جهولاً » . وقوته الرائعة ترجع الى عدم القوة اذ « خلق الانسان ضعيفا » .

بواسطة الاتباع لذي دعوة، ونسميها رابطة الدين والمذهب • و(٣) رابطة قرابة القلوب بواسطة التراضي في اقتسام الاعمال التابعة لحب الزينة وحب التميز، ونسميها رابطة المدنية •

﴿ رابطة القومية ﴾

فى الانسان أشواق لاتسكن، لمطالب لاتحصر، فمنها مطالب تقتضيها مادة جسمه • ومنها مطالب يقتضيها جوهر نفسه، ومنها مطالب تقتضيها مادة الجسم والنفس معاً • وهذا القسم من المطالب هو الاكثر •

والباحثون فى الانسان ينفعهم ان يعرفوا هـذا التقسيم فانه يفيدهم في التفريق بين العلل • وما أجدرهم ان يحرصوا على إصابة الحقائق فى الحاق كل معلول بعلته • وما أجدر الحقائق ان تكون مستورة لتمتحن طلابها • وما أجدر من توجه اليها بفكر حر متزودا من الاخلاص ان يبلغ مايسير به الشوق اليه •

وقد عرف من قبل ومن بعد ان الانسان لايبلغ شيئاً من مطالبه بدون التعاون الا ان يكون شيئاً من بعض المطالب التي يقتضيها جوهر النفس وحده كالجمال المتجلي فى الاشباح الطبيعية، بروحه المناسبة للنفس الانسانية . فكأن العجز الفردي بالنسبة الى المطالب التي لاتفتأ تجدد كل حين داء عظيم يحول بين الانسان وما تطالبه به فطرته، ويهدد كل فرد بالضعف المميت . وكأن التعاون دواء هذا الداء فهو يرفع من أمامه الحوائل، ويدفع عنه الغوائل، ويهب كل فرد قسطاً بقدر من القوة المحيية .

لكن هذا الدواء انما يشفي عجز كل فرد من المتعاونين بالنسبة الى غيرهم من انسان وغير انسان . فما الذي يشفي عجز كل فرد منهم بالنسبة اليهم أنفسهم اذا أجمعوا أمرا ان يخذلوه ؟ الجواب عن هذا سيتضح من الكلام على الرابطتين الآتيتين وانما عجلنا بايراد هذا السئوال الآن للاشعار بادئ بدء بأن رابطة القومية المؤسسة على مطلق التعاون لاتجعل المتعاونين على الغير في أمن من ان يعدو بعضهم على بعض ولذلك نضطر ان نقول: لئن كانت هذه الرابطة قد نفعت الانسان فان نفعها ابتر وقد ضرته أيضا . قلنا نفعته لاننا لانستطيع ان ننكر انها قوت منه ضعفاء، وجمعت منه متفرقين، وفى حضنها ربت له أنواعاً من الاستعدادات حتى دبت ودرجت وسارت لتبلغ أشدها • ونقول ضرته

لانها كما جمعت منه متفرقين فرقت منه مجتمعين . وكما عرفت له قربى . نكرت له قربى . وكما آنسته أوحشته . وكما حببته الى طائفة بغضته الى أخرى . ولم تزل واقفة به احقابا طوالا وقفة اخوانه من الحيوانات التي ينهش بعضها بعضا . لا يميزه عنها الا استواء القامة وابانة هذه اللحمة (اللسان) عن مكنون ضميره . ولا مكنون هنالك غير مايريد ان يدعو به عصبته لنهش عصبة أخرى . أو لم تروا الى الذين جمدوا على هذه السنة القديمة من أهل البوادي ؟ أرأيتم ان أمسك الصناع عنهم أكسيتهم وأخبيتهم والادوات اللازمة لهم هل يخصفون غير ورق الاشجار ، وهل يلبثون الا في جوف الاوجار ؟

فلولا الذين غسلوا عن أذهانهم وضر الاغترار بهذه القوة البسيطة التي لا يعدو نفعها أمن الفرد من الغريب بفضل عون القريب لكنا حتى هذا اليوم والانعام سواء .

ولكن أولئك النفر لما أتاهم ذلك الذكر وعلموا ان الانسان قريب الانسان ، كيفما كان اللون واللسان ، وأنى كان المسمى والمكان ، أزعجهم الشوق وتشوفت نفوسهم ان تشرف على قوى أخرى هي أسمى من تلك وأنفع للبشر الذين هم اخوان أجمعون فأفاضت عليهم القوة الغيبية ماأفاضت من العناية بهم وبأخوانهم بني الانسان وذلك هو اليوم الذي طفقت فيه مواهب النوع الكامنة تتألق في هذه الارض التي هي عرش سلطانه ، ومجلى تجليات عرفانه . ولاتزال تلك المواهب تزداد اشراقا ما ازداد الناسجون على منوال أولئك النفر الكرام لهم منا التحيات الطيبات .

وهب ان فينا من لم يصل فهمه الى ما أرشد أولئك اليه فلم يعرف له فائدة عائدة لنفسه فى هذه الحياة ولم يؤمن بنصيبه في الحياة الثانية التي يتم فيها المقصود من الجوهر الانساني القائم فى هذه الصورة البشرية فهل يحسن به ان لا يفرق فى حياته هذه بين مايجعله عن البهائم رفيعاً ، وما يجعله لها رفيقاً ؟

وها نحن أولاء ننبئكم عن هذه الرابطة بما تعلمون به انها لا ترفع الانسان على الانعام الا قليلا ونريد ان نزيد في هذا المقام تبيانا لتدرج اتصال الانسان وانفصاله وتجلو فى هذا المعنى أقدم شئونه فمن كان قد حدثه بمثله عقله فسوف يحدث له ذكرا ومن لم يكن قد حدثه من قبل فانه ملاقيه مفيداً . وتاليه لذيذاً .

كان الانسان واحداً ابدعه الموجود مثالا لكمال الخلق فى هذه الارض . وخلق

فيه خاصة التفريع . أما تفرع أول فرع من ذلك الاصل الواحد فلم يزل عند العقل من الاسرار الغامضة وهو يعد خاتمة الادوار لتكوّن الانسان على هـذه الصورة المحسوسة اليوم من توقف التفريع او التوليد على زوجين يتولد من امتزاج خلاصة من جسديهما فرع كاحدهما (أي اما ملقح وهو الفحل او متلقح وهي الانثى)

وللتفريع او التوليد في كل الكائنات الارضية ناموس تكويني هو ناموس التلقيح وهو اقتران أجزاء معلومة بعضها ليتولد بينها وليد جديد . وقد عرف الآن بما ارتقى اليه علم التحليل (الكيميا) ان كل أنواع المواليد الثلاثة تابعة لهذا الناموس . ولذلك أصبح من المعروف كيفية تولد كل شيء الا الأجزاء المولدة . وما يدرينا ما يحدث من العلم بعد .

فتوليد الانسان بتوقفه على العمل المدعو بالتلقيح لاجل امتزاج الاجزاء المعلومة ليس ببدع ولا هو أغرب من توقف النباتات بل الجمادات على ذلك . بيد ان هـذه الخاصة التي للأنسان في التوليد يشاركه بنظيرها بعض أنواع الحيوان . والبعض الآخر من أنواع الحيوان كالديدان مثـلا هو الذي جعل مجالا لظن بعض من الذين لم يخضعوا للكتب الموحاة بأن التفريع الاول من الاصل الاول الذي هو الجماد قد وجدت منه فروع كثيرة متعددة وان هذه الفروع في خلقتها خاصة التفريع على هذا التلقيح المعروف .

أما نحن المليين فلا نتبع أمثال هذه الظنون بل نتبع ما أنبأ به الوحي فنقول ان الأصل الاول هو الجماد . والاصل الثاني بشر سوي ذو حياة كحياتنا في الاستعداد وهو واحد . والفرع الاول الذي اشتق من ذلك البشر السويّ واحد . ثم جعل الفاطر فيهما سوائق طبيعية لاجراء التلقيح . أولها سـكون النفس في كل من المتلاقحين واطمئنانها وانبساطها وتلذذها برؤية الآخر وغايتها انجذاب كل منهما للآخر وتلاصقهما بحيث لو ساعدت الخلقة بأكثر من هذا الوجه لتضامت ذرات أجزائهما تمام التضام فصارا جسما واحداً . ولكن الفاطر قد جعل لهذه الكهربائية حداً معلوماً . وسيسألك أهل الشرائع ان تبين لهم السبب في جواز تلقيح هـذا الاصل الذى كانه والد . لذلك الفرع الذى كانه ولد . ثم جواز تلقيح فروعهما بعضها لبعض مع أنهم أخوة .

وكيان السبب في حدوث الشرائع ثم حدوث الاختلاف فيها أنفع لهم لو كانوا

يتفكرون . وأول واجب ان يعرفوه لعلهم يعلمون بذلك هو اصلح الشرائع وانفعها ، وابقاها واسماها . وسنتلو عليهم من هذا الحديث لعلهم يشعرون. ليتذكروا ان الشرائع انما تفصل من أجل الاجتماع وان التلقيح في ذلك اليوم لم يكن محتاجا الى شريعة . وان الذي تمنعه الشرائع ليس كله قبيحاً في ذاته وانما يقبح لعلة من العلل. فلا تعجلوا ولا تعجبوا من ذلك التلقيح الذي هو سبب تكثر هذا النوع. ولا تسألوا عنه ولكن سلوا عن اختلاف هذه الفروع التي أصلها واحد . واليكم هذا البيان الكاشف :

انه لم يكن في تلك الايام هذه البيوت المبنية للوقاية من الحر والبرد فيظهر انهم كانوا يلجأون الى الكهوف والمغارات ويتخذون الاوجار إما حفرا بأيديهم ان كانت أظافرهم يومهم ذاك أقوى من الاظافر يومنا هذا . واما غصبا مما حفره غيرهم من الحيوانات كدأب قبائل منهم ابقاهم الصانع على تلك السنة لتكون حالهم ذكرى للذين ارتقوا وآية يعتبر بها عشاق الارتقاء

ولكن أي المغارات تكفى لان تستكن فيها تلك الفروع التي طفقت تزيد وتتضاعف في كل عام ماشاء الخالق ان تتضاعف . فكأنهم لما تعددوا انشأ كل زوج منهم يلتمس في الارض مغاراً يكنه وأولاده فهذا التفرق في المقر هو اول تفرق وتباعد حصل بين أولئك الاخوة وذراري الاخوة . وهو من الاسباب الاصول في اختلاف البشر هذا الاختلاف العظيم

ولما كان بين الانسان وسائر الحيوان بون فى الفطرة والاستعداد وخلقه بهذه الصورة البشرية يضطره في جلب النافع وجبّ الضار الى التعاون وهو يقتضي اجتماع متعددين ولو قليلا منهم أتم البارئ تكوين هذا المخلوق الحي على هذا الوجه باشياء جعلها من أعظم مميزاته التي تبلغه الغاية من الكمال الذى يقدر لمخلوق من أعظمها (١) الاستعداد للصناعة و (٢) الفضل فى قوة الادراك . و (٣) النطق الذي يبين به مدركاته .

فبالنطق تخاطب على ان يتعاون. وبالاستعداد للصناعة بين كل منهم لأصحابه ما يصنع مما يلزمهم على ان يكفوه مؤنة مايلزم له . وبقوة الادراك هدي للذي يصنعه بقدر ماهم فيه اذذاك من سذاجة الحياة وبقدر ماتضطرهم اليه الحاجات من جلب وجب.

وهنا يحسن ان نذكر قاعدة وهي ان تفرق كل اثنين فأكثر يوجب حرمان الجميع من فوائد ما في فطرة كل من المواهب . واجتماع كل اثنين فأكثر يوجب اشتراك الجميع في الفوائد على السوية أو التفاضل .

فالخوف من حرمان الجميع من جميع المواهب التي لا تثمر الا بالتبادل هو الذي يوجب الاتصال والرضى بما قسم وان قل . أما إباء البعض واستنكافهم عن قبول القسمة المفضولة فهو الذي يوجب الافتراق . ونلخص هذا الكلام بقولنا « بذل الاصل سبب الوصل . وبذل الفضل سبب الفصل . »

هذه أسباب الاتصال والانفصال تجلى مادية فلا ينكرها فكر سليم قط . وهنالك للاتصال أسباب روحية يصورها بعضهم في أشباح من الشعر كقولهم ان في الانسان طبيعة الانس بالجنس ، (أي النوع) ولكنك اذا سألتهم عن سبب الافتراق يحارون . وفي أمن من هذا رجل يقول ان الذي أوجب الاجتماع من جنس الذي اوجب الافتراق وأسباب الافتراق مادية بالاتفاق فتلك مثلها . وللافتراق أسباب أخرى أهمها ارتياد الماء والكلأ والصيد وبعد هذا يبقى علينا بيان اختلاف ألسنته وألوانه وتباعد قرابته . أما اختلاف الألسنة فله أسباب كثيرة

(أولها) الفرق الطفيف الموجود بين منطق كل شخص وآخر . فان هذا الفرق الطفيف يحدث بدوام التفرق فرقا عظيما . ويقلد أولاد المنفصل بصنعهم ما خالفه فيه قومه الأولين بغير صنعه كرجل انفصل عن قوم وهو ينطق التاء طاء وآخر يعكس وآخر ينطق الدال ظاء وآخر يعكس وآخر يلفظ الهمزة عينا وآخر يعكس وآخر يلفظ السين صادا وآخر يعكس وآخر ينطق الجيم شينا وآخر يعكس وآخر لا ينطق بالقاف وآخر لا ينطق بالراء وآخر لا ينطق بالثاء وآخر لا ينطق بالكاف وهكذا فهذا أكبر باب تفرقت منه اللغات ونقصت به حروف لغة عن أخرى وكل هذا الذي مثلنا به محسوس نسمعه في كل يوم .

(وثانيها) رؤية كل مجتمعين في جهة من الارض ما لم يروه من قبل تفرقهم عن غيرهم من نبات وجماد وحيوان فيحتاجون ان يعبروا عنه في تخاطبهم باسم من الاسماء ، وهذا باب كبير أيضا .

(وثالثها) تنويع الاساليب فى البيان وهو الذي أحدث الكنايات والمجاز والاسماء المشتقة فى كل لغة . وبطول الزمن تهجر الكلمة الموضوعة بادئ بدء ويقوم المجاز أو المشتق عند قوم مقامها ولا يفعل هذا الآخرون بل قد يفعلون بكلمة أخرى مالم يفعله بها الاولون وهكذا فيقع البون .

(ورابعها) انه قبل الاجتماعات العظيمة كانت لوازم الانسان بسيطة قليلة وعلى مقدارها كان الكلام بسيطا قليلا أيضا وبعد ان تفرقوا حدث فى كل طائفة منهم من الكلام ما كان على مقدار اجتماعهم ولوازمهم وأخذهم من غيرهم ومبلغ ماحدث عندهم من الصنائع والاعمال .

(وخامسها) عدم وجود حوافظ تحفظ اللغات من الاصطلاحات المغيرات للاوضاع، فلا يشعر كل قوم بما تغير عند الآخرين فتكون الفرقة .

وهذه الاسباب التي بيناها تعد أسبابا في كل لغة لما يسمونه الترادف مثاله فى لغتنا: أعطى . وآتى . من قبيل الباب الاول . والليث . والاسد . من قبيل الثاني . والسيف . والحسام . من قبيل الثالث . والخياطة . والدرز . من قبيل الرابع . والدعاء . والنداء من قبيل الخامس .

وعلى القارئ الذي وعى ماقررناه ومثلنا به ان يتعرف بتدقيقه فروع هذه الاسباب وان ينعم تفكره في هذه الابواب فانه قد يهتدي من التدقيق بالفروق التي بين المترادفات فى لغة أو الفروق التي بين لغة وأخرى في المفردات الى ماتقر به العين من المعرفه اللذيذه المفيدة .

وعليه من بعد ان عرف تأثير التفرق في الديار على الالسنة ان يعلم ان هذا التفرق هو المؤثر على الالوان أيضا . فان فريقا مكثوا فيما جاور خط الاستواء فاسودت جلودهم وآخرين لبثوا منذ القديم على شطوط الانهار لم ينتقلوا فاصفرت ألوانهم وشوهت خلقتهم وآخرين تنقلوا في البلاد ثم توسطوا المعمورة فابيضت ألوانهم . واعتدلت خلقتهم . وصح تقويمهم . وذكت عقولهم . هكذا قيل من قبل وهو يشعر بأن كل فريق من هؤلاء أو لو قربى فيما بينهم . وما يجدينا هذا ان كنا لانعرف ما دون ذلك من القرابات والانساب .

(ع . ز)

آثار علمية أدبية

التقريظ

﴿ كتاب التمرين * على البيان والتبيين ﴾

قرظنا في الجزء الثالث عشر (كتاب ارشاد الالبا * الى تعليم الف با) وهو المرقاة الاولى من مراقي علم الادب للشيخ طاهر الجزائري • وقد صدر في هذه الايام كتاب التمرين وهو المرقاة الثانية (قال) « وقد جعلت لتمرين الطالب قبل ان تبدر اليه بوادر الكلام، على مارق وراق من النثر والنظام، ليتمثل مثل ذلك في مرآته، ويقوى النور في مشكاته، فيجوز حسن البيان في أقرب مدة، بدون عناء ولا شدة، وهذا هو الاصل الاول، وعليه في الفصاحة المعول »

وقد جعل الكتاب على قسمين قسم في فصول شتى مختارة من كتب مختلفة بعضها منثور وبعضها منظوم فالفصل الاول في الانسان والثاني في الحيوان وفيه نبذ في كثير من البهائم والطيور والثالث في حكم مأثورة والرابع في أبيات مختارة من ديوان الحماسة — وقسم في نبذ مختارة من كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ • وقد أحسن المؤلف الاختيار والانتخاب، ولكنه أوجز واختصر حيث يرجى التطويل والاسهاب، وثمن النسخة منه قرش ونصف وهو يطلب في مصر من ادارة المنار ومن مكتبة الحاج مصطفى البابي الحلبي

﴿ تدريب اللسان * على تجويد البيان ﴾

جعل مؤلف مراقي الادب للمرقاة الثانية التي تكلمنا عنها آنفا تتمة خاصة بعلم تجويد القرآن الكريم سماها (تدريب اللسان) الخ ولكنها طبعت على حدتها • وقد صدرها بترجمة القراء السبع ورواتهم مختصرة وجعل الرسالة ثمانية فصول أولها في مخارج الحروف وآخرها في الوقف والابتداء وثمن النسخة قرشان ويطلب من حيث يطلب الاول

وقد عني بطبع هذه المراقي الشيخ أحمد أفندي حسن طباره محرر جريدة ثمرات الفنون الشهيرة في بيروت طبعا متقنا ضبط فيه ما ينبغي ضبطه بالشكل وتطلب هناك منه

﴿ كتاب جواهر الادب * في صناعة انشاء العرب ﴾

هـذا الكتاب من الكتب التي ظهرت في هذا العام ، وصادفت ما تستحقه من الرواج والاقبال ، مؤلفه الشيخ أحمد الهاشمي ، ومزيته التي قضت بالترغيب فيه والتشويق اليه، هي جمعه لكثير من الرسائل والقصائد من كلام كتاب العصر وشعرائه كما جمع مثل ذلك من كلام الغابرين فلم يدع موضوعا مما ترغب نابتة العصر في الخوض فيه ، الاوجاء بشيء منه ، كالشوق والتعارف والتهادي والاستعطاف والعتاب والشكر والشكوى والتهنئة والعيادة والتعزية والشفاعة والوصف وغير ذلك . والكتاب كبير صفحاته أربع مئة ونيف من القطع الصغير وثمن النسخة منه خمسة قروش

﴿ كتاب تربية الاطفال ﴾

وضع هذا الكتاب الدكتور عبد العزيز أفندي نظمي «حكيم بعموم مصلحة الصحة وطبيب اختصاصي لأمراض العيون والاطفال من كليتي مونبلييه وطولوز (فرنسا) سابقا » •وقد سمى فصول الكتاب زيارات وهو يخاطب بها الامهات فالاولى في إثبات وجوب ارضاع الامهات لأولادهم والثانية في قوانين الرضاعة من ثدي الام والثالثة في سرير الطفل وحجرة نومه والرابعة في قانون صحة النفاس والخامسة في الرضاعة الصناعية وشروطها والسادسة في فطام الطفل وغذائه والسابعة في قماط الطفل وملابسه والثامنة في نظافة الجسم ولعب الطفل والتاسعة في علاج الجروح واتقاء العدوى والعاشرة في علاج امراض الاطفال المنتشرة والحادية عشرة في مشي الطفل ونحو ذ كائه• وقال في المقدمة والخاتمة انه تجنب الاصطلاحات وبالغ في جعل العبارة سهلة تفهمها الامهات • وظاهر ان هذه المسائل لا تستغني أم عن معرفة قوانين الصحة فيها فعسى ان يقبل الناس على الكتاب وثمنه أربعة قروش فقط

﴿ ثلاث قصص ﴾

أهديت الينا القصص الثلاث الآتي ذكرها ولم يسمح لنا الزمن بقراءتها أو تعرف موضوعاتها في الجملة فاكتفينا بالاشارة اليها ، والثناء على مهديها ، وهي

(الوفاء في الحب) قصة أدبية تاريخية غرامية تمثيلية مؤلفها عمر أفندي سري وقد طبعت بمطبعة التمدن

(غانية البادية) هي القصة الثانية من قصص يصدرها ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية باسم (حديقة الفكاهة) وفى كل شهر يصدر منها اثنتان وقيمة الاشتراك فيها عشرون قرشا صحيحا في السنة

(الجزء العادل) هي القصة الثالثة والعشرون من قصص (مسامرات الشعب) الشهيرة وهي من تأليف أحمد حافظ افندى عوض مبنية على القصتين الصادرتين قبلها وقد سبق لنا ذكرها ولابد ان يكون قارئوهما راغبين فى الوقوف على ماجرى ليوسف البائس الفقير الذي هو موضوع القصتين الاوليين

(مجلة بقراط الطبية) «مجلة طبية عملية للأطباء وصحية للعائلات تصدر مرتين فى الشهر، لمنشئها الدكتور حسين (أفندي) يسري، قيمة الاشتراك فى السنة ٤٠ قرشا فى القطر المصري و٥٠ قرشاً في الممالك الاجنبية تدفع سلفا»

صدر عددان من هذه المجلة يدخل الواحد فى ٣٢ صفحة وفيهما كثير من المقالات الطبية والارشادات الصحية ولاشك ان البلاد العربية في حاجة شديدة الى مثل هذه المجلة النافعة فنتمنى لها النجاح والانتشار

(النيل) جريدة سياسية أدبية انتقادية اسبوعية مصورة أصدرها في القاهرة حديثا محمد أفندي غانم وسليم أفندي قبعين وهما من الذين سبق لهم الاشتغال بخدمة الصحافة واختبارها فنتمنى لهما من النجاح والتوفيق أقصى ماانتهى اليه استعدادهما، وقيمة الاشتراك في الجريدة مئة قرش صحيح فى مصر وسائر بلاد الدولة العثمانية و٣٠ فرنكا فى الممالك الاجنبية

دلائل الإعجاز

اذا أردت ان تحصل فنون البلاغة بسهولة وتقف على أسرارها فتكون كاتبا أو شاعرا وتفهم بلاغة القرآن فما دونه فعليك بمطالعة كتاب (دلائل الاعجاز) في فن المعاني وكتاب (أسرار البلاغة) في فن البيان لواضع العلمين الامام عبد القاهر الجرجاني وثمن كل منهما ٢٠ قرشا ومن أسرار البلاغة مائتنه ١٥ لأن ورقه دون ورق الاول ويطلبان من ادارة المنار بمصر وأجرة البريد عن كل منهما قرشان

باب الأخبار والآراء

سيرالون – لسائح محب للمنار

قال بعد رسوم الخطاب :

إني من الذين قدر الله لهم الاستفادة بالمنار من ابتداء ظهوره واني أعد انتشاره خدمة مهمة للاسلام فسعيت حتي وجدت له مشتركين في خانيه (كريت) ثم في فاس ومنذ بلوغي هذه الديار مازلت أشوق الناس الى اقتناء المنار حتى كدت ان أيأس غير أني وفقت أخيراً الى مشترك واحد . ولما جاءتنا المجلة أطلعت عليها كثيرا منهم فوجدوا مباحثها موافقة لاخباري وأخذوا يطالعونها بكل ارتياح رغماً عن قلة معرفتهم بالعربية . ولهذا السبب أرجوان ستؤثر تعليماتكم المفيدة فيهم لأنهم أحوج المسلمين اليها لفشو الجهل بينهم وتأصل الغباوة في رؤسهم ولانقطاع علائقهم بالشرق الاسلامي لبعد المسافة ولفقدان الحميه الدينية منهم . وبما ان المنار الاغر مشتغل بأحوال المسلمين عموماً فيجب علي اخبار الشيخ أعزه الله بأحوال هذه البلاد مع الاختصار فأقول :

ان عدد السكان فى هذا القطر يبلغ ثلاثة ملايين نصفهم أومايقرب من ذلك على دين الاسلام كما تحققت ذلك فى خلال اسفاري فى الارياف على انه قبل عصر واحد بالتقريب كان عشر السكان على هذا الدين . وذلك الانتشار السريع لم يحصل الا بعد تملك انكلترا للبلاد . واما عاصمة القطر (فري تاون) فيبلغ أهل الاسلام فيها عشرة آلاف نسمة وهذا العدد نحو ثلث السكان . والجماعة الاسلامية مركبة من أقوام مختلفة أكثرهم عدداً قوم آكو وهم من الارقاء الذين ركبوا البحر من سواحل لاغوس قبل مائة سنة فأنقذهم الانكليز فى الطريق وأسكنوهم هنا في حيين (حارتين – فولاتون وفوربى) على ان هؤلاء القوم لايتفقون أبداً فالعداوة متمكنة بينهم خصوصاً أهل فوربي الذين لاتنقطع من بينهم المخاصمات والمشاغبات بحيث ان المحاكم الانكليزية قدملتهم بسبب مخاصماتهم المستمرة والبعض من أهل هذا الحيّ لايتقربون الي الجامع لما لهم من العداوة مع اخوانهم . وفى هذه المدينة أربعة جوامع وأربع

مدارس كل واحد منها مخصوص بقوم منهم والمدارس تأخذ اعانة من الحكومة (٢٢٠ ليرة للجميع فى السنة) والمساجد ووجدت طريقة التدريس معوجة فى الدرجة القصوى وعرفت انه لا يمكن للتلاميذ ان يفهم شيأ من العربية مهما طالت مدة التدريس صممت على تبديلها بالطريقة السهلة وارشاد معلميهم الى أصول التعليم ولا سيما توجيه نظارهم الى اخلاق التلامذة وسلوكهم السيء ولكني لم أصب آذاناً واعية بل قابلوا اقتراحاتي بالاعراض . ومع ذلك فاني ماسئمت ولكن ظللت ناصحا لهم ملحا فى بياناتي حتى انى وفقت الى استمالة بعض الشبان من أهل فولاتون ومنهم ذاك المشترك .

وبعد قراءة فصول المنار أخذت فى تفسير مباحثه من دينية واجتماعية وان الطريق التي يرشد اليها المنار هي التي لا ازال ساعيا فى ادخالهم فيها . على ان اقبالهم على المجلة واحلالهم اياها محل الاعتبار قد جدد آمالي . وقصدي أن أستمر على وعظهم بالمنار .

وأما أهل فوربي فانهم أعرضوا عني كل الاعراض وصرحوا لي بأنهم لا يرضون ان يسمعوا الوعظ في جامعهم مع ان هذه الايام أيام رمضان ينبغي فيها تكثير الوعظ وتكرير التذكير خصوصا مع فقدان الوعاظ من جوامع هذه البلاد ولا تسل ياسيدي عما هنا من الامور المخالفة للشرع وللآداب الاسلامية التي يعمل بها عندنا في الشرق أقل الناس ايمانا وأضعفهم اعتقادا فهؤلاء السودانيون يباينون الديانة الاسلامية على خط مستقيم في أكثر الامور بل فيها جميعا ولا يريدون التحلي بتلك الآداب المحمدية بل يفضلون عليها عبادات أجدادهم المجوس .

وأخبركم أيضا ان هنا رجلا من نصارى الزنوج اسمه الدكتور بلاندن اشتهر فى انكلترا وأميركا بمعارفه الواسعة وبتدقيقاته العميقة فى دين الاسلام وله مؤلفات معتبرة أشهرها (النصرانية والاسلام وجنس الزنوج) فذكر فيه من الخبر ما أدعي أنا انه لم يصل الى درجته فيه أحد من علماء أوربا فى الاعتراف بمحاسن ديننا وفضائله وله إلمام بالعربية فلذا أسعى فى الصلة بينه وبين المنار . وهو يقول فى وجوه المسيحيين انهم عبثا يسعون فى تنصير الزنوج لكون هذه البلاد دار الاسلام . ومن الاسف أن لا يعرف العالم الاسلامي هذا الرجل

واحترازا من التصديع أوجز الكلام فأقول أرجو من سيادة الشيخ ان يكتب بضعة أسطر في أحوال هذه البلاد لايقاظ المسلمين من غفلتهم ناصحا أياهم أن يتركوا

الطريقة القديمة في مدارسهم وان يدخلوا فيها الكتب النافعة من مصر وغيرها اذ لا يمكن تدريس العربية بلا كتب مع كثرتها اليوم في الشرق وان يصيخوا لنصيحة من يدلونهم على طريق الخير والصلاح • على ان الدجالين يجدون عندهم كل ترحيب واعتبار وهم المغاربة وسكان الصحراء ومعلوم انهم لا يقدرون على نفعهم ولو أرادوا ذلك لكونهم محرومين من جميع أسباب الترقي وفاقد الشيء لا يعطيه كما قال الاستاذ • والمأمول ان حضرة الشيخ سيسدي النصيحة لهؤلاء البسطاء العقول كما يسديها لغيرهم لعل الذكرى تكون نافعة لهم •

عدن وبلاد العرب ـ لسائح محب للمنار

قال بعد رسوم الخطاب :

وقد وصلنا الى عدن منذ عشرة أيام ولم نجد سبيلا للسفر الى حضرموت لعدم مصادفة ركب متوجه اليها والامل أن نصادفه عن قريب • وقد كررنا التوسم في معارفنا بعدن علنا نهتدي لمن يقوم بنشر المنار فلم نجد كفؤا لذلك الا صاحبنا ••••• اذ هو خير الموجودين ويجتمع لديه كثير من أهل عدن يوميا فعسى ان يستفيد بعضهم

وان شئتم الاستعلام عن أحوال أهل هذا الطرف فهم أناس عمهم الجهل وغمرهم ولهم اجتماعات على أكل القات وهو نبت يشبه الشاي مشهور لعله مخدر او مفرح كما قيل لكن من المعلوم انه متلف للمال مميت للوقت اذ يضيع لاحدهم في الجلوس لأكله نحو ثلاث ساعات وهي قريب من ثلث عمره بعد اخراج الاوقات اللازمة للضروريات ويصرف بعضهم فيه يوميا من ثلاث ربيات الى عشر ربيات بلا فائدة ثم انه لا يلذ لهم أكله الا وهم مجتمعون فى مكان مظلم وحولهم أباريق الماء يتلمظون به الجرعة بعد الجرعة وأمامهم المداعات (آلات التدخين) وبجوارهم جذور وأصول القات والعشب الذي يلف به ولا يلذ لهم حينئذ الا الكلام الميت الفارغ ان كانوا من الاخيار او الملاعنة والسباب ان كانوا من غيرهم • ومع سخائهم ببذل عصارة أبدانهم ـ وان شئت فسمها دية أنفسهم ـ فى شراء ذلك النبت النحيس تراهم في معيشتهم مقترين وبيوتهم وثيابهم وسخة الا أناس قليلون الا ان معاملتهم سيما مع الغرباء حسنة الا ماندر ولهم صبر على الضيوف بالنسبة لغيرهم في هذا الزمان. ومعاملة الحكومه الانكليزية للأهالي منها المشكور ومنها المذموم ورئيس كل مصلحة له فيها تمام الاستبداد والقاضي بالمحكمة

الانكليزية رجل فارسي له مدة طويلة وهو فى مركزه والاهالي يحبونه ويذكرون عنه رفقا وعدلا ونزاهة والامان فيها مستتب فلا تكاد تسمع بسرقة والآن عندهم برد غير انه حر بالنسبة لغيرهم اذ درجة الحرارة غالبا نحو ٨٦ فهرنهيت أي ٣٠ سنتكراد وأزقة عدن أكثرها وسخ قذر عفن سيما مع المطر اذ نزل منذ يومين مطر بل الارض وغمرها فصار الناس يخوضون فى الازقه بالنجاسات والقاذورات الى نصف الساق كأنهم فى الجمالية بمصر حتى بخرت الشمس تلك الرطوبات ولذلك ترى الحميات العفنة فيها كثيرة ، وحركة التجارة فيها مشكورة ،

والحكومة الانكليزية مهتمة بتوسيع دائرة نفوذها ولها مركز في جهة اليمن يسمى الضالع يبعد عن عدن ١٤٠ ميلا أي مسير ستة أيام بسير القوافل ولها فيه نحو ستة آلاف عسكري ولها في عدن وما والاها أكثر من أربعة آلاف عسكري جلهم من الهنود والجمال التي تشتغل بنقل المهمات يوميا نحو أربعة آلاف جمل . وقد أرادت ان تستولي على جهات جبل يافع المشهور فأرسلت أحداً بالستها الى أمير الجبل المسمى في جهته سلطان الجبل فأطمعه في رشوة كبيرة على دخوله تحت حماية الانكليز واستدرجه حتى وصل به عدن وبوصوله تنسم بعض أهالي الجبل من سكان عدن بعض الاسرار فذهب الى قومه منذراً فاجتمعوا وتم رأي كبارهم على عزل الخائن وإهدار دمه هو ومن ساعده وأقاموا لهم أميرا آخر فلما بلغ هذا الخبر الى عدن ضاق والياها به ذرعا وتحير الخائن ولم يدر أين يذهب . ثم عمل الانكليز على الانتقام من أهالي يافع فأرسلوا شرذمة من عساكرهم التي بالضالع الى جبل شعيب وهو أول حدود جبل يافع وبينه وبين الضالع مسيرة يومين فصمم عرب تلك الجهة على الهجوم على العسكر ليلا وأنذر بهم الانكليز فانسحبوا راجعين الى الضالع . وربما كان أهل لندن لم يستحسنوا فتح حرب اليمن قبل انتهاء حرب السومال. والمناوشات بين العرب وعساكر الانكليز مستمرة لا يخلو منها أسبوع غالبا حتى فيما قارب عدن اذ منذ أيام قطع الطريق رؤساء قبيلة تبعد عن عدن نحو ٢٤ ميلا لقطع الانكليز راتبهم عنهم وهو ٥٠٠ ربية كل شهر وقد تحصن ٤٠ نفسا من العرب فى رأس جبل ومعهم بنادق مارتين وخرج اليهم من الهنود مئتا جندي ثم لحقتهم فرقة أخرى نحوهم وبعد المحاربة بضع ساعات انهزم الهنود

وقتل منهم نحو أربعين منهم ضابط انكليزي وجرح كثيرون منهم كبير تلك الفرقة وقتل من العرب تسعة نفر ويقال ان الحرب ستجدد عليهم

والحروب مستعرة فى سواحل حضرموت وقد أمد الانكليز أمير المكلا ببنادق مارتين ومدافع قدموها له مع أحد بواخرهم الحربية أما جيش أمير المكلا بقيادة ابنه الذي قدمه الى جهة حجر في أوائل رجب فقد عاد منهزما لان البدو كمنوا له فى بعض تلك الجبال وصارت بين الفئتين مناوشة طفيفة انسحب بسببها جيش صاحب المكلا غير ان الخسائر من الطرفين لا تذكر. ولم يزل أمير المكلا يحشد الجنود وقد اجتمع له نحو أربعة آلاف رجل للحملة على حجر واجتمع نحو ستة آلاف من البدو للدفاع عن أوطانهم وأتى وفد من السادات للصلح بين الطرفين وستكون الحرب أو الصلح وهو الاقرب في أثناء رمضان

وأما أخبار السومال فهي كثيرة جدا لكن لم أثق بصحتها فلا أتعبكم بقراءتها ومن مجموعها يفهم ان الانكسارات تعددت على الانكليز وان جنود الملا أو الرداد كثيرة جدا وعنده بعض ذخائر وسلاح لا كما تزعم الجرائد نقلا عن المصادر الانكليزية.

أما اليمن التركية فحالتها تعيسة جدا ولابد ان يكون بلغكم ما فعل بعض قبائل عسير وانهم غدروا بسبعة طوابير(*) صغار من الترك فقتلوهم الا نحو ثلاثين نفرا تمكنوا من الهرب والسبب في ذلك طغيان الترك وظلمهم المكرر وعدم الانصاف واذا لم تنتبه الحكومة التركية فانها تتسبب فى اهلاك الرعية والعساكر والبلاد والمال

(المنار) : قد ذاكرنا بعض الانكليز هنا فى مسألة تعديهم في جهة عدن على العرب مع شدة بأس العرب وعدم أمن من يدخل بلادهم من الفتن والثورات الدائمة فقال إننا نعلم هذا حق العلم ولا رغبة لنا في فتح شيء من تلك البلاد وانما جل قصدنا ان تكون عدن في أمن دائم من العرب وكل ما يكون هناك من المناوشات فسببه اعتداء العرب والمدافعة ضرورية لابد منها وهي لا تقف عند حد معلوم

(تصحيح) في السطر الرابع من الآيات الكريمة في الصفحة الاولى (٨٣٩) من الجزء الماضي (شاكر عليم) والصواب (واسع عليم) فيجب تصحيحها بالخط

(*) الطابور فى العرف التركي فرقه من العسكر نحو ٨٠٠ أو ألف ويظن انها تركية ولكن في شرح القاموس ان (التابور) بالتاء جماعة العسكر

الجزء العشرون　　　　　　　　　　　　المجلد السادس

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٢١ — ٤ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٤ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر ﴾

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ *

الصلة بين قوله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب » الآية وبين ماقبلها واضحة جلية وهي ان هذه جاءت فى موضع الاستدراك على ماسبقها من إيئاس النبي والمؤمنين من أهل الكتاب فقد علمنا ان آية «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى » قد سدّت ما كان يخالج النفوس من الرجاء بإيمان أهل الكتاب وهذه الآية تنطق بأن منهم من يرجى إيمانه وهم الذين

وصفهم بما هو علة الرجاء ومناط الامل وهو تلاوة كتابهم حق تلاوته وعدم الجمود على الظواهر والتقاليد ، والاكتفاء بالاماني والظنون، كأنه يقول ان كانت نفسك تحدثك بأن أهل الكتاب أقرب الى الايمان بما جئت به لانه يشبه ماعندهم ويصدق أنبياءهم وأصول شرائعهم من حيث يقتلع جذور دين الوثنيين ويمحوه محوا فيكون الوثنيون أجدر من أهل الكتاب بمعاندتك ومجاحدتك فاعلم ان هؤلاء قد ألحقوا بدينهم من التقاليد والمخترعات ، وألصقوا به من البدع والعادات ، ماغرهم فى دينهم بغير فهم، وجعلهم يتعصبون له بغير عقل ، فكانوا بذلك أبعد عن حقيقة الايمان، من أولئك الذين يعبدون الاوثان ، وذلك أنهم اتخذوا الدين جنسية فليس لهم منه الا الجمود على عادات صارت مميزة للمنتسبين اليه ، ولكن لايزال فيهم نفر يرجى منهم تدبر الشئ والتمييز بين الحق والباطل وهم « الذين آتيناهم الكتاب» وهم « يتلونه حق تلاوته » أي يفهمون أسراره ويفقهون حكمة تشريعه وفائدة التكليف به لايتقيدون فى ذلك بآراء من سبقهم فيه ولا بتحريفهم كلمه عن مواضعها « أولئك » هم الذين يقدرون ماجئت به من الترقي فى الدين ، وإقامة قواعده على الاساس المتين ، و «يؤمنون به » بعد العلم بأنه الحق الذي يزيل مابينهم من الخلاف ويهديهم الى طريق السعادة فى الدنيا والآخرة « ومن يكفر به »من المقلدين وهم الاكثرون، « فأولئك هم الخاسرون»لهذه السعادة، المحرومون ممايكون للمؤمنين من المجد والسيادة ، سواء كان كفرهم بتحريفه ليوافق مذاهبهم التقليدية ،أم باهماله اكتفاء بقول علمائهم ، ويجوز ان يكون الضمير فى قوله (به) للهدى الذي ذكر فى الآيات السابقة.

﴿ الاستاذ الامام ﴾ عبر عن التدبر والفهم بالتلاوة حق التلاوة ليرشدنا الى ان ذلك هو المقصود من التلاوة التي يشترك فيها أهل الاهواء والبدع مع أهل العلم والفهم . والتعبير يشعر بأن أولئك الذين حكم بنفي رضاهم عن النبي نفيا مؤكدا لاحظ لهم من الكتاب الا مجرد التلاوة وتحريك اللسان بالالفاظ لا يعقلون عقائده ولا يتدبرون حكمه ومواعظه ولا يفقهون أحكامه وشرائعه لانهم استغنوا عنه بتقليد بعض الرؤساء والاكتفاء بما يقولون ، فلا عجب اذا أعرضوا عما جاء به النبي ولاضر في اعراضهم . وأما الآخرون فانهم لتدبرهم وفهمهم أسرار الدين ، وعلمهم بوجوب مطابقتها لمصالح المكلفين ، يعقلون ان ماجاء به هو الحق الذي يتفق مع مصلحة البشر في ترقية أرواحهم ، وفي نظام معايشهم ، فيؤمنون به وانما ينتفع بايمان أمثالهم

وجملة القول ان هذا التعبير أفاد حكما جديدا وارشادا عظيما وهو ان الذي يتلو الكتاب لمجرد التلاوة مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا فلاحظ له من الايمان بالكتاب لانه لا يفهم أسراره ولا يعرف هداية الله فيه . وقراءة الالفاظ لا تفيد الهداية وان كان القارئ يفهم مدلولاتها كما يقول المفسر والمعلم (١) لان هذا الفهم من قبيل التصور ، وما التصور الا خيال

(١) المنار : يؤيد هذا ماذكر الامام الغزالي في بحث التخلي عن موانع فهم القرآن عند التلاوة وهو ان حجب الفهم أربعة « أولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل » ... « ثانيها أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول له ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكن ان يخطر

يلوح ويتراءى ، ثم يغيب ويتناءى، وانما الفهم فهم التصديق والاذعان ممن يتدبر الكتاب مستهديا مسترشدا ملاحظا انه مخاطب به من الله تعالى ليأخذ به فيهتدي ويرشد ، والمقلدون محرومون من هذا فلا يخطر لهم ببال انهم مطالبون بالاهتداء بكتاب الله تعالى ولكن الهداية عندهم محصورة في كلام رؤسائهم الدينيين ، ولاسيما اذا كانوا ميتين ،

واذا كنا نعتبر بما قص الله تعالى علينا من خبر أهل الكتاب ، كما قال « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب » ، فاننا نعرف حكم أهل القرآن عنده تعالى مما ذكره عن أهل التوراة والانجيل كما نعرفه من مثل قوله جل وعز « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وقوله « كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب » فكل هذه الآيات والعبر ماحالت دون اتباع هذه الامة سنن من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع والقرآن حجة عليها كما ورد في الحديث « والقرآن حجة لك أو عليك » ولا شك أن من يتلو ألفاظ القرآن وهو معرض عن هدايته غير معتبر بوعده ووعيده فهو كالمستهزىء بربه

سأل سائل من المقلدين حاضري الدرس بأن العلماء قالوا : ان

بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تخالف مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ، فيرى ان ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ، ولمثل هذا قالت الصوفية : ان العلم حجاب : وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم » اه المراد منه بنصه (راجع الباب الثالث من كتاب آداب تلاوة القرآن في الاحياء)

القرآن يتعبد بتلاوته: فقال الاستاذ الامام نعم ولكنهم لم يقولوا انه أنزل لذلك وكيف يقولون ذلك والله الذى أنزله يقول انه أنزله «ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب» فالقرآن وكذلك السنة يصرحان فى مواضع كثيرة بخلاف هذا القول اذا أخذ على اطلاقه وجعل معناه أو من معناه ان الله تعالى يطالب عباده بقراءة القرآن بدون تدبر ولا تذكر. وقد جاء من الأحاديث مايصف حال قوم يأتون بعدُ يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم وقد سماهم شرار الخلق، فهؤلاء الاشرار قد اتخذوا القرآن من الاغاني والمطربات واذا طالبت أحدهم بالفهم والتدبر أخذته العزة بالاثم واحتج عليك بكلمة قالها فلان أو حلم رآه فلان وهكذا انقلب على المسلمين وضع الدين، ثم هم يتعجبون مع ذلك كيف حُرموا من وعد الله فى قوله «وكان حقا علينا نصر المؤمنين». «أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين» أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون* » وضرب الاستاذ مثلا رجلا يرسل كتابا الى آخر فيقرأه المرسل اليه هذرمة أو يترنم به ولا يلتفت الى معناه ولا يكلف نفسه باجابة ماطلب فيه ثم يسأل الرسول أو غيره: ماذا قال صاحب الكتاب فيه وماذا يريد منه؟ أيرضى المرسل من المرسل اليه بهذا أم يراه استهزاء به؟ فالمثل ظاهر وان كان الحق لايقاس على الخلق فان الكتاب لايرسل لاجل ورقه ولا لأجل نقوشه ولا لأجل ان تكيف الاصوات حروفه وكلمه ولكن ليعلم مراد المرسل منه ويعمل به (١)

(١) المنار: سبق الامام الغزالي الى مثل هذا المثل فذكره فى الاحياء غير مرة وهذه عبارة له فيه قال «مثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثل من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب اليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر

﴿ الاستاذ الامام ﴾ ان الاستهداء بالقرآن ، واجب على كل مكلف في كل زمان ومكان ، فعلى كل قارىء ان يتلو القرآن بالتدبر وأن يطالب نفسه بفهمه والعمل به ، ولا شك ان كل من له معرفة ولو قليلة باللغة العربية فانه يفهم من القرآن مايهتدي به . ومن كان أميا أو عجميا فانه ينبغي له أن يسأل القارئين ان يقرأوا له القرآن ويفهموه معناه وقد تقدم التنبيه على هذا في مقدمة تفسير سورة الفاتحة . بل قال الاستاذ في هذا المقام انني اعتقد انه يجب على كل مسلم ان يقرأ القرآن أو يسمعه كله ولو مرة واحدة في عمره ومن فوائد ذلك ان يأمن من إنكار شيء منه اذا عرض عليه أو سمعه مع التشكيك فيه

أقام الله تعالى الحجج الدامغة على أهل الكتاب ثم ناداهم ودعاهم الى ترك أسباب الغرور المانع من الايمان فقال « يابنى إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » الخ وقد سبق التذكير بهذه النعمة في أول المحاجة ثم أعيد هنا للمناسبة الظاهرة وهي انه بعد ماذكر ان الاعراض عن تدبر الكتاب والتفقه فيه هو كفر به ذكرهم بأنه لايليق بمن كرّمه ربه وفضله على غيره من الشعوب بإيتائه الكتاب ان يكون حظه منه كحظ الحمار يحمل أسفارا . فاذا كان ابتدأ العظة والدعوة بذكر هذا التفضيل لتتوجه اليها الانظار وتصغى اليها الاسماع كما تقدم في تفسير الآية الأولى فلا غرو ان يذكر هذا التفضيل ثانيا بعد التوبيخ والتقريع ، لازالة ماربما يحدثه

على دراسة كتابه فانه لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء والمقت » اه من الباب الثالث من كتاب آداب تلاوة القرآن • ونقول ان الاحاديث التي وردت في الترغيب بالتلاوة من غير ذكر التدبر تحمل على اعتبار التدبر المعلوم من الآيات والاحاديث الاخرى . على ان حفظ ألفاظ القرآن مقصود لينقل بالتواتر ولاينافي هذا كونه حجة على القاريء الذي لايهتدي ولايعتبر به

ذلك من الاستياء الذي يتوقع أن يكون من أسباب التنفير عما فى الآية التالية ، وليس هذا من التكرار الذي يتحاماه البلغاء وانما هو من إعادة الشيء لإفادة مالا يستفاد بدونه . كأن هذه الآية تمهيد لما بعدها وهو فذلكة القصة ، والمقصود من إقامة الحجة ،

ذلك قوله تعالى « واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا » فلا ينفعكم يوم القيامة ان تعتذروا عن الاعراض عن فهم كتاب الله بأن بعض سلفكم كانوا يفهمونه ويتدبرونه وانكم استغنيتم بتدبرهم وفهمهم عن ان تفهموا وتتدبروا فانه يوم لا يغني فيه أحد عن أحد شيئا . ويؤيد الآية حديث الصحيحين « يافاطمة يابنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا » الخ واذا كان لا يجزي فهم سلفكم عنكم أنكم أعرضتم عن هداية كتابه فلا تنفعكم شفاعتهم أيضا كما انه لا يقبل منكم عدل وفداء تفتدون به وتجعلونه معادلا لما فرطتم فيه كما قال « ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة » وكانوا يعتقدون بالمكفرات تؤخذ عدلا عما فرطوا فيه وبشفاعة أنبيائهم فأخبرهم الله تعالى انه لا يقوم مقام الاهتداء بكتابه شيء آخر ثم قطع حبل رجائهم من كل ناصر ينصرهم فقال « ولا هم ينصرون » أي انه لا يأتيهم نصر من هاتين الجهتين ولا من غيرهما .

وقد تقدم فى تفسير الآيات الأولى مايغني عن الاطالة هنا وليس فى هذه زيادة فى المعنى الا ان التعبير قد اختلف تفننا في الآية الاولى تقدم ذكر الشفاعة منفية القبول ، وتأخر ذكر العدل غير مأخوذ ، وفي هذه الآية نفي قبول العدل أولا ثم نفي نفع الشفاعة ثانيا . وكأنه يشير بهذا التفنن الى انه لا فرق بين الفداء والشفاعة فى الجواز والمنع فمن منع العوض فى الآخرة لزمه منع الشفاعة فان جوزها جوزه

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

﴿ الوجه الثامن والثلاثون ﴾ : قولهم ان ابن مسعود كان يأخذ بقول عمر فخلاف ابن مسعود لعمر أشهر من ان يتكلف ايراده وانما كان يوافقه كما يوافق العالم العالم وحتى لو أخذ بقوله تقليداً لعمر فانما ذلك فى نحو أربع مسائل تعدها أوكان من عماله وكان عمر أمير المؤمنين واما مخالفته ففي نحو مئة مسئلة .

منها : ان ابن مسعود صح عنه ان أم الولد تعتق من نصيب ولدها .

ومنها : انه كان يطبق فى الصلاة الى ان مات وعمر كان يضع يديه على ركبتيه .

ومنها : ان ابن مسعود كان يقول فى الحرام هي يمين . وعمر يقول طلقة واحدة .

ومنها : ان ابن مسعود كان يحرم نكاح الزانية على الزاني أبدا وعمر كان يتوبها وينكح أحدهما الآخر .

ومنها : ان ابن مسعود كان يرى بيع الأمة طلاقها وعمر يقول لا تطلق بذلك — الى قضايا كثيرة . والعجب ان المحتجين بهذا لا يرون تقليد ابن مسعود ولا تقليد عمر ، وتقليد مالك وأبي حنيفة والشافعي أحب اليهم وآثر عندهم ثم كيف ينسب الى ابن مسعود تقليد لرجال وهو يقول : لقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم ان أحداً أعلم مني لرحلت اليه . قال شقيق : فجلست في حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما سمعت أحداً يرد ذلك وكان يقول : والذي لا إله الا هو مامن كتاب الله سورة الا انا أعلم حيث نزلت ومامن آية الا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحداً اعلم بكتاب الله مني تبلغه الابل لركبت اليه : وقال أبو موسى الاشعري كنا حينا ومانرى ابن مسعود وأمه الا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كثرة دخولهم ولزومهم له : وقال أبو مسعود البدري — وقد قام عبد الله بن مسعود — ماأعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك بعده اعلم بما أنزل الله من هذا القائم . فقال أبو موسى لقد كان يشهد اذا ماغبنا ويؤذن له اذا حجبنا ، وكتب عمر الى أهل الكوفة : اني بعثت اليكم عماراً أميراً وعبد الله معلما ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بدر فخذوا عنهما ، واقتدوا بهما ، فاني آثرتكم بعبد الله على نفسي .

وقد صح عن ابن عمر انه استفتى ابن مسعود (في البتة) وأخذ بقوله ولم يكن ذلك تقليدا له بل لما سمع قوله فيها تبين له انه الصواب •

فهذا هو الذي كان يأخذ به الصحابة من أقوال بعضهم بعضا

وقد صح عن ابن مسعود انه قال : أغد عالما أو متعلما ولا تكونن إمعة: فاخرج الإمعة وهو المقلد من زمرة العلماء والمتعلمين وهو كما قال رضي الله عنه فانه لامع العلماء ولا مع المتعلمين للعلم والحجة كما هو معروف ظاهر لمن تأمله •

(الوجه التاسع والثلاثون) : قولهم ان عبد الله كان يدع قوله لقول عمر • وأبو موسى كان يدع قوله لقول علي • وزيد يدع قوله لقول أبيّ بن كعب • فجوابه : انهم لم يكونوا يدعون ما يعرفون من السنة تقليدا لهؤلاء الثلاثة كما يفعله فرقة التقليد بل من تأمل سيرة القوم رأى انهم كانوا اذا ظهرت لهم السنة لم يكونوا يدعونها لقول أحد كائنا من كان وكان ابن عمر يدع قول عمر اذا ظهرت له السنة • وابن عباس ينكر على من يعارض ما بلغه من السنة بقوله « قال أبو بكر وعمر » ويقول يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولون : قال أبو بكر وعمر : فرحم الله ابن عباس ورضي عنه فوالله لو شاهد خلفنا هؤلاء الذين اذ قيل لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : قال فلان وفلان : لمن لا يداني الصحابة ولا قريبا من قريب. وانما كانوا يدعون أقوالهم لاقوال هؤلاء لانهم يقولون القول ويقول هؤلاء فيكون الدليل معهم فيرجعون اليهم ويدعون أقوالهم كما يفعل أهل العلم الذين هو أحب اليهم مما سواه وهذا عكس فرقة أهل التقليد من كل وجه وهذا هو الجواب عن قول مسروق: ما كنت أدع قول ابن مسعود لقول أحد من الناس .

(الوجه الاربعون) قولهم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « قد سن لكم معاذ فاتبعوه » فعجبا لمحتج بهذا على تقليد الرجال في دين الله وهل صار ماسنه معاذ سنة الا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «فاتبعوه» كما صار الاذان سنة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم واقراره وشرعه لا بمجرد المنام فان قيل : فما معنى الحديث؟ قيل : معناه ان معاذا فعل فعلا جعله الله لكم سنة وانما صار سنة لنا حين أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا لأن معاذا فعله فقط وقد صح عن معاذ انه قال : كيف تصنعون

بثلاث ؟ دنيا تقطع أعناقكم وزلة عالم وجدال منافق بالقرآن. فاما العالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم. وان افتتن فلا تقطعوا منه اياسكم فان المؤمن يفتتن ثم يتوب واما القرآن فان له مناراً كمنار الطريق لايخفى على أحد فما علمتم منه فلا تسألوا عنه أحدا وما لم تعلموه فكلوه الى عالمه. واما الدنيا فمن جعل الله غناه في قلبه فقد أفلح . ومن لا فليست بنافعته دنياه: فصدع رضي الله عنه بالحق ونهى عن التقليد في كل شيء وأمر باتباع ظاهر القرآن وان لايبالى بمن خالف فيه . وأمر بالتوقف فيما أشكل وهذا كله خلاف طريقة المقلدين . وبالله التوفيق.

﴿ الوجه الحادي والاربعون ﴾ قولكم : ان الله سبحانه أمر بطاعة أولي الامر وهم العلماء وطاعتهم تقليدهم فيما يفتون به : فجوابه ان أولي الامر قد قيل هم الامراء وقيل هم العلماء وهما روايتان عن الامام أحمد والتحقيق ان الآية تتناول الطائفتين وطاعتهم من طاعة الرسول لكن خفي على المقلدين انهم انما يطاعون في طاعة الله اذا أمروا بأمر الله ورسوله فكان العلماء مبلغين لامر الرسول والامراء منفذين له فحينئذ تجب طاعتهم تبعا لطاعة الله ورسوله . فأين في الآية تقديم آراء الرجال على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيثار التقليد عليها .

﴿ الوجه الثاني والاربعون ﴾ : ان هذه الآية من أكبر الحجج عليهم وأعظمها ابطالا للتقليد وذلك من وجوه . أحدها الامر بطاعة الله التي هي امتثال أمره واجتناب نهيه. الثاني طاعة رسوله ولايكون العبد مطيعا لله ورسوله حتى يكون عالما بأمر الله ورسوله ومن أقر على نفسه بأنه ليس من أهل العلم بأوامر الله ورسوله وانما هو مقلد فيها لاهل العلم لم يمكنه تحقيق طاعة الله ورسوله البتة . الثالث ان أولي الامر قد نهوا عن تقليدهم كما صح ذلك عن معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهم من الصحابة وذكرناه نصا عن الائمة الاربعة وغيرهم وحينئذ فطاعتهم في ذلك ان كانت واجبة بطل التقليد وان لم تكن واجبة بطل الاستدلال . الرابع انه سبحانه قال في الآية نفسها « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » وهذا صريح في إبطال التقليد والمنع من رد المتنازع فيه الى رأي أو مذهب أو تقليد . فان قيل فما هي طاعتهم المختصة

بهم اذ لو كانوا انما يطاعون فيما يخبرون به عن الله ورسوله كانت الطاعة لله ورسوله لا لهم ؟ قيل وهذا هو الحق وطاعتهم انما هي تبع لا استقلال ولهذا قرنها بطاعة الرسول ولم يعد العامل وافرد طاعة الرسول واعاد العامل لئلا يتوهم انه انما يطاع تبعا كما يطاع أولو الأمر تبعا وليس كذلك بل طاعته واجبة استقلالا كان ما أمر به ونهى عنه في القرآن أولم يكن . (لها بقية)

(باب الفقه في أحكام الدين)

الفتاوى الثلاث

(في لبس قلنسوة أهل الكتاب وأكل ذبائحهم واقتداء الشافعية بالحنفية)

ذكرنا في الجزء الثامن عشر انه شاع ان بعض علماء مصر أفتى رجلا ترنسفاليا بجواز لبس القلنسوة التي يلبسها أهل أوربا وتسمى (البرنيطة) وان بعض الناس أكبر هذه الفتوى جهلا منهم بالدين وذكرنا من هداية السنة السنية ماتبين به ان الاسلام لم يقيد أهله بزي مخصوص لان الزي من العادات التي تختلف باختلاف حاجات الشعوب وأذواقهم وطبائع بلادهم فهو مباح لهم فلم يكن من حكمة هذا الدين العام لجميع البشر ان يقيد شعوب الأرض كلها بعادة طائفة منهم كأهل الحجاز أوغيرهم ولهذا لبس النبي عليه الصلاة والسلام من لبوس النصارى والمجوس والمشركين كما ثبت في الاحاديث الصحيحة التي أشرنا الى بعضها في ذلك الجزء ، ولذلك ترى للمسلمين في كل قطر زيا يشاركهم فيه غالباً من ليس من دينهم بل أكثر لبوسهم مأخوذ عن النصارى برمته ومنه زي العثمانيين الرسمي كما تقدم

ثم بعد كتابة ماأشرنا اليه رأينا في بعض الجرائد ان الذي أفتى بما ذكرهو مفتي الديار المصرية وأنه أفتى بفتويين أخريين كانتا أيضاً موضوع لغط الجاهلين الذين لايعرفون من الدين الا ما ينسب اليه من العادات والتقاليد الشائعة بين المسلمين في بلادهم خاصة . وقد ذكر في احدى الجرائد نص الاسئلة التي رفعت الى المفتي مع أجوبتها ويقال ان بعض أصحاب الجرائد اشترى ورقة الفتوى من الترنسفالي بمال كثير لظنه أن فيها ماثبت مخالفة المفتي في ذلك للمشهور من مذهب الحكومة التي

يفتي به الحكومه والمعروف عند العامة فيؤاخذ !! وسعى بعد ذلك في نشرها في الجرائد وانبرت احداها للرد عليها أو التنويه بخطأها بدعوى المدافعة عن الدين ولو كان صاحبها يعتقد بأن الفتاوي خطأ كلها أو بعضها لكان الواجب عليه أن لا يصرح بأن إماماً كبيراً أفتى بها لان كثيراً من الناس في مشارق الارض ومغاربها يثقون بفتواه ويعملون بها ولا يصدهم عن ذلك ان صاحب جريدة سياسية لم يرض بها . فان كان يرى ان المستفتي معتقد بصحة الفتوى فكان عليه ان يقنعه بعدم صحتها ان قدر

أما الاسئلة التي قدمها الترنسفالي للمفتي فهي بنصها

(١) يوجد أفراد في هذه البلاد تلبس البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد اليهم فهل يجوز ذلك أم لا

(٢) ان ذبحهم (أي نصارى الترنسفال) مخالف وذلك لانهم يضربون البقر بالباط وبعد ذلك يذبحون بغير تسمية والغنم يذبحونها من غير تسمية أيضا هل يجوز ذلك أم لا

(٣) ان الشافعية يصلون خلف الحنفية بدون تسمية ويصلون خلفهم العيدين ومن المعلوم أن هناك خلافا بين الشافعية والحنفية في فرضية التسمية وفي تكبيرات العيدين فهل تجوز صلاة كل خلف الآخر أم لا ؟

هذا نص الاسئلة كما نشرتها الجرائد فأما المسئلة الاولى فقد علمت ما فيها واما الثانية فظاهر السؤال انه عن جواز فعلهم وليس من شأن المسلم ان يبحث عن أفعال غير المسلمين في نفسها فلا بد ان يكون المراد الاستفهام عن جواز أكل المسلم من تلك الذبائح وقد أفتى المفتي بالجواز واستدل عليه بالآية وهو موافق في ذلك للجماهير من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين كما ستعلم ذلك بنصوصه . وأما المسألة الثالثة ففتواه فيها بالجواز موافق لعمل سلف الامة الصالح بلا استثناء وانما استنكرها الجاهلون لأن بعض الفقهاء من الحنفية والشافعية حكى في ذلك خلافا مبنيا على استنباطاتهم المعروفة الناشئة عن التعصب للمذاهب الذي يفرق بين المسلمين ويجعلهم شيعا كل شيعة تبطل عبادة الاخرى وكأنهم يرون ان يكون لكل أهل مذهب مساجد خاصة بهم كالنصارى

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

كان الامام أحمد يرى الوضوء في الفصد والحجامة والرعاف فقيل له : فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل تصلي خلفه ؟ فقال كيف لا أصلي خلف الامام مالك وسعيد ابن المسيب ؟ هكذا كان السلف الصالحون ، حتى جاء الخلف المتعصبون المفرقون ، ولكن سورة التعصب للمذاهب قد سكنت في هذا العصر لذلك لا يرى المفسدون وجها للغط في هذا الجواب

﴿ طعام أهل الكتاب ﴾

أما مسألة ذبيحة أهل الكتاب فهي التي أكثرت اللغط فيها الجريدة السياسية والسؤال ناطق بأن أهل تلك البلاد (الترنسفال) يذبحون البقر بعد ضربها بالبلطة ولكن موضع المخالفة لبعض المسلمين انهم لا يذكرون اسم الله عليها . والمفتي أفتى بالاخذ بنص آية « وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم » فقد قال الله هذا بعد آية تحريم الميتة وأحل طعامهم وهو يعلم مايقولون عند الذبح ويعلم مايعتقدون بعزير والمسيح ، وانما ننقل بعض كلام أئمة السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ثم نأتي بفقه الدين في تحريم الميتة وما أهل به لغير الله فنقول:

جاء في تفسير الآية من كتاب (فتح البيان ، في فهم مقاصد القرآن) مانصه « والحاصل إن حل الذبيحة تابع لحل المناكحة على التفصيل المقرر في الفروع. والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبائح وذهب أكثر أهل العلم الى تخصيصه هنا بالذبائح ورجحه الخازن . وفي هذه الآية دليل على ان جميع طعام أهل الكتاب من اللحم وغيره حلال عند المسلمين وان كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم وتكون هذه الآية مخصصة لعموم قوله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » وظاهر هذا أن ذبائح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودي على ذبيحته اسم عزير وذكر النصراني على ذبيحته اسم المسيح واليه ذهب أبو الدرداء وعبادة بن الصامت وابن عباس والزهري وربيعة والشعبي ومكحول . وقال علي وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكتابي يسمى غير الله فلا تأكل وهو قول طاوس والحسن وتمسكوا بقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ويدل عليه أيضاً قوله « وما أهل به لغير الله » وقال مالك انه يكره ولا يحرم. وسئل الشعبي وعطاء عنه فقالا: يحل فان الله قد أحل ذبائحهم

وهو يعلم مايقولون : فهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم اسم غير الله. وأما مع عدم العلم فقد حكى الكيا الطبري وابن كثير الاجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد في السنة من أكله (ص) من الشاة المصلية التي أهدتها اليه اليهودية وهو فى الصحيح وكذلك جراب الشحم الذى أخذه بعض الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبي (ص) وهو فى الصحيح أيضاً وغير ذلك »

ثم ذكر أهل الكتاب من هم واستثناء سيدنا علي بني تغلب منهم لانهم من العرب الذين لم يأخذوا من النصرانية الا شرب الخمر وذكر الخلاف فى المجوس ونقل بعد ذلك عن القرطبي انه قال « قال جمهور الامه ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو غيرهم وكذلك اليهود » وفى تفسير ابن جرير نحو ماتقدم ومنه روايات عن الصحابة بحل ماذبحه النصارى للكنائس عملا بعموم الآية . فعلم من هذه النقول ان ذبائح أهل الكتاب حلال عند جماهير المسلمين وان لم يكن ذبحها على الطريقة الاسلامية بل وان كانت على خلاف الطريقة الاسلامية عملا باطلاق الآية الكريمة التي هي آخر ماورد فى الاكل نزولا وبذلك استدل مفتي الديار المصرية وقال فى نصارى الترنسفال انهم من أشد النصارى تعصبا فى دينهم وتمسكا بكتبهم ثم قال « ومجيء الآية الكريمة «اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » من بعد آية تحريم الميتة « وما أهل لغير الله به » بمنزلة دفع مايتوهم من تحريم طعام أهل الكتاب لأنهم يعتقدون بألوهية عيسى وكانوا كذلك كافة فى عهده عليه الصلاة والسلام الامن أسلم منهم . ولفظ أهل الكتاب مطلق لايصح ان يحمل على هذا القليل النادر فاذاً تكون الآية كالصريح فى حل طعامهم مطلقاً كما كانوا يعتقدونها حلا في دينهم دفعا للحرج في معاشرتهم ومعاملتهم » اه وهو موافق للنقول التي قال بها جماهير الأئمة كما تقدم

(الفقه فى تحريم الميتة وكيفية التذكية)

«قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ »

وألحق فى آية المائدة بالميتة مافى حكمها مما مات بغير قصد التذكية وهو المنخنقة بدخول رأسها بين عودين أو في حبل ونحو ذلك والموقوذة وهي التي ضربت بعصا

أو حجر غير محدد ولا بقصد الذبح حتى انحلت قوتها وماتت والمتردية من شاهق ، والنطيحة أي التي تموت بالمناطحة وما أكل السبع ، قال تعالى بعد ذكر هذه الانواع « الا ماذكيتم » أي ما أدركتم فيه حياة فذكيتموه بالقصد ثم قال « وماذبح على النصب » وهي أحجار كانوا يذبحون عليها للأصنام

فأما تحريم ما أهل لغير الله به فهو أشد المحرمات تحريماً لان علة تحريمه تتعلق بحفظ جوهر الايمان لان ذكر اسم غير الله مما يعتقد على الذبيحة ضرب من الوثنية وعمل المشركين وأما الميتة فقد قيل ان علة تحريمها ان احتباس الدم فيه يجعل أكلها ضاراً وهو تعليل ينافي اطلاقه علم الطب كما ينافيه الكتاب والسنة الصحيحة فى الإذن بأكل الصيد تصيده الجوارح فيموت من غير تذكية وكذلك صيد اليد بشرطه قال تعالى « وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم » اي ما احضره الكلب ونحوه لصاحبه ولم يأكل منه روى احمد والبخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « اذا ارسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما امسكن عليك الا ان يأكل الكلب فلا تأكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه » وفي رواية لهم ان عديا قال قلت: وان قتلن: قال « وان قتلن مالم يشركها كلب ليس معها » قلت فاني ارمي بالمعراض الصيد فأصيد : قال « اذا رميت بالمعراض فخزق فكله وان أصابه بعرضه فلا تأكله » وقد اختلف في تفسير المعراض فقيل هو سهم لا نصل له ولا ريش وقيل هو خشبة ثقيلة فى آخرها عصا محدد رأسها وقيل هو عصا فى طرفها حديدة وكأنه كان يطلق على هذه الاشياء وكانوا يرمون الصيد بها والمراد بالخزق الخدش فاذا جرحت هذه العصا الصيد فمات حل أكله . وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة والحكم مجمع عليه الا ان أحمد واسحق منعا الصيد بالكلب الاسود البهيم وفي رواية من حديث عدي متفق عليها أيضا انه قال عليه السلام « اذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فان أمسك عليك فادركته حيا فاذبحه وان أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فان أخذ الكلب ذكاة » ومذهب الشافعي انه اذا أكل منه بعد احضاره يحل

وروى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي ثعلبة الخشني قال « اذا

رميت سهمك فغاب ثلاثة أيام وأدركته فكله مالم ينتن » وروى البخاري والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة ان قوما قالوا يارسول الله : ان قوما يأتونا باللحم لاندري اذكر اسم الله عليه أم لا : فقال « سموا عليه أنتم وكلوا » وكانوا حديثي عهد بالكفر . وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عدي بن حاتم قال : قلت يارسول الله انا نصيد الصيد فلانجد سكينا الا الظرار وشقة العصا: فقال صلى الله عليه وسلم « امر الدم بماشئت » الظرار جمع ظر بالكسر وظررو هو الحجر المدور المحدد . و (أمر) من أمار الشيء ومار اذا جرى أو من مرى الضرع اذا مسحه ليدر فعلم من مجموع الأحاديث ان الصيد قد يحل وان مات ولم يذبح وان التسمية مستحبة غير واجبة ولا شرط للذبح وعليه ابن عباس وأبو هريرة والشافعي، وان اراقة الدم بأي شيء جائز وأن أخذ الكلب للصيد ذكاة شرعية . وهو يدل على ان ماقالوه فى تعليل تحريم الميتة غير صحيح وعلى ان الذبح المعروف الآن وهو قطع الحلقوم والمريء ليس من الأمور التي تعبدنا بها في الذبح بحيث لاتصح الذكاة بدونه مطلقا بل الذكاة الشرعية على أنواع منها الذبح المعروف وهو للغنم ونحوه من الحيوان الصغير ومنها النحر وهو للابل والخيل والبقر جاءت السنة بذلك فى الجميع ، ومنها الصيد كما علمت ومنها ان الجنين يوجد في بطن أمه ميتا فيؤكل تبعا لها اذا ذكيت بنوع من أنواع التذكية الصحيحة ومنها العقر والجرح . روى الامام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث رافع بن خديج قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فند بعير من ابل القوم ولم يكن معهم خيل فرماه رجل بسهم فحبسه فقال رسول الله (ص) « ان لهذه البهائم أوابد كاوابد الوحوش فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا » والجمهور على ان الرمي تذكية له خلافا لمالك . وروى من عدا الشيخين من هؤلاء عن أبي العشراء (بضم ففتح واسم عطارد) عن أبيه قال قلت ، يارسول الله أماتكون الذكاة الا فى الحلق واللبة قال « لو طعنت في فخذها لاجزأك » وقد حمل ابو داود هذا على المتردية والنافرة والمتوحشة وأخذ بهذا الشافعية وكثير من الفقهاء ولكن السؤال يدل على الاطلاق وان كان في سند الحديث الاخير مقال

فعلم من هذه الاحاديث الصحيحة ان التذكية الشرعية هي ما كانت بقصد

من الانسان الى إماتة الحيوان لأكله فان باشر ذلك بنفسه فله ان يفعله بكل محدد جارح وان كان حجراً الا انه جاء في حديث النهي عن التذكية بالسن والظفر فقد اخرج أحمد والبخاري ومسلم واصحاب السنن الاربعة من حديث رافع بن خديج قال: قلت يارسول الله انا نلقى العدو غداً وليس معنا مدى (جمع مدية وهي السكين) فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كلّ ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً اوظفراً » وسأحدثكم عن ذلك (اي عن سبب استثناء السن والظفر) اما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة : وقد اختلف في هذه الجملة هل هي من جملة المرفوع او مدرجة والراجح انها مدرجة لتعليل النهي ولذلك لم يرض جميع العلماء هذا التعليل بل قال بعضهم ان علة النهي هي ان في الذبح بالسن والظفر تعذيباً للحيوان وقيل غير ذلك . وكما تصح التذكية بكل آلة جارحة تصح بأية كيفية ممكنة كما رأيت في الاذن بأكل ماخزقه المعراض ومن الاذن بالطعن في الفخذ . والبلطة التي جاء ذكرها في سؤال الترنسفالي لاتقل عن هذه المحددات انهاراً للدم وعقراً للحيوان على انه قال انهم يعقرون البقر أو يضربونه بها ثم يذبحونه وظاهر ان الذبح قبل الموت فاذا فرضنا ان الضرب بالبلطة وقذ (وهو ليس بوقذ لانها آلة محددة ولان الضرب بها يقصد به التذكية للاكل لا للاهلاك) فهو داخل فيما استثنى الله تعالى بقوله « الا ماذكيتم » فانهم يذبحونها كما قال السائل فاين مكان الغيرة على دين أهل الترنسفال أن يأكلوا الموقوذة ممن لايغار على دين نفسه فهو يفتي بغير علم ...

ثم ان هذه الاحكام كلها خاصة بالمسلمين وأما أهل الكتاب فغير مكلفين بها عملا لان الذين يقولون من العلماء انهم مكلفون بفروع الشريعة كالشافعية يريدون بذلك انهم يعذبون على تركها في الآخرة عذاباً زائداً على عذاب ترك الايمان لانهم يطالبون بها في الدنيا فالمسلمون متفقون اذاً على أنهم غير مطالبين بهذه الاحكام وطعامهم مع هذا حلال بنص الكتاب كيفما كان الا ماحرم لذاته عندنا وعندهم كلحم الخنزير اذا أكلوه . وقد علمت ان جماهير أئمة السلف والخلف أباحوا ذبائحهم وان لم يذكروا اسم الله عليها بل وان ذكروا اسم غيره عملا بعموم الآية التي اعتبروها مخصصة للامر بالتسمية وملاحظة لقاعدة عدم مطالبتهم بفروع الشريعة، وعلمت أيضاً ان

ما أهل به لغير الله هو أشد المحرمات لانه من أعمال الشرك وأنه مع ذلك قد أحل اكله أكثر المسلمين من طعام أهل الكتاب فلأن يحلوا ماذكاه اهل الكتاب على غير طريقة التذكية عند المسلمين أولى فقد رأيت من الاحاديث الصحيحة التساهل في أمر التذكية وكثرة انواعها حتى يكاد يتعذر ان توجد طريقة للتذكية لا تشملها هذه الاحاديث

ان سلف الامة الصالح من الصحابة والتابعين اعتبروا كل من ينسب الى اليهودية والنصرانية من أهل الكتاب الذين تحل ذبائحهم سواء تمسكوا بدينهم أم لا الا مانقل عن علي كرم الله وجهه من استثناء بني تغلب من متنصرة العرب معللا ذلك بقوله انهم لم يأخذوا عن النصارى الاشرب الخمر ، واكتفى الجماهير بنسبتهم الى النصارى ومن هنا تورع بعض أئمة المالكية كالقاضي أبي بكر بن العربي واشترط في حل ذبائح النصارى ان يأكل منه قسيسهم وعامتهم فلم يكتف بعمل من ينتسب اليهم دون علماء دينهم ورؤسائه وجرى على هذا التورع مفتي الديار المصرية في فتواه للترانسفالي فقال مانصه كما نشر في الجرائد « وأما الذبائح فالذي أراه أن يأخذ المسلمون فى تلك الاطراف بنص كتاب الله تعالى في قوله « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » وان يعولوا على ماقاله الامام الجليل أبوبكر بن العربي المالكي من ان المدار على ان يكون مايذبح مأكول أهل الكتاب قسيسهم وعامتهم ويعد طعاما لهم كافة » ثم أوضح هذا بما نقلنا بعضه من قبل • وقد تقدم ان القرطبي قال « جمهور الامة على ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أومن غيرهم » وممن صرح بحل ذبيحة بني تغلب سعيد بن المسيب والحسن البصري وهما أعلم أئمة التابعين وأورعهم فلعل المفتي زاد فى الورع عليهما تأثرا بقول المالكية الذين تلقى مذهبهم أول اشتغاله بالعلم وان كان لا يعمل الآن الا بقوة الدليل أو اراد موافقة الاجماع فى فتواه من حيث العمل بها لا من حيث اشتراط ماقاله ابن العربي فان الجماهير لا يشترطونه كما علمت

﴿ نص فتوى القاضي أبي بكر ابن العربي ﴾

قال فى تفسير آية « أليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » من كتابه (أحكام القرآن) مانصه ، « هذا دليل قاطع على أن الصيد وطعام الذين أوتوا الكتاب من الطيبات التى أباحها الله وهو الحلال المطلق وانما كرره الله تعالى ليرفع

الشكوك ويزيل الاعتراضات عن الخواطر الفاسدة التى توجب الاعتراضات وتحرج الى تطويل القول • ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها هل تؤكل معه أو تؤخذ منه طعاما ـ وهي المسألة الثامنة ـ فقلت تؤكل لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه وان لم تكن هذه ذكاة عندنا ولكن الله أباح لنا طعامهم مطلقا وكل مايرونه فى دينهم فانه حلال لنا الا ما كذبهم الله فيه • ولقد قال علماؤنا انهم يعطوننا نساءهم أزواجا فيحل لنا وطؤهن فكيف لانأكل ذبائحهم والاكل دون الوطء في الحل والحرمة » اه

وقد استنكر هذه الفتوى بعض الطلاب الذين لايعرفون من الاسلام الامايرون عليه قومهم من العادات الدينية فسأل عنها أبا عبد الله الحفار أحد علماء المالكية فأجاب بما نصه: « لا إشكال فيه (أى قول ابن العربي) عند التأمل لان الله أباح لنا أكل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه الذي أبيح لهم من ذكاة فيما شرعت فيه الذكاة على الوجه الذى شرعت • ولايشترط ان تكون ذكاتهم موافقة لذكاتنا في ذلك الحيوان المذكى ولا يستثنى من ذلك الا ماحرم الله سبحانه علينا بالخصوص كالخنزير وكالميتة التى لم تقتل بقصد الأكل وأما مالم يحرم علينا على الخصوص فهو مباح كسائر أطعمتهم ، وكل مايفتقر الى الذكاة من الحيوانات فاذا كان على مقتضى دينهم حل لنا أكله ولا يشترط في ذلك ان تكون ذكاتهم موافقة لذكاتنا وذلك رخصة من الله وتيسير علينا • واذا كانت الذكاة تختلف في شريعتنا فتكون ذبحا فى بعض الحيوانات ونحرا فى بعض وعقرا في بعض وقطع عضو كرأس وشبهه كما هو ذكاة الجراد ووضعا في ماء حار كذلك كالحلزون ـ فاذا كان هذا الخلاف عندنا بالنسبة الى الحيوانات فكذلك قد يكون شرع في غير ملتنا سل عنق الحيوان على وجه الذكاة فاذا أجاز الكتابي ذلك أكلنا طعامه كما أذن لنا ربنا سبحانه ولا يلزمنا ان نبحث عن شريعتهم في ذلك بل اذا رأينا أهل دينهم يستحلون ذلك أكلنا كما قال القاضي أبو بكر لأنها طعام أحبارهم ورهبانهم

« وانما وقع الاستشكال في هذه المسئلة لان سل عنق الحيوان عندنا لايستباح به أكل الحيوان بل يصير ميتة فصارت الطباع نافرة عن الحيوان المفعول به ذلك

فحين أباح القاضي ذلك من طعام أهل الكتاب وقع استشكاله ولا اشكال فيه على ماقررته • وعلى المحمل الذى ذكرته حمله بعض أئمتنا المتأخرين المحققين » اهـ ولم يذكر الحفار بقية أنواع التذكية الشرعية من أخذ الكلاب وغيرها من الجوارح المعلمة للصيد واتيانهما به ميتاومن الرمي بالسهم والصيد بالمعراض وماذكرناه كاف

﴿ كلام الشيخ محمد بيرم فى مسألة الخنق ﴾

ذكر الفقيه الحنفي الشيخ محمد بيرم الخامس فى كتابه صفوة الاعتبار مبحثا طويلا في ذبائح أوربا ونقل عن أهل مذهبه أن ذبائح أهل الكتاب حلال مطلقا وجاء بتفصيل في أنواع المأكول في أوربا ثم قال مانصه :

« وأما مسألة الخنق فان كان لمجرد شك فلا تأثير له كما تقدم وان كان لتحقق فلم أر حكم المسألة مصرحا به عندنا وقياسها على تحقق تسمية غير الله انها محرمة عند الحنفية وأما عند من يرى الحل فى مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فالقياس عليها يفيد الحلية حيث خصصوا بآية « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » آية « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » وآية «وما أهل لغير الله به» وكذلك تكون مخصصة لآية المنخنقة ويكون حكم الآيتين خاصا بفعل المسلمين والاباحة عامة في طعام أهل الكتاب اذ لافرق بين ما أهل به لغير الله وما خنق فاذا ابيح الاول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني • وقد كنت رأيت رسالة لاحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجاب النصوص من مذهبه بما ينثلج به الصدر سيما اذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما أخبر كثير من علمائهم وان المقصود التوصل الى قتل الحيوان بأسهل قتلة للتوصل الى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستندين فى ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلامرية فى الحلية على هاته المذاهب •

فان قلت كيف يسوغ تقليد الحنفي لغير مذهبه ؟ قلت أما ان كان المقلد من أهل النظر وقلد الحنفي عن ترجيح برهان فهذا ربما يقال انه لايسوغ له ذلك (أي الا ان يظهر له ترجيح دليل الحل ثانيا) وأما اذا كان من أهل التقليد البحت كما هو في أهل زماننا فقد نصوا على ان جميع الائمة بالنسبة اليه سواء والعامي لامذهب

له وانما مذهبه مذهب مفتيه ، وقوله : أنا حنفي أومالكي : كقول الجاهل : أنا نحوي : لايحصل له منه سوى مجرد الاسم فبأي العلماء اقتدى فهو ناج . على أن الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالفعل في تقليد المجتهد لغيره والكلام مبسوط في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر البحث ابو السعود في شرح الاربعين حديثا النووية والف في ذلك رسالة عبد الرحيم المكي فليراجعهما من أراد الوقوف على التفصيل

« فان قيل : قد ذكرت ان الخنزير محرم وان كان من طعامهم فلماذا لايجعل مخصصا بالحلية بهذه الآية أي آية طعامهم واذا جعلت آية تحريمه محكمة غير منسوخة فكذلك تكون المنخنقة ولماذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة الخنزير وأي مرجح لذلك ؟ فالجواب ان المأكولات منها ماحرم لعينه ومنها ماحرم لغيره فالخنزير وماشاكله من الحيوانات محرمة لعينها ولهذا تبقى على تحريمها في جميع أطوارها وحالاتها . وأما متروك التسمية أوما أهل به لغيرالله والمنخنقةفان التحريم اتى فيه لعارض وهو ذلك الفعل ثم أتى نص آخر عام في طعام أهل الكتاب وأنه حلال فاخرج منه محرم العين ضرورة وبالاجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسألتان احداها مسألة التسمية والثانية مسألة المنخنقة فبقيتا في محل الشك لتجاذب كل من نصي التحريم والاباحةلهما فوجدنا احداهما وهي مسألة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت مسألةالمنخنقة التي يتخذها أهل الكتاب طعامالهم مسكوتا عنها فكان قياسها على مسألة التسمية هو المتعين لاتحاد العلة . وأما قياسها على مسألة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرط القياس المساواة . وانما اطلنا الكلام في هذا المجال لانه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق وهو يهدي السبيل »اه

﴿توضيح القول في الموقوذة وادراك ذكاتها﴾

قال القاضي البيضاوي في تفسير الموقوذة :هي المضروبة بنحو خشب أوحجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته : وتبعه في ذلك أبوالسعود الحنفي في تفسيره وكذلك السيد محمد صديق حسن في تفسيره فتح البيان وزاد ان الوقذ هوشدة الضرب حتى يسترخي

ويشرف على الموت (قال) وشاة موقوذة ضربت بالخشب ، وهذا هو المنصوص في القاموس وشرحه وغيرهما من المعاجم • وفي مجمع بحار الانوار « الوقيذ والموقوذ هو الذي يقتل بغير محدد من عصا وحجر » وقد صرح الامام الرازي بأن الموقوذة في معنى الميتة والمنخنقة قال « فانهما ماتت ولم يسل دمها » وهذا لاخلاف فيه فان الوقد هو الضرب بغير المحدد • وقد ذكر في تفسير قوله تعالى « الاماذ كيتم » : انه استثناء من جميع ماتقدم من المنخنقة الى قوله وماأكل السبع وهو قول علي وابن عباس والحسن وقتادة (قال) فعلى هذا انك اذا أدركت ذكاته بأن وجدت له عينا تطرف أوذنبا يتحرك أورجلا تركض فاذبح فانه حلال فانه لولابقاء الحياة فيه لما حصلت هذه الاحوال » اه بحروفه والتعبير بالذكية يؤيده فان أصلها كما قال الرازي وغيره اتمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم وهو تمامه ومثله الذكاء في السن ويقال ذكيت النار أي أتممت اشعالها : كأنه يقول الاماأتممتم أنتم اماتته بذبح ونحوه • وقال في فتح البيان في مقاصد القرآن في قوله تعالى «الاماذكيتم» : استثناء متصل عند الجمهور وهو راجع على ماادركت ذكاته من المذكورات سابقا وفيه حياة : ثم ذكر خلاف غير الجمهور وقال في ادراك الذكاة : واما كيفية ادراكها فقال أهل العلم من المفسرين ان أدركت حياته بأن توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز وقيل اذا طرفت عينها أوركضت برجلها أو تحركت فاذبح فانه حلال : وقال الآلوسي في تفسيره : أي الا ماأدركتموه وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وذكيتموه ، وعن السيدين السندين الباقر والصادق رضي الله عنهما ان أدنى مايدرك به الذكاة ان يدركه وهو يحرك الاذن أو الذنب أو الجفن وبه قال الحسن وقتادة وابراهيم وطاوس والضحاك وابن زيد • وقال بعضهم يشترط الحياة المستقرة وهي التي لاتكون على شرف الزوال وعلامتها على ماقيل ان يضطرب بعد الذبح لاقبله : اه وأطال ابن جرير في رواياته عن الصحابة في تأييد الاول

فعلم بهذا ان مايضرب بمحدد كالبلطة لايسمى وقيذا ويدل على ذلك حديث صيد المعراض في الصحيحين وغيرهما «وان أصاب بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تأكله » وأنه لو كان من الوقيذ فان مايفعله أهل الترنسفال من ذبحه واسالة دمه بعد ضربه يحلله كما تقدم وانما ذكرنا هذه النقول لانا بعد كتابة ماتقدم وتمثيله للطبع رأينا الجريدة السياسية

تدعي ان ما يفعله أهل الترنسفال من الوقذ وأنه لا يحل وان ذبح وسال دمه . وقد زادت على كلام الترنسفالي قولها « ثم يذبحونها تتميماً لقتلها فيسيل منها الدم مصفراً دالاً على حصول الارتجاج المخي المفسد للدم » الخ والسائل لم يقل ذلك ولو قاله لما كان مانعاً لصحة التذكية وحل الذبيحة اذ لم يشترط أحد من المسلمين ان يسيل الدم أحمر او أسود وانما اشترطوا علامة تدل على الحياة حتى حركة أصغر الاعضاء كالجفن، وسيلان الدم بأي لون من أقوى علامات الحياة ولكن السياسة اذا تلاعبت بالدين لا تبالي بكتاب ولا سنة ولا قول امام ولا مفسر ولا فقيه ولا لغوى فقد خالفت جميع العلماء في الموقوذة

﴿ الخلاف في التسمية ﴾

خاص لنا مما تقدم أن كتاب الله تعالى أباح لنا طعام أهل الكتاب مطلقاً لم يشترط في ذلك أن يأخذوا بأحكام الاسلام في التذكية وأن أكثر المسلمين من السلف والخلف أخذ بهذا الاطلاق فأكل النبي وأصحابه من اللحوم التي طبخوها والجبن الذي عملوه الا أن الحنفية اشترطوا ان لا يعلم الآكل ان ما عرض له من اللحم قد أهل به لغير الله أو ترك ذكره عليه وكل مانقلته الجريدة فهو عن مفسريهم وفقهائهم وخالفهم في ذلك اكثر العلماء كما تقدم ونص على ذلك مفتي الحنفية في بغداد الشهاب الألوسي في تفسيره .

وقال الطبري في تفسير « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » الآية « واختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء ام لا فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنيت به وعلى هذا قول عامة أهل العلم . وروى عن الحسن البصري وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا يحيي بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق » فنسخ واستثنى من ذلك فقال « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم » : والصواب من القول في ذلك عندنا ان هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شيء، وان طعام أهل الكتاب حلال وذبائحهم ذكية وذلك مما حرم على المؤمنين أكله بقوله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله » بمعزل لان الله انما حرم علينا بهذه الآية الميتة وما أهل به للطواغيت . وذبائح أهل الكتاب ذكية سموا عليها أو لم يسموا لانهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله يدينون بأحكامها يذبحون بأديانهم كما

يذبح المسلم بدينه سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه الا ان يكون ترك من ذكر تسميته على ذبيحته على الدينونة بالتعظيم او بعبادة شيء سوى الله فيحرم حينئذ كل ذبيحته سمى الله أو لم يسم » اهـ ويعني بالأخير من يترك التسمية لترك الدين السماوي بالمرة أو للدخول في الوثنية • ويؤيد تخصيصه الآية بالذبح للطواغيت ان الآية مكية وآية حل طعام أهل الكتاب مدنية وهي من آخر القرآن نزولا. والشافعية يحلون ترك التسمية ولو عمدا وقالوا ان النهي مقيد بقوله تعالى « وانه لفسق » وفسر الفسق بقوله « أو فسقا أهل لغير الله به » وهو ما كان يفعله المشركون لطواغيتهم وأهل الكتاب يحرمونه مثلنا وقد أطال الامام الرازي في ترجيحه (راجع التفسير الكبير) اما اذا لم يعلم الآكل انهم أهلوا به لغير الله أو تركوا التسمية فأكله حلال باجماع السلف والخلف كاللحم الذي يباع عادة في بلاد اليهود والنصارى ولم يحضر المسلم ذبحه ومنه اللحم الذي يباع في بلاد الترنسفال • وأما ضرب البقر بالبلطة قبل ذبحه ليضعف فهو لا ينافي التذكية الشرعية عندنا لو فرضنا أنهم مطالبون بها وقد علمت أنهم غير مطالبين.

﴿ تأييد الفتوى وحقيقتها وما به الافتاء ﴾

فظهر ان الفتوى مؤيدة بالكتاب والسنة وعمل السلف والخلف وأقوالهم وان خلاف الحنفية فيها لا يتحقق في واقعة الفتوى اذ لا يمكن العلم بأن كل لحم يراه المسلم هناك لم يذكر اسم الله عليه • ولو فرضنا انه تحقق فمذهب الجمهور أقوى من مذهبهم لقوة ادلته والمفتي يجب عليه ان يفتي بما يراه أقوى دليلا وأقوم قيلا وأنفى للحرج باجماع المسلمين من السلف والخلف. واذا كانت المحاكم الشرعية تسأل المفتي في مصر عن الصحيح من مذهب أبي حنيفة فليس كل مسلم مكلفا بهذا المذهب بل المسلمون مكلفون بكتاب الله وما صح عن رسوله وعلى العلماء النظر في ذلك والترجيح به بين أقوال العلماء • وقد نقل عن أبي حنيفة وأصحابه انهم كانوا يقولون : لا يصح لاحد ان يأخذ بقولنا ما لم يعرف دليلنا : وكذلك كان يقول جميع أئمة المسلمين (راجع نصوصهم في مقالات المصلح والمقلد من مجلد المنار الرابع) فلم يبق بعد هذا الا ان يرجع صاحب تلك الجريدة عن اعتراضه بغير علم ويعلن ذلك في جريدته ليظهر أنه غير سيء القصد وغير متلاعب بنصوص الدين عمدا ، ومتهجم على تحريم ما أحل الله قصدا ، ويثبت ان ما يقوله بعض الناس من ان هذه الجمجمة قد انفرد بها صاحب هذه الجريدة الذي ليس من

أهل هـذا الشأن دون العلماء والفقهاء وسائر الجرائد لغرض سياسي لغيره شخصي له فهو يتوقع قضاءلبانته منه كما قضاها من غيره

ونختم الكلام بتذكير المفتات على الشرع بقوله تعالى فى سورة النحل بعد حصر المحرمات فى الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الا المضطر اليه . وهو :

« وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

﴿ قول فى اجتهاد المفتي وتقليده ﴾

أما اللغط بأن افتاء مفتي الديار المصرية بغير مذهب الحنفيـة يتضمن دعوى الاجتهاد فيمكن الجواب عنه من وجهين أحدهما ان تقليد أهل النظر الذين يسمون علماء بالمذاهب هو عبارة عن اتباع ما يعتقدون أنه الاقوى دليلا من أقوال الائمة وقد أشرنا الى ان مفتي الديار المصرية لهذا العهد تلقى مذهب الامام مالك في أول تحصيله للعلم فيجوز ان يكون يعتقد ترجيحه الى الآن وان كان تلقى مذهب الحنفيـة وبرع فيه وعرف صحيحه من غـيره فان لم يكن يرجح جميع مسائله فيجوز ان يكون يعتقد رجحان بعضها وقد قال العلماء كافة بأن تقليد بعض الائمة في بعض المسائل وتقليد آخر فى بعضها جائز وما من عالم شـهير الا وله فتاوى فيما يخالف المذهب الذى ينسب اليه . وفى مقالات المصلح والمقلد بيان في ذلك

والثـاني انه مجتهد وما كان لمن يفسر القرآن بمثل ما يفسره به ويقيم الحجج منه على بطلان التقليد واستحقاق صاحبه لمقت الله وعذابه ان يكون مقلدا وحسبك من ذلك تفسير الآيات المنشورة فى هذا الجزء فراجعها واعتبر بها ان كنت من المؤمنين ، أما انـكار المقلدين الجاهلين عليه الاجتهاد فلا قيمة له اذ ليس للمقلدين من حجة ولا هم من أهلها فبم يشـكرون ؟ وقد نشرنا ولا نزال ننشر من الدلائل والبراهين على بطلان التقليد فى غير التفسير ما فيه مقنع لمن لم يختم الله على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة ، وقد كتب مفتي الديار المصرية فى التوحيد والتفسير ما يقصر عنه كل ما كتب

فيهما مما وصل الينا من كتب الاولين والآخرين، وفضل الله ليس محصورا فى زمن معين، ولا رحمته مقيدة بأفراد مخصوصين. بل تسع كل شيء. ولا ينافى ذلك إفتاؤه الحكومة والمحاكم بمذهب الحنفية فانهم يسألونه عنه لا عن اجتهاده ومن يسأله عن رأيه يفتيه به.

فان قيل ان من علماء هذا العصر من يطعن فيه نقول ان هؤلاء الطاعنين من الحاسدين أو المقلدين الذين أخذوا على أنفسهم تفنيد من يتبع الكتاب والسنة من غير نظر فى أدلته وقد طعن في الأئمة العظام من قبله من هم في طبقتهم علما واجتهادا ولهذا قال ابن عباس (رض) «استمعوا قول القراء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايرا من التيوس في زروبها» رواه ابن عبدالبر في كتاب العلم والمراد بالقراء العلماء وبه عبر فى الاحياء وروي مثل ذلك عن مالك بن دينار بلفظ (العلماء) وقد ذكرت بعض ما طعن به على الأئمة الاربعة وغيرهم كالبخاري واضرابه بعض أهل العلم فى عصرهم في كتاب (الحكمة الشرعية)

﴿ واقعة تناسب ماتقدم ﴾

جاء فى ذكر حوادث المحرم سنة ست وثلاثين ومئتين وألف من الجزء الرابع من تاريخ الجبرتي مانصه (ص ٣١٦):

« وفيه من الحوادث ان الشيخ ابراهيم الشهير بباشا المالكي بالاسكندرية قرر فى درس الفقه ان ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لايجوز أكلها وما ورد من إطلاق الآية فانه قبل أن يغيروا ويبدلوا فى كتبهم فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنكروه واستغربوه ثم تكلموا مع الشيخ ابراهيم المذكور وعارضوه فقال: أنالم أذكر ذلك بفهمي وعلمي وانما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلي المغربي وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه: ثم انه أرسل الى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع فألف رسالة في خصوص ذلك وأطنب فيها فذكر أقوال المشايخ والخلافات فى المذاهب واعتمد قول الامام الطرشوشي في المنع وعدم الحل وحشا الرسالة بالحط على علماء الوقت وحكامه وهي نحو الثلاثة عشر كراسة (كذا) وأرسلها الى الشيخ ابراهيم فقرأها على أهل الثغر فكثر اللغط والإنكار خصوصا وأهل الوقت أكثرهم مخالفون للملة وانتهى الامر الى الباشا فكتب مرسوما الى كتخدا بيك بمصر وتقدم

اليه بان يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسألة وأرسل اليه أيضا بالرسالة المصنفة ٠ فأحضر كتخدا بيك المشايخ وعرض عليهم الامر فلطف الشيخ محمد العروسي العبارة وقال: الشيخ علي الميلي رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم لاينكر علمه وفضله وهو منعزل عن خلطة الناس الا أنه حاد المزاج وبعقله بعض خلل والاولى ان نجتمع به ونتذاكر في غير مجلسكم ونهي بعد ذلك الامر اليكم

فاجتمعوا في ثاني يوم وأرسلوا الى الشيخ علي يدعونه للمناظرة فأبى عن الحضور وارسل الجواب مع شخصين من مجاوري المغاربة يقولان انه لايحضر مع الغوغاء بل يكون في مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد بن الامير بحضرة الشيخ حسن القويسني والشيخ حسن العطار فقط لان ابن الامير يناقشه ويشن عليه الغارة ٠ فلما قالا ذلك القول تغير ابن الامير وارعد وأبرق وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل وعند ذلك أمروا بحبسهما في بيت الآغا وامروا الآغا بالذهاب الى بيت الشيخ علي واحضاره بالمجلس ولو قهرا عنه فركب الاغا وذهب الى بيت المذكور فوجده قد تغيب فأخرج زوجته ومن معها من البيت وسمر البيت فذهبت الى بيت بعض الجيران

ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بأن الشيخ علي على خلاف الحق وابى عن حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم في تحقيق المسألة وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ولو كان على الحق مااختفى ولا هرب والرأي لحضرة الباشا فيه اذا ظهر وكذلك في الشيخ ابراهيم باشا السكندري (كذا) وتمموا العرض وأمضوه بالختوم الكثيرة وأرسلوه الى الباشا . وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الاغا ورفعوا الختم عن بيت الشيخ علي ورجع أهله اليه ٠ وحضر الباشا الى مصر في أوائل الشهر ورسم بنفي الشيخ ابراهيم باشا الى بني غازي ولم يظهر الشيخ علي من اختفائه » اه

(المنار) هذا ماكان من علماء الازهر في أوائل القرن الماضي وهم شيوخ علماء الازهر الحاضرين أو شيوخ شيوخهم فيجدر بمشيخة الازهر اليوم ان تنتصر للحق الذي انتصرت له من قبل ٠ واذا كان العروسي شيخ الازهر يقول يومئذ في تلطيف أمر من يحرم ذبائح أهل الكتاب من العلماء ان في عقله خللا فماذا ينبغي ان يقول شيخ الازهر اليوم في جاهل بالشرع يحرم ذبيحة أهل الكتاب ردا على فتوى

مفتي الديار المصرية بالحل المحتج عليها بالقرآن الكريم؟ واذا كان أمير مصر في القرن الماضي رأى وهو فى كال استقلاله . وعدم دخول النصارى فى أعماله ، ان العالم الذى قال بعدم حل ذبائحهم يستحق النفي من بلاده فماذا يرى أمير مصر اليوم فى ذلك ـ وهو أعلم من جده بوجه الحاجة الى محاسنة الامم النصرانية والاخذ بالاقوال الشرعية التي تقنعها بأن ديننا دين مدنية وعمران ؟؟ لعل الرئيسين المظيمين يريان ويقولان ان سلفنا اهتموا بتأديب الشيخين اللذين حرما ذبائح النصارى لأنهما من العلماء الذين يخدع العوام بأقوالهم واما المحرم لها اليوم فهو من رجال القوانين ، فلا يلتفت أحد الى قوله فى الدين ، وهو رأي صائب . وان كان النهي عن المنكر من الواجب ،

باب السؤال والفتوى

(شبهة على الوحي)

(س ١) أحد قراء المنار بمصر :

حضرة الاستاذ الرشيد

عرضت لي شبهات في وقوع الوحي (وهو أساس الدين) فعمدت الى رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ـ حيث وقع اختياري عليها وقرأت في بابي « حاجة البشر الى الوحي » و « امكان الوحي » فوجدت الكلام وجيها معقولا غير ان الحاجة الى الشيء لا تستلزم وقوعه وكذا إمكانه وعدم استحالته عقلا لا يقتضي حصوله . ثم ماذكر بعد من أن حالة النبي وسلوكه بين قومه وقيامه بجلائل الاعمال وبوقوع الخير للناس على يده هو دليل نبوته وتأييد بعثته فليس شيئا فانه قد يكون (كون) النبي حميد السيرة في عشيرته صادقا فى دعوته ـ أعني معتقدا فى نفسه ـ سببا فى نهوض أمته ولا يكون كل ذلك مدعاة الى الاعتقاد به والتسليم له .

ولقد حدث بفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي اذ كانت مقهورة للانكليز ان بنتا تدعى « جان دارك » من أجمل النساء سيرة وأسلمهن نية اعتقدت وهي فى بيت أهلها بعيدة عن التكاليف السياسية انها مرسلة من عند الله لإنقاذ وطنها ودفع العدو عنه وصارت تسمع صوت الوحي فاخلصت فى الدعوة للقتال وتوصلت بصدق

ارادتها الى رئاسة جيش صغير وغلبت به العدو فعلا ثم ماتت عقب نصرتها موتة الابطال من الرجال اذ خذلها قومها ووقعت في يد عدوها فألقوها في النار حية فذهبت تاركة في صحائف التاريخ اسما يعبق نشره وتضوع رياه وهي الآن موضع اجلال القوم واعظامهم فلقد تيسرت لهم النهضة بعدها وجروا في العلم والرقي بعيدا فهل نجزم لذلك ان تلك البنت نبية مرسلة ؟؟؟...... وربما تذهبون الى ان عملها لا يذكر مقارنا بما أتت به الرسل وما وصل للناس من الخير بسببهم فاقول هل هناك من ميزان نزن به الاعمال النافعة لنعلم ان كانت وصلت الى الدرجة التي يجب معها ان نصدق دعوة صاحبها وهل لو ساعدت الصدف (كذا) رجلا على ان يكون أكبر الناس فعلا وأبقاهم أثرا واعتقد برسالة نفسه لوهم قام يفضي بنا ذلك الى التيقن من رسالته ؟.....

أظن ان هذا كله مضافا لغيره يدعو الى الترجيح ولا يستلزم اليقين أبدا على اني أنتظر ان تجدوا في قولي هذا خطأ تقنعوني به أو تزيدوني ايضاحا ينكشف به الحجاب وتنالون به الثواب. هذا وإني أعلم من فئة مسلمة ما أعلمه من نفسي ولكنهم يحفظون في الكتمان ويسألون الكتب خشية سؤال الانسان ولكنني لا أجد في السؤال عاراً وكل عقل يخطيء ويصيب ويزل ويستقيم (أحد قرائكم)

(جواب المنار) لقد سرنا من السائل أنه على تمكن الشبهة من نفسه لم يذعن لها تمام الإذعان فيسترسل في تعدي حدود الدين الى فضاء الاهواء والشهوات التي تفسد الارواح والاجسام بل أطاع شعور الدين الفطري ولجأ الى البحث في الكتب ثم السؤال ممن يظن فيهم العلم بما يكشف الشبهة ، ويقيم الحجة ، وان كثيرا من الناس لينصرفون عن طلب الحق عند أول قذعة من الشبه تلوح في فضاء أذهانهم لانهم شبوا على حب التمتع والانغماس في اللذة ويرون الدين صادا لهم عن الانهماك والاسترسال فيها فهم يحاولون اماتة شعوره الفطري . كما أمات النشوء في الجهل برهانه الكسبي ،

أرى السائل نظر من رسالة التوحيد في المقدمات ووعاها ولكنه لم يدقق النظر في المقاصد والنتائج لذلك تراه مسلما بالمقدمات دون النتيجة مع اللزوم بينهما ولو عاد الى مبحث (حاجة البشر الى الرسالة) وتدبره وهو مؤمن بالله وأنه أقام الكون على أساس الحكمة البالغة والنظام الكامل فانني أرجو له ان يقتنع . ثم انني آنست منه انه

لم يقرأ مبحث (وقوع الوحي والرسالة) أو لعله قرأه ولم يتدبره فانه لم يذكر البرهان على نفس الرسالة ويبني الشبهة عليه وانما بناها على جزء من أجزاء المقدمات وهي القول في بعض صفات الرسل عليهم السلام . وانني أكشف له شبهته أولا فأبين أنها لم تصب موضعها ثم أعود الى رأيي في الموضوع

ان (جان دَرك) التي أشتبه عليه أمرها بوحي الانبياء لم تقم بدعوة الى دين أومذهب تدعي ان فيه سعادة البشر في الحياة وبعد الموت كما هو شأن جميع المرسلين ولم تأت بآية كونية ولا علمية لايعهد مثلها من كسب البشر تحدى بها الناس ليؤمنوا بها ، وانما كانت فتاة ذات وجدان شريف هاجه شعور الدين وحركته مزعجات السياسة فتحرك فنفر فصادف مساعدة من الحكومة واستعداداً من الامة للخروج من الذل الذي كانت فيه ، وكان التحمس الذي حركته سبباً للحملة الصادقة على العدو وخذلانه . وما أسهل تهييج حماسة أهل فرنسا بمثل هذه المؤثرات وبما هو أضعف منها فان نابليون الاول كان يسوقهم الى الموت مختارين بكلمة شعرية يقولها ككلمته المشهورة عند الاهرام

وأذكر السائل الفطن بأنه لم يوافق الصواب في إبعاد الفتاة عن السياسة ومذاهبها فقد جاء في ترجمتها من دائرة المعارف مانصه : « كانت متعودة الشغل خارج البيت كرعي المواشي وركوب الخيل الى العين ومنها الى البيت وكان الناس في جوار دومرمي (اي بلدها) متمسكين بالخرافات ويميلون الى حزب اورليان في الانقسامات التي مزقت مملكة فرنسا وكانت جان تشترك في الهياج السياسي والحاسة الدينية وكانت كثيرة التخيل والورع تحب ان تتأمل في قصص العذراء وعلى الاكثر في نبوة كانت شائعة في ذلك الوقت وهي ان إحدى العذارى ستخلص فرنسا من أعدائها . ولما كان عمرها ١٣ سنة كانت تعتقد بالظهورات الفائقة الطبيعة وتتكلم عن أصوات كانت تسمعها ورؤى كانت تراها ، ثم بعد ذلك ببضع سنين خيل لها أنها قد دعيت لتخلص بلادها وتتوج ملكها . ثم أوقع البرغنيور تعديا على القرية التي ولدت فيها فقوى ذلك اعتقادها بصحة ماخيل لها » ثم ذكر بعد ذلك توسلها الى الحكام وتعيينها قائدة لجيش ملكها وهجومها بعشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانكليز الذين كانوا يحاصرون أرليان وأنها دفعتهم

عنها حتى رفعوا الحصار في مدة أسبوع وذلك سنة ١٤٢٩. ثم ذكر أنها بعد ذلك زالت خيالاتها الحماسية ولذلك هوجمت في السنة التالية سنة (١٤٣٠) فانكسرت وجرحت وأسرت

فمن ملخص القصة يعلم أن ما كان منها انما هو تهيج عصبي سببه التألم من تلك الحالة السياسية التي كان يتألم منها من نشأت بينهم مع معونة التحمس الديني والاعتقاد بالخرافات الدينية التي كانت ذائعة في زمنها . وهذا شيء عادي معروف السبب وهو من قبيل الذين يقومون باسم المهدي المنتظر كمحمد أحمد السوداني والباب بل الشبهة في قصتها أبعد من الشبهة في قصة هذين الرجلين وان كانت أسباب النهضة متقاربة فان هذين كانا كأمثالهما يدعوان الى شيء يزعمان انه اصلاح للبشر في الجملة

أين هذه النوبة العصبية القصيرة الزمن ، المعروفة السبب ، التي لا دعوة فيها الى علم ولا اصلاح اجتماعي الا المدافعة عن الوطن عند الضيق التي هي مشتركة بين الانسان والحيوان الاعجم، التي لا حجة تعمدها ، ولا معجزة تؤيدها، التي اشتعلت بنفخة وطفئت بنفخة،ـ أين هي من دعوة الانبياء التي بين الاستاذ الامام أنها حاجة طبيعية من حاجات الاجتماع البشري طلبها هذا النوع بلسان استعداده فوهبها له المدبر الحكيم الذي «أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» فسار الانسان بذلك الى كماله فلم يكن أدنى من سائر المخلوقات الحية النامية بل أرقى وأعلى . وأين دليلها من أدلة النبوة وأين أثرها من أثر النبوة؟ ان الأمم التي ارتقت بما أرشدها اليه تعليم الوحي انما ارتقت بطبيعة ذلك التعليم وتأثيره وان فرنسا لم ترتق بارشاد (جان درك) وتعليمها وانما مثلها مثل قائد انتصر في واقعة فاصلة بشجاعته وبأسباب أخرى ليست من صنعه واستولت أمته بسبب ذلك على بلاد رقتها بعلوم علمائها وحكمة حكمائها وصنع صناعها ولم يكن القائد يعرف من ذلك شيئاً ولم يرشد اليه فلا يقال ان ذلك القائد هو الذي أصلح تلك البلاد وعمرها ومدنها ، وان عدّ سبباً بعيداً فهو شبيه بالسبب الطبيعي كهبوب ريح تهيج البحر فيغرق الاسطول وتنتصر الامة

أين حال تلك الفتاة التي كانت كبارقة خفت (ظهرت وأومضت) ثم خفيت ، وصيحة علت ولم تلبث ان خفتت ، من حال شمس النبوة المحمدية التي أشرقت فأنارت الأرجاء ، ولا يزال نورها ولن يزال متألق السناء ،أمي يتيم قضى سن الصبا

وسن الشباب هادئاً ساكناً لايعرف عنه علم ولا تخيل ولا وهم ديني ولا شعر ولا خطابة ثم صاح على رأس الاربعين بالعالم كله صيحة : انكم على ضلال مبين ، فاتبعون أهدكم الصراط المستقيم ، فأصلح وهو الأمي أديان البشر عقائدها وآدابها وشرائعها وقلب نظام الارض فدخلت بتعليمه فى طور جديد ؟ لاجرم ان الفرق بين الحالين عظيم اذا أمعن النظر فيه العاقل

لاسمة فى جواب سؤال لتقرير الدليل على النبوة وانما أحيل السائل على التأمل في بقية بحث النبوة في رسالة التوحيد ومراجعة ما كتبناه أيضاً من الأمالي الدينية في المنار لاسيما الدرس الذي عنوانه (الآيات البينات ، على صدق النبوات) وان كان يصدق على رسالة التوحيد المثل « كل الصيد في جوف الفرا » فان بقيَ عنده شبهة فالاولى ان يتفضل بزيارتنا لأجل المذاكرة الشفاهية فى الموضوع فان المشافهة أقوى بياناً ، وأنصع برهاناً ، ونحن نعاهده بأن نكتم امره وان أبى فليكتب الينا مايظهر له من الشبهة على مافي الرسالة والأمالي من الاستدلال على وقوع النبوة بالفعل وعند ذلك نسهب في الجواب بما نرجو ان يكون مقنعاً على ان المشافهة أولى كما هو معقول وكما ثبت لنا بالتجربة مع كثير من المشتبهين والمرتابين ،

(س ٢) لواعتقد أحدكم بحجر لنفعه — الشيخ محمد حلمي أستاذ العربية بمدرسة سواكن الاميرية: ضمني وبعض العلماء مجلس ودار بيننا الحديث • في مرتبة الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء وآل البيت بعد الممات وهل هم قادرون على اجابة دعوة الداع اذا دعاهم وهل يملكون لانفسهم نفعاً أوضرا وفي (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه) هل هو حديث صحيح ومذكور في البخاري وفي الجامع الصغير • فقلت انا بالسلب في الكل وقالوا هم بالايجاب وقد رأينا ان نكتب لجنابكم لتأتوا لنا في مجلتكم (المنار) بفصل الخطاب فانك نعم الحكم الذي ترضى حكومته ولكم من الله الاجر ومنا الشكر

(ج) دعوة غير الله تعالى شرك ونعني بها اللجأ الى غيره فى طلب ماوراء المساعدة والمعاونة الكسبية التي تكون بين الناس عادة « وأن المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحداً » وقد أمر الله نبيه ان يبين للناس عمل الرسل ووظيفتهم بقوله «قل انما أدعو

ربي ولا أشرك به أحداً * قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً * قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً * الا بلاغاً من الله ورسالاته » الخ قال البيضاوي وغيره فى تفسير قوله « ضراً ولا رشدا » أي لا ضراً ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا «عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه اشعاراً بالمعنيين» أو هذا هو الذي يسميه البلغاء الاحتباك ومنه قوله تعالى « لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا » أي شمساً ولا قمرا ولا حرا ولا زمهريرا . وقالوا في قوله « الا بلاغا » انه استثناء من قوله « لا املك » أي لا أملك الا التبليغ والله هو الفاعل المؤثر الذي ينفع الناس ويرشدهم بالفعل . وهذه الآية بمعنى قوله تعالى « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ » وما فى معناها من آيات حصر وظيفة الانبياء فى التبليغ وقد شرحنا المقام مرارا كثيرة .

وأما الحديث فقد جاء فى كتاب (اللؤلؤ المرصوع) فيه مانصه : حديث « لو حسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » موضوع كما قاله ابن تيمية . وقال ابن الجوزي هو من كلام عباد الاصنام : اه ومن أعجب العجائب ان أمة التوحيد قد فشا فيها هذا الحديث المفترى مذ فشت فيهم نزغات الوثنية ودعاء غير الله حتى ان كل عامي يحفظه ولما نبهنا على وضعه فى درسنا العام فى المسجد الحسيني وبينا فساد الاحتجاج به قام بعض السدنة لتلك الهياكل يغري العامة بالقول بأننا نفسد لهم دينهم أن قلنا فى عمود الرخام الذى في المسجد يتمسح به الناس ويلتمسون نفعه: إنه لا ينفع فى الحقيقة ولا يضر وان النافع الضار هو الله وحده ولكنه جعل للنفع والضر أسبابا وهدانا لاجتناب الضار واجتلاب النافع بما وهب لنا من العقل والحواس والدين ، وعم اللغط بذلك حتى نصرنا الله رب العالمين ؛

(س ٢) الدعاء بين الخطبتين ــ الشيخ مبين شيخ رواق الافغان فى الأزهر : ماقولكم دام فضلكم في رفع اليدين والصوت وتشويش الناس بالدعاء عند جلوس الامام على المنبر بين الخطبتين فى يوم الجمعة كما هو رسم في زماننا فهل هو سنة أو مندوب أو بدعة أو مكروه . وحديث عبد الله بن سلام أصح من حديث أبي موسى الاشعري في تعيين الساعة التي يجاب فيها الدعاء . بينوا تؤجروا أثابكم الله :

(ج) حديث أبي موسى الذى يشير اليه السائل هو ان النبي عليه السلام يقول فى

ساعة الجمعة « هي مابين ان يجلس الامام — يعني على المنبر — الى ان يقضي الصلاة » رواه مسلم وأبو داود وقد أعلوه مع ذلك بالانقطاع والاضطراب أما الاول فلان مخرمة ابن بكير روايه عن أبيه قد نقل عنه انه قال انه لم يسمع من أبيه شيئا ٠ وأما الثاني فهو أنهم قالوا ان أكثر الرواة قد جعلوا هذا الحديث من قول أبي بردة مقطوعا وانه لم يرفعه غير مخرمة عن أبيه بردة الخ ماقالوه وقد استدركه الدار قطني على مسلم ٠ وأما حديث عبد الله بن سلام فهو ناطق بأن الساعة التي يجاب فيها الدعاء هي آخر ساعة من النهار وقد رواه ابن ماجه مرفوعا ورواه مالك وأصحاب السنن وغيرهم من طريق محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن عبد الله بن سلام من قوله ورجاله رجال الصحيح وفى معناه أحاديث أخرى تؤيده ويعارضها حديث أبي سعيد عند احمد وابن خزيمة والحاكم وهو أنه سأل النبي عنها فقال « قد كنت علمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر » ورجاله رجال الصحيح ايضا وأجيب عنه بانه لايصلح للمعارضة لجواز ان يكون ذكر بعد مانسي ٠

وللعلماء في تعيين ساعة الاجابة أربعون قولا ونيف والاكثرون على ترجيح أحد الحديثين المشار اليهما في السؤال والارجح انها آخر ساعة من نهار الجمعة والمراد بالساعة الزمانية وتصدق بدقيقة أودقائق ٠ أما رفع اليدين والاصوات بالدعاء عند جلوس الخطيب بين الخطبتين فلا نعرف له سنة تؤيده ولا بأس به لولا التشويش وأنهم جعلوه سنة متبعة بغير دليل والمأثور طلب السكوت اذا صعد الامام المنبر وانما السكوت للسماع لذلك نقول لابأس بالدعاء فى غير وقت السماع ولكن يدعو خفية لايؤذي غيره بدعائه ولا يرفع كل الناس أيديهم فيكون ذلك شعارا من شعائر الجمعة بغير هداية من السنة فيه : بل انهم يخالفون صريح السنة اذ يقوم الامام ويشرع فى الخطبة الثانية وهم مستمرون على دعائهم فأولى لهم سماع وتدبر وقت الخطبة وفكر وتأثر وقت الاستراحة وأهون فعلهم هذا ان يكون بدعة مكروهة والله أعلم

(س ٣) منصب شيخ الاسلام وتاريخه من ا — ع ٠ بالازهر :

يقرع الاسماع كثيرا لفظ (شيخ الاسلام) فهل هذا اللفظ مما اصطلح عليه المسلمون وله مدخل في شأنهم ويعتبر من الوظائف الدينية التى يوجبها الشرع أم

هذا لفظ وضعي لامساس له بالشرع؟ ومن أول من اخترعه نرجو الجواب ولكم الاجر والثواب ٠

(ج) ان هذا اللقب من الالقاب الحادثة لمنصب حادث ووظيفة شيخ الاسلام في الدولة العثمانية الفتوى الرسمية فهو المفتي الاكبر في المملكة وأحد اعضاء مجلس الوزراء وقد وضع الملوك هذا المنصب بعد ماصارت أمور المسلمين في أيدى الجاهلين بالشرع من السلاطين واعوانهم الوزراء فمن دونهم وكانوا محتاجين الى من يفيدهم حكم الشرع في بعض ما يعرض لهم في سياستهم للامة لاسيما قبل ان يستبدلوا القانون بالشرع فى كثير من أحكامهم. وكان اختراع هذا اللقب فى أوائل القرن التاسع زمن السلطان مراد خان الثاني الذى ولي السلطنة فى الثامنة عشرة من سنه وقد وليه فى زمنه محمد شمس الدين ٨٢٨ وفخر الدين العجمي سنة ٨٣٤ وشيخ الاسلام في الدولة هو الذى يولي القضاة والمفتين في المملكة كلها باذن السلطان ٠ هذا هو اللقب الرسمي والعلماء كانوا يطلقونه على البارعين في علم السنة وفقه الدين كابن تيمية والعز بن عبد السلام ويطلقونه في مصر على شيخ الجامع الازهر ٠٠

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

تابع ويتبع

قد سمعنا أقوال الناس في انساب الشعوب ولكل أمة أساطير تحكيها في أصلها ونسبها وتنتحل لها من الفضل والتميز ماتنتحل ٠ وكل الذي زعموه خيال لايصح و « كذب النسابون ».

أما هؤلاء البحاثة النسابة من الاوربيين وهم أمثل النسابين في هذا العهد لامعانهم في التدقيق وامعانهم في التحقيق فانهم يذهبون الى ان القرابة القريبة انما تعرف بتقارب اللغات ٠ وقد يصح هذا لو كان لنا ثقة بأن الاقوام المتباعدة لم يطرأ على ألسنتهم تغييرات توجب فيها قرباً من ألسنة البعداء وبعداً من ألسنة القرباء ولكن أنى لنا تلكم الثقة ؟

وههنا نكتة كنا نودّ أن يسلم منها هؤلاء المحققون وهي نسبة العترة المتولدة

من والدين مختلفي القبائل الى قبيلة الاب من دون الام • فما الداعي ان تقول فلان ابن فلان حتى نوصله الى أصل قبيلة ذي الصلب المشكوك ولا نقول فلان ابن فلانة حتى نوصله الى قبيلة ذات الرحم المتيقن ؟ ولكن سنرى لهؤلاء التقليد أيضا وخلطوا ماقبل التاريخ بمابعد التاريخ اذ قالوا أصول البشر (١) الساميون (٢) والاريانيون و (٣) التورانيون ثم ألحقوا كل جيل من الشعوب الحاضرة بأصل من هذه الاصول

وان نتبع الظن كما اتبعه غيرنا فاني لاأري من قرابة للاجيال قريبة الا باعتبار تقارب المقرّات التى تفرق فيها البشر وهذا الرأي يعرفنا بقربى شعوب الارض من بعضهم فيما قبل تعريفاً يوصلنا الى مابعد • ويعطينا قاعدة نعتقد فيها بقرابات الشعوب الحاضرة اعتقادا جديدا غير اعتقاد أولئك النسابين ومقلديهم • وهي ان العبرة بآخر دور من المزيج وهذا يتحقق بتقارب المقر لابتقارب اللغة فكم نعلم من فئة هاجرت من ديارها وحلت فى ديار أخرى وتغذت من مواليدها وتزوجوا بنسائها ثم تغذت أولادهم من مواليدها وتزوجوا بنسائها فلم يلبثوا بطوناً قليلة حتى صارت أعقابهم بعضاً من الذين هاجروا اليهم فى اللون وتركيب البنى • فأيّ الفريقين أقرب الى هؤلاء ؟ آلذين هاجروا عنهم لتقارب لغاتهم أم الذين هاجروا اليهم لامتزاجهم بها وتقارب أبدانهم واشتراكها في التركب من مواليد أرض واحدة ؟ ولم لاننسب أولاد المهاجرين المتولدين من بنات المهاجر اليهم الى قبيلة أمهاتهم ؟

هذا ان حافظوا على أصل لغتهم أو ابقوا القرابة بينها وبين تلك، وقد يكون هذان كان المهاجرون كثيرين كالعرب الذين هاجروا — قبل الاسلام — من الجنوب الى الشمال وكالاوربيين الذين هاجروا — قبل التمدن — من الشمال الى الجنوب. وأما اذا لم يحافظوا على اللسان — وهو كثير — فهل تجدون لهم قريبا غير من هاجروا اليهم ثم امتزجوا بهم ؟

على انه مامن أمة اختلطت بغيرها وأخذت منها الا وتعطيها كما أخذت فان أمة هاجرت واخذت من المهاجر اليهم الفاظا وبيانات حتى خالفت من هاجرت عنهم بعض المخالفة فإنها تعطيهم الفاظا وبيانات من عندها حتى يوافق من هاجروا اليهم لمن هاجروا عنهم بعض الموافقة ثم قد تحدث أسباب تجعل هذا القليل من المخالفة أو الموافقة كثيراً

وانما التزمنا التعرض لهذا المبحث لان كلامنا في هذا الباب استدعي بيان ما هو

الاقدم من أحوال البشر . لتفيدنا معرفة تقلبه في الاطوار والادوار معرفة ماهو الانسب الراجح من سننه فان الانسب البقاء وبمثله يكون الارتقاء والمرجوح منه ما بادومنه ماسيبيد بهمة المتفكرين .

وبالذى حررناه يجلي لكم ان رابطة القومية قد اسسها قصد التعاون من بعد تفرق الازواج فى كل مغار ، فهو الذي جمع ابناء من أزواج متعددين على رابطة معناها قانون يحكم فيه بتكافل القرباء وتوحيد مصالحهم التي هي بالنسبة الى غيرهم

وقد رضخ البشر لهذا القانون الصناعي المادي حتى ظنه الظانون طبيعيا روحيا ليئسوا من معالجة المرضى بالتعصبات التى لم تأذن بها الانسانية (هي المعنى المخلوق لاجله الانسان) ويدلنا على كونه غير طبيعي كثرة مايدعو اختلاف المصالح بين القرباء الى تبعيدهم وتقريب البعداء . وكم علمنا من حوادث جرت على هذه السنن . وليس بعيدا عهد المستعينين بالمماليك وهم أبعد البعداء ، على سراة أممهم وخواص اسرتهم وهم أقرب القرباء ، وسواء كان المستعينون بالغريب على القريب مدافعين أو مهاجمين فكلتا الحالتين تهديانا الى وقوع تعاد بين القرباء يوقع الفرقة والترة ، وحدوث تعاون بين البعداء يحدث الصلة والقرة . وهذا يهدينا الى ان الاصل صناعي لاطبيعي .

ولعل الذين يرون رسوخ ذلك الرضوخ لذلك القانون (رابطة القومية) طبيعيا انما يبنون ظنهم على ان قرابة الابدان توجب قرابة الافكار والقلوب . وهو ظن ليس ببعيد بل يتبادر الى ذهن كل امرئ بيد ان انعام النظر يهدي الى أن الحس يخطئ هذا الظن وذلك اننا نجد أخص قرابة وهي قرابة الاولاد من الوالدين لاتوجب قرابة الافكار والقلوب الااذا كانت افكار الاولاد مأسورة بيد الوالدين أو أحدهما وهو الاكثر . والبداهة تشهد ان هذه القرابة الفكرية على هذا الوجه صناعية أيضا . ومن المشاهد ان الذين خلصوا من هذا الاسر قد بعدوا بأفكارهم عن افكار والديهم بعدا شاسعا . ومن العجب ان هؤلاء الخالصين من ذلك الاسر على قلتهم وانفرادهم فى أممهم كانوا هم المغيرين لعادات البشر واخلاقهم . والتغيرات التى حدثت فى النوع هي الدرجات التى تنقل فيها حتى بلغ هذا اليوم وشعوبه واجياله متفاوتة هذا التفاوت

بل نحن نجهر بما أخفى من هذا وهو ان البشر قبل ان يرتقوا (أي قبل ان تحدث لهم روابط أخرى غير رابطة القومية) لم تكن رحمتهم لاولادهم طبيعية لعلة انهم أجزاء منهم ، وأقرب الاغيار اليهم ، وامانة عظمى في أيديهم ، بل كانت رحمتهم طبيعية لعلة أنها لازمة من اللوازم العامة فلم يك من فرق بينها وبين تلك الرحمة الموجودة عند الحيوان مادام مولوده صغيراً محتاجاً للرحمة .

وتظهر الثمرة من اختلاف العلتين في نقصها متى كبر أو فقدانها الان تنقلب الى معنى آخر فيكون الحكم لذلك المعنى لا لها .

وذلك المعنى قد يكون الامل بأن يكون عونهما يوم يكونان ضعيفين ويكون قوياً وقد يكون حنين النفس الى ما ألفته بواسطة التربية . ومألوف النفس مرحوم عندها ومحبوب ومولوه به . وقد تألف النفس جماداً أو نباتاً أو حيواناً فيكون لديها أعز من الولد . ولا سيما اذا شارك الالفة شيء من التربية لان من جملة حب الذات حب صنعتها والا لما صنعت والتربية من الصنعة بل هي أم الصنائع لان فى معناها التزيد وهو روح الصنع .

فالامل هو الذى يجعل الابناء أعز وأحب من البنات بل فقده هو الذى كان يجعل البنات حملا ثقيلا يجب الاسراع بطرحه كمثل اولئك الذين كانوا يئدونهن فلو كانت رحمتهم للاولاد لتلك العلة المظنونة (علة كونهم اجزاء من الوالدين وامانة كبيرة عندهما) لما كان هذا الفرق . ولما كان فرق أيضاً بين أولاد الابناء وأولاد البنات وانك لتراهم يفرقون . قال قائل منهم :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الاباعد

والامل هو الذى يكثر الحب والرحمة للاولاد اذا قلوا ولا سيما اذا كان الوليد وحيداً ويقلله اذا كثروا . والتربية هي التي تجعل الصغير أعز من الكبير غالبا عند الامهات . والذكر أعز من الانثى لدى الآباء . والتربية هي التي تجعل المربى البعيد من الانسان في حكم الولد . كمثل ولد حملت به زوجته من غيره ثم وضعته على فراشه ورباه فى خبائهما بل كولد التقطاه ليكون لهما فى حكم الولد . وتجعل غير المربى القريب من الانسان في حكم البعيد كولد حملت به منه غير زوجته ووضعته على غير فراشه ، وولد حملت به ولما وضعته رمته ليلتقطه الابعدون او لتأكله الكلاب والذئاب .

هـذا وما نحن في هذه البيانات بواترين حق تلك الصناعة التي كشفنا اسرارها من أول نشأتها • ولـكننا مهدنا تقلبها لنشير الى بطلان أكثر التعصبات المبنية عليها عند الذين تزكت نفوسهم وصحت اخلاقهم • فإنه لامعنى لدى أهل هـذا العلم (علم النفس ومايصلحها — علم الاخلاق) لتعصب كل قوم على آخرين بغير الحق الا الاثم والعدوان، والبغي والطغيان • وساء ذلك من تعاون. وماهو الا التغابن لوكانوا يفقهون وقد اغتر بها الانسان • يوم عداه العرفان • من أجل هذا كتب عليه الاثقلان . الجهاد والعدوان • وغلب عليـه المهلكان . الاستبداد والكفران . وبئس ذلـكم الشان •

واقبح من تلك التعصبات الباطلة الفخر بالانساب وتخيل الشرف والمجد بالتولد من ذاك الوالد وذاك الجد . وان تلك لاوهام باطلة، لاتروج الا على العقول الباطلة، ولا يتعلق بها الا كل ختال ختار ، فقوا أنفسكم من هـذا العار ـ أن تكونوا لهـا فاعلين، أو تكونوا بها مؤمنين .

هذا ماتوصيكم به الفضيلة وهي التي تزكي حقائقكم وتهب كل نفس قوتها وسعادتها، وأما ماتوصيكم به السياسة وهي التي تزكي أسماء جماعاتكم . وتهب كل جماعة حظها من التميز على أختها فانها توصيكم أن لاتنسوا حظكم من تلك الرابطة وان استعنتم بالاوهام، وتوصيكم ان لاتجمدوا عليها لئلا تبقوا كالانعام ؛ كما بقي أهـل المغارات واخوانهم ممن فى الخيام ، فكونوا من اخوان الفضيلة أو اخوان السياسة انكم مخيرون • وتفكروا ينفعكم التفكر ولعلكم ترشدون . ولا تقلدوا ان المقلدين اخوان الهون • ومن ظن أن حكم الامم بهذه الرابطة فأعلموه انهم بالسياسة حاكمون • وفى الآتي نفصله للذين يقرأون .

(ع . ز)

باب الأخبار والآراء

﴿ استمساك العرب بالدولة العلية ﴾

زار اللورد كرزون حاكم الهند العام الخليج الفارسي من مدة قريبة ولما عرج على جزيرة البحرين زار فيها هو وقرينته صديقنا محمد باشا عبد الوهاب أمير

دارين الشهير فى محله التجاري بالبحرين ورغبت اللادى كرزون اليه ان يطلعها على جميع أصناف اللؤلؤ فسرت مما شاهدته منها ولم تكن رأته وقد زار صديقنا المذكور جناب اللورد فى بارجته الحربية كما زاره غيره من الامراء ولكن كتب الينا من هناك ان الزورق الذى حمل محمد باشا عبد الوهاب الى بارجة اللورد كان مرفوعا عليه العلم العثماني دون غيره وانه عند اللقاء قدم الى جناب اللورد كتابا بدأه بالبسملة الشريفة وحمد الله تعالى ثم ذكر ان الملوك والحكام انما يتفاضلون بالائتلاف الذى فيه صلاح البرايا ثم انتقل من ذلك الى الثناء على السلطان عبد الحميد خان الذى أتحفه بالرتب العالية والوسامات السامية وذكر ان بلاده تتقدم في الحضارة وترقي التجارة في ظل الدولة العلية ترقيا مستمرا. ثم أثنى بعد ذلك على الحكومة القيصرية الهندية وعلى جناب اللورد خاصة لتشريفه بزيارته ولما يراه من الرعاية وتسهيل سبل التجارة عليه فى الممالك الهندية . وأعرب فى ختام الكتاب عن رجائه ورجاء أهل بلاده فى « ان يكون هذا التشريف الميمون سببا في زيادة الاتفاق الصادق بين الدولتين الفخيمتين ـ الدولة العلية العثمانية والدولة الفخيمة القيصرية »

ولا يخفى ان انكلترا تعتبر جزيرة البحرين تحت حمايتها أما دارين فانها تابعة للدولة العلية وهي فى الحقيقة ميناء بلاد نجد في جنوب بلاد العرب ووجود مثل محمد باشا عبد الوهاب فيها يزيد في تعلق أهلها بالدولة العلية والاستمساك بعروتها وفق الله الدولة وأمراء العرب الى ما به دوام الاتفاق وخير المسلمين آمين

﴿ نصيحة لمسلمي سيرالون ﴾

قد علم من الرسالة المنشورة في الجزء الماضي عن سيراليون ان مسلمي تلك البلاد قد فتك فيهم الجهل والتعادي ولا علاج لهم من هذا الداء الا بالتعليم والتمسك بآداب الدين وقد قيض الله لهم فى هذه الايام من يرشدهم الى ترقية تعليم العربية والدين فعليهم ان يغتنموا هذه الفرصة ويأخذوا بارشاد ذلك السائح . وقد جاءنا رجل منهم سوداني اسم هارون الرشيد يريد طلب العلم في الازهر فأخبرنا بمثل ما كتب السائح من حالهم التعيسة وأثنى عليه ثناء حسنا

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الثلاثاء غرة ذي القعدة سنة ١٣٢١ — ١٩ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى الازهر)

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

كان الكلام من أول السورة الى هذه الآية بأسلوب واحد في سياق واحد . ذكر حقية الكتاب وكونه من نصوع البرهان بحيث يدفع ريب المرتاب بين ان يدنو منه اويتسامى اليه ، ثم ذكر أصناف الناس فى أمر الايمان به وعدم الايمان به وأطال الحجاج والمناظرة فى خطاب أهل الكتاب خاصة لما تقدم من أنهم كانوا موضع الرجاء فى المبادرة الى الايمان بالنبي وما جاء به لانه وافقهم فى أصل الدين وصدق أنبياءهم وكتبهم وذكرهم بما نسوا ، وعلمهم ماجهلوا ، وأصلح لهم ماحرفوا ،

وزادهم معرفة بأسرار الدين وحكمته ، كما أنهم كانوا فى موضع الشبهة عند المشركين والمنافقين بما كفروا ، وفي موضع الحجة عليهم بما آمنوا ، قال تعالى في الاحتجاج على المشركين « أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ » وقد جاءت محاجة أهل الكتاب على طريقة الاطناب لما كانوا عليه من جمود القرائح والبعد عن البلاغة كما حكى عنهم انهم قالوا « قلوبنا غلف » ومن فساد الاذهان بالتعوّد على التأويل والتحريف فكان يبدأ لهم المعنى ويعاد ويساق اليهم القول بطرق بينة ويؤكد بضروب من التأكيد تبعد به عن قبول التأويل والتحويل ، وكان مما حجوا به التذكير بحال سلفهم الانبياء وبحالهم معهم من عصيانهم وايذائهم فى عهدهم ، والغرور بانتظار شفاعتهم والاستغناء بها من بعدهم ،

ثم ان الكلام في هذه الآية « واذا ابتلى ابراهيم ربه » وما بعدها موجه الى مشركي العرب ووجه الاتصال بينها وبين ماقبلها أن ذلك كان يتضمن الاحتجاج على أهل الكتاب بسلفهم الصالح وهذا يتضمن الاحتجاج على مشركي قريش وأمثالهم بسلفهم الصالح فانهم ينتسبون الى اسماعيل وابراهيم ويفتخرون بانهما بنيا لهم الكعبة معبدهم الاكبر وكانوا فى عهد التنزيل قد اختلطوا بالامم المجاورة التي تعرف لهم هذا النسب

وانك لترى الكلام هنا جاريا على طريقة الايجاز والاشارة لما كان عليه العرب من حدة الفكر وصفاء الاذهان ، ودقة الفهم ورقة الوجدان ، على ان هذه الآيات تصلح حجة على الفريقين لان أهل الكتاب كافة يجلون ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويعتقدون بنبوته والاسرائيليون منهم ينتسبون اليه ولكن الخطاب في قصته موجه الى العرب أولا وبالذات ، فتلك

حجج القرآن على أهل الكتاب الذي جاء لاصلاح دينهم وترقيتهم فيه ودين الله واحد في جوهره ، وهـذه حججه على أهل الشرك والوثنية الخالصة التي جاء لمحوها من الارض واثبات نقيضها وهو التوحيد والتنزيه واثبات البعث والنشور ،وقد أقام الحجج على هذين الاصلين من الطرق العقلية والكونية فى مواضع كثيرة لاسيما فى السور المكية

قال تبارك اسمه « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن » عبر عن التكاليف بالكلمات لانها تدل عليها وتعرف بهـا عادة ولم يذكر الكلمات ماهي ولا الاتمام كيف كان لان العرب تفهم المراد بهذا الابهام والاجمال وأن المقام مقام اثبات ان الله تعالى عامل ابراهيم معاملة المبتلي أي المختبر للشيء لتظهر حقيقة حاله فظهر بهذا الابتلاء والاختبار فضله باتمامه ما كلفه الله تعالى به وإتيانه به على وجه الكمال

هذا هو المتبادر ولكن المفسرين لم يألوا فى تفسير الكلمات والخبط فى تعيينها فقال بعضهم انها مناسك الحج وقال آخرون انها خصال الايمان واستخرجوها من آيات من القرآن وذهب بعضهم الى ان الاشارة بالكلمات الى الكوكب والقمر والشمس التي رآها واستدل بأفولها على وحدانية الله تعالى وكأن قائل هذا يعتقد ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يظن ان هـذه الكواكب اربابا وحاش لله ما كان منه الا ان قال « هـذا ربي » تمهيدا للحجة والبرهان ولذلك قال تعالى بعـد حكاية ذلك عنه « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه » وذهب قوم الى ان المراد بها جعل الله إياه اماما وتكليفه باقامة البيت وتطهيره وان بقية الآية مفسر للابهام فيها. وادعى بعضهم ان المراد أمره فى المنام بذبح ولده وانما هذا الامر كلمة

واحدة فكيف جعلوها عشرا وزعم آخرون ان الكلمات هي الخصال العشر التي تسمى خصال الفطرة وهي المضمضة والاستنشاق الخ وقيل غير ذلك

قال (الاستاذ الامام) عند ايراد قول المفسر (الجلال) فى تفسير الكلمات : انها الخصال العشر : ان هذا من الجراءة الغريبة على القرآن ولا شك عندي فى أن هذا مما أدخله اليهود على المسلمين ليتخذوا دينهم هزؤا ، وأي سخافة أشد من سخافة من يقول ان الله تعالى ابتلى نبيا من أجل الانبياء بمثل هذه الامور واثنى عليها باتمامها وجعل ذلك كالتمهيد لجعله اماما للناس وأصلا لشجرة النبوة ؟ . وان هذه الخصال لو كلف بها صبي مميز لسهل عليه اتمامها ولم يعدّ ذلك منه أمرا عظيما . والحق ان مثل هذا يؤخذ كما أخبر الله تعالى به ولا ينبغي تعيين المراد به الا بنص عن المعصوم

ذكر تعالى أن ابراهيم أتم الكلمات وانه تعالى « قال » له « اني جاعلك للناس اماما » وقد فصلت الجملة عما قبلها ولم يقل : فقال اني جاعلك : للإشعار بأن هذه الامامة بمحض فضل الله تعالى واصطفائه لا بسبب اتمام الكلمات فان الامامة هنا عبارة عن الرسالة وهي لا تنال بكسب الكاسب . وليس فى الكلام دليل على ان الابتلاء كان قبل النبوة . وأما فائدة الابتلاء فهي تعريف ابراهيم عليه السلام بنفسه وانه جدير بما اختصه الله به ، وتقوية له على القيام بما يوجه اليه ، . وقد تحققت إمامته للناس بدعوته اياهم الى التوحيد الخالص وكانت الوثنية قد عمتهم وأحاطت بهم فقام على عهده بالحنيفية وهي الايمان بالتوحيد الله والرسالة وتسلسل ذلك في ذريته خاصة فلم ينقطع منها دين التوحيد ولذلك وصف

الله الاسلام بأنه ملة ابراهيم .

ولما بشر الله تعالى ابراهيم بجعله اماما للناس « قال » ابراهيم «ومن ذريتي» أي واجعل من ذريتي أئمة للناس وهو إيجاز فى الحكاية عنه لا يعهد مثله الا فى القرآن . وقد جرى ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم على سنة الفطرة في دعائه هـذا فان الانسان لما يعلم من ان بقاء ولده بقاء له يحب ان تكون ذريته على أحسن حال يكون هو عليها ليكون له حظ من البقاء جسدا وروحا . ومن دعاء ابراهيم الذى حكاه الله عنه فى السورة المسماة باسمه « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي » وقد راعى الادب فى طلبه فلم يطلب الامامة لجميع ذريته بل لبعضها لانه الممكن وفي هذا مراعاة لسنن الفطرة أيضا وذلك من شروط الدعاء وآدابه فمن خالف في دعائه سنن الله فى خليقته أو فى شريعته فهو غير جدير بالاجابة بل هو سيئ الادب مع الله تعالى لأنه يدعوه لان يبطل سنته التي لا تتبدل ولا تتحول أو ينسخ شريعته بعد ختم النبوة وإتمام الدين .

استجاب الله دعوة ابراهيم وعبر عن ذلك بقوله « قال لا ينال عهدي الظالمين » أي انني أعطيك ماطلبت وسأجعل من ذريتك أئمة للناس ولكن عهدي بالامامة لا ينال الظالمين لانهم ليسوا بأهل لان يقتدى بهم، ففي العبارة من الايجاز ما يناسب ما قبلها . وانما اكتفى فى الجواب بذكر المانع من منصب الامامة مطلقا وهو الظلم لتنفير ذرية ابراهيم من الظلم وتبغيضه اليهم ليتحاموه وينشّئوا أولادهم على كراهته ويربوهم على التباعد عنه لكيلا يقعوا فيه فيحرموا من هـذا المنصب العظيم الذى هو أعلى المناصب وأشرفها ، ولتنفير سائر الناس من الظالمين وترغيبهم عن

الاقتداء بهم فان النـاس قد اعتادوا على الاقتداء بالرؤساء والملوك الظالمين لانفسهم ولغيرهم بالخروج عن الشريعة الا مايوافق أهواءهم ويحرفون أو يأوّلون الاحكام لتطابق شهواتهم وقد درجوا على ذلك فى كل عصر ماعدا عصر النبوة وما قاربه كعصر خلافة النبوة كما يعلم من شهادة التاريخ التى لاترد

الامامة الصحيحة والاسوة الحسنة هي فيما تكون عليـه الارواح من الصفات الفاضلة والملكات العلمية التى تملك على صاحبها طرق العمل فتسوقه الى خيرها وتزعه عن شرها ولا حظَّ للظالمين فى شيء منها ، وانما هم أصحاب الرسم وأهـل الخداع والانخداع بالظاهر ، ولذلك يصفون أعمالهم وأحكامهم بالرسمية . وقد جعل الله ابراهيم إماما للناس وذكر لنا في كتابه كثيرا من صفاته الجليلة كقوله تعالى « ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا » الآيات وقـوله « ان ابراهيم لحليم أوّاه منيب» ولم يذكر لنا شيأ من زيّه وكيفية ثيابه ، ولاوصف لنا كيفية طعامه وشرابه ، بل أرشدنا الى ان دعوته الصالحة لايدخل فيها ولا ينتفع بها أحـد من ذريته الا من اجتنب الظلم لنفسه وللناس

وقد أخذوا من هذه الآية حكما أصوليا وهو ان الظالم لايجوز أن يكون خليفة فى الارض واشـترطوا لصحة الخلافة فيما اشترطوا العلم والعدل ، ونقـل ان أبا حنيفة (رح) كان يفتي سرا بجواز الخروج على المنصور ويساعد عليا بن الحسن على ماكان ينزع اليه من الخروج عليه . اكتفى الاستاذ الامام من الدرس بهـذا القـدر من الاستشهاد . ومن الناس من يعلل إباء أبي حنيفة وغيره من الائمة منصب القضاء فى زمن

المنصور وأمثاله من الامراء باعتقاد عدم صحة إمامتهم وعدم انعقاد ولايتهم ويروى ان أبا حنيفة كان يرى يومئذ ان الامامة يجب ان تكون للعلويين خاصة

ثم ذكر الاستاذ الامام هنا أئمة العلم وقال: ان الناس لم يرعووا عن الاقتداء بالظالمين حتى بعد هذا التحذير الذى أوحاه الله الى ابراهيم ثم أعلم به محمدا عليهما الصلاة والسلام فانهم ظلوا على دين ملوكهم وهم اليوم وقبل اليوم يدعون الاقتداء بالائمة الاربعة (رض) وهم كاذبون في هذه الدعوى فانهم ليسوا على شئ من سيرتهم فى التخلق بأخلاق القرآن وتحري اتباع الكتاب والسنة فى جميع الاعمال:

اكتفى الاستاذ الامام بهذه الاشارة في الدرس ونزيدها ايضاحا فنقول قد غلبت على الناس أهواء السلاطين والحكام الظالمين، حتى ان هؤلاء الائمة الاربعة لم يسلموا من اولئك الظالمين فقد سجن أبو حنيفة وحاولوا إلزامه بقبول القضاء لما رأوا من اقبال الناس على الاخذ عنه فلم يقبل فضربوه وحبسوه ولم يقبل كما هو مشهور . وضرب الامام مالك سبعين سوطا لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان ، نقله ابن خلكان عن شذور العقود لابن الجوزي ونقل عن الواقدي انه لم يكن في آخر عهده يشهد الصلوات فى المسجد ولا الجمعة وكان يقول : ليس كل الناس يقدر ان يتكلم بعذره : وسعي به الى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما) وهو عم أبي جعفر المنصور وقالوا له إنه لا يرى أيمان (عهود) بيعتكم هذه بشئ : فغضب جعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه وارتكب منه أمرا عظيما: وخبر طلب هرون الرشيد الشافعي للقضاء

وإبائه واختفائه ثم هرب به مشهور وأشهر منه محنة الامام أحمد وحبسه وضربه الضرب المبرح . فهكذا عامل الملوك الظالمون هؤلاء الائمة وبلغوا منهم ومن الناس بظلمهم ما أرادوا من إفساد الدين والدنيا . وكلنا يعلم ان أولئك الذين ظلموا الائمة الذين يدعي الامراء والحكام اليوم اتباعهم كانوا أقل توغلا واسرافا في الظلم من أكثر الملوك والأمراء المتأخرين وانك لترى الناس تبعا لأهواء هؤلاء الرؤساء الامن وفقه الله وهداه وقليل ماهم بل هم الغرباء في الارض

والعبرة في مثل ما أشرنا اليه من الاحداث ان الظالمين من حكام هذه الامة بدأوا بتحكيم أهوائهم السياسية في الدين وأهله من القرن الاول وكانوا اذا رأوا الناس قد أقبلوا على رجل من رجال الدين استمالوه، فان لم يمل اليهم آذوه وأهانوه ، ولكن كان الدين وطلب الحق غالبا على أمر المسلمين فقد نقل المؤرخون ان الامام مالكا لم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حليا حلي به . ولو أمر أحد السلاطين المتأخرين بضرب عالم من أعلم أهل العصر لانه لايرى عهد بيعته صحيحا أو لانه أفتى بما لايوافق غرضه (كما نقل عن مالك) لما رأيت له رفعة ولا احتراما عند الناس ولا عرض الجميع عنه فأما العقلاء العارفون بفضله فيعرضون عنه بوجوههم وأما الغوغاء من العامة ومن في حكمهم فيعرضون عنه بقلوبهم ووجوههم ويعتقدون كفره أو فسقه وابتداعه

ذلك ان الظالمين من الامراء قد استعانوا بالظالمين من الفقهاء على اقناع العامة بانهم أئمة الدين الذين يجب اتباعهم حتى في الامور الدينية وحالوا بينهم وبين كتاب الله الذي ينطق بان عهد الله بالامامة لاينال الظالمين ، وغشوهم بان أئمة الفقه الاربعة يحكمون بذلك، ولو عرف الناس

سيرتهم مع خلفاء زمنهم لما تيسر غشهم - هذا وان الحاكمين على عهدهم كانوا على علم بالكتاب والسنة واتباع لهما في أكثر أعمالهم وأحكامهم والمتأخرين لايعرفون من ذلك أكثر مما يعرفه السوقة ويعملون بخلاف مايعلمون، بل يشرعون للناس أحكاما جديدة يأخذونها من قوانين الامم من غير تطبيق على الشريعة ولا على مصلحة الامة ويلزمون عمالهم وقضاتهم بالحكم بها باسمهم لا باسم الله تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»

﴿ باب الفقه فى أحكام الدين ﴾

كلمة في القبور (*)

لا نريد بهذا العنوان البحث عن تاريخ القبور كالنواويس والاهرام وما شاكلها من معالم الوثنية الأولى وانما نريد الوقوف بفكرة القارئ عند اختلاف المؤرخين فى مكان قبر أبى عبيدة كاختلافهم فى تعيين كثير من قبور رجلة الصحابة الكرام الذين دوخوا هذا الملك العظيم وتحلوا بتلك الشيم الشماء وبلغوا من الفضل والتفضل والتقوى والصلاح غاية لم يبلغها أحد من الاولين ولا الآخرين . وقد بسط المؤرخون أخبار أولئك الرجال العظام وعنوا بتدوين آثارهم العظيمة فى فتوح الممالك والبلدان حتى لم يتركوا فى النفوس حاجة للاستزادة ونعم ماخدموا به الامة والدين

انّ القارئ اذا وقف بفكره عند هذا الامر وقفة المتأمل لا يلبث ان يأخذه العجب لأول وهلة من ضياع قبور أولئك الرجال العظام واختفاء أمكنتها عن نظر نقلة الاخبار ومدوني الآثار على جلالة قدر أصحابها وشهرتهم التي طبقت الآفاق وملأت النفوس اعظاماً لقدرهم واكباراً لجلائل أعمالهم

(*) نبذة من الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام ، الذي يطبع بمطبعتنا في هذه الايام ،

وثناء عليهم وتكريما لذكر أسمائهم وشكراً لآلائهم واعترافا بجميلهم واقرارا بفضيلة سبقهم بالايمان ونشرهم دعوة القرآن

لاجرم ان القارئ أقل ماتحدثه به النفس عند التأمل في هذا الامر ان أولئك الرجال ينبغي ان تعلم قبورهم بالتعيين، وتشاد عليها القباب العاليات ذات الاساطين، اذا لم يكن لشهرتهم بالصلاح والتقوى وصدق الايمان وصحبتهم للنبي عليه الصلاة والسلام فلما أتوه من كبار الاعمال ، التي تعجز عنها أعاظم الرجال ، فكيف غابت قبورهم عن نظر المؤرخين ، ودرست اجداثهم التي تضم أكابر الصحابة والتابعين، حتى اختلف في تعيين أمكنتها أرباب السير، وعفا من أكثرها الاثر، الا ماعلموه بعدُ بالحدس والتخمين، وأظهروا أثره بالبناء عليه بعد ذلك الحين، مع ان المشاهد عند المسلمين صرف العناية الى قبور الاموات بما بلغ الغاية بالتأنق في رفعها وتشييدها ورفع القباب عليها واتخاذ المساجد عندها لاسيما قبور الامراء الظالمين الذين لم يظهر لهم أثر يشكر فى الاسلام، والمتمشيخة والدجالين الذين كان أكثرهم يجهل أحكام الايمان، ولا نسبة بينهم وبين اولئك الرجال العظام كأبي عبيدة بن الجراح واخوانه من كبار الصحابة الكرام الذين تلقوا الدين غضا طريا، وبلغوا بالتقوى والفضيلة مكانا قصيا،

والجواب عن هذا ان الصحابة والتابعين لم يكونوا في عصرهم باقل تقديراً لقدر الرجال وتعظيما الشأن من نبغ فيهم من مشاهير الابطال وأخيار الامة الا أنهم كانوا يأنفون من تشييد قبور الاموات وتعظيم الرفات لتحققهم النهي الصريح عن ذلك من صاحب الشريعة الغراء الحنيفية السمحة التي جاءت لاستئصال شأفة الوثنية ومحو آثار التعظيم للرفات ، او العكوف

على قبور الاموات ، ويرون انّ خير القبور الدوارس وانّ أشرف الذكر في أشرف الاعمال . لهذا اختفت عمن أتى بعد جيلهم ذلك قبور كبار الصحابة وجلة المجاهدين الا ماندر ثم اختلف نقلة الاخبار في تعيين امكنتها باختلاف الرواة وتضارب ظنون الناقلين . ولو كان في صدر الاسلام أثر لتعظيم القبور والاحتفاظ على أماكن الاموات بتشييد القباب والمساجد عليها لما كان شيء من هذا الاختلاف ولما غابت عنا الى الآن قبور اولئك الصحابة الكرام كما لم تغب قبور الدجاجلة والمتمشيخين التي ابتدعها بعد العصور الاولى مبتدعة المسلمين وخالفوا فعل الصحابة والتابعين . حتى باتت اكثر هذه القباب تمثل هيا كل الاقدمين وتعيد سيرة الوثنية باقبح انواعها وأبعدمنازعها عن الحق . وأقربها من الشرك . ولو اعتبر المسلمون بعدُ باختفاء قبور الصحابة الذين عنهم أخذوا هذا الدين وبهم نصر الله الاسلام لما اجترأوا على اقامة القباب على القبور وتعظيم الاموات تعظيما يأباه العقل والشرع وخالفوا في هذا كله الصحابة والتابعين الذين أدّوا الينا أمانة نبيهم فاضعناها وأسرار شريعته فعبثنا بها ، واليك مارواه في شأن القبور مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي قال : قال عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله (ص) أن لا أدع تمثالا الاّ طمسته ولا قبراً مشرفا الا سويته : وفي صحيحه أيضا عن ثمامة بن شُفَيّ قال : كنا مع فَضالة بن عبيد بارض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي . ثم قال سمعت رسول الله (ص) يأمر بتسويتها (١)

(١) الاحاديث الواردة بالنهي عن تشييد القبور وتعظيمها ولعن من يتخذها مساجد ويقصدها بالنذور كثيرة قد استقصى الكلام عليها كثير من الأئمة المصلحين

هكذا بلغونا الدين وادّوا الينا أمانة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تأكيدا لعهد الامانة بدأوا بكل ماأمرهم به الرسول بأنفسهم لنستن بسنتهم ونهتدي بهدي نبيهم ولكن قصرت عقولنا عن ادراك معنى تلك الجزئيات. وانحطت مداركنا عن مقام العلم بحكمة التشريع الالهي" والامر النبوي" القاضي بعدم تشييد القبور اتقاء التدرج فى مدارج الوثنية. فلم نحفل بتلك الحكمة وتحكّمنا بعقولنا القاصرة بالشرع فحكمنا بجواز تشييد القبور استحبابا لمثل هذه الجزئيات حتى أصبحت كليات وخرقا فى الدين وإفساداً لعقيدة التوحيد اذ مازلنا نتدرج حتى جعلنا عليها المساجد وقصدنا رفاتها بالنذور والقربات ووقعنا من ثم فيما لاجله أمرنا الشارع بطمس القبور كل هذا ونحن لانزال فى غفلة عن حكمة الشرع نصادم الحق ويصادمنا حتى نهلك مع الهالكين اه

مسئلة ذبائح أهل الكتاب

﴿ تأييد الفتوى بالاجماع ﴾

وقعة الفتوى ان النصارى في قطر من الاقطار (هو الترنسفال) يضربون البقر قبل ذبحه بآلة محددة تسمى البلطة ثم يذبحونه ذبحا وانهم في زعم السائل لايسمون الله على ذبائحهم

(تحرير الجواب)

وتحرير الجواب من حيث صحة الذبح ان ضرب الحيوان قبل ذبحه بمحدد أو غير محدد لاينافي كون ذبحه بعد ذلك من التذكية التي يحل بها أكله فهو حلال باجماع

كشيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وامثالهما فلتراجع في مظانها من كتب القوم كالواسطة واغاثة اللهفان وغيرهما اه من هامش الاصل ويعلم القراء ان المنار وفّى في هذا الموضوع حقه

المسلمين من السلف والخلف والمتبادر من تصريح السائل بذبح البقر هو أنهم يذبحونه وفيه حياة اذ الميت لا يذبح . والمتبادر أن هذه الحياة هي التي يسميها بعض الفقهاء من الخلف الحياة المستقرة التي من علاماتها انفجار الدم والحركة العنيفة إذ لو ذكي الحيوان وليس فيه الا الرمق لما اعتد العامي (كالمستفتي في الواقعة) بذبحه بل لما سماه ذبحا فالحياة هي الأصل ولم يرد في السؤال مما يدل على زوالها أو بقاء الرمق فيها فقط فيقال انها حلال على رأي الجمهور والاكثر كما قال المفسرون (ونقلنا ذلك عنهم في الجزء الماضي) لا بالاجماع كما تدعي

وماقلناه من ان إطلاق السؤال انهم يذبحون بعد الضرب يقتضي ان يكون المذبوح حلالا بالاجماع نعرضه على علماء الاسلام في مصر وفي سائر الاقطار ونقول انه لا يمكن لأحد منهم رده . ومن يزعم ان أئمة المسلمين اختلفوا فى حل الحيوان يذبح بعد ضرب بأي شيء فليكتب الينا بالبيان لننشر قوله ونحن على يقين من ان كل عالم اسلامي يعلم انه لا خلاف في ذلك وانما الخلاف فيما اذا ثبت ان الحيوان ذبح بعد عروض سبب يحال عليه الهلاك وليس فيه حياة مستقرة فقال بعض الفقهاء لا يحل وقال أكثرهم انه يحل وتقدم في الجزء الماضي قول المفسرين في ذلك . وعلامة الحياة المستقرة انفجار الدم والحركة العنيفة كما قاله فقهاء الشافعية وقد علمت مما نقلنا عن الصحابة وغيرهم في الجزء الماضي أنه يكفي في الموقوذة ونحوها علامة تدل على الرمق من الحياة كحركة الجفن أو الذنب وأنه المتبادر من قوله تعالى « الا ما ذكيتم »

واما مسألة التسمية في الواقعة فنقول إنه لا سبيل الى الحكم على أهل قطر من الاقطار بأنهم لا يذكرون الله على ذبائحهم الا اذا كان دينهم يمنعهم من ذلك . والمسئول عنهم فى واقعة الفتوى ليسوا كذلك لانهم نصارى ولو أحل الله ذبائحهم وهم كذلك لما كان للاختلاف فى اشتراط تسميتهم وعدمها وجه من الوجوه . وقد نصوا على ان ذبيحة الكتابي لم يعلم أذكر اسم الله عليها أم غيره أم لم يذكر شيئا هي حلال بالاجماع وذلك هو الواقع في مسألتنا اذ العلم بعدم ذكر اسم الله على كل ذبيحة فى قطر الترنسفال أوفي أي بلد من البلاد متعذر وانما يتيسر العلم بذلك فى ذبيحة معينة وليس هو واقعة الفتوى . فالمسئول عنه هو فى الواقع ونفس الامر من المجهول وهو حلال بالاجماع . واننا

نعرض هذا أيضا على علماء الاسلام فى مصر وفي سائر الاقطار الاسلامية ونقول انه لايمكن رده ولا نقضه ومن زعم خلاف ذلك فعليه بالبيان . وممن صرح بالاجماع في المسألة الطبري وابن كثير كما تقدم في الجزء الماضي

واما محل الخلاف في مسئلة التسمية من الكتابي وعدمها فهو اذا علم المسلم في ذبيحة معينة ان الكتابي لم يذكر اسم الله عليها أو ذكر اسم غيره وقد رأيت النقل من الجزء الماضي عن المفسرين فى أن ممن قال بالحل من الصحابة (رض) أبا الدرداء وعبادة بن الصامت وابن عباس ومن التابعين الزهري وربيعة (شيخ الامام مالك) والشعبي ومكحول وعطاء ، وأن الشعبي وعطاء سئلا عن اليهودي يذكر اسم عزير والنصراني يذكر اسم المسيح فقالا : ان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم مايقولون: ورأيت ان عليا وابن عمر وعائشة القائلين بالمنع انما قالوا : اذا سمعت الكتابي يذكر اسم غير الله فلا تأكل : وهذه العبارة على كونها تشترط السماع ليست نصا في التحريم اذ يحتمل أن يكون النهي للتنزيه . واذا سلمنا انه للتحريم فلنا ان نقول ان المسلم في الترنسفال يسهل عليه أن يأكل من اللحم الذي يجده في السوق لانتفاء الشرط وله ان يتورع في الذبيحة التي يسمع النصراني يذكر عليها اسم غير الله فلايأكل منها ليوافق الاجماع في الحالين ولاتنس ان السائل لم يقل انهم يذكرون اسم غير الله ، فعلمنا من هذا ان الفتوى في واقعتها ليست مؤيدة برأي القاضي أبي بكر بن العربي بل هي مؤيدة بالاجماع. ومن الجهل العام ان يستطيع رجل جاهل بالشرع ، معروف بسوء القصد ، تشكيك بعض الناس في حلها

فان قيل : لماذا استدل المفتي بقول القاضي أبي بكر بن العربي من أئمة المالكية ولم يستدل بالاجماع اذا كانت المسئلة اجماعية كما قلت ؟ والجواب ان المفتي لم يكن في جوابه فى مقام المناظرة والاحتجاج وانما سئل عن حكم الله فاستدل بكتاب الله لابقول ابن العربي وبعد الاستدلال بالنص قال وأرى ان يعولوا على ماقاله فلان في تفسير الآية والغرض من ذلك الارشاد الى الاخذ بالاحتياط فى شبه مسئلة اختلف فيها الصحابة (رض) وهي ذبيحة نصارى بني تغلب قال علي كرم الله وجهه لاتحل لانهم لم يأخذوا من النصرانية الاشرب الخمر وقال غيره منهم تحل لانهم انتموا الى النصرانية ولايجب علينا البحث عن

أعمالهم فأراد المفتي أن يأخذ أهل الترنسفال بالاحتياط فلا يأكلوا الا من الذبيحة التي يأكل منها القسيسون مع العامة ، والى ان الدين يسر يبيح أكثر مما في واقعة السؤال ، ولم يكن قول ابن العربي هو العمدة له فى الاستدلال . وما ذكرناه فى مقالة الجزء الماضي يتضمن كل ما لخصناه هنا ولكن الكلام هناك متشعب والنتائج فيه ممزوجة بالمقدمات والدلائل والنقول فاختصرناه هنا ليعقله كل قارىء . والمراد بالاجماع بشرطه إجماع أهل السنة المحلين لذبائح أهل الكتاب دون الشيعة

﴿ تهافت المرجف في الفتوى ﴾

ماقام أحد بدعوة الاووجد من ابى دعوته حتى الذين ادعوا الألوهية من دون الله وشبيه الشكل منجذب اليه . وقد بدأ بالارجاف في الفتوى رجل من محرري الجرائد الساقطة عرف بالطعن فى المفتي من عدة سنين حتى زعم أنه ينكر الله أو توحيده وحوكم فى ذلك وفي مثله وحكم عليه غير مرة وسجن . ولما دفع أو اندفع صاحب الجريدة المحدثة الى الارجاف استخدمه فصار يكتب له باسمه وينقل بعض ما يكتبه له في جريدته التي صرح فيها بأنه المحرر لها فصارا اثنين فى (الظاهر) ولكنهما واحد فى الحقيقة . ثم علمنا الآن أن صاحب (الحمارة) الذي حوكم قبل الآن في طعنه بالمفتي وسجن وحدث السياسة المشهور بالطعن في المفتي أيضا قد انضما اليه أو اليهما فحدث السياسة رابعهم . فهؤلاء حماة الاسلام اليوم الذين يتبجحون بنصره والمدافعة عنه بتحريم ذبائح أهل الترانسفال وهي حلال باجماع أهل السنة والجماعة كما تقدم بل الحقيقة ان المعترض هو الاول وحده والآخران يصدقانه فقط

اما مُنفَذُ الارجاف فقد كان في أول الامر تسمية ذبائحهم موقوذة وقد أكثر اللغو في ذلك . ولما نشرت الجرائد المنتشرة المقالات المبينة أن حقيقة الموقوذة هي ما ضربت بغير محدد حتى ماتت قبل أن تذبح وفيها حياة خرق له منفذا ثانيا وهو أن أحبار اليهود وقسوس النصارى لايعتدون بذبيحة أهل الترنسفال . وقد أخذ بخناقه هذا المنفذ فخلط فيه أشد مما خلط فى الاول اذ كان ينقل من العبارة فهما بعضها على حد « لاتقربوا الصلاة » يقتصر عليها من يريد تحريم الصلاة . واذا صح أن قسوس النصارى لايعتدون بتلك الذبيحة ولا يجيزون أكلها فالفتوى صريحة في تحريمها اذ فيها اشتراط

ان يأكل منها قسيسهم وعامتهم ويتفقون على أنها حلال فى دينهم . فانظر كيف يناقض المرجف نفسه فيؤيد الفتوى من حيث لايفهم، ثم يفندها من حيث لايعلم،

ثم خرق له منفذا ثالثا وهو الطعن بابن العربي لان المفتي ذكره في فتواه وأيد رأيه فى الاخذ بالآية الشريفة مع اعتبار ذلك الشرط المذكور آنفا . أما طريق هذا الطعن فهو ان بعض الفقهاء بحث فى فتوى لابن العربي بحل مايخنقه الكتابي وقد تهافت قول المرجف وتناقض فى هذا أيضا ونقل عن المالكية مايصرح بأن فتوى القاضي ابن العربي صحيحة على خلاف فيها وان وجه النقد عليها من جهة العبارة فقط. وهو انه أطلق القول ولم يقيده بأن يكون فتل عنق الدجاجة المسؤل عنه بقصد التذكية أي الاماتة لاجل الاكل فقد جاء في نقله عن المالكية بعد نقل ماقاله ابن العربي مانصه :

﴿ ظاهر كلام ابن العربي التعارض ولكن جمع بينهما ابن عرفة ونصه : وقول ﴾
﴿ ابن عبدالسلام : أجاز ابن العربي أكل ماقتله الكتابي ولو رأيناه يقتل الشاة ﴾
﴿ لانه من طعامهم : يرد بأن ظاهره نوى بذلك الذكاة أولا وليس كذلك ــ فنقل ﴾
﴿ جميع ماتقدم عنه مختصرا وقال مانصه : قلت فحاصله أن مايرونه مذكى عندهم ﴾
﴿ يحل لنا أكله وان لم تكن ذكاته عندنا ذكاة : اهـ ﴾ اهـ من جريدتي المرجف

وما قاله ابن عرفة وهو من أكبر فقهائهم موافق لما قلناه في الجزء الماضي من أن مجموع الاحاديث يدل على أن الذكاة هي ما كان ازهاق الروح فيه بقصد الاكل لامطلق التعذيب والاعدام . وظاهره أن مسألة فتوى ابن العربي لم يكن ينقصها الا النص على أن فتل عنق الدجاجه يعد ذكاة اذا أرادوا به ذلك وكأنه لم يذكره لدلالة القرينة عليه

ثم ذكر قولا آخر عن (المعيار) فى المسألة وأنه أيد فتوى ابن العربي أيضا وقولا آخر عن الزياني وانه سلمه فعلم أن المسألة مسلمة عند فقهاء هذا المذهب

وانما أورد المرجف هذه النقول وهي حجة عليه لانه وجد ان بعض المتاخرين قال ان في هذا الكلام نظرا من وجوه . وقد تصفحنا تلك الوجوه فرأيناها غير وجيهة فانه في أولها يستشكل تصديق أحبار أهل الكتاب ورهبانهم في ان هذا حلال عندهم ويستدل على ذلك بأن القرآن شهد عليهم بالتحريف والتبديل وثبت أنهم كذبوا بحضرة النبي (ص) وانه عليه الصلاة والسلام قال « لاتصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل

البكم» وهذا الوجه حجة على ذلك المتأخر فان الله تعالى قد أطلق القول بحل طعامهم وهو عالم بذلك منهم وأخبر به نبيه والمؤمنين • فدل ذلك على أنه لا يطالب منا بل يحرم علينا ان نعتمد على مافى كتبهم المحرفة وعلى أقوالهم فيها وانما يحل لنا أكل طعامهم من غير بحث عن حكمه عندهم وانما طعامهم ما يأكلون الا ما حرم لذاته كلحم الخنزير • وقصاري هذا ان فقهاء المالكية كابن العربي اخطأوا في اشتراط كون طعامهم مما يأكل منه رجال الدين عندهم. وهذا صحيح ولذلك قلنا في الجزء الماضي ان ماقاله ابن العربي وعول عليه المفتي هو من باب الورع والظاهر ما عليه أكثر الصحابة من حل طعامهم مطلقا وان لم يتمسكوا بشي من كتبهم وأحكام دينهم كبني تغلب من متنصرة العرب

والوجه الثاني البحث في التفرقة بين لحم الخنزير وما يقتلونه بالعقر كالضرب بالشاقور . وقول ان الفرق قد تقدم في الجزء الماضي نقلا عن كتاب (صفوة الاعتبار) وباقي الوجوه مناقشات في العبارات. على أن مقتضى هذه الابحاث أن لا يحل من طعام أهل الكتاب شيء الا ما علمنا أنهم جروا فيه على أحكام الشريعة الاسلامية وماهم بفاعلين فيكون قصارى قول الباحث ان الآية لا معنى لها ولم تفد حكما جديدا وهو ظاهر البطلان. واذا اعتبرنا كلام هذا المتأخر فأكثر ما فيه ان تكون مسألة أكل ما يخنقه أو يعقره الكتابي مختلفا فيه عند المالكية . ويجب ان يكون من أعظم المرجحات ما كان أبعد عن الحرج المنفي بنص القرآن وهو قول القائلين بالحل. ولا يخفى ان هذا الخلاف ليس في موضوع فتوى مفتي الديار المصرية لان موضوع الفتوى في حيوان يذبح بعد ضرب وهو حلال باجماع أهل السنة والجماعة كما تقدم. وانما يورد المرجف ذلك في الرد على الفتوى لايهام العامة الذين لا يعقلون

الفقه في تحريم الميتة وما أهل به لغير الله

قد علم مما بيناه في الجزء الماضي من أنواع التذكية الشرعية ان الضابط العام الذي يجمعها كلها هو أن يكون ازهاق روح الحيوان بقصد أكله ويشترط فى ذلك شرط ديني واحد وهو أن لا يكون فسقا أهل لغير الله به من مسلم أو وثني مشرك بالله كالذي كانوا يذبحونه على النصب وهي حجارة تنصب ويذبح عليها للاصنام وقد نهى بعض الصحابة عن أكل ما أهل به الكتابي لغير الله وتقدم البحث فيه فى مسألة التسمية وأن الجمهور على خلافه وذكرنا فى الجزء الماضي ما يؤيد رأي الجمهور من كون

آيات تحريم الاهلال لغير الله مكية الخ وتقدم أيضا ان ما أهل به لغير الله هو أشد المحرم تحريما لأن علته دينية تتعلق بجوهر التوحيد،

ومن عجائب جهل عامة المسلمين بالدين فى هذا الزمن أن صار فيهم قوم يهلون لغير الله من الشيوخ الميتين المعتقدين ولا تكاد تجد لذلك منكرا . بل يذكر عن العامة أن بعض علماء الوقت يأكل من البهيمة (السائبة) للسيد البدوي عند ماتذبح على اسمه فى مولده واذ ذكر اسمه عند الذبح وكأن هؤلاء المشايخ يكتفون فى التأويل بأن الذبيحة تحل لان مريق الدم منسوب الى الاسلام ويذكر اسم الله وان كانت سيبت أولا وسيقت آخرا لأجل التقرب الى السيد البدوي ويقصد بها ارضاؤه والتماس الخير منه لذاته بدون ملاحظة شيء آخر كما عليه البعض أولانه واسطة عند الله يفعل الله لاجله مايريده هو أو يريد المتقرب اليه عند قبره أو فى بلده ولكن من يتدبر القرآن ويتفقه في الدين يعلم ان تحريم ما أهل لغير الله به على المسلمين حكمته أن لا يقعوا فى مثل ذلك الذي كان عليه المشركون الذين كانوا يعتذرون بما حكاه الله عنهم بقوله «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »، واذا لم نصدق ان بعض المنتسبين للعلم يأكلون مما يذبحه بعض الناس للسيد وغيره فاننا نعلم ان هذا المنكر فاش ولا ينكرونه على العامة ولو أنكره علماء الازهر والجامع الاحمدي لما استمر الناس عليه، بل لو أن الجرائد اليومية ساعدت المنار وردت قوله في إنكار مفاسد الموالد لزالت كلها أو بعضها ولكن الاهواء السياسية والشخصية لم تهب على هذه الذات أنواط ولكنها هبت على الشجرة الطيبة التي يستظل بها الاستاذ الامام تريدان تزعزعها أو تقلعها ولكنها شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، فلا تقوى عليها هذه الاهواء،

بقي من بحث الفقه في التذكية وتحريم الميتة مسألة لم نذكرها في الجزء الماضي لان المقال فيه كان قد طال وهي : ماهو الفقه فى تحريم ما مات حتف انفه ـ وهو المتبادر من لفظ الميتة عند الاطلاق ـ وما هو في معناه كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع منها اذا لم تذك أي يجهز عليها بقصد الا كل؟ وماهو الفرق بين الصيد يأتي به الـكلب المعلم ميتا فيكون حلالا وبين ما أكل السبع منه فمات ولم تدرك ذكاته وما ضرب الانسان بعصا أوحجر فمات كذلك ولم يذك بالقصد ؟ وما الحكمة في جعل القصد محللا؟

والجواب عن ذلك فيما يظهر لنا بعد اعتبار تعظيم شأن القصد فى الامور كلها

ليكون الانسان معتمدا على كسبه وسعيه وهو الحكمة الاولى في ذلك ـ هو أن الميت حتف أنفه يغلب أن يكون قدمات لمرض أو أكل نبات سام وبذلك يكون لحمه ضاراً كلحم الخنزير فان هذا قد حرم لضرره (راجع الجزء الثامن) فهذه حكمة ثانية

وثم حكمة ثالثة غير اعتبار القصد وخوف الضرر وهي ان الطباع السليمة تستقذر الميت حتف أنفه ولا تعده من الطيبات والدين يربي الانسان على شرف النفس ولذلك أحل له الطيبات وحرم عليه الخبائث. وأما ماهو فى معنى الميتة حتف أنفها من المنخنقة والموقوذة الخ فيظهر في علة تحريمه كل ماذكر الا حكمة توقع الضرر في الجسم فيظهر فيه بدلها تنفير الناس عن تعريض البهيمة الى الموت باحدى هذه الميتات القبيحة في حال من الاحوال وان يعرفوا ان الشرع يأمر بالمحافظة على حياة الحيوان وينهى عن تعذيبه أو تعريضه للتعذيب ويعاقب من يتهاون فى ذلك بتحريم أكل الحيوان عليه اذا تهاون فى حفظ حياته فان الرعاة يغضبون أحيانا على بعض البهائم فيقتلونه بالضرب ويحرشون بين البهائم فيغرون الكبشين بالتناطح حتى يهلكا أو يكادا، ومن كان يرعى أنعام غيره بالاجرة يقع له مثل هذا أكثر. ولو كان أكل ماهلك بتلك الميتات حلالا لما بعد ان يتعمد الرعاة وأمثالهم من التحوت تعريض البهائم لها ليأكلوها بعذر. ويدل على هذه الحكمة أحاديث صحيحة منها قوله (ص) بعد النهي عن الخذف وهو الرمي بالحصا والبندق (الطين المشوي لذلك): « انها لا تصيد صيداً ولا تنكأ عدواً ولكنها تكسر السن وتفقأ العين » رواه أحمد والبخاري ومسلم. هذا ماظهر لنا ومن آتاه الله حكمة وراء ذلك فليتفضل علينا ببيانها

ذكرنا هذا البحث في فقه الشريعة وحكمتها لان أحكام المعاملات والعادات هي معقولة المعنى كلها مبنية على قاعدة دفع المضرات وجلب المنافع وأما قول بعض العلماء ان أحكام الدين على قسمين قسم تعبدي نؤديه امتثالا لامر الله تعالى وان لم نعقل وجه فائدته ومنفعته وقسم معقول المعنى نمتثل فيه الامر من حيث نطلب به المنفعة المقصودة منه فلا شك ان التعبدي منهما لا يظهر له وجه الا في أحكام العبادات التي يتقرب بها الى الله على حسب ماوضع وشرع. ومن عجيب أمر علماء الرسوم وأهل الرأي انهم حكموا قياسهم ورأيهم فى مسائل العبادة المحضة حتى زادت على المنصوص أضعافا كثيرة وجمدوا على بعض أحكام العادات ولم يبحثوا عن عللها وحكمها بل منعوا أو كادوا يمنعون القياس فيها فتدبر

تأييد علماء المصر والجرائد للفتوى

لما قام المرجف يلغط في الجريدة المحدثة بالانتقاد على الفتوى نفر طائفة من أهل العلم الى الرد عليه فى الجرائد فنشروا مقالات كثيرة أيدوا بها الفتوى بالنصوص القاطعة، والادلة الساطعة . ومن هذه الجرائد الاهرام والمقطم والوطن اليومية وأما الاسبوعية الاسلامية التي كتبت فلم نحصها ولكن أشهرها جريدة (التمدن) التى يحرر مباحثها الدينية بعض الازهريين والنيل والممتاز والرائد العثماني • وقد نشر كاتب أديب فى المقطم مقالة (عتاب صديق) للعلماء ولبعض الجرائد اليومية الاسلامية لعدم الكتابة في الموضوع فأحسن كل ما كتب الا تعظيم شأن الخلاف وتكبير المسألة وهي صغيرة ولم يخالف فيها الا المرجف ومستأجره وأيده الحدث وصاحب الحمارة . ولذلك أجابه أحد العلماء المدرسين المؤلفين بجواب وجيز نشر فى (عدد ٤٤٩٩) من المقطم وقد جاء فيه مانصه : « ولعمر الحق انما دعاهم (أي العلماء) الى السكوت عنها وضوح السؤال والجواب وعدم الحاجة لى رد أقوال المعترض على افتاء ليس عليه بنظر الشريعة غبار . أصل المسألة ذبيحة ضربت على رأسها ببلطة ثم ذبحت أتحل أم لا ؟ أفبعد قول السائل ثم ذبحت يتوهم أنها ميتة أو موقوذة ؟ كلا » الخ أما سكوت المؤيد فالظاهر أن سببه عدم العناية بالجريدة المحدثة وكراهة اشهارها مع اعتقاد أنها ضارة ولهذا لم يذكر اسما الذين ردوا عليها أيضا . واذا كان هناك سبب باطن أيضا فليس لنا ان نبحث عنه وانما كلامنا فى الظاهر فقط واما الراوي فقد كتب أخيرا مايدل على الانتصار للفتوى

وبينا نحن نكتب فى هـذا المقام وردت علينا جريدة جديدة تسمى (الواعظ) فرأينا فيها مقالة وعظيـة لعالم مغربي عرج على القاهرة فى طريقه الى الحج فلما قرأ مانشرت الجرائد فى موضوع الفتوى كتب هـذه المقالة وأرسلها لبعض الجرائد الصامتة الساكتة فلم تنشرها فرغب الى صاحب الواعظ ان ينشرها ففعل فكان فعله مما حقق ان اسم الجريدة وافق المسمى . وقد رأينا ان ننقلها تنويها بالواعظ وتنبيها للناس الى مكانة المرجف من نفوس العلماء الغرباء بل على مكانة المصريين عند من يتوهـم انه يروج فيهم مثـل هذا الارجاف ومكانة الاستاذ الامام من نفوس عقلاء المسلمين في بلاد المغرب وهذا نصها

« أيها المسلم . هل أتاك خبر ماشاعت به الانباء من قيل وقال في فتوى الشيخ الامام، وهل علمت ماكتبه المنار مما نص عليه الفقهاء والعلماء والصحابة وصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام، وماحدث في أوائل القرن الماضي في الديار المصرية ؟

تأمل وانظر كيف انعكست الاحوال وانقلبت ظهراً لبطن، وأصبح الدين آلة في أيدي رجال العلم يحرمون اليوم ماحلله آباؤهم من قبل، معارضين فتوى السيد الامام، وجمهور الفقهاء والصحابة والتابعين وصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ؛ ويالیت شعري أهذا دليل على وقوع الامة في شرك الجهالة وانها ستتدلى الى أسفل سافلين أم ذلك تنافس يمحى ويزول ؟ .

« من للمسلمين برجال يؤيدون الدين ويقومون بالاصلاح ويحافظون عليه كالسيد الامام المفتي برأي الجمهور وما اعتمده العلماء ، فهل يرد عليه بما رآه الآخرون وهل يعترض بمذهب على مذهب ؟

على ان هذه الشريعة السمحة البيضاء تشعبت فيها الاقوال، ليأخذ العلماء من كل زمان بما يناسب الامة من أحوال، ولا تكون ضيقاً على عباد الله اذ هي الشريعة التي ينتظر المسلمون وعقلاء النصارى أن تعم الارض كلها كما قال تعالى « والله متم نوره » وكما قال « ليظهره على الدين كله » فهل يليق ان نسمها بالحرج والضيق؟ وقد اعتاد العلماء أن يقووا قولا ضعيفاً ليأخذوا به عند الحاجة اليه . وليست فتوى السيد الامام من هذا القبيل وانما الكلام في ان الشريعة أوسع مما يضيقون

وما لنا ولهذا وذاك ! كنا نقرأ في كتب الفقه ان المفتي والقاضي لا يوليان الا اذا حازا درجة الاجتهاد كالائمة الاربعة والا كان تقليدهما باطلا فهل يسمح الدهر بهم واذا سئل العلماء عن المجتهدين يقولون انقطع الاجتهاد من القرن السادس وكل قاض ومفت بعد هذا الانقطاع فهو قاض للضرورة وكأنهم بهذا حكموا على الامة أن تتدلى وتنقرض وقد حكموا بتطبيقهم هذا على الشريعة الغراء أن تتقلص على الاحكام وحل محلها القانون السياسي

من لنا بقوم يشعرون بما نقول وأنا رجل مغربي طالما تمنيت ان يكون في المسلمين رجال عظام حتى اذا مارأيت هذا السيد في بلادي قرت به عيني . وها انا قد

وفدت الآن على مبعث انوار عرفانه فوجدت لغطا دلني على ان القوم هنا لا يبالون بشريعتهم ولا رجالها

ويا ليت شعرى هل درى اخواننا العلماء انهم بتحريمهم ذبيحة اهل الكتاب يفتاتون على القرآن ؟

القرآن أحل ماجرحته كلاب الصيد وقتلته . وعلم الله تعالى ان الانسان أفضل من الحيوان فاستدرك ذلك واحل ذبيحة أهل الكتاب ، والا كانوا فى نظر الشرع أقل من الكلاب، وجل الله ان ينزل الانسان الدين في شريعة متممة للشرائع على اخس حيوان وأقبحه في نظرها مع ان هذا الدين جاء ليعم الارض كلها. وهو الذي احل مناكحة الكتابي ومعاشرته ومجاملته ومعاهدته وأوجب الدية في قتله ولم يجز قط الاكل في أناء ولغ فيه الكلب حتى يغسل سبع مرات احداهن بتراب

أيجوز لنا ان نأخذ الذبيحة من بين انياب الكلب ولا نأخذها من بين يدي الانسان؟ ..حاشا لله حاشا

اظن اننا الآن أصبحنا اضحوكة في عيون الافرنج ومضغه في افواههم اذ يسموننا بالوحشية المطلقة وديننا بدين الوحوش . ذكر الله الصيد في اول سورة المائدة فلم يشأ ان يسكت عن أهل الكتاب علماً منه انهم أولى بالحل .وهل ينقص النصراني الترنسفالي في نظر ديننا عن حيوان الصيد أو انه من التعصب الاعمى وعدم التفطن والنظر .

وهل عرف أولئك العلماء حكمة الذبح المعتاد وشيوعه بين المسلمين بقطع الحلقوم والمريء مع قيام غيره مقامه في الصيد والدابة الشاردة والسمك والجراد والجنين في بطن أمه وغير ذلك :.. فليعلموا ان كل قتل بحسب الاصل موصل للمقصود ولكن الله لحكمته ورحمته بنا وبالحيوان جعل بيننا قسمة عادلة ومنة عامة فحرم علينا ماقتله الحيوان ومامات في الخلاء بغير قصد منا ليبقى ذلك كله للحيوان يأكله لانها أمم امثالنا . وكأنه تعالى لم يرض ان نأكل مالم نقصده ولم نفكر فيه . فاما المذكى والصيد والسمك والجراد ونحوها فانها كلها غالباً لا تؤخذ الا بالنصب والتعب هذا . ولما علم الله ان الناس منهم الجاهل والعالم والقوي والضعيف وضع قانونا عاماً يشترك فيه عامتهم وخاصتهم فى الذبح وهو ذبح العنق ولو أباح أي ذبح لتفنن الناس

في تعذيب الحيوان . فلله الحكمة البالغة . هذا هو المقصد من شيوع قطع الحلقوم والمريء مع قيام غيرها مقامها في أحوال أخرى كالسمك والجراد والصيد وذبيحة الكتابي

يا أيها المسلمون هل أنتم منتهون عن هذا؟ انه ليحزن العقلاء ان نتكلم في صغائر الامور وقد تركنا كبارها . وهل يجوز اكبار لبس البرنيطة مثلا واستصغار تعلم اللغات وانها القتالة للعواطف القومية المجتثة لاصول المعتقدات الدينية من مغارسها في النفوس

تركنا كبار الامور واستمسكنا بصغارها وانه لعار عظيم . هلا قمنا وقعدنا هذا القيام وهذا القعود لفروض الكفايات كالصناعات والسياسات التي ينطق بها القرآن

لقد دخلت بلادكم الافرنج مداخلة أشربت بها القلوب والاجسام ، وأصبحت المنازل والابواب والثياب وكل شيء جديد فيها من آثارهم وولائد صناعاتهم . فكيف تحللون هذا كله وتحرمون البرنيطة على الترنسفالي الذي لاقوة له ولا استقلال يلبسها للضرورة . لعل العلم وقف على الظواهر ولم يعبأ بالبواطن بل بالقشر دون اللب . ان الشيخ الامام حين قرأ الدرس في بلادنا المغربية في هذا العام فهمنا ان مصر كعبة العلم ومنبع الفضل ، مؤيدا لما كنا نسمع من قبل ، ولكن لما زرتها تزلزل يقيني في ذلك ، وما هو عندي بمتهم في قوله فلعلي عند رجوعي من الديار الحجازية استنشق روح الوفاق على تأييد الحق وما هو ببعيد »

(المنار) يظهر ان الكاتب صدق المرجف في زعمه ان العلماء خطأوا الفتوى وان سبق له القول بأن شيخ الازهر وعلماءه لايخالفون المفتي !! . وفي هذه المقالة بيان حكمة رابعة لتحريم الميتة ومافي معناها وهو جعلها من حظ الحيوانات التي تأكل اللحم رحمة بها

تأييد واقعة الفتوى بمذهب الحنفية خاصة

أشرنا فى الجزء الماضي الى أن الفتوى مؤيدة بالكتاب والسنة وعمل السلف والى ان خلاف الحنفية فى مسألة التسمية ليس فى شيء من واقعة الفتوى التى أفتى فيها مفتي الديار المصرية لان الحكم فى واقعتها مجمع عليه وقد رأينا ان تنقل بعض ماقاله الحنفية اتماما للموضوع حتى يعلم ان المفتي موافق لمذهب الحكومة المصرية وان لم يكن ذلك واجبا عليه لاسيما فى المسائل الدينية الشخصية خصوصا اذا لم يكن السائل عنها من رعية هذه الحكومة . وقد كنا راجعنا مافي الفتاوى الحامدية ثم جاءتنا رسالة

من بعض شيوخ الحنفية المتخرجين فى الازهر يذكر فيها نص الفتوى بعد مقدمة فى انكار ارجاف المرجف ثم ذكر مايؤيدها من كتب التفسير وأقوال السلف وختم الكلام بما نصه :

بقي علينا ان نوضح موافقه الفتوى لفروع الفقه الحنفي فنقول : فى كتاب (العقود الدرية، فى تنقيح الحامديه) للمرحوم المحقق العلامة السيد محمد ابن عابدين رحمه الله (سئل فى ذبيحة العربي الكتابي هل تحل مطلقا أولا (الجواب) تحل ذبيحة الكتابي لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو دعوى كالكتابي ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل مناكحته فصار كالمسلم فى ذلك ولا فرق فى الكتابى بين ان يكون ذميا يهوديا أو نصرانيا حربيا أوعربيا أو تغلبيا لاطلاق قوله تعالى « وطعام الذين أوتو الكتاب حل لكم » : والمراد بطعامهم مذكاهم قال البخاري رحمه الله تعالى فى صحيحه قال ابن عباس رضي الله عنهما طعامهم ذبائحهم - الى أن قال : وهذا اذا لم يسمع من الكتابي انه يسمي غير الله تعالى كالمسيح والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته لقوله تعالى : « وما أهل لغير الله به » وهو كالمسلم فى ذلك : وقال بعد كلام : لكن فى مبسوط شمس الائمة وتحل ذبيحة النصراني مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ومقتضى الدلائل واطلاق الآية الجواز كما ذكره التمرتاشى فى فتواه : فمفاد ماذكره صاحب المبسوط حل ذبيحته مطلقا سواء سمى عليها أو سكت عن التسمية أو قال ثالث ثلاثه لأن قوله أولا داخل تحته ماذا سمى الله وماذا لم يسم أصلا بدليل قوله بعد ذلك : ومقتضى الدلائل واطلاق الآية الجواز : فمن هنا يعلم ان هذا القول موافق للفتوى من غير نزاع فى ذلك وهو قول صحيح في المذهب

يدل على ماذكره ماقاله صاحب كتاب فتاوى الهندية حيث قال : ثم انما تؤكل ذبيحة الكتابي اذا لم يشهد ذبحه ولم يسمع منه شيء أو شهد وسمع منه تسمية الله وحده لانه اذا لم يسمع منه شيأ يحمل على انه قد سمى الله تعالى تحسينا للظن به كما بالمسلم : - ثم قال بعد ذلك : المتردية والمنخنقة والموقوذة والشاة المريضة والنطيحة ومشقوقة البطن اذا ذبحت ينظر ان كان فيها حياة مستقرة حلت بالذبح بالاجماع وان لم تكن الحياة فيها مستقرة يحل بالذبح سواء عاش أولا يعيش عند أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه وهو الصحيح وعليه الفتوى كذا

في محيط السرخسي : اه فمن هذا كله يتبين للقراء ان ماأفتى به فضيلة مولانا الاستاذ مفتي الديار المصرية موافق لاصول مذهب أبي حنيفة رحمه الله ولا خلاف في ذلك فالموقوذة التي لم تمت اذا ذكيت حل أكلها سواء كان المزكي لها مسلما أو يهوديا أو نصرانيا لانها قبل موتها تسمى موقوذة كما أفاد ذلك العلامة الطبري فيما ذكرناه وفي القدر كفاية لمن له قلب او ألقى السمع وهو شهيد » اه (التوقيع محفوظ)

﴿ فائدة في حقيقة تفسير ابن عباس ﴾

يوجد بين أيدي الناس كتاب في التفسير مطبوع يسمى " تفسير ابن عباس ويتوهم الجاهلون ان ابن عباس هو الذي ألفه والحق أن الصحابة لم يكتبوا في التفسير شيئا وانما رويت عنهم فيه روايات كما رويت الاحاديث المرفوعة وكاتب هذا التفسير يزعم انه اعتمد فيه على ماروي عن ابن عباس ولكن الروايات عنه كثيرة متناقضة فبعضها صحيح وبعضها مكذوب بالضرورة اذ لايمكن ان يفسر الآية الواحدة أو يقول في الحكم الواحد بقولين متناقضين وأقوال المحدثين تؤيد هذا الحكم بأن بعضها صحيح وبعضها غير صحيح . وقد نقلنا في الجزء الماضي ان ابن عباس من الصحابة الذين قالوا ان ذبيحة الكتابي تحل وان ذكر عليها اسم غير الله وان عطاء من الذين قالوا بمثل ذلك وعطاء هذا من رواة التفسير عن ابن عباس . وزعم المرجف ان ابن عباس يقول بعدم الحل ويشترط ان تكون ذبيحتهم على شريعتنا فان كان لقوله نقل من الكتاب المتداول أو غيره فهو من رواية الكلبي اذ نقل عنه القول بذلك وقد قال المحدثون ان روايته كاذبة . ولا أحيلك أيها القارئ على كتب أسماء رجال الحديث التي يصعب عليك العثور عليها واستخراج التراجم منها ولكنني أدلك على كتاب مشهور تراجع فيه ماأنقله لك عنه بحروفه اذا شككك المرجف في النقل فارجع الى الصفحتين ٥٥٥ و٥٥٦ من الجزء الرابع من شرح احياء العلوم تجد مانصه :

« وقد روى عنه (أى عن ابن عباس) التفسير جماعة من طرق مختلفة أجودها طريق علي بن أبي طلحة وله صحيفة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عنه . وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا فيما علقه عن ابن عباس وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيرا بوسائط

بينهم وبين أبي صالح

« ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه وهي صحيحة على شرط الشيخين وكثيراً مايخرج منها الفريابي والحاكم في المستدرك

« ومن ذلك طريق ابن اسحق عن محمد ابن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو هو وسعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد وهي جيدة واسنادها حسن وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيرا وفي معجم الطبراني منها أشياء

« وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان الصغير فهي سلسلة الكذب وكثيرا مايخرج منها الثعلبي والواحدى » اه المراد منه

فعلم من هذا ان رواية عطاء الذي لايشترط فى ذبائح أهل الكتاب ذكر اسم الله هي من أصح الطرق عن ابن عباس وان رواية الكلبي الذى كان يشترط ذلك واهية أو مكذوبة بل هو حلقة من سلسلة الكذب . واخراج الثعلبي وغيره منها لايفيد وثوقها فانهم لم يعتمدوها وقد علمت ان الشعبي وعطاء قالا بعدم اشتراط التسمية

الاستدلال على سوء قصد المرجف

انفرد باللغط فى المسألة صاحب الجريدة المحدثة وهي من الجرائد التي تلقب في مصر بالساقطة ولقبناها فى الجزء الماضي بالسياسية ايماء لما تحدث به الناس من ان اللغط يقصد به عمل سياسي في الازهر واستدلوا على هذا بسكوت حدث السياسة عن مشاركته بهذا اللغط مع انه كان ينتحل الشبه البعيدة للتعريض والتشهير بالمفتي لأن الحدث متهم بتلك السياسة ومعروف بالغرض . ثم شاع ان الجريدة المحدثة لما ساءت اللغط وخرجت عن الموضوع الى السباب والمهاترة والتناقض قيل انها لم تصادف من الجانب الذي كان يظن أنها تتقرب اليه الا البعد والسخط ولذلك تكلم الحدث بعد طول الأزم ، فأيد الباطل وخذل الحق ، وصور المسألة عن السائل بأن أهل الترنسفال «يضربون الانعام بالبلط فأفتاه المفتي بأنها حلال » وقد علم القراء من نص السؤال فى الجزء الماضي ان السائل قال انهم يذبحون البقر بعد الضرب بالبلط ويذبحون الغنم من غير ضرب . فانظر الى تحري هذا الحدث البعد عن الصدق لايهام الناس خلاف الحق ، ثم أنه يسأل كصاحب

الجريدة المحدثة ان يتنازل المفتي لقراءة لغوهم ولمجاوبتهم عليه ونحن نعلم علم اليقين أنه لم يقرأه ولن يقرأه عملا بقوله تعالى في صفات المؤمنين «والذين هم عن اللغو معرضون» وانه اذا سمعه يأخذ بقوله تعالى فيهم «واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير»

ولو كان الحدث وصاحب الجريدة المحدثة يطلبان الحق في المسألة لما بادر أحدهما الى بذل ٣٠ جنيها من أصل (١٢٠)... في ورقة الفتوى ليشنع عليها اذ توهم ان وراءها مؤاخذة رسمية بل لكان بادر عند العلم بها الى الامام المفتي وسأله ايضاح الاستدلال بالآية الكريمة التي استدل بها ودفع الشبهة عن الاستدلال ان كانت هناك شبهة . ولولا سوء القصد لما حرف السؤال بعد ما نشره المرجف . فانه نشره اولا بنصه ثم نشره ثانيا في تقريره على نحو ما أورده الحدث فانه زاد عليه قوله «حتى تشرف على الموت» ولم يقل السائل ذلك ولو قاله لما كان مانعا من حل الذبح عند الجمهور ولولا سوء القصد لما غير المرجف في تقريره سؤال المستفتي عن لبس القلنسوة بعد نشره في جريدته صحيحا فزعم أخيرا انه قال انهم يلبسونها تشبها بالقوم من غير سبب! وهذا كذب صريح . والفتوى صريحة في اشتراط عدم قصد التشبه

ولو كان المرجف يطلب معرفة الحق في المسألة لما ترك النصوص التي أوردناها في المسألة ولما ترك استفتاء شيخ الازهر وعلمائه في مصر أولا كما كتب في بعض الجرائد وزعم انه سيستفتي شيخ الاسلام في الاستانة وحاخام اليهود وبطريق النصارى ثم اقتصر على استفتاء حاخام اليهود القرايين في ذبيحة النصارى ثم اكتفى بمقالة في جريدة يهودية تفصل ماأحل لليهود من حيوان البر والبحر وما حرم عليهم وتذكر شروط الذبح عندهم ومنها ان يكون الذابح بدرجة من العدالة قلما توجد في الناس اليوم وان يكون مستقبلا بيت المقدس . ويزعم المرجف ان الله لا يحل لنا ذبيحة النصراني الا اذا كان مستوفيا لتلك الشروط فهو يلزم النصراني بأن يتبع شريعة التوراة وان كان القرآن مصرحا عن لسان عيسى عليه السلام بقوله «ولأحلَّ لكم بعض الذي حُرِّمَ عليكم» فكأنه يلزمهم بعصيان عيسى فيما نسخه من أحكام التوراة ليكونوا نصارى تؤكل ذبائحهم . على ان الله تعالى أخبر عن اليهود النصارى بأنهم لم يقيموا التوراة والانجيل وانهم يحرفون الكلم عن مواضعه ليوافق أهواءهم ثم انه في السورة التي

يذكر فيها هذه الاحكام عنهم يحل لنا طعامهم فهو تعالى أعلم بعقائدهم وبأعمالهم وبأقوالهم وقد أحل لنا ذبائحهم ولم يكلفنا بأن نقرأ قبل أكلها كتبهم ونطبق أحكامها على الذابح بل ورد في الحديث «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» أي فيما يخبرونا به عن شريعتهم ولكن صاحب الجريدة المحدثة يصدقهم ويحتج بكتبهم ويقيد بكلام جريدة من جرائدهم إطلاق القرآن حل طعامهم وذلك لان مفتي الديار المصرية قال بوجوب الاخذ بهذا الاطلاق ثم يرجع فيقول لا يعمل بأقوالهم ! ولكن المفتي يقدم نصوص القرآن على كل شيء كسائر أئمة المسلمين فهل نترك القرآن لان المفتي مستمسك بالقرآن والمرجف لا يرضيه منه ذلك !!!

﴿ إهانة المرجف للعلماء وتعريضه بالامير ﴾

لما قال المرجف انه يريد استفتاء شيخ الاسلام في الاستانة كتب بعض المنتقدين في الجرائد يتعجب من اهاله استفتاء شيخ الاسلام وعلمائه في مصر وهم أعلم بالشريعة من علماء الترك وجعله شيخ الاسلام مقدسا كالبابا فاجاب عن ذلك بما نصه (ع ٤٦) :

« أجل لا ننكر اننا نويناً رفع الفتوى الى مقام مشيخة الاسلام في دار الخلافة ووصفناها بما تستوجبه حياطتها الدينية من القداسة ولكننا لم نحط من كرامة مشيخة الازهر الجليلة لا أننا نعلم أن المفتي وشيخ الازهر توأمان متلازمان فلا يقول أحدهما بما يباين قول الآخر !! ولا نجهل النفوذ الذي للمفتي على الازهر ومن فيه من المستضعفين الذين يخشون الشيخ ويتقون بطشه بهم وقد رسخ هذا الوهم في نفوسهم وتولدت منه مخاوف هوت بأفكارهم وسقطت بمدارك بعضهم حتى صغرت قيمتهم في نظر أنفسهم وعلى ذلك شواهد محسوسة لا تحتاج الى ايضاح » اه بحروفه

فلينظر المسلمون الى هذا المرجف كيف يطعن بفضيلة شيخ الازهر وسائر علمائه ويزعم ان المفتي قد استخفهم فأطاعوه حتى في خلاف ما يعتقدونه دينا كأنه فرعون مصر المستبد فيها. ثم هو بعد ذلك لا يستحي ان يقول في ورقته ان علماء الازهر قد جاءوا اليه وتبرأوا من الفتوى ومؤيديها وفي تقريره ان علماء الازهر كتبوا اليه بأن عدم استناد مفتي الديار المصرية في فتواه لاترنسفالي الى نصوص مذهب أبي حنيفة يقتضي انه مجتهد وبذلك صار معزولا من وظيفة الافتاء !! (اه من ص ١٤)

فلينظر أصحاب البصر والبصيرة الى تعارض أقواله في العلماء - تارة يجعل رئيسهم

ومرؤسهم تابعا للمفتي وان أخطأ ! وتارة يجعلهم متهجمين على القول بعزله من وظيفته ! فهل يصدق عاقل نقل هذا المرجف على تعارضه وبعد ما يرى من تحريفه السؤال والجواب وتهافته في خلط ما يزعم انه نقل عن الكتب أو العلماء ومزجه بأقواله .

وقد ذكر في بعض ما كتب في المقام غيرة الامير على الدين وان عزل المفتي وأمثاله بيده . وان العلماء رفعوا الامر الى سموه وللقارئ أن يستنبط من هذا ان الناقل كاذب في دعواه أو ان الأمير أعزه الله قد علم ان الذين كتبوا اليه ليسوا من العلماء الذين يعتمد على قولهم في الدين ولولا ذلك لما أبقى المفتي في منصبه . ونقول : اذا صح ان بعض العلماء كتب للامير بأن الفتوى غير صحيحة وأن أكل الذبائح المسئول عنها حرام في مذهب الحنفية الذي يتقلده وأنه صدقهم ولم يصدق النصوص التي أوردناها في اثبات حلها بالاجماع أو برأي الجمهور ومنهم أبو حنيفة فلا شك ان سموه يترك أكل اللحوم في أوربا ولو على موائد الملوك والامراء فان جميع ذبائح أوربا على الطريقة التي صدرت الفتوى باثبات حلها بل هي أبعد منها عن النصرانية لأن نصارى الترانسفال متمسكون بدينهم متعصبون له كما جاء في الفتيا واما أهل أوربا فقد تساهل أكثرهم بها بل مرق الكثيرون منها وانهم ليخنقون الطيور خنقا ولا يذكرون اسم الله على شيء من ذبائحهم على ما يقال ، والامير أعزه الله أعلم بحقيقة الحال ،

ولعلنا نبين في الجزء الآتي شروط المفتي وما يجب ان يعتمد عليه في الفتوى مؤيدة بنصوص العلماء . وربما ألممنا أيضا بشروط صحة الولايات التي يملك صاحبها نصب القضاة والمفتين وأهمها الاستقلال بذلك والقدرة عليه وعلى تنفيذ الاحكام الشرعية ... وليس الغرض من هذا الذي كتبناه كله وما سنكتبه الرد على المرجف فانه في تهافته بحيث لا يعبأ به ولكن الفرص سنحت لبيان احكام الدين في هذه المسائل وازالة الشبهات عنها فلم نغفلها

﴿ كتاب من الترنسفال ، في البحث عن حقيقة الفتيا والسؤال ﴾

بعد كتابة ما تقدم جاءنا كتاب من امام المسلمين في الترنسفال وهو من مشتركي المنار يذكر فيه صورة الاستفتاء والجواب على نحو ما نشر الان في الكتابة غلطا أكثره من الاملاء ويقول المرسل انه عرض الفتوى على العلماء وان الشافعية قالوا قد حصل فيها غلط بقوله « ازهاق روح الحيوان بأي طريقة كانت » وقال انه توقف عن ارسالها حتى يصححها من جميع العلماء هناك «على أي حالة كانت ان شاء الله تعالى » وقال في رأس

الكتاب « ولانعلم هل هي جوابات الاستاذ الامام حفظه الله أوغيره » اه بحروفه

(ج المنار) قد علم السائل من الجزء الماضي ان هذه الاسئلة عرضت على الاستاذ الامام وأنها غير مفهومة كما قال ولذلك جاءت الاجوبة عن مفهومها لاعن نصها كما أشرنا الى ذلك في الجزء الماضي وقد عهد في السنة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجيب السائلين بمثل ذلك . واما توقف الشافعية فيما ذكرتم فهو لايستلزم ان ان يتوقفوا فى حل الذبائح عندكم لان ذبيحة الكتابي التي لاتعلم كيفية تذكيتها حلال باجماع أهل السنة . وما علمت كيفيته ففيه تفصيل والجمهور من الصحابة والسلف على ان ذبائح أهل الكتاب حلال على الاطلاق ولغير الجمهور خلاف فى بعض الصور فالشافعية يحرمون ماذبح وليس فيه حياة مستقرة اذا تقدم ذبحه سبب يحال عليه الهلاك فاذا علموا فى ذبيحة معينة أنها كذلك فلهم ان يجتنبوا الاكل منها وان أباحها جمهور السلف الصالح الذين لم يشترطوا الحياة المستقرة وانما اشترطوا ان يكون فيها وقت الذبح رمق واكتفوا من الدليل على ذلك بحركة أي عضو من الاعضاء وذلك مايعبر عنه الشافعية بحركة المذبوح وقد رأيتم النقل عن المفسرين فى ذلك. واما لبس البرنيطة فلا دليل في الكتاب ولافي السنة على منعه . وحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » عند أبي داود والطبراني وابن رسلان اذا سلمنا أنه حسن كما قيل فلنا ان نقول ان معناه ان من يتشبه بقوم يعامل معاملتهم في العادة فينبغي للانسان ان يتشبه بالكرام دون اللئام لكي يكرم ولا يهان ، وقد قال الفقهاء ان التشبه لايتحقق الا بالقصد وانه مكروه في الامور العادية كالملابس تنزيها واما في الامور الدينية فان قصد به الكفر يكفر والا كان حراما. وهذا البحث مفصل في كتاب (الاعلام بقواطع الاسلام) لابن حجر المكي الشافعي فراجعوه. ولذلك قال الاستاذ الامام في جواب سائلكم : « أمالبس البرنيطة اذالم يقصد فاعله الخروج من الاسلام والدخول فى دين غيره فلايعد مكفرا. واذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس أو دفع مضرة أودفع مكروه أو تيسير مصلحة لم يكره كذلك لزوال معنى التشبه بالمرة » اه

على ان لبس البرنيطة ليس خاصا بأهل دين من الاديان فالمسلمون قدلبسوا نوعاً منها قبل ان يعرفوا الافرنج سموه البرطله فى بلاد النبط ومن جاورهم من العرب

وكذلك أهل الافغان ألبسوا بعض العسكر نوعا منها قبل ان يعرفوا الافرنج . ومسلمو الفرس يلبسون ضربا منها أيضا ومثلهم أهل تركستان وخيوه وبخارى والتركمان والافغان والشركس وأهل داغستان. وكذلك فرسان الترك . ويقال انه لايزال طائفة من مسلمي المغرب الاقصى يلبسون ضربا منها يسمونه المظلة . وقد علمتم ان سلطان المسلمين الاكبر وأكثر أمرائهم قد أخذوا زيهم عن النصارى بل جعلت الدولة العلية زي العلماء الرسمي شبيها بزي القسيسين الديني لا العادي فشيخ الاسلام فى الاستانة مخصوص بالحلة البيضاء كبطريق الروم وسائر لبوس التشريف للعلماء عندها مرتب على ترتيب لبوس القسوس فى الكنائس أيام الاعياد . وربما نعود الى توضيح هذه المسائل ونقول لكم الآن ان الفتوى التي وصلت اليكم صحيحة ولا يلتفت الى قول من يخالفها فانه جاهل بالدين والله أعلم

﴿ نصيحة ﴾

من النـاس من يغش ويخدع ، بكل ما يري ويسمع . فيكون ألعوبة للمخادعين ، وكرة في أيدي المختلين . يعظمون له ما ليس بعظيم ، ويخوفونه بما لا يخيف ، يدعي كاذبهم أن الامر الفلاني قد اهتزله العالم الاسلامي واضطرب ، وبكى من هوله وانتحب ، ونزلت من به من سمائه النوازل ، وثارت في أرضه البراكين والزلازل ، فيصدق المخدوع هذا القال والقيل ، وان قام على نقيضه لاعليه الدليل ، ولا يرى انفـراد المدعي بالخبر مدعاة ارتياب، ولاغرابته في نفسه موضع استغراب ، ويدعي جاهلهم أنه أيّد الدين والملة ، وعاجزهم أنه نهض بالوطن والأمة ، فيصدق المخـدوع الزعم . وينقاد بشعرة الى الوهم ، ولا يلتفت الى جهل الزاعم أوضعفه ، ولا يفكر في كنه العمل المزعوم ولا وصفه ، بل يظل مخدوعا بالخيال، ومخلوبا بالمقال، من غير نظر في حقيقة الحال ، ذلك شأن أكثر مايعهد في العوام، ومن العجب ان يشاركهم فيه أحيانا من يعدون من الخواص ، ولهذا كانت الخلابة من موارد الكسب، وطرق الفخفخة والفخر ، سار عليها بعض المستولغين فنال من جاه الامراء، وتناول من مال الاغنياء ، ونهض آخر لتقليده فأساء التقليد . لانه عاجز عن الخـلابة بقلمه ولسانه وقد استأجر لها من يستفيد بها ولكنه لايفيد، وسينقلب بالخزي المبين، والعاقبة للمتقين . فليحذر العاقل من الغرور بأمثال هؤلاء المخادعين، لاسيما فى أمر العلم والدين، فقد ورد «ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»

القسم العمومي

بلرم - صقليه

٢

(المكتبة العمومية . ودار المحفوظات)

أما المكتبة العمومية فقد جائني من أوصي بصحبتي ويثقل عليّ ذكر اسمه لطوله فذهبت معه الى تلك المكتبة وهو أخو مديرها وله احترام فى نفوس خدمتها وكان يعرف قليلا من اللغة الفرنسية فسألته أن يطلب لي فهرس الكتب العربية إن كانت فطلب ذلك فبدت حركة شديدة فى الخدمة وكثر الداخل والخارج ، والذاهب والآئب ، ولغطت الالسن ، وارتفعت الأيدي بالإشارات ، وطال الزمن نحو ربع ساعة ، كل ذلك وأنا لا أفهم أسباب هذا الاضطراب ، وآخر الامر جيء الي بدفتر صغير جداً يحتوي على نحو خمسين صفحة وكانت تلك الضوضاء للبحث عنه وكل يتهم صاحبه بأنه هو الذي يعرف مقره والآخر يدافع عن نفسه تهمة معرفته ، ولم يرعني عند تصفحه الاكثرة مافيه من كتب الأدعية والصلوات كأنه فهرس خزانة لشيخ من مشايخ الطريقة الخلوتية ، أومكتبة السادات البكرية ، قدس الله أرواحهم جميعا وانما رأيت فيها قطعة من شرح ابن رشد على مدونة الامام مالك رضي الله عنه وكتابا في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام الا أنه لايمكن قراءة سطر واحد من تلك السيرة لأن خطوطا قد جرت على السطور بعناية غريبة حتى عمت الحروف الاصلية وحجبت حقيقتها عن النظر مع سلامة الظاهر من التشويه فعجبت لذلك وسألت عن السبب فقيل لي ان قسيسا من أهل القرن الثامن حمله التعصب على أن يأتي الى المكتبة ويطلب الكتاب بحجة انه يريد قراءته وكان يعرف العربية حق المعرفة فسلم اليه فصنع به ذلك حتى يصد الناس عن مطالعة مافيه . وقد فعل مثل ذلك بمصحف من المصاحف وزور كتبا كثيرة أفسدها . وقد انكشف للحكومة حاله فحوكم وصدر الحكم عليه بالحبس مدة عشر سنين فى رواية ومدة خمس عشرة سنة في رواية أخرى . أما القطعة من شرح ابن رشد فكانت سليمة وخطها مغربي جيد تسهل قراءته على طالب العلم

والكتاب الفرد الكامل الذي رأيتـه في المكتبة هو كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني وهو صـغير في نحو ستين ورقة بخط ضبق مضبوط صحيح . قرأت منه عدة صفحات ونقلت منه عدة فقرات في تفسير قوله تعالى « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها » الخ . ومما نقلته في ذلك قول أبي حاتم رحمه الله : ومما كرم الله به الاسلام وكرم به النحل أنه قدر جميع نخل الدنيا لأهل الاسلام فغلبوا عليه وعلى كل موضع فيه نخل وليس في بلاد الشرك منه شيء : فرحم الله أباحاتم ماكان أبعده عن صحة الحكم في طبائع العمران وان كان من أفضل أهل السير وأجل علماء اللغة . والكتاب مفيد في اللغة وهو بخط مشرقي تاريخ نسخه شهر جمادى الآخرة سنة ٣٩٤ وقد بلغنا انه طبع في ألمانيا وكان الاجدر به ان يطبع في مصر ولعل ذلك يكون ان شاء الله متى ساوى المصريون أهل ألمانيا في اهتمامهم باللغة العربية ونفائسها

***

ثم زرت دار محفوظات الدولة وهي مثل (الدفترخانة) عندنا الا انهالم تبع أوراقها ولادفاترها لابالقنطار ولابالرطل كما فعل بالدفترخانة المصرية بل هي محفوظة على ماكانت عليه من عدة قرون لايفرط في ورقة واحدة منها . وقد طبعت الدولة مافي الاوراق التاريخية المحررة باللسان العربي وغيره من الالسن الشرقيـة حتى يسهل على الناظر فيها معرفة ما كتب في تلك الاوراق ويتيسر له بعد ذلك قرائتها في أصولها خصوصا اذا كان غير متعود على قراءة الخطوط العربية المختلفة فاذا قابل بين المطبوع والمرقوم عرف صحة العبارة في النسختين . ولعل المكتبة المصرية الكبرى تصنع مثـل ذلك في الخطوط المكتوبة على أوراق البردي وغيرها ممـا كتب بالكوفية أو النسخ القديم أو مافي معناه القدم لتتم فائدة حفظ هذه الاوراق والانتفاع بها ان شاء الله

من العادة في المكاتب وديار حفظ الاوراق ان يجعـل لهـا دفاتر يكتب فيها الزائر اسمه ولقبـه وتاريخ الزيارة وهي عادة حسـنة تليق بأماكن أقيمت لحفظ الآثار العلمية والمذكرات التاريخيه . أما عمال المكتبة العموميـة في بلرم فلم يحفلوا بهذه العادة واكتفوا بتقديم ورقة من أوراق طلب المطالعة لوضع امضائي عليها كما

فعل ذلك خدمة المكتبة العمومية فى مسينا لكن عمال دار محفوظات الدولة راموا ان تجري تلك العادة مجراها فصلوا ذلك الدفتر فلم يجدوه فجدوا في البحث والتنقيب وأخذت الاصوات تتقاذف ، والاشارات تنمو وتتزايد ، على نحو مافعل عمال المكتبة العمومية ، فى اكتشاف فهرس الكتب العربية ، وكنت على عجل أريد زيارة محل آخر فحبست مدة حتى يسر الله ووجد الدفتر ووضعت إمضائي فيه . وأظنهم حمدوا الله لأن كنت السبب فى العثور عليه بعد ضياعه

هذا وذلك يدلانك على أحد أمرين إما قلة الزائرين لهذه الاماكن العلمية من الاجانب وطلاب النظر في الآثار العربية وقلة الدارسين من أهل البلاد في تلك الكتب التي كتبت في لسان غير لسانهم اكتفاء بتراجمها أو لعدم الحاجة اليها ، واما شدة الاهمال من موظفي هذه الديار ، وقد يتيسر لك الجمع بين الامرين ولم أعهد في مكتبة أوربية أن وقع لي مثل ماوقع في مكتبتي بلرم

﴿ حاجة السائح الى معرفة اللغات وأيها أنفع ﴾

ومن الامور التي لاأجد بداً من نقدها أن موظفي هاته المكاتب لايعرفون من اللغات الا الايطالية فلا يعرفون الفرنسية مع قربها من لغتهم ومن عرف منها بعض كلمات يصعب عليه ان يؤدي بها مراده . وكان رفيقي يترجم بيني وبينهم عند ما كان معي فى المكتبة العمومية لكني بعد انصرافه وقعت في وحشة يزيدها لزم الصمت وعدم الفائدة فى الكلام وضيق الصدر عند ارادة الاستفهام عما يراد فهمه ولا يوجد السبيل اليه الا من طريق الاشارة . ولا يخفى عليك ان الاشارة انما تصلح للافادة والاستفادة من الاخرس اذا كنت والدة له على مافي المثل « أم الاخرس أعرف بلغته » فلا بد من التعود على ضرب من الاشارة مخصوص حتى يتيسر الفهم والافهام . ولهذا لم يمكني ان أستفيد شيئاً فيما ينبغي ان يصنع لاستنساخ شيء من الكتب العربية كتلك القطعة من شرح ابن رشد مثلا . وبعد طول الكلام بفرنسية لايفهمونها وإيطالية لاأفهمها انصرفت وأنا من الجهل على مثل مادخلت به لكن قد انكشفت عني غمة هذا الجهل بملاقاة من أمكنه فهم ماأقول وأمكنني فهم مايقول من أهل المدينة

يناسب في هذا المحل ذكر ما يقال من أن الذي يعرف اللغة الفرنسية يسهل عليه السفر في جميع بلاد أوربا ويتيسر له الفهم والافهام لانها لغة عامة لاتجد نزلا ولا مكانا رغب في زيارته الا وأنت تجد فيه من يكفيك حاجتك فيما تريد . وقد رأيت ان هذا القول اضمحلت صحته في مكاتب بلرم ولم ألق مايقوي صحته في مكتبة مسينا والمكاتب من ديار العلم التي يكثر فيها العارفون باللغات الاجنبية ولا ينبغي ان تخلو منهم لمسيس الحاجة اليهم . وقد بت ليلة في لوندرا ونزلت في أكبر نزل فيها يسمى (كبر انفورا وتيل) فيه مايزيد على ست مئة بيت للنوم ولم أجد فيه من يعرف الفرنسية الا خادمين أحدهما بواب والآخر من خدمة قاعة الطعام . أما خدمه أماكن النوم وغيرهم فلا يفهمون كلمة واحدة والحاجة اليهم أشد فان المطالب الخاصة جميعها منوطة بهم أو بهن . اذا طلبت ماء أو لبنا أو قهوة أو تهيئة حمام أو نقل متاع من مكان الى مكان أو تصحيح منكسر أو كسر صحيح لم تجد من تطالبه الا أولئك الذين لايعرفون كلمة من الفرنسية ، غير أنهم لتعودهم فيما يظهر على كثرة ورود هذا النوع من الخرس صاروا أو صرن كوالدة الاخرس يسهل عليهم أو عليهن فهم الاشارات بدون اتعاب شديد لأعضاء المشيرين (أي الذين يتفاهمون بالاشارة لا الذين حازوا رتبة المشيرية العسكرية العثمانية) لكن لايخفى عليك ان من المطالب مالا تعبر عنه الاشارة فماذا تصنع اذا كنت أعلم العلماء بالفرنسية وعرض لك مثل هذا الطلب وليس عندك وقت يسع تعلم اللغة الانكليزية ؟ لايسعك الا الاقرار بأن ذلك القول الذي قالوا مبني على تجربة قاصرة لاتصلح ان تكون مقدمة من مقدمات البرهان المعدودة في فن المنطق

أزيدك شيئا في هذا وهو انك اذا كنت لاتعرف لسان القوم الذين تنزل فيهم يجدونك طعمة أوهبة من الله سيقت اليهم فهم يكلفونك من النفقات مايشاؤن ولا يجدون في أنفسهم دانقا من الرأفة بك أو الرحمة لغربتك ، ولا يمكنك ان تبحث مع ناهبك في موضوع نهبك ، لأنه لايفهم ماتقول ، وأنت لاتفهم مايقول ، فينتهي أمرك بدفع مارقم لك رغم أنفك ، وغاية ما يمكنك فعله ان تتنفس الصعداء وتهز رأسك وتلوي عنقك علامة على غضبك ولكن هذا كله لايوفر عليك مانقصه منك

الجهل باللسان

وفي ظني ان من أراد ان يسافر الى بلد لايعرف لسانه فأولى له ان يتعلم من لسان ذلك البلد ما يكفيه للتعامل ومدة سنة قبل السفر تكفي لذلك وأجرة الاستاذ المعلم لاتصل الى نصف مايخسره ببركة الجهل باللسان

أستغفر الله من خطأ فيما قلت . اذا أراد السفر الى صقلية (سيسيليا) من بلاد ايطاليا فعليه ان يجد لمعرفة اللغة الايطالية حتى يتكلم بسرعة ويفهم بسرعة يسبق بها كلامه وفهمه كلام الايطاليين وفهمهم والا سأل الله العوض فيما يفقد من متاعه وما يؤخذ منه أجرة على ضياعه . عند وضع قدمه على ساحل صقلية يجتمع عليه الحمالون والمرشدون المضلون ويتجاذبون متاعه وثيابه كل يأخذ قطعة فان كان لايعرف اللسان، كان ما كان مما لايسعه الامكان . فاذا سلم له متاعه من التحطيم أو الضياع ، أو أصابه من ذلك مالم يفد فيه الدفاع . وجد أمامه جيشا من الطالبين كل واحد يطالبه بقيمة عمله، وماهو ذلك العمل ؟ هو حمل قطعة من المتاع وكلمات غير مفهومة في هدايته الى المحل الذي وصل اليه، مع انه وصل برجليه. ومن طريق كل الناس يمشون فيه . ولا تنس انهم يجاذبونك أعضاءك حتى ان جميع أجزائك في خطر من مجاذبتهم اذا لم تكن حريصا عليها . فاذا كنت في حاجة الى السفر الى هذه البلاد والاقامة فيها مدة من الزمان لتبديل الهواء وترويح النفس بجمال المناظر خصوصا أيام الربيع فعليك ان تصرف سنتين في تعلم اللغة الايطالية وما تنفقه في التعلم أقل مما تخسر مع تعذر التفاهم

وجدت ان الذى يعرف الانكليزية أسعد حظا في فرنسا ممن يعرف الفرنسية في انكلترا فانك لاتجد نزلا في البلاد الفرنسية الا وفيه كثير من الخدم الذين يعرفون الانكليزية . سألت عن السبب في ذلك فقيل لي ان أهل فرنسا قلما يسيحون في بلاد الانكليز، أما الانكليز والاميريكيون فيملأون سهول فرنسا وجبالها، ويدهشون بالذهب صغارها ورجالها ، فاضطر الفرنسي الى ترويج الانكليزية في بلاده لتعجب الزائرين ، وليستكثر من النائرين ،

ويل لك اذا أقمت يوما أو يومين في نزل بمسينا من أكبر مايقصده السائحون.

رب النزل يعرف بعض كلمات قليلة من الفرنسية يمكنه بها ان يفهمك أن أجرة محل النوم وحده بلا أكل ولا شرب عشرة فرنكات في الليلة ويمكنك أن تفهمه بأنك قبلت ذلك على شرط النظافة وتوفر الراحة وان كان لا يعمل من ذلك بما فهم منك وانما العمل على مافهمت أنت منه

تنام عند الساعة العاشرة فلا يمر عليك نصف ساعة الا وقد أطار نومك صياح وجلبة ودوي حركات تذهب وتجيء خارج منامك فيضيق صدرك وتطلب الفرج ولا تجده فتفتح الباب وتقول كلاما كثيرا يفهم منه انك في شدة الضيق مما تسمع ولا سبيل الى النوم فيقال لك ماتفهم منه ان هؤلاء مسافرون جاؤا الى المحل من جديد وماذا يصنع معهم ؟ فتطلب محلا آخر للنوم ويأخذون فراشك من محلك الأول الى محلك الثاني فتحمد الله على الهدو وإقبال الراحة ثم تلقي جسمك على الفراش ويقبل النوم على عينيك بثقله ثم لا يمضي نصف ساعة الا وقد أخذت يداك تحك وجهك وعنقك واليسرى تحك اليمني واليمنى تحك اليسرى ولا يزال الحك يزيد والمحكوك يتألم حتى تتنبه أعصاب الدماغ والعين ويصبح ذلك النوم الثقيل ، أخف من نفس الجميل ، فيطير عنك الى حيث تبحث عنه ولا تجده ولا يبقى لك الا الحك والحكة : وما هذا كله ؟ هذا هو البق الذي تروعك حمرته ، وتقلقك عضته بل حركته . بل تطير نومك رؤيته ، فتطلب الخلاص وما ذا تصنع ؟ مضت مدة من الليل نام فيها الصائحون فتعود الى محلك الاول وقد نام الخادم فتعود الى غير فراش أو تفرش لنفسك وهذا أفضل لك ، فاذا أصبحت حوسبت على شمعتين في مكانين لم تصرف منهما شيئا وعلى شيئين آخرين ، وكدت تحاسب على أجرة مخدعين ،

أظرف ما وقع لي مع خادم هذا النزل ! طلبت منه ماء باردا فلم يفهم فأشرت الى فمي ومثلت بيدي صورة اناء الماء فاذا هو يفتح الباب وينظر الي كأنه فهم انني أشرت بيدي الى أن الباب مغلق وبفمي الى فتحه لانه فتحة من فتحات بدني ، وبعد تعب أعضائي من الاشارة ولساني من التكلم بالفرنسية قمت وبحثت عن كوب وأشرت به اليه ففهم أني أريد ماء لكن لم يفهم أني أريده باردا وما أشد التعب في تصوير الجليد له ! ، فرغ ماء الغسل فطلبت منه تجديده فرفع في وجهي كرسيا طويلا اشتريته لاجلس عليه

في المركب ففزعت لذلك وظننت انه يريد رميي به ظنا منه أني شتمته غير ان ذلك مرّ عني عندما رأيته ينظر اليّ نظر الاحترام ويطلب مني بعينه أن يضع الكرسي. فاستلقيت من الضحك وذهبت الى موضع الغسل وأشرت اليه ان يجدد الماء ففعل. أفلا يحملك ذلك على تعلم اللسان الايطالي اذا أردت السفر الى سيسيليا وان لا تصدق ما يقال لك من ان معرفة الفرنسية تكفيك الحاجة في كل بلاد أوربا ؟

آثار علمية ادبية

(التقريظ)

(رباعيات أبي العلاء المعري)

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري أشهر من أن يعرّف كان إماما في اللغة والادب وحكيما كبير العقل بعيد الفكر حرّ الرأي ذهب بشعره في فلسفة الأفكار مذاهب لم يسبقه بها سابق ، ولم يلحقه بمثلها لاحق ، الا ان يكون عمر الخيام فانه جرى على آثاره ، في إيداع الشعر فلسفة أفكاره ، وقد عني الفرنج بنقل أشعار هذا الى لغاتهم وولعوا بها وصار له فيهم أنصار ومريدون ولكنهم لم يهتدوا بعد الى أشعار إمامه وقدوته فيما امتاز به وهو أبو العلاء المعري حتى انتدب من عهد قريب أحد أدباء سوريا الى نقل بعض شعره الى اللغة الانكليزية وطبعه في أمريكا وسماه (رباعيات أبي العلاء المعري محاكاة لكتاب ترجم الى تلك اللغة يسمى (رباعيات عمر الخيام)

ذلك الاديب هو أمين أفندي ريحاني نزيل أميركا أحد دعاة الوطنية وأعداء التعصب الذميم • وقد صدر الرباعيات بمقدمة يذكر فيها شيأ من شمائل أبي العلاء وفضائله وبعد فكره في فلسفة الدين والاجتماع وقد فضله على غيره من فلاسفة العرب حتى على الرئيس ابن سينا ولكنه أومأ الى انتقاد المسلمين باهمال شعره ،وعدم الاشادة بذكره ، وانا نقول ان أبا العلاء لم يكن مغمولا في زمنه ، ولا مهجورا في موطنه ، وانما أخذ عنه بعض النابغين كأبي القاسم علي ابن المحسن التنوخي والخطيب أبي زكريا التبريزي بل كانوا يتبركون به كما يتبركون بالاولياء والصلحاء ، فقد قال

الحافظ السلفي أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الايادي انه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره فرآه قاعداً على سجادة لبد وهو شيخ قال: فدعا لي ومسح على رأسي وكنت صبيا وكأني أنظر اليه الساعة والى عينيه احداها نادرة والاخرى غائرة جداً وهو مجدر الوجه نحيف الجسم: ولو وجد في عصره في أوربا من يقول مثل قوله:

اذا رجع الحكيم الى حجاه تهاون بالمذاهب وازدراها

لما كان له من جزاء الاحراق بالنار، ولما بقي له أثر من الآثار، ولا بأس بأن نعيد هنا عبارة جاءت في مقالات (الاسلام والنصرانية. مع العلم والمدنية) من مجلد المنار الخامس وهي: يذكر علي بن يوسف القفطي ان صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المعرة وقد عصى أهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمنجنيق فلما أحس أهلها بالغلب سعوا الى أبي العلاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فأكرمه صالح واحترمه ثم قال: ألك حاجة؟ قال: الامير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسه وخشن حده، وكالنهار الباغ قاظ وسطه وطاب برده، «خُذِ العفوَ وأْمُرْ بِالعُرْفِ وأعرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ» فقال له صالح: قد وهبتها لك: اما السبب في عدم طبع شعره الا من زمن قريب في الهند ثم في سوريا ومصر فهو عين السبب في عدم طبع مثل كتابي أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز الا في هاتين السنتين — هو موت العلم العربي من بضع قرون

وقد أحسن المترجم في نقل ما اختاره الى الشعر الانكليزي وخدم الامة العربية بتعريف فضلاء الفرنج بفضلها ونبلها وسبقها الى الحكمة، والآراء السامية، الا انه قد حكم عليه النظم بأن يتصرف في بعض المعاني قليلا وله الشكر على هذه الاريحية

﴿ عرفات ﴾

جريدة أسبوعية جديدة أصدرها في القاهرة باللغة الفرنسية صديقنا محمود بك سالم والغرض منها ازالة الشبهات الاوربيين ومن أخذ العلم عنهم من المسلمين وغيرهم عن الدين الاسلامي، واظهار محاسنه لهم، ومحمود بك من أعرف الناس بهذه الشبهات ومثاراتها فانه تعلم العلوم الابتدائية والعالية في أوربا وتخرج في أشهر مدارسها وهو بارع بالفرنسية ثم بالانكليزية وله إلمام بالالمانية والايطالية. وبعد عودته من أوربا لم يشغله القضاء — اذ كان قاضيا في المحاكم المختلطة — عن مدارسة العلوم الاسلامية والشغف بثاقفة أهلها ومحاورتهم

بها، وقد عرف باستقصاء ما يكتبه الفرنج عن الاسلام والمسلمين في لغات الملل الثلاث. وقد ساح في أوروبا وفي البلاد الاسلاميه واختبر الناس . وله لسان صدق في قومه. فهو بهذه المزايا مضطلع بأعباء هذا العمل الذى تصبو اليه نفسه من زمن بعيد ويرجى ان تكون جريدته أنفع الجرائد للاسلام والمسلمين. وللاوروبا والاوربيين؛

(الانسانية) مجلة علمية انتقادية دينية سياسية أدبية أسبوعيه صاحبها ومديرها محمد افندى أبو النصر المحامي ومحررها الشيخ ابراهيم الدباغ يصدر العدد منها بست عشرة صفحة وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً صحيحا في السنة

(الباحث) مجلة علمية دينية تهذيبية لمنشئها الخوري جرجس فرح صفير وكيل بطركخانة الموارنة في الاسكندرية . تصدر فى كل شهر مرة . وقد صدر الجزء الاول منها في أول يناير سنة ١٩٠٤ مؤلفا من ٣٢ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ قرشاً صحيحا في السنة . ولم نقرأ من هذه المجلة وما قبلها مانثنى به حقيقتهما لضيق الوقت وانما نوهنا بهما عملا بحقوق الصحافة

(الامة الشرقية) مجلة علمية صناعية طبية أدبية فكاهية منشئها (ح ٠ ص) تصدر في كل شهر مرة في الاسكندرية . صدر الجزء الاول منها في أول يناير سنة ١٩٠٤ مؤلفا من ٣٢ صفحة . وقيمة الاشتراك فيها ١٦ غرشا صحيحا فى السنة وهي زهيدة « لاتتجاوز ثمن ورقة دخول فى بعض الملاعب » كما هو مكتوب فى مقدمتها وضيق الوقت لم تمكن من قراءتها فعسى ان تصادف نجاحا واقبالا

(النافع) جريدة أسبوعية سياسية أدبية أصدرها فى مدينة طنطا الشيخ مصطفى نافع وكيل المؤيد سابقا وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش فى السنة وستون قرشا عن نصف سنة . واننا نتمنى لهذه الجريدة النجاح فقد سبق لصاحبها من الاشتغال بخدمة المؤيد ماعرفه مالا يعرف غيره من شئون هذا العمل ومن أقدم على شيء عن بصيرة رجي له مالا يرجى لغيره

(الواعظ) تقدم التنويه فى هذا الجزء بجريدة سميت بالواعظ ونقول هنا ان منشئ هذه الجريدة هو محمود افندي سلامه المشهور عند قراء الصحف في مصر بما سبق له من الاشتغال بالصحافة انشاء وتحريرا حتى ان بعض الجرائد اليومية كان يفتخر بكثرة من يقرأها بما كان ينشره فيها من المقالات الضافية فى الاخلاق وانتقاد العادات ٠ فلمثل هذا نرجو لهذه الجريدة من النجاح والانتشار ما نرجو مثله لاكثر الجرائد التي تنبت في مصر عاما بعد عام ويوما بعد يوم وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشا

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاربعاء ١٦ ذي القعده سنة ١٣٢١ — ٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *

يذكر الله تعالى العرب بهذه النعمة والنعم العظيمة وهي جعل البيت الحرام مرجعا للناس يقصدونه ثم يثوبون اليه ، ومأمنا لهم في تلك البلاد بلاد المخاوف التي يُتَخَطَّفُ الناسُ فيها، وبدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام للبيت وأهله المؤمنين ، وفى هذا التذكير مافيه من الفائدة فى تقرير دعوة النبي صلى

الله عليه وسلم وبيان بنائها على أصول دين ابراهيم الذي تحترمه قريش وغيرها من العرب . وقد اختار المثابة على نحو المقصد والمزار لان لفظ المثابة يتضمن هذا وزيادة فانه لايقال ثاب المرء الى الشيء الا اذا كان قصده أولا ثم رجع اليه . ولما كان البيت معبدا وشعارا عاما كان الناس الذين يدينون بزيارته والقصد اليه للعبادة يشتاقون الرجوع اليه فمن سهل عليه ان يثوب اليه فعل ومن لم يتمكن من الرجوع اليه بجثمانه . رجع اليه بقلبه ووجدانه ، وكونه مثابة للناس أمر معروف فى الجاهلية والاسلام وهو يصدق برجوع بعض زائريه اليه . وكذلك جعله أمنا معروف عندهم فقد كان الرجل يرى قاتل أبيه فى الحرم فلا يزعجه على ماهو معروف عندهم من حب الانتقام والتفاخر بأخذ الثار

(الاستاذ الامام) قد يقال ما وجه المنة على العرب عامة بكون البيت أمنا للناس والفائدة فيه انما هي للجناة والضعفاء الذين لايقدرون على المدافعة عن أنفسهم ؟ والجواب عن هذا أنه مامن قوي الا ويوشك ان يضطر فى يوم من الايام الى مفزع يلجأ اليه لدفع عدو أقوى منه أو لهدنة يصطلح فى غضونها مع خصم يرى سلمه خيرا من حربه وولاءه أولى من عدائه ، فبلاد كلها أخطار ومخاوف لاراحة فيها لاحد . وقد بين الله المنة على العرب اذ جعل لهم مكانا آمنا بقوله في سورة العنكبوت « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ * »

قال تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » قرأ نافع وابن عامر « واتخذوا » بفتح الخاء على انه فعل ماض معطوف على جعلنا والباقون

بكسرها على انه أمر . أي وقلنا اتخذوا أو قائلين اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فحذف القول للايجاز، وفائدته ان يستحضر ذهن التالي أو السامع المأمورين حاضرين والامر يوجه اليهم فهو تصوير للماضي بصورة الحاضر ليقع في نفوس المخاطبين بالقرآن ان الامر يتناولهم ، وانه موجه اليهم كما وجه الى سلفهم في عهد ابيهم ابراهيم وهم ولده اسماعيل وآل بيته ومن أجاب دعوتهما الى حج البيت ، لانه حكاية تاريخية سيقت للفكاهة والتسلية بل شريعة ودين . وهذا القول أحسن من قول بعضهم ان (اتخذوا) أمر لامة محمد صلى الله عليه وسلم لان ذلك القول يقتصر على معنى صيغة الامر وما قلنا يتضمن مع ذلك معنى القراءة بصيغة الماضي الدالة على ان ابراهيم ومن آمن معه قد اتخذوا مقامه مصلى ولانه أبلغ لما فيه من تحريك شعور الخلف بشرف عمل السلف وبعثهم على الاقتداء بهم

وقد اختلف المفسرون في مقام ابراهيم فقال بعضهم انه الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء الكعبة وعليه مفسرنا (الجلال) وقال آخرون إنه الحرم كله وهو مروي عن النخعي ومجاهد وروي عن ابن عباس وعطاء انه مواقف الحج كلها وقال الشعبي انه عرفة ومزدلفة والجمار . واختلفوا أيضاً في تفسير المصلى فقال من فسر المقام بالحجر انه مكان الصلاة أي صلاتنا المخصوصة وعليه (الجلال) واستدلوا له بحديث جابر عند مسلم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ الآية: وذهب الآخرون الى أن المراد بالمصلى موضع الصلاة بمعناها اللغوي العام وهو الدعاء والتوجه الى الله تعالى وعبادته مطلقاً . والاستاذ الامام يرجح قول هؤلاء وذكر من دليله ان الحجر لا يسع الصلاة المخصوصة

ولذلك قال جابر ان النبي صلى خلفه فكيف يتخذ منه محل للصلاة ؟ وأجاب عن حديث مسلم وحديث أبي نعيم مرفوعا «هذا مقام ابراهيم» بأنه ليس فيهما مايدل على ان الحجر هو المراد بمقام ابراهيم في الآية دون غيره وإنما صلاته تدل على ان الصلاة هناك مشروعة . على ان فى سند حديث أبي نعيم مقالا والخطاب فى الاصل للمؤمنين فى زمن ابراهيم عليه السلام ولم تكن صلاتنا هذه صلاتهم فحمل المقام على جميع شعائر الحج التي قام فيها ابراهيم والصلاة على معناها اللغوي الذي يشمل صلاة ابراهيم ومن كان معه على عبادته كما يشمل صلاتنا ومناسكنا أظهر كما قال الاستاذ الامام . والصلاة عند العرب وغيرهم من الامم تشمل الدعاء والثناء على الله والتوسل اليه بكل قول وعمل يدل على التوجه اليه سبحانه

قال تعالى « وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل أن طهرا بيتي » الخ عهد اليه بالشيء وصاه به والمراد ان الله كلفهما بأن يطهرا ذلك المكان الذي نسبه اليه وسماه بيته لانه جعله معبدا يعبد فيه العبادة الصحيحة . ولم يذكر ما يجب ان يطهراه منه ليشمل جميع الرجس الحسي والمعنوي كالشرك وأصنامه واللغو والرفث والتنازع

وتخصيص الله تعالى ذلك البيت بالنسبة الى ذاته المنزهة عن صفات الاجسام ليس لخصوصية في موقعه ولا فى أحجاره وانما كان بيتا لله لان الله تعالى سماه بيته وأمر بأن يتوجه اليه المصلون وبان يعبد فيه عبادة خاصة . والحكمة فى ذلك ان البشر يعجزون عن التوجه الى موجود مطلق لا يتقيد بمكان ولا جهة وهم فى حاجة الى التوجه الى خالقهم وشكره والتوسل اليه والثناء عليه واستمداد رحمته ومعونته لما فى ذلك من الفائدة لهم لانه يعلي

مداركهم عن التقيد فى دائرة الاسباب المعروفة على ضيقها وعن الاستخذاء لما لا يعرفون له سببا ، ويرفع نفوسهم عن الرضى بالحياة الحيوانية . فله الحمد والمنة أن عين لهم مكانا نسبه اليه فسماه بيته رمزا الى أن ذاته المقدسة تحضره فاذا كان الحضور الحقيقي محالا عليها فانها تحضره رحمته الالهية ولذلك كان التوجه اليه بمنزلة التوجه الى تلك الذات العلية لو وجد العبد الى ذلك سبيلا . ولو كلف الله عباده بعبادته مطلقا ـ وقد علمهم بنظر العقل ، وارشاد الشرع أنه ليس كمثله شيء ـ لوقعوا في الحيرة والاضطراب لا يدرون كيف يتوجهون الى ذات غيبية مطلقة . ولو اختار بعضهم لنفسه عبادة تليق بهذا التنزيه الذي أرشد اليه الكتاب وصدقه العقل لما اهتدى اليها الآخرون وبذلك يفقد المؤمنون الجامعة التي تجمعهم على أفضل الاعمال التي تؤلف بين قلوبهم ، لذلك قلنا ان الله رحمهم اذ جعل لنفسه بيتا يقصدونه ويثوبون اليه عند الامكان ، ويتوجهون اليه فى صلاتهم وان بعد المكان ، ولا يخشى على المؤمن توهم الحلول فى ذات الله بنسبة البيت اليه بعد مانفى سبحانه كل ايهام بقوله « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم »

وقوله تعالى « للطائفين والعاكفين والركع السجود » يؤيد مارجحه الاستاذ الامام من جعل المصلى بالمعنى العام أي المعبد فانه بعد أمر الناس باتخاذ مقام ابراهيم مصلى بين لنا ان ابراهيم واسماعيل طهراه بأمره لأداء أنواع من العبادات فيه كالطواف وفى معناه السعي بين الصفا والمروة والعكوف فى المسجد والركوع والسجود وهما من أعمال الصلاة . والآية تدل على ان ابراهيم كان مكانا هو ومن آمن به بهذه العبادات ولكن

لادليل فيها على أنهم كانوا يؤدونها على الوجه المشروع عندنا

« واذ قال ابراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا » هذه الآية مسوقة لبيان منة أومنن أخرى على أهل الحرم وهي ماتضمنه دعاء ابراهيم من جعل البيت آمنا فى نفسه وهو غير ماسبقت به المنة من جعل البيت أمنا. وقد فسر الجلال (آمنا) بقوله: ذا أمن: مع ان المعنى ظاهر وهو ان يكون محفوظا من الاعداء الذين يقصدونه بالسوء وهو غير معنى كونه ذا أمن أي ان من يكون فيه يكون آمنا ممن يسطو عليه فيظلمه أو ينتقم منه . وقد استجاب الله دعاء ابراهيم فى ذلك ومن تعدى على البيت لم يطل زمن تعديه بحيث يقال انه قد مرز من طويل لم يكن البيت فيه آمنا بل لم ينجح أحد تعدى عليه لذاته وانما كان التعدي القصير هو التعدي العارض على بعض من اعتصم فيه « وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » فسر الجلال الرزق من الثمرات بنقل جبريل الطائف من حوران فى بلاد الشام أومن فلسطين الى مكانه الآن في أرض الحجاز مع أن الكلام فى البيت وبلده (مكة) لا فى الطائف. ورزق أهل هذا البلد الامين من الثمرات ظاهر معروف بالمشاهدة والاختبار المصدقين لما جاء به الكتاب فى سورة القصص بقوله « أولم نمكّن لهم حرماً آمنا يُجبَى اليه ثمرات كل شيء » فالثمرات تجبى وتجمع من حيث تكون وتساق الى مكة ولا فرق فى ذلك بين كونها من الطائف أومن الشام أوالروم ، وكونها تجمع من أقطار متفرقة أظهر فى تحقق الآية وأدل على التسخير . وحديث نقل الطائف لا يصح ولكنهم ألصقوه بكتاب الله وجعلوه تفسيرا له وهو بريء منه وغير محتاج فى صدقه اليه

وقد خص ابراهيم بدعائه المؤمنين كما هو اللائق به ولكن الله واسع الرحمة وقد جعل رزق الدنيا عاما للمؤمن والكافر « كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » ولكن تمتيع الكافر محدود بهذا العمر القصير ، ومصيره في الآخرة الى شر مصير ، ولذلك « قال » الله تعالى في جواب ابراهيم « ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير » أي ان كفرهم بآيات الله سيسوقهم الى عذاب الله بما أقام الله تعالى عليه الانسان من السنن الحكيمة وأساسها ان علم الانسان وأعماله النفسية والبدنية لها الاثر الذى يفضي به الى سعادته أو شقائه اضطرارا ولما كانت هذه السنة بقضاء الله وتقديره صح ان يقال ان الله قد اضطر الكافر الى العذاب وألجأه اليه اذ جعل الارواح المدنسة بالعقائد الفاسدة والاخلاق المذمومة محل سخطه وموضع انتقامه . ولما كانت هذه العقائد والمعارف والاخلاق كسبية وكان الانسان متمكنا من اختيار الحق على الباطل والطيب على الخبيث صح ان يقال انه ظلم نفسه وعرضها للعذاب والشقاء باعماله التي مبدأها كسبي ، وأثرها ضروري ،

وفى قوله تعالى « ومن كفر » الخ إيجاز بالعطف على محذوف علم منه انه تعالى استجاب دعاء ابراهيم في المؤمنين فجعل لهم هذا الخير فى الدنيا وأعد لهم ماهو أفضل منه فى الآخرة . وهو إيجاز لم يكن يعهد فى غير القرآن جار على الاصل الذي تقدم بيانه فى خطاب القرآن للعرب خاصة دون ما كان يخاطب به بني اسرائيل وان كان كل ما في القرآن عبرة عامة لجميع المعتبرين

﴿ باب الفقه فى أحكام الدين ﴾

المفتي والقاضي فى الشرع

وتعريف الاجتهاد

المفتي في الشرع هو الفقيه المجتهد الذي يرجع اليه الناس فى معرفة مايخفى عليهم من أحكام الدين . قال فى (كشاف اصطلاحات الفنون) مانصه (ص ١١٥٧ ج ٢) : « الفقه هو اسم علم من العلوم المدونة وهو العلم بالاحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية والفقيه هو من اتصف بهذا العلم وهو المجتهد . قال المحقق التفتازاني في حاشية العضدي : ظاهر كلام القوم انه لايتصور فقيه غير مجتهد ولا مجتهد غير فقيه على الاطلاق . نعم لو اشترط فى الفقه التهيؤ لجميع الاحكام وجوّز في مسألة دون مسألة تحقق مجتهد ليس بفقيه »

وجاء (في ص ١١٥٦) منه مانصه « الاستفتاء هو عند الاصوليين والفقهاء مقابل الاجتهاد والمستفتي خلاف المفتي . والمفتي هو الفقيه فان لم نقل بتجزي الاجتهاد وهو كونه مجتهدا فى بعض المسائل دون بعض فكل من ليس مجتهدا في الكل فهو مستفت في الكل . وان قلنا بتجزي الاجتهاد فالامر واضح أيضا فانه مستفت فيما ليس مجتهدا فيه مفت فيما هو مجتهد. وبالجملة فالمفتي والمستفتي انما يكونان متقابلين ممتنعي الاجتماع عند اتحاد متعلقهما، واما اذا اعتبر كونه مفتيا فى حكم مستفتيا في حكم آخر فلا » : اه

وبيان هذا ان المفتي عندهم هو المجتهد المستعد للافتاء بالدليل فان كان مستعداً للافتاء فى عامة الاحكام فهو المجتهد المطلق وان كان لايقدر على الافتاء الا فى بعض الاحكام فهو مجتهد فيما هو مفت به . وهذا التفصيل مبني على قول المحققين من الاصوليين بأن الاجتهاد يتجزأ أي يجوز ان يجتهد الانسان في بعض المسائل فيقف على أدلتها ويعرف الحكم منها وان عجز عن مثل ذلك في مسائل أخرى .

وما تقدم من معنى الفقه هو اصطلاح علماء الاحكام العملية وأصولها (أي علم أصول الفقه) وللفقه معنى آخر هو ما يفهم من الكتاب والسنة وآثار السلف وهو فهم أسرار الدين في إصلاح النفوس ومعرفة آفاتها وما يصلح أخلاقها . ولا مشاحة في الاصطلاح فان الامام الغزالي الذي بين هذا المعنى كان يستعمل المعنى الاصطلاحي في كتبه الفقهية والاصولية . ويطلق الفقه عند المتأخرين على معرفة أقوال المؤلفين فى الاحكام .

وقد اشترطوا في القاضي ان يكون مجتهداً لانه كالمفتي في الحاجة الى معرفة الحق فيما يحكم به بل هو من جهة أحوج الى تحري الحق لانه ملزم والمفتي مبين فقط ولكن الحنفية أجازوا أن يكون القاضي غير مجتهد عند الضرورة اعتماداً على أنه يستفتي فعلم ان جواز نصب القاضي من غير أهل الاجتهاد مشروط بوجود مفت من أهله يبين له الحكم . وهذا نص متن الهداية وهو أشهر المتون المعتمدة في مذهب الحنفية قال : « ولا تصح ولاية القاضي حتى يجتمع فى المولى شرائط الشهادة ويكون من أهل الاجتهاد » قال الكمال فى (فتح القدير) شرح الهداية « الصحيح ان أهلية الاجتهاد شرط الاولوية فأما تقليد الجاهل فصحيح عندنا خلافا للشافعي رحمه الله وهو يقول ان الامر بالقضاء يستدعي القدرة عليه ولا قدرة دون العلم . ولنا أنه يمكنه ان يقضي بفتوى غيره ومقصود القضاء يحصل به وهو ايصال الحق الى مستحقه»

وقال المرغيناني في تكملته للفتح : « قوله : خلافا للشافعي : ومالك وأحمد وقولهم رواية عن علمائنا نص محمد في الاصل ان المقلد لايجوز ان يكون قاضيا ولكن المختار خلافه» ثم قال « والمراد بالعلم ليس مايقطع بصوابه بل مايظنه المجتهد فانه لاقطع فى مسائل الفقه واذا قضى بقول مجتهد فيه فقد قضى بذلك العلم وهو المطلوب »

ثم قال « واعلم ان ماذكر في القاضي ذكر في المفتي فلا يفتي الا المجتهد وقد استقر رأي الاصوليين على ان المفتي هو المجتهد وأما غير المجتهد ممن يحفظ أقوال المجتهد فليس بمفت »

ثم ذكر ان نقل النصوص ليس بفتوى وانما هو إخبار على سبيل الحكاية وان هذه الحكاية لاتحل الا اذا كان للحاكي سند الى المجتهد الذي ينقل عنه يعتقد صحته أوكان يأخذه عن كتاب معروف تداولته الايدي نحو كتب محمد بن الحسن

فعلم من هذه النقول ان مذاهب الائمة الاربعة متفقة على ما قاله الاصوليون من كون المفتي هو المجتهد وان خلاف الحنفية فى القضاء دون الافتاء وفيه عندهم قولان اعتمد صاحب الهداية على وجوب كون القاضي مجتهدا وفاقاً لنص الامام محمد واختار آخرون جواز كونه غير مجتهد اعتمادا على وجود مفت يفتيه فكأنه فى نظر هؤلاء منفذ فقط

ثم قال الكمال : « وفى حديث الاجتهاد كلام عرف فى أصول الفقه وحاصله

ان يكون صاحب حديث له معرفة بالفقه ليعرف معاني الآثار اوصاحب فقه له معرفه بالحديث لئلا يشتغل بالقياس فى المنصوص عليه . وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة يعرف بها عادات الناس لان من الاحكام مايبنى عليها» اه بحروفه وقال المرغيناني عند قوله : وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة : الخ مانصه : « فهذا القيل لابد منه فى المجتهد فمن أتقن معنى هذه الجملة فهو أهل للاجتهاد فيجب عليه ان يعمل باجتهاده وهو ان يبذل جهده فى طلب الظن بحكم شرعي عن هذه الادلة ولا يقلد أحدا » اه أي ويجب عليه ان يفتي كذلك بما ظهر له ولا يجوز له ان يفتي بقول أحد بل علمت من نصهم ان نقل قول الغير لايسمى فتوى

هذا مافسر به المفتي والمجتهد فى كتب الشريعة وابتدأنا بالنقل عن كتب الحنفية خاصة لان الحكومة المصرية على مذهبهم ومنها علم أن المذاهب الثلاثة موافقة لمذهب الحنفية في اعتبار كون المفتي هو المجتهد ، ولكن الجهل الظاهر قام يحتج على العلم فيحرم الاجتهاد على المفتي ولو فى بعض المسائل ويضع للمجتهد تعريفا جديدا وشروطا جديدة لان حرية المطبوعات فى مصر أباحت لكل أحد ان يخوض في كل شيء فقد رأينا تقريراً لبعض الجاهلين بالشرع يحتج فيه بزعمه على بعض ما أفتى به أشهر علماء الاسلام فى هذا العصر وينفي عنه الاجتهاد في الدين بناء على تعريف اخترعه للمجتهد لم يقل به قبله عالم ولا جاهل وهو كما في (ص ٣٧) من ذلك التقرير: « المجتهد هو الرجل الوجيه عند الله وعند الامة البالغ مبلغ العلم ومعرفة مدارك التشريع واسرار الشريعة بشرط ان يعترف له الناس بذلك » ثم قال بعد سطور في الاستدلال على كون الاجتهاد يكاد ممنوعا عقلا : ان الثقة العامة ركن من أركان الاجتهاد « فاذا ادعى مدع انه من المجتهدين واختلف الناس في أمره سقطت دعواه »

نقول ان هذا الكلام لغو باطل لانه اختراع أصول جديدة للشرع لم يقل بها أحد من اهله على انه غير معقول وغير مفهوم . دع عنك تخصيص الاجتهاد بالرجال المقتضي ان أمهات المؤمنين نسوة صاحب الشريعة عليه وعليهن السلام كن مقلدات غير مجتهدات في دينهن وانظر في اشتراطه كون المجتهد وجيها عند الله مع اشتراطه بعد ذلك ان تعترف له الامة بذلك ! ؛ من يقدر من الامة ان يحكم على الله ؛ ولا يعرف الا بوحي من الله ؟ فهذا

من غير المعقول ، ثم انظر في قوله «البالغ مبلغ العلم» تجده من غير المفهوم، ثم انظر في اشتراط اعتراف الامة مقلديها وجهلائها لرجل بانه وجيه عند الله وأنه بالغ مبلغ العلم وفهم أسرار الشريعة تجده غير معقول وغير مفهوم لان الامة لايمكن أن تصل الى معرفة هذه الامور فتحكم بها واذا فرضنا وصولها اليها فانها تكون أمة مجتهدة أي يكون جميع أفرادها مجتهدين وكل واحد منهم عارف بقدر الآخر وشاهد له ... ولم يشهد فرد واحد لمجتهد من السابقين بمثل ذلك .

﴿ بيان ماجاء في كتاب الاحكام السلطانية من القول باجتهاد القاضي ﴾

(فصل) ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب أبي حنيفة لان للقاضي ان يجتهد برأيه في قضائه ولا يلزمه ان يقلد في النوازل والاحكام من اعتزى الى مذهبه فاذا كان شافعيا لم يلزمه المصير فى أحكامه الى أقاويل الشافعي حتى يؤدّيه اجتهاده اليها فان أدّاه اجتهاده الى الاخذ بقول أبي حنيفة عمل عليه وأخذ به وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب أن يحكم بغيره فمنع الشافعي أن يحكم بقول أبي حنيفة ومنع الحنفي ان يحكم بمذهب الشافعي اذا أدّاه اجتهاده اليه لما يتوجه اليه من التهمة والممايلة فى القضايا والاحكام وإذا حكم بمذهب لايتعداه كان أنفى للتهمة وأرضى للخصوم وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فأحكام الشرع لاتوجبه لان التقليد فيها محظور والاجتهاد فيها مستحق واذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدّد مثله من بعد أعاد الاجتهاد فيه وقضى بما أدّاه اجتهاده اليه وان خالف ماتقدم من حكمه فان عمر رضي الله عنه قضى في المشتركة بالتشريك في عام وترك التشريك فى غيره فقيل له ماهكذا حكمت فى العام الماضي فقال: تلك على ماقضينا وهذه على مانقضي: فلو شرط المولي وهو حنفي أو شافعي على من ولاه القضاء أن لايحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على ضربين أحدها أن يشترط ذلك عموما فى جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقا لمذهب المولى أو مخالفا له وأما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيه وأخرجه مخرج الامر أو مخرج النهي وقال قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الامر أولا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسدا سواء تضمن أمرا أونهيا ويجوز أن يحكم بما أداه اجتهاده اليه سواء وافق شرطه أو

خالفه ويكون اشتراط المولي لذلك قدحا فيه ان علم انه اشترط مالا يجوز ولا يكون قدحا ان جهل لكن لا يصح مع الجهل به أن يكون موليا ولا واليا. فان أخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على أن تحكم فيه بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد وقال أهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط. والضرب الثاني أن يكون الشرط خاصا في حكم بعينه فلا يخلو الشرط من أن يكون أمرا أو نهيا فان كان أمرا فقال له أقد من العبد بالحر ومن المسلم بالكافر واقتص في القتل بغير الحديد كان أمره بهذا الشرط فاسدا ثم ان جعله شرطا في عقد الولاية فسدت وان لم يجعله شرطا فيها صحت وحكم في ذلك بما يؤديه اجتهاده اليه. وان كان نهيا فهو على ضربين أحدهما ان ينهاه عن الحكم في قتل المسلم بالكافر والحر بالعبد ولا يقضي فيه بوجوب قود ولا باسقاطه فهذا جائز لانه اقتصر بولايته على ماعداه فصار ذلك خارجا عن نظره. والضرب الثاني أن لا ينهاه عن الحاكم وينهاه عن القضاء في القصاص فقد اختلف أصحابنا في هذا النهي هل يوجب صرفه عن النظر فيه؟ على وجهين أحدهما أن يكون صرفا عن الحكم فيه وخارجا عن ولايته فلا يحكم فيه باثبات قود ولا باسقاطه والثاني ان لا يقتضي الصرف عنه ويجري عليه حكم الامر به ويثبت صحة النظر ان لم يجعله شرطا في التقليد ويحكم فيه بما يؤديه اجتهاده اليه اه

فعلم من هذا ان القاضي لا يعزل اذا خالف مذهب موليه او شرطه عليه تقليد امام معين بل تجب عليه مخالفة موليه اذا ظهر له الدليل على ان مخالفته هي الصواب. والمفتي في ذلك كالقاضي كما تقدم نقلا عن شرح الهداية بل القول بوجوب اجتهاد المفتي عند الحنفية أقوى من القول باجتهاد القاضي كما علمت وبهذه النصوص تعلم ان ما كتب في تلك الجريدة المحدثة من كون المفتي يصير معزولا اذا أفتى بخلاف مذهب موليه قول باطل، مبني على الجهل الظاهر،

وقد كان وقع مثل هذا الوهم أو قريبا منه لبعض الازهريين عندما علم ان قاضي قضاة السودان حكم في بعض القضايا بمذهب الامام مالك كالطلاق على المعسر والغائب. فسألنا يومئذ ذلك الازهري عن ذلك فأجبناه بنحو ما تقدم وزيادة تتعلق بالمولي نسكت عن مثلها الآن. وربما نزيد الكلام في الافتاء والمفتي بيانا في جزء آخر

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة — تابع ويتبع

(الوجه الثالث والاربعون) قولهم: ان الله سبحانه وتعالى اثنى على السابقين لاولين من المهاجرين والانصار، والذين اتبعوهم باحسان، وتقليدهم هو اتباعهم باحسان: فما أصدق المقدمة الاولى وما أكذب الثانية. بل الآية من أعظم الادلة ردا على فرقة التقليد فان اتباعهم هو سلوك سبيلهم ومنهاجهم وقد نهوا عن التقليد وكون الرجل إمعة. واخبروا انه ليس من أهل البصيرة ولم يكن فيهم — ولله الحمد — رجل واحد على مذهب هؤلاء المقلدين. وقد أعاذهم الله وعافاهم مما ابتلى به من يرد النصوص لآراء الرجال وتقليده لها فهذا ضد متابعتهم وهو نفس مخالفتهم. فالتابعون لهم باحسان حقا هم أولوا العلم والبصائر الذين لا يقدمون على كتاب الله وسنة رسوله رأيا ولا قياسا ولا معقولا ولا قول أحد من العالمين. ولا يجعلون مذهب أحد عيارا على القرآن والسنن فهؤلاء أتباعهم حقا جعلنا الله منهم بفضله ورحمته. يوضحه:

(الوجه الرابع والاربعون) ان اتباعهم لو كانوا هم المقلدين الذين هم مقرون على أنفسهم وجميع أهل العلم انهم ليسوا من أولي العلم لكان سادات العلماء الدائرون مع الحجة ليسوا من اتباعهم، والجهال أسعد باتباعهم منهم وهذا عين المحال. بل من خالف واحدا منهم للحجة هو المتبع له دون من أخذ قوله بغير حجة، وهكذا القول في اتباع الأئمة رضى الله عنهم معاذ الله ان يكونوا هم المقلدين لهم الذين ينزلون آراءهم منزلة النصوص بل يتركون لها النصوص فهؤلاء ليسوا من اتباعهم وانما اتباعهم من كان على طريقهم واقتفى منهاجهم.

ولقد أنكر بعض المقلدين على شيخ الاسلام في تدريسه بمدرسة ابن الحنبلي وهي وقف على الحنابلة والمجتهد ليس منهم فقال انما أتناول ما أتناول منها على معرفتي بمذهب أحمد لا على تقليدي له. ومن المحال ان يكون هؤلاء المتأخرون على مذهب الأئمة دون أصحابهم الذين لم يكونوا يقلدونهم. فأتبع الناس لمالك ابن وهب وطبقته ممن يحكم الحجة وينقاد للدليل أين كان وكذلك أبو يوسف ومحمد أتبع لأبي حنيفة من المقلدين له مع كثرة مخالفتهما له وكذلك البخاري ومسلم وأبو داود والأثرم وهذه الطبقة من أصحاب أحمد أتبع له من المقلدين المحض المنتسبين اليه — وعلى هذا فالوقف

على اتباع الائمة أهل الحجة والعلم أحق به من المقلدين فى نفس الامر .

(الوجه الخامس والاربعون) قولهم : يكفي فى صحة التقليد الحديث المشهور «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » . جوابه من وجوه :

أحدها : ان هذا الحديث قد روي من طريق الاعمش عن أبي سفيان عن جابر ومن حديث سعيد بن المسيب عن ابن عمر ومن طريق حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر ولا يثبت شيء منها . قال ابن عبد البر : ثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد ان أبا عبد الله بن مفرح حدثهم . ثنا محمد ابن أيوب الصموت . قال : قال لنا البزار : واما ما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الثاني : ان يقال لهؤلاء المقلدين فكيف استجزتم ترك تقليد النجوم التي يهتدى بها وقلدتم من هو دونهم بمراتب كثيرة . فكان تقليد مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد آثر عندكم من تقليد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . فما دل عليه الحديث خالفتموه صريحا واستدللتم به على تقليد من لم يتعرض له بوجه .

الثالث : ان هذا يوجب عليكم تقليد من ورث الجد مع الاخوة منهم ومن أسقط الاخوة به معا وتقليد من قال : الحرام يمين : ومن قال : هو طلاق : وتقليد من حرم الجمع بين الاختين بملك اليمين ومن أباحه . وتقليد من جوز للصائم أكل البرد ومن منع منه . وتقليد من قال : تعتد المتوفى عنها بأقصى الاجلين : ومن قال : بوضع الحمل : وتقليد من قال : يحرم على المحرم استدامة الطيب : وتقليد من أباحه . وتقليد من جوز بيع الدرهم بالدرهمين . وتقليد من حرمه . وتقليد من أوجب الغسل من الإكسال . وتقليد من أسقطه . وتقليد من ورث ذوي الارحام . ومن أسقطهم . وتقليد من رأى التحريم برضاع الكبير . ومن لم يره . وتقليد من منع تيمم الجنب . ومن أوجبه . وتقليد من رأي الطلاق الثلاث واحدا . ومن رآه ثلاثا . وتقليد من أوجب فسخ الحج الى العمرة . ومن منع منه . وتقليد من أباح لحوم الحمر الاهلية . ومن منع منها . وتقليد من رأى النقض بمس الذكر . ومن لم يره . وتقليد من رأى بيع الامة طلاقها ومن لم يره . وتقليد من وقف المولى عند الاجل . ومن لم يقفه . واضعاف

اضعاف ذلك مما اختلف فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فان سوغتم هذا فلا تحتجوا لقول على قول ومذهب على مذهب بل اجعلوا الرجل مخيراً في الاخذ بأي قول شاء من اقوالهم . ولا تنكروا على من خالف مذهبكم واتبع قول أحدهم . وان لم تسوغوه فانتم أول مبطل لهذا الحديث ومخالف له وقائل بضد مقتضاه وهذا مما لا انفكاك لكم منه .

الرابع : ان الاقتداء بهم هو اتباع القرآن والسنة والقول من كل من دعا اليهما منهم فالاقتداء بهم يحرم عليكم التقليد ويوجب الاستدلال وتحكيم الدليل كما كان عليه القوم رضي الله عنهم . وحينئذ فالحديث من أقوى الحجج عليكم وبالله التوفيق .

(الوجه السادس والاربعون) قولكم : قال عبدالله بن مسعود : من كان مستنا منكم فليستن بمن قدمات أولئك أصحاب محمد : فهذا من أكبر الحجج عليكم من وجوه . فانه نهى عن الاستنان بالاحياء وأنتم تقلدون الاحياء والاموات . الثاني انه عين المستن بهم فانهم خير الخلق وأبر الامة وأعلمهم رضي الله عنهم . وأنتم معاشر المقلدين لا ترون تقليدهم ولا الاستنان بهم وانما ترون تقليد فلان وفلان ممن هو دونهم بكثير . الثالث : ان الاستنان بهم هو الاقتداء بهم وهو بأن يأتي المقتدي بمثل ما أتوا به ويفعل كما فعلوا . وهذا يبطل قبول قول أحد بغير حجة كما كان الصحابة (رض) عليه . الرابع : ان ابن مسعود قد صح عنه النهي عن التقليد وان لا يكون الرجل امعة لا بصيرة له . فعلم ان الاستنان عنده غير التقليد .

(الوجه السابع والاربعون) قولكم : قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وقال « اقتدوا بالذين من بعدي » فهذا من أكبر حججنا عليكم في بطلان ما أنتم عليه من التقليد فانه خلاف سنتهم . ومن المعلوم بالضرورة ان أحداً منهم لم يكن يدع السنة اذا ظهرت لقول غيره كائنا من كان ولم يكن له معها قول البتة وطريق فرقة التقليد خلاف ذلك . يوضحه

(الوجه الثامن والاربعون) انه صلى الله عليه وآله وسلم قرن سنتهم بسنته في وجوب الاتباع . والاخذ بسنتهم ليس تقليداً لهم بل اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ان الاخذ بالاذان لم يكن تقليداً لمن رآه في المنام . والاخذ بقضاء مافات المسبوق من صلاته بعد سلام الامام لم يكن تقليداً لمعاذ بل اتباعا لمن أمرنا

بالاخذ بذلك فاين التقليد الذي أنتم عليه من هذا ؟ يوضحه

(الوجه التاسع والاربعون) انكم أول مخالف لهذين الحديثين فانكم لا ترون الاخذ بسنتهم ولا الاقتداء بهم واجبا وليس قولهم عندكم حجة وقد صرح بعض علمائكم بأنه لا يجوز تقليدهم ويجب تقليد الشافعي ، فمن العجائب احتجاجكم بشيء أنتم أشد الناس خلافا له وبالله التوفيق يوضحه

(الوجه الخمسون) ان الحديث بجملته حجة عليكم من كل وجه: فانه أمر عند كثرة الاختلاف بسنته وسنة خلفائه وأمرتم أنتم برأي فلان ومذهب فلان. الثاني: أنه حذر من محدثات الامور وأخبر ان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة. ومن المعلوم بالاضطرار ان ما أنتم عليه من التقليد الذي ترك له كتاب الله وسنة رسوله ويعرض القرآن والسنة عليه ويجعل معياراً عليهما من أعظم المحدثات له والبدع التي برأ الله سبحانه القرون التي فضلها وخيرها على غيرها منه. وبالجملة فسنة الخلفاء الراشدون أو أحدهم للامة فهو حجة لا يجوز العدول عنها فأين هذا من قول فرقة التقليد: ليست سنتهم حجة ولا يجوز تقليدهم فيها: يوضحه

(الوجه الحادي والخمسون) انه صلى الله عليه وآله وسلم قال في نفس هذا الحديث «فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا» وهذا ذم للمختلفين وتحذير من سلوك سبيلهم وانما كثر الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعا كل فرقة تنصر متبوعها وتدعو اليها، وتذم من خالفها، ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم ملة أخرى سواهم يدأبون ويكدحون في الرد عليهم ويقولون: كتبهم وكتبنا وأئمتهم وأئمتنا، ومذهبهم ومذهبنا، هذا والنبي واحد، والقرآن واحد، والدين واحد، والرب واحد،

فالواجب على الجميع ان ينقادوا الى كلمة سواء بينهم كلهم وان لا يطيعوا الا الرسول ولا يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً !!

فلو اتفقت كلمتهم على ذلك وانقاد كل واحد منهم لمن دعاه الى الله ورسوله وتحاكموا كلهم الى السنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف وان لم يعدم من الارض . ولهذا تجد أقل الناس اختلافا أهل السنة والحديث ، فليس على وجه الارض طائفة أكثر اتفاقا وأقل اختلافا منهم لما بنوا على هذا الاصل وكلما كانت الفرقة عن الحديث أبعد، كان اختلافهم في أنفسهم أشد وأكثر، فان من رد الحق مرج عليه أمره، واختلط عليه، والتبس عليه وجه الصواب، فلم يدر أين يذهب كما قال تعالى (بل كذبوا بالحق لما جاءهم. فهم في أمر مريج)

باب السؤال والفتوى

الحكمة فى كون الانبياء لايورثون

(س ١) انجي أمبوغ بن أحمد في سنغافوره: ما الحكمة فى كون الانبياء عليهم السلام لايورثون؟

(ج) الحكمة في ذلك دفع تهمة الكافرين والمرتابين الذين يظنون ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالملوك والامراء كانوا يريدون بدعوتهم الثروة والجاه والسيادة • والحجة على هؤلاء ان سيرة الانبياء ترد هذا الزعم وتبطله فقد كانوا معروفين بالزهد في الدنيا وعدم المبالاة بزخرفها والعناية بمجدها • وقد يقول المنكر ان المعهود في كثير من الناس ان يضيقوا ويقتروا على أنفسهم ليوفروا التراث لذرياتهم وهؤلاء كذلك فكان من تمام الحجة ان يجعلوا مايتركون صدقة لامتهم ليعلم انه لم يكن لهم حظ في الدنيا لا لأنفسهم في حياتهم ولا لذرياتهم بعد مماتهم وانما كانوا يقصدون بدعوتهم مرضاة الله تعالى بهداية خلقه وارشادهم الى مافيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة

تكفير الحج الذنوب

(س ٢) عوض افندي محمد الكفراوي بزفتي: أفيدونا عن الحج المبرور هل يكفر جميع الذنوب الكبائر والصغائر حتى التبعات أم يكفر البعض ويبقى البعض؟ وعن أصح الاقاويل والنصوص فيه لان بيننا خلافا في ذلك

(ج) الاصل في القول بالتكفير حديث أحمد والشيخين وأصحاب السنن ماعدا أباداود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة» وحديث أحمد والشيخين وغيرهم عنه «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» وفي رواية للترمذي «غفر له ماتقدم من ذنبه» قال الترمذي هو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق الله لا العباد ولا يسقط الحق نفسه بل من عليه صلاة يسقط عنه اثم تأخيرها لا نفسها فلو أخرها بعد ذلك تجدد إثم آخر • وقال ابن عبد البر ان الذي يكفر هو الذنوب الصغائر • وقال الطبري هو محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها أي فمن كان عليه حق لأحد فانه لا يكفره عنه الا العجز عن ادائه مع نية الاداء عند القدرة • وقالوا ان الحج المبرور هو المقبول والذي جاء على الوجه الاكمل باستيفاء الاعمال البدنية والقلبية ومن ذلك ان يكون المال الذي ينفقه حلالا . وأنشدوا :

اذا حججت بمال أصله دنس فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله الا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

واذا بحثنا في معنى التكفير وسره يتيسر لنا ان نفهم ان قول هؤلاء الائمة هو المعقول وان قول بعض المتأخرين ان الحج يكفر التبعات والموبقات ويسقط الحقوق فاسد مخالف لاصول الدين وقواعد الشريعة . ذلك ان الكلام الالهي والهدي النبوي يدلان على ان الذنوب تدنس الارواح وتُدَسِّيهَا ، وان الاعمال الصالحة تطهرها وتزكيها . وان تكرار السيئات يحدث في النفوس ظلمات معنوية اذا كثرت ترين على القلوب أي تغطيها حتى لا تعود تتأثر بالذكرى والموعظة وان من أحاطت به سيئته بمثل هذا التكرار ، كان خالدا فى النار ، وان من تدارك الذنب بالتوبة والعمل الصالح الذي يكون أثره فى النفس مضادا لاثر ذلك الذنب يغفر له ويكفر عنه « ان الحسنات يذهبن السيئات » — « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى »

والحج المبرور الذي لا رفث فيه ولا فسوق أي الذي ليس فيه كلام فاحش ولا خروج عن آداب الشريعة وحدودها هو توبة نصوح وايمان وعمل صالح له فى النفس أكبر الآثار فى اصلاحها لما فيه من الانقطاع عن الاهل والوطن والاعمال الدنيوية والاقبال على الله تعالى بزيّ الاموات ، واحياء شعائر أعظم المرشدين ، والوقوف في مواقف أفضل المرسلين ، والتذكر بتقلبهم في تلك المعاهد المقدسة تعبدا لله تعالى وتقربا اليه وخضوعا خالصا لجلاله لا حظ للنفس فيه . فمن حج مثل هذا الحج المبرور ، واستغرق قلبه بمثل هذا الاحساس والشعور ، رجي ان يمحى ما كان علق بنفسه من آثار الذنوب الماضية أو تغلب تلك الظلمة بهذا النور وعند ذلك تنبعث النفس الى حسن الطاعة ، والاستقامة على طريق الهداية ، فتعمد الى أداء ما عليها من الحقوق لله وللناس بقدر الاستطاعة فيصح ان يقال انها وُلدت ولادة جديدة لانها دخلت فى دور من الحياة جديد ، وان يقال ان السيئات الماضية قد كفرت وغفرت لان الغفر والتكفير بمعنى تغطية الشيء وقد غطيت تلك الظلمة الماضية وسترت بهذا النور الحاضر

وأما من يتوهم ان التكفير والمغفرة عبارة عن أجرة الحركات البدنية فى السفر الى مكة والطواف والسعي والوقوف في تلك المعاهد وان مثالها مثال من

أفسد في حرث غني ونسله فكلفه بعمل شاق في مقابلة ذلك الافساد وجعل هذا في مقابلة ذاك — فهو الذي يجهل الدين ويرى ان الله ينظر الى حركات الابدان ، دون اصلاح النفوس والارواح . ولو كان الامر كذلك لكان كل من أدى أعمال الحج الظاهرة مقطوعا له بالمغفرة ولكان للمغرور ان يترك الفرائض ، وينتهك المحارم ، ويتوغل في المظالم ، ثم يسافر الى تلك البلاد ويأتي بتلك الحركات ، ويعتقد ان قد سقطت عنه جميع الحقوق والتبعات ،

وقد قالوا ان للحج المبرور الذي يكفر السيئات علامات جماعها الاستقامة بعده . قال الامام الغزالي في آخر كتاب الحج من الاحياء بعد ذكر أعمال القلب فيه ما نصه : « فاذا فرغ منها فليلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدري أقبل حجه واثبت في زمرة المحبوبين ، أم رد حجه وألحق بالمطرودين ، وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لايقبل الا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس لعنه الله . فاذا ظهر ذلك عليه دلّ على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله من ذلك » اه

﴿ بعض حكم الحج ﴾

(س ٣ و٤ و٥) سيد افندي نصر بالجيزه : (١) ما الحكمة في الوقوف بعرفة ؟
(٢) ما الحكمة بجمع الجمرات من محل مخصوص وما هي حقيقة الرجم وأي شيء يرجمون ؟
(٣) هل بئر زمزم صناعية أم طبيعية وما علة تسميتها بهذا الاسم ؟

(ج) الوقوف بعرفة في معنى الاجتماع لصلاة الجمعة الا أن جماعته أكبر ، وفائدة الاجتماع فيه أعم وأكمل ، فان المسلمين يجتمعون له من كل شعب وقبيل ويقصدون اليه من كل رجا من أرجاء الارض فيتعارفون في موقف يساوي بين الملوك والامراء ، والصعاليك والفقراء ، اذ يجتمعون بزيّ واحد ، على عمل واحد ، ويتلقون من إمام المسلمين أو نائبه تعليما واحدا بالخطبة * وأما رمي الجمار فيقصد به التشبه بابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ كان في تلك المعاهد يبني بيت الله وينقل الحجارة بنفسه ويساعده ولده اسماعيل . فانّ تذكر

قيام الرجال العظام بخدمة الدين يحيي شعور الدين فى النفوس ويبعث الهمة للاقتداء بهم . وروح هذا التشبه وسره اظهار العبودية لله تعالى والامتثال لامره واقتفاء أثر رسله في الامور الدينية التي وضعت لاصلاح النفوس باحياء شعور الايمان والتعبد لله . وللرمي أذكار مخصوصة يقصد بها ماذكرنا فتكون الحصيات مع هذه الاذكار كالسبحة في احصاء الاذكار المأثورة بالعدد المعين وكانوا في الصدر الاول اذا عدوا يعدون على نحو الحصا والنوى . والعمدة ماذكرناه أولا من معنى التأسي والتعبد . واما بئر زمزم فهي كسائر الآبار ماء طبيعي وبناء صناعي وفي مائها معادن نافعة ان شاء الله تعالى . والماء الزمزم الكثير وروي ان هاجر أم اسماعيل عليهما السلام هي التي اهتدت اليه عند الحاجة وان الملك فجره لها والملائكة موكلون بكل شيء فهم أرواح النظام ونواميس الاسباب والله أعلم

وقد كنا عازمين على أن ننشر فى الجزء الماضى أو فى هذا الجزء مقالا مسهبا فى أعمال الحج الظاهرة والباطنه وفي حكمه وأسراره الروحية والاجتماعية ولكن الكلام في مسألة الفتاوي العارضة شغلنا عن ذلك حتى سافر أكثر الحجاج الذين كنا نحب ان نزودهم بما نكتب ولعلنا أن أمهل الزمان نكتب ذلك فى العام القابل ان شاء الله تعالى

الصور الشمسية

(س ٦) عبد الكبير افندي المصطفوي الخطيب والمدرس في (روسيا) :

شاع في عصرنا هذا التصوير بآلة مخصوصة ونحن مجبورون من حكومتنا الروسية على ان نصوّر بهذه الآلة فى بعض الاحوال لإثبات اشخاصنا ومن ذلك ان من يريد منا ان يكون اماما فى مسجد يكلف بأن يقدم صورته الى الجمعية الشرعية فى أوفا عند حضوره اليها لتأدية الامتحان لاثبات انه هو فهل يجوز هذا شرعا أم لا وما معنى الاحاديث الواردة في النهي عن ذلك ؟

(ج) سبق لنا فى المنار بيان السبب في النهي عن التصوير واتخاذ الصور بهيئة تدل على التعظيم وهو ان القوم كانوا قريبي عهد بالوثنية وكانت الكعبة في الجاهلية مزينة بالصور المعتقدة ومنها صور بعض الانبياء فاراد الشارع ان ينسيهم تلك العبادة الوثنية التي الفوها القرون الطويلة وأنست نفوسهم بها فنهاهم عن التصوير و تعظيم الصور كما نهاهم عن تشريف القبور واتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج عندها بل وعن زيارتها في أول الامر وعن

اتخاذ قبره وثنا أو عيدا ، ولقد شدد في أمر القبور مالم يشدد في أمر الصور حتى كان يلعن من يتخذها مساجد وهو في مرض الموت ، ولكن المسلمين ظلوا في الغالب يتجنبون التصوير واتخاذ الصور حتى بعد زوال سبب النهي بالمرة فانه لايخطر ببال مسلم الآن ان يعبد صورة أو تمثالا ونراهم قد استباحوا مانهوا عنه في شأن القبور فاتخذوها مساجد وأوقدوا عليها السرج والشموع واوقفوا لذلك الاوقاف مع ان معنى النهي قائم متحقق بل زاد المسلمون على غيرهم فيما نهوا ان يفعلوا فيه فعلهم وهذا من عجائب انقلاب أوضاع الدين

اتخاذ الصورة وحملها لاجل ان يعرف الشخص بها لمصلحة ألزمته حكومته بها لاضرر فيه لا لأنه لادخل لنزعات الوثنية وتذكر عبادتها بهذه الصورة فقط بل نزيد على انتفاء علة النهي عن التصوير واتخاذ الصور أن الفقهاء الذين يقلدهم المسلمون الآن قد صرحوا بذلك فمنهم من قال ان اتخاذ الصور من غير تعظيم لها لاضرر فيه واستدلوا على ذلك بحديث عائشة في الصحيح وهو ان النبي عليه الصلاة والسلام أمرها بهتك القرام (الستار) الذي فيه الصور اذ كان معلقا كما تعلق الصور المعبودة فهتكته واتخذت منه وسادة كان النبي (ص) يستعملها والصور فيها ، ومنهم من قال انه لابأس باتخاذ الصور التي لايعيش مثلها وأكثر الصور الشمسية التي تتخذ لمعرفة اشخاص أصحابها لاحرمة فيه عليكم لااجتهادا ولاتقليدا بل الامر أوسع من ذلك

﴿ تعليم النساء الكتابة ﴾

(س ٧) ومنه : ذكرتم في المنار ان الحديث الوارد في النهي عن تعليم النساء الكتابة موضوع وقلتم ان تعليمهن الكتابة جائز ولكن الكتاب الذي طبع في دياركم المسمى (تفليس ابليس) أو (فصل الخطاب) يقول ان الحديث في النهي عن تعليم النساء الكتابة واسكانهن الغرف متواتر فمن أين اخذ صاحب هذا الكتاب القول بتواتر الحديث وتصحيحه ؟

(ج) ان مؤلف ذلك الكتاب جاهل بالحديث والشرع فلا يعتد بقوله وقد أخذ قوله عن أمثاله من العامة وانالم نقرأ من كتابه المذكور شيئا حرصا على الوقت ان يضيع منه شيء في قراءة لغو المعتدين على العلم والدين بغرورهم. وقد رأيتم النص عن المحدثين بأن الحديث موضوع ونصح لكم بأن لاتعتمدوا على أي حديث في

أي كتاب لاي مؤلف اذا لم يذكر تخريجه عن الحفاظ المعروفين . وكيف ينهى النبي (ص) عن اسكان النساء الغرف والله تعالى يقول « أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجدكم ولاتضارُّوهن لتضيقوا عليهن » ولكن اين هؤلاء الجاهلون من فهم القرآن وتطبيق السنة عليه ؟؟

﴿ ايعمل بخبر الجرائد فى اثبات الصيام ﴾

(س ٨) الشيخ مقبل الذكير فى جزيرة البحرين : اطلعنا فى الجزء السابع عشر من المنار على بحث الصيام وفضله وثبوته فجزاكم الله عن الاسلام خيرا فقد أوجزتم وأحسنتم ولنا ههنا سؤال وهو اذا ذكرت الجرائد ان شهر رمضان قد ثبت شرعا ان أوله الجمعة وكان بعض أهل الاقطار البعيدة كخليج فارس والعراق قد رأوا الهلال ليلة السبت فهل يعتمدون على خبر الجرائد اذا بلغهم في أثناء الشهر ويبنون عليه اتمام العدة ثلاثين يوما اذا لم يروا هلال شوال ثم يقضون ذلك اليوم (الجمعة) أم يتمون العدة على حسب صيامهم الذي أوله السبت ولا يجب عليهم قضاء ؟ أفيدوا مأجورين

(ج) الواجب على من ذكرتم ان يعملوا بحسب رؤيتهم ويتموا العدة على حسابهم الا ان يروا الهلال ليلة الثلاثين بحسابهم فانهم بنوا صيامهم على اثبات شرعي صحيح. وما سبق في المنار استحسانه من عمل أهل القطر المصري لا ينطبق على مثل ماذكرتم فانه خاص ببلاد يمكن ان يعرف أهلها كلهم اثبات الشهر فى الليلة الاولى منه ليصوموا جميعا ويفطروا جميعا فان الاجتماع والاتفاق في اداء العبادة من مهمات الشرع . وأما البلاد المنقطعة بعضها عن بعض فيجب ان يعمل أهل كل جهة بما يثبت عندهم ولا يعمل أهل البحرين بما يثبت في البصرة أو الهند أو مصر الا اذا أمكن العلم بذلك فى الليلة الاولى من الشهر بطريقة مأمونة من التزوير وأنى لهم هذا ؟

كيفية الاعتقاد بالوحي

كتب كاتب الى الاستاذ الامام يسأله ان يكتب فى المنار كيفية الاعتقاد بالوحي وتعريف الوحي التعريف الذي يسهل على الفهم تناوله وعلى العقل قبوله ويقول انه اجتهد فى فهم الوحي فلم يفهم المراد منه . فالاستاذ الامام يحيله على رسالة التوحيد فاذا قرأها وتدبر ما كتب فيها ولم يقتنع فليحضر بنفسه الى محل الافتاء فى الازهر وليسأل عما اشتبه عليه يجب عنه واذا لم يتيسر له الحضور فليكتب ما يشتبه عليه

نظام الحب والبغض — تابع ويتبع

(حب القوة)

— رابطة الدين —

قد بينا هنا لكم أن رابطة القومية لا يعدو نفعها قدراً طفيفاً كأن يعين الرجل رجلا من عترته على رجل من عترة أخرى . وأن هذا القدر لو لبث عليه الانسان لما تميز على الحيوانات التي ينهش بعضها بعضا . وهنا نبين كيف حدثت لهذا النوع رابطة أخرى ، وكيف أورثته قوة عظمى ؛ وسارت به في الارتقاء مسافة كبرى .

أما التاريخ فلا يعطينا هذا البيان لأنه انما حدث بعد حدوث هذه الرابطة . فبياننا هذا نأخذه مما قرأناه في طبيعة الانسان وعناية فاطره به .

(تأسيس)

ان من المحقق المحسوس ان الاقاليم والاعمال والاعمار تحدث في أهلها ثم في أعقابهم من الصفات الجسدية ما يجعل بينهم وبين الآخرين فروقا تبتدئ صغيرة ثم تكبر . فهذه من جملة الاسباب التي أوجبت — على التمادي — الفروق التي بين ابدان البشر . وليس من صددنا الآن التصدي لذكر الاسباب الاخر . بل نكتفي بهذه لندعم بها مقدمة أردنا اثباتها هنا وهي انه « كما تتفاوت الابدان لاسباب تتفاوت الافكار لاسباب » (ولم أر امثال الرجال تفاوتا)

ومن المحقق المحسوس والمعقول ان بين القوى الثلاثة التي في الانسان ارتباطاً فالقوى الظاهرة مسخرة للنوعين الآخرين من قواه نعني بهما قوة الادراك — التي نسميها الفكر أو العقل — وقوة الطلب والارادة — التي نسميها القلب — واننا نجد أن العقل والقلب يكونان على مبلغ البدن من الصحة والاعتدال والقوة . ثم نجد لصحة البدن أسباباً منها صحة الادراك واعتدال الارادة .

هذا الارتباط دقيق جداً وفيه شبه الدور الذي يمنعه علماء التصور والتصديق (المنطق) ولدقته خفي على أكثر الناس إنافة كل قوة على أختها في التأثير .

فمن الناس من ظن ان صحة البدن هي التي تنتج صحة الفكر والارادة . وقد نسوا ان أصح البهائم بدنا لا تفوق بالفهم أضعفها . ونسوا أن الذين ليس لهم نصيب كبير من الحياة النوعية —

كرعاء الابل ـ أقرب الى صحة الابدان منهم الى صحة الافكار ونحن بهذا الاحتجاج لم نرد تفنيد ذلك الرأي من كل الوجوه بل من وجه الجمود على هذه الجهة وحدها.

وآخرون ظنوا ان الاصل صحة العقل فهي التي تنتج صحة البدن والارادة. وقد نسوا ان أقوى الناس عقلا لايفوق بصحة البدن ضعاف الادراك وبصحة الارادة ضعاف الابدان.

كل هذه الظنون نشأت من الشعور بذلك الارتباط ولكن لم يرافقها التدقيق فسيمت بالارتباك. والظن السديد الموطود، هو ان الارتباط موجود، والدور مفقود، والامر دائر على فضل طفيف بينها. فهبة القلب للعقل والبدن تنيف إنافة قليلة على اتهابه منهما. وهبة العقل للبدن تنيف قليلا على اتهابه منه. ثم وراء الكل للعقل والقلب جاذبان ضدان مستتران قد أوجدهما باري الكل محكا للعقول ليخلص الطيب كما يخلص النور من الغثاء الاحوى. ولا يسئل من خلق الاضداد عما خلق. سبحانه هو المنزه وحده عن الاضداد والانداد

هذا ماظهر لنا من كيفية الارتباط بين قوى الجسد الظاهرة والباطنة ثم علاقتها بالامرين الغيبيين وهو يعرّفنا أنه مهما يكن للامور الحسية من تأثير فأن وراءها أموراً غيبية. وانه مهما يكن للامور الغيبية من تأثير فان للامور الحسية دخلا وشركة. وتثمر هذه المعرفة احترام الاسباب الظاهرة أدبا مع من لم يوجدها عبثا وتشوّف النفوس الى ماوراء المعارف الحاضرة وبمثل هذا كان رقيّ النوع في المعارف.

ويؤخذ من هذا ان أوائل علوم البشر كلها الهامية وحيية وأن الهام كل فرد يكون بحسب قواه.

ومعنى الالهام اوالوحي في اللغة الالقاء في الروع أي الاخطار على البال. بيد أنه يكون على ثلاثة انواع يختلف تعريفه اصطلاحا بحسبها.

النوع الاول: عام وهو ماتكون به هداية كل نوع لما يصلح له قوامه كالذي نراه في فطر آكلة العشب من اجتناب الاعشاب التي لاتلائمها من غير معلم ومن غير تجربة سابقة كالخيل والبقر والانعام. وكالذي نراه من اتخاذ كل نوع من الانواع المتعادية أسبابا لدفاع والهجوم من صياصي وخدائع. اعتبر بذلك من صغار الحشرات

الى كبار السباع . وكالذي نشاهده من استشفاء البعض منها ببعض الاعشاب كالسنانير والكلاب . وكالذي نراه من نظام الحيوانات المنقادة لرئيس منها كالنحل والنمل . (*)

والنوع الثاني : خاص وهو ماتكون به هداية هذا النوع الانساني في حياته النوعية وشؤونه الخصوصية . ومن هـذا الباب الرجاء الفجائي وأوائل الاختراعات على اختلافها . (**)

والنوع الثالث : أخص وهو ماتكون به هداية بعض الافراد في معرفة شيء من عالم الغيب الذي من نحوه وردت نواميس عالم الحس فكان بهـا قوامه ونظامه ***

ويقابل هذه الهدايات في النوعين الاخيرين اضلالات تاتي من جانب أحد الضدين المجتبين المتجاذبين لعقل الانسان وقلبـه . حتى يصعد ذو هدى من النوع الاخير الى أعلى عالين، وينزل ذو ضلال يضاد الى أسفل سافلين (****)

ومن ثمة لايكون هذان النوعان الاخيران لافراد أهلهما على وتيرة واحدة والا لما كان التفاوت المكتوب . وانما يكون أهلوهما متفاوتين على مقدار قابلياتهم في الانتهاب .

فمن الناس من يتعلم من معلم صنعة ثم يوحى اليه ان يجرب تجربة لم يتعلمها ليزيد في تلك الصنعة شيئاً جديداً ومنهم من لايوحي اليه ذلك أو يوحي اليه ان ينقص منها .

ومنهم من يوحي اليه ان يبتدئ ويخترع أمراً لم يكن من قبل ولم يعلمه اياه معلم . ثم يوحى اليه ان يعلمه للغير أو ان لايعلمه .

ومنهم من يلهم علم أمر سيكون (١) ومنهم من ياتي في روعه ان ينفع غيره

(*) شاهد هذا النوع من القرآن المجيد « وأوحى ربك الى النحل »

(**) الشاهد : ــ وأوحينا الى أم موسى ــ الآية . . . .

(***) الشاهد : ــ انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ــ الآية

(****) الشاهد: « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » (١) ان علم كل شيء من الامور الغيبية لايكون لاحد من البشر كما لايكون العلم لاحد منهم بكل شيء من الاشياء المحسوسة . أما الامور الخفية التي هي من عالم الحس فالعلم ببعضها ليس بغريب بالنسبة لمن فطر هذه الفطرة الغريبة . وانما الغريب العلم بالامور التي هي من عالم الغيب فهذه هي التي يوحى بعضها للرسل المطهرين .

ومنهم من يلقى اليه ان يضر الغير ومنهم من ينشرح صدره لتصديق الملهم ومن لا ينشرح صدره وهكذا .

هذا وربما طالبنا مطالب بتسمية ذينك المتجاذبين المجتبين فاقول انه قد سمي من قبل جاذب الخير والسعادة والفضيلة بالروح الطاهر (القدس) ، والامين ، وعون الله ، وحبر الله ، ونصر الله ، وأمر الله ، وروح الله ، وبالنور ، والشفاء ، وكل جميل . وسمي جاذب الشر والشقاء والرذيلة بالروح النجس (الرجس) واللعين ، ولعن الله ، وغضب الله ، وخزي الله ، وبالظلام ، والمرض ، وكل قبيح .

ولكني أحب الذين يدركون خواص المسمى اولا ثم يلتفتون الى الاسماء فان وافقت المطلوب كما هنا والا التمسوا المطابق وأكره الذين يلتفتون للاسماء اولا ثم يتجافون عن الخواص التي ربما لا تظهر لهم من الاسماء . أو يتجافون عن أسماء لم يسمعوها لخواص كانوا قد سمعوا بها .

بناء

بناء على هذا الاساس الذي مكناه نخال أو نقول :

إن البشر لما تفاوتت أبدانهم وعقولهم وقلوبهم للاسباب الظاهرة والباطنة تفاوتت محبوباتهم ومشتهياتهم ، وحرص كل منهم على مشتهاه ، واتخذ إلهه هواه ، وافق ذلك المشتهى لغيره أولم يوافق ، طابق ذلك التأليه للانسانية اولم يطابق ، فتكونت بينهم العداوة والبغضاء ، وأمسى القرباء بعداء ، وزين للاقوياء منهم حطم الضعفاء ، وماذا تكون عاقبة الاقوام ، اذا ألهوا الحكام ، وتعبدوا بدم الحسام ، الا يستجير الضعاف ويجأرون ، الا يسرون بطلب المناص ويجهرون ، فمن ذا الذي يجيب دعوة المضطرين ، أفتسمعها الاحجار ، أفتستجيب لها الاشجار ، أفتغيثها الحشرات ، أفتليها العجماوات ، أفترحم لها نفوس الذين من نارهم تضج ، ومن غبارهم تعج ، لمن يشكون ، أتسمعهم الكواكب وتبصرهم ، أتجبر كسرهم وتنصرهم ، أتقدر ولا تريد ، أم كل ذلك عنها بعيد ، أتجل يا عالم الغيب فليس الامن لدنك يرسل الخالق هذا المدد الذي يحتاجه أكمل عوالم الارض خاصة ، وأشرفها مزية وأعظمها قوة ، وأكرمها منزلة .

ألم تسبق عناية الفاطر ان تعد لهذا المصنوع البديع ما لا تراه الابصار ، ولا تسمعه الآذان ،

ولاتبلغه الاذهان، فهاهو ذا لم يجد حاجته هذه عند تلك المحسوسات، من الجمادات الارضية فصاعدا الى نيرات السموات، فهل خبأ له هذه الحاجة الا في خزائنك ياعالم الغيب، تجل لنا بأنوارك، أشرق علينا باسرارك، متعنا بجمالك، هبنا من كمالك،

بلى قد سبقت عناية الفاطر وهذا برهانها، وظهرت منحته وهذا سلطانها:

إنه كان رجال مطهرون مصلحون يرشدون الاقوياء الى العدل الذي ينفعهم أنفسهم وغيرهم يرشدون الضعاف الى أسباب القوة التي يدفعون بها ظلم الظالمين.

وعلى هذا النحو أسسوا أول ميزان في الارض لتوزن به ذات كل بالسوى، وتعرف به حدود القوى، فيكون الرجاء والتقوى « فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » هي القريبة التي لما بعد « فَإِنَّ الْجَحِيمَ (على أنواعها الحسية والمعنوية) هِيَ الْمَأْوَى، * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ (الذي يربي غيره كما يربيه، ويقويه كما يقويه) وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ (على أنواعها الحسية والمعنوية) هِيَ الْمَأْوَى، »

تالله الحمد، لم نخلق سدى، وان للمحظة الدنيا غداء، ان هذا لقول من دعوا الى الهدى، في كل الامم واللغى، من أول الازمان حتى المدى.

هذا الذي أشرنا اليه هو مبدأ تاريخ الدين القويم ولزيادة التوضيح نقول:

لما كان الفساد يكثر كان رجال ممن تغلب فيهم الروح الطاهرة يقومون للاصلاح ويبرهنون للناس على انه اذا لم توضع للمطالب والمحبوبات حدود يخضعون لها يفسد النظام ويفني بعضهم بعضا من حيث لا يستفيد آخر من يفني الكل. وكان الناس منهم من يقبل ومنهم من يعرض اذ لو قبل الكل لمن أصلح لما كان اليوم من فساد قط. ولو قبل الكل لمن أفسد لما كان اليوم من نظام قط. بل قد كان اتباع المفسدين أكثر لان الفرق بين المصلح والمفسد كبير هو فرق ما بين الضدين. واذ كانت درجة المصالح عالية كان الاقربون منها أقل من الابعدين. ولولا أن للاصلاحات قوة تؤيدها لتلاشى كل اصلاح قام به مصلح منذ الدور الاول حتى هذا الدور. ولكن تلك القوة المؤيدة هي التي تقوم للمصلح ومن يقاربه مقام الكثرة فقد تكون عظيمة ويطيف من الاصلاح بنفوس المفسدين خطرات موقظة مزعجة فتجذب فريقا منهم وترجعهم عن غيهم. وقد تكون ضعيفة ويطيف بنفوس المفسدين طائف

من الروح الخبيث فيهلك المفسدون دعاة الاصلاح ومتبعيهم . ولكن لا يلبثون بعدهم الا قليلا حتى تبيدهم طبيعة الفساد لتقوم الحجة فيما بعد .

وهذه خلاصة هذا الامر : (١) انه في القديم فسدت العشائر (٢) فقام في كل قوم مصلح منهم . (٣) فلم يؤمن للاصلاح الا قليل (٤) وزاد المفسدون (٥) فأبادت طبيعة الفساد من أبادت منهم من الطاغين (٦) واعتبر آخرون (٧) ثم نسوا ما ذكروا به فأصابهم ما أصاب الاولين (٨) لتكون آية في الآخرين (٩) ومابرحوا حتى تواتر الهادون (١٠) وعلا شأن الميزان والوازنون . (١١) وخسر هنالك الطاغون والمطففون ، « الَّذِينَ اذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، واذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » .

هذا هو تاريخ هذا الامر فيما قبل التاريخ . واما من بعد ذلك فلكل أمة كتب منكم من يعلمها تقص عليهم أنباء مصلحين عرفوهم ولم تعرفهم أمة أخرى .

والجدير بالذكر بعد كل ماتقدم أن الدعاة الهادين الذين قاموا في أقوامهم بألسنتهم قد أثمر عملهم من بعد حين ثمرة كبيرة جدا وهي ربط أقوام كثيرين مختلفي الانساب واللغات بمبادي واحدة يدينون جميعا بها حتى يكون اسم امامهم فيما بينهم جميعاً مقدسا بل حتى يكون حلف الشغاف من أفئدتهم ، وعمدة الحلف والاقسام في ألسنتهم ،

فمثل هذه الحال من قوم أو أقوام ، تقوي بينهم أواصر القلوب ووشائج الافكار وهي أهم من أواصر الابدان ووشائج الارحام

هذه هي القرابة التي تقرب البعيد ، وتحبب بالغريب ، وتحمي الضعيف ، من كيد القوي . هذه رابطة الدين ان سألتم عن اسمها ، واحدى مراقي الانسانية ان سألتم عن رسمها .

وقد عرفتم الآن كيف كان كونها ، وكيف صار لونها ، وأوصيكم أن لا تجمدوا وتظنوا أن وحي الانبياء هو من قبيل ماذكرنا فقط . بل هو من أفق آخر أعلى . أتيناكم من أجله بالاشباه والامثال ، وأريناكم في مرائي الكون الانساني أسفل سافل وأعلى عال ، ومن لم ير ينابيع العيون الصغيرة فربما لا يعرف كيف تتفجر الانهار العظيمة من الارض وقد يظنها من السماء . وانما الفرق بينها وبين الصغيرة بحسب المدد فتفكروا وتذكروا ،

ومعنى الدين الطاعة للتعاليم ويتكون من هذه الطاعة العمومية قوة يكون عظمها على مبلغ أهليها من قوة الابدان والعقول والقلوب وكثرة الافراد. وكيف ما كانت فان هذه الرابطة تقضي ان يكون الكل في أنفسهم وامام غيرهم كرجل واحد · ويظهر ان من مقتضياتها ايجاد نالية كبرى تتضاءل بل تتلاشى فيها الغيرية حتى لا يكون لامة غير · ولكن هذا الا تتم من جهتها حتى يعلم افراد كل أمة حق العلم ماهو الجوهر الحقيقي للدين القويم · ويعملوا حق العمل بما يطبع في النفس ذلك الجوهر المطلوب ·

وقد استبعد هذا قوم فحكموا ان الاديان لم تزد الناس الا تعادياً وزعموا انها لم تك الا زيا آخر من أزياء رابطة القومية من زكشاقليلا بما هذبت فيه يد التجارب ونقموا منها تضييق الدائرة على الناس في تصوراتهم وفي عاداتهم وأعمالهم بكثرة ما يأتيهم مؤسسوها من فروع الامر والنهي. والقطع والجزم ، في مسائل يحتاج في ادراك اسرارها الى تبصر عقل سليم، وزوي ارادة معتدلة. ويفرق هؤلاء بما تصف ألسنتهم وأقلامهم من الاديان حتى يبعدوا عن الحكمة وهم يظنون القرب منها. ويضلوا الحقيقة وهم يرون انهم وجدوها ·

ولذلك ناسب ان نأتي في نبذتنا هذه بما يفند من مزاعمهم ونبين لهم ولغيرهم منشأ هذه المزاعم ليتفكر من يتفكر، ويتذكر من يتذكر: ثمة بقية (ع·ز)

بلرم - صقليه

٣

(مسينا ومقبرتها)

نسيت ان أضع في جانب المقابر مقبرة مسينا وهي مقبرة في الجنوب الغربي من المدينة وانك اذا قلت لصقلي : اني ذاهب الى مسينا : يقول لك في الحال : لابد ان ترى المقبرة: وهي جزء من المدينة تحسب مدينة بنفسها فيها مدافن للامراء والاعيان مبنية على أجمل نظام وأقربه الى السذاجة وفيها مكان شامخ رفيع يدفن فيه أرباب الشهرة من المهندسين والشعراء ونحوهم . وطريقة الدفن في تلك الاماكن تختلف فبعضها على الطريقة المعهودة من وضع صندوق الجثة تحت الارض وبعضها بوضعه في صندوق ضخم كبير لاتمكن سرقته على ظهر الارض ، وبعضها في بيوت تفرض في عرض الجدر العريضة

وهكذا . والمقبرة مزينـة بأغراس من شجر الصنوبر وضرب من فصيلة الصنوبر يشبه الأثل وليس به ولا أعرف اسمه بالعربية سوى انه شيء من كبار الطرفاء لكنها نظمت بيد أوربية تعرف كيف تخضع النبات لارادتها فتوجهه الى الوجهة التي تريد . والطرق فيها على غاية مايرام من النظافة والانتظام، وهي انظف وأجمل من كثير من شوارع مدينة الاحياء (مسينا) ثم انها تأخذ من أسفل الطريق الى قمة جبل اذا صعدت عليه نظرت وأنت في المقبرة من البحر والساحل أجمل ماتنظر عيناك من اللألاء والنضرة في المواقع المختلفـة ، ومن الاشكال الطبيعية، وبدائع الاعمال الصناعية ،

يظهر ان المقـبرة أعجبتني حتى انطلق قلمي فى وصفها كأنه قلم صاحب جريدة ينطلق في السياسـة المصرية لبيان مناحيها، ووصف ضواحيها ؛ ــ أعوذ بالله ــ يوجد في هذه المقبرة مواضع مخصوصة للفقراء قد صفت فيها قبورهم على نظام محكم تراها كأنها خطوط مزارع القطن فى أرض غير معتدلة تقصر وتطول وعلى رأس كل قبر صليب أسود يخيل للرائي من بعيد أنها أجنحة الغربان الجاثمة على بقايا الجثمان . لا ازال في وصف المقبرة كما لا يزال بعض الغافلين عن أنفسهم فى بلادنا يشتغلون بالسياسة . عن الادب والكياسه

ماذا أقول فى وصـف هـذه المقبرة ؟ مدينة جميلة المناظر ؛ بديعة المداخل . بعيدة المخارج ، الداخـل فيها أكثر من الخارج منهـا ، قد اختير لهـا شجر الصنوبر زينة من بين الاشـجار ، لانه فى خضرة دائمة وحياة مستمرة؛ كأن ارواح من يموت تنتقل اليه بعد مفارقة الاجساد فهو لايزال دائم الحياة فى الصيف وفى الشتاء والخريف والربيع ، مدينة زينها الاحياء في حياتهم، ليعدوها لاقامتهم ــ فيما يزعمون ــ بعد مماتهم، وهكذا من كان على يقين من الرحيل الى دار هيأ تلك الدار للسكنى وأعد لنفسه فيها أنواع النعيم ليطيب له المقام ، ولا يقلق به المكان ؛ لكن هل يكفي أن تزين لنفسـك مقرا لجثتك وأنت لاتدري هل تشعر هناك بمـا زينت، أو تؤخذ عنه اذا مت ، فهل زينت دارا لروحك بالطيبات ، كما زينت دارا لجثتك بالزهر والنبـات ، ؟ أخاطبك وأنت مصري من سكان القاهرة لاترى في مقبرتك ولا فى الطريق الموصلة اليها الاما يخيفك من الموت وينغصك فيه ؛ غمر من الغبار ، وتلول من التراب، تتذكر بها انك من التراب والى التراب ،

اذا بنيت فيها مسكنا فلست تبنيه لنفسك يوم تموت ولكن تبنيه لتقيم فيه بجانب الاموات وتشاركهم في المسكن وأنت حي تقضي فيه الايام من رجب ومن شعبان ومن شوال ومن ذي الحجة وبعض أيام من بقية الشهور تأكل وتشرب وتنام ولا تشبه جيرانك من أهل المقابر الا في النوم الثقيل ولا تستحي من معاشرتهم وأنت تأكل وهم لا يأكلون، وتضحك وهم ربما يبكون، وتلعب وهم لا يلعبون، تلهو بالقيل والقال؛ وملاعبة النساء والاطفال؛ وربما أقمت في المقبرة ما تسميه بالموالد وجلبت بذلك اليها من المغنين والمطربين والعازفين، ونصبت فيها الخيام، وصنعت من لذيذ الطعام، ما تدعو الى تناوله العلماء الاعلام؛ والاتقياء الكرام، فيلبوا دعوتك زرافات ووحدانا؛ مشاة وركبانا، ويخوضون في غمار اللاهين الى ان يصلوا الى حيث نصبت خيامك، وهيأت طعامك، على ظهور الاموات، وبجوار تلك الرفات، وتبيت ليلتك تلهو وتلعب، وتصيح وتصخب، كأن الموت قد فارق ديارك، وكره جوارك، وفر من بين يديك، مشمئزا مما يرى لديك؛ اما مقبرة مسينا فلا ترى فيها آكلا ولا شاربا وانما ترى الزائرين في سكينة ووقار لا يتكلمون الا همسا، تماشيهم ولا تكاد تسمع لهم جرساً،

﴿ صخب الصقليين وتسولهم وكسلهم ﴾

أهل مسينا من اهالي سيسيليا وسيسيليا هي جزيرة صقلية التي ملك فيها العرب نحو مئتي سنة وكان منها كثير من العلماء والفقهاء والمؤرخين والفلاسفة والصوفية وبعض الزنادقة وكل صنف من صنوف أهل العلم والمنتسبين اليه كما كان في العراق والشام والاندلس. وقد ترك العرب آثارا في البلاد منها ما تقدم ذكره وهو مما لا يذكر ومنها كلمات في لسانهم كثيرة كالشروق للريح الشرقية وكالقبة والطلعة والشر ونحو ذلك من الكلمات التي ترشدك لأول وهلة الى أصلها والى البلاد التي حملت منها. ولا أظن ان الصياح والصخب الذي اختص به اهالي سيسيليا يكون من ميراث العرب رحمهم الله فان اصوات السيسيليين أشد قرعا، وآلم في الاذن وقعا، واني لا أشك في ان حناجرهم أشد تمرنا على الصراخ بغير داع من حناجر أهل كفر الجاموس (*) أو سكان عرب يسار، أما العرب فكانوا يصيحون في الحرب والجلاد، ويسكتون عند الرجوع الى البلاد، ولعل هؤلاء استعملوا

(*) كفر الجاموس مزرعة بالقرب من عين شمس في ضواحي مصر

فى السلم ما كان يستعمله أولئك في الحرب كما يفعل بحرية يافا وبيروت من ثغور سوريا أما الاهمال والكسل فلا أدري هل هو من طبيعة البلاد أو من ميراث تركه بعض السلف من الفاتحين ؟

ويل لك اذا عرفت بأنك غريب فانه يتبعك السائلون الملحفون ، والمكتدون المجدون ، ويلزمونك حتى تعطي شيئا من النقد ، ولا فرق فى حالك بين ان تجلس في قهوة ؛ أو تكون فى زيارة معبد ، أو فى تفقد مكتبة أو دار آثار ، تجد من ذلك مالا تجده عند المتبولي ولا عند ضريح الاستاذ البيومي (رضي الله عنه) ثم تجد الناس في الساحات وقوفا أو جوالين لا يدرون ماذا يعملون وانما يتقرب الى الغرباء من يظن القدرة في نفسه على ان يفترس منهم فريسة لكن يمكنك ان كان عندك صبر أيوب وسماجة بعض السبابين عندنا من المصريين أو السوريين ان لا تعطي شيئا أو تهرب اذا أردت

لعلك تفرست شيئا من الكسل في حكاية ماوقع فى فهرس الكتب العربية في المكتبة العمومية ، ودفتر الاسماء في دار المحفوظات ،وأزيدك انك اذا ذهبت عند شركة الملاحة (بكسر الميم وتخفيف اللام لا الملاحة بفتح الميم و تشديد اللام كما يقول بعض أكابرنا فان التشديد يجعل الكلمة موضعا للملح الذي يوضع على الطعام ويتناول أحيانا للاسهال .أما التخفيف فهو اللازم في اسم الشركة لخفة مراكبها في السفر على البحر الملح وأظن اللفظ يرجع أيضا الى رفيقه فان في البحر ملحا أيضا لكنه ليس يكثر كالذي في تلك الكلمة المشددة) وجئت مكتب الشركة لتطلب تذكرة سفر مثلا تجد العامل يحرك يده ببطء كأن بعض أجزائه ينازع بعضا فاذا فرغ من الكتابة على هذا الوجه القتال أسرع بمد يده اليك لطلب المبلغ فاذا دفعته اليه وكانت لك بقية من النقد يلزمه ردها اليك كادت يده تشل بجانبه وأنت تنظر اليه وتنتظر أن تتناول مالك وتتصرف وهو ينظر اليك كأنه يتمنى ان تنسى مالك عنده أو تمل الانتظار ويأخذك الوقت فتتركه له وهذا ضرب من الكسل فى أداء الحق ونوع من البطء في العمل لا تجده حتى فى مصر حرسها الله فان العمال عندنا حتى فى زمن الصيف لا يسمحون لاعضائهم ان تعود هذه العادة الرديئة

﴿ رثاثة الصقليين ووساختهم ومقابلتهم بالمصريين ﴾

اما رثاثة الملبس عند الفقراء ودنس الثياب وعدم العناية بالنظافة فى كثير من الشئون فذلك مما لاتجد له مثالا في كثير من الاحياء عندنا • واني أقص عليك فكاهتين وقعتا فى النزل الكبير التي نزلت فيه ـ رفع الله عماده ـ كنت أطالع فى جريدة خطابا ألقاه بعض أساتذة السوبون في باريس لمناسبة رفع تمثال للكاتب المؤرخ الفرنسي رنان القاه فى بلدة رنان التي ولد فيها وكنت مستغرقا فيما يقول الخطيب عن القسيسين وتعاليمهم وعن الاحرار اطال الله فى السنتهم وما يرونه فى فلسفتهم واذا بخادم النزل دخل علي وتحت ابطه ولد صغير في الخامسة من سنه تقريبا وقد علا الوسخ وجه الصبي وهجم القذر على عينيه يريد أكلهما • وانفه وفمه يسيلان ذلك بما تعرف وهذا بما لايخفى عليك وبيده عنقود عنب يتناول منه حبة بعد حبة وماء كل حبة يسيل من شدقيه اذا رأيته امكنك ان تحلف بشيء من الطلاق أو العتاق ان أمكن ان هذا من ذرية الشيخ الدعكي رحمه الله أو ان روح الاستاذ ظهرت فى مظهره اللطيف، واذا كنت واحدا من بعض الاعيان أو بعض من يزج بنفسه فى العلماء الذين تعهدهم أقسمت فى الحال انه ولي من الاولياء مجذوب من المجاذيب . فاذا ذكرك مذكر أنه إيطالي قلت لايبعد على الله ان يكون قد ملأ قلبه جذبا وولها ورزقه من ذلك فى صغره ، مالم ينله الدعكي في كبره ، والا فكيف تسيل سعابيبه الى هذا الحد ويكون ليس بمجذوب ؟ هذا خلف . وربما حملك حسن الاعتقاد على ان تذهب الى المحمل الذي تعرفه وتستخرج من بحر الانساب مايصل نسبه بمن لايصح لاحد ان ينتسب اليه مادام على مثل هذا الاعتقاد . فانظر بعيشك الى هذا الطباق والتقابل بين ما كنت مستغرقا فيه وبين مافاجأني من هذا المنظر الكريه ، هل يمكنك ان تحدث نفسك بماذا دافعت عن نفسي فى هذه الشدة ؟ دفعت فرنكا واحدا رميته على الارض فالتقطه الصبي كما يلتقط العصفور حبة الارز وكر راجعا لايبالي بتاخر أبيه عنه ليشكرني على ذلك الاحسان كأن الصبي كان يخاف ان أتبعه لآخذ الفرنك منه • لاتظن أني أبالغ فى كلمة مما قلت فما رأيك بهذه الوساخة ! :

اما الفكاهة الثانية فقد كنت على مائدة الطعام في محل نومي من ذلك النزل لقلة السياح وسعة قاعة الطعام بحيث تكبر عن ان يجلس فيها شخص واحد فلما جاء صنف من الطعام يحتاج الى الملح تنبهت الى الملاحة (هذه المرة بتشديد اللام لان فيها ملحا) كما سترى • نظرت الى الملح فاذا فيه النقط السوداء أكثر من نزغات الشيطان، في قلوب أهل الفسق والعصيان، وأغزر من الخطيئات، في بعض المزارات، فنظرت الى الخادم وأخذت الملاحة وأنشأت أنكث مافيها من

النقط السوداء نكتة نكتة وأصعد نظري في وجه الخادم وأقطب وأظهر التقزز ولازلت كذلك حتى فهم ان هذا شيء من الوسخ لا أستطيع تناوله فعند ذلك تناولني الملاحة بغاية الكسل ثم ذهب وأطال الغيبة وبعدما كدت أغضب مع سعة حلمي فى السفرجاء بملاحة أخرى أوسع من الاولى وأطهر منها ملحا فكأنه يفهم ان الوساخة مما لا يليق لكن لا يتم له هذا الفهم الا اذا قال له شخص آخر ان النظافة خير منها وان الوسخ شيء تقزز منه النفس، وينفر منه الحس.

اما مثال هذه الواقعة الثانية فمما يكثر في خدمنا بل فى بعض سادا تنار قه الله حياتهم فانهم ينظرون بأعينهم لى الخبيث والخبائث وربما حكموا فيه بوصفه لكنهم لا ينزهون المكان عنه بل ربما لا ينزهون أنفسهم عن التلوث به الا اذا أمرهم بذلك آمر فعند ذلك يمتثلون الامر بغيرة المختار، وعزيمة الجبار، ثم يحدثك أحدهم بحسن ما يصنع مما أمر به كأنه هو الذي اندفع اليه من نفسه كأن الامر الصادر اليه هو الذي اكسب الشيء حسنه وحلاه بوصفه. وأعوذ بالله أن يكون هذا هو مذهب الاشاعرة الذين يقولون ان حسن الفعل هو الامر به وقبحه هو النهي عنه وانه لا حسن ولا قبح للشيء في ذاته فاني على يقين أنهم لا يعنون به ما يجده اولئك الآلات فى أنفسهم. وما عليك الا أن تبحث في رأي الفريقين حتى تقف بنفسك على تحقيق الشبه أو نفيه فاني الآن لا أكتب كتابا فى علم الكلام، ولا أكتب اسطري هذه للافاضل من أهل الفن فانهم أعلى من ان يستفيدوا من قراءة امثال هذه القصص أوسع الله من عقولهم حتى تسع أهالي بلرم ومسينا معا وما ذلك على الله بعزيز

الذى يخطر ببالي من أسباب ذلك اذا أخذنا بالجد أن هذا شأن العامة من الامم التي طال فيها زمن الاستبداد وتصرف الارادة الواحدة فى جميع الارادات مع ما يطرأ على تلك الارادة الواحدة من الاختلال وفساد المزاج فتأمر بالشيء اليوم لانه من هواها، وتنهى عنه غدا لانه لم يبق من مشتهاها، وأمرها واجب الاطاعة. وفي مخالفته إضاعة أي اضاعة. فتتعود الانفس على تعاطي الاعمال لا لأنها مما تختاره بل لانها مما تؤمر به، ويخفى عليها وجه الحسن والقبح لأن التعود على العمل مهما كان قبيحا يزينه للنفس أو يسهل عليها مفارقته. وسهولة المقارفة انما تنشأ عن عدم الاحساس برائحة القبح ولو بقي نتنه فى شامة النفس لعافته ولما أمكنها تعاطيه. وكذلك يخفى وجه الحسن في الشيء متى خفي وجه القبح فى ضده كما لا يخفى عليك ان كنت من المدققين خصوصا فى علم أصول الفقة الحنفى وقرأت ما كتبه العلامة الغزي والمحقق الحفيد وغيرهما على التلويح للعلامة الثاني سعد الدين التفتازاني حاشية

التوضيح على مختصر البزدوي . اما اذا سألتني عن العلامة الاول في مقابلة العلامة الثاني فاني لا أتذكره الآن وان صدق ظني يكون هو عبد القاهر الجرجاني ولكن الافضل لك أن تسأل شخصا آخر من مدرسي حاشية التجريد للبناني فان من يقرأ هذه الحاشية يسهل عليه وزن العلمين، وتحديد الفرق بين العلامتين ، — وربما قال لك ان الاول هو القطب الشيرازي لان سهولة كلام الامام عبد القاهر وسلاسته تمنعهم من جعله العلامة الاول — وان شئت ان لا تشتغل بهذه المسألة فهو أفضل من ذلك الافضل ويكون أفعل التفضيل الاول على غير بابه والسلام . وانما المهم فيما نحن بصدده ان الارادة السليمة ، والطبيعة المستقيمة، يمكنها أن تميز الملح النظيف من الوسخ وتعتني بتقديم النظيف الى الضيف من أول الامر، بدون احتياج الى اصدار أمر، وقس على على ملح الطعام بقية الاملاح كالنحو ملح العلم والعلماء ملح العالم وهكذا كل ما يحتاج اليه فى اصلاح الاغذية بدنية كانت أو روحية دنيوية كانت أو دينية . اما اذا كنت لا تميز ولا تفهم الا بأمر فتربص حتى يأتي الله بأمره والله شديد العقاب

باب الأخبار والآراء

﴿ الاحتفال لتذكار تأسيس الدولة العلية ﴾

نرى الاوربيين في مصر يحتفلون في كل عام احتفالات عمومية لدولهم أهمها الاحتفال للجمهورية الفرنسية والاحتفال لاستقلال ايطاليا وان لهم فى بلادهم من العناية بذلك اضعاف ما نرى منهم في بلادنا حتى انهم ليحتفلون للرجال العظماء الذين خدموا الامة خدمة جليلة . وبلاد مصر عثمانية ولكنها مستقلة عن الدولة فى ادارتها وعامة شئونها وقد زال على عهد الاحتلال أكثر ما يذكر المصريين بها حتى لغتها فقد كانت التركية الزامية في مدارس الحكومة المصرية ثم صارت اختيارية ثم اضمحلت وتلاشت . وقد استحسن نفر من نجباء الترك المقيمين فى القاهرة ان يحتفلوا في كل سنة بتذكار تأسيس الدولة العثمانية وتكونها في مثل الوقت الذي نودي فيه بعثمان الاول سلطانا وكان ذلك فى ٤ جمادي الاولى سنة ٦٩٩ للهجرة الشريفة الموافق ١٧ يناير سنة ١٣٠٠ ميلادية وقد جعلوا هذا الاحتفال الاول على الحساب الميلادي ولا أدري أكان ذلك عن اختيار للحساب الميلادي لانه بالاشهر الشمسية أم السبب فيه ان الفكر

أو العزم على الاحتفال كان متأخراً؟ والرأي الذي لا ينبغي التردد فيه ان يكون الاحتفال بعد هذا العام على الحساب الهجري

تألفت لجنة في ادارة جريدة (ترك) لاجل هذا الاحتفال فوضعت اللجنة قانونا لتأسيس جمعيـة خيرية للعثمانيين الذين ليس لهم جمعيات خيرية في مصر وهم المسلمون على اختلاف شعوبهم ولغاتهم فان للنصارى العثمانيين جمعيات كثيرة متعددة جمعيات للسوريين خاصة واحدة للموارنة وواحدة للروم الارثوذكس وواحدة للروم الكاثوليك . والسبب في ذلك ان المسلمين متأخرون عن جميع أبناء الملل في الاعمال الاجتماعية حتى ان مسلمي مصر لم توجد لهم جمعية خيرية الا من عهد قريب وكان سبب ايجادها مشعوذ أفرنجي ولكن قيض الله تعالى لها أفضل رجال مصر في هذا العصر خلقا وهمة فثبتت بثباتهم على شدة سعي المسلمين أنفسهم في اسقاطها ولولم يكن لها مورد الا من اشتراك المشتركين فيها لسقطت من زمن طويل فان الرجل الغني يشترك فيها وتمر عليه السنين الطوال ولا يدفع المبلغ الذي تبرع به وفرضه على نفسـه . هذا وهم يرون كثرة الجمعيات المسيحية ويساعدونها. وقد قضت الصعوبات التي مارسها الذين نهضوا بهذه الجمعيـة والوشايات التي وجهت اليهم من المسلمين ــ ومنها اتهامهم بأنهم يساعدون مهدي السودان في وقته ــ ان يجعلوهـا خاصة بمسلمي مصر فأصبح سائر المسلمين العثمانيين لا ملجأ لمن يصاب منهم أو ينكب في هذه البلاد التي لا تزال أوربا تعترف بانها عثمانية. لهذا كان تأسيس جمعية خيرية لمسلمي العثمانيين من أفضل الاعمال الدالة على ان روح الحياة الاجتماعية دبت في المسلمين أي في بعضهم، ولكن أعداء أنفسهم من المسلمين سيسعون في ابطال هذه الجمعية ويتهمونها بمثل ما اتهموا بها أختها المصرية من قبلها ونسأل الله ان يقيض لها من أهل الجد والثبات ما قيض للتي قبلها وان يهيء لها أسباب النجاح والفلاح

دعت اللجنة نحو ثمـانين رجلا من العثمانيين من جميـع الاجناس الى فنـدق الـكونتيننتال ، وأعدت لهم هناك مادبة كأحسن ما يؤدب للامراء والأقيال . وبعد الفراغ من الطعام ، افتتح رئيس الحفلة الـكلام ، (هو لطيف باشا سليم) فذكر ان الغرض من الدعوة قد عرف من الرقاع التي أرسلت الى المدعوين وقال انه دعي الى رياسة الاحتفال الحاضر ولا يدري السبب في ذلك ثم تكلم كلاما وجيزاً في سبب ترك مثل هذا الاحتفال في الاحقاب الماضية، والسنين الخالية. أيام عز الدولة ومجدها، وبزوغ شمس سعدها، والقيام به في مثل هـذه الايام، وقد انحطت الدولة في نظر الأنام، فقـال

ماخلاصته: ان الذي يسبق الى الأفهام ان الاحتفال باستقلال الدولة العلية الآن ينطبق على المثل « بعد خراب البصرة » فان هذه الدولة التي أسسها قوم ساقهم حب المعالي الى إذلال الامم ودوس هام الدول بسنابك خيولهم فأقاموها بالقوة القاهرة والسيوف الباترة قد وصلت الى درجة من المجد والفخر لا تعلوها درجة ولم يحتفل في أيام عزها أحد بتذكار استقلالها . ثم طرأ عليها الترف والفساد فضعفت وانحطت وقامت دول الغرب تهددها بالمحو والانقراض — وذكر من مجد دول الغرب وتقدمها — وفي هذه الحالة التي نرى فيها الدولة في النزع نحتفل بتذكار استقلالها . ألا يصح أن يقال ان هذا « بعد خراب البصرة » (قال) ماذا نريد بهذا الاحتفال الآن هل نريد أن نفتخر بمجد مضى وانقضى ونغش أنفسنا ونخدعها بما لا يغني عن ضعفنا شيئا ؟ أم نريد ان نرثي الدولة ونؤبنها ونبكي على عزها ومجدها ؟ ثم قال انه لا يريد ان يسيء الحاضرين ويوقعهم في اليأس فانه يوجد في العثمانيين الآن من الفصحاء وأصحاب الاقلام من يرجى فيهم الخير للدولة . وختم كلامه بقوله انه قد أسست في القاهرة جمعية خيرية وأشار الى قانونها بين يديه وان جمعية الاحتفال عهدت اليه بأن يكلف جلال الدين بك عارف بالقاء خطبة تركية وصاحب المنار بخطبة عربية . فقام جلال الدين بك فتلا خطابا مسهبا مكتوبا في ورقات صفق له القوم في أثنائه مرارا . ثم قام هذا العاجز منشيء المنار وخطب خطبة عربية ارتجالية سر العثمانيين عامة والمصريين منهم خاصة اعتدالها واختتامها بالدعاء للسلطان عبد الحميد أيد الله دولته ولم يذكر اسم الرئيس والخطيب التركي .

وقد لخصت بعض الجرائد الخطبة فرأينا ان ننقل تلخيص جريدة الراوي لانه لم يكد يغادر من الافكار الاساسية التي قلناها شيئا مهما الا قولنا ان العثمانيين أنشأوا يشتغلون بتحصيل العلم لما علموا انه في هذا العصر قوام الدول وأساس القوة لذلك تنقح كلمتين مما جاء في تلك الجريدة ولنا الحق في ذلك لانه كلامنا وهو :

نحتفل اليوم بتذكار استقلال دولتنا العلية العثمانية وقد دعيت الى الخطابة فرأيت ان أبني على ماقاله سعادة رئيس الاحتفال في فاتحة المقال وهو كلمتان — كلة في معنى الاحتفال وكلة في الدولة التي نحتفل لذكرى استقلالها وتكونها

انما يراد بالاحتفال احياء الشعور بمجد من يحتفل لاجله والتذكير بتاريخه المجيد، وهل نحن اليوم في حاجة الى احياء هذا الشعور وتجديد هذه الذكرى ؟ وهل لدولتنا العلية تاريخ مجيد تستحق به أن نحتفل لتذكار تاريخها وتمثيل ماضيها ؟ ولماذا لم يسبق للعثمانيين مثل هذا الاحتفال في الزمن الماضي

لاشك اننا اليوم أحوج الى مثل هذا الاحتفال منا في الزمن الماضي أيام مجد الدولة الاكبر فان احياء الشعور بمجد الدولة وتذكر تاريخها يبعث فينا روح النهوض لتأييد استقلالها، وتدارك مافرط من خطأ بعض رجالها، وأما سبب تأخيره الى اليوم فهو ان مثل هذا العمل لم يكن يعهد في بلادنا وانما هو شيء استفدناه في هذا العصر من الاوروبيين فاننا نرى القوم يحتفلون للتذكير بقيام دولهم وباعمالها العظيمة ويحتفلون مثل ذلك لرجالها العظام من الفاتحين وغيرهم

وللدولة العلية العثمانية اسم عظم في الدول ولها تاريخ مجيد يحق للعثماني ان يفتخر به، يعلم ذلك من النظر في كيفية تكوينها ومن سيرتها الحميدة في نشأتها

يذهب الذين لايعرفون من التاريخ الاظواهره الى ان هذه الدولة قامت بالقوة والقهر والصواب انها قامت بالفضيلة فان تلك الفئة التي جاءت مع أسرة السلطان عثمان الاول من بلاد ارمينيا الى بلاد الاناطول ونصرت السلطان علاء الدين السلجوقي وايدته ثم بنت دولة عظيمة على اطلال دولته بعد سقوطها لم تكن من القوة والكثرة بحيث تملك بلاد الفرس وبلاد الروم وجزءاً عظيما من بلاد أوربا. واننا نعلم ان السلطان محمد الفاتح قد حاصر القسطنطينية العظمى بثلاثمائة رجل ونيف على عدد اهل بدر (رض) تقريبا ثم فتحها وهي أمنع مدينة في الارض وأهلها كانوا أكثر من الترك عدداً وأحسن عدداً وأكثر اطلاعا وعلما. ولكن العثمانيين كانوا متصفين بالفضائل التي أهمها الاتحاد الذي كان الروم محرومين منه يومئذ. فقد نقل انهم كانوا يتنازعون في المسائل الدينية والفاتح على اسوار المدينة حتى ان بعض رجال الدين قال: لأن أرى تاج السلطان محمد في مذبح كنيسة أياصوفيا أحب الي من ان أرى فيه كمة (طاقية) على رأس كردينال من كرادلة الكنيسة الغربية

لاتعجبوا من القول بان الدولة قامت بالفضيلة لابمجرد القوة والقسوة فان القوم كانوا في حال بداوة فجاءهم الاسلام فجمع كلمتهم وهذب نفوسهم حتى كان ملوكهم الاولون على مقربة من سيرة الخلفاء الراشدين فقد نقل المؤرخون ان المؤسس لهذه الدولة السلطان عثمان الذي ترون صورته امامكم الآن لم يترك لورثته الا حلة وعمامة مضرجة بالدم والمعهود في الفاتحين المؤسسين للممالك بالقهر والقسوة ان يتركوا القناطير المقنطرة من الذهب والجواهر والاثاث والماعون

اما سيرة هذه الدولة المجيدة فانها تعلم من النظر في وجه حاجة الانسانية اليها عند تكوينها ومن سيرتها في بلادها. اما وجه الحاجة الى دولة مثلها في زمنها فاتم

أيها السادة تعرفونه من الوقوف على تاريخ الامم التي تأسست الدولة في بلادها

هذه الدولة مؤلفة من أمم وشعوب وقبائل لها لغات مختلفة واديان مختلفة ولكن الدولة مسلمة واكثر شعوبها اسلامية وأهم عناصرها الاولى المسلمون والروم.

فاما المسلمون فقد كان ملكهم تمزق كل ممزق فاما الدولة العباسية فقد كان التتار قوضوا صرحها ثم زحف الصليبيون على بلادها من كل جانب وأما الدولة الفاطمية فكانت أيضا قد زلزلت زلزالها ، وهددت من الصليبيين بزوالها ، ولا أعد ملوك الطوائف والمماليك في عداد الدول فانهم كانوا أشبه بالبيوت (العائلات) منهم بالدول — يقوم في البيت رجل عظيم فيجعل له ذكراً ومجداً ثم يسقط فيسقط البيت بسقوطه ولا يبقى فيه الا اثره . فدول الاسلام قبل العثمانيين ثلاث الاموية والعباسية والفاطمية وقد كانت هذه الدول اضمحلت وذهب الرجاء منها وبذلك كان المسلمون في حاجة الى دولة جديدة تجمع كلمتهم وتحمي حوزتهم

وأما الروم فقد كانوا في ذلك الوقت أسوأ حالا من المسلمين ولولا ذلك ماتيسر للترك تفريق شملهم والاستيلاء على بلادهم وفتح عاصمتهم بعدد قليل . ذلك انهم لم يكونوا أقل من العثمانيين عدداً ولا علماً بالحروب وانما كان ينقصهم ما كان عند العثمانيين من الفضيلة والوحدة فان فساد الاخلاق والتنازع في الدين لا يبقى للامم بقية

سار العثمانيون في تأسيس دولتهم بما تقتضيه الفضيلة الاسلامية من العدل بالنسبة الى غيرهم من الدول الفاتحة فقد اقروا أهل الملل المخالفة لملتهم على اديانهم ولغاتهم وعاداتهم بل جعلت لهم امتيازاً يتمتعون به الى الآن حتى أنهم يَفضُلُونَ المسلمين في ذلك بعض الامور . وكان يسهل على هؤلاء الممتازين ان يرتقوا في ظل عدل هذه الدولة وفضلها وتحت حمايتها الى أقصى ما في استعدادهم

فدولة لها مثل هذا التاريخ المجيد يصح لابنائها ان يفتخروا بها على اختلاف مللهم ونحلهم وان يحتفلوا لتذكار تأسيسها واستقلالها . ونعود الى ذكر فائدة الاحتفال

قلنا ان الفائدة في هذا الاحتفال هو احياء الشعور بمجد الدولة والتذكير بتاريخها لاجل السعي في استحياء ما كان نافعاً واجتناب ما كان ضاراً . وقد تكلم رئيس الاحتفال عن ضعف الدولة وأحاطة الاخطار بها تنبيها وتذكيرا ولكنه لم يوقعنا في اليأس بالمرة فقد أعرب عن رجائه ببعض فضلاء الامة . ونزيد على ذلك فنقول إنه لا يأس من الدولة

فانها بفضل الله لاتزال ذات قوة عسكرية يشهد لها بها الاعداء وهي قادرة على حماية الامة وانما ينقصها قوة هي أم القوى في هذا العصر وهي قوة العلم والصناعة

قلنا ان هذه الدولة قامت بقوة الفضيلة الفطرية والدينية وقد كانت هذه القوة كافية لسيادة صاحبها على جميع الامم اذ كانت متساوية في الجهل . ولكن الزمان قد تغير وصار كل شيء فيه مبنياً على العلم والصناعة ولذلك تأخرت الدولة عن غيرها فانها لم تكن في يوم من الايام دولة علم وكيف تكون دولة علم وهي لم تكن لها لغة لا اللغة البدوية التي لاقواعد لها ولا تتسع للعلوم والفنون . ان اللغة العثمانية العذبة التي تعلم الآن قد وضعت قواعدها النحوية والصرفية اثناء القرن الماضي فأين العلم من أمة وافاها القرن الماضي وليس لها لغة تعلم بالقلم والكتاب؟

فأساس الاصلاح الذي نطلبه لحفظ استقلال الدولة هو العلم . فالعلم هو الذي يقوي شوكتها والعلم هو الذي ينمي ثروتها والعلم هو الذي يجمع كلمتها . ارأيتم هذه الشعوب المتفرقة والملل المختلفة لايمكن ان تكون أمة واحدة الا بالعلم . العلم هو الذي يقرب بين البعداء . ويصل الافكار بالافكار . وهو الذي يمتاز به الانسان فكل من كان اقرب مني فكرا كان أقرب مني وداً واني لأفضل معاملة من لاتجمعني به غير صلة الانسانية على معاملة من تجمعني به كل صلة حتى صلة الدين والنسب القريب اذا كان الاول قريبا مني بفكره وقلبه . والآخر بعيداً عني بعقله ولبه . لكن العلم الناقص ربما كان شراً من الجهل البسيط فان الجاهل البسيط يكون على شيء من سنة الفطرة يستقيم به عمله بعض الاستقامة ولكن ناقص العلم لايستقيم على الفطرة ولا يحسن الصناعة العلمية

أقول هذا لانني أرى كثيراً من الناس يحصرون السعي في اصلاح الدولة بالانحاء على القابضين على زمام الاحكام فيها وما هؤلاء الحكام الا طائفة من الامة فاذا صلحت الامة بالعلم والتهذيب فانها تصلحهم لامحالة . تشكو الامة من الحكومة واننا لسنا أمة في الحقيقة ولا يمكن ان نكون أمة الا بالعلم والتهذيب العام والدولة غير قادرة على تعميم التعليم فعلى العقلاء منا ان يسعوا في ذلك لاجل تكوين الامة . ان لنا صورة الامة وهي الافراد المجتمعة ولكن ليس لنا معناها وهو الافراد المتحدة . فاذا كانت هذه الصورة التي أمامكم هي السلطان عثمان مؤسس الدولة فهؤلاء الافراد الذين ترونهم في البلاد العثمانية هم أمة لها ان تطالب بحقوق الامم هذا ما اقوله واختصر القول خوف الملال واختم قولي بالدعاء الى الله تعالى بان يؤيد الدولة العلية ويوفق سلطاننا الاعظم عبد الحميد خان ورجال دولته الى ما فيه خيرها وحفظ مجدها آمين . اه

الجزء الثالث والعشرون | المجلد السادس

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة ذي الحجة سنة ١٣٢١ — ١٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ذكر الله تعالى العرب أولا بنعمته عليهم بهذا (البيت) أن جعله مثابة للناس وأمنا وبدعاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام لبلد البيت واستجابة الله تعالى دعاءه إذ جعله بلدا آمنا تجبى اليه الثمرات من البلاد البعيدة فيتمتع أهله بها، وهي نعم يعرفونها لا ينكرها أحد، وانتقل منها الى التذكير بالنعم المعنوية

فذكر عهده الى ابراهيم واسماعيل بأن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود لينبههم باضافة البيت الى نفسه أنه لا يليق ان يعبد فيه غيره وبتطهيره لاجل الطواف والاعتكاف والصلاة أنه يجب تنزيهه عن الاصنام والتماثيل وعبادتها الفاسدة وعن سائر الاعمال الذميمة كطواف العريان وكانوا يفعلونه

ثم ذكرهم بعد هذا بأن ابراهيم هو الذي بنى هـذا البيت بمساعدة ابنه اسماعيل وذكر لهم من دعائهما هنالك ما يرشدهم الى العبادة الصحيحة والدين الحق ويجذبهم الى الاقتداء بذلك السلف الصالح الذي ينتمون اليه ويفاخرون به ، فان قريشا كانت تنتسب الى ابراهيم واسماعيل وتدعي انها على ملة إبراهيم ولذلك كانت ترى أنها أهدى من الفرس والروم. وسائر العرب تبع لقريش

قوله تعالى « واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل » ظاهر فى انهما هما اللذان بنيا هذا البيت لعبادة الله تعالى في تلك البـلاد الوثنية ولكن القصاصين ومن تبعهم من المفسرين جاؤنا من ذلك بغير ماقصه الله تعالى علينا وتفننوا في رواياتهم عن قدم البيت وعن حج آدم ومن بعـده من الانبياء اليه وعن ارتفاعه الى السماء فى وقت الطوفان ثم نزوله مرة أخرى. وهـذه الروايات يناقض اويعارض بعضها بعضا فهي فاسـدة في تناقضها وتعارضها وفاسدة فى عدم صحة أسانيدها وفاسدة في مخالفتها لظاهر القرآن ، ولم يستح بعض الناس من ادخالها فى تفسير القرآن وإلصاقها به وهو بريء منها. ومن ذلك زعمهم ان الكعبة نزلت من السماء فى زمن آدم ووصفهم حج آدم اليها وتعارفه بحواء فى عرفة بعد ان كانت قد ضلت عنه بعد هبوطهما من الجنة، وزعمهم أنها هبطت مرة أخرى الى الارض بعد ارتفاعها بسبب

الطوفان وحليت بالحجر الاسود وأن هذا الحجر كان ياقوتة بيضاء - وقيل زمردة - من يواقيت الجنة أو زمردها وأنها كانت مودعة فى باطن جبل أبي قبيس فتمخض الجبل فولدها ، وأن الحجر انما أسودّ لملامسة النساء الحيض له وقيل لاستلام المذنبين إياه .

(الاستاذ الامام) لوكان أولئك القصاصون يعرفون الالماس لقالوا ان الحجر الاسود منه لانه أبهج الجواهر منظرا وأكثرها بهاء وقد أراد هؤلاء ان يزينوا الدين ويرقشوه برواياتهم هذه ولكنها اذا راقت للبله من العامة فانها لاتروق لاهل العقل والعلم الذين يعلمون أن الشريف هذا الضرب من الشرف المعنوي هو ماشرفه الله تعالى فشرف هذا البيت انما هو بتسمية الله تعالى إياه بيته وجعله موضعا لضروب من عباداته لاتكون فى غيره كما تقدم لا بكون أحجاره تفضل سائر الاحجار ولا بكون موقعه يفضل سائر المواقع ولا بكونه من السماء، ولا بأنه من عالم الضياء ،، وكذلك شرف الانبياء على غيرهم من البشر ليس لمزية فى أجسامهم ولافى ملابسهم وانما هو لاصطفاء الله تعالى إياهم وتخصيصهم بالنبوة التي هي امر معنوي وقد كان أهل الدنيا أحسن زينة وأكثر نعمة منهم

وقد أفصح عن هذا المعنى الذي قرره الاستاذ الامام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إذ قال عند استلام الحجر الاسود: اما والله اني أعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله (ص) قبلك ماقبلتك : ثم دنا فقبل رواه أبو بكر بن أبي شيبة والامام أحمد والعدني والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من عدة طرق.
وروى ابن أبي شيبة والدارقطني فى العلل عن عيسى بن طلحة عن رجل

رأى النبي (ص) وقف عند الحجر فقال : « اني لأعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع » ثم قبله، ثم حج أبو بكر فوقف عند الحجر ثم قال : اني لاعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله (ص) يقبلك ماقبلتك : وحديث عمر يؤيد هذه الرواية المرفوعة وانما قدمناه لانه أصح سندا . وما روي من مراجعة علي لعمر فى ذلك غير صحيح فلا يعول عليه . والحديث يرشدنا الى أن الحجر لامزية له فى ذاته فهو كسائر الحجارة وانما استلامه أمر تعبدي فى معنى استقبال الكعبة وجعل التوجه إليها توجها الى الله الذي لايحده مكان ، ولاتحصره جهة من الجهات ، على أنه قد غرز فى طبائع البشر تكريم البيوت والمعاهد، والآثار والمشاهد، التي تنسب للاحباء ، أو تضاف الى العظماء ، :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وانما يكون التعظيم والتكريم للديار ، فى حال غيبة الساكن والديّار، كأن النفس اذا حرمت من المشاهدة التي تذكي نار الحب، وتهيج الاحساس والشعور بلذة القرب ، تحاول ان تذكي تلك النار ، بالتعلل بالاطلال والآثار ، ولا يقال لم خصص الحجر الاسود بالتقبيل ؟ فان كل مشعر من تلك المشاعر قد خص بمزية تثير شعورا دينيا خاصا يليق به فلا يقال: لماذا كان الوقوف والاجتماع . وتعارف أهل الآفاق والاصقاع ، مخصوصا بعرفة دون غيرها من البقاع :ولهذه المشاعر والشعائر معان وأسرار أخرى عند بعض الخواص ، لاينبغي شرحها لعامة الناس ،

وقد جهل القصاص تلك الاحاديث والآثار، وهذه المعاني والاسرار،

وجعلوا مزية البيت الحرام ومشاعره وحجره المكرم محصورة فى مخالفتها لسائر الحجارة وكون أصلها من جواهر الجنة التى هي من عالم الغيب، وراجت بضاعتهم عند من لا يعرف من الدين الا هذه الرسوم الظاهرة ومنها كسوة الكعبة الحريرية المزركشة فانها عند عامتنا فى هذه الازمنة من أعظم شعائر الدين، وان حرم حضور احتفالها أو رؤيتها بعض علماء الازهر المتأخرين، (كالباجوري) وهكذا كل واحد يفهم الدين، ويأخذ من كتب الاولين والآخرين، ما يناسب استعداد عقله، ويحسن فى نظر جيرانه وأهله، حتى يخرج المسلمون من هذه الفوضى فى الدين والعلم، ويدير شئونهم الاجتماعية أهل الحكمة والفهم، فيضعون لهم نظاما يتبع في تعميم التربية والتعليم، «ومن يَعْتَصِمْ بالله فقد هُدِيَ الى صراط مستقيم»

ومن مباحث اللفظ فى الجملة ان القواعد جمع قاعدة وهي ما يقعد ويقوم عليه البناء من الاساس أو من الساقات ورفعها اعلاء البناء عليها أو أعلاؤها نفسها على الخلاف ٠ و «من البيت» قال الجلال انه متعلق بيرفع وهذا إنما يصح اذا أريد بالبيت العرصة أو البقعة التى وقع فيها البناء، والا كثرون على ان (من) للبيان وعليه يكون البيت بمعنى نفس البناء والجدران، وهناك قول ثالث وهو ان (من) للتبعيض بناء على ان البيت مجموع العرصة والبناء، قال الاستاذ الامام: وفى الكلام نكتة لطيفة وهي ان ذكر القواعد أولا ينبه الذهن ويحركه الى طلب معرفة القواعد ما هي وقواعد أي شيء هي فاذا جاء البيان بعد ذلك كان أحسن وقعا فى النفس، وأشد تمكنا في الذهن، وأما النكتة فى تأخير ذكر اسماعيل عن ذكر المفعول مع ان الظاهر ان يقال: واذ يرفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت:

فهي الالماع الى كون المأمور من الله ببناء البيت هو ابراهيم وإنما كان اسماعيل مساعداً له وقدورد انه كان يناوله الحجارة

وقوله تعالى «ربنا تقبل منا» الخ حكاية لدعاء ابراهيم واسماعيل عند البناء وهو انهما كانا يقولان ذلك ، حذف القول للإيجاز الذى عهد من القرآن في خطاب العرب كما تقدم وجملة القول بيان لحالهما وقتئذ . وتقبل الله العمل قبله ورضي به «إنك أنت السميع» لاقوالنا «العليم» بنيتنا «ربنا واجعلنا مسلمين لك» المسلِم والمسلّم والمستسلم واحد وهو المنقاد الخاضع والمراد بالكلمة مايشمل التوحيد والاخلاص لله تعالى فى الاعتقاد والعمل جميعا . ومعنى الاول ـ أي الاخلاص فى الاعتقاد ـ ان لا يتوجه المسلم بقلبه الا الى الله ولا يستعين بأحد فيما وراء الاسباب الظاهرة الا بالله ، ومعنى الثاني أن يقصد بعمله مرضاة الله تعالى لا اتباع الهوى وإرضاء الشهوة . وانما يرضيه تعالى منا ان تزكى نفوسنا بمكارم الاخلاق ، كما ترقى عقولنا بالاعتقاد الصحيح المؤيد بالبرهان ، فبذلك نكون محل عنايته تعالى ومستودع معرفته وموضع كرامته ، ومن يقصد بأعماله إرضاء شهوته واتباع هواه لا يزيد نفسه الا خبثا وبذلك يكون بعيدا عن الاسلام ويصدق عليه قوله تعالى «أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا»

وقد يقال: ان الانسان يندفع لمعظم الاعمال بسائق طلب المنفعة واللذة وهو سائق فطري فكيف ينافيه الاسلام وهو دين الفطرة . ومثاله طلب الغذاء لقوام الجسم يسوق اليه التلذذ بالطعام ، ومثل ذلك طلب اللذات العقلية والادبية فكيف يمكن ان يكون مايطلب للذة خالصاً لله وحده ؟؟ والجواب ان الاسلام قد حل هذه المسألة حلا لا يجده الانسان فى ديانة اخرى ، ذلك

أنه لم يحرم علينا الا ماهو ضارٌّ بنا، ولم يوجب علينا الا ماهو نافع لنا، وقد أباح لنا مالا ضرر فى فعله ولا فى تركه من ضروب الزينة واللذة اذا قصد بها مجرد اللذة وإما اذا قصد بها مع اللذة غرض صحيح وفعلت بنية صالحة فهي فى حكم الطاعات التي يثاب عليها، ومن نية المرء الصالحة فى الزينة والطيب ان يسر اخوانه بلقائه وان يظهر نعم الله عليه وان يتقرب الى امرأته ويدخل السرور عليها، وانما الهوى المذموم فى الاسلام هو الهوى الباطل كأن يتزين الرجل و يتطيب للمفاخرة والمباهاة أو ليستميل اليه النساء الاجنبيات عنه وبذلك تكون الزينة مذمومة شرعا و « انما الاعمال بالنيات »

دعا هذان النبيان العظيمان لا نفسهما بحقيقة الاسلام ثم دعوا بذلك لذريتهما فقالا «و» اجعل «من ذريتنا أمة مسلمة لك» أضافا الذرية الى ضمير الاثنين للدلالة على ان المراد الذرية التي تنسب اليهما معاً وهي ما يكون من ولد اسماعيل، اللفظ ظاهر فى هذا المعنى ويرجحه الحال والمحل الذي كانا فيه وعزم ابراهيم على ان يدع اسماعيل في بلاد العرب داعيا الى توحيد الله وإسلام القلب اليه ويرجع هو الى بلاد الشام، وكذلك الدعاء لهذه الذرية بأن يبعث الله فيهم رسولا منهم كما سيأتي . وقد استجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وولده عليهما السلام، وجعل فى ذريتهما أمة الاسلام، وبعث فيها منها خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، والى هذا الدعاء الاشارة بقوله تعالى في سورة الحج « ملة أبيكم إبرهيم هو سماكم المسلمين من قبل »

وعلم مما تقدم ان المراد بالاسلام معناه الذى شرحناه فمن قام به هذا المعنى فهو المسلم فى عرف القرآن وليس المراد به اسم فى حكم الجامد يطلق على أمة مخصوصة حتى يكون كل من يولد فيها أو يقبل لقبها مسلماً ذلك الاسلام الذي

نطق به القرآن ، ويكون من الذين تنالهم دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقد جرى ابراهيم وولده على سنة الفطرة في هذا الدعاء أيضا نخصاه ببعض الذرية لانه قد يكون منها من لا يتناول الاسلام

« وارنا مناسكنا » أي علمنا اياها علما يكون كالرؤية البصرية فى الجلاء والوضوح ، والمناسك جمع منسك بفتح السين فى الافصح من النسك (بضمتين) ومعناه غاية العبادة وغلب استعمال النسك في عبادة الحج خاصة والمناسك فى معالمه أو أعماله . « وتب علينا » أي وفقنا للتوبة لنتوب ويدل عليه قوله تعالى « ثم تاب عليهم ليتوبوا » او المعنى أقبل توبتنا ومنه الحديث : ويتوب الله على من تاب : وتاب (بالمثناة) كثاب (بالمثلثة) ومعناه رجع . ويقال : تاب العبد الى ربه أي رجع اليه لان اقتراف الذنب اعراض عن الله أي عن طريق دينه وموجبات رضوانه ، ويقال : تاب الله على العبد : لان التوبة من الله تتضمن معنى الرحمة والعطف كأن الرحمة الالهية تنحرف عن المذنب باقترافه أسباب العقوبة فاذا تاب عادت اليه ، وعطف ربه عليه ، والتوبة تختلف باختلاف درجات الناس فعبدك يتوب اليك من ترك ما أمرته بفعله ، أو فعل ما أمرته بتركه ، وصديقك يتوب اليك ويعتذر اذا هو قصر فى عمل لك فيه فائدة عما فى إمكانه واستطاعته ، وولدك يتوب اذا قصر فى أدب من الآداب التى ترشده اليها ليكون فى نفسه عزيزا كريما . وكذلك تختلف توبات التائبين الى الله تعالى باختلاف درجاتهم فى معرفته ، وفهم أسرار شريعته ، فعامة المؤمنين لا يعرفون من موجبات سخط الله تعالى وأسباب عقوبته الا المعاصي التي شددت الشريعة في النهي عنها ، واذا تابوا من عمل سيء فانما يتوبون منها ، وخواص المؤمنين يعرفون

ان لكل عمل سيئ لوثة فى النفس تبعد بها عن الكمال ، ولكل عمل صالح أثرا فيها يقربها من الله وصفاته ، فالتقصير فى الصالحات يعدّ عند هؤلاء من الذنوب التي تهبط بالنفس وتبعدها عن الله تعالى فهي اذا قصرت فيها تتوب واذا شمرت لا تأمن النقائص والعيوب ، ويختلف اتهام هؤلاء الابرار لانفسهم باختلاف معرفتهم بصفات النفس وما يعرض لها من الآفات فى سيرها ، ومعرفتهم بكمال الله جل جلاله ومعنى القرب منه واستحقاق رضوانه ، ولذلك قال بعض العارفين : حسنات الابرار سيئات المقربين ، : ومن هنا تفهم معنى التوبة التى طلبها ابراهيم واسماعيل ، عليهما الصلاة والتسليم ،

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم » أي من أنفسهم ويتضمن هذا الدعاء لهم بالارتقاء الذي يؤهلهم ويعدهم لظهور النبي منهم . وقد أجاب الله تعالى هذه الدعوة بخاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم كما كما ورد فى حديث أحمد « أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى » الخ ثم وصف هذا الرسول بقوله « يتلو عليهم آياتك » الدالة علي وحدانيتك وتنزيهك وعظمة شأنك ، والدالة على صدق رسلك الى خلقك ، فالمراد بالآيات الآيات الكونية والعقلية أو المراد آيات الوحي التى تنزلها عليه فتكون دليلا على صدقه ، ومشتملة على تفصيل آيات الله فى خلقه ، كبراهين التوحيد والتنزيه ، ودلائل النبوة والبعث ،

« ويعلمهم الكتاب والحكمة » ﴿ قال الاستاذ الامام ﴾ فسروا الكتاب بالقرآن والحكمة بالسنة والثاني غير مسلم على عمومه ، اما الاول فله وجه وعليه يكون المراد بالآيات فيما سبق دلائل العقائد وبراهينها كما تقدم فيما سبق دون الوحي والا كان مكررا . وفيه وجه ثان وهو ان المراد بالكتاب

مصدر كتب يقال : كتب كتابا وكتابة : وانما الدعاء لامة أمية لابد فى اصلاحها وتهذيبها من تعليمها الكتابة وقد كانت الامم المجاورة لها من أهل الكتاب فلا يتيسر لها اللحاق بها أو سبقها حتى تكون من الكاتبين مثلها . واما الحكمة فهي فى كل شيء معرفة سره وفائدته والمراد بها أسرار الاحكام الدينية والشرائع ومقاصدها ، وقد بين النبي (ص) ذلك بسيرته في المسلمين، وما فيها من الفقه في الدين ، فان أرادوا من السنة هذا المعنى فى تفسير الحكمة فهو مسلم وهو الذي كان يفهم من اسمها فى الصدر الاول وان أرادوا بالسنة ما يفسرها به أهل الاصول والمحدثون فلا تصح على إطلاقها فالحكمة مأخوذة من الحَكَمَة (بالتحريك) وهي ما أحاط بحنكي الفرس من اللجام وفيها العذاران وفي ذلك معنى مايضبط به الشيء ومن ذلك إحكام الامر واتقانه ، وما كل من يروي الاحاديث يحقق له هذا المعنى ولكن الذى يتفقه فى الدين ويفهم أسراره ومقاصده يصح ان يقال: انه قد أوتي الحكمة التي قال الله فيها « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » ولن يكون أحد داخلا فى دعوة ابراهيم ، حتى يقبل تعليم الحكمة من ذلك النبي الكريم ،

علم ابراهيم واسماعيل (ص) ان تعليم الكتاب والحكمة لايكفي فى إصلاح الامم واسعادها بل لابد ان يقرن التعليم بالتربية على الفضائل والحمل علي الاعمال الصالحة بحسن الاسوة والسياسة فقالا « ويزكيهم » أي يطهر نفوسهم من الاخلاق الذميمة ، وينزع منها تلك العادات الرديئة، ويعودها على الاعمال الحسنة التي تطبع في النفوس ملكات الخير ، ويبغض اليها الاعمال القبيحة التي تغريها بالشر ، ثم ختما بالدعاء بهذا الثناء ، «انك أنت

العزيز الحكيم» العزيز هو القوي الغالب على أمره فلا ينال بضيم، ولا يغلب على أمر، والحكيم هو الذي يضع الاشياء أحسن وضع، ويتقن العمل ويحسن الصنع، والسر فى ذكر هذين الوصفين هنا إزالة ماربما يعلق بالذهن، أو يسبق الى الوهم، من ان هذه الامور التى دعي بها للعرب منافية لطبائعهم، بعيدة من أحوالهم ومعايشهم، فانهم جمدوا على بداوتهم، وألفوا غلظتهم وخشونتهم، فهم أعداء العلم والحكمة، خصماء التهذيب والتربية، لايخضعون لنظام، ولا يؤخذون بالاحكام، والاستعداد فيهم للمدنية والحضارة التى هي أثر تعليم الكتاب والحكمة، وتزكية أفراد الامة، فكان يتوقع ان يقول قائل: من يقدر أن يغير طباع هذه الامة المعروفة بالخشونة والقسوة، فيجعلها من أهل العلم والمدنية، : لولا أن علم ان الموعو والمسئول هو العزيز الذي لا مرد لامره، الحكيم الذي لا معقب لحكمه،

باب الفقه في أحكام الدين

المفتي والافتاء في الشرع

ختم الامام ابن القيم رحمه الله تعالى كتابه (أعلام الموقعين) بفوائد كثيرة مطولة تتعلق بالفتوى فرأينا ان نلخص منها مايأتي تنويرا لبحثنا السابق وليعلم قليل الاطلاع أن مفتي الديار المصرية جرى في فتواه للترنسفالي على سنة السلف الصالح واقتدى فيها بأئمة الدين، لا بأوضاع جهلة المقلدين، الفائدة الاولى من تلك الفوائد فى أنواع الاسئلة التي تعرض على المفتي، والثانية في بيان انه يجوز للمفتي ان يعدل فى جواب المستفتي عما سأل عنه الى ماهو أنفع منه واستدل على ذلك بالكتاب والسنة، والثالثة فى بيان ان يجوز للمفتي ان يجيب السائل بأ كثر مما سأله عنه واستدل على ذلك بالسنة (وفى صحيح البخاري باب معقود لهذا) والرابعة فى بيان ان من فقه المفتي ونصحه أن يدل المستفتي على ماهو خير مما منعه منه بالفتوى فيما سأل عنه واستدل

عليه بالسنة ، والخامسة فى انه ينبغي للمفتي ان يحذر السائل مما يذهب اليه الوهم من خلاف الصواب فى الفتوى واستدل عليه بأسلوب الكتاب والسنة . قال :

(الفائدة السادسة) ينبغي للمفتي ان يذكر دليل الحكم ومأخذه ماأمكنه ذلك ولا يلقيه الى المستفتي ساذجا مجردا عن دليله ومأخذه فهذا لضيق عطنه وقلة بضاعته من العلم . ومن تأمل فتاوى النبي صلى الله عليه وسلم (وقد أوردها المصنف فى آخر الفوائد) الذي قوله حجة بنفسه رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته ؛ وهذا كما سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال « أينقص الرطب اذا جف » قالوا نعم فزجر عنه ومن المعلوم انه كان يعلم نقصانه بالجفاف ولكن نبهم على علة التحريم وسببه. ومن هذا قوله لعمر وقد سأله عن قبلة امرأته وهو صائم فقال : « أرأيت لو تمضمضت ثم مججته أ كان يضر شيئاً » قال لا . فنبه على ان مقدمة المحظور لايلزم أن تكون محظورة فان غاية القبلة انها مقدمة الجماع فلا يلزم من تحريمه تحريم مقدمته كما ان وضع الماء فى الفم مقدمة شربه وليست المقدمة محرمة . ومن هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » فذكر لهم الحكم ونبههم على علة التحريم . ومن ذلك قوله لابي النعمان بن بشير — وقد خص بعض ولده بغلام نحله اياه — فقال : « أتحب ان يكونوا لك في البر سواء » ؟ قال نعم قال « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وفي لفظ « ان هذا لايصلح » وفى لفظ « اني لاأشهد على جور » وفى لفظ « أشهد على هذا غيري » تهديداً لا إذنا فانه لايأذن في الجور قطعا . وفي لفظ « رده » والمقصود انه نبهه على علة الحكم : الخ الشواهد

(الفائدة التاسعة) ينبغي للمفتي ان يفتي بلفظ النص مهما أمكنه فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام فهو حكم مضمون له الصواب متضمن للدليل على أحسن بيان ، وقول الفقيه المعين ليس كذلك . وقد كان الصحابة والتابعون والائمة الذين سلكوا على مناهجهم يتحرون ذلك غاية التحري حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص واشتقوا لانفسهم الفاظا غير الفاظ النصوص فأوجب ذلك هجر النصوص ومعلوم ان تلك الالفاظ لاتفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان

تولد من هجر النصوص والاقبال على الالفاظ الحادثة وتعليق الاحكام بها على الامة من الفساد مالا يعلمه الا الله تعالى فألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب. ولما كانت هي عصمة عمدة الصحابة وأصولهم التي اليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم وخطأهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم. ثم ان التابعين بالنسبة الى من بعدهم كذلك وهلم جرا . ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الاهواء والبدع كانت علومهم فى مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض

« وقد كان أصحاب رسول الله (ص) اذا سئلوا عن مسألة يقولون : قال الله كذا قال رسول الله (ص) كذا أو فعل كذا : ولا يعدلون عن ذلك ماوجدوا اليه سبيلا قط . فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما في الصدور . فلما طال العهد وبعد الناس من نور النبوة صار هذا عيبا عند المتأخرين أن يذكروا فى أصول دينهم وفروعه : قال الله وقال رسول الله : أما أصول دينهم فصرحوا في كتبهم أن قول الله وقول رسول الله لا يفيد اليقين فى مسائل أصول الدين وانما يحتج بكلام الله ورسوله فيها الحشوية والمجسمة والمشبهة . وأما فروعهم فقنعوا فيها بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التي لا يذكر فيها نص عن الله ولا عن رسوله (ص) ولا عن الامام الذي زعموا أنهم قلدوه دينهم بل عمدتهم فيما يفتون ويقضون به وينقلون به الحقوق ويبيحون به الفروج والدماء والاموال على قول ذلك المصنف ، وأجلهم عند نفسه ، وزعيمهم عند بني جنسه ، من يستحضر لفظ الكتاب ويقول : هكذا قال وهكذا لفظه : والحلال ما أحله ذلك الكتاب والحرام ماحرمه والواجب ماأوجبه والباطل ما أبطله والصحيح ماصححه » _ هذا وأنى لنا بهؤلاء فى مثل هذه الازمان فقد دفعنا الى أمر تضج منه الحقوق الى الله ضجيجها ، وتعج منه الفروج والاموال والدماء الى ربها عجيجها ، يبدل فيه الاحكام ، ويقلب الحلال بالحرام ، ويجعل المعروف فيه أعلى مراتب المنكرات ، والمنكر الذي لم يشرعه الله ورسوله من أفضل القربات ، الحق فيه غريب وأغرب منه من يعرفه ، وأغرب منهما من يدعو اليه وينصح به نفسه والناس ، قد فلق له فالق الاصباح صبحه عن غياهب الظلمات ، وأبان له طريقه المستقيم من بين تلك

الطرق الجائرات ، وأراه بمين قلبه ما كان عليه رسول الله (ص) وأصحابه مع ماعليه أكثر الخلق من البدع المضلات ، رفع له علم الهداية فشمر اليه ، ووضح له الصراط المستقيم فقام واستقام عليه ، وطوبى له من وحيد على كثرة السكان ، غريب على كثرة الجيران ، بين أقوام رؤيتهم قذى العيون ، وشجى الحلوق ، وكرب النفوس ، وحمى الارواح ، وغم الصدور ، ومرض القلوب ، ان أنصفتهم لم تقبل طبيعتهم الانصاف ، وان طلبته منهم فاين الثريا من يد الملتمس ، قد انتكست قلوبهم ، وعمي عليهم مطلوبهم ، رضوا بالأماني وابتلوا بالحظوظ وحصلوا على الحرمان ، وخاضوا بحار العلم ولكن بالدعاوي الباطلة وشقاشق الهذيان ، ولا والله ماابتلت من وشله اقدامهم ، ولا زكت به عقولهم وأحلامهم ، ولا ابيضت به لياليهم وأشرقت بنوره أيامهم ، ولاضحكت بالهدى والحق منه ربوة الدفاتر إذبلت به أقلامهم ، أنفقوا في غير شيء نفائس الانفاس ، وأتعبوا أنفسهم وحيروا من خلفهم من الناس ، ضيعوا الاصول ، فحرموا الوصول ، وأعرضوا عن الرسالة فوقعوا في مهامة الحيرة وبيداء الضلالة ، والمقصود ان العصمة مضمونة فى الفاظ النصوص ومعانيها في أتم بيان وأحسن تفسير ، ومن رام ادراك الهدى ودين الحق من غير مشكاتها فهو عليه عسير غير يسير » اه

(المنار) ان ماذكره هذا الامام الجليل من وجوب اسناد الفتاوي الى نصوص الكتاب والسنة هو الذي جرى عليه جميع أئمة المسلمين ولكن الذين ذكرهم خرجوا عن هدي السنة وطريقة الائمة فختموا اسناد الفتوى الى قول مؤلف من المقلدين الميتين ولم ينقل عن عالم من علماء الاسلام جواز تقليد المقلد ولم يكتفوا بهذا حتى صاروا يعيبون من يفتي بالكتاب والسنة ويزعمون انهم بهذا ينصرون الاسلام وما الاسلام الا الكتاب والسنة اللذين تركوهما وعادوهما . وماذكره من أوصاف العالم الذى يفتي بالنصوص ويراه الناس غريبا ينطبق فى زمنه على شيخ الاسلام (رحمهما الله تعالى) وفى هذا الزمن على الاستاذ الامام (حفظه الله) فانه لما استند في الفتوى بحل ذبائح أهل الكتاب على اطلاقها باطلاق نص القرآن فى حلها قام بعض الجاهلين يعيب ذلك زعما ان الافتاء بنص القرآن غير جائز للمفتي وانما يجب عليه ان يذكر نص مؤلف من المؤلفين الميتين الذين ينتسبون الى أبي حنيفة خاصة . ويا ليت هذا العيب والانكار كان ممن يدعون الاشتغال بكتب الاحكام التي يسمونها فقها ! كلا انه صادر من

أجهل أرباب الجرائد الاخبارية بالدين وأشدهم إيغالا في الفسق وإسرافا في الامر، فلو كان ابن القيم في هذا الزمان فماذا عساه يقول ويكتب في هؤلاء؟ ؟

(الفائدة الحادية عشرة) اذا نزلت بالحاكم أو المفتي النازلة فاما ان يكون عالما بالحق فيها أو غالبا على ظنه بحيث قد استفرغ وسعه في طلبه ومعرفته أولا فان لم يكن عالما بالحق فيها ولا غلب على ظنه لم يحل له ان يفتي ولا يقضي بما لا يعلم ومتى أقدم على ذلك فقد تعرض لعقوبة الله ودخل تحت قوله تعالى: « قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون* » فجعل القول عليه بلا علم أعظم المحرمات الاربع التي لاتباح بحال. ولهذا حصر التحريم فيها بصيغة الحصر. ودخل تحت قوله تعالى: « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * انما يأمركم بالسوء والفحشاء، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون * » ودخل في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « من أفتى بغير علم فانما اثمه على من افتاه » وكان أحد القضاه الثلاثة الذين ثلثاهم في النار. وان كان قد عرف الحق في المسألة علما أو ظنا غالبا لم يحل له ان يفتي ولا يقضي بغيره بالاجماع المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وهو أحد القضاة الثلاثة والمفتين الثلاثة والشهود الثلاثة واذا كان من أفتى أو حكم أو شهد بغير علم مرتكبا لاعظم الكبائر فكيف من أفتى أو حكم أو شهد بما يعلم خلافه !!!

فالحاكم والمفتي والشاهد كل منهم مخبر عن حكم الله. فالحاكم مخبر منفذ، والمفتي مخبر غير منفذ والشاهد مخبر عن الحكم الكوني القدري المطابق للحكم الديني الامري فمن أخبر منهم عما يعلم خلافه فهو كاذب على الله عمدا « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » ولا أظلم ممن كذب على الله وعلى دينه. وان أخبروا بمالم يعلموا فقد كذبوا على الله جهلا وان أصابوا في الباطن وأخبروا بمالم يأذن الله لهم في الاخبار به وهم أسوأ حالا من القاذف اذا رأى الفاحشة وحده فاخبر بها فانه كاذب عند الله وان أخبر بالواقع فان الله لم يأذن له في الاخبار بها الا اذا كان رابع اربعة فان كان كاذبا عند الله في خبر مطابق لمخبره حيث لم يأذن له في الاخبار به فكيف من أخبر عن حكمه بما لم يعلم ان الله حكم به ولم يأذن له في الاخبار به قال الله تعالى: « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، ان الذين يفترون على الله الكذب

لايفلحون * متاع قليل ولهم عذاب اليم * » وقال تعالى: «فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه» والكذب على الله يستلزم التكذيب بالحق والصدق. وقال تعالى: «ومن اظلم ممن افتري على الله كذبا، أولئك يعرضون علي ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، الالعنة الله على الظالمين *» وهؤلاء الآيات وان كانت في حق المشركين والكفار فانها متناولة لمن كذب على الله في توحيده ودينه واسماءه وصفاته وأفعاله ولاتتناول المخطئ المأجور اذا بذل جهده، واستفرغ وسعه في اصابة حكم الله وشرعه فان هذا هو الذي فرضه الله عليه فلا يتناول المطيع لله وان أخطأ وبالله التوفيق.

(الفائدة الثانية عشرة) حكم الله ورسوله يظهر على أربعة ألسنة: لسان الراوي ولسان المفتي ولسان الحاكم ولسان الشاهد فالراوي يظهر على لسانه لفظ حكم الله ورسوله والمفتي يظهر على لسانه معناه وما استنبطه من لفظه. والحاكم يظهر على لسانه الاخبار بحكم الله وتنفيذه. والشاهد يظهر على لسانه الاخبار بالسبب الذي يثبت حكم الشارع والواجب على هؤلاء الاربعة ان يخبروا بالصدق المستند الى العلم فيكونون عالمين بما يخبرون به صادقين في الاخبار به وآفة أحدهم الكذب والكتمان فمتى كتم الحق أو كذب فيه فقد حادّ الله تعالى فى شرعه ودينه وقد أجرى الله سنته ان يمحق عليه بركة علمه ودينه ودنياه اذا فعل ذلك كما أجري عادته سبحانه في المتبايعين اذا كتما وكذبا ان يمحق بركة بيعهما. ومن التزم الصدق والبيان في مرتبته بورك له فى علمه ووقته ودينه ودنياه وكان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

فبالكتمان يعزل الحق عن سلطانه، وبالكذب يقلبه عن وجهه، والجزاء من جنس العمل فجزاء أحدهم أن يعزله الله عن سلطان المهابة والكرامة والمحبة والتعظيم الذى يلبسه أهل الصدق والبيان، ويلبسه ثوب الهوان والمقت والخزي بين عباده، فاذا كان يوم القيامة جازى الله سبحانه من يشاء من الكاذبين الكاتمين بطمس الوجوه وردها على أدبارها كما طمسوا وجه الحق وقلبوه عن وجهه جزاء وفاقا. «وماربك بظلام للعبيد *»

(الفائدة الخامسة عشرة) ليحذر المفتي الذى يخاف مقامه بين يدي الله سبحانه

أن يفتي السائل بمذهبه الذى يقلده وهو يعلم ان مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلا فيحمله الريسة على ان يتقحم الفتوى بما يغلب على ظنه ان الصواب في خلافه فيكون خائنا لله ورسوله وللسائل وغاشا له والله لا يهدي كيد الخائنين وحرم الجنة على من لقيه وهو غاش للاسلام وأهله والدين النصيحة والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصدق ، والباطل للحق ،وكثيرا ما نرى المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب فلا يسعنا ان نفتي فيها بخلاف ما نعتقده فنحكي المذهب ثم نحكي المذهب الراجح ونرجحه ونقول هذا هو الصواب وهو أولى ان يؤخذ به وبالله التوفيق » اه

(المنار) ليعتبر بهذا الجهلاء الذي يزعمون ان المفتي يجب عليه ان يفتي كل سائل بالمذهب الذي عليه الحاكم الذي قلده منصب الافتاء وان خالف اعتقاده كأن المنصب يجيز للمسلم ان يترك اعتقاده فيحلل مايعتقده حراما ويحرم مايعتقده حلالا، وفي هذا الزعم من الجناية على الدين ونصر أهواء الحكام عليه مالا يفوق إفساده إفساد، ونحن نعلم ان أكثر السلاطين والامراء المتأخرين لايعلمون من المذاهب التي ينتسبون اليها شيئا من الاحكام القضائية ولا من احكام الحلال والحرام الا المشهور الذي يعرفه العوام فاذ ولوا مفتيا ليفتي محاكمهم ورعاياهم فمن أي كتاب أو سنة أو اجماع أو قياس نوجب على هذ المفتي ان يترك علمه واعتقاده في كل مسألة تخالف مذهب السلطان ويفتي الناس بالمذهب الذي ينتسب اليه السلطان بالقول وهو في الحقيقة من العوام الذين مذهبهم مذهب مفتيهم ؟

نعم ان لإفتاء المفتي بمذهب السلطان فى المسائل القضائية التى تنظر فيها المحاكم وجها اذا كان السلطان لا ينفذ الا مايقضي به القاضي على مذهبه وذلك لان الافتاء والقضاء بخلاف ذلك يكون لغوا . أما اذا كان السلطان يطلب الحق فى المسائل القضائية ومتى ظهر له بافتاء أو غيره وحكم به حاكم ينفذه فلا وجه لالتزام مذهبه مطلقا . واما المسائل الدينية التى لاتتعلق بالمحاكم ولا تحتاج الى تنفيذ السلطان كمسائل الحلال والحرام والعبادات فمن أكبر الجهل بالدين ان يقال انه يجب على المفتي ان يفتي فيها بمذهب السلطان ويترك اعتقاده الذى ينجيه عند الله تعالى لاجل منصبه الذى بني على الاجتهاد في كل مذهب ويريد المقلدون ان يقصروه على التقليد. ثم قال ابن القيم:

(الفائدة العشرون) لايجوز للمقلد ان يفتي فى دين الله بما هو مقلد فيه وليس

على بصيرة فيه سوى أنه قول من قلده دينه ـ هذا اجماع من السلف كلهم وصرح به الامام أحمد والشافعي رضي الله عنهما وغيرهما . قال أبو عمرو بن الصلاح: قطع أبو عبدالله الحليمي امام الشافعيين بما وراء النهر والقاضي أبو المحاسن الروياني صاحب بحر المذاهب وغيرهما بأنه لا يجوز للمقلد ان يفتي بما هو مقلد فيه، وقال: وذكر الشيخ أبو محمد الجويني في شرحه لرسالة الشافعي عن شيخه أبي بكر القفال المروزي انه لا يجوز لمن حفظ كلام صاحب مذهب ونصوصه ان يفتي به وان كان متبحرا فيه جاز ان يفتي . قال أبو عمرو: ومن قال لا يجوز له ان يفتي بذلك معناه لا يذكره في صورة ما يقوله من عند نفسه بل يضيفه الى غيره ويحكيه عن امامه الذي قلده فعلى هذا من عددناه في أصناف المفتين المقلدين ليسوا على الحقيقة من المفتين ولكنهم قاموا مقام المفتين وادعوا عنهم فعدوا منهم، وسبيلهم في ذلك ان يقولوا مثلا: مذهب الشافعي كذا وكذا ومقتضى مذهبه كذا وكذا وما أشبه ذلك ، ومن ترك منهم إضافة ذلك الى امامه فان كان ذلك اكتفاء منه بالمعلوم عن الصريح فلا بأس:

قلت ما ذكره أبو عمرو حسن الا ان صاحب هذه المرتبة يحرم عليه ان يقول مذهب الشافعي لما لا يعلم انه نصه الذي أفتى به أو يكون شهرته بين أهل المذهب شهرة لا يحتاج معها الى الوقوف على نصه كشهرة مذهبه في الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر ووجوب تبييت النية للفرض من الليل ونحو ذلك فاما بمجرد ما يجد في كتب من انتسب الى مذهبه من الفروع فلا يسعه ان يضيفها الى نصه ومذهبه بمجرد وجودها في كتبهم فكم فيها من مسألة له لا نص فيها البتة !!! ولا ما يدل عليه وكم فيها من مسألة نصه على خلافها وكم فيها من مسألة اختلف المتنسبون اليه في إضافتها الى مقتضى نصه ومذهبه فهذا يضيف الى مذهبه اثباتها ، وهذا يضيف اليه نفيها ...

فلا ندري كيف يسع المفتي عند الله أن يقول هذا مذهب الشافعي وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة . وأما قول الشيخ أبي عمرو ان هذا المفتي يقول: هذا مقتضى مذهب الشافعي: فلعمر الله لا يقبل ذلك من كل من نصب نفسه للفتيا حتى يكون عالما بمأخذ صاحب المذهب ومداركه وقواعده جمعا وفرقا ويعلم ان ذلك الحكم مطابق لاصوله وقواعده بعد استفراغ وسعه في معرفة ذلك فيها حتى اذا أخبر ان هذا مقتضى

مذهبه كان له حكم أمثاله ممن قال بمبلغ علمه ولا يكلف الله نفساً الا وسعها.

وبالجملة : فالمفتي مخبر عن الحكم الشرعي وهو اما مخبر عما فهمه عن الله ورسوله واما مخبر عما فهمه من كتاب أو نصوص من قلده دينه وهذا لون وهذا لون فكما لا يسع الاول ان يخبر عن الله ورسوله الا بما علمه فكذا لا يسع الثاني ان يخبر عن امامه الذي قلده دينه الا بما يعلمه وبالله التوفيق

(الفائدة الثانية والعشرون) اذا عرف العامي حكم حادثة بدليلها فهل له ان يفتي به ويسوغ لغيره تقليده فيه ؟ ففيه ثلاثة أوجه للشافعية وغيرهم

أحدها الجواز لأنه قد حصل له العلم بحكم تلك الحادثة عن دليلها كما حصل للعالم وان تميز العالم عنه بقوة يتمكن بها من تقرير الدليل ودفع المعارض له فهذا قدر زائد على معرفة الحق بدليله .

والثاني لا يجوز ذلك مطلقاً لعدم أهليته للاستدلال وعدم علمه بشروطه وما يعارضه ولعله يظن دليلا ماليس بدليل .

والثالث ان كان الدليل كتاباً أو سنة جاز له الافتاء وان كان غيرهما لم يجز لان القرآن والسنة خطاب لجميع المكلفين فيجب على المكلف ان يعمل بما وصل اليه من كتاب ربه تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز له ان يرشد غيره اليه ، ويدله عليه » اه

(المنار) علم مما قاله هذا الامام الجليل ان سلف الامة وأئمتها مجمعون على انه يجب على المفتي ان يفتي بعلمه في المسألة وانما اجاز بعض فقهاء القرون المتوسطة ان ينقل المفتي قول بعض الائمة المجتهدين أو رأيه على أنه خبر ورواية وذلك لا يسمى فتيا وناقله لا يسمى مفتيا وانما أجازوه للضرورة . وكلام هذا الامام الحنبلي موافق لما نقلناه في الجزء الماضي عن أئمة الحنفية والشافعية ومثلهم في ذلك المالكية لان المسألة إجماعية

وعلم من قوله أيضا ما تقدم مثله من قبل وهو ان العالم اذا كان لا يقدر على الفتوى في جميع المسائل بالاجتهاد وكان واقفا على أدلة بعضها فما عرف دليله وجب عليه ان يفتي به دون غيره ، وقد تقدم في الاجزاء السابقة ان هذه المسألة مبنية على قول أهل الاصول بتجزؤ الاجتهاد . فاذا فرضنا ان مفتي الديار المصرية لم يستوف الشروط التي وضعوها للمجتهد المطلق فهل يبعد على مثله وعلى من هو دونه بمراحل ان يعرف

بعض المسائل بدليلها من الكتاب والسنة ؟ ماأظن ان احدا من حاسديه يباهت نفسه بانكار اهليته لذلك كيف وقد اجازوها للعامي ! ، وعلى هذا يكون وافق ائمة الاصول والفقه في فتواه للترنسفالي بالدليل من غير صاحة الى بناء الفتوى على دعوى الاجتهاد المطلق ، وهذا الكلام انما هو لبيان صحة اسلوب كتابة الفتوى اما صحة الحكم وحقية ماافتى به فهي مؤيدة بالاجماع فى الواقعة كما تقدم شرحه

﴿ الآثار المكذوبة ﴾

اعتاد كثير ممن أراد الله بهم شرا على الاختلاق والتدليس وزيادة اشياء في الدين ماأنزل الله بها من سلطان ليجلبوا بها نفعا ويكسبوا بها حطاما فكذبوا وزوروا آثاراً ونسبوها للنبي صلى الله عليه وسلم وغروا بذلك العامة وموهوا عليهم حتى اعتقدوا صدق تلك الآثار ورسخ فى اذهانهم انها من الحقائق مع انها مزورة بلا ريب ويعرفها كذلك كل من له إلمام بالحديث الشريف ووقوف على السنة النبوية واطلاع على السيرة الشريفة والشمايل المنيفة وخبرة بالتاريخ وتجر في المعارف وبعد عن الخرافات والاوهام . وكثيرا ماتستر الاوهام انوار الحقائق وتحجب شموس المعارف ثم لاتلبث ان تزول لذوي الاطلاع والنقد والاختبار فلا تغرهم تلك الزخارف ولاينخدعون باعمال العامة والجهلة ولا يقلدونهم فى اعمالهم الفاسدة التي درجوا عليها واطمأنوا بها وركنوا اليها ركونا عظيما

لبس هؤلاء المزورون على المسلمين وادخلوا فى الديانة الاسلامية ماليس منها وحسنوا لهم اعمال اهل الوثنية كالتمسح بالاحجار والاخشاب والاشجار وتقبيل الابواب والآثار المزورة كأثر القدم المعزو للنبي صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا في الجامع الاحمدي وجامع قايتباي ومسجد سيدي عبد الرزاق بالاسكندرية وحجر المرفق ومسجد البغلة والآثار التي بالرباط الكائن بقرب بركة الحبش على شاطئ النيل . قال المؤرخ المقريزي : وكان شيخنا السراج البلقيني يطعن فى هذه الآثار ويذكر ان له فيها مصنفا : فترى هناك العامة مزدحمين على التمسح بتلك الآثار والاحجار اي ازدحام معتقدين فيها اعتقاداً كبيراً ملتمسين منها البركات الموهومة

مستشهدين بالاحاديث الموضوعة على ان الاعتقاد بالاحجار ينفع مع أن ذلك من شأن اهل الوثنيـة فانهم يحسنون ظنهم بالاحجار وهؤلاء تشبهوا بهم وساروا على طريقهم ولم يكتفوا بتلك الاعمال حتى اعتقدوا انها قربة تقربهم الى الله تعالى زلفى مع انها مفسدة كبرى ودين الاسـلام بريء من هذه الافعال ومن نسبتها اليه ومنزه عن افعال الوثنيين وعقائدهم الباطلة التي لا يركن اليها من اطلع على السنة واشرب قلبه التوحيد وابتعد عن الشرك

وقد رأينا اتماما للفائدة ان نذكر ههنا نص الفتوى التى افتى بها حافظ الانام شيخ الاسلام الامام أبو العباس أحمد بن تيمية الحنبلي فيما نقله عنه تلميذه الحافظ ابن القيم وغيره وهي: « ان الجهال تخترع احجارا يزعمون ان فيها أثر قدم النبي صـلى الله عليه وسلم فيتمسحون بها ويقبلونها كما يقول الجهال في الصخرة التى فى بيت المقدس من ان فيها أثرا من موطئ قدم النبي صلى الله عليه وسلم وفى دمشق مسجد يسمى مسجد القدم يقال ان ذلك أثر قدم موسى عليه السلام وهو باطل لا أصل له ولم يقدم موسى دمشق وما حولها ومثله أحجار بمصر وغيرها من البلدان افتراها الكذابون واستخفوا بها عقول العامة بل ما يروى من حديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر أثر فيـه قدمه كل ذلك من الكذب المختلق لم ينقله أحد من أهل العلم بأحواله صلى الله عليه وسلم بل هو كذب عليه فلا يغتر بنقل كثيرين متساهلين في ذلك ساكتين عن حكم الحديث وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة من انه لا يشرع الاسـتلام والتقبيل لمقام ابراهيم الذى ذكره الله فى قوله تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وذكر الارزقي عن قتادة: أمروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه: ولقد تكلفت هذه الامة شيئا ما تكلفت به الامم قبلها ذكر لنا من رأى أثره وأصابعه (كذا) فما زالت هذه الامة تمسحه حتى اخلولق وايضا فان المكان الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه كالمدينة المنورة دائما لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله فكيف بما لا تعلم صحته من آثاره عليه الصلاة والسـلام وبما يعلم انه مكذوب كحجارة كثيرة يأخذها الكذابون ويحتون فيها موضع قدم ويزعم غيرهم من الجهال ان هذا موضع قدم النبي صلى الله عليه وسلم فاذا كان هذا غير مشروع في موضع قدميه وقدمي ابراهيم الخليل عليه السلام

فكيف يقال انه موضع قدميه كذبا وافتراء عليه كالموضع الذي بصخرة بيت المقدس وغـيره من المقامات اهـ من كتاب تنزيه المصـطفى المختار . عمـا لم يثبت من الآثار، للعلامة المحقق الشيخ أحمد بن العجمى الوفائي الشافعي

جاء الاسلام بقطع شأفة الوثنية ورفع اعلام التوحيد ومحو العقائد الباطلة الراسخة فى الاذهان ونفي كثـير من الاباطيل التى كانت منتشرة ، وحض على التمسك بمكارم الاخلاق والابتعاد عن سفاسـف الامور وبين للناس مايجب عليهم واظهر الحق من الباطل وحذر من الوقوع فى المآثم فعلى العاقل ان يتمسك باوامره ويبتعد عن تلك الآثار التى ابتدعها المزوزون ليروجوا بها سلعتهم ويستفيدوا الفوائد الدنيوية الوقتية فجرءوا الناس على الاعمـال الموجبة لغضب الله تعـالى المنافية لدين الفطرة المفسـدة للعقائد المزلزلة لركن التوحيد وسنعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى

﴿محمد البشير ظافر الازهري﴾

باب السؤال والفتوى

﴿ التلفيق فى التقليد ﴾

(س١) مصطفى أفندي رشدي بنيابة الزقازيق :

توضأت وقبل الصلاة نزل من فمي دم خالط الريق وغلبه فانتقض الوضوء لاني على مذهب الامام الاعظم فأردت أن أصـلي على مذهب الامام الشافعي لأن ذلك لاينقض الوضوء عنـده فهل تجوز الصلاة ؟ وهل اذا اعتراني مثل ذلك وأنا داخل للمسجد للصلاة اوفيه والوقت ضيق لايسع الوضوء أوكنت أنا لا أستطيع الوضـوء الا في منزلي لاسباب صحية فهل أصلي على مذهب الشافعي وان مسست امرأة ؟

ومثال ذلك في عبارة أخرى ان القيء ينقض الوضوء عنـد الامام الاعظم دون الامام الشافعي فاذا قاء الانسان وهو متهيء للصلاة فهل يصلي على مذهب الشافعي (ولومس امرأة) ام فى حال لمس المرأة لاتجوز الصلاة ؟

ومثال ذلك ايضا ان صـلاة الظهر تصير قضاء عنـدنا اذا دخل وقت العصر ولكن عند الامام مالك تعد صلاتها اداء الى ماقبل الغروب فاذا كنت مغتسلا وتوضأت

على مذهبي فهل تجوز لي الصلاة بعد العصر واعتبرها اداء على مذهب الامام مالك ؟

(ج) يعنى السائل بالامام الاعظم ابا حنيفة فان مذهب الحنفية مؤلف فى الحقيقة من عدة مذاهب أشهرها مذهب أبي حنيفة ومذهب أبي يوسف ومذهب محمد ابن الحسن ولكن هذين الامامين قد تلقيا عن الامام ابي حنيفة وسارا في الاجتهاد على طريقه في الاستنباط ولم تعرف اقواله وآراؤه الا عنهما وفي كتبهما لذلك جعل مايؤثر عنهما من النقل عنه وما خالفاه فيه مذهبا واحداً لثلاثة أئمة يقال لكبيرهم ومرشدهم الامام الاعظم . وقد جرى المؤلفون في هذا المذهب والمفتون فيه من المجتهدين فيه على ترجيح اقوال بعض الثلاثة على بعض فكان كل عامل بما في كتبهم مقلداً لعدة اشخاص فى حقيقة واحدة وهذا هو التلفيق الذي منعه الجمهور وأجازه بعض المحققين . وعلى القول بالجواز تكون صلاة السائل صحيحة في المسائل التي ذكرها وقد تقدم البحث في جواز التلفيق والاستدلال عليه في مقالات المصلح والمقلد فليراجعه السائل في مجلد المنار الرابع (ص ٣٦١) وما بعدها وفى مباحث جمعية أم القرى من المجلد الخامس (ص ٦٧٦) وملخصه ان المسألة خلافية وان أكثر علماء التقليد منعوا التلفيق مع انه لازم للتقليد وان دليل الذين أجازوه أقوى. وهذا الخلاف مفروض فى المقلد الذي له معرفة بمذهب أمامه ونظر فى أدلته وأما من ليس كذلك فهو عامي لامذهب له وإنما مذهبه مذهب مفتيه فاذا أفتاه شافعى بشيء وحنفي بشيء فلا يجب عليه ان يتوقف عن الاخذ بقول مفتيه فى المسألة الى ان يعرف مذهبه في جميع المسائل التي تتعلق بموضوع الفتوى كالصلاة مثلا

هذا وانه لادليل في الكتاب ولا في السنة على نقض الوضوء بالقيء أو بخروج الدم فالخلاف فيهما بالرأي والاجتهاد . وأما وقت الاداء والقضاء فالحكم فيه ان كل امام ينهاك عن تأخير الصلاة الى الوقت المختلف فيه عمداً واذا أخرت بعذر فأحسن التوبة وأقم الصلاة على وجهها فى أول فرصة وليس عليك تعد اداء أم قضاء والله أعلم

﴿ تعريف الزنا وتحريم الاستمتاع بما دونه ﴾

(س٢) اسماعيل أفندي . ل . بمصر : توجهت لزيارة صديق لي فوجدت عنده مجلسا حافلا بالاخوان والكل مشتغلون بالبحث في أحكام الدين ـ وهذا الشعور لم يوجد

الابهمة حضرتكم أثابكم الله وجزاكم احسن الجزاء ، وكان من موضوع بحثهم تعريف الزنافقال فريق : هو كذا ... – وذكر معنى الفاحشة الكبرى – وماكان غير ذلك لايعتبر زنا ولاتترتب عليه أحكام وحينئذ يمكن للرجل ان يأتي المرأة في جزء من جسمها ولا عقاب عليه : والفريق الآخر قال : ان الانزال باحدى هاته الطرق يعتبر زنا : واخيرا اتفقوا على سؤال المنار والسير على مايقرره طبقا للشريعة الاسلامية الغراء..

(ج) ان أرادوا بالزنا مايحد الحاكم صاحبه الحد المعروف في الفقه فهو ماعرفه به الفريق الاول وان أرادوا ماحرمه أحكم الحاكمين على عباده وجعله من أسباب مقته وسخطه فهو أعم مما قال الفريق الثاني فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » وفي رواية لمسلم « والفم يزني وزناه القبل » : وظاهر ان المراد بالنظر هو النظر الى المرأة الاجنبية بشهوة والمراد بالبطش لمسها وفي معنى اليد غيرها فكل ملامسة محرمة . فاستمتاع الرجل بغير امرأته أوجاريته المملوكة له ملكا صحيحا شرعيا محرم كيفما كان سواء أنزل أم لم ينزل

ومقتضى الحديث الصحيح الذي تقدم ان هذا الاستمتاع يسمى زنا وان للزنا مراتب أدناها النظر بشهوة عمداً وأقصاها الفاحشة الكبرى المعروفة ، وانما وضع الحد على من انتهى الى الدرجة القصوى لان المضرات البدنية والمدنية والادبية التي يعاقب الحكام مرتكبها لاتظهر الا فى هذه الدرجة فالنظر مما يكثر وقوعه ولا يعرف كونه بشهوة الا من الناظر فترتيب الحد عليه حرج عظيم لانه من اللمم الذي ترجى مغفرته باجتناب ما وراءه « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم » وأما اللمس والتقبيل فضراته فى الاصرار ومنها تجرئة مرتكبه على المحارم اذا لم يبادر الى التوبة منه وهي مضرة روحية لاأثر لها في الامة – اوفي الهيئة الاجتماعية كما يقولون – الا اذا تعدي الرجل على المرأة او فعل ذلك بحضور الناس ولذلك درجات تختلف باختلاف الاشخاص والمكان والزمان ليس من العدل ان توضع لها عقوبة معينة

لايختلف كما هو معنى الحد وانما عقوبتها التعزير الذي يفوض الى رأي الحاكم .
فعلم من ذلك ان عدم وضع الحد على مثل هذه الامور ليس دليلا على اباحتها ولا على كونها هينة عند الله تعالى

ويتوهم بعض الناس ان ماشرنا اليه من انواع الاستمتاع بالنساء دون الوقاع لم يحرم الا لانه مقدمة للوقاع الذي تترتب عليه المفاسد الكثيرة وان من وثق بنفسه وقدر على منعها من الوقاع حل له ان يستمتع بالمراة الاجنبية كما يشاء اذ لامفسدة في هذا (بزعمهم) ومن كان من هؤلاء مجاورا فى الازهر بعض سنين، اومتلقيا شيئا من كتب الدين، يستدل على ذلك بنص «ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم» وبقول بعض الفقهاء لا كبيرة بما دون الفاحشة الكبرى وهي الوقاع . وقد كان سألني مشافهة احد تلامذة المدارس العالية في مصر عن ذلك وقال ان التلامذة وغيرهم من الشبان فى مصر يعاشرون البنات العذارى ويستمتعون منهن بما عدا الفاحشة المبينة فهل يحل ذلك ام يحرم ؟ فأجبته بأنني اتعجب اشد التعجب من كون هذا مما يخفى تحريمه على مسلم ويرى انه مما يستفتى فيه

نعم انه لم يحرم شئ في الشريعة الاسلامية الا لأنه ضار بفاعله اوبالناس مباشرة اومفض الى الضرر وان استباحة استمتاع الرجال بالنساء فيما دون الوقاع ضار بالمستمتعين والمستمتعات وبغيرهم . وبيان هذا بالتفصيل لايذكر فى جواب سؤال ولكننا نذكر مايخطر لنا من ذلك الان بالايجاز فنقول ان لذلك مضرات كثيرة

(احدها) ان هذا الاستمتاع يغري صاحبه بالشهوة ، ويولعه باللذة ، حتى لايكون له هم سواها ، فان من طبيعة نفس الانسان انها اذا أخذت بمبادي الامر المستلذ بالطبع تتدرج فيه حتى تصل الى غايته ، وتكون قبل الوصول الى الغاية فى بلبال وهم ، واشتغال فكر وقلب، وهذا ضرر فى نفسه وهو اصل لمضرات اخرى تنشأ عنه كما يعلم مما يأتي

(ثانيها) انه يورث النفس الصغار والضعة لان الولوع بملاعبة النساء شر من الولوع بملاعبة الاطفال او الحمام فان هذه على كونها اشتغالا بالمحقرات والسفاسف التي تنافي كبر العقل وعزة النفس ليس فيهما من الخنوثة ومهانة النفس ما فى الولوع بملاعبة النساء

(ثالثها) انه يملك الهوى وحب اللذة زمام الارادة وقلما تجد عند صاحبه عزيمة

ثابتة الا ماعساه يكون فى طلب لذته ، ومن يستحل الزنا فيرتكبه عند شدة الداعية اليه فى المواخير العامة لايكون عرضة لهـذه الغائلة وما قبلها كالمسترسل فى ملاعبة النساء والاستمتاع بهن في غير المسيس ، وان كان للزنا مضرات أخرى شر منهما

(رابعها) انه لابدان ينتهي أمر هذا الاستمتاع بالفاحشة الكبرى لما فيه من الالحاح بالاغراء ، والتجرئة على العصيان ، فان كان الفاسق يستمتع بعذراء يحافظ على شرفها، ويخشى عاقبة فضيحتها ، وقوي لذلك على ضبط نفسه معها، فانه لابد ان يجمح به سلطان الهوى المطاع الى غيرها،

(خامسها) ان وازع الدين والحياء من الله تعالى يضعف ويضمحل فى نفس هذا المستمتع وفي ذلك من الضرر الروحاني مالامحل لشرحه هنا ومن قرأ ما كتبناه فى معنى تكفير الحج للذنوب في الجزء الماضي فانه يستغني به عن طول الشرح

(سادسها) ان هذا العاصي لسلطان الدين ، الخاضع لسلطان الشهوة، لايكتفي غالبا بالاستمتاع بامرأة واحدة لاسيما اذا كانت الخلوة بها لاتتيسر له دائما فهو اذا جاء الوقت تهم به داعية الشهوة بدافع من التأثر والتأثير العصبي فيلتمس غير من عرفها أولا حتى يضيع كثيرا من وقته ويحرم بذلك من اتقان عمله فى معيشته

(سابعها) ان هـذا العاصي يفسد باسلاس قياده للذة كثيرا من النساء وهذا شر في نفسه وربما يتولد منه شرور أخرى كالتنازع بين الفاسقين او بين الفاسق وأقارب المرأة

(ثامنها) ان في هذا التنقل في الفسق من اتلاف المال مايقل عنه كل إتلاف

(تاسعها) ان من اعتاد على التنقل فى مراتع الفسق كثيرا مايرغب عن الزواج ويكتفي بالمسافحة او اتخاذ الاخدان وفى ذلك من المفاسد ما فيه وشرحه شرح لمضار الزنا وانما كلامنا في الاستمتاع بما دونه الى ان يؤدي اليه

(عاشرها) ان من اعتاد ذلك يحرم فى الغالب من السعادة البيتية التي ملاكها قناعة كل من الزوجين بالآخر ، ومن تنقل فى مراتع الفسق لايكاد يرضى بمن يتزوج بها لاسيما اذا اعتاد الاستمتاع بمن هي أجمل منها شكلا ، أو ألطف فى ذوقه دلا ، وكذلك المرأة ، وناهيك بما فى فقد هـذه القناعة من ضروب الشقاء ، والجناية على

النسل ، فانه مخرّب للبيوت التي تتألف منها الامة

وجملة القول ان الاستمتاع المسئول عنه ضار فى ذاته ومؤد الى الفاحشة حتما ولكنه شر طريق اليها لان من وقع فى الفاحشة ابتداء يوشك ان يدرك قبحها ويتوب منها قبل الاسترسال فيها ولكن من يقدم لها تلك المقدمة المهيجة فانه ينغمس فيها حتى يغرق ويكون من الهالكين ، أما مضرات الزنا في البدن والنفس والمال والامة أو الاجتماع فسنشرحها في وقت آخر ، فعلى المؤمن بالله واليوم الآخر ان لايخدع لهواه ويتجرأ على الاستمتاع بغير حليلته الشرعية غشا لنفسه بأن هذا مقدمة للزنا ليس فيه كبير ضرر فان هذا من وسواس الشياطين ،

﴿ اسئلة رفعت الى مفتي الديار المصريه ﴾

كتب احمد بن الحاج مصطفى التركي الجزائري كتاباً للاستاذ الامام يقترح عليه ان يؤلف كتابا مختصرا فيما تجب معرفته من العبادات على الجاهل ويسأله هل يجوز الاخذ بقول أي مذهب من المذاهب الاربعة أم لا وعن أخذ الاوراد من مشايخ الطرق وعن التوسل بالاولياء مثل : اللهم يارب بحق فلان : الخ وعن التبرك بكتابة الفاتحة في صحن وشربها للعافية من المرض أو من العين والسحر ، وعن اتخاذ حرز من الادعية النبوية التي في صحيح البخاري — « لاغيرها مثل الزناتي وأبي معشر (قال) فهذا الحقير يعترف بأنه باطل » — ثم قال « لان الحقير يميل بالطبع الى الاقتداء بمذهب السلف الصالح * ولما كانت حضرتكم امامنا فى هذا الزمان الذي كثر فيه الخلط والتخبط خصوصا فى بلادنا ولم نجد من يرشدنا انزوى الفقير لبابكم فلا تردوه خائبا والله يحفظكم ويرعاكم ، واذا ظهر لكم نشر ماذكرت لكم في المنار الاغر فذلك ماكنا نبغي والسلام »

وقد أعطانا الاستاذ هذه الاسئلة لنجيب عنها بما يأتي : أما الاول فالعامي لامذهب له وانما مذهبه مذهب مفتيه فعليه ان يسأل أي عالم عن حكم الله في المسائل التي تعرض له وان يأخذ بما يرشده اليه وليس عليه ان يسأله عن مذاهب العلماء وآرائهم . وأما مشايخ الطرق فمنهم العالم بالشرع والجاهل به فاذا أرشد العالم تلميذه ومريده الى التوبة والذكر والفكر والادعية المأثورة في الكتاب والسنة الصحيحة

فله ان يتخذه مرشدا ومربيا وان يهتدي بهديه السالم من البدع ولا يجوز لاحد ان يأخذ شيئا عن مشايخ الطرق الجاهلين بعلم الدين ـ وأهمه علم الاخلاق وآفات النفس ـ لانهم مضلون لامرشدون، وأما كتابة الآيات والادعية في الاواني والاوراق لاجل دفع الامراض والآفات فهو استعمال لها في غير أنزلت لاجله من هداية الناس وتوجيه قلوبهم الى الله تعالى وحده حتى لايعول على غيره في دفع الضر وجلب النفع بعد اتخاذ الاسباب المعروفة للناس . وما ورد من نحو اجازة بعض الرقى ـ وهي من هذا القبيل ـ فلا بد ان يكون له سبب خاص في واقعة حال خاصة ولذلك ورد في حديث البخاري وغيره ان من علامات المؤمن الصادق الذي يدخل الجنة بغير حساب أن لايرقي ولا يسترقي بل يتوكل على الله تعالى في دفع مالايعرف سببا عاديا لدفعه وهذا ماجرى عليه السلف الصالح رضي الله عنهم .

وإنما التوسل الصحيح هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من العلم والعمل الصالح، والتوسل بالصالحين من سلف الامة باتباع طريقتهم في الورع والتقوى وتحري العمل بالكتاب والسنة مطلوب : واننا نختم هذه الاجوبة بما جاء في آخر الصفحة ١١٣ وعامة الصفحة ١١٤ من كتاب إغاثة اللهفان للامام ابن القيم ، فقد ذكر بعد بيان الفتنة بالدعاء عند القبور وتوهم تأثيرها في الاجابة مانصه بعد العنوان :

﴿ الإقسام على الله تعالى ببعض عباده ﴾

« والمقصود ان الشيطان يلطف كيده بحسن الدعاء عند القبر وانه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الاسحار فاذا تقرر ذلك عنده نقله الى درجة أخرى من الدعاء عنده الى الدعاء به والاقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك. فقال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي : قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لاينبغي لاحد ان يدعو الله إلا به ، قال واكره ان يقول أسألك بمعقد العز من عرشك واكره ان يقول : بحق فلان وبحق انبيائك ورسولك وبحق البيت الحرام : قال أبو الحسن : أما المسألة في غير الله فنكرة في قولهم لانه لاحق لغير الله عليه وإنما الحق لله على خلقه . وأما قوله : بمعقد العز من عرشك؛

فكرهه أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف قال : وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بذلك . قال : ولان معقد العز من العرش انما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمته فكانه سأل الله بأوصافه. وقال ابن بلدجي في شرح المختار : ويكره ان يدعو الله تعالى الا به فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على خالقه . أو يقول في دعائه : أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبي يوسف جوازه وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه «أكره كذا» هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، وفي فتاوى أبي محمد بن عبد السلام : انه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم وتوقف في نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لاعتقاده ان ذلك جاء في حديث وانه لم يعرف صحة الحديث .

فاذا قرر الشيطان عنده ان الاقسام على الله به والدعاء به ابلغ في تعظيمه واحترامه وانجع في قضاء حاجته نقله درجة أخرى الى دعائه نفسه من دون الله ثم نقله بعد ذلك درجة أخرى الى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ، يوقد عليه القنديل ، ويعلق عليه الستور ، ويبنى عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له ، والطواف به وتقبيله واستلامه والحج اليه ، والذبح عنده ، ثم ينقله درجة اخرى الى دعاء الناس الى عبادته ، واتخاذه عيدا ووثنا ، وان ذلك انفع لهم في دنياهم وآخرتهم . قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب ابعدها عن الشرع ان يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس . قال : وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت او الغائب كما يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين واهل الكتاب يدعو احدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان احيانا وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله . المرتبة الثانية ان يسأل الله عز وجل به وهذا يفعله كثير من المتأخرين ، وهو بدعة باتفاق المسلمين ؛ الثالثة ان يسأله نفسه . الرابعة ان يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب أو انه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لاجل طلب حوائجه فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم : قبر فلان ترياق مجرب . والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر » اه

القسم العمومي

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ (تابع ويتبع)

(بقية الكلام في رابطة الدين)

ان الذين ماأرادوا الا الاصلاح ماستطاعوا يتألف هداهم الذي يدعون اليه في كل جيل وكل قبيل من ركنين مشيدين ، على اساسين متينين . الاول توجيه النفوس الانسانية الى عالم الغيب لان هنالك كمالها المعد لها بحسبها . وأساس هذا الركن أن النفس الانسانية — هذه التحفة البديعة التي لم تزل من الاسرار الغامضة — لم تخلق عبثا ، والثاني ترقيق عواطف الناس بعضهم على بعض ليخف بتواخي الكثيرين بعض من التعادي القديم العمومي الوحشي. وأساس هذا الركن ان كمال كل نفس — في عالمي الشهادة والغيب بغيرها سواء فضلت افادتها للغير أو فضلت استفادتها أو استوتا.

ثم ان كل ركن من هذين الركنين مبني من أجزاء كثيرة . وهذه الاجزاء تكون بحسب الادوار والاجيال . فلهذه العلة تختلف صور الاديان وجوهرها واحد.

هذه الاجزاء نسميها وسائل . ولاختلافها بحسب الحال فيما يدعو اليه المتعددون تعددت الاديان باعتبار تعدد الدعاة و باعتبار تخالف الوسائل .

فأما الراسخون في هذا العلم فما زالوا ولا يزالون يعظمون أمر ذلك الجوهر الذي يهدي سبل السلام ويخرج من الظلمات الى النور

وأما البعيدون عن العلم فلا يستغنون عن قائد يقودهم في مناهج تلك الوسائل فالبشرى لهم ان كان قائدهم مصلحاً مخلص القلب والويل لهم ان كان قائدهم مفسداً. وبالجملة فشان هؤلاء ان يظنوا أن الوسائل روح الدين ، والتذابح فى سبيلها نهاية عمل الطيبين الطاهرين ، وغاية الزلف عند رب العالمين .

ولتأييد ماذكرناه آنفا من وحدة الجوهر لزم ان نورد شهادات من كتب الاديان . ويجدر ان نقدم بين يدي ذلك قولنا: « ان هذا الذي علمناه بعد قراءة اسفار الامم ، وصحف أجيال الشعوب ، قد أوحي لنبي أمي لم يقرأ سفراً ، ولم يخط سطرا» فما أعظم تلك المنحة (عليه الصلاة والسلام) .

فمما أوحي اليه : « قل ياأهل الكتاب (علم على اليهود والنصارى) تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم (هي) أن لا نعبد (أي ان لانرجو ولانخاف شيئا من الاشياء

رجاء يقارنه حب واحترام ، وشوق وهيام ، وخوفاً يقارنه هيبة واعظام ، وخنوع واهتمام) الا الله (الصانع المدبر من به قوام الكوائن واليه يعود نظامها) ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً (أي بمقام الارباب من السلطة المطلقة) من دون الله (بل لله وحده السلطة المطلقة والكمال المطلق والقدس المطلق) أفلم تروا ان قوله « سواء بيننا وبينكم » يفيد مانحن بصدده من وحدة جوهر الدين.

ومما أوحي اليه : — « ان الذين آمنوا (علم على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم في زمانه) والذين هادوا (علم على اتباع موسى) والنصارى (علم على اتباع عيسى) والصابئين (علم على طائفة كانوا ببابل) من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً (مايصلح لسعادة النفس) فلهم أجرهم عند ربهم (كل على حسبه) ولا خوف عليهم (من اختلاف النسبة) ولاهم يحزنون (على فوات أجر العمل) »

أولم تروا ان ذكر الذين هادوا والنصارى والصابئين مع الذين آمنوا بمحمد ثم الوعد بالجزاء الذي ينفي الخوف والحزن لدى الايمان بالغيب والعمل الصالح يفيد ان هذا هو الدين المطلوب من كل لا الانتماء للاسماء.

ومما أوحي اليه : — « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب (اي التوراة والانجيل) ومهيمنا عليه (أي شاهداً) فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم (اي ظنونهم بأن وسائلهم لاتنسخ) عما جاءك من الحق . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (اي في الوسائل) ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة. (أي متفقة المناهج فى السلوك لبلوغ الركنين المقصودين فى الدين) ولكن ليبلوكم (اي ليظهر استعداد كل منكم بحسب زمانه ومكانه) فيما آتاكم (من آلات العلم والعمل) فاستبقوا الخيرات (أي استعملوا الآلات فيما خلقت من أجله لتكون لكم العلوم النافعة والاعمال الرافعة وهي الخيرات بحذافيرها . وهذا الخطاب حنان وتفضل على الفطرة ومنح لها السعة في القابلية) الى الله مرجعكم جميعاً (أي الى الموقف الغيبي الذي تنال فيه نفوسكم ماأعتد لها بحسب ما قدمت فى الموقف الحسي) فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون. (اي ينكشف لكم هنالك ماحجبه الحس عنكم هنا) . »

وشواهد هذا المعنى من القرآن المجيد كثيرة . وللاختصار نكتفي بما قدمناه

ونكتفي أيضاً بشاهد واحد مما في كتب العهدين (القديم والجديد) فاليكموه جامعاً هذا المعنى المجمع عليه في العهدين، سئل المسيح: «يامعلم اي وصية هي العظمى في الناموس . فقال له يسوع تحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الاولى والعظمى . والثانية مثلها . تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء» (متى ص٢٢) أو لم تروا كمال المطابقة بين ماعبرنا عنه هنالك في وصف الركنين وبين ماعبر به هنا عنهما .

وانا قد كتبنا هذه الادلة للمتدينين الذين قد يعيرون البال لامثال هذا المعنى أما غيرهم فسوف يقولون سواء علينا أصحت هذه الدعوي ام لم تصح فانا قوم ننظر للواقع فنأخذ منه نفس الامر . ونحن نقابلهم فنقول سواء علينا أذعنتم ام لم تذعنوا فأنا قوم ننظر للجوهر ، ولا نعبأ بالصور ،

وها نحن اولاء نبين لكم كيف تغايرت الوسائل حتى تغايرت صور هذه الاديان :

إن فروع كل قانون من قوانين العالم في الاخلاق وفي نظام الاجتماع تكون بحسب الجيل والقبيل وقد يحدث في فهم المخاطبين بها تفاوت فيكون البون بين قانون وقانون وهذه أمثلة ذلك

(١) في بعض الاجيال سن عمل شيء لتأليف القلوب . وفي أجيال أخرى كان ذلك العمل من مفرقاتها .

(٢) في بعض الاجيال شرع عمل لضرورة وفي أخرى لم تكن الضرورة تلك .

(٣) خوطب قوم برموز فأخذها آخرون على ظاهرها وخوطب قوم بصريح فقالوا هذه رموز !!!

(٤) رغب قوم بسعادة الحس وأرهبوا من شقائه وآخرون رغبوا بسعادة الغيب وأرهبوا من شقائه وشوق آخرون للامرين فهام الأولون بوسائل الملك والغلبة على الامم . وهام التالون برفض النعيم في هذا العالم وعدم المبالاة بجحيمه . واعتدل الآخرون فطلبوا نصيباً من ههنا وهنا . واشتغلوا بكلتا الوسيلتين فكيف تتساوى الفروع ههنا ؟

فأنتم ترون من هذه الامثلة وما ستقيسون عليها أن الوسائل ضروري فيها التغيير وما كان تحت التغيير فهل يكون الروح واللب ؟

وكثيراً ماتتفق بعض الاجزاء بالمعنى ويفترق دوالها مابين صريح أورمز كالتعبير عن كون الخالق خلق الخلق اضداداً بأن العالم نشأ من الظلمة والنور أوان الظلمة نشأت من النور . وكالتعبير عن كون الفاطر فطر الانسان فطرة بديعة وآتاه فضلا من العناية (كأن سخر له الارواح الساريات بطوناً، والاجسام الجاريات ظهوراً، والعادنات عدناً) بأنه سوّاه بيده، ونفخ فيه من روحه، وخلقه على صورته، واستخلفه في أرضه، وعلى هذين المثالين قيسوا ما اختلافه بين صريح وكناية، وعبارة واشارة، ولو شئنا السرد لنا ههنا من الامثلة مئات ، تنتفع بها الفئات، فليستنبع من قرعت سمعهم هذه الاشارات، ينابيع ذكائهم الفائضات ،

والغرض من كل ذلك ان الذين يلهمون الحكمة الصافية لايعدمون مايبينون بالناس دينهم الذي احبوه من فم شخص، وكرهوه من فم آخر، وهو واحد

ذلك الدين الواحد هو ماأمر به المرسلون من اسلام النفوس الى بارئها وتصحيح الارادة وتوجيهها نحو الكمال الذى اعتد للفطرة ان تناله «فطرة الله التي فطر الناس عليها» . «ان الدين عند الله الاسلام» «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو مؤمن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً» . ولم تك ملة ابراهيم الاملة الفطرة، فقد سمعتم انه عاف تلك الاوضاع التي كانت في قومه «الصابئين» وهاجر من ديارهم ولم يك في ملته تلك الوسائل والاجزاء التى اقتضاها من بعد ذلك زمان موسى ثم لم يقتضها زمان عيسى ولازمان محمد (عليهم السلام)

فيالله كم من فضل ومنة علينا لهادينا الرؤف الرحيم ، ومرشدنا الرسول الكريم ، الذى أنقذنا من الضلة ، اذ دعانا الى هذه الملة . ملة الانبياء كلهم كما أوحي اليه: «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه» وفي آية أخرى «قولوا آمنا بالله وماأنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وماأوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»

أما البعيدون عن العلم فهم عن هذا معرضون، يضنون المشاحة في الكلم والاسماء، والكز على الوسائل والاجزاء، لب الغرض وروح الدين، وغاية المطلوب من الطيبين الطاهرين، ونهاية الزلف عند رب العالمين، ولو كان كذلك لما غير الانبياء شيئا من وسائل من قبلهم

اذقد أمروا ان لايتفرقوا في الدين، فهل هم يخالفون الوحي؟ كلا أم اوحي لكل منهم دين على حدة؟ كلا وانما أوحي لكل منهم شرعة ومنهاج، ووضع لكل منهم في ترقية الناس معراج، وبين الدين والشرعة فرق لغوي واصطلاحي. فاسألوا أهل العلم ان لم تعلموا وقد حررنا لكم آنفاً مايفيدكم هذا ان كنتم تذكرون

وإنا لسائلوهم هل لب الدين تلك المسائل التاريخية التي وقعت كما وقعت ثم اختلف التعبير عن كيفية وقوعها. هل غاية مايتوقف عليه رضا الباري وغضبه القول بأن زيداً أهانه عمرو أوانه لم يهنه عمرو وانما أهانته يد سرية ورأى الناس يد عمرو فحكموا انه هو الذى أهانه ولكنهم في الحقيقة واليقين لم يصيبوا في حكمهم لان الذى أهانه يد سرية لايد عمرو هل هذا كل الدين؟

وسائلوهم هل منتهى الدين أمور تتعلق بالعادات البشرية من قيام وقعود، وسهر وهجوع، وشبع وجوع، وذهاب ورجوع، واقامة ورحيل، واعلاء وتنزيل، وأمور أخرى تتعلق بالابدان، من لحم وشعر وظفر واسنان. أوهذا هو الدين أو هذا كل الدين؟

وسائلوهم هل مبلغ زلف المتدينين ان يفني بعضهم بعضاً ان استطاعوا أو يقبل المغلوب ما قبل الغالب. اذن أين حرية التفكر. اذن أين الفضيلة للمكره فيما يأتيه بظاهره وينكره بباطنه؟

هنالك أسئلة كثيرة يسئلها من ظنوا تلك الظنون، وتربص بعضهم ببعض ريب المنون

أما نحن فسيسألنا سائل من أهل الملل قائلا: هل أنت تنكر الوسائل مطلقا. وهل الوصول الى ذينك الركنين يكون بدون الوسائل، وهل انت غير معتبر لوسائل دين من الاديان وبهذا الاعتبار ألا تردغيرها؟ وحينئذ فما ثمرة تطويلك هذا الذى لايغنيك مثل غيرك عن تفنيد الذاهبين الى وسائل شرعة اخرى؟

فنقول لهؤلاء انه من المؤكد اننا نقبل الوسائل التي في دين محمد (عليه السلام) لانها قسمان (١) قواعد عامة شرعية يمكن البناء عليها في كل زمان ومكان و (٢) قواعد عامة أدبية معينة ومساعدة للقواعد الشرعية. ومن شاء ان يسألنا عن قاعدة منها لايقبلها العقل فليفعل .. ولكن قبولنا ذلك هل يمنعنا عن تذكر القاعدة العظمى التي يبنى عليها الاخاء الكبير، أم يأمرنا به وبالتذكير؟

اني لما رأيت الناس (منهم) من نسوا الجوهر الذى منه واليه كل الاديان، ومنه واليه صلاح الانسان ، وظنوا ان الخير كله والدين في مخالفة غيرهم فى كل شيء (*) و(منهم) من اختلفوا فى فهم وسائلهم فانقسموا على أنفسهم . ومنهم من أقاموا ناساً منهم مقام المرشدين الذين يعتقدون عصمتهم فعبثوا بالمقاصد والوسائل عمداً أوخطأ . و (منهم) من ليس له من الاديان الا النسبة التى أصبحت بمقام النسبة للقوم ـ لما رأيت هذه الاحوال الضارة التى ليست من الاديان فى شيء نويت بتطويلي هذا تذكيرا «لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» بالجوهر، وتفنيداً لمن اقاموا أقل الوسائل اعتبارا مقام المقاصد العظمى على حين ان الشعوب تشابهت فى الحاجات المادية والادبية وتشابهت فى عدم العلم والعمل بأديانهم المقاصد والوسائل . فمن تذكر هذا التذكر يرجى به ان يتخذ نبراساً يخرجه من الظلام ، ويهديه سبل السلام، وان قبل هذه الذكرى عاقل

١

١ من أ ثم ١ من ب ثم ١ من ج ثم ١ من د فهذه هي الثمرة المطلوبة لان $\frac{١}{٢}$

وسيقول بعد هذا من يدعون حب الحكمة من الذين لم يرتبطوا بعروة من عرى الاديان كلها: إن هذا الذى حررته الاشعر أو صاحب المألوف وان جنى الناس من الديانات إلا التذابح، فيالله العجب هل حدث التذابح يوم حدثت الديانات أم هي سنة البشر من قبل؟ ألم يكن من ثمرات الاديان تخفيف ذلك التذابح القديم ؟ ألم تحشر الشعوب الكثيرة المتغايرة في الالسنة والالون ، المتباعدة فى العادات والبلدان ، تحت رايات قليلة من رايات الاديان ؟

(*) قيل لهندي عامي هل تصلي قال: آكل البقر الحمدلله: ورأيت قوماً يرمون شخصاً بالكفر فسألتهم عن دليل كفره فقالوا إنه لبس قبعة فى أوربا . وأخبرني شيخ معمر ثقة ـ لايزال حيا ـ عن نفسه أنه كان هو أول من لبس القوندرة (الجزمة) في هذا البلد فرآه أحد الاعيان فاستحضر أخاه وقال له ان أخاك لم يبق عليه الا ان يعلق صليبا في عنقه . قال فما باله؟ قال اني رأيته يلبس قوندرة أليس هي من زي الفرنجة ؟ فعاد على أخيه باكيا ناحبا قال فما بالك قال انك ألبستنا العار بلبستك هذه وقص عليه الخبر . ولكن لم يمض عام حتى لبس المعترض تلك اللبسة فقال له كما قال له فخجل وطلب منه الإقالة .

وإنا لسائلوهم لو لم تكن الاديان التى تدور على الخوف والرجاء من القوة الغيبية، والعدل والاحسان في البرية . كيف كان المرء يصنع اذا حفت به المصائب، وانهكته النوائب، أيجتلب بيده لنفسه المنية، لانه رأى الحياة قرارة الآلام الحقيقية، وعش الآمال الوهمية، وكيف بيده يذهب الحياة وهي حبيبته وان عضته ، ومناه وان مَنَّتْهُ فَعَنَّتْهُ، ؟ أم يصبر تحت ماثقل من اعباء الحياة صبر الحمار الذى لاغرض له في المحمول ، ولا أمل له بغير العفص المأكول ، ؟

وكيف يصنع المرء اذا لاحت له رغائب، فيها للغير مطالب، أيرعي الغير وهو على ان يبيده قدير، وبأن يؤثر نفسه جدير، أم يبيده في الهوى، ويفعل الآخر هكذا حتى لا يبقى سوى، أم للرغائب حد تقف النفس لديه، أو مطلوب اسمى تلتفت اليه. أهذا شرعكم أيها الماديون أن يبيد القويّ الضعيف أنى ثقفه، ويشيد على الجنايات والخيانات شرفه، فكم اخطأ الناس اذ لم يتبعوا فيكم شرعكم، ويذرعوا لكم ذرعكم ، كأن لذتكم ان لا تكون الحكمة لتى بها نظام العالم التى من أجلها رحمكم من هم أقوى منكم وتركوكم بمواهبكم كلها تمتعون، أفهذا جزاؤكم للحكمة أن تغيروا عليها بخميس كثيف من التوهيمات الشعرية التي تريدون ان تهدموا بها قواعدها، وتحرموا الناس فوائدها، ؟

أفأمنتم من أنصارها الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، ساء ماتظنون، وبئس ماتصنعون، فتفكروا لعلكم ترشدون، وتذكروا لعلكم تشكرون.

خلاصة

والخلاصة من كل التفصيلات المتقدمة أن اقبال الجماعات الكثيرين ، على دعوة هاد من الهداة المطهرين، معراج من معارج الانسان في العلم بعد الجهل ، والقوة بعد الضعف، فالفضيلة التى تكره الضر، وتنهى عن الشر، تبتهج نفسها بهذه الام التى تربي في حضنها أقواماً تباعدوا في الصور، كما تباعدوا في الكور، حتى صاروا يتقاربون في القلوب، ويرحم الغالب منهم المغلوب ، والسياسية التى تهوى القوى ، لتوزن كل جماعة مع السوى ، تقر عينها بهذه الام التي تربى لها حامية، لاتسأل يوم الواقعة ماهيه، (ع . ز)

آثار علمية أدبية

تفسير سورة العصر

قد جمعنا من المنار تفسير سورة العصر للاستاذ الامام وطبعناه وحده في كتاب صغير الحجم كبير الفائدة وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ أو خطابه في تونس وموضوعه (العلوم الاسلامية والتعليم) . ويعلم قراء المنار ان هذا الكتيب ركن من أركان الاصلاح والارشاد وقد كتب الشيخ محمد بن مصطفى أحد علماء الجزائر المشهورين بتآليفهم المفيدة كتابا للاستاذ الامام يقول فيه مانصه :

(وقد اطلعت في المنار الانور على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع فراقني اسلوبه الفائق العجيب ، واخذني منزعه العجيب بالتلابيب ، فلله أنتم ، ولله دركم ، ما أبعد غور فكركم الصائب ، وغوص ذهنكم الثاقب ، في استنباط دقائق المسائل ، وتقرير حقائق الفضائل ، ولشدة شغفي به قرأته على ملأ عظيم من العلماء والطلبة والاعيان عشر مرات في مجالس متفرقة فاستحسنوه جدا واستجزلوا فوائده وأبدوا من السرور مالا مزيد عليه واثنوا على جنابكم السامي بما أنتم أهله ، ودعوا لكم من صميم الفؤاد بسعادة الدارين ، اه

هذا واننا قد جعلنا ثمن هذا الكتاب في مصر قرشا صحيحا واحدا تسهيلا لاقتنائه على مجاوري الازهر وتلامذة المدارس الذين هم أجدر الناس بالاستفادة من حكمه العالية وأسلوبه الرفيع . ومن طلبه في البريد فعليه ان يزيد أجرة إرساله

قصيدة عالم جزائري في الاستاذ الامام

أطلعنا على قصيدة تزيد على الخمسين بيتا للشيخ عبد الحليم بن على بن سماية أشهر علماء الجزائر مدح بها الاستاذ الامام وأرسلها اليه في القاهرة من عهد قريب فسرنا منها انها آية من آيات صلة علماء الاسلام بعضهم ببعض في الاقطار المتباعدة وشعور أهل المغرب منهم بما يشعر به أهل الشرق من قدر الاستاذ الامام ، وانا نقتطف منها هذه الابيات

فأنت لنا شمس تنير على المدى ... أتى نورها من غير أن نتطلعا

أديربذكراك الذي منك قد مضى ... فأشرب كأسا بالصفاء مشعشعا

يذكرنيك المجد والعلم والتقى ... فأنظر من علياك عرشا مرفعا
وتلوي الى تلك المجالس فكرتي ... فتترك قلبي بالخيال ممتعا
محافل كان العلم فيها مجالسي ... أسامر بدرا بالجلال تقنعا
فأسمع فصلا من حكيم وحكمة ... اذا مابدت خرت ذرى الزور ركعا
فما بال أقوام هدى الله عقلهم ... يمارون فيه والسحاب تقشعا
ألم ينظروا الآثار تشهد بالعلى ... وان نبيع الماء يوجب منبعا
لسان متى يوماً تألق برقه ... يسبح رعد السامعين لما دعا
أمن بعد اجماع عليه وأخذه ... تراه على أيدي الهوى قد تروّعا
فهل مرية من بعد حق مشاهد ... وما الحق الا أن تراه وتسمعا
يقول يشد الفعل متن بيانه ... وما القول لولا الفعل الا مصدعا
يطالب بالاعمال في العلم أهله ... وحق له من عالم قد تضلعا
لعمرك ماتغني العلوم وحفظها ... اذا لم تكن فيها خطيبا ومصقعا
تحس بها كالماء يسري بعوده ... متى رامه فكر لامر تجمعا
أتي بكتاب في الكلام بيانه ... يغادر من صم الجنادل خشعا
ويمسح ران القلب عمن له رنا ... يسكن جاش القلب مهما يردعا
براهينه في النفس والكون والحجا ... وليست لرسطاليس أو من تصنعا
تنزه عن دور وغل تسلسل ... وكم سلسلت آياته من تنطعا
يقودك للبرهان غير مقيد ... يريك حدود العقل مهما تطلعا

باب الأخبار والآراء

مجلة بشائر السلام

يعلم قراء المنار اننا أنشأنا فصولا كثيرة فى الرد على هذه المجلة البروتستنتية المعتدية على الاسلام وكتابه القرآن الحكيم، ونبيه خاتم النبيين، وهذه الفصول منشورة في المجلة الرابع والخامس والسادس ولما يزدها الرد الذي كشف النقاب عن أباطيلها وأظهر

لها الحق الا لجاجا وعناداً حركت الغيرة بعض أعضاء مجلس شورى القوانين فخاطبوا الحكومة في شأنها وقبل ان يخاطبوها طلبوا منا أعداد المجلة ليراجعوها ويطلع بعضهم بعضا على ما فيها من الطعن الممنوع قانونا وأدبا وكنا سكتنا عن الرد في أجزاء قليلة لكثرة المسائل العارضة فاضطررنا الى الاستمرار على السكوت لان الاجزاء لم تعد الينا وقد توهم بعض القراء اننا سكتنا لاجل اعتراض ذلك المعترض من الاسكندرية الذي لم يستحسن الرد على المجلة وزعم ان ذلك يزيد في نشر شبهاتها فصار الناس يسألوننا عن ذلك حتى كتب الينا قاضي جزيرة البحرين — وهو من فضلاء أهل العلم والدين — من كتاب طويل ما نصه :

« ولهفي على تقاريرك عن شبهات النصارى فمالي لا أرى لها ذكرا ، فوربك ان أجوبتك كالشهب المحرقة لشياطينهم ، الممزقة لشبهاتهم ! ، وفهمي من مدلول علمك ، وفور عقلك ، فما أظنك تصغى لغر انتقدك في أجوبة شبهاتهم ، وعلته التي فاه بها او هي من انتقاده ، أوفي حسبانه ان دوي أصوات شبهاتهم محصورة فيما بينهم ؟ بل بعد ما أوحى بها شياطين جنهم ، فاه بها شياطين أنسهم ، » الخ

فليعلم القاضي الفاضل وغيره من القراء ، اننا لم نترك الرد لذلك النقد الهراء ، فاننا نعلم ان فينا من لا ترضيه منا الحسنات ، ويود ان يحولها الى سيئات ، وكما انتقد ذلك الاسكندري علينا بالامس الرد على المعتدين على الاسلام من الذين قالوا انا نصارى ، انتقد علينا اليوم الرد على المعتدين على الاسلام من الدين قالوا انا مسلمين ، وحرموا علينا طعام أهل الكتاب وهو حلال بنص الكتاب المبين ، وحرموا علينا لباسهم وقد لبسه الرسول الامين ، ومن أعجب فنون الجنون ان يشتمك شاتم سرا ، ويكلفك ان تشتم نفسك جهرا ، على ان هذا الجاهل أراد ان يذم فمدح فقد قال اننا استبدلنا الطيب بالخبيث والحلو بالمر ومعنى هذه العبارة في لغة القرآن اننا جعلنا الطيب بدلا من الخبيث والحلو بدلا من المر والمعنى بعكس ذلك في لغة الجاهلين وهو ما أراده الساب

اما ما كان من أمر مجلس الشورى والحكومة فان الحكومة خاطبت وكيل انكلترا السياسي في الامر لان الذي يصدر تلك المجلة الخاطئة انكليزي فخير اللورد كرومر الحكومة بين محاكمته واستتابته فرضيت بالثانية فوبخه اللورد واستتابه . ولما انهي

مجلس الشورى لهذا الامر قام أحداث السياسة يفتجرون في جرائدهم ويفتخرون زاعمين أنهم أنصار الدين ، وأصحاب الغيرة على الاسلام والمسلمين، وانه لولاهم لم يتعرض مجلس الشورى لمخاطبة الحكومة في شأن تلك المجلة . ومن عجائب فوضى هؤلاء الاحداث ان واحدا جديدا منهم قام يعترض على أكبر المنتصرين للدين ويرميه بالتقصير في مقاومة بشائر السلام وهو يعلم أولا يعلم أنه لولاه لما قال أحد كلمة فى هذا الانتصار فيما نظن ولو كان هذا وغيره من أصحاب الدعوى العريضة يحبون الدين ويغارون عليه أولو كانوا يعرفونه لعرفوا أنصاره واتخذوهم أئمة لهم لا أعداء واضدادا . واننا نرجوان ترد الينا الاجزاء تلك المجلة التي أخذها بعض اعضاء المجلس لنتم الرد على تلك الشبهات المموهة «لئلا يعلم أهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

الشيخ محمد الاشموني ـ وفاته

فاتنا ان نذكر فى الجزء الماضي وفاة شيخ شيوخ أهل الازهر الشيخ محمد الاشموني الذي قيل فيه انه لا يوجد عالم أزهري الآن الا وقد أخذ عنه أو عن أحد تلامذته وقد أبنته الجرائد بمثل: البخاري حديثا والشافعي فقها وسيبويه نحواً: ولكنها لم تذكر له مزية غير انه عالم كبير . وقد بلغنا انه كان يمقت هذه الحواشي فلا يقرأها وكان يحفل بما يحفل به الشيوخ من كساوى التشريف ولقاء الامراء بل يكره ذلك . وروي أن سائلا سأله فى الدرس عن حكم لبس البرطلة (البرنيطة) فأجابه: جئني بواحدة ألبسها لك هنا : اي فى الازهر . وكان صاحب انبساط ودعابة مع جلسائه . مات عن مئة سنة ونيف رحمه الله تعالى

جاءنا بعد جمع المنار وقبل طبع هذه الصحيفة الاخيرة منه مقالة من احد علماء الديار التونسية فى تأييد فتاوى مفتي مصر للترانسفالي فأرجأناها الى الجزء الآتي

(تصحيح) قال الاستاذ الامام ان الاولى ان تستبدل كلمة (المشاعر) فى السطر السادس بكلمة الشعائر من الصفحة ٨٤٤

ثبت لدى قاضي مصر ان أول ذي الحجة كان يوم الاربعاء فعيد الاضحى يكون الجمعة جعله الله مباركا على أهله

الجزء الرابع والعشرون — المجلد السادس

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الخميس ١٦ ذي الحجه سنة ١٣٢١ — ٣ مارث (آدار) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصالحين * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرهيم بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ: يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَاتَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرهِيم وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ إِلٰهاً وَاحِداً وَنحن لَهُ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ *

الكلام في هذه الآيات متصل بما سبقه من ابتداء قوله «واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات» فقد ذكر أنه تعالى ابتلى ابراهيم بكلمات فأتمهن وانه

جعله إماما للناس وجعل من ذريته أئمة وانه عهد اليه ببناء بيته وتطهيره لعبادته ففعل وكان يومئذ يدعو بما علم منه ماهي ملته وان هي الا توحيد الله واسلام القلب اليه والاخلاص له بالاعمال، وتعظيم البيت بتطهيره واقامة المناسك فيه عن بصيرة بأسرارها تجعل المعنى المتصور كالمحسوس المبصر. ثم قال بعد هذا «ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه» أي امتهنها واستخف بها. والسفه فى الرغبة عن هذه الملة الطاهرة الزكية ظاهر فان الذي يترك التوحيد والالتجاء الى الله تعالى فيما لا يناله كسبه ويعلق قلبه بصنم أو وثن أو انسان مع اعتقاده ان الله خالق السموات والارض وما بينهما - ومنها الند الذي التجأ اليه ورجاه - فهو لاشك سفيه النفس أفين الرأي لانه رغب عمن بيده ملكوت كل شيء الى من لا يملك له من الله شيئا. كأنه تعالى يقول: هذه هي ملة أبيكم ابراهيم الذي تنتسبون اليه وتفخرون به فكيف ترغبون عنها وتنتحلون لانفسكم أولياء لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا لا بالذات ولا بالواسطة.

قال «ولقد اصطفيناه فى الدنيا» بهذه الملة فجعلناه إماما للناس وجعلنا فى ذريته الكتاب والنبوة «وانه فى الآخرة لمن الصالحين» لجوار الله بعمله بهذه الملة ودعوته اليها وارشاده الناس بها. فملة جعلت لابراهيم هذه المكانة عند الله تعالى في الدنيا والآخرة لايرغب عنها الا من سفه نفسه وجنى على ادراك عقله فاستحب العمى على الهدى، وان خسر الآخرة والاولى،

ومن مباحث اللفظ فى الآية قول الجلال فى تفسير (سفه نفسه). اي جهل انها مخلوقة لله: قال الاستاذ الامام ولم يقل بهذا أحد من المفسرين الذين يعتد بهم والسياق لايقتضيه وسفه يستعمل لازما ومتعديا ومعنى

المتعدي استخف وامتهن وأخره الجلال وهو الراجح. وفي الكشاف ان (نفسه) تمييز لفاعل (سفه) ولا يمنع من ذلك الاضافة الى الضمير لانه تعريف لفظي والمعنى انه لا يرغب عن ذلك الا من سفهت نفسه أي حمقت. وقدم هذا القول كأنه رجحه على ماقبله

« اذ قال له ربه أسلم » أي اصطفاه اذ دعاه الى الاسلام بما أراه من آياته، ونصب له من بيناته، فأجاب الدعوة و« قال أسلمت لرب العالمين » والجلال قدر كلمة (اذكر) متعلقا للظرف (اذ) كما هي عادته في مثله وان وجد في الكلام مايتعلق به كقوله هنا (اصطفيناه) . وقد نشأ ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم في قوم يعبدون الكواكب ويتخذون الاصنام فأراه الله حجته وأنار بصيرته فنفذت أشعتها من العالم الشمسي وأدركت أن لجميع العالمين الها واحدا منفردا بالخلق والتدبير، وحاجه قومه فبهرهم ببرهانه، وأفحمهم ببيانه، وقد قص الله تعالى خبره معهم في سورة الانعام وسيأتي تفسير الآيات ان شاء الله تعالى

« ووصى بها » أي بالملة أو الخصلة التي ذكرت أخيرا « ابراهيم بنيه ويعقوب » بنيه أيضا اذ قال كل منهما لولده « يابني إن الله اصطفى لكم الدين » أي اختاره لكم بهدايتكم اليه وجعل الوحي فيكم « فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » أي حافظوا على الاسلام لله والاخلاص في الانقياد اليه بحيث لاتتركوا ذلك لحظة واحدة لئلا تموتوا فيها فتموتوا غير مسلمين فان الانسان لايضمن حياته بين الشهيق والزفير . ويتضمن هذا النهي إرشاد من كان منحرفا عن الاسلام الى عدم اليأس وأن يبادر بالرجوع اليه والاعتصام بحبله لئلا يموت على غيره

وفي هذه الآية انتقال الى اشراك أهل الكتاب وغيرهم من العالمين مع العرب فى التذكير والارشاد الى الاسلام ولذلك ذكرت وصية يعقوب، واختلف الاسلوب ، فقد كان جاريا على طريقة الايجاز ،فانتقل الى طريقة الاطناب والالحاح ، لما تقدم الالماع اليه من مراعاة الاولى في خطاب العرب والثانية فى خطاب أهل الكتاب الذين لايكتفون بالاشارة والعبارة المختصرة لجمود اذهانهم واعتيادهم على التأويل والتحريف. وفصل بين العاطف والمعطوف بالمفعول ولم يقل : ووصى بها ابرهيم ويعقوب بنيهما: لئلا يتوهم ان الوصية كانت منهما فى وقت واحد أو انها خاصة بأبنائهما معاوهم أولاد يعقوب على نحو ماتقدم في تفسير « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك »

ذكر ملة ابرهيم وحكم الراغب عنها ووصيته بنيه بها ووصية حفيده يعقوب بنيه بها أيضا وذلك يشعر بأن بني ابراهيم كانوا يوصون بما أوصاهم أبوهم فان يعقوب أخذ الوصية عن أبيه اسحق وذلك من ضروب الايجاز الدقيقة . ثم أراد ان يقرر أمر هذه الوصية ويؤكدها ويقيم الحجة بها على أهل الكتاب فقال « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي » الى قوله « ونحن له مسلمون » وخلاصة هذه الوصية عقيدة الوحدانية فى العبادة واسلام القلب لله تعالى والاخلاص له . وتكرار لفظ (الاسلام) فى هذه الآيات يراد به تقرير حقيقة الدين. ذلك ان العرب كانت تدعي ان لها دينا خاصا بها وانه الحق وان اختلفت فيه القبائل والشعوب ومنهم من كان ينتمي الى ابراهيم على وثنيتهم . وكذلك اليهود والنصارى كل يدعي دينا خاصا به وانه الحق فبينت هذه الآيات ان هذه الدعاوي من التعصب للتقاليد وان دين الله تعالى واحد فى حقيقته وروحه

التوحيد والاستسلام لله تعالى والخضوع والاذعان لهداية الانبياء وبهذا كان يوصي أولئك النبيون أبناءهم وأممهم . فتبين ان دين الله تعالى واحد في كل أمة وعلى لسان كل نبي ولذلك قال فى آية أخرى « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » فالتفرق في الدين ماجاء الا من الجهل والتعصب للاهواء ، والمحافظة على الحظوظ المتبادلة بين المرؤسين والرؤساء ، فالقرآن يطالب الجميع بالاتفاق فى الدين والاجتماع على أصليه العقلي وهو التوحيد والبراءة من الشرك بانواعه ، والقلبي وهو الاسلام والاخلاص لله فى جميع الاعمال . وعلم من هذا ان لفظ الاسلام والمسلمين فى كلام ابرهيم واسماعيل ويعقوب يراد به معناه الذي تقدم فمن لم يكن متحققا بهذا المعنى فليس بمسلم أي ليس على دين الله القيم الذي كان عليه جميع أنبياء الله . وأما لفظ الاسلام في عرفنا اليوم فهو لقب يطلق على طوائف من الناس لهم مميزات دينية وعادية تميزهم عن سائر طوائف الناس الذين يلقبون بألقاب دينية أخرى . ولا يشترط فى اطلاق هذا اللقب العرفي عند أهله أن يكون المسلم خاضعا مستسلما لدين الله مخلصا له أعماله بل يطلقونه أيضا على من فسق عنه واتخذ الهه هواه . ومعنى الاسلام الذي دعا اليه القرآن تقوم به الحجة على المشركين ، ويعترف به اليهود والنصارى لانه روح كل دين ، وهو الذي دعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام والدعوة الى اللقب لامعنى لها

قال (الاستاذ الامام) بعد تقريره هذا المعنى وبه يظهر خطأ من خصص الرغبة عن ملة ابرهيم بالميل الى اليهودية أو النصرانية

ومن مباحث اللفظ فى الاية ان (أم) تستعمل فى الاستفهام اذا كان

مبنيا على كلام سابق كما هنا لما فيهامن الاشعار بالانتقال ففيهامعنى الاضراب

«تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون»

(الاستاذ الامام) جاءت هذه الاية الكريمة بعد الكلام عن وصية ابراهيم لبنيه واسماعيل واسحاق ويعقوب لبنيهم استدراكا على ماعساه يقع فى أذهان ذراري هؤلاء الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام من ان هذا السلف الذي له عند الله هذه المكانة يشفع لهم فينجون ويسعدون يوم القيامة بمجرد الانتساب اليهم . فبين الله فى هذه الآية ان سنته فى عباده ان لا يجزى أحد الا بكسبه وعمله ولا يسئل الا عن كسبه وعمله . وقد بين فى سورة النجم ان هذه القضية من أصول الدين العامة التي جاء بها الانبياء من قبل «امْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَابْرٰهِيمَ الَّذِي وَفَّى * اَنْ لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَاَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ الاَّ مَاسَعَى * » الخ وبين فى آيات متعددة فى سور متفرقة ان المرسلين لم يرسلوا الا مبشرين ومنذرين فمن آمن بهم وعمل بما يرشدون اليه كان ناجيا وان بعد عنهم فى النسب ، ومن أعرض عن هديهم كان هالكا وان أدلى اليهم بأقرب سبب ، «قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » واذا لم تنتفع بهم ذرياتهم الذين لم يقتدوا بهم فكيف ينتفع بهم اولئك البعداء الذين ليس بينهم وبينهم صلة الا الاقوال الكاذبة التي يعبر عنها أهل هذا العصر (بالمحسوبية) ويقولون فى مخاطبة أصحاب القبور عند الاستغاثة بهم : «المحسوب كالمنسوب» : وما أحسن قول الامام الغزالي اذا كان الجائع يشبع اذا أكل والده دونه والظمآن يروى بشرب والده وان لم يشرب فالعاصي ينجو بصلاح والده . والآيات التي تؤيد هذه الآية كثيرة جدا فهي أصل من أصول الدين الالهي لا يفيد معها تأويل المغرورين ، ولا غرور الجاهلين ،

باب الفقه في أحكام الدين

تأييد علماء الآفاق، للفتوى بحل طعام الكتابي على الاطلاق

نادت الجريدة المحدثة علماء الاسلام فى الغرب والشرق للكتابة فى موضوع فتوى مفتي الديار المصرية للترانسفالي بحل طعام أهل الكتاب أوذبائحهم خاصة وذكرنا في الجزء الماضي ان أحد علماء الديار التونسية أرسل الينا رسالة في ذلك ثم رأينا رسالة أخرى لبعض علماء فاس الاعلام في ذلك أرسلها مع كتاب منه الى الاستاذ الامام – كما رأينا مقالات في بعض الجرائد الهندية – فرأينا ان ننشر الكتاب ثم الرسالتين لما في ذلك من تأييد الحق وصلة علماء الاقطار الاسلامية بعضهم ببعض في النوازل الفقهية ومن خذلان الباطل وأهله . وهذا نص كتاب العالم الفاسي:

« الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

« سيدنا الامام ، الدراكة الهمام ، المتبحر مفتي الانام ، القائم بشريعة الاسلام ، الحائز قصب السبق ، فى الفضل والتقدم والمجد ، الاستاذ مفتي الديار المصرية أبو عبد الله سيدي محمد عبده . سلام على سيادتكم ورحمة الله ،

« أما بعد فالمقصود الاعلام بأننا على محبتكم ووداد كم وان لم نركم بالابصار ، لكن نرجو الله تعالى بفضله ان يجمعنا بكم في هذه الدار ، وقد أخبرني عن سيرتكم ومحاسنكم صاحبنا وحبيبنا الفقيه الوزير العلامة الاسعد ، البركة الفاضل الامجد ، أبو عبدالله سيدي محمد الغباص الفاسي وزير الحرب الآن الذي كان سفيرا بالجزائر قبل هذا الوقت وان كان لم يتلاق معكم أيضا هناك وقد تأسف على ذلك . وجاءه خبركم وهو بوجدة فرجع سريعا الى الجزائر بقصد ذلك فلم يلحقكم هناك وان كان تلاقى معكم نجله المبارك الميمون سيدي محمد لكنه لم يكتف بذلك ولا زلنا جميعاً نرجو الله تعالى ان يجمعنا بسيادتكم على أحسن حال، بجاه النبي والآل ،

« ثم انه كان سألني بعد قدومه من الجزائر عن ذبيحة أهل الكتاب فأجبته بما قاله الامام ابن العربي وغيره من حليتها ، وقد كانت وقعت فيها بفاس مذاكرة قبل هذا الوقت فكتبت فيها جوابا بذلك ؛ فاذا به جاءتنا جريدة من محروسة مصر فيها

فتواكم عن ثلاث مسائل فأعجبتني وسررت بها غاية السرور وضمنتها كتابا لي في النوازل لحسنها ثم لما رأيت في تلك الجريدة نفسها كلاما لبعض المارقين من الدين اغتظت لذلك وعزمت ان أوجه لكم بعض ما كنت قيدته فيها من كلام الائمة المهتدين فشاورت في ذلك الوزير المذكور ، فحث عليّ في تقديم ارساله على جميع الامور ، وأعجبه ذلك مظهرا به غاية الفرح والسرور ، ومسلما عليكم أيضا وطالبا صالح أدعيتكم في خلواتكم وجلواتكم، والسلام ــ ١٤ ذي القعدة الحرام عام ٢١ (المهدي الوزاني بفاس)

وأما رسالة هذا العالم فهذا نصها وكتب انه لم يرسل جميع ما كتبه لعدم الحاجة اليه

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وبعد فهذا جواب عما كثر فيه الخوض بين الناس في ذبيحة الكتابي هل تؤكل أم لا ؟ ففي نوازل العلامة أبي عبد الله سيدي محمد الورزاني أنه (سئل) عن ذبيحة الكتابي هل تحل المزكى كيفما كانت سواء وافقت ذكاتنا أم لا أو فيها تفصيل؟(فأجاب) قال الامام ابن العربي : اذا سلّ النصراني عنق دجاجة حل للمسلم ان يأكلها لان الله تعالى أحل لنا أكل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم وكل مايرونه في دينهم فانه حلال لنا الا ما كذبهم الله فيه . الخ (وقد تقدم في الصفحة ٧٧٩ من المنار ، ثم قال الفاسي):

«قلت ومعنى قوله : وقد قال علماؤنا : الخ انه حيث أباح العلماء وطء نسائهم وبناتهم المقبوضة منهم في الصلح معهم مع ان ذلك أشد من طعامهم الذي يستحلونه في دينهم فيجوز لنا أكل ذبيحتهم بالاحرى لانه يحتاط في الفروج مالا يحتاط في غيرها والله أعلم

«وقد أفتى الامام الحفار بمثل ماقاله ابن العربي وانتصر له كما في المعيار ووجهه فقال : أفتى ابن العربي بجواز أكل دجاجة فك نصراني رقبتها ولا اشكال فيه عند التأمل لانه تعالى أباح لنا أكل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه المباح لهم من ذكاته المشروعة لهم ولا يشترط موافقة ذكاتهم لذكاتنا : » ــ (الخ ماقاله الحفار وقد تقدم في (ص ٧٧٩ و ٧٨٠) من المنار ، ثم قال الفاسي):

«وقد سكت ابن عرفة عن فتوى ابن العربي وأقرها وقال: حاصله ان مايرونه مذكى عندهم حلال لنا وان لم تكن ذكاته عندنا ذكاة : ه وكذا مؤلف المعيار والزياتي نقلا فتوى

الحفار وسلمها أيضا. قلت: وأنا تابع لهم أيضا

« الدليل على صحة ما قاله الامام ابن العربي ما ذكره العلماء فيما ذبحه أهل الكتاب للصنم فانه حرام مع المنخنقة وما عطف عليها وقيدوه بما لم يأكلوه والا كان حلالا لنا. قال الشيخ بناني على قول المختصر « وذبح لصنم » مانصه: الظاهر ان المراد بالصنم كل ماعبدوه من دون الله سبحانه وتعالى بحيث يشمل الصنم والصليب وغيرهما وان هذا شرط في أكل ذبيحة الكتابي كما في التتائي والزرقاني وهو الذي ذكره أبو الحسن رحمه الله في شرح المدونة وصرح به ابن رشد في سماع ابن القاسم من كتاب الذبائح ونصه: كره مالك رحمه الله ماذبحه أهل الكتاب لكنائسهم وأعيادهم لانه رآه مضاهيا لقوله عز وجل « أو فسقا أهل لغير الله به » ولم يحرمه اذ لم ير الآية متناولة له وانما رآها مضاهية له لان الآية عنده انما معناها فيما ذبحوا لآلهتهم مما لا يأكلون، قال وقد مضى هذا المعنى في سماع عبدالملك: ه.

« وقال في سماع عبد الملك عن أشهب: وسألته عما ذبح للكنائس قال لا بأس بأكله: ابن رشد: كره مالك في المدونة أكل ماذبحوا لأعيادهم وكنائسهم، ووجه قول أشهب أن ماذبحوه لكنائسهم لما كانوا يأكلونه وجب ان تكون حلالا لنا لان الله تبارك وتعالى يقول « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » وانما تأول قول الله عز وجل « اوفسقا أهل لغير الله به » فيما ذبحوه لآلهتهم مما يتقربون به اليها ولا يأكلونه فهذا حرام علينا بدليل الآيتين جميعا: ه

« فتبين ان ذبح أهل الكتاب اذا قصدوا به التقرب لآلهتهم فلا يؤكل لانهم لا يأكلونه فهو ليس طعامهم ولم يقصدوا بالذكاة اباحته (*) وهذا هو المراد هنا. واما مايأتي من الكراهة في ذبح لصليب فالمراد به ماذبحوه لانفسهم لكن سموا عليه اسم آلهتهم فهذا يؤكل بكره لانه من طعامهم: هذا الغرض من كلام بناني وسلمه الرهوني بسكوته عنه فهذا شاهد لابن العربي قطعا لانه علق جواز الاكل على كونه من طعامهم والمنع منه على ضد ذلك. وأيضا ليس كل مايحرم في ذكاتنا يحرم أكله في ذكاتهم كمتروك التذكية عمدا فانها لا تؤكل بذبيحتنا (١) وتؤكل بذبيحتهم حسبما تقدم فاذاً المدار

(*) المنار: يؤيد هذا ماسبق لنا من ان المدار في التذكية على القصد الى الاكل (١) هذا على مذهب المالكية وأما الشافعي فيبيح أكل ذبيحة المسلم وان ترك التسمية عليها عمدا أو سهوا

على كونها من طعامهم لاغير والله أعلم

« فظهر ان ماقاله الامام ابن العربي لم ينفرد به بل تبعه عليه جماعة من المحققين، لكنه اعترضه عليه جماعة من المتأخرين ، قال ابن ناجي في شرح الرسالة : واذا كان النصراني يسل عنق الدجاجة فالمشهور ان لاتؤكل وأجاز ابن العربي أكلها ولو رأيناه يسل عنقها لانها من طعامهم : ابن عبد السلام وهو بعيد : ه وبالغ البساطي فقال : ليت قوله هذا لم يخرج للوجود ولا سطر في كتب الاسلام : ه ابن سراج : وهو هفوة لانا اذا لم نستبح الوحشي بعقرهم فأحرى الانسي . وعلى استباحته فعلله اللخمي بانه ذكاة عندنا وعقرهم الانسي ليس بذكاة عندنا فلايباح بذلك : ه

« قلت وهؤلاء المعترضون عليه لم يأتوا بحجة ولادليل ، ولابنص صريح أورواية تشفي الغليل ، وانما أتوا بمجرد كلام خشن ليس فيه أدب مع القاضي ، لاعتقادهم انه خالف ماتقرر قبله في الزمان الماضي ، ولاسيما الشيخ الرهوني رحمه الله . وايضا المعترض عليه هو ابن عبد السلام وابن سراج والباسطي ، والمؤيد لكلامه هو الحفار وصاحب المعيار والزياتي فيتقابلان ويتساقطان ويبقى كلام ابن العربي سالما

« وقول الشيخ الرهوني : ويكفي في كون مالابن العربي شاذا اتفاق الائمة على عزوه له وحده الخ : فيه نظر ظاهر لأن هذه المسألة انما تكلم عليها ابن العربي فقط دون غيره من الائمة فلم يتعرضوا لها بنفي ولاباثبات فلذلك نسبوها له وحده وانما يصح ماذكره لو تعرضوا لها في كتبهم وأفتوا فيها بخلاف ماقاله هو فهنا يصح لهماقاله . أماحيث سكتوا عنها وهو الذي تكلم عليها بالخصوص فلا . وأمااعتراضهم عليه فقدمنا انهم لم يأتوا عليه بدليل فهو والعدم سواء . وقول ابن سراج: لأنا اذا لم نستبح الوحشي بعقرهم فأحرى الانسي الخ : لاحجة فيه لان الوحشي كما قاله الزرقاني انما لم يستبح بعقرهم لان فيه نوعا من التعبد أي وليسوا هم من أهله فتأمله . وأيضاماقاله غير متفق عليه عندنا بل معترض ولايحتج بمختلف فيه كما هو معلوم . قال الزرقاني على قول المختصر « وجرح مسلم » الخ مانصه : فلايؤكل بصيد الكافر لقوله تعالى « تناله أيديكم ورماحكم » أي والخطاب للمؤمنين وانما افترق صيده من ذبحه لان في الصيد نوع تعبد ووقوفاً مع الاضافة الى المؤمنين في الآية ولايعارضه عموم « وطعام

الذين اوتوا الكتاب حل لكم » كما استدل به أشهب وابن وهب وجماعة على عدم اشتراط الاسلام لتخصيصها بالآية الاخرى جمعا بين الدليلين : الخ

« وقال في التوضيح : الاستدلال بهذه الآية على منع صيد الكتابي هو الذي في المدونة وفيه نظر لانه اختلف في المراد بهذه الآية فقيل المراد بها اباحة الصيد وقيل منعه واختاره اللخمي وغيره ، وان المراد الامتناع في حال الاحرام ، والابتلاء في « ليبلونكم الله » الاختبار هل يصبر عنه لقوله تعالى « ليعلم الله من يخافه بالغيب » ولقوله تعالى « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » اه نقله بناني واقره وكذا سلمه الرهوني بسكوته عنه فاستدلال ابن سراج بما قاله باطل لا يصح : وقال الرهوني على قول الزرقاني : كما استدل به أشهب وابن وهب : الخ مانصه : ماقاله هؤلاء هو الذي اختاره الباجي وابن يونس وابن العربي واللخمي . وقيل انه مكروه وقال ابن بشير ويمكن ان تحمل المدونة على الكراهة : الخ فانت ترى بعضهم نظر في كلام المدونة وبعضهم تأوله كما ان جماعة من أهل المذهب خالفوه فكيف يستقيم الاستدلال به لابن سراج ؟ والله أعلم . قاله وقيده عبد ربه تعالى محمد الوزاني . » اه الحسني العمراني

(المنار) جاء في كتاب الصيد من المدونة بعد ما تقدم في صيد اليهودي والنصراني مانصه :

« قال سحنون قال ابن وهب لا بأس بأكل صيدهما وقال علي بن زياد فانا لا أرى به بأسا لان الله تبارك وتعالى قال (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اه

وهذا هو المتعين والآية وليست في الموضوع وانما هي في المحرم بالحج

وجاء في كتاب الذبائح من المدونة مانصه :

« قلت أفتحل ذبائح نساء أهل الكتاب وصبيانهم . قال ماسمعت من مالك فيه شيئا ولكن اذا حل ذبائح رجالهم فلا بأس بذبائح نسائهم وصبيانهم اذا أطاقوا الذبح قلت : أرأيت ماذبحوا لاعيادهم وكنائسهم أيؤكل ؟ قال قال مالك أكرهه ولا أحرمه وتأول مالك فيه (أو فسقا أهل لغير الله به) وكان يكرهه من غير ان يحرمه . قلت أرأيت ما ذبحت اليهود من الغنم فأصابوه فاسداً عندهم لا يستحلونه لاجل الرئة وماأشبهها التي يحرمونها في دينهم أيحل أكله للمسلمين قال كان مالك مرة يجيزه فيما بلغني » اه

فانت ترى هذا النص أوسع مما ذهب اليه ابن العربي الذي لشترط ان يأكل منه

أحبارهم ورهبانهم واذا كان الامام مالك تأول النص في المحرم مما يديننا وهو ما أهل لغير الله به لاجل عموم حل طعام الكتابي فتحليل القاضي أبي بكر ما قتل الكتابي عنقه لا يحتاج الى تأول فان القرآن لا يتناوله بالنص اذ ليس من الميتة حتف أنفها ولا من المنخنقة وما بعدها لانه من قبيل المخنوق ولا نص فيه فان المنخنقة في اللغة ما انخنقت بدون فعل فاعل وهو الذي رجحه محققو المفسرين ، قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى والمنخنقة » ما نصه . (الجزء السادس صفحة ٣٩)

« وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال هي التي تختنق اما في وثاقها واما بادخال رأسها في الموضع الذي لا تقدر على التخلص منه فتختنق حتى تموت وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك من غيره لان المنخنقة هي الموصوفة بالانخناق دون خنق غيرها لها ولو كان معنيا بذلك أنها مفعول بها لقيل : والمخنوقة حتى يكون معنى الكلام ما قالوا اهـ

رسالة العالم التونسي

الى العلامة النقاد السيد منشىء « المنار » الاغر .

لقد كنت أحب ان أوجه الى مناركم شيئاً من قوادح أفكاري ، وأنيط بقمته العليا قبساً من ناري ، وما كنت أحسب أن سيكون أول شيء أنبئكم فيه برأيي مسألتين كثر فيهما اللغط والاختلاف بالقطر المصري وقطرنا . ولكن من البخت ان استهتاد الناس وتهافتهم على مهواة الغلط في هاتين المسألتين شفع ميلي الى مخاطبتكم بعزم اصدر ازدواجهما هاته النتيجة التي توافيكم . ولطالما هجس بخاطري ان أصدع في مناركم بتحقيقات أحب ان أزيل بها أوهاماً عن بعض الآراء ببلدنا غير واثق بجريدة تصلح لنشر المسائل العلمية الحقيقية الا جريدتكم المبني بحثها على أساسي الجدل والشرع لا على شفا جرف الجمود والمغالطة — ثم يصدني عن ذلك وفرة الاشغال ، وسرعة المناظرين الى تسليم سلاح الجدال ، وما صادفت مسألة كثر فيها اللغط عن جهل مركب ، واعتماد على عصا إرضاء العامة وتعصب ، ما صادفت في هاتين المسألتين وهما مسألة أكل موقوذة الكتابي ونحوها من طعامه ومسألة لبس قلنسوة أو نحوها من لباس غير المسلمين ، اللتان أفتى فيهما ذلك الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية بالجواز لبعض مسلمي الترانزفال وأبان ذلك بما لا مطعن فيه ، ولا متوقف

بعد النظر اليه ، ولكن بعض من يستهويه حب الهذيان ، والحكم فيما لاترضى فيه حكومته من مسائل الاديان ، أبى ان يلقي عصا التسليم ، ووجدها فرصة للطعن فى رجل من العلماء عظيم ، بتمويهات ربما استرهبت العامة الذين دينهم الفهم ، واستهوت العلماء المشبهين بهم ، الذين متى نزلت بهم الحادثة سردوا مايحفظونه من الكلمات ، بدون ملاحظة لجانب الحقيقة ولا التفات ، ولقد كان الكثير من المنكرين ساهين أو متغاضين عن مصدر المسألة هل هو الرغبة والاستحباب ، أم تحقيق الحق وازالة الحجاب ، ولكن مع هذا لم يزل من بين قومنا طائفة من اساتذة العلوم الذين تخل نباهتهم القشر من اللب يفهمون الحقيقة خلافا لما لمحناه فى بعض الجرائد المصرية — ان صدقت — من الحكاية عن الازهريين خطأ صريحا ، وكم من عائب قولاً صحيحاً ، وربما كان بعض الجرائد التي لايقوم لاصحابها وزن فى الاجتماع ، ولا يلهو بها الا البطالون من الرعاع ، قد أخذ في هاتين المسألتين نصيبا مع الناس ، وأعجب من هذا وذلك انهم رأوا ان يغلقوا الجدال فى هاتين المسألتين بتوجيههما الى حكم مشيخة الاسلام في الاستانة العلية وجهلوا ان حكم الله لايثبته الا الدليل ، سواء كان من الاكثر أم من القليل ، وسواء أحبه الناس أم كرهوه ، وبادر المحبون الى العمل به أم أخروه ! ، وذلك كله أنبأنا (وهو صادق فيما ينبي) ان كثيرا من الجرائد المصرية لا يترقب من بحثه بيان الحقيقة أو بالاقل دفع معرة الغلط وانما يقصد أن تصدر جريدته فى الميقات المعين لها ملأى كلاماً ، ولو علم انه مبحث يقال لمثله فيه عند المعارضة سلاماً ، ونحن (وان كنا في غنىً عن تعب تغيير هاته الاخلاق بما التزمتموه فى مناركم من تشخيص الحقيقة) أحببنا ان نصدع بكلمات لنا ليعلم أهل الحق ان لهم نصراء لايزالون ظاهرين وان أصبحوا اضعفاء الشيعة ، ورمية رهط يريدون مسخ الحق وتشنيعه ، وما كان الله تعالى ليودع دينه أو يضيعه :

﴿ الموقوذة ونحوها من ذكاة أهل الكتاب ﴾

« لما انقسم الناس في الدين الى مقلدين وناظرين وجب ان نخوض عباب هاته المسألة تارة الى وجهة التقليد واخرى الى هدي النظر . فأما الخطة الاولى فان الناس بعد ان اتفقوا أن الله تعالى أحل لنا طعام أهل الكتاب واتفقوا على ان ذبائحهم داخلة تحت

عموم طعامهم واتفقوا على أن لا يشترط فى ذبحهم ان تكون على الوصف المسطور في كتبهم اختلفوا فيما كان من ذكاتهم على بعض النعوت التي نص الله تعالى فى صدر الآية على تحريمها كالمنخنقة والموقوذة وما أهل به لغير الله والخلاف فيها في مذهب مالك معلوم لمن كان ذا بصر في الفقه ـ ذهب ابن عبد الحكم وابن وهب من أصحاب مالك فيما ذبح لغير الله للكنيسة أو للمسيح الى جواز أكله وذهب ابن القاسم الى منعه وهذا يرشد الى أنهم يختلفون في تخصيص الطعام المباح بغير ماتلي من قبل وفي تخصيص تحريم ماتلي علينا بحالة لا يكون فيها طعام أهل الكتاب. ونحن هنا لا يهمنا أن نبحث عن ترجيح أحد الاحتمالين حتى نبحث في المسألة بحث المجتهدين. وعلى قولي ابن عبد الحكم وابن وهب انبني ما أفتى به القاضي أبو بكر ابن العربي . والذي يكشف عن خلاصة الفقه فى هاته المسألة قول الامام عبد المنعم ابن الفرس الخزرجي الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٩ فى أحكام القرآن ونصه:

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) اتفق على أن ذبائحهم داخلة تحت عموم قوله تعالى « وطعام الذين أوتوا الكتاب » فلا خلاف في أنها حلال لنا وأما سائر أطعمتهم مما يمكن استعمال النجاسات فيه كالخمر والخنزير فاختلف فيه فذهب الاكثرون الى ان ذلك من أطعمتهم . . وذهب ابن عباس الى ان الطعام الذي أحل الله لنا ذبائحهم فأما ما خيف منهم استعمال النجاسة فيه فيجب اجتنابه . . . . وإذا قلنا ان الطعام يتناول ذبائحهم باتفاق فهل يحمل لفظه على عمومه أم لا؟ فالاكثر الى ان حمل لفظ الطعام على عمومه فى كل ما ذبحوه مما أحل لهم أو حرم الله عليهم أو حرموه على أنفسهم . والى نحو هذا ذهب ابن وهب وابن عبد الحكم وذهب قوم الى المراد من ذبائحهم ما أحل الله خاصة وأما ما حرم الله عليهم بأي وجه كان فلا يجوز لنا وهذا هو المشهور من مذهب ابن القاسم . وذهب قوم الى أن المراد بلفظ الطعام ذبائحهم جميعاً الا ما حرم الله عليهم خاصة لا ما حرموه على أنفسهم والى نحو هذا ذهب أشهب . ، والذين قالوا الله يجوز لنا أكل ما لا يجوز لهم أكله اختلفوا اهل ذلك على جهة المنع أو الكراهة وهذا الخلاف كله موجود في المذهب واختلف أيضاً فيما ذبحوه لأعيادهم وكنائسهم أو سموا عليه اسم المسيح هل هو داخل تحت الاباحة أم لا؟ فذهب أشهب الى ان الآية متضمنة تحليله وان أكله جائز وكرهه مالك رحمه الله وتأول قوله تعالى « أو فسقاً أهل لغير الله به » على ذلك . . .

« الذين أوتوا الكتاب » اختلف العلماء في الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى

من هم ٠٠٠٠ وقد اختلف في المجوس والصابئة والسامرة (كذا) هل هم ممن أوتي كتابا أم لا وعلى هذا يختلف في ذبائحهم ومناكحتهم آه ملخصه

والناس وان اختلفوا في الرجل المدعو الى وليمة النصراني هل يأكل مايراه وقذه فهم يتفقون في محل الضرورة في بلد أهله لايذبحون الا كذلك فماذا يصنع المسلم من بينهم ! وربما كانت هاته الكلمة تحرك مسألة تقدير الضرورة ماهي في قوله تعالى « الا مااضطررتم اليه » ولنا فيها فهم (*)

فان أردنا ان نخوض في هاته المسألة خوض العارفين الناظرين — وقليل ماهم — فانا نقول وردت الآية « حرمت عليكم الميتة والدم » الآية فحرمت اشياء سمها واباحت شيئا بالعموم وهو طعام الذين أوتوا الكتاب فمن المحتمل ان يكون عموم قوله « طعام الذين اوتوا الكتاب » مخصوصاً بما مر من المحرمات وقد يحتمل ان الله تعالى أراد عموم الطعام فأورده بعد ذكر المنصوصات على وجه يشبه ورود النسخ بعد النص وان كانت الآية هنا واحدة والحنفية قاطبة يرون العام الوارد بعد الخاص ناسخا وخالفهم جمهور المالكية والشافعية فرأوه مخصوصاً بالمتقدم والحقيقة في هذا الأصل أن العام اذا ورد بعد الخاص على وجه لايمكن فيه الجمع بين عمومه وخصوص الخاص ينسخ الخاص لمقدار مدلول عمومه لايبطله فكان شبيها بالبيان ولهذا سماه الحنفية ناسخا نظراً لنسخه مااقتضاه الخصوص أول مرة ولم يسمه غيرهم نظراً الى أن النسخ ابطال الحكم كله وكأنه خلف في اللفظ والغاية متحدة .

ولقد رأيت رأيا ربما رجح أحد الاحتمالين أيضا وهو ان الله تعالى أحل لنا طعام أهل الكتاب بعد ان قال « اليوم أحل لكم الطيبات » والطيب ماوافق شروط الله تعالى مما شرع لنا ثم قال « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » فنبه بعطفه على الطيبات عطف الجملة على الجملة أنه حلال متى لم يكن على شروطنا وكان في مظنة يكون

(*) المنار : الى هنا انتهى بحثه في المسألة من جهة التقليد وبه علم ان كبار أئمة المذهب قالوا بحل ذبائح أهل الكتاب مطلقا وان لم تكن على طريقنا بل ولا على طريقهم في قول وان ذكروا عليها اسم غير الله تعالى . واما بحثه الآتي فهو من طريق النظر والاستدلال وهو لايزيد قارئه الا بصيرة في الدين وان كان مقلداً

فيها غير طيب أو تحقق فيه اما ان وافقنا فلا حاجة الى التنصيص عليه. وأما قال الله تعالى «أوتوا الكتاب» دون الذين يتمسكون بالكتاب أو يقرءون بكتاب ليرشدنا الى ان مناط الحكم هو ان يكون الطعام طعام من له انتساب الى الكتاب ولو انتسابا تاريخيا لم يبق منه الا اسمه وتشيمه فلا يكلفنا البحث عن صحة فقههم فيما يأتون من ذكاتهم وكيف يكلفنا ذلك وهو تعالى يعلم وقد أعلمنا انهم بدلوا كتبهم تبديلا رفع الثقة بها ونسف العلم بصحة أي شيء منها لاحتمال التبديل فيه . فذهب مايهذبه كثير من الناس يسرد علينا نصوص التوراة . ومن عجيب حالتهم المضحكة المبكية انهم يبتدؤن بالنكير على الناظرين في الدين ثم هم يجتهدون فيه ويشرحون مراد الله تعالى بالتوراة والانجيل ، بعد ما أيقنوا من التحريف والتبديل .

أما نقل فتوى الاستاذ الامام من هذا الباب الى باب مايذبح بعد عقره أوجرحه فانني اخال انه دخول الى مفازة يعسر الخلاص منها لانه بعد موضع يفصل فيه الفقهاء حالتها بعد الوقذ هل كانت تعمل فيها الذكاة واحتجاج الاستاذ الامام أيده الله وسؤال السائل يدلان انهما ماقصدا الا صحة مذكاة من كان من أهل الكتاب لأن المسلم يستأنف فعله (*)

﴿ لبس القلنسوة ونحوها من لباس الكفار ﴾

أما مسألة القلنسوة فحسبهم من حيث التقليد ان الفقهاء ماقالوا إن لبس أي شيء من ثياب الكفار موجباً للردة الالباس الدين حيث ينضم اليه قرائن تفيد كثرتها قطعا بان صاحبه انسلخ عن الدين وفرق عظيم بين نحو الزنار لباس الكنيسة وبين لبس القلنسوة ونحوها من لباس الشعب والأمة التى ما كان الدين فيها الا اتفاقيا وقد أنهى بعضهم حكم لبسها الى الوجوب وبين الردة والوجوب مراتب كثيرة منها الكراهة أو الاباحة والذي يجب ان ينظر نظر المفتي عليه من التقايد يمكنه مع ذلك ان يجزم بمحالة الحكم فى صورة لاستفتاء فان كنا من أهل النظر قلنا ان الردة والايمان أمران لايتعلقان الا بالفؤاد

(*) المنار : قد اوجز الكاتب هنا اعتماداً على تفصيله السابق وهو ان الدليل النظري ونص المذهب يدلان على ان طعام الكتابي حلال كيفما ذكى فالتفصيل الذي ذكره الفقهاء على هذا خاص بذكاة المسلم كأنه يقول اذا كانوا احلوا ما أهل به لغير الله من ذبائحهم واحلوا ماخنقوه وعقروه ، فكيف لايحلون ماذبحوه ،

والاسلام شيء يتعلق بالاذعان الى الاحكام الشرعية والاعلان بتصميم القلب على تصديقها فلا يبطلان الاحيث انهدمت هاته المقومات وربما كان بعض اللباس مع بعض قرائن مؤذناً بانسلاخ صاحبه من الاسلام ولكن يكون ذلك حيث يكون اللباس لباس الدين لالباس الامة وحيث ينضم اليه ترك الاعلان بكلمة الاسلام والتردد على شعائر الكفر وكل واحد من هذين كاف في الردة وفاقا وخلافا بين العلماء إما التزام عادة من عادات الكفار لحب في العادة لافي دين أهلها أو لانطباقها على حاجة الرقي في الوجود المدني فليس من الكفر في شيء .

ليس اسلام العربي فى عمامته والالكفر اذا خلعها عند وضوئه ولا كفر الكافر فى قبعته والا لكان مسلماً اذا كشف راسه للسلام . وإنا ننظر أنواع الشعوب الذين اتفقوا في الدين يختلفون في اللباس اختلافا بعيداً وما يقضي ذلك باختلافهم فى الدين كاختلاف أصقاع المسلمين بين حجازي وتركي وفارسي ومصري وتونسي كل لباس منها يخالف لباس الآخر خلافا بيناً والكل غير لباس الصحابة. فاذا لبس الرجل لباساً باعتبار اصالته فيه فذلك الواجب أدبا عليه. قد كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فما سمعنا — ولو كان لسمعنا شيئا تتوفر دواعي العلماء على نقله ولا يتمد به شيوعه عن وصول ذكره — أحدا منهم أمر الفارسي ان يتحول الى اللباس العربي ثم مشاهدة المساواة اليوم بين مسلمي القطر الواحد وكفاره فى زي واحد شاهدة على ماتقول الابعدان ميز المسلمون أهل ذمتهم بعلامات حين أرادوا ان ينكثوهم ايمانهم من بعد عهدهم ولا يرقبون فيهم ذممهم . وهل كانت ثياب رسول الله وأصحابه إلا كثياب المشركين من العرب ؟ أم هل علمناهم حين دخلوا فى الحنيفية استبدلوا لبوسهم ؟ كلا ان الدين لا كبر من الاهتمام بما يهتم له الماشطات وسخفاء المتزينين

أما استبدال الرجل بزي زيا آخر كيف كان بلاداع قصد للعقلاء فشيء يدل على سخافة عقل وانحراف ادراك ولذلك يتخذ سخريا بين الناس فى كل زمان ومكان . نرى الرجل يلبس لبوس الافرنج لكونه من أهل الدولة فلا يلومه أو يسخر منه أحد فلو لبس عمامة العلماء وطيلسانهم لكان ضحكة للضاحكين . وبالعكس نرى العالم مثلا . وهذا

هو دستورهاته المتشابهات التى صيرت السهل جايلا، جعلت هؤلاء القوم لايكادون يهتدون سبيلا . واليكم محبتي وسلامي على بعد الدار، وقناعة من التعرف بالاخبار، وحرر في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٢١ » اه

﴿ سؤال عن فتوى ﴾

سأل سائل من طلاب العلم في الجامع الاعظم بتونس اسمه (أبوبكر العروسي) عن مستند مفتي الديار المصرية فى الفتوى: لشركة التأمين على الحياة التى نشرت في جريدة المغرب نقلا عن جريدة الوطن واطال الكلام بأحكام فقهية مالكية ليست من موضوع الفتوى في شيء وانما هي من موضوع ما كتب في الجريدتين فعجبنا من ذلك

وكتب الى المفتي عالم من (وجدة) في الجزائر كتابا يقول فيه انه اطلع على مانشرته جريدة المغرب وانه رأى ان الفتوى منطبقة على السؤال وانها حق فى نفسها ولكنها لا تنطبق على موضوع شركة التأمين على الحياة وشروطها أي فما فائدة الشركة منها غير الايهام

ولما رأينا ما كتب فى جريدة المغرب قد استتبع بحثا وسؤالا في بلاد المغرب على ان مانشر فى جريدة الوطن لم يستتبع مثل ذلك في المشرق احببنا ان نبين الحقيقة فنذكر أولا صورة السؤال والفتوى كما نشر فى جريدة المغرب ثم نبين منار وهم الطالب فنقول

(أما صورة السؤال فهي)

حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية

ماقولكم دام فضلكم فى شخص يريد ان يتعاقد مع جماعة (١) على ان يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط معينة ليعملوا فيه بالتجارة واشترط معهم انه اذا قام بما ذكر وانتهى أمد الاتفاق المعين بانتهاء الاقساط المعينة وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حيا فيأخذ مايكون له من المال مع مايخصه من الارباح واذا مات فى أثناء تلك المدة فيكون لورثته أولمن له حق الولاية في ماله ان يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الارباح فهل مثل هذا التعاقد الذي يكون مفيداً لاربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا رجوكم التكرم بالافادة أفندم:

(١) نشرت شركة الجريشام في مصر هذه الفتوى في كراس طبعته فى بيان موضوعها واعمالها وزادت في السؤال هنا اي عند ذكر لفظ جماعة (شركة الجريشام مثلا) ووضعت لزيادة هكذا بين قوسين للاشارة الى انها لم تكن في الصورة التي قدمت للمفتي وأجاب عنها

﴿ الجواب ﴾

الحمد لله وحده :

لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزاً شرعا ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الاقساط والعمل في المال وحصول الربح ان يأخذ لو كان حيا مايكون له من المال مع ماخصه من الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ مايكون له من المال مع ما أنتجه من الربح والله أعلم

(المنار) هذا هو نص السؤال ونص الجواب كما في الجريدتين الا اننا ذكرنا الكلمة الزائدة وهي «شركة الجريشام مثلا» في الهامش. فأين منه التأمين على الحياة ؟ ومن قال أو من يقول ان المفتي يجيب عن نيات الناس دون أسئلتهم ومن أمثال العامة (ان الفتوى على قدر النص) أي نص السؤال ؟ نعم انه يجوز للمفتي ان يفيد السائل بأكثر ممايطلبه ان رآه محتاجا الى ذلك ولكن ليس لمشتغل بالعلم وقد رأى فتوى استدل بها على مالاتدل عليه في رأيه ان يقول مامستند هذه الفتوى في تجويزها ذلك الامر الذي استدل بها عليه !!!

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(الوجه الثاني والخمسون) قولكم : ان عمر كتب الى شريح: أن اقض بما في كتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فبما في سنة رسول الله فان لم يكن في سنة رسول الله فبما قضى به الصالحون فهذا من أظهر الحجج عليكم على بطلان التقليد فانه امره ان يقدم الحكم بالكتاب على كل ماسواه فان لم يجده في الكتاب ووجده في السنة لم يلتفت الى غيرها فان لم يجده في السنة قضى بما قضى به الصحابة ونحن نناشد الله فرقة التقليد هل هم كذلك أو قريبا من ذلك ؟ وهل اذا نزلت بهم نازلة حدث أحد منهم نفسه ان يأخذ حكمها من كتاب الله ثم ينفذه فان لم يجدها في كتاب الله أخذها من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان لم يجدها في السنة أفتى فيها بما أفتى به الصحابة والله يشهد عليهم وملائكته وهم شاهدون على أنفسهم بأنهم انما يأخذون حكمها من قول من قلدوه وان استبان لهم في الكتاب او السنة أو أقوال الصحابة خلاف ذلك لم يلتفتوا اليه ولم يأخذوا بشيء

منه الا بقول من قلدوه فكتاب عمر من أبطل الاشياء وأكسرها لقولهم وهذا كان سير السلف المستقيم ، وهديهم القويم ، فلما انتهت النوبة الى المتأخرين ساروا عكس هـذا السير وقالوا : اذا نزلت النازلة بالمفتي أو الحاكم فعليه ان ينظر أولا : هل فيها اختلاف أم لا ؟ فان لم يكن فيها اختلاف لم ينظر في كتاب ولا في سنة بل يفتي ويقضي فيها بالاجماع وان كان فيها اختلاف اجتهد في أقرب الاقوال الى الدليل فافتى به وحكم به وهذا خلاف مادل عليه حديث معاذ وكتاب عمر وأقوال الصحابة والذي دل عليه الكتاب والسنة وأقوال الصحابة اولى فانه مقدور مأمور فان علم المجتهد بما دل عليه القرآن والسنة أسهل عليه بكثير من علمه باتفاق الناس في شرق الارض وغربها على الحكم وهـذا ان لم يكن متعذرا فهو أصعب شيء وأشقه الا فيما هو من لوازم الاسلام فكيف يحيلنا الله ورسوله على مالا وصول لنا اليه ويترك الحوالة على كتابه وسنة رسوله اللذين هدانا بهما ويسرهما لنا وجعل لنا الى معرفتهما طريقا سهلة التناول من قرب. ثم مايدريه فلعل الناس اختلفوا وهو لا يعلم وليس عدم العلم بالنزاع علما بعدمه فكيف يقدم عدم العلم على أصل العلم كله ؟ ثم كيف يسوغ له ترك الحق المعلوم الى أمر لا علم له به وغايته أن يكون موهوما وأحسن أحواله ان يكون مشكوكا فيه شكا متساويا او راجحا ؟ ثم كيف يستقيم هذا على رأي من يقول انقراض عصر المجمعين شرط في صحة الاجماع فما لم ينقرض عصرهم فلمن شاء في زمنهم ان يخالفهم فصاحب هذا السلوك لا يمكنه ان يحتج بالاجماع حتى يعلم ان العصر انقرض ولم ينشأ فيه مخالف لأهله.

وهل أحال الله الامة في الاقتداء بكتابه وسنة رسوله على مالا سبيل لهم اليه، ولا اطلاع لافرادهم عليه ، ؟ وترك إحالتهم على ماهو بين أظهرهم حجة عليهم باقية الى آخر الدهر وهم متمكنون من الاهتداء به ومعرفة الحق منه وهذا من أمحل المحال ؟ وحين نشأت هذه الطريقة تولد عنها معارضة النصوص بالاجماع المجهول وانفتح باب دعواه وصار من لم يعرف الخلاف من المقلدين اذا احتج عليه بالقرآن والسنة قال هذا خلاف الاجماع وهذا الذى أنكره أئمة الاسلام ، وعابوا من كل ناحية على من ارتكبه وكذبوا من ادعاه ، فقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله: من ادعى الاجماع فهو كاذب لعل الناس اختلفوا ، هـذه دعوى بشر المريسي والاصم ولكن

يقول لانعلم الناس اختلفوا أو لم يبلغه. وقال في رواية المروزي : كيف يجوز للرجل ان يقول أجمعوا اذا سمعهم يقولون أجمعوا اتهمهم لو قال اني لم أعلم مخالفا كان (أحسن) : وقال في رواية أبي طالب : هذا كذب ماعلمه ان الناس مجمعون ولكن يقول ما أعلم فيه اختلافا فهو أحسن من قوله اجماع الناس: وقال في رواية أبي الحارث : لاينبغي لاحد ان يدعي الاجماع لعل الناس اختلفوا : ولم يزل أئمة الاسلام على تقديم الكتاب على السنة والسنة على الاجماع وجعل الاجماع في المرتبة الثالثة قال الشافعي : الحجة كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الائمة : وقال في كتاب اختلافه مع مالك : والعلم طبقات الاولى الكتاب والسنة الثانية ، ثم الاجماع فيما ليس كتابا ولا سنة ، الثالثة أن يقول الصحابي فلا يعلم له مخالف من الصحابة . الرابعة اختلاف الصحابة . الخامسة القياس : فقدم النظر فى الكتاب والسنة على الاجماع ثم أخبر انه انما يصير الى الاجماع فيما لم يعلم فيه كتابا ولا سنة وهذا هو الحق

وقال أبو حاتم الرازي : العلم عندنا ماكان عن الله تعالى من كتاب ناطق ناسخ غير منسوخ ، وماصحت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما لامعارض له ، وما جاء عن الاولياء من الصحابة مااتفقوا عليه فاذا اختلفوا لم يخرج من اختلافهم ، فاذا خفي ذلك ولم يفهم فعن التابعين ، فاذا لم يوجد عن التابعين فعن أئمة الهدى من اتباعهم مثل أيوب السختياني وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان ومالك والاوزاعي والحسن بن صالح ، ثم مالم يوجد عن أمثالهم فعن مثل عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن ادريس ويحيى بن آدم وابن عيينة ووكيع بن الجراح ، ومن بعدهم محمد بن ادريس الشافعي ويزيد بن هرون والحميدي وأحمد بن حنبل واسحق بن ابراهيم الحنظلي وأبي عبيد القاسم : انتهى

فهذه طريقة أهل العلم وأئمة الدين جعل أقوال هؤلاء بدلا عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة بمنزلة التيمم انما يصار اليه عند عدم الماء . فعدل هؤلاء المتأخرون المقلدون الى التيمم والماء بين أظهرهم أسهل من التيمم بكثير . ثم حدثت بعد هؤلاء فرقة هم أعداء العلم وأهله فقالوا اذا نزلت بالمفتي أو الحاكم نازلة لم يجز ان ينظر فيها فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا أقوال الصحابة بل الى ماقاله مقلده ومتبوعه ومن جعله عيارا على القرآن والسنة

فما وافق قوله أفتى به وحكم به وما خالفه لم يجز له ان يفتي به ولا يقضي به وان فعل ذلك تعرض لعزله عن منصب الفتوى والحكم واستفتي له ماتقول السادة والفقهاء فيمن ينتسب الى مذهب امام معين يقلده دون غيره ثم يفتي اويحكم بخلاف مذهبه هل يجوز له ذلك ام لا ؟ وهل يقدح ذلك فيه أم لا ؟ فينغض المقلدون رءوسهم ويقولون لايجوز ذلك ويقدح فيه ولعل القول الذي عدل اليه هو قول أبي بكر وعمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وأمثالهم فيجيب هذا الذي انتصب للتوقيع عن الله ورسوله : بأنه لايجوز له مخالفة قول متبوعه لاقوال من هو اعلم بالله ورسوله منه وان كان مع اقوالهم كتاب الله وسنة رسوله : وهذا من اعظم جنايات فرقة التقليد على الدين، ولو انهم لزموا حدهم ومرتبتهم واخبروا إخبارا مجردا عما وجدوه من السواد في البياض من اقوال لاعلم لهم بصحيحها من باطلها لكان لهم عذراً ما عند الله ولكن هذا مبلغهم من العلم وهو معاداتهم لاهله وللقائمين لله بحجته، وبالله التوفيق .

(الوجه الثالث والخمسون) قولكم : منع عمر من بيع امهات الاولاد وتبعه الصحابة وألزم بالطلاق الثلاث وتبعوه ايضا : جوابه من وجوه (احدها) انهم لم يتبعوه تقليدا له بل اداهم اجتهادهم في ذلك الى ما اداه اليه اجتهاده ولم يقل احد منهم قط اني رايت ذلك تقليدا لعمر (الثاني) انهم لم يتبعوه كلهم فهذا ابن مسعود يخالفه في امهات الاولاد وهذا ابن عباس يخالفه في الالزام بالطلاق الثلاث واذا اختلف الصحابة وغيرهم فالحاكم هو الحجة (الثالث) انه ليس في اتباع قول عمر رضي الله عنه في هاتين المسئلتين وتقليد الصحابة — لو فرض — له في ذلك مايسوغ تقليد من هو دونه بكثير في كل مايقوله وترك قول من هو مثله ومن هو فوقه واعلم منه فهذا من أبطل الاستدلال وهو تعلق بيت العنكبوت فقلدوا عمر واتركوا تقليد فلان وفلان فأما وانتم تصرحون بان عمر لايقلد وابو حنيفة والشافعي ومالك يقلدون فلا يمكنكم الاستدلال بما انتم مخالفون له فكيف يجوز للرجل ان يحتج بما لايقول به .

(الوجه الرابع والخمسون) قولكم : ان عمرو بن العاص قال لعمر لما احتلم خذ ثوبا غير ثوبك فقال : لو فعلت صارت سنة : فاين هذا من الاذن من عمر في تقليده والاعراض عن كتاب الله وسنة رسوله وغاية هذا انه تركه لئلا يقتدي به من يراه

ويفعل ذلك ويقول : لولا ان هذا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مافعله عمر: فهذا هو الذى خشيه عمر والناس مقتدون بعلمائهم شاءوا اوأبوا فهذاهو الواقع وان كان الواجب فيه تفصيل

آثار علمية أدبية

﴿ التقريظ ﴾

(الحماسة السنية الكاملة المزية ، في الرحلة العلمية ، التركزية الشنقيطية)

للشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي شهرة طائرة في جو علوم العربية كانوهنا بذلك مرارا ويتمنى محبو العلم من العارفين بمكانة هذا الرجل منه ومحبي الاستفادة منه لو يطبع له تأليف يزدادون به علما . ونبشرهم بأن رحلته العلمية تم طبعها من عهد قريب ونشرت في هذه الايام وفيها مجمل من سيرة الشيخ وآثاره في النظم والنثر . فمن ذلك ابتداء تحصيله بالمغرب وابتداء رحلته الى المشرق، وذكر مااستنبطه من العلم الذي اخطأ فيه من قبله، وذكر بعض مشهوري النحاة الذين اخطأوا في عدم صرف عمر، وابتداء رثاثة نفسه ، وذكر مشهورات قبائل العرب ، وفيها مناظرات ومكاتبات بينه وبين بعض العلماء في المغرب والمشرق ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة ، وقدسلك المؤلف فى رحلته هذه مسلك الحرية التامة في كتابة مايعتقده فى نفسه وفي غيره من الذين خالفوه في بعض المسائل وأنحى على المخالفين له بشدة عظيمة . واذا كانت هذه الطريقة منتقدة عند بعض القارئين فهو الذي عهدناه لايخاف في حق اعتقده لومة لائم ولعلنا ننشر من الرحلة شيئا في المنار . وانا نحث أهل العلم والادب على قراءة هذه الرحلة فانهم يجدون فيها من سيرة هذا الرجل الشهير ومن علمه وأدبه مالا مطمع في الوقوف عليه لولاها

(تحذير المسلمين ، من الاحاديث الموضوعة ، على سيد المرسلين)

كتاب جديد الفه حديثا الشيخ محمد البشير ظافر الازهري جمع فيه فصولا كثيرة فى الحث على الاشتغال بالحديث وفي وضع الحديث وأسبابه والمؤلفين فيه وفى ذكر

الكتب والرسائل التي تكثر فيها الاحاديث الموضوعة، وفي الخطباء المتهجمين على ذكر الاحاديث الموضوعة في خطبهم وفي الخرافات الاسرائيلية التي دخلت في كتب المسلمين وأشهر رواتها وفي الحكم والامثال التي رفعها الوضاعون وهي موضوعة وفي طائفة من من الاحاديث الموضوعة مرتبة على حروف المعجم. وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة (الراوي) فنشكر لمؤلفه عنايته وخدمته ونحث القراء على مطالعة كتابه وهو يباع بمكتبة المنار وغيرها وثمن النسخة منه ثلاثة قروش وأجرة البريد نصف قرش

ديوان سبط ابن التعاويذي

سبط ابن التعاويذي هو أبو الفتح محمد بن عبدالله توفي سنة ٥٨٣ وهو شاعر مشهور قال فيه ابن خلكان «كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة وفيما اعتقده لم يكن قبله بمئتي سنة من يضاهيه» وله ديوان كبير عني بنسخه وطبعه حديثا الدكتور مرجليوث الانكليزي مدرس العلوم العربية في مدرسة اكسفرد الجامعة في انكلترا. وقال في مقدمته انه أخذه من نسختين في المكتبة البلدانية المشهورة إحداهما مبوبة على ماوصفه المصنف في خطبته والاخرى على ترتيب القوافي الخ ماذكره وهو يدل على مابذل من العناية في جمع الديوان وترتيبه. وقد وصف الدكتور الديوان بعبارة رقيقة لاأثر للعجمة ولا للتكلف فيها على مافيها من السجع والجناس فقال: «وكم في هذا الديوان من مدحة رافعة للقدر، وأرجوزة شارحة للصدر، ومن أهجية جارحة للاعراض وشكاية مصيبة للاعراض، ومرثية مبكية للعيون، وقطعة مختلفة الفنون، فان القصائد كأنها مرايا تظهر فيها أسرار القلوب، وخفايا الخطوب، وتكاد ان تعيد الاموات، وتجعلهم ذوي حياة، وتظهر من غبر وسلف، نصب عين من خلف، حتى يشترك فيما كان يداخلهم من المقة والمقت، عند قديم الوقت، ويشاهدهم في السراء والضراء عنه اختلاف الشئون، ويسمع حديثهم ذا الشجون»

فانت ترى هذا السجع الرقيق لايأباه لنفسه اكتب كتاب العصر فان وجد من الكاتبين من يرى مثل قوله «المقة والمقت، عند قديم الوقت» من التكلف في التجنيس والتسجيع فانا ضامن بأن ابن الفارض يأتي مثله في شعره، ولا يأباه الحريري في نثره، وقلما تجد في الازهر من يحسن مثله ؛

وقد وضع للديوان فهرسين أحدهما في إحصاء أسماء الممدوحين والمهجوين وغيرهم ممن ذكر في هذا الديوان مع بيان نوع الشعر الذي قيل فيهم . وثانيهما في أهم المعاني الجائلة في أبيات الديوان مرتبة على حروف المعجم كالآباء وأخذ الممدوح الجائزة دون المادح واعادة الدعوة العباسية في مصر والاتراك والتشيع والعين وعيوب الشعر وقلانة الجاثليق ونحو ذلك من المعاني التي يحتاج الى مراجعتها الباحثون وهذه الفهارس التي يلحقها الافرنج بكتبهم ومايطبعونه من كتبنا مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث والمؤلف ومتى صرنا نعرف قيمة الوقت فاننا نحذو حذوهم فيها وقد طبع الكتاب بالشكل الكامل في مطبعة المقتطف وهو بفهارسه نحو ٥٠٠ صفحة وثمن النسخة منه غير مجلدة ٣٦ قرشا صحيحا وثمن المجلدة تجليداً عاديا ٤٠ قرشا والمجلدة تجليداً متقنا مرسوما بالذهب ٤٥ قرشا. فنشكر للمؤلف عنايته وخدمته للغتنا وتنبه قومنا للاعتبار بذلك فاننا صرنا نأخذ لغتنا وآدابها عن الافرنج

﴿ أسرار النجاح ﴾

كتاب يشتمل على مقالات مفيدة جدا في الثروة والكسب مؤلف من مقدمة وثلاثة أبواب . اما المقدمة ففي أنفع النصائح والاعتماد على النفس والمحافظة على الوقت ومصادر الثروة والثبات على العمل واختياره وأهم الاعمال الصناعية واما الباب الاول ففي الزراعة وفيه ثلاثة مباحث واما الثاني ففي الصناعة وفيه أربعة مباحث واما الثالث ففي التجارة وفيه سبعة مباحث. واضع الكتاب ابراهيم بك رمزي صاحب جريدة التمدن ومن قرأ جريدته يعرف كنه أفكاره المفيدة في أمثال هذه الموضوعات وقد جعل الكتاب هدية الى ابناء الوطن، فهو يوزع عليهم بغير ثمن، وهذا دليل على غيرة المؤلف واخلاصه في حب الخير لبلاده ، ولكن قومنا مغلولو الايدي ومقيدو الارجل فلا يستطيعون السعي ولا يقدرون على الكسب بالهمة التي يريدها أمثاله من النبهاء الا بعد فك تلك الاغلال وكسر تلك القيود ، ولابد لذلك من جهاد في عالم العمائم ينتصر فيه من يدعو الى الاصلاح في عمارة البلاد ، وترقية العباد ، ولاشك عندنا في ان مثل هذا الكتاب من أنفع الكتب التي نشرت فان الناس اذا علموا وجوه الفوائد، يقوون على محاربة التقاليد والعوائد ،

(الزهرة) جريدة أسبوعية صدرت في تونس زمنا ثم احتجبت زمنا وقد برزت ثانية من كمها فنرجو ان يعبق عطرها، ويعم نشرها،

باب الأخبار والآراء

﴿ الحرب بين اليابان والروسية ﴾

الروسية دولة تشب شبابا محيا مساحة ارضها تناهز سدس الارض ولكن معظمها في اقصى الشمال حيث البحار جامدة من شدة البرد لا ينتفع بها ، وسكانها مئة الف الف او يزيدون عشرة آلاف الف ونيفا، ونحو ثمانين الف الف منهم خاضعون للكنيسة الشرقية يتقلدون المذهب الارثوذكسي مذهب الحكومة الرسمي. وجيشها في وقت السلم زهاء ١٨٩٦ الفاً ويقال ان في امكانها تجنيد اربعة ملايين ونصف اذا وجدت المال الكافي لذلك. ونقول اذا وجدت المال فانها لا تجد الضباط والقواد الذين يديرون نظام هذا الجيش مجتمعا ولكن لها من العسكر مددا لا ينفد في حرب اي دولة من الدول الكبرى . وقد ارتقت اساطيلها في السنين الاخيرة وكثرت حتى صارت قوتها البحرية في الدرجة الثالثة اي بعد انكلترا وفرنسا. ويقال ان عدد سفنها الحربية يزيد على مئتي سفينة متفرقة في البحر الاسود وبحر قزوين وبحر البلطيك وبحر الصين ولكن السفن الجديدة القوية التي يعتمد عليها في الحرب لا تزيد على خمسين سفينة. ثم ان عسكر هذه الدولة في البر والبحر متمرن على القتال والنزال ، مستعد له في كل حال، ومالية الروس في ارتقاء مستمر ولهم خزينة مخصوصة للحرب ، نعم ان الامة الروسية في ظلمات من الجهل ودولتها في غمرات من الاستبداد ولكن كان من الحكمة ان بدأت باصلاح العسكرية ثم المالية وأما الادارة والمعارف فلا يتأتى اصلاحهما في مثل تلك البلاد الواسعة والامة العريقة في الجهل الا بالتدريج البطيء وهذه الدولة رجال لا يبارون في السياسة فهم في الدرجة الاولى ولذلك نالت بين الدول مقاما عليا، وقد قلت منذ سنين ان روسيا كشاب في سن العشرين وألمانيا كشاب في الثلاثين وانكلترا ككهل في الاربعين وفرنسا قد أشرفت على الخمسين أو دخلت فيها.

أصبحت هذه الدولة القاهرة مرهوبة الشذا من دول أوربا القوية ولقد حالفتها دولة فرنسا فكان حديث الامم ان فرنسا على عظمتها وغناها وقوتها وعلمها هي

التابعة وروسيا هي المتبوعة. أليس من العجيب ان تجرأ على هذه العظمة والجبروت دولة شرقية حديثة المدنية كدولة اليابان التي لايكاد يزيد عدد رعيتها على ثلث عدد الروسيين الا قليـلا ؟ اليس من العجيب ان يغاضب هذا الطفل الصغير (كما يقول القيصر) ذلك الشاب الممتلئ قوة وشبابا، وزهوا وإعجابا، ثم يواثبه فيخيفه ولايخاف منه؟؟

بلى ان هذا من مواطن العجب، عند من لا يعرف السبب، عند هؤلاء الافراد الذين لايعرفون معنى حياة الامم وعزة الدول وان كانوا من الكثرة بحيث يطلق عليهـم لفظ (أمة) - عند الذين لهم هيئات حكومات يطلق عليها لفظ (الدولة) ـ عند الافراد الذين لم يشعروا بأن في الكون سنة إلهية سماها الناس (تنازع البقاء) وهي تقضي بنمو الحي القوي، بتغذيه بالضعيف والميت، وانما لم يشعروا لانهم لم يذوقوا «ومن ذاق عرف» اما الميت منهـم فلم يذق لانه ميت وأما الضعيف فلم يشعر لان معدته لاتقبـل الغذاء فارادته لاتطلبه فهو في معنى الميت الا انه اشقى منه بمـا بقي له من الشعور بالالم عند تغذي الاصحاء به.

أظن ان القارئ فهم المراد لانه يعرف ان أكثر الذين يعيش معهم لايحسـون ولا يشعرون بأنهم طعام للامم الحية ومن عساه يحس منهم بذلك فانه يتألم ولايكاد يبدي حراكا لانه اذا قوي على الحركة صاح به سائر الضعفاء واستعانوا عليه بالاموات وقالوا جميعا: هلموا به فانه يريد ان يغير ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا من جرائم مانحن فيه (أي من الضعف والموت الزؤام فانهم في ذلك دون سواه) فهـذا يرميه بكسر القيود، وذلك ينبذه باعتداء الحدود، وفـلان يقول إنه اجاز لنا ان نأكل مع الآكلين، وفلان ينادي بل أجاز لنا ان نلبس من لبوس السائدين؛ لقد أوقعنا في البلاء المبين، وسلب منا اباحة الاكل واللباس الدنيا والدين، فاذا اجاز لهم مع الغذاء والكساء ان يكسبوا مع الكاسبين، فقد استحق عندهم ان يكون من المخرجين،

أمثال هؤلاء لهم ان يعجبوا من مواثبة دولة توصف بالشرقية مثلهم لأعظم دولة في الغرب والشرق ولكن الذين يعرفون معـنى الحياة لايعجبون فانهم يعلمون ان هذه الامة قد ارتقت في معارج الحياة الاجتماعية فالتمست الغذاء ـ والحي الصحيح يتغذى دائمـا بغيره ـ فصادفت المقاومة فسلت الحسام ولجأت الى القوة فحاربت دولة الصين التي يبلغ

سكان بلادها زهاء ثلث البشر فقهرتها واستولت على طائفة من بلادها تسمى كوريا قريبة من اليابان وهي تستمد منها غلاتها وتنفق فيها تجارتها وعليها كان النزاع وتنازلت الصين لليابان بعد الحرب عن ميناء (بورت أرثر) وطاليانوان ، وهما الثغران اللذان يرن ذكرهما كل يوم في الآذان ، ولكن روسيا حسدتها على هذه النعمة وخافت مع غيرها من الدول الاوروبية عاقبة اليابان فاتفقت مع المانيا وفرنسا على حرمان الظافر من ثمرة ظفره وقضت هذه الدول الثلاث على اليابان بالخروج من منشوريا وكانوا تغلغلوا فيها وباستقلال كوريا (وذلك بعد الحرب سنة ١٨٩٥ م) وفي أثناء ذلك احتلت الروسية منشوريا بحجة تسوية مسألة اليابان والمحافظة علي استقلال الصين الذي عقدت المحالفة الثلاثية لاجله ولكنها لم تخرج منها بعد خروج اليابان ولم تكتف بذلك حتى اتفقت مع الصين على اصلاح ثغر بورت أرثر وطاليانوان ثم طفقت تمد السكك الحديدية في منشوريا وتقيم فيها الحصون والقلاع بحجة حماية السكة الحديدية وقد خاطبتها اليابان في الجلاء عن منشوريا « حفظا لاستقلال الصين » فماطلت وسوفت ثم وعدت وعدا الى أجل مسمى فانقضى الاجل ولم تف بالوعد فعلمت اليابان ان السعي في اخراجها انما كان لاجل الحلول في محلها والاستئثار بغنيمتها فطفقت تستعد للكفاح ، وتطالب الروسية بالوفاء بوعدها مع شروط اخرى بغاية الالحاح ، ولما ابطأت عليها بالجواب آذنتها بقطع الصلات السياسية، وابتدأتها بالحرب بحرية وبرية،

اما قوة اليابان البرية فقد قالوا انها تستطيع ان تجهز في زمن السلم زهاء ثلاث مئة الف مقاتل. وأما اساطيلها فهي أقل من مجموع الاساطيل الروسية سفنا ولكنها في الغالب اسرع منها سيرا وأبعد رميا وعدد السفن الحربية عندها على اختلاف أنواعها ثلاث وثلاثون يقابلها خمسون عند عدوتها ولكن هذه لا تستطيع ارسالها كلها الى الشرق الاقصى فاليابان هناك أقوى اسطولا والفحم الحجري عندهم أقرب تناولا لكثرته في بعض جزائرهم وعندهم حياض كثيرة لاصلاح السفن التي يعرض لها في الحرب التلف في آلاتها اوفي ذاتها . وقوة اليابان البحرية سهلت عليها انزال جنودها البرية حيث تشاء من مواني كوريا وامدادها بما تحتاج اليه من المؤن والذخائر . وقد حصرت الاسطول الروسي في مرفأ ميناء بورت أرثر بعد ان دمرت بعض مدرعاته في مهاجماتها تدميرا

لهذه الاسباب ولصعوبة ارسال الجنود مع ذخائرها ومؤنها من قلب البلاد الروسية الى منشوريا يعد الناس الدولتين المتحاربتين متكافئتين فبعضهم يرجح النصر لهذه وبعضهم يرجحه لتلك ومنهم من يفصل في ترجيحه فيقول ان الظفر يكون في اول الامر لليابان في البر كما كان لها في البحر ولكن العاقبة تكون لخصمها لان مدد الجنود الروسية لا ينفد وعندها المال الكثير الذي يمكنها من مواصلة الحرب مدة سنة كاملة من غير ان تحتاج الى القرض ثم ان الاكتتاب من رعيتها للمعاونة على هذه الحرب قد بدأ بصفة مدهشة اي انه بدأ بالملايين من الروابل (قيمة الروبل عشرة قروش مصرية) فبماذا ينتهي

اما ميل الامم الى المتحاربتين فمختلف فالانكليز والامريكان يميلون الى اليابان ويقال ان الانكليز حرضتها على الحرب ، وفرنسا تميل الى حليفتها روسيا . وأما المانيا فقد اختلفت الرواية عنها والراجح عندي انها تودد الى روسيا ظاهرا وتود ضعفها باطنا لانها جارتها وحليفة عدوتها (فرنسا) وقد ظهر ميل الانكليز والامريكان لليابان في جرائدهم كما ظهر ميل فرنسا لروسيا في جرائدها بل ان شركة روتر البرقية الانكليزية تعتني بنقل الاخبار التي تفيد خذلان الروسيين وشركة هافاس الفرنسية بالعكس . وقد بالغت الجرائد الانكليزية في الطعن والتنفير من روسيا حتى خافت حكومتها مغبة ذلك وطفق الملك يتودد الى القيصر ويكثر مقابلة سفيره في لندن والاقبال عليه . واما المسلمون عامة فانهم يودون ضعف روسيا لانها اكبر خطر على دولهم المستقلة الثلاث - تركيا وايران وافغانستان - ولكن السلطان عبدالحميد افترص ارتباك روسيا واشتغالها بأمر الحرب فبالغ في التودد الى القيصر وهي سياسة حكيمة بصرف النظر عما يقول كبراء الترك من وجود اتفاق سري بينهما فان اظهار الميل عن روسيا الى اليابان يحفظ قلب القيصر ورجال دولته على تركيا فيضمرون الانتقام منها في اول فرصة من حيث لا ينفع هذا الميل السلطان ولا الدولة من وجه آخر .

واما النصارى في البلاد العثمانية فهم أشد الناس ميلا الى روسيا لاسيما الروم الارثوذكس منهم والسبب في ذلك النزعة الدينية ولكنك تجد افرادا منهم يميلون الى اليابان لانها دولة شرقية قد ارتقت في العلم والنظام والصناعة فهم يفتخرون بها لانهم يعدون الشرق كله وطنهم والرابطة الوطنية اعلى في نفوسهم من الرابطة الدينية بل يرون ان الرابطة

الدينية ضارة فى الدنيا وغير نافعة في الآخرة فانها هي التي حالت دون مساواتهم بمن يعيشون معهم في بلاد واحدة من كل وجه . وهذا الاعتقاد فاش في المتعلمين من النصارى ولكن لم يغلب وجدان الاكثرين ، كما غلب أفكارهم — فهم يميلون الى مشاركتهم في الدين ، وان كانوا غير معتقدين . ولو وجد في المسلمين عدد كثير يميل الى هذه الوطنية ولو مع المحافظة على دينهم لكثر عدد النصارى الوطنيين وتضاعف . وليس من موضوع بحثنا ان نطيل فى حديث الوطنية وانما ذكرنا هذه المسائل لانها من العبر التى يصح ان نستفيدها من تأثير الحرب فذلك انفع لنا من معرفة عدد الذين يحفرون سكة حديد منشوريا ومعرفة طول نهر (يالو) وعرضه

وأهم مباحث هذه الحرب مبحث عاقبتها وتعديها الى الدول الاخرى ويظن ان اوربا كلها يسيئها ان يكون في الشرق دولة قوية عالمة صناعية ويسرها ان يتمزق شمل الجنس الاصفر كما تمزق شمل المسلمين اذ لم يكن لها منازع في السيادة على الشرق غير المسلمين وما أمنت جانبهم باستيلائها على أكثرهم وتعصبها على باقيهم الا نجم لها فى الشرق ناجم آخر ينازعها في هذه السلطة . لذلك يظن ان لا يجني اليابان من انتصارهم — ان هم انتصروا — اكثر مما جنوا من انتصارهم على الصين وان اوربا لا تمكنهم من توسيع نطاق ملكهم في الشرق ولا من تمدين الصين وتعليمها الا ان تشاء انكلترا وأمريكا مقاومة روسيا بهما . وقد بحث السياسيون منهم في عاقبة ارتقاء اليابان وانذروا اوربا الخطر من الجنس الاصفر اذا اجتمع شمله واتحدت كلمته . واظن ان فرنسا لا تتورط فى الحرب لاجل روسيا اذا هي انكسرت واذا هي تورطت فانها تورط انكلترا وهنالك الخطر العظيم على أوربا كلها وعلى آسيا وعقلاء الدول الاوربية يتقون هذا الخطر أشد التقوى ولذلك اتفقوا على حل (المسألة الشرقية) بالمطاولة لا بالمناجزة والاقرب الى المعقول ان يحتل منشوريا وكوريا معا او الاولى فقط جيش مؤلف من دول أوربا الكبرى لتبقى السيادة للابيض على الاصفر ولتؤمن اغارة روسيا على هذه البلاد مرة أخرى والا فان الحرب تستمر سنين طويلة

واما اذا انتصرت الروسية عاجلا أو آجلا فهل تترك لها أوربا وامريكا مملكتي منشوريا وكوريا غنيمة باردة وترضيان بأن تكون لها السيادة العليا فى الشرق الاقصى والكلمة النافذة في الصين ؟ كلا ان هذا بعيد من المعقول وان الخطر فى انتصار روسيا أشد

من الخطر فى انكسارها وانه ينتظر حينئذ ان تهب الصين الى مساعدة اليابان فاذا ظهرت روسيا على الجنس الاصفر كله فللدول طريقتان أحداهما سلمية وهي الاتفاق على الزام روسيا بجعل منشوريا وكوريا تحت حماية الدول الكبرى واحتلالهن إياها بجيش مختلط والزام اليابان بالغرامة التى تثقل كاهلها واخذها بالعقوبات التى لا ينهض لها معها رأس، ولا يرتفع لها فيها صوت، والثانية حربية تسلك اذا تعذر الاتفاق بين الدول ذات الشأن وهي انكلترا والولايات المتحدة ثم المانيا وفرنسا أو أبت عليهن روسيا الدخول فى الامر ولابد ان تشد فرنسا عضدها حينئذ ولا مندوحة لانكلترا والولايات المتحدة عن امداد اليابان بالعساكر البرية والاساطيل البحرية ان بقي اسطول روسيا في الشرق حيا الى أن تتمكن من تعزيزه باسطول بحر البلطيك وماذا يفعل الدبّ الروسي حينئذ ؟

اذا كانت المحالفة بين روسيا وفرنسا تقضي على هذه باسعادها فى الحرب اذا أسعدت خصمها دولة أخرى فهناك الطامة الكبرى وتكون الكلمة العليا فى أوربا لمن تنصره المانيا فان أسطول فرنسا في البحر المتوسط لا يقف أمام اسطول انكلترا فيه لان هذا أقوى اساطيل انكلترا وهي تستطيع ان تعززه حالا بأسطول بحر المانش واسطول البحر الشمالي . والاقرب الى التصور ان تنتصر المانيا يومئذ لانكلترا على عدوتها الظاهرة وهي فرنسا وعدوتها الخفية وهي روسيا وتجعل السيادة فى العالم بين الجرمانيين والسكسونيين فانهم اقرب نسبا ومذهبا — نقول هذا على تقدير وقوع ماتحذر منه أوربا وتتوقاه ، على انها تتوقعه وتخشاه، والارجح ان الدول تقدر على الزام الغالب والمغلوب بما تحكم به وانها تكتفي باضعاف الدولتين المتنازعتين فى السيادة على الشرق الاقصى وتجعله مرتعا مباحا لجميع الاوربيين والامريكيين، ويكون النجاح للسابقين ، ويظن بعض الناس هنا ان الحرب العامة تفيد الدول المهضومة كالدولة العثمانية وايران وبعض الدول الصغيرة فى أوربا ولكن المتفكرين يرجحون او يعتقدون بأن الحرب العامة لا تنتهي الا بانتهاء المسألة الشرقية وابتلاع الدول القوية للضعيفة فى تلك الفرصة وقانا الله شرها وألهم الاقوياء ما فيه أمن الضعفاء .

هذا ما سنح لنا من الاخبار والآراء فى هذا المقال لم نقصد به التفكيه والتسلية ولا تدوين تاريخ الحرب ولا التحزب السياسي بالانتصار لدولة دون اخرى وانما نقصد

التنبيه والايقاظ للاعتبار بأحوال الامم الحية واعمالها ، وامانيها وآمالها ، لعل القارئ يتدبر فتحن نفسه الى العزة والقوة ، وتتمنى ان تكون امته حية قوية ، ثم يقوده التمنى الى التفكر في وسائله ليصير رجاء واملا، يستلزم سعيا ويقتضي عملا، وليت شعري امن التمنى ام من الرجاء مايفكر به الاكثرون من استفادة الدولة العثمانية والدولة الفارسية من هذه الحرب التي يرون انها تشغل روسيا عنهما عشرين سنة؟ سئل عظيم من رجال احدى الدولتين اتستفيد دولتا الاسلام — تركيا وايران — من هذه الحرب؟ فاجاب الرجل العظيم هل استفاد من حديثنا هذا النائم (واشار الى رجل نائم في المجلس) واتفق ان استيقظ النائم عند الجواب فقال السائل : هاقد استيقظ النائم . قال : نعم ولكن النوم لايزال ملء عينيه .

كم من فرصة سنحت لنا وخفت ، ثم تولت وخفيت، ونحن في طريقنا سائرون، وبحالنا راضون ، كتبنا (في ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣١٧ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩) مقالة عنوانها (الفرصتان) جاء فيها مانصه كما في (ص ٥٣٢) من مجلد المنار الثاني:

« واما فرصة الدولة العلية فهي اشتغال روسيا فانكلترا وسائر دول اوربا الكبرى بالمسألة الصينية وانما الخطر على الدولة من روسيا التي يعرف الناس ان سياستها التقليدية تقتضي محو اسمها من لوح الدول وضمها الى الامبراطورية الروسية العظمى أو من اتفاق اوربا على تقسيمها . يدل على شغل روسيا عنها بالطمع في الصين الفيحاء البعيدة الارجاء أن هذه الدولة قد عزمت على تعزيز الخط الحديدي العظيم الذي انشأته في سيبريا (وطوله ٤٦٩٥ ميلا) بخط آخر ينشط من الطريق الاعظم في بلاد منشوريا التي هي في الشمال الشرقي للصين ممتدا الى ميناء بورت آرثر وينوشونغ ويقرب ان تمده من هذه الى بكين عاصمة الصين؛ ويقدر المال اللازم لهذا الناشط بعشرين مليون جنيه كما قدر المال اللازم لطريق سيبريا الاعظم بستة وخمسين مليون جنيه اذا مد عليه خط واحد . وانها قد قررت انفاق ٩ ملايين جنيه لتعزيز اسطولها بالبوارج من الطرز الجديد. فخمسة وثمانون مليونا من الجنيهات من دولة لا تعد من الدول الغنية ليس الا لتلك الغنيمة الكبرى التي تتوقعها في الصين ويؤكد ذلك تقوية الاسطول مع أمنها على ثغورها في اوربا من الدول البحرية وعلمها بأن اليابان لا تقدم على محاربتها فتخاف منها على فلاديفوستك وميناء بورت آرثر ولا يخفى على هاتين الحاضرتين

من غير اليابان . هذا ولابد لانكلترا وفرنسا والمانيا من مزاحمة روسيا ولابد ان يمتد اشتغالهن بتلك المملكة الى سنين كثيرة

«فيجب على الدولة العلية ان تشتغل بنفسها مادام الطامعون في شغل عنها فقد مضى عليها نحو نصف قرن وهي مشغولة بالسياسة الخارجية عن الاصلاح الداخلي والدول الاوربية تطالبها بالاصلاح وهي التي تحول بينها وبينه . وقد بينا رأينا في الاصلاح الواجب من قبل في مقالات نشرت في المنار وأخرى في المؤيد واهمها تعميم التعليم العسكري وتقوية الاسطول ومساعدة الرعية على تعميم المعارف وانتقاء العمال والحكام من الأكفاء والدولة العلية وسلطانها الاعظم أعلم منا بما ينبغي ويجب من ذلك » اه

هذا ما قلناه منذ سنين والدولة لم تعمل شيئا منه يذكر ولكن اليابان استعدت في هذه المدة وابتدأت روسيا بالحرب وقد نقلت الجرائد الاوربية من أقوال قيصر روسيا وكبار قواده ما يدل على اعترافهم ببسالة هذه الدولة واستعدادها وانهم لا يقدرون على الانتقام منها الا بعد زمن طويل يتم فيه استعدادهم . ونقلت من أقوال اليابانيين وأناشيدهم ما يدل على احتقارهم الروسيين ورميهم اياهم بالجهل والظلم واعتقادهم بانهم هم الغالبون بالعلم والنظام ودلائل النصر بادية لهم «فاعتبروا يا أولي الابصار»

وبقي علينا ان نشير الى ما يجب على دولة ايران فان الخطر عليها من روسيا أشد منه على غيرها وربما يكون أول شيء تتوجه اليه روسيا بعد ذهاب منشوريا من يدها اذا هي غلبت عليها أن تأخذ بلاد فارس عوضا عنها فتستر خذلانها وتشكي انكلترا فالواجب على دولة ايران ان تعتني قبل كل شيء باتخاذ الوسائل لتسليح أهالي بلادها وتمرينهم على رمي الرصاص ليكونوا كلهم مدافعين اذا دخل العدو بلادهم كما هو حكم الشريعة الاسلامية وان تعتني أشد الاعتناء بالتعليم العسكري واستجلاب الاسلحة والذخائر الجديدة بقدر الطاقة وأظن ان انكلترا تساعدها في هذا الوقت اذا أرادت ولها ان تطلب ضباطا من أختها تركيا فقد مضى زمن التقاطع والتدابر

واما أفغانستان فهي غنية عن التنبيه والانذار فان عنايتها بالتعليم العسكري واستعمال السلاح لا مزيد عليها فاذا انهزمت روسيا من امام اليابان ، فانها لا تقوى على مهاجمة الافغان ، لما عليه هؤلاء من شدة الباس ، وصعوبة المراس ، ووعورة البلاد ، وحسن الاستعداد ،

دعوى الخلافة

(تعريب مقالة نشرت في جريدة (ترك) الغراء)

ان دعوى الخلافة هي من أهم الاسباب الداعية لتشتت شمل المسلمين والمانع الوحيد لوفاقهم ووئامهم وما هي بالشيء الجديد وانما بدأت منذ زمان سيدنا علي ومعاوية ونمت بعد ئذ وتشعبت الى شعب كثيرة . واشرأبت نحوها أعناق الامم الاسلامية باسرها حتى ان كل أمة من هذه الامم لا يروقها وجود الخلافة عند غيرها ولا تراها صالحة الا لها . فكم من دماء على هذه المسئلة قد اريقت ، وكم أرواح زهقت ، وأطفال يتمت ، ونساء رملت ، وكم أضرت هذه الدعوى بالاسلام من الاضرار البليغة المادية والادبية

وأكثر الكل تبججاً بدعوى الخلافة هم العرب اذ يتخذون انتسابهم الى النبي «ص» ونزول القرآن باللغة العربية ومدنية العرب بعد الاسلام حجة على تأييد مدعاهم . ولا يروقهم كون الخلافة بيد الترك الذين تشرفوا بالدين الحنيف منذ سبعة قرون ولا يرونها لائقة بهم . ومع ذلك فان الوفاق والوئام لا أثر لهما بين العرب . فترى مثلا ان أهل الحجاز يريدون ان يكون شريف مكة هو الخليفة وان الخلافة حقه لا ينازعه فيها منازع . كما ان كل شيخ من مشايخ عربان اليمن يريد الخلافة لنفسه . اما السوريون فان أفكارهم تناقض هذه الافكار كل المناقضة . ولو عطفنا النظر الى المسلمين القاطنين في أفريقا رأينا المراكشيين يدعون ان سلطانهم من نسل النبي وانه أحق بالخلافة من غيره . أما سكان وادي النيل فانهم يريدون ان تكون القاهرة مركزاً للخلافة كما كانت في العصور الغابرة فتراهم لا يألون جهداً في تعميم هذا الفكر بين افراد المصريين . واما الايرانيون فانهم لا يعتقدون بصحة خلافة الذين تولوا الخلافة بعد أولاد الرسول ولا يقبلون غيرهم أحداً فعلى ظني ان هذه الدعاوى جميعها مبنية على اسس واهية وهذه الافكار أوهام باطلة وهذه الاقوال غير صحيحة ،

فاول شرط من شروط الخلافة هو ان تكون الامة التي تبغي حمل تبعة هذا المنصب على عاتقها هي أكثر الامم الاسلاميه جاهاً وأبعدهم في الحضارة شأواً وأقدرهم على درء العدو عن حوزة الخلافة المقدسة وهو ما يقضي به العقل والشرع . فاذا نظرنا اليهم نظرة الناقد البصير فهل نرى غير العثمانيين منهم أمة تحوز هذه الاوصاف جميعها ؟ كلا : فالخلافة لا تقاس بباباوية الكاثوليك . ولم تكن وظيفة الخليفة محصورة في رفع الاكف والدعاء

لحفظ الخلافة الاسلامية وصيانتها . بل ان من الواجب على الخليفة ان يريق الدماء ويبذل الاموال للذود عن حقوقها .

فلا المراكشيون الذين لايزالون على ما كانوا عليه من الهمجية منذ القرون الوسطى ولا حملة الرمح ورماة السهام من قبائل افريقا ولا شريف مكة الذي لايهمه سوى سلب الحجاج أموالهم ، ولا أصحاب الاوهام الباطلة من المصريين بقادرين على القيام بحقوق هذا المنصب . ولا يمكن ان يقوم باعبائه غير العثمانيين الذين تؤهلهم له حضارتهم وموقعهم الجغرافي وبسالة جنودهم وانتظامها . وما أتوه من الخدم الجزيلة وما أراقوه من الدماء في سبيل هذه الغاية في العصور الخالية لهو اقوى دليل على ماقدمنا . ولكن هل استفادوا مقابل ذلك شيئا من الفائدة المادية؟ كلا ثم كلا . فلو لم يحملوا تبعة هذا المنصب على عاتقهم لاستراحوا من هذا العناء ، ولامضوا حياتهم السياسية بكل راحة وهناء ، ولما تسلطت النصارى حتى الاميركيون منهم على الاتراك ولما ترقبوا الفرص لايقاع الاذى بهم وكل ذلك لم يكن الا لكون الاتراك هم عضد الاسلام الاقوى وجميع السهام المصوبة نحو الاسلام لا تقع الا على رءوس الاتراك . اما ما يقال من ان الترك لم يقوموا بأعباء هذا المنصب حق القيام فهو صحيح . ولكن ايبرز من يقدر على القيام باعبائه أكثر منهم على شرط ان يؤيد أقواله بالافعال . وحينئذ يرى العثمانيين مستعدين لتسليم هذه الامانة المقدسة والانزواء في زاوية الراحة .

اما اذا قال قائل ان الحكومة العثمانية لا تترك للسوريين واليمانيين والبغداديين مجالا فنقول . من ذا الذي ياترى غل أيدي المراكشيين والتونسيين والمصريين عن العمل؟ ولكن هيهات « طبيب يداوي والطبيب عليل » اه

(المنار) قول الكاتب الاديب ان دعوى الخلافة كانت بلاء على المسلمين وأنها أضرت بهم كثيرا صحيح وكان يجب عليه ان يبحث في تلافي هذا الضرر لا أن يهيجه بتعظيم قومه وتحقير سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم ، وكان يجب عليه ان يمثل لهم قوة الدولة العثمانية عزالهم وشرفا . لا عارا عليهم وهضما . ان الكاتب أخطأ في سيره بمقالته وانا نبين له خطأه ووجه الصواب الذي كان ينبغي له ان يعرفه وان يعرف الناس به وهو انه لا يوجد في سوريا ولا في مصر من يفكر في جعل خليفة المسلمين سوريا أو مصريا أو بغداديا . واما الكلام في المسألة فقد وجد في مصر وحدها من افراد من أهل البطالة الذين يكسبون المال والجاه

من الاستانة ومصر بكتابة التقارير ، للايهام والتغرير ، وقد كتبوا أوراقا ونظموا أشعاراً يوهمون بها السلطان بأن خديو مصر يسعى للخلافة سعيها وان الامة المصرية تابعة له . ويريدون بهذا التقرب الى السلطان تارة والى الخديو أخرى على أنهم يخوفون السلطان منه ليقضي له حاجاته عنده وحال هؤلاء معلوم وهم يوقنون بأن الامة المصرية لاتفكر في هذا المعنى ولا ترجوه فضلا عن كونها تسعى اليه

هذا ماتعلمه علم اختبار في القطرين ونعرف برواية الصادقين ان أهل مكة والمدينة لايريدون ان يكون أميرها خليفة للمسلمين ، وكذلك البلاد العربية كلها تود ان تكون دائما تحت رعاية الدولة العثمانية وسيادتها بشرط ان تقيم فيها العدل واما الذين يخرجون في اليمن فهم معدودون يستفزهم ظلم أحكام الترك فيهيجون ، ولو حكموا بالعدل لما كانوا يثورون ، فهذا مانقوله بناء على اختبار من نثق بهم كصديقنا محمد باشا عبد الوهاب أمير دارين وصديقنا المرحوم الكواكبي الذي ساح في الجزيرة واختبرها حق الاختبار ولكن العرب لايصبرون على الضيم فاذا ساءت معاملتهم ساءت أعمالهم . واما أهل مراكش فلا علاقة لهم بالسلطة التركية . ودعوى سلطانهم الخلافة كدعوى سلطاننا لم تحمل احدهما صاحبها على منازعة الآخر وأما كونها مانعة من اتحادهما فاللوم فيه اعلم السلطانين وأحكمهما اذ يرضى ان يكون اللقب سبب التفريق بين رؤساء المسلمين بلا فائدة . واما الايرانيون فعذرهم أوضح الاعذار لان المسألة عندهم دينية محضة فلا يمكن مطالبتهم بترك اعتقادهم الا بالحجة الدينية ومقالة جريدة (ترك) سياسية لا دينية

فعلم من هذا ان تصوير الكاتب الفاضل مسألة الخلافة غير صحيح من جهة الواقع أي انه ليس في المسلمين من ينازع الترك بالفعل لاجل لقب الخلافة وهذا هو روح المسألة واما قوله ان العرب يحتجون على كونهم أحق بالخلافة بكذا فغير صحيح أيضا وانما يحتجون بالاحاديث الصحيحة المتفق عليها الناطقة بأن الخلافة في قريش وهي حجة لم يخالفهم فيها أحد من علماء الترك فهذه كتبهم في العقائد والفقه والحديث متفقة مع كتب علماء العرب على اشتراط القرشية في الخلافة . ولا يقدر ان يقول ان حديث الرسول من « الاوهام الباطلة والاسس الواهية » وانما الباطل ماذكره هو في شروط الخلافة من الجاه والحضارة والموقع الجغرافي !! نعم ان القوة هي المدار الحقيقي ولكن يجب على المسلمين ان يجعلوا قوتهم مؤيدة للحق الذي جاءت به شريعتهم وحجة له

لاخلافة له وحجة عليه • ولو كانت الحضارة شرطاً لما صحت خلافة الراشدين

وأما قوله هاتوا لنا من يقدر على القيام بحقوق الخلافة من غير الترك لنسلمها اليه فجوابه ان الخلافة ليست حقا شائعا منتشراً بين افراد الشعب التركي الممتاز على جميع الشعوب بحضارته فيقال ذلك وانما هي منصب تقلده الامة لرجل واحد وهذا الواحد يجب ان تقيده الامة بشريعتها فاذا كان ما يقوله الكاتب صحيحا فليختر الترك أو ليربوا رجلا قرشيا من آل البيت على صفات الخلافة ويجعلوه بقوتهم التي وصفها خليفة للمسلمين ولا يتوقف هذا على ما يعجز الكاتب به الشعوب الاسلامية من مطالبتها بالاستعداد لازالة قوة الترك وايجاد خلافة بقوة أخرى !!!

وخلاصة القول ان البحث في الخلافة والخليفة من اللغو الذي يخشى ضره ولا يرجى نفعه • وان الذي يجب على كل مسلم في هذا العصر هو ان يؤلف بين المسلمين في حكوماتهم وأفرادهم وان لا يجعل هذا اللقب سببا للتفريق ولا اختلاف اللغات سببا للاختلاف • وانه لا يضر الترك شيء مثل جعلهم التركية جامعة لهم يفتخرون بها على سائر المسلمين وتعمدهم إضعاف الشعوب الاسلامية ليمتازوا بالقوة وحدهم فانهم اذا أمسوا وحدهم فلابد ان تبتلعهم أوربا وقد رأوا العبرة بالممالك التي انفصلت منهم والممالك التي تهدد بالانفصال • والكاتب الفاضل يعلم ان القوة التي افتخر بها ليست مؤلفة من الترك وحدهم بل منهم ومن العرب والاكراد والارناؤط وغيرهم • فعليه ان يحث قومه على مساواة جميع الشعوب التي تتألف منها الدولة بانفسهم في بلاد الدولة وان يتقربوا من سائر الشعوب الاسلامية بخدمة الاسلام نفسه أي باحياء لغة كتابه المنزل من عند الله تعالى على رسوله العربي وباقامة شريعته العادلة وبتأمين حرم الله وحرم رسوله فان عار سلب الشريف أموال الحجاج انما هو على الدولة التي تحكم الحجاز لا على الشريف الذي هو أحد عمالها الذين يوليهم سلطانها « خادم الحرمين الشريفين » فاذا فعلت الدولة ذلك ووجهت قوتها الى جمع الشعوب، وتأليف القلوب ، رجي لها الفوز بالمرغوب، والا كانت هي المقطعة لاوصال الاسلام محافظة على سيادة العنصر التركي

واما ماتبجح به من أعمال الترك وجهادهم في سبيل الخلافة المقدسة فهو أغرب مافي المقالة فان الترك أيام حروبهم وفتوحاتهم لم يكونوا يذكرون لفظ الخلافة ولا يتبجحون به كاليوم ولم تكن حروبهم دينية اذ لم يكن يتقدمها دعوة الى الاسلام

ولم تكن لحماية الدعوة وحرية الدين وانما كانت لسعة الملك ولذلك لم ينتشر الاسلام في الممالك التي افتتحوها بسعيهم واقامتهم للدين ، ولا ارتقت فيها الحضارة بمدنيتهم ، ولا اتسعت دائرة المعارف بعلومهم ، ولا قدروا على تحويلها الى لغتهم وجنسهم بحسن سياستهم ، بل أحفظوها عليهم ، حتى أمكنتها الفرصة فتملصت من أيديهم ، وهذا حق يسوء ناذ كره ، ولا يسعنا إنكاره ، فعلينا وعلى أخينا الكاتب الفاضل ان نرغب عن الفخر بالباطل ، الى تأليف القلوب بالحق ، وما هو الاشدة حاجة بعضنا الى بعض وتنابي اناشعوب مختلفة فحسبنا ان الاسلام جمع بيننا وجعلنا بنعمة الله اخوانا وان الخلافة الحقيقية لم تكن الا للراشدين ثم صارت ملكا عضوضا

ألم يكن أفضل مما كتبه في رمي العرب عامة والمصريين والسوريين منهم خاصة ببغض الترك وتمني نزع لقب الخلافة منهم ان يذكر الجميع بأن أوربا واقفة للمسلمين عامة بالمرصاد وان أعون شيء لها عليهم اختلافهم وتفرقهم وأنه لامصلحة لاحد منهم فى هذا التفرق وان الدولة العلية هي أقوى دولهم فاذا أوقع الاعداء بها وهي قائمة ، فكيف يرجي ان تنهض بهم أمة نائمة .؟ ألم يكن الافضل لمن يعتقد ان التنازع على لقب الخليفة هو المانع من اتحاد المسلمين ان يدعو قومه الى السكوت عن هذا اللقب ويدعو سائر الحكومات الاسلامية الى الاتحاد على حفظ البلاد الاسلامية مع بقاء كل أمير في امارته وكل سلطان في سلطنته كما يتحالف ويتحد ملوك النصارى ؟

ليخبرني الكاتب الفاضل اي ضرر يلحق الدولة أو الاسلام والمسلمين اذا سكتنا عن الفخر بهذا اللقب الذي اعترف هو بان ادعاءه قد فرق كلمة المسلمين ،؟ ان قال تفوت فائدته في تكبير أوربا شأن الدولة العلية : أقول وهل كان هذا التكبير الا ضارا إذ هو الذي اقام قيامة أوربا على الترك كما قال ، وهو الذي يحمل دول أوربا على التضييق على مسلمي مستعمراتهم توهما انهم يميلون الى الدولة على أنهم لايتركون الضغط على الدولة لارضائهم . وان قال انه يفوتها بذلك ماتجنيه من مسلمي تلك المستعمرات من الفوائد : نقول لانسلم ان نحو مساعدة مسلمي الهند لسكة الحديد الحجازية هو لاجل لقب الخلافة ولئن سلمنا لنقولن ان هذه الفوائد لاتوازي بعض مضرة مناهضة أوربا ونفور العرب من الدولة ان صح قوله الاول انهم نافرون ،

دعاء شعبان ـ انتقاد المنار

تكرر منا الوعد بأننا نقبل الانتقاد علينا ونذكر رأينا فيه فاما تسليما واما تفنيدا. وقد كنا ذكرنا في الجزء السابع عشر من هذه السنة كلاما في بدع ليلة النصف من شعبان وذكرنا ان من ذلك الدعاء المشهور الذي لم ينزل الله به من سلطان. ثم تنبهنا الى ما كنا قرأناه في كتاب كنز العمال من ان لبعض ألفاظ الدعاء أصلا مرويا في الجملة كما سنذكره وكتب الينا عقيب ذلك الشيخ ابراهيم السمنودي المنصوري كتابا يقول فيه: « اخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله عليه في معيشته: ياذا المن ولا يمن عليه، ياذا الجلال والاكرام، ياذا الطول لا إله الا أنت، ظهر اللاجين، وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا، فامح عني اسم الشقاوة، واثبتني عندك سعيداً، وان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروما مقترا عليّ رزقي فامح حرماني ويسر رزقي واثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير فانك تقول في كتابك الذي انزلت « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » : واخرج بعضه عبد بن حميد وغيره عن عمر رضي الله تعالى عنه. وكذا ابن جرير عن شقيق ابن وائل ومعلوم ان ليس في ذلك للرأي مجال فيكون في حكم المرفوع : اه

(المنار) : مصنف ابن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد لم تتداولها الايدي ولا نعرف في عصرنا من يرويهما متلقيا نسخهما بحيث يصح ان يعتمد على هذه النسخ والرجلان من متقدمي المحدثين وكل ماروه فهو في كتب الحديث المتداولة صحيحه في الصحاح وحسنه في الحسان وضعيفه في الضعاف. وهذا كتاب الجامع الكبير للسيوطي يقول انه احصى فيه جميع هذه الكتب المعروفة ولم نجد في كنز العمال (الذي هو الجامع الكبير وزيادة الا انه مختلف الترتيب) هذا الحديث عن هذين المحدثين. وانما اخرج عن الحاكم بسند ضعيف «عن الحسن بن أبي الحسن أظنه ذكر عن عبد الله بن مسعود قال: كان ادريس النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة كان يأمر ان لا تعلموها السفهاء فيدعون بها (كذا) فكان يقول: ياذا الجلال والاكرام » وساق نحو ماتقدم مع تغيير في العبارة ولم يذكر « فانك تقول في كتابك » الخ وعن اللالكائي عن أبي عثمان الهندي انه سمع عمر يقول في طوافه «اللهم ان كنت كتبتني عندك في السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في الشقاوة فامحني منها واثبتني في السعادة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب» ولو صح هذا وماقبله ـ وما

هما بصحيحين — لم يكن فيهما حجة على هذا الشعار الديني المبتدع في ليلة النصف والدعاء الملفق الذي يطلب فيه محو ما في أم الكتاب ، على ان الرواية الاولى لم يجزم فيها بقول ابن مسعود ، والثانية أبعد عن المقصود . ونرجو من الاستاذ السمنودي ان يكتب الينا مستند ما رآه والا فلا معوّل عليه أنى كان .

﴿ خاتمة السنة السادسة ﴾

نحمد الله تعالى ونشكره أن أتم لنا ست سنين ، في خدمة الامة والدين ، وان جعل هذا المنار حيا ناميا يزيد الاقبال عليه والثقة به سنة بعد سنة ويتجدد له في كل عام مئون من المشتركين . ثم بعد شكر الله تعالى نشكر أهل الفضل والغيرة الذي وازرونا في عملنا بالترغيب في المنار وبأداء حقه في وقته وكان أعظمهم منة علينا في هاتين السنتين وكيل المنار الهمام في تونس الذي تجدد لنا بسعيه وهمته عدد عظيم من المشتركين ووعد — وهو خير من وفى — بأنه لا يأتي شهر صفر ولنا عند أحد في تلك البلاد قرش واحد من الاشتراك . ثم ذلك السري الشيمي الذي طلب منا خمسين نسخة ترسل باسمه وهو يدفع قيمتها . وكذلك بعض كبراء المصريين الذي كان مشتركا بعدة نسخ فزادها في السنة الماضية عشرا ومثله كبير في بلاد العرب زاد في اشتراكه عشر نسخ فحيا الله هؤلاء الكرام ، وادامهم انصارا للعلم والاسلام ، ثم نشكر لسائر المشتركين الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم في زمن قل فيه الوفاء وعظم فيه الشح في طريق الحق والخير من حيث عظم السرف والتبذير في سبيل الترف والشهوات . وندعو للماطلين المسوفين بأداء قيمة الاشتراك بعذر أو بغير عذر بأن يوفقهم الله تعالى لما فيه خير أنفسهم وصلاحها من الوفاء والاهتمام بالاعمال العامة والتعاون على البر والتقوى . ونختم هذا المجلد بالصلاة والسلام على خاتم النبيين . والحمد لله رب العالمين ،

﴿ شرط الاشتراك في المنار ﴾

كل من يقبل الجزء الاول من السنة السابعة (١٣٢٢) يعد مشتركا الى نهاية السنة ويجب عليه دفع قيمة الاشتراك كاملة وان ردّ المجلة بعد ذلك فمن لم يرض بهذا الشرط فليرد الينا الجزء الاول . وعلى من لا يصل اليه بعض الاجزاء ان يطلبه في مدة ٢٠ يوما من موعد صدوره يرسل اليه فان طلبه بعد ذلك فعليه ان يرسل ثمنه قرشين ونصف قرش والادارة غير مكلفة باعطاء بدل المفقود ولو بالثمن ، والحكم في مراعاة ما تقدم للذمة والامانة .

22361

For Reference

Not to be taken from this room

NO.705